2271
4584
334

V.3-5

DUE JUN 15 1987
XXXXXXXXXXXX
14
XXXXXXXXXXXX
FEB 14 1987

DATE ISSUED	DATE DUE	DATE ISSUED	DATE DUE
XXXXXXXXXXXX		JUN 15 2007	
DUE: JUN 29 1983		[redacted]	
[redacted] MAY 17 1983			
SEP 01 2008			
DUE JUN [redacted]			
JUN 15 2012			

a32101 001222643b

71

الفصل

Ibn Hazm, ʻAlī ibn Ahmad, 994-1064

في الملل والأهواء والنحل

al-Fisal

للإمام ابن حزم الظاهري الأندلسي المتوفى ٤٥٦ ه

وبهامشه

الملل والنحل للشهرستاني المتوفى سنة ٥٤٨ ه

صححه وذيله بحواش مفيدة

بقلمه

عبد الرحمن خليفة

المدرس بمدرسة ماهر باشا ومن علماء الأزهر

الجزء الثالث — الطبعة الاولى سنة ١٣٤٧ ه

حقوق الطبع بالتعليقات محفوظه للملتزم

مصدر بمقدمة بقلم مصححه

يطلب من مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده
بميدان الأزهر بمصر

P 525

2271
.4584
.334

v. 3-5

بسم الله الرحمن الرحيم

(الكلام في الرؤية)

(قال ابو محمد) ذهبت المعتزلة وجهم بن صفوان الى ان الله تعالى لا يرى فى الآخرة، وقد روينا هذا القول عن مجاهد وعذره فى ذلك ان الخبر لم يبلغ اليه، وروينا هذا القول ايضا عن الحسن البصرى وعكرمة وقد روى عن عكرمة والحسن ايجاب الرؤية له تعالى، وذهبت المجسمة الى ان الله تعالى يرى فى الدنيا والآخرة، وذهب جمهور اهل السنة والمرجئة وضرار ابن عمرو من المعتزلة الى ان الله تعالى يرى فى الآخرة ولا يري فى الدنيا اصلا، وقال الحسن ابن محمد النجار هو جائز ولم يقطع به

(قال ابو محمد) اما قول المجسمة ففاسد بما تقدم من كلامنا فى هذا الكتاب والحمد لله رب العالمين وعمدة من انكر ان الرؤيا المعهودة عندنا لا تقع الا على الالوان لا على ما عداها البتة، وهذا مبعد عن البارى عز وجل، وقد احتج من انكر الرؤية علينا بهذه الحجة بعينها، وهذا سوء وضع منهم، لاننا لم نقل قط بتجويز هذه الرؤية على البارى عز وجل وانما قلنا انه تعالى يرى فى الآخرة بقوة غير هذه القوة الموضوعة فى العين الآن لكن بقوة موهوبة من الله تعالي وقد سماها بعض القائلين بهذا القول الحاسة السادسة، وبيان ذلك اننا نعلم الله عز وجل بقلوبنا علماً صحيحا، هذا ما لا شك فيه، فيضع الله تعالى فى الابصار قوة تشاهد بها الله وترى بها كالتى وضع فى الدنيا فى القلب، وكالتى وضعها الله عز وجل فى أذن موسى صلى الله عليه وسلم حتى شاهد الله وسمعه مكلما له، واحتجت المعتزلة بقول الله عز وجل لا تدركه الابصار

(قال ابو محمد) هذا لا حجة لهم فيه، لان الله تعالى انما نفى الادراك والادراك عندنا في اللغة معنى زائد علي النظر والرؤية، وهو معنى الاحاطة وليس هذا المعنى فى النظر والرؤية فالادراك منفى عن الله تعالى علي كل حال فى الدنيا والآخرة، برهان ذلك قول الله عز وجل فلما تراآى الجمعان قال اصحاب موسى انا لمدركون قال كلا ان معى ربى سيهدين * ففرق الله عز وجل بين الادراك والرؤية فرقا جليا، لانه تعالى اثبت الرؤية بقوله فلما تراآى الجمعان واخبر تعالى انه رأى بعضهم بعضا فصحت منهم الرؤيا لبنى اسرائيل ونفى الله الادراك بقول موسي عليه السلام لهم. كلا ان معى ربى سيهدين. فاخبر الله تعالى انه رآى اصحاب

ربها حتى يعاين الجزئيات كلها فيستخلص من الشبكة فيتصل بكلياتها وتستقر فى عالمها مسرورة محبورة ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور رأى (فيثاغورس ابن منسارخس) من أهل ساميا وكان فى زمن سليمان عليه السلام قد أخذ الحكمة من معدن النبوة وهو الحكيم الفاضل ذو الرأى المتين والعقل الرصين يدعى أنه شاهد العوالم بحسه وحدسه وبلغ فى الرياضة الى أن سمع خفيف الفلك ووصل الى مقام الملك وقال ما سمعت شيئا قط الذ من حركاتها ولا رأيت شيئاً ابهى من صورها وهيآتها وقوله فى الالهيات أن البارى سبحانه وتعالى واحد كالآحاد ولا يدخل في العدد ولا يدرك من جهة العقل ولا من جهة النفس فلا الفكر العقلى يدركه ولا

فرعون بنى اسرائيل ولم يدركوهم، ولاشك فى ان ما نفاه الله تعالى عز وجل فهو غير الذى اثبته، فالادراك غير الرؤية، والحجة لقولنا هو قول الله تعالى ❊ وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ❊ واعترض بعض المعتزلة وهو ابو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائى فقال ان الى هاهنا ليست حرف جر لكنها اسم وهى واحدة الآلاء وهى النعم فهى فى موضع مفعول ومعناه نعم ربها منتظرة

(قال ابو محمد) وهذا بعيد لوجهين، احدهما ان الله تعالى اخبر ان تلك الوجوه قد حصلت لها النضرة وهى النعمة والنعمة نعمة، فاذا حصلت لها النعمة فبعيد ان ينتظر ما قد حصل لها وانما ينتظر ما لم يقع بعد، والثانى تواتر الاخبار عن النبى صلى الله عليه وسلم بيبان ان المراد بالنظر هو الرؤية لا ما تاوله المتاولون وقال بعضهم ان معناها الى ثواب ربها ناظرة اى منتظرة

(قال ابو محمد) هذا فاسد جدا لانه لا يقال فى اللغة نظرت الى فلان بمعنى انتظرته

(قال ابو محمد) وحمل الكلام على ظاهره الذى وضع له فى اللغة فرض لا يجوز تعديه الا بنص او اجماع، لان من فعل غير ذلك افسد الحقائق كلها والشرائع كلها والمعقول كله، فان قال قائل ان حمل اللفظ علي المعهود اولى من حمله علي غير المعهود قيل له الاولى فى ذلك حمل الامور علي معهودها فى اللغة ما لم يمنع من ذلك نص او اجماع او ضرورة، لم يات نص ولا اجماع ولا ضرورة تمنع ما ذكرنا فى معنى النظر، وقد وافقتنا المعتزلة علي انه لا عالم عندنا الا بضمير وانه لا فعال الا بمعاناة، ولا رحيم الا برقة قلب، ثم اجمعوا معنا علي ان الله تعالى عالم بكل ما يكون بلا ضمير، وانه عز وجل فعال بلا معاناة ورحيم بلا رقة، فاى فرق بين تجويزهم ما ذكرنا وبين تجويزهم رؤية ونظرا بقوة غير القوة المعهودة لولا الخذلان ومخالفة القرآن والسنن نعوذ بالله من ذلك وقد قال بعض المعتزلة اخبرونا اذا رؤى الباري اكله يرى ام بعضه

(قال ابو محمد) وهذا سؤال تعلموه من الملحدين اذ سألونا نحن والمعتزلة فقالوا اذا علمتم البارى تعالى اكله تعلمونه ام بعضه

(قال ابو محمد) وهذا سؤال فاسد مغالط به لانهم اثبتوا كلا وبعضا حيث لا كل ولا بعض والكل والبعض لا يقعان الا فى ذى نهاية والبارى تعالى خالق النهاية والمتناهي فهو عز وجل لا متناه ولا نهاية فلا كل له ولا بعض

(قال ابو محمد) والآية المذكورة والاحاديث الصحاح المأثورة فى رؤية الله تعالى يوم القيامة موجبة القبول لتظاهرها وتباعد ديار الناقلين لها ورؤية الله عز وجل يوم القيامة كرامة للمؤمنين لا أحرمنا الله ذلك بفضله ومحال ان تكون هذه الرؤية رؤية القلب لان جميع العارفين به تعالى يرونه فى الدنيا بقلوبهم وكذلك الكفار فى الآخرة بلا شك فان قال قائل انما اخبر تعالى بالرؤية عن الوجه قيل وبالله تعالى التوفيق معروف فى اللغة التى بها خوطبنا ان تنسب الرؤية الى الوجه والمراد بها العين قال بعض الاعراب

انافس من ناجاك مقدار لفظة   وتعتاد نفسى ان نات عنك معينها
وان وجوها يصطبحن بنظرة   اليـك لمحسود عليـك عيونها

(الكلام فى القرآن وهو القول فى كلام الله تعالى)

المنطق النفسى يصفه فهو فوق الصفات الروحانية غير مدرك من نحو ذاته وانما يدرك بآثاره وصنائعه وأفعاله وكل عالم من العوالم يدركه بقدر الآثار التى تظهر فيه فينعته ويصفه بذلك القدر الذى خصه من صنعه فالموجودات فى العالم الروحاني قد خصت بآثار خاصة روحانية فينعته من حيث تلك الآثار ولا شك أن هداية الحيوان مقدرة علي الآثار التى جبل الحيوان عليها وهداية الانسان مقدرة علي الآثار التى فطر الانسان عليها وكل يصفه من نحو ذاته ويقدسه عن خصائص صفاته ثم قال الوحدة تنقسم الى وحدة غير مستفادة من الغير وهى وحدة الباري تعالى ووحدة الاحاطة بكل شيء ووحدة الحكمة علي كل شيء ووحدة

(قال ابو محمد) واختلفو فى كلام الله عز وجل بعد ان أجمع اهل الاسلام كلهم ان لله تعالى كلاما وعلى ان الله تعال كلم موسى عليه السلام وكذلك سائر الكتب المنزلة كالتوات والانجيل والزبور والصحف فكل هذا لا اختلاف فيه بين احد من اهل الاسلام ثم قالت المعتزلة ان كلام الله تعالى صفة فعل مخلوق وقالوا ان الله عزوجل كلم موسى بكلام احدثه فى الشجرة وقال اهل السنة ان كلام الله عز وجل هو علمه لم يزل وانه غير مخلوق وهو قول الامام احمد بن حنبل وغيره رحمهم الله وقالت الاشعرية كلام الله تعالى صفة ذات لم تزل غير مخلوقة وهو غير الله تعالى وخلاف الله تعالى وهو غير علم الله تعالى وانه ليس لله تعالي الا كلام واحد

(قال ابو محمد) واحتج اهل السنة بحجج منها أن قالوا ان كلام الله تعالى لو كان غير الله لكان لايخلوا من ان يكون جسما او عرضا فلو كان جسما لكان فى مكان واحد ولوكان ذلك لكنا لم يبلغ الينا كلام الله عز وجل ولا كان يكون مجموعا عندنا في كل بلد كذلك وهذا كفر ولو كان عرضا لاقتضى حاملا ولكان كلام الله تعالى الذى هو عندنا هو غير كلامه الذى عند غيرنا وهذا محال ولكان ايضا يفنى بفناء حامله وهذا لايقولونه وبالله تعالى التوفيق قالوا ولو سمع موسى عليه السلام كلام الله تعالى من غير الله تعالى لما كان له عليه السلام فى ذلك فضل علينا لاننا نسمع كلام الله عز وجل من غيره فصح ان لموسى عليه السلام مزية على من سواه وهو انه عليه السلام سمع كلام الله بخلاف من سواه وايضا فقد قامت الدلائل على ان الله تعالى لايشبهه شيء من خلقه بوجه من الوجوه ولا بمعنى من المعانى فلما كان كلامنا غيرنا وكان مخلوقا وجب ضرورة ان يكون كلام الله تعالي ليس مخلوقا وليس غير الله تعالي كما قلنا فى العلم سواء بسواء

(قال ابو محمد) واما الاشعرية فيلزمهم فى قولهم ان كلام الله غير الله ما ألزمناهم فى العلم وفي القدرة سواء سواء مما قد تقصيناه قبل هذا والحمد لله رب العالمين واما قولهم ليس لله تعالى الا كلام واحد فخلاف مجرد لله تعالى ولجميع اهل الاسلام لان الله عزوجل يقول * قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي * ولو ان ما فى الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر مانفدت كلمات الله *

(قال ابو محمد) ولا ضلال اضل ولا حياء اعدم ولا مجاهرة اطم ولا تكذيب لله اعظم ممن سمع هذا الكلام الذى لايشك مسلم انه خبر الله تعالى الذى لاياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه بان لله كلمات لاتنفد ثم يقول هو من رأيه الخسيس انه ليس لله تعالي الا كلام واحد (١) فان ادعوا انهم فروا من ان يكثروا مع الله ا كذبهم قولهم ان هاهنا خمسة عشر شيئا كلها متغايرة وكلها غير الله وخلاف الله وكلها لم تزل مع الله تعالى عما يقول الظالمون علو كبيرا

قال

---

(١) قوله الا كلام واحد الخ هذا الرجل ان ذهب الى ان الكلام هو العلم كيف يجعله متكثرا وهو يقول علم الله ليس غيره وان ذهب الى ان كلام الله غير العلم فكيف ينكر على من يطلقه على صفة تكون امرا ونهيا وغير ذلك من سائر معانى الكلام هذا مما لايظهر له معنى

تصدر عنه الآحاد الموجودات والكثرة فيها والى وحدة مستفادة وذلك وحدة المخلوقات وربما يقول الوحدة على الاطلاق تنقسم الى وحدة قبل الدهر ووحدة مع الدهر ووحدة بعد الدهر ووحدة قبل الزمان ووحدة مع الزمان فالوحدة التى قبل الدهر وحدة البارى تعالي والوحدة التى هى مع الدهر وحدة العقل الاول والوحدة التى هى بعد الدهر وحدة النفس والوحدة التى هى مع الزمان وحدة العناصر والمركبات وربما يقسم الوحدة قسمة اخرى فيقول الوحدة تنقسم الى وحدة بالذات والى وحدة بالعرض فالوحدة بالذات ليست الا لمبدع الكل الذى تصدر منه الوحدانية فى العدد

(قال ابوا محمد) وقالت ايضا هذه الطائفة المنتمية الى الاشعرية ان كلام الله تعالى عزوجل لم ينزل به جبريل عليه السلام على قلب محمد صلى الله عليه وسلم وانما نزل عليه بشيء آخر هو عبارة عن كلام الله تعالى وان الذى تقرا فى المصاحف ويكتب فيها ليس شيء منها كلام الله وان كلام الله تعالى الذى لم يكن ثم كان ولايحل لاحد ان يقول انما قلنا ان لله تعالى لايزايل البارى ولا يقوم بغيره ولايحل فى الاماكن ولا ينتقل ولاهو حروف موصلة ولا بعضه خير من بعض ولا افضل ولا اعظم من بعض وقالوا لم يزل الله تعالى قائلا لجهنم هل امتلات وقائلا للكفار اخسؤا فيها ولا تكلمون ولم يزل تعالى قائلا لكل ماراد تكوينه كن

(قال ابو محمد) وهذا كفر مجرد بلا تاويل وذلك اننا نسالهم عن القرآن اهو كلام الله ام لافان قال ليس هو كلام الله كفروا باجماع الامة وان قالوا بل هو كلام الله سالناهم عن القرآن أهو الذى يتلى فى المساجد ويكتب فى المصاحف ويحفظ فى الصدور ام لافان قالوا لا كفروا باجماع الامة وان قالوا نعم تركوا قولهم الفاسد وقروا ان كلام الله تعالى فى المصاحف ومسموع من القراء ومحفوظ فى الصدور كما يقول جميع اهل الاسلام

(قال ابو محمد) وقال قوم فى اللفظ بالقرآن ونسبوا الى اهل السنة انهم يقولون ان الصوت غير مخلوق والخط غير مخلوق

(قال ابو محمد) وهذا باطل وما قال قط مسلم ان الصوت الذي هو الهواء غير مخلوق وان الخط غير مخلوق

(قال ابو محمد) والذى نقول به وبالله تعالي التوفيق هو ما قاله الله عز وجل ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم لانزيد علي ذلك شيئا وهو ان قول القائل القرآن وقوله كلام الله كلاهما معنى واحد واللفظان مختلفان والقرآن هو كلام الله عزوجل علي الحقيقة بلامجاز ونكفر من لم يقل ذلك ونقول ان جبريل عليه السلام أنزل بالقرآن الذى هو كلام الله تعالى على الحقيقة على قلب محمد صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى * نزل به الروح الامين علي قلبك لتكون من المنذرين * ثم نقول ان قولنا القرآن وقولنا كلام الله لفظ مشترك يعبر به عن خمسة اشياء فنسمى الصوت المسموع الملفوظ به قرآنا ونقول انه كلام الله تعالى علي الحقيقة وبرهان ذلك هو قول الله عزوجل * وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله * وقوله تعالى * وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ماعقلوه * وقوله تعالى * فاقرؤا ماتيسر من القرآن * وانكر على الكفار وصدق مؤمنى الجن فى قولهم * انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد * فصح ان المسموع وهو الصوت الملفوظ به هو القرآن حقيقة وهو كلام الله تعالي حقيقة من خالف هذا فقد عاند القرآن ويسمى المفهوم من ذلك الصوت قرآنا وكلام الله علي الحقيقة فاذا فسرنا الزكاة المذكورة فى القرآن والصلاة والحج وغير ذلك قلنا فى كل هذا كلام الله وهو القرآن ونسمى المصحف كله قرآنا وكلام الله وبرهاننا علي ذلك قول الله عز وجل * انه لقرآن كريم فى كتاب مكنون * وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ نهى ان يسافر بالقرآن الى ارض الحرب لئلا يناله العدو وقوله تعالى * لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تاتيهم البينة رسول من الله يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة * وكتاب الله تعالى هو القرآن باجماع الامة فقد سمى

والمعدود والوحدة بالعرض تنقسم الى ماهو مبدأ العدد وليس داخلا فى العدد والى ماهو مبدأ للعدد وهو داخل فيه والاول كالواحدية للعقل الفعال لانه لا يدخل فى العدد والمعدود والثاني ينقسم الى مايدخل فيه كالجزء له فان الاثنين انما هو مركب من واحدين وكذلك كل عدد فمركب من آحاد لامحالة وحيث مارتقى العدد الى اكثر نزل نسبة الوحدة اليه الى أقل والى مايدخل فيه كاللازم له لا كالجزء فيه وذلك لان كل عدد معدود لن يخلو قط عن وحدة ملازمة فان الاثنين والثلاثة فى كونهما اثنين وثلاثة واحد وكذلك المعدودات من المركبات والبسائط واحدة اما فى الجنس أو فى النوع أو فى الشخص كالجوهر فى أنه جوهر على الاطلاق

رسول الله صلى الله عليه وسلم المصحف قرآنا والقرآن كلام الله تعالى باجماع الامة فالمصحف كلام الله تعالى برهانا على ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أمر بتعاهد القرآن وقال عليه السلام انه اشد تفصيا من صدور الرجال من النعم من عقلها وقال الله تعالى * بل هو آيات بينات فى صدور الذين اوتوا العلم * فالذى فى الصدور هو القرآن وهو كلام الله على الحقيقة لا مجازا ونقول كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان آية الكرسى اعظم آية فى القرآن وان ام القرآن فاتحة الكتاب لم ينزل فى القرآن ولا فى التوراة ولا فى الانجيل مثلها وان قل هو الله احد تعدل ثلث القرآن وقال الله عز وجل * ما ننسخ من آية او ننسها نأت بخير منها او مثلها * فان قالوا انما يتفاضل الاجر على قراءة ذلك قلنا لهم نعم ولا شك فى ذلك ولا يكون التفاضل فى شىء مما يكون فيه التفاضل الا فى الصفات التى هى اعراض فى الموصوف بها واما فى الذوات فلا ونقول ايضا ان القرآن هو كلام الله تعالى وهو علمه وليس شيئا غير البارى تعالى برهان ذلك قول الله عز وجل * ولا كلمة سبقت من ربك الى اجل مسمى لقضى بينهم * وقال تعالى * وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته * وباليقين يدرى كل ذى فهم انه تعالى انما عنى سابق علمه الذى سلف بما ينفذه ويقضيه

(قال ابو محمد) فهذه خمسة معان يعبر عن كل معنى منها بانه قرآن وانه كلام الله ويخبر عن كل واحد منها اخباراً صحيحا بانه القرآن وانه كلام الله تعالى بنص القرآن والسنة للذين اجمع عليهما جميع الامة واما الصوت فهو هواء مندفع من الحلق والصدر والحنك واللسان والاسنان والشفتين الى آذان السامعين وهو حروف الهجاء والهواء وحروف الهجاء والهواء كل ذلك مخلوق بلا خلاف قال الله عز وجل * وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم * وقال تعالى * بلسان عربى مبين * واللسان العربي ولسان كل قوم هى لغتهم واللسان واللغات كل ذلك مخلوق بلا شك والمعانى المعبر عنها بالكلام المؤلف من الحروف المؤلفة انما هى الله تعالى والملائكة والنبيون وسموات وارضون وما فيهما من الاشياء وصلاة وزكاة وذكر امم خالية والجنة والنار وسائر الطاعات وسائر اعمال الدين وكل ذلك مخلوق حاشا الله وحده لا شريك له خالق كل ما دونه واما المصحف فانما هو ورق من جلود الحيوان ومركب منها ومن مداد مؤلف من صمغ وزاج وعفص وماء وكل ذلك مخلوق وكذلك حركة اليد فى خطه وحركة اللسان فى قراءته واستقرار كل ذلك فى النفوس هذه كلها اعراض مخلوقة وكذلك عيسى عليه السلام هو كلمة الله وهو مخلوق بلا شك قال الله تعالى * بكلمة منه اسمه المسيح * واما علم الله تعالى فلم يزل وهو كلام الله تعالى وهو القرآن وهو غير مخلوق وليس هو غير الله تعالى اصلا ومن قال ان شيئا غير الله تعالى لم يزل مع الله عز وجل فقد جعل لله عز وجل شريكا ونقول ان لله عز وجل كلاما حقيقة وانه تعالى كلم موسى ومن كلم من الانبياء والملائكة عليهم السلام تكليما حقيقة لا مجازا ولا يجوز ان يقال البتة أن الله تعالى متكلم لانه لم يسم بذلك نفسه ومن قال أن الله تعالى مكلم موسى لم ننكره لانه يخبر عن فعله تعالى الذى لم يكن ثم كان ولا يحل لاحد ان يقول انما قلنا ان لله تعالى كلاما لننفى الخرس عنه لما ذكرنا قبل من أنه ان كان ينفى الخرس المعهود فانه لا ينتفى الا بالكلام المعهود الذى هو حركة اللسان والشفتين وان كان انما ينفى خرسا غير معهود فهذا لا يعقل اصلا ولا يفهم

وايضا

والانسان فى أنه انسان والشخص المعين مثل زيد فى أنه ذلك الشخص بعينه واحد فلم تنفك الوحدة من الموجودات قط وهذه وحدة مستفادة من وحدة الباري تعالى ومن الموجودات كلها وان كانت فى ذواتها متكثرة وانما شرف كل موجود بغلبة الوحدة فيه وكل ما هو أبعد من الكثرة فهو أشرف وأكمل ثم إن فيثاغورس رأيا فى العدد والمعدود قد خالف فيها جميع الحكماء قبله وخالفه فيها من بعده وهو أنه جرد العدد عن المعدود تجريد الصورة عن المادة وتصوره موجوداً محققا وجود الصورة وتحققها وقال مبدأ الموجودات هو العدد وهو أول مبدع أبدعه البارى فاول العدد هو الواحد وله اختلاف رأى فى أنه هل

وايضا فيلزمه ان يسميه تعالى نهاما لنفى الختم عنه ومتحركا لنفى الخدر وهذا كله الحاد في اسمائه عز وجل لكن لما قال الله تعالى ان له كلاما قلناه واقررنا به ولو لم يقله عز وجل لم يحل لاحد ان يقوله وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) ولما كان اسم القرآن يقع على خمسة اشياء وقوعا مستويا صحيحا منها اربعة مخلوقة وواحد غير مخلوق لم يجز البتة لاحد ان يقول ان القرآن مخلوق ولا ان يقال ان كلام الله مخلوق لان قائل هذا كاذب اذ أوقع صفة الخلق على ما لا يقع عليه مما يقع عليه اسم قرآن واسم كلام الله عز وجل ووجب ضرورة ان يقال إن القرآن لا خالق له ولا مخلوق وان كلام الله تعالى لا خالق ولا مخلوق لان الاربعة المسميات منه ليست خالقة ولا يجوز ان نطلق على القرآن ولا على كلام الله تعالى اسم خالق ولان المعنى الخامس غير مخلوق ولا يجوز ان توضع صفة البعض على الكل الذي لا تعمه تلك الصفة بل واجب ان يطلق نفى تلك الصفة التى للبعض على الكل وكذلك لو قال قائل ان الاشياء كلها مخلوقة او قال لا حق مخلوق او قال كل موجود مخلوق لقال الباطل لان الله تعالى شيء موجود حق ليس مخلوقا لكن اذا قال الله تعالى خالق كل شيء جاز ذلك لانه قد اخرج بذكر الله تعالى ان المخلوق فى كلامه الاشكال ومثال ذلك فيما بيننا ان ثيابا خمسة الاربعة منها حمر والخامس غير احمر لكان من قال هذه الثياب حمر كاذبا ولكان من قال هذه الثياب ليست حمراً صادقا وكذلك من قال الانسان طبيب يعنى كل انسان لكان كاذبا ولو قال ليس الانسان طبيبا يعنى كل انسان لكان صادقا وكذلك لا يجوز ان يطلق ان الحق مخلوق ولا ان العلم مخلوق لان اسم الحق يقع على الله تعالى وعلى كل موجود واسم العلم يقع على كل علم وعلى علم الله عز وجل وهو غير مخلوق لكن يقال الحق غير مخلوق والعلم غير مخلوق هكذا جملة فاذا بين فقيل كل حق دون الله تعالى فهو مخلوق وكل علم دون الله تعالى فهو مخلوق فهو كلام صحيح وهكذا لا يجوز ان يقال ان كلام الله مخلوق ولا أن القرآن مخلوق ولكن يقال علم الله غير مخلوق وكلام الله غير مخلوق والقرآن غير مخلوق ولو أن قائلا قال إن الله مخلوق وهو يعنى صوته المسموع او الالف واللام والهاء او الحبر الذى كتبت هذه الكلمة به لكان فى ظاهر قوله عند جميع الامه كافرا ما لم يبين فيقول صوتى او هذا الخط مخلوق

(قال ابو محمد) فهذه حقيقة البيان فى هذه المسألة الذى لم نتعهد فيه ماقاله الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم واجمعت الامة كلها على جملته واوجبته الضرورة والحمد لله رب العالمين فان سأل سائل عن اللفظ بالقرآن قلنا له سؤالك هذا يقتضى ان اللفظ المسموع هو غير القرآن وهذا باطل بل اللفظ المسموع هو القرآن نفسه وهو كلام الله عز وجل نفسه كما قال تعالى * حتى يسمع كلام الله * وكلام الله تعالى غير مخلوق لما ذكرنا واما من افرد السؤال عن الصوت وحروف الهجا والحبر فكل ذلك مخلوق بلا شك

(قال ابو محمد) ونقول ان الله تعالى قد قال ما اخبرنا انه قاله وانه تعالى لم يقل بعد ما اخبرنا انه سيقول فى المستأنف ولكن سيقوله ومن تعدى هذا فقد كذب الله جهلا واما من قال ان الله تعالى لم يزل قائلا كن لكل ما كونه أو يريد تكوينه فان هذا قول فاحش موجب ان العالم لم يزل لان الله تعالى اخبرنا انه تعالى * اذا اراد شيئا فانما امره ان يقول له كن

يدخل فى العدد كما سبق وميله أكثر الى انه لا يدخل فى العدد فيبتدى العدد من اثنين ويقول هو منقسم الى زوج وفرد فالعدد البسيط الاول اثنان والزوج البسيط أربعة وهو المنقسم بمتساويين ولم يجعل الاثنين زوجا فانه لو انقسم الى واحدين كان الواحد داخلا فى العدد ونحن ابتدأنا فى العدد من اثنين والزوج قسم من أقسامه فكيف يكون نفسه والفرد البسيط الاول ثلاثة قال وتتم القسمة بذلك وما وراه فهو قسمة القسمة فالاربعة هي نهاية العدد وهى الكمال وعن هذا كان يقسم بالرباعية لا وحق الرباعية التى هى مدبر أنفسنا التى هي أصل الكل وما وراء ذلك فزوج الفرد وزوج الزوج وزوج الزوج والفرد ويسمى الخمسة عددا

فيكون * فصح ان كل مكون فهوكائن اثر قول الله تعالى له كن بلا مهلة فلو كان الله تعالى لم يزل قائلا كن لكان كل مكون لم يزل وهذا قول من قال ان العالم لم يزل وله مدبر خالق لم يزل وهكذا كفر مجرد نعوذ بالله منه وقول الله تعالى هو غير تكليمه لان تكليم الله تعالى من كلم فضيلة عظيمة

(قال ابو محمد) قال الله تعالى * منهم من كلم الله * واما قوله فقد يكون سخطا قال تعالى انه قال لاهل النار * اخسئوا فيها ولا تكلمون * و قال لابليس * ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى * قال اخرج منها ولا يجوز ان يقال ابليس كليم الله ولا ان اهل النار كلماء الله فقول الله عز وجل محدث بالنص وبرهان ذلك ايضا قول الله تعالى * ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا اولئك لا خلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم * ثم قال تعالى انه قال لهم * اخسئوا فيها ولا تكلمون * وقال تعالى انهم قالوا * ربنا هؤلاء اضلونا * آتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون * فنص تعالى على انه لا يكلمهم وانه يقول لهم فثبت يقينا ان قول الله تعالى هو غير كلامه وغير تكليمه لكن يقول كل كلام وتكليم فهما قول وليس كل قول منه تعالى كلاما ولا تكليما بنص القرآن ثم نقول وبالله تعالى التوفيق ان الله تعالى اخبرنا انه كلم موسى وكلم الملائكة عليهم السلام وثبت يقينا انه كلم محمدا صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء وقال تعالى * تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله * فخص تعالى بتكليمه بعضهم دون بعض كما ترى وقال تعالى * وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء * ففى هذه الآيات والحمد لله اكبر نص على تصحيح كل ما قلناه فى هذه المسئلة وما توفيقنا الا بالله واخبرنا تعالى فى هذه الآية انه لا يتكلم بشر الا بهذه الوجوه الثلاثة فقط فنظرنا فيها فوجدناه تعالى قد سمى ما تأتينا به الرسل عليهم السلام تكليما انتقل منه للبشر فصح بذلك ان الذى اتتنا به رسله عليهم السلام هو كلام الله وانه تعالى قد كلمنا بوحيه الذى اتتنا به رسله عليهم السلام واننا قد سمعنا كلام الله عز وجل الذى هو القرآن الموحى الى النبى بلا شك والحمد لله رب العالمين ووجدناه تعالى قد سمى وحيه الى انبيائه عليهم السلام تكليما لهم ووجدناه عز وجل قد ذكر وجها ثالثا وهو التكليم الذى يكون من وراء حجاب وهو الذى فضل به بعض النبيين على بعض وهو الذى يطلق عليه تكلم الله عز وجل دون صلة كما كلم موسى عليه السلام * من شاطىء الواد الايمن فى البقعة المباركة من الشجرة * واما القسمان الاولان فانما يطلق عليهما تكليم الله عز وجل بصلة لا مجردا فنقول كلم الله جميع الانبياء بالوحى اليهم ونقول فى القسم الثانى كلمنا الله تعالى فى القرآن على لسان نبيه عليه السلام بوحيه اليه ونقول قال لنا الله عز وجل * اقيموا الصلاة وآتوا الزكاة * ونقول اخبرنا الله تعالى عن موسى وعيسى وعن الجنة والنار فى القرآن وفيما اوحى الله الى رسوله صلى الله عليه وسلم ولو قال قائل حدثنا الله تعالى عن الامم السالفة وعن الجنة والنار فى القرآن على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم لكان قولا صحيحا لا مدفع له لان الله تعالى يقول * ومن اصدق من الله حديثا * وكذلك

يقول

دائرا فانها اذا ضربتها فى نفسها أبدا عادت الخمسة من رأس وسمى الستة عددا تاما فان أجزاءها متساوية بجملتها والسبعة عددا كاملا فانها مجموع الفرد والزوج وهى نهاية والثمانية مبتدأة مركبة من زوجين والتسعة من ثلاثة أفراد والعشرة وهى نهاية اخرى من مجموع العدد من الواحد الى الاربعة وهي نهاية اخرى فللعدد أربع نهايات اربعة وسبعة وتسعة وعشرة ثم يعود الى الواحد فنقول أحد عشر وتعدو التركيبات فيما وراء الاربعة على انحاء شتى فالخمسة على مذهب من لا يرى الواحد فى العدد فهى مركبة من عدد وفرد وعلى مذهب من يرى ذلك فهى مركبة من فرد وزوجين وكذلك الستة على الاول فمركبة من فردين أو عدد وزوج وعلى الثاني

163

يقول قص الله علينا اخبار الامم فى القرآن قال تعالى *نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القرآن* ونقول سمعنا كلام الله تعالى فى القرآن على التحقيق لا مجازا وفضل علينا الملائكة والانبياء عليهم السلام في هذا بالوجه الثاني الذي هو تكليمهم بالوحى اليهم فى النوم واليقظة دون وسيطة وبتوسط الملك ايضا وفضل جميع الملائكة وبعض الرسل على جميعهم عليهم السلام بالوجه الثالث الذى هو تكليم في اليقظة من وراء حجاب دون وسيطة ملك لكن بكلام مسموع بالآذان معلوم بالقلب زائد على الوحي الذى هو معلوم بالقلب فقط او مسموع من الملك عن الله تعالى وهذا هو الوجه الذى خص به موسى عليه السلام من الشجرة ومحمد صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء من المستوى الذي سمع فيه صريف الاقلام وسائر من كلم الله تعالى كذلك من النبيين والملائكة عليهم السلام قال تعالى *تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات* وقال تعالى *واذ قال ربك للملائكة انى جاعل* ولا يجوز ان يكون شيء من هذا بصوت اصلا لانه كان يكون حينئذ يفيد بوسيطة مكلم غير الله تعالى وكان ذلك الصوت بمنزلة الرعد الحادث فى الجو والقرع الحادث فى الاجسام والوحى اعلى من هذه منزلة والتكليم من وراء حجاب اعلى من سائر الوحى بنص القرآن لان الله تعالى سمى ذلك تفضيلا كما تلونا وكل ماذكرنا وان كان يسمى تكليما فالتكليم المطلق اعلى فى الفضيلة من التكليم الموصل كما ان كل روح فهو روح الله تعالى على الملك لكن اذا قلنا روح الله على الاطلاق يعنى بذلك جبريل او عيسى عليهم السلام كان ذلك فضيلة عظيمة لهما

(قال ابو محمد) واذا قرأنا القرآن قلنا كلامنا هذا هو كلام الله تعالى حقيقة لا مجازا ولا يحل حينئذ لاحد أن يقول ليس كلامى هذا كلام الله تعالى وقد انكر الله عز وجل هذا على من قاله اذ يقول تعالى *سارهقه صعودا انه فكر وقدر فقتل كيف قدر* الى قوله تعالى فقال ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر سأصليه سقر*

(قال ابو محمد) وكذلك يقول احدنا دينى دين محمد صلي الله عليه وسلم واذا عمل عملا اوجبته سنة قال عملى هذا عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يحل لاحد من المسلمين ان يقول دينى غير دين رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو قال ذلك لوجب قتله بالردة وكذلك ليس له ان يقول اذا عمل عملا جاءت به السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا غير عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو قاله لادب ولكان كاذبا وكذلك يقول احدنا دينى هو دين الله عز وجل يريد الذى امر به عز وجل ولو قال دينى غير دين الله عز وجل لوجب قتله بالردة وكذلك يقول اذا حدث احدنا حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيحا كلام هذا هو نفس كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو قال ان كلامى هذا هو غير كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لكان كاذبا وهذه اسماء اوجبتها ملة الله عز وجل واجمع عليها اهل الاسلام ولم يخف علينا ولا على من سلف من المسلمين ان حركة لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم غير حركة السنتنا وكذلك حركة اجسامنا فى العمل وكذلك ما توصف به النفوس من العلم ولكن التسمية فى الشريعة ليست الينا انما هى لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم فمن خالف هذا كان كمن قال فرعون وابو جهل

فمركبة من ثلاثة أزواج والسبعة على الاول فمركبة من فرد وزوج وعلى الثانى من فرد وثلاثة أزواج والثمانية على الاول فمركبة من زوجين وعلى الثانى فمركبة من أربعة أزواج والتسعة على الاول فمركبة من ثلاثة أفراد وعلى الثانى من فرد وأربعة أزواج والعشرة على الاول فمركبة من عدد وزوجين أو زوج وفردين وعلى الثاني فما يحسب من الواحد الى الاربعة وهو النهاية والكمال ثم الاعداد الاخر فقياسها هذا القياس قال وهذه هى أصول الموجودات ثم أنه ركب العدد على المعدود والمقدار على المقدور فقال المعدود الذى فيه اثنينية وهو أصل المعدودات ومبدأها العقل باعتبار أن فيه اعتبارين اعتبار من حيث ذاته وانه ممكن

مؤمنان وموسى ومحمد كافران فاذا قيل له فى ذلك قال اوليس ابو جهل وفرعون مؤمنين بالكفر ومحمد وموسى كافران بالطاغوت فهذا وان كان لكلامه مخرج فهو عند اهل الاسلام كافر لتعديه مااوجبته الشريعة من التسمية وقد شهدت العقول بوجوب الوقوف عند مااوجبه الله تعالى فى دينه فمن عد عن ذلك وزعم انه اتبع دليل عقله في خلاف ذلك فليعلم انه فارق قضية العقل الصادقة الموجبة للوقوف عند حكم الشريعة وخالف المؤمنين واتبع غير سبيلهم قال تعالى *ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيرا* نعوذ بالله من ذلك

(قال ابو محمد) قال بعضهم فاذا سمعنا نحن كلام الله تعالى وسمعه موسى عليه السلام فاي فرق بينه وبيننا قلنا اعظم الفرق وهو ان موسى والملائكة عليهم السلام سمعوا الله تعالى يكلمهم ونحن سمعنا كلام الله تعالى من غيره وقد قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لابن مسعود اذ امره ان يقرأ عليه القرآن فقال له ابن مسعود يارسول الله اقرأ عليك وعليك أنزل قال انى احب ان اسمعه من غيرى فصح يقينا ان القرآن الذى انزله الله تعالى نفسه فسمعه من غيره وقالوا فكلام الله تعالى اذاً يحل فينا قلنا هذا تهويل بارد ونعم اذا سمى الله تعالى كلامنا اذا قرأنا كلاماله تعالى فنحن نقول بذلك ونقول ان كلام الله فى صدورنا وجار على السنتنا ومستقر فى مصاحفنا ونبرأ ممن انكر ذلك بقوله الفاسد المخرج له عن الاسلام ونعوذ بالله من الخذلان

(الكلام فى اعجاز القرآن)

(قال ابو محمد) قد ذكرنا قيام البرهان عن ان القرآن معجز قد اعجز الله عن مثل نظمه جميع العرب وغيرهم من الانس والجن بتعجيز رسول الله صلى الله عليه وسلم كل من ذكرنا عن ان يأتوا بمثله وتبكيتهم بذلك فى محافلهم وهذا امر لا ينكره احد مؤمن ولا كافر واجمع المسلمون على ذلك ثم اختلف اهل الكلام فى خمسة انحاء من هذه المسألة فالنحو الاول قول روى عن الاشعرى وهو ان المعجز الذي تحدى الناس بالمجيء بمثله هو الذي لم يزل مع الله تعالى ولم يفارقه قط ولا انزل الينا ولا سمعناه وهذا كلام فى غاية النقصان والبطلان اذا من المحال ان يكلف احد ان يجيء بمثل ما لم يعرفه قط ولا سمعه وايضا فيلزمه ولا بد بل هو نفس قوله انه اذا لم يكن المعجز الا ذلك فان المسموع المتلو عندنا ليس معجزا بل مقدورا على مثله وهذا كفر مجرد لاخلاف فيه لاحد فانه خلاف للقرآن لان الله تعالى الزمهم بسورة او عشر سور منه وذلك الكلام الذى هو عند الاشعري هو المعجز ليس له سوراً ولا كثيرا بل هو واحد فسقط هذا القول والحمد لله رب العالمين وله قول كقول جميع المسلمين أن هذا المتلو هو المعجز والنحو الثانى هل الاعجاز متماد ام قد ارتفع بتمام قيام الحجة به فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض أهل الكلام أن الحجة قد قامت بعجز جميع العرب عن معارضته ولو عورض الآن لم تبطل بذلك الحجة التى قد صحت كما ان عصى موسى اذ قامت حجته بانقلابها حية لم يضره ولا أسقط حجته عودها عصا كما كانت وكذلك خروج يده بيضاء من جيبه ثم عودها كما كانت وكذلك سائر الآيات وقال جمهور أهل الاسلام ان الاعجاز باق الي يوم القيامة والآية بذلك باقية ابدا كما كانت

(قال أبو محمد) وهذا هو الحق الذى لايحل القول بغيره لانه نص قول الله تعالى اذ

يقول

الموجود بذاته واعتبار من حيث مبدعه وانه واجب الوجود به فقابله الاثنان والمعدود الذى فيه ثلثة هو النفس اذا زاد على الاعتبارين اعتبارا ثالثا والمعدود الذى فيه أربعة هو الطبيعة اذ زاد على الثلاثة رابعا ثم النهاية يعنى نهاية المبادي ومابعده المركبات فمامن وجود مركب الا وفيه من العناصر والنفس والعقل شئ اما عين أو أثر حتى ينتهى الى السبع فبقدر المعدودات على ذلك وينتهى الى العشرة وبعد العقل والنفوس التسعة بافلاكها التى هى أبدانها وعقولها المفارقة وكالجوهر وتسعة أعراض وبالجملة انما يتعرف حال الموجودات من العدد والمقادير الاول ويقول البارى تعالى عالم بجميع المعلومات على طريق الاحاطة بالاسباب التى

يقول * قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا *

(قال أبو محمد) فهذا نص جرى على أنه لا يأتون بمثله بلفظ الاستقبال فصح يقينا ان ذلك على التأبيد وفى المستأنف أبدا ومن ادعى أن المراد بذلك الماضى فقد كذب لانه لا يجوز ان تحال اللغة فينقل لفظ المستقبل الى معنى الماضى الا بنص آخر جلى وارد بذلك أو باجماع متيقن أن المراد به غير ظاهره أو ضرورة ولا سبيل فى هذه المسالة الى شئ من هذه الوجوه وكذلك قوله تعالى * قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن ياتوا * عموم لكل انس وجن أبدا * لا يجوز تخصيص شيء من ذلك أصلا بغير ضرورة ولا اجماع

(قال ابو محمد) ومن قال بالوقف وانه ليس للعموم صيغة ولا للظاهر فلا حجة هاهنا تقوم له على الطائفة المذكورة فصح ان اعجاز القرآن باق الى يوم القيامة والحمد لله رب العالمين والنحو الثالث ما المعجز منه انظمه ام ما فى نصه من الانذار بالغيوب فقال بعض اهل الكلام ان نظمه ليس معجزا وانما اعجازه ما فيه من الاخبار بالغيوب وقال سائر اهل الاسلام بل كلا الامرين معجزاً وانما اعجازه ما فيه من الاخبار بالغيوب وقال سائر اهل الاسلام بل كلا الامرين معجز نظمه وما فيه من الاخبار بالغيوب وهذا هو الحق الذى ما خالفه فهو ضلال وبرهان ذلك قول الله تعالى * فأتوا بسورة من مثله * فنص تعالى على انهم لا يأتون بمثل سورة من سوره وأكثر سوره ليس فيها أخبار بغيب فكان من جعل المعجز الأخبار الذى فيه بالغيوب مخالفاً لما نص الله تعالى على انه معجز من القرآن فسقطت هذه الأقاويل الفاسدة والحمد لله رب العلمين * والنحو الرابع ما وجه اعجازه فقالت طائفة وجه اعجازه كونه فى أعلى مراتب البلاغة وقالت طوائف انما وجه اعجازه ان الله منع الخلق من القدرة على معارضته فقط فأما الطائفة التى قالت انما اعجازه لأنه فى اعلى درج البلاغة فانهم شغبوا فى ذلك بان ذكروا آيات منه مثل قوله تعالى * ولكم فى القصاص حياة * ونحو هذا وموه بعضهم بان قال لو كان كما تقولون من ان الله تعالى منع من معارضته فقط لوجب ان يكون أغث ما يمكن ان يكون من الكلام فكانت تكون الحجة بذلك أبلغ

(قال أبو محمد) ما نعلم لهم شغبا غير هذين وكلاهما لا حجة لهم فيه اما قولهم لو كان كما قلنا لوجب ان يكون أغث ما يمكن ان يكون من الكلام فكانت تكون الحجة أبلغ فهذا هو الكلام الغث حقا لوجوه أحدها انه قول بلا برهان لانه يعكس عليه قوله بنفسه فيقال له بل لو كان اعجازه لكونه فى أعلى درج البلاغة لكان لا حجة فيه لان هذا يكون فى كل من كان فى أعلى طبقة وأما آيات الأنبياء فخارجة عن المعهود فهذا أقوى من شغبهم وثانيها انه لا يسأل الله تعالى عما يفعل ولا يقال له لم عجزت بهذا النظم دون غيره ولم ارسلت هذا الرسول دون غيره ولم قلبت عصا موسى حية دون ان تقلبها اسدا وهذا كله حمق ممن جاء به لم يوجبه قط عقل وحسب الآية ان تكون خارجة عن المعهود فقط وثالثها انهم حين طردوا سؤالهم ربهم بهذا السؤال الفاسد لزمهم ان يقولوا هلا كان هذا الاعجاز فى كلام يجمع اللغات فيستوى فى معرفة اعجازه العرب والعجم لان العجم لا يعرفون اعجاز القرآن الا باخبار

هى الاعداد والمقادير وهى لا تختلف فعلمه لا يختلف وربما يقول المقابل للواحد هو العنصر الاول كما قال (انكسمانيس) ويسميه الهيولى الاولى وذلك هو الواحد المستفاد لان الواحد الذى هو لا كالآحاد وهو واحد يصدر عنه كل كثرة وتستفيد الكثرة منه الوحدة التى تلازم الموجودات فلا يوجد موجود الا وفيه من وحدته حظ على قدر استعداده ثم من هداية العقل حظ على قدر قبوله ثم من قوة النفس حظ على قدر تهيئه وعلى ذلك آثار المبادى فى المركبات فان كل مركب لن يخلو عن مزاج ما وكل مزاج لا يعرى عن اعتدال ما وكل اعتدال عن كمال أو قوة كمال اما طبيعى الى هو مبدأ الحركة واما عن كمال نفسانى هو مبدأ الحس فاذا بلغ المزاج

العرب فقط فبطل هذا الشغب الغث والحمد لله رب العالمين

(قال أبو محمد) وأما ذكرهم * ولكم في القصاص حياة * وماكان نحوها من الآيات فلا حجة لهم فيها ويقال لهم ان كان كما تقولون ومعاذ الله من ذلك فانما المعجز منه على قولكم هذه الآيات خاصة واما سائره فلا وهذا كفر لايقوله مسلم فان قالوا جميع القرآن مثل هذا الآيات في الاعجاز قيل لهم فلم خصصتم بالذكر هذه الآيات دون غيرها اذاً وهل هذا منكم الا ايهام لاهل الجهل ان من القرآن معجزا وغير معجز ثم نقول لهم قول الله تعالى وأوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسي وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا أمعجز هو على شروطكم في كونه في أعلى درج البلاغة أم ليس معجزا فان قالوا ليس معجزا كفروا وان قالوا انه معجز صدقوا وسئلوا هل علي شروطكم في أعلي درج البلاغة فان قالوا نعم كابروا وكفوا مؤنتهم لانها أسماء رجال فقط ليس علي شروطهم في البلاغة وأيضاً فلو كان اعجاز القرآن لانه في أعلى درج البلاغة لكان بمنزلة كلام الحسن وسهل بن هرون والجاحظ وشعر امرىء القيس ومعاذ الله من هذا لان كل مايسبق في طبقته لم يؤمن أن يأتي من يماثله ضرورة فلا بد لهم من هذه الخطة أو من المصير الى قولنا ان الله تعالى منع من معارضته فقط وأيضا فلو كان اعجازه من أنه في أعلي درج البلاغة المعهودة لوجب أن يكون ذلك الآية ولما هو أقل من آية وهذا ينقض قولهم ان المعجز منه ثلاث آيات لا أقل فان قالوا فقولوا أنتم هل القرآن موصوف بانه في أعلي درج البلاغة ام لا قلنا وبالله تعالى التوفيق ان كنتم تريدون ان الله قد بلغ به ما أراد فنعم هو في هذا المعنى في الغاية التي لا شيء ابلغ منها وان كنتم تريدون هل هو في أعلى درج البلاغة في كلام المخلوقين فلا لانه ليس من نوع كلام المخلوقين لا من اعلاه ولا من ادناه ولا من اوسطه وبرهان هذا ان انسانا لو ادخل في رسالة له او خطبة او تأليف او موعظة حروف الهجاء المقطعة لكان خارجا عن البلاغة المعهودة جملة بلا شك فصح انه ليس من نوع بلاغة الناس اصلا وان الله تعالى منع الخلق من مثله وكساه الاعجاز وسلبه جميع كلام الخلق برهان ذلك ان الله حكى عن قوم من أهل النار انهم يقولون اذا سئلوا عن سبب دخولهم النار * لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى آتانا اليقين * وحكى تعالى عن كافر قال * ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر * وحكى عن آخرين انهم قالوا * لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا او تأتي بالله والملائكة قبيلا او يكون لك بيت من زخرف او ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرأه * فكان هذا كله اذ قاله غير الله عز وجل غير معجز بلا خلاف اذ لم يقل احد من اهل الاسلام ان كلام غير الله تعالى معجز لكن لما قاله الله تعالى وجعله كلاما له اصاره معجزا ومنع من مماثلته وهذا برهان كاف لايحتاج الى غيره والحمد لله * والنحو الخامس مامقدار المعجز منه فقالت الاشعرية ومن وافقهم ان المعجز انما هو مقدار أقل سورة منه وهو انا اعطيناك الكوثر فصاعدا وان مادون ذلك ليس معجزاً واحتجوا في

الانساني الى حد قبول هذا الكمال أفاض عليه العنصر وحدته والعقل هدايته والنفس نطقه وحكمته قال ولما كانت التأليفات الهندسية مرتبة علي المعادلات العددية عددناها أيضا من المبادي فصارت طائفة من الفيثاغورثيين الى أن المبادى هى التأليفات الهندسية علي مناسبات عددية ولهذا صارت المتحركات السماوية ذات حركات مناسبة لحينة هى أشرف الحركات وألطف التأليفات ثم تعدوا من ذلك الى الاقوال حتى صارت طائفة منهم الى أن المبادى هى الحروف المجردة عن المادة وأوقعوا الالف في مقابلة الواحد والباء في مقابلة الاثنين الى غير ذلك من المقابلات ولست أدرى قدروها علي أي لسان ولغة فان الالسن تختلف

ذلك بقول الله تعالى قل فاتوا بسورة من مثله قالوا ولم يتحد تعالى باقل من ذلك وذهب سائر اهل الاسلام الى ان القرآن كله قليله وكثيره معجز وهذا هو الحق الذى لا يجوز خلافه ولا حجة لهم فى قوله تعالى فاتوا بسورة من مثله لانه تعالى لم يقل ان مادون السورة ليس معجزا بل قد قال تعالى على ان يأتوا بمثل هذا القرآن ولا يختلف اثنان فى ان كل شىء من القرآن قرآن فكل شيء من القرآن معجز ثم تعارضهم فى تحديدهم المعجز بسورة فصاعدا فنقول أخبرونا ماذا تعنون بقولكم ان المعجز مقدار سورة أسورة كاملة لا اقل ام مقدار الكوثر فى الآيات ام مقدارها فى الكلمات ام مقدارها فى الحروف ولا سبيل الى وجه خامس فان قالوا المعجز سورة تامة لا اقل لزمهم ان سورة البقرة حاشا آية واحدة او كلمة واحدة من آخرها او من أولها ليست معجزة وهكذا كل سورة وهذا كفر مجرد لا خفاء به إذ جعلوا كل سورة فى القرآن سوى كلمة من أولها او من وسطها او من آخرها مقدور على مثلها وان قالوا بل مقدارها من الآيات لزمهم ان آية الدين ليست معجزة لانها ليست ثلاث آيات ولزمهم مع ذلك ان والفجر وليال عشر والشفع والوتر معجز كآية الكرسى وآيتان اليها لانها ثلاث آيات وهذا غير قولهم ومكابرة ايضا ان تكون هذه الكلمات معجزة حاشا كله غير معجزة ولزمهم ايضا ان والضحى والفجر والعصر هذه الكلمات الثلاث فقط معجزات لانهن ثلاث آيات فان قالوا هن متفرقات غير متصلات لزمهم اسقاط الاعجاز عن الف آية متفرقة وامكان المجئ بمثلها ومن جعل هذا ممكنا فقد كابر العيان وخرج عن الاسلام وابطل الاعجاز عن القرآن وفى هذا كفاية لمن نصح نفسه ولزمهم ايضا ان ولكم فى القصاص حياة ليس معجزا وهذا نقض لقولهم فى انه فى اعلي درج البلاغة وكذلك كل ثلاث آيات غير كاملة وهذا خروج عن الاسلام وعن المعقول وان قالوا بل فى عدد الكلمات او قالوا عدد الحروف لزمهم شيئان مسقطان لقولهم احدهما ابطال احتجاجهم بقوله تعالى بسورة من مثله لانهم جعلوا معجزا ماليس سورة ولم يقل تعالى بمقدار فلاح تمويههم والثانى ان سورة الكوثر عشر كلمات اثنان واربعون حرفا وقد قال الله تعالى وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسي وايوب ويونس وهارون وسليمان اثنتا عشرة كلمة اثنان وسبعون حرفا وان اقتصرنا على الاسماء فقط كانت عشرة كلمات اثنين وستين حرفا فهذا أكثر كلمات وحروفا من سورة الكوثر فينبغى ان يكون هذا معجزا عندكم ويكون ولكم فى القصاص حياة غير معجز فان قالوا ان هذا غير معجز تركوا قولهم فى اعجاز مقدار أقل سورة فى عدد الكلمات وعدد الحروف وان قالوا بل هو معجز تركوا قولهم فى أنه فى اعلى درج البلاغة ويلزمهم ايضا اننا ان اسقطنا من هذه الاسماء اسمين ومن سورة الكوثر كلمات أن لا يكون شىء من ذلك معجزا فظهر سقوط كلامهم وتخليطه وفساده وايضا فاذا كانت الآية منه او الآيتان غير معجزة وكانت مقدورا على مثلها واذا كان ذلك فكله مقدور على مثله وهذا كفر فان قالوا اذا اجتمعت ثلاث آيات صارت غير مقدور عليها قيل لهم هذا غير قولكم ان اعجازه انما هو من طريق البلاغة لان طريق البلاغة فى الاية كهو فى الثلاث ولا فرق والحق من هذا هو ماقاله الله تعالى

باختلاف الامصار والمدن أو على أى وجه من التركيب فان التركيبات أيضا مختلفة فالبسائط من الحروف مختلف فيها والمركبات كذلك ولا كذلك عدد فانه لا يختلف أصلا وصارت جماعة منهم أيضا الى أن مبدأ الجسم هو الابعاد الثلاثة والجسم مركب عنها وأوقع النقطة فى مقابلة الواحد والخط في مقابلة الاثنين والسطح فى مقابلة الثلاثة والجسم فى مقابلة الاربعة وراعوا هذه المقابلات فى تراكيب الاجسام وتضاعيف الاعداد ومما ينقل عن فيثاغورس أن الطبايع أربعة والنفوس التى فينا أيضا اربعة العقل والرأى والعلم والحواس ثم ركب فيه العدد على المعدود والروحانى على الجسمانى قال أبو على بن سينا وامثل مايحمل عليه هذا القول أن يقال كون الشىء

قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لاياتون بمثله وان كل كلمة قائمة المعنى يعلم اذا تليت انها من القرآن فانها معجزة لايقدر احد على المجيء بمثلها ابدا لان الله تعالى حال بين الناس و بين ذلك كمن قال ان آية النبوة ان الله تعالى يطلقنى على المشى فى هذه الطريق الواضحة ثم لايمشى فيها احد غيرى ابدا اومدة يسميها فهذا اعظم مايكون من الايات وان الكلمة المذكورة انها ان ذكرت فى خبر على انها ليست قرآنا فهي غير معجزة وهذا هو الذى جاء به النص والذى عجز عنه اهل الارض مذار بعماية عام واربعين عاما ونحن نجد في القرآن ادخال معنى بين معنيين ليس بينهما كقوله تعالى * وما نتنزل الا بامر ربك له مابين ايدينا وماخلفنا ومابين ذلك * وليس هذا من بلاغة الناس فى ورد ولا فى صدر ومثل هذا فى القرآن كثير، والحمد لله رب العالمين

(الكلام فى القدرة)

قال ابو محمد) اختلف الناس فى هذا الباب فذهبت طائفة الى ان الانسان مجبر على افعاله وانه لااستطاعة له اصلا وهو قول جهم بن صفوان وطائفة من الازارقة وذهبت طائفة اخرى الى ان الانسان ليس مجبرا واثبتوا له قوة واستطاعة بها يفعل مااختار فعله ثم افترقت هذه الطائفة على فرقتين فقالت احداهما الاستطاعة التى يكون بها الفعل لا تكون الا مع الفعل ولا يتقدمه البتة وهذا قول طوائف من اهل الكلام ومن وافقهم كالنجار والاشعرى ومحمد بن عيسى برغوث الكاتب وبشر بن غياث المريسى والى عبد الرحمن العطوى وجماعة من المرجئة والخوارج وهشام بن الحكم وسليمان بن جرير واصحابهما وقالت الاخرى ان الاستطاعة التى يكون بها الفعل هي قبل الفعل موجودة في الانسان وهو قول المعتزلة وطوائف من المرجئة كمحمد بن شبيب ومؤنس بن عمران وصالح قبة والناسي وجماعة من الخوارج والشيعة ثم افترق هؤلاء على فرق فقالت طائفة ان الاستطاعة قبل الفعل ومع الفعل ايضا للفعل ولتركه وهو قول بشر بن المعتمر البغدادى وضرار بن عمرو الكوفى وعبد الله بن غطفان ومعمر بن عمرو العطار البصرى وغيرهم من المعتزلة وقال ابو الهذيل محمد بن الهذيل العبدى البصرى العلاف لا تكون الاستطاعة مع الفعل البتة ولا تكون الا قبله ولابد وتفنى مع اول وجود الفعل وقال ابو اسحاق بن ابراهيم بن سيار النظام وعلي الاسوارى وابو بكر بن عبد الرحمن بن كيسان الاصم ليست الاستطاعة شيئا غير نفس المستطيع وكذلك ايضا قالوا فى العجز انه ليس شيئا غير العاجز الا النظام فانه قال هو آفة دخلت على المستطيع

(قال ابو محمد) فاما من قال بالاجبار فانهم احتجوا فقالوا لما كان الله تعالى فعالا وكان لايشبهه شيء من خلقه وجب ان لايكون احد فعالا غيره وقالوا ايضا معنى اضافة الفعل الى الانسان انما هو كما تقول مات زيد وانما اماته الله تعالى وقام البناء وانما اقامه الله تعالى

(قال ابو محمد) وخطأ هذه المقالة ظاهر بالحس والنص وباللغة التى بها خاطبنا الله تعالى وبها نتفاهم فاما النص فان الله عز وجل قال فى غير موضع من القرآن * جزاء بما كنتم تعملون لم تقولون مالا تفعلون وعملوا الصالحات * فنص تعالى على اننا نعمل ونفعل ونصنع واما الحس فان بالحواس وبضرورة العقل وبديهة علمنا يقينا علماً لا يخالج فيه الشك ان

واحدا غير كونه موجودا أو انسانا هو فى ذاته اقدم منهما فالحيوان الواحد لايحصل واحدا الا وقد تقدمه معنى الوحدة التى صار به واحداً ولولاه لم يصح وجوده فاذا هو الاشرف الابسط الاول وهذه صورة العقل فالعقل يجب أن يكون الواحد من هذه الجهه والعلم دون ذلك فى الرتبه لانه بالعقل ومن العقل فهو الاثنان الذى يتفرد الى الواحد ويصدر منه كذلك العلم يؤول الى العقل ومعنى الظن والرأى عدد السطح والحس عدد المصمت أن السطح لكونه ذا ثلاث جهات هو طبيعة الظن الذى هو أعم من العلم مرتبة وذلك لان العلم يتعلق بمعلوم معين والظن والرأى يتجذب الى الشيء ونقيضه والحس أعم من الظن فهو المصمت أى جسم له أربع

بين الصحيح الجوارح وبين من لاصحة بجوارحه فرقا لائحا لجوارحه لان الصيح الجوارح يفعل القيام والقعود وسائر الحركات مختارا لها دون مانع والذى لاصحة لجوارحه لو رام ذلك جهده لم يفعله اصلا ولا بيان ابين من هذا الفرق والجبر فى اللغة هو الذى يقع الفعل منه بخلاف اختياره وقصده فاما من وقع فعله باختياره وقصده فلايسمى فى اللغة مجبرا واجماع الامة كلها على لاحول ولا قوة الا بالله مبطل قول الجبرة ووجب ان لنا حولا وقوة ولكن لم يكن لنا ذلك الا بالله تعالى ولوكان ماذهب اليه الجهمية لكان القول لاحول ولا قوة الا بالله لامعنى له وكذلك قوله تعالى * لمن شاء منكم ان يستقيم وما تشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين * فنص تعالى على ان لنا مشيئة الا انها لاتكون منا الا ان يشاء الله كونها وهذا نص قولنا والحمد لله رب العالمين

(قال ابو محمد) ومن عرف عناصر الاشياء من الواجب والممتنع والممكن ايقن بالفرق بين صحيح الجوارح وغير صحيحها لان الحركة الاختيارية باول الحس هى غير الاضطرارية وان الفعل الاختيارى من ذى الجوارح المؤوفة ممتنع وهو من ذي الجوارح الصحيحة ممكن واننا بالضرورة نعلم ان المقعد لو رام القيام جهده لما امكنه ونقطع يقينا انه لايقوم وان الصحيح الجوارح لاندرى اذا رأيناه قاعدا يقوم ام يتكىء ام يتمادى على قعوده وكل ذلك منه ممكن واما من طريق اللغة فان الاجبار والاكراه والاضطرار والغلبة اسماء مترادفة وكلها واقع على معنى واحد لايختلف وقوع الفعل ممن لايؤثره ولايختاره ولا يتوهم منه خلافه البتة واما من آثر مايظهر منه من الحركات والاعتقاد ويختاره ويميل اليه هواه فلا يقع عليه اسم اجبار ولا اضطرار لكنه مختار والفعل منه مراد متعمد مقصود ونحو هذه العبارات عن هذا المعنى فى اللغة العربية التى نتفاهم بها فان قال قائل فلم ابيتم هاهنا من اطلاق لفظة الاضطرار واطلقتموها في المعارف فقلتم انها باضطرار وكل ذلك عندكم خلق الله تعالى فى الانسان فالجواب ان بين الامرين فرقا بينا وهو ان الفاعل متوهم منه ترك فعله وممكن ذلك منه وليس كذلك ماعرفه يقينا ببرهان لانه لايتوهم البتة انصرافه عنه ولا يمكنه ذلك اصلا فصح انه مضطر اليها وايضا فقد اثنى الله عز وجل على قوم دعوه فقالوا * ولا تحملنا مالا طاقة لنا به * وقد علمنا ان الطاقة والاستطاعة والقدرة والقوة فى اللغة العربية ألفاظ مترادفة كلها واقع على معنى واحد وهذه صفة من يمكن عنه الفعل باختياره أو تركه باختياره ولا شك فى أن هؤلاء القوم الذين دعوا هذا الدعاء قد كلفوا شيا من الطاعات والاعمال واجتناب المعاصى فلو لا ان هاهنا أشياء لهم بها طاقة لكان هذا الدعاء حمقا لانهم كانوا يصيرون داعين الله عز وجل فى أن لايكلفهم مالا طاقة لهم به وهم لا طاقة لهم بشىء من الاشياء فيصير دعاؤهم فى أن لا يكلفوا ماقد كلفوه وهذا محال من الكلام والله تعالى لايثنى على المحال فصح بهذا أن هاهنا طاقة موجودة على الافعال وبالله تعالى التوفيق * وأما احتجاجهم بان الله تعالى لما كان فعالا وجب أن لا يكون فعال غيره فخطا من القول لوجوه أحدها أن النص قد ورد بان للانسان أفعالا وأعمالا قال تعالى * كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون * فاثبت

جهات ومما نقل عن فيثاغورس أن العالم انما ألف من اللحون البسيطة الروحانية ويذكر ان الاعداد الروحانية غير منقطعة بل أعداد متحدة تتجزى من نحو العقل ولاتتجزى من نحو الحواس وعد عوالم كثيرة فمنه عالم هو سرور محض فى أصل الابداع وابتهاج وروح فى وضع الفطرة ومنه عالم هو دونه ومنطقها ليس مثل منطق العوالم العالية فان المنطق قد يكون باللحون الروحانية البسيطة وقد يكون باللحون الروحانية المركبة والاول يكون سرورها دائما غير منقطع ومن اللحون ماهو بعد ناقص فى التركيب لان المنطق بعد لم يخرج الى الفعل فلا يكون السرور بغاية الكمال لان اللحن ليس بغاية الاتفاق وكل عالم هو دون الاول بالرتبة ويتفاضل العوالم بالحسن

الله لهم الفعل وكذلك نقول ان الانسان يصنع لان النص قد جاء بذلك ولولا النص ما أطلقنا شيئاً من هذا وكذلك لماقال الله تعالى * وفاكهة مما يتخيرون * علمنا ان للانسان اختيارا لان أهل الدنيا وأهل الجنة سواء فى أنه تعالى خالق أعمال الجميع على أن الله تبارك وتعالى قال * وربك يخلق مايشاء ويختار ما كان لهم الخيرة * فعلمنا أن الاختيار الذى هو فعل الله تعالى وهو منفى عن سواه هو غير الاختيار الذي أضافه الى خلقه ووصفهم به ووجدنا هذا أيضا حسا لان الاختيار الذى توحد الله تعالى به هو أن يفعل ما شاء كيف شاء واذا شاء وليست هذه صفة شيء من خلقه وأما الاختيار الذى أضافه الله تعالى الى خلقه فهو ما خلق فيهم من الميل الى شيء ما والايثار له على غيره فقط وهنا غاية البيان وبالله تعالى التوفيق ومنها أن الاشتراك فى الاسماء لا يقع من أجله التشابه ألاترى أنك تقول الله الحي والانسان حي والانسان حليم كريم عليم والله تعالى حكيم كريم عليم فليس هذا يوجب اشتباها بلاخلاف وانما يقع الاشتباه بالصفات الموجودة في الموصوفين والفرق بين الفعل الواقع من الله عز وجل والفعل الواقع منا هو أن الله تعالى اخترعه وجعله جسما أو عرضا أوحركة أوسكونا أو معرفة أو ارادة أو كراهية وفعل عز وجل كل ذلك فينا بغير معاناة منه وفعل تعالى لغيره علة واما نحن فانما كان فعلا لنا لانه عز وجل خلقه فينا وخلق اختيارنا له وأظهره عز وجل فينا محمولا لا كتساب منفعة أو لدفع مضرة ولم نخترعه نحن واما من قال بالاستطاعة قبل الفعل فعمدة حجتهم أن قالوا لا يخلو الكافر من أحد أمرين اما أن يكون مامورا بالايمان أو لا يكون مامورا به فان قلتم أنه غير مامور بالايمان فهذا كفر مجرد وخلاف للقرآن والاجماع وان قلتم هو مامور بايمان وهكذا تقولون فلايخلو من أحد وجهين اماأن يكون أمر وهو يستطيع ما أمر به فهذا قولنالاقولكم أو يكون أمر وهولايستطيع ماأمر به فقد نسبتم الي الله عز وجل تكليف مالايستطاع ولزمكم أن تجيزوا تكليف الاعمى أن يرى والمقعد أن يجرى أو يطلع الى السماء وهذا كله جور وظلم والجور والظلم منفيان عن الله عز وجل وقالوا اذلا يفعل المرء فعلا الا باستطاعة موهوبة من الله عز وجل ولاتخلو تلك الاستطاعة من أن يكون المرء أعطيها والفعل موجود أو أعطيها والفعل غيرموجود فان كان أعطيها والفعل موجود فلاحاجة به اليها اذقد وجد الفعل منه الذى يحتاج الى الاستطاعة ليكون ذلك الفعل بها وان كان أعطيها والفعل غير موجود فهذا قولنا ان الاستطاعة قبل الفعل قالوا والله تعالي يقول * ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا * قالوا فلو لم تتقدم الاستطاعة الفعل لكان الحج لايلزم أحدا قبل أن يحج وقال تعالى * وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين * وقال تعالى * فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا * فلوكانت الاستطاعة للصوم لا تتقدم الصوم مالزمت أحدا الكفارة به وقال تعالى * يحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم أنهم لكاذبون * فصح أن استطاعة الخروج موجودة مع عدم الخروج وقال تعالى * فاتقوا الله ما استطعتم * ولهم أيضا فى خلق الافعال اعتراض نذكره ان شاء الله تعالى وبالله التوفيق والحمد لله رب العالمين

والبهاء والزينة والآخر ثقل العوالم وثقلها وسفلها وكذلك لم تجتمع كل الاجتماع ولم تتحد الصورة بالمادة كل الاتحاد وجاز على كل جزء منه الانفكاك عن الجزء الآخر الا أن فيه نورا قليلا من النور الاول فلذلك النور وجد فيه نوع ثبات ولولا ذلك لم يثبت طرفة عين وذلك النور القليل جسم النفس والعقل الحامل لهما في هذا العالم وذكر ان الانسان بحكم الفطرة واقع فى مقابلة العالم كله وهو عالم صغير والعالم انسان كبير ولذلك صار حظه من النفس والعقل أوفر فمن أحسن تقويم نفسه وتهذيب اخلاقه وتزكية أحواله أمكنه أن يصل الى معرفة العالم وكيفية تأليفه ومن ضيع نفسه ولم يقم بمصالحها من التهذيب والتقويم

167

باب ما الاستطاعة

(قال أبو محمد) أن الكلام على حكم لفظة قبل تحقيق معناها ومعرفة المراد بها وعن أى شيء يعبر بذكرها طمس للوقوف على حقيقتها فينبغى أولا أن نوقف على معنى الاستطاعة فاذا تكلمنا عليه وقررناه بحول الله تعالى وقوته سهل الاشراف على صواب هذه الاقوال من خطئها بعون الله تعالى وتأييده فنقول وبالله تعالى نتأيد ان من قال ان الاستطاعة هى المستطيع قول فى غاية الفساد ولو كان لقائله اقل علم باللغة العربية ثم بحقائق الاسماء والمسميات ثم بماهية الجواهر والاعراض لم يقل هذا السخف أما اللغة فان الاستطاعة انما هى مصدر استطاع يستطيع استطاعة والمصدر هو فعل الفاعل وصفته كالضرب الذى هو فعل الضارب والحمرة التى هى صفة الاحمر والاحمرار الذى هو صفة المحمر وماأشبه هذا والصفة والفعل عرضان بلا شك فى الفاعل منا وفى الموصوف والمصادر هى احداث المسمين بالاسماء باجماع من اهل كل لسان فاذا كانت الاستطاعة فى اللغة التى بها نتكلم نحن وهم انما هى صفة فى المستطيع فبالضرورة نعلم ان الصفة هى غير الموصوف لان الصفات تتعاقب عليه فتمضى صفة وتأتى أخرى فلو كانت الصفة هى الموصوف لكان الماضى من هذه الصفات هو الموصوف الباقى ولا سبيل الى غير هذا البتة فاذ لاشك فى ان الماضى هو غير الباقى فالصفات هى غير الموصوف بها وماعدا هذا فهو من المحال والتخليط فان قالوا ان الاستطاعة ليست مصدر استطاعة ولا صفة المستطيع كابروا وأتوا بلغة جديدة غير اللغة التى نزل بها القرآن والتى لفظة الاستطاعة التى فيها نتنازع انما هى كلمة من تلك اللغة ومن احال شيئا من الالفاظ اللغوية عن موضوعها فى اللغة بغير نص محيل لها ولا باجماع من اهل الشريعة فقد فارق حكم اهل العقول والحياء وصار فى نصاب من لا يتكلم معه ولا يعجز احد ان يقول الصلاة ليست ماتعنون بها وانما هى امر كذا والماء هو الخمر وفى هذا بطلان الحقائق كلها وأيضا فاننا نجد المرء مستطيعا ثم نراه غير مستطيع لخدر عرض فى اعضائه أو لتكتيف وضبط أو لاغماء وهو بعينه قائم لم ينتقص منه شيء فصح بالضرورة ان الذى عدم من الاستطاعة هو غير المستطيع الذى كان ولم يعدم هذا أمر يعرف بالمشاهدة والحس وبهذا أيقنا ان الاستطاعة عرض من الاعراض تقبل الاشد والاضعف فنقول استطاعة أشد من استطاعة واستطاعة أضعف من استطاعة وايضا فان الاستطاعة لها ضد وهو العجز والاضداد لاتكون الا أعراضا تقتسم طرفى البعد كالخضرة والبياض والعلم والجهل والذكر والنسيان وماأشبه هذا وهذا كله أمر يعرف بالمشاهدة ولا ينكره الا أعمى القلب والحواس ومعاند مكابر للضرورة والمستطيع جوهر والجوهر لاضد له فصح بالضرورة ان الاستطاعة هى غير المستطيع بلا شك وايضا فلو كانت الاستطاعة هى المستطيع لكان العجز ايضا هو العاجز والعاجز هو المستطيع بالامس فعلى هذا يجب ان العجز هو المستطيع فان تمادوا على هذا لزمهم ان العجز عن الامر هو الاستطاعة عليه وهذا محال ظاهر فان قالوا ان العجز غير المستطيع وهو آفة دخلت على المستطيع سئلوا عن الفرق الذى من اجله

خرج من عداد العدد والمعدود وانحل عن رباط القدر والمقدور صار ضياعا هملا وربما يقول النفس الانسانية تأليفات عددية أو لحنية ولهذا ناسبت النفس مناسبات الالحان والتذت بسماعها وطاشت وتواجدت بسماعها وجاشت ولقد كانت قبل اتصالها بالابدان قد أبدعت من تلك التأليفات العددية الاولى ثم اتصلت بالابدان فان كانت التهذيبات الخلقية على تناسب الفطرة وتجردت النفوس عن المناسبات الخارجة اتصلت بعالمها وانخرطت فى سلكها على هيئة أجمل وأكمل من الاول فان التأليفات الاول

قالوا ان الاستطاعة هى المستطيع ومنعوا ان يكون العجز هو العاجز ولا سبيل الى وجود فرق في ذلك وبهذا نفسه يبطل قول من قال ان الاستطاعة هي بعض المستطيع سوآء بسوآء لان العرض لا يكون بعضا للجسم وأما من قال ان الاستطاعة كل ماتوصل به الى الفعل كالابرة والدلو والحبل وماأشبه ذلك فقول فاسد تبطله المشاهدة لانه قد توجد هذه الالات وتعدم صحة الجوارح لا يمكن الفعل فان قالوا قد تعدم هذه الآلات وتوجد صحة الجوارح ولا يمكن الفعل قلنا صدقتم وبوجود هذه الآلات تم الفعل الا ان لفظة الاستطاعة التى فى معناها نتنازع هى لفظة قد وضعت فى اللغة التى بها نتفاهم ونعبر عن مرادنا على عرض فى المستطيع فليس لاحد أن يصرف هذه اللفظة عن موضوعها فى اللغة برايه من غير نص ولا اجماع ولو جاز هذا لبطلت الحقائق ولم يصح تفاهم ابدا وقد علمنا يقينا أن لفظة الاستطاعة لم تقع قط فى اللغة التى بها نتفاهم علي حبل ولا على مهماز ولا علي ابرة فان قالوا قد صح عن ائمة اللسان كابن عباس وابن عمر رضى الله عنهما ان الاستطاعة زاد وراحلة قيل لهم نعم قد صح هذا ولا خلاف بين احد له فهم باللغة أنهما عنيا بذلك القوة على وجود زاد وراحلة وبرهان ذلك ان الزاد والرواحل كثير فى العالم وليس كونهما عنيا فى العالم موجبا عندهما فرض الحج علي مالا يجدهما فصح ضرورة انهما عنيا بذلك القوة على احضار زاد وراحلة والقوة على ذلك عرض كما قلنا وبالله تعالى التوفيق وهكذا القول ايضا ان ذكروا قول الله عز وجل * واعدوا لهم مااستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم * لان هذا هو نص قولنا ان القوة عرض ورباط الخيل عرض فسقط هذا القول والحمد لله رب العالمين فاذ قد سقطت هذه الاقوال كلها وصح ان الاستطاعة عرض من الاعراض فواجب علينا معرفة ماتلك الاعراض فنظرنا ذلك بعون الله عز وجل وتأييده فوجدنا بالضرورة الفعل لا يقع باختيار الا من صحيح الجوارح التى يكون بها ذلك الفعل فصح يقينا ان سلامة الجوارح وارتفاع الموانع استطاعة ثم نظرنا سالم الجوارح لا يفعل مختارا الا حتى يستضيف الى ذلك ارادة الفعل فعلمنا ان الارادة ايضا محركة للاستطاعة ولا نقول ان الارادة استطاعة لان كل عاجز عن الحركة فهو مريد لما هو غير مستطيع وقد علمنا ضرورة ان العاجز عن الفعل فليس فيه استطاعة للفعل لانهما ضدان والضدان لا يجتمعان معا ولا يمكن ايضا ان تكون الارادة بعض الاستطاعة لانه كان يلزم من ذلك ان فى تعاجز المريد استطاعة ما لان بعض الاستطاعة استطاعة وبعض العجز عجز ومحال ان يكون فى العاجز عن الفعل استطاعة له البتة فالاستطاعة ليست عجزا فمن استطاع علي شيء وعجز عن اكثر منه ففيه استطاعة على مايستطيع عليه هى غير الاستطاعة التى فيه على مااستطاع عليه وبالله تعالى التوفيق ثم نظرنا فوجدنا السالم الجوارح المريد للفعل قد يعترضه دون الفعل مانع لا يقدر معه على الفعل اصلا فعلمنا ان ههنا شيئا آخر به تتم الاستطاعة ولا بد وبه يوجد الفعل فعلمنا ضرورة ان هذا الشيء اذ هو تمام الاستطاعة ولا تصح الاستطاعة الا به فهو باليقين قوة اذ الاستطاعه قوة وان ذلك الشيء قوة بلا شك فقد علمنا انه ما اتى به من عند الله تعالى لانه تعالى مؤتي القوى اذ لا يمكن ذلك لاحد دونه عز وجل فصح ضرورة ان الاستطاعة صحة الجوارح مع ارتفاع الموانع

قد كانت ناقصة من وجه حيث كانت بالقوة بالرياضة والمجاهدة فى هذا العالم بلغت الى حد الكمال خارجة من حد القوة الى حد الفعل قال والشرائع التى وردت بمقادير الصلاة والزكاة وسائر العبادات انما هى لايقاع هذه المناسبات في مقابلة تلك التأليفات الروحانية وربما يبالغ فى تقرير التاليف حتى يكاد يقول ليس فى العالم سوى التاليف والاجسام والاعراض تاليفات والنفوس والعقول تاليفات ويعسر كل العسر تقرير ذلك نعم تقدير التاليف علي المؤلف والتقدير علي المقدر

وهذان الوجهان قبل الفعل وقوة اخرى من عند الله عزوجل وهذا الوجه مع الفعل باجتماعهما يكون الفعل وبالله تعالى التوفيق ومن البرهان على صحة هذا القول اجماع الامة كلها على سؤال الله تعالى التوفيق والاستعاذة به من الخذلان فالقوة التي تردمن الله تعالى على العبد فيفعل بها الخير تسمى بالاجماع توفيقا وعصمة وتأييدا والقوة التي ترد من الله تعالى فيفعل العبد بها الشر تسمى بالاجماع خذلانا والقوة التي تردمن الله تعالي على العبد فيفعل بها ماليس طاعة ولامعصية تسمى عونا او قوة او حولا وتبين من صحة هذا صحة قول المسلمين لاحول ولاقوة الابالله والقوة لاتكون لاحد البتة فعل الابها فصح انه لاحول ولاقوة لاحد الابالله العلي العظيم وكذلك يسمى تيسيرا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ميسر لما خلق له وقد وافقنا جميع المعتزلة على ان الاستطاعة فعل الله عز وجل وانه لايفعل احد خيرا ولاشرا الابقوة اعطاه الله تعالى اياها الا انهم قالوا يصلح بها الخير والشر معا (قال ابو محمد) فجملة القول في هذا بان عناصر الاخبار ثلاثة وهو ممتنع اوواجب او ممكن بينهما هذا امر بضرورة الحس والتمييز فاذا الامر كذلك فان عدمت صحة الجوارح كان له مانع الى الفعل واما الصحيح الجوارح المرتفع الموانع فقد يكون منه الفعل وقد لايكون فهذه هي الاستطاعة الموجودة قبل الفعل برهان ذلك قول الله عز وجل حكاية عن القائلين *لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون انفسهم والله يعلم انهم لكاذبون* فاكذبهم الله في انكارهم استطاعة الخروج قبل الخروج وقوله تعالى *ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا* فلولم تكن هنا استطاعة قبل فعل المرء الحج لما لزم الحج الامن حج فقط ولما كان احد عاصيا بترك الحج لانه ان لم يكن مستطيعا للحج حتى يحج فلا حج عليه ولا هو مخاطب بالحج وقوله تعالي *فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا* فلولم يكن على المظاهر العائد لقوله استطاعة على الصيام قبل أن يصوم لما كان مخاطبا بوجوب الصوم عليه اذا لم يجد الرقبة اصلا ولكان حكمه مع عدم الرقبة وجوب الاطعام فقط وهذا باطل وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن بايعه فمن لم يستطع فقاعدا فمن لم يستطع فعلى جنب وهذا اجماع متيقن لاشك فيه فلولم يكن الناس مستطيعين للقيام قبل القيام لما كان احد مامورا بالصلاة قبل ان يصليها كذلك ولكان معذورا ان صلى قاعدا وعلى جنب بكل وجه لانه اذا صلى كذلك لم يكن مستطيعا للقيام وهذا باطل وقوله صلى الله عليه وسلم اذا امرتكم بشئ فاتو به ما استطعتم فلولم يكن هاهنا استطاعة لشئ مما امرنا به ان نفعله لما لزمنا شيء مما امرنا به مما لم نفعله ولكنا غير عصاة بالترك لاننا لم نكلف بالنص الا ما استطعنا وقوله صلى الله عليه وسلم اتستطيع ان تصوم شهرين قال فلو لم يكن احد مستطيعا للصوم الا حتى يصوم لكان هذا السؤال منه عليه السلام محالا وحاشا له من ذلك ومما يتبين صحة هذا وان المراد في كل ماذكرنا صحة الجوارح وارتفاع الموانع قول الله تعالى *ويدعون الي السجود فلايستطيعون خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانو يدعون الى السجود وهم سالمون* فنص تعالي على ان في عدم السلامة بطلان الاستطاعة وان وجود السلامة بخلاف ذلك فصح ان سلامة الجوارح استطاعة واذا صح هذا فبيقين ندرى ان سلامة الجوارح يكون بها الفعل وضده والعمل وتركه والطاعة والمعصية لان كل هذا يكون بصحة الجوارح فان قال قائل فان

أمر يهتدي به ويعول عليه وكان (خرينوس وزينون الشاعر) متابعين لفيثاغورس على رأيه في المبدع والمبدع الا انهما قال الباري تعالى أبدع النفس والعقل دفعة واحدة ثم أبدع جميع ما تحتهما بتوسطهما وفي بدؤ ما ابدعهما لايموتان ولايجوز عليهما الدثور والفناء وذكرا ان النفس اذا كانت طاهرة زكية من كل دنس صارت في العالم الاعلى الى مسكنها الذى يشاكلها ويجانسها وكان الجسم الذى هو من النار والهواء جسمها في ذلك العالم مهذبا من كل ثقل وكدر فاما الجرم الذى من الماء

سلامة الجوارح عرض والعرض لايبقى وقتين قيل له هذه دعوى بلا برهان والآيات المذكورات مبطلة لهذه الدعوى وموجبة ان هذه الاستطاعة من سلامة الجوراح وارتفاع الموانع موجودة قبل الفعل ثم لوكان ماذكرتم ماكان فيه دفع لما قاله عز وجل من ذلك ثم وجدنا الله تعالى قد قال * وكانوا لا يستيطعون سمعا * وقال تعالى حاكيا قول الخضر لموسى عليه السلام * انك لن تسطيع معى صبرا * وقال * ذلك تاويل مالم تسطع عليه صبرا * وعلمنا ان كلام الله تعالى لايتعارض ولا يختلف قال الله تعالى * ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا * فتيقنا ان الاستطاعة التى اثبتها الله تعالى قبل الفعل هى غير الاستطاعة التى نفاها مع الفعل ولا يجوز غير ذلك البتة فاذ ذلك كذلك فالاستطاعة كما قلنا شيئان أحدهما قبل الفعل وهو سلامة الجوارح وارتفاع الموانع والثانى لايكون الا مع الفعل وهو القوة الوارة من الله تعالى بالعون والخذلان وهو خلق الله تعالى للفعل فيمن ظهر منه وسمى من اجل ذلك فاعلا لما ظهر منه اذ لا سبيل الى وجود معنى غير هذا البتة فهذا هو حقيقة الكلام فى الاستطاعة بما جاءت به نصوص القرآن والسنن والاجماع وضرورة الحس وبديهة العقل فعلى هذا التقسيم بنا الكلام فى هذا الباب فاذا نفينا وجود الاستطاعة قبل الفعل فانما نعنى بذلك الاستطاعة التى بها يقع الفعل ويوجد واجبا ولا بد وهى خلق الله تعالى للفعل فى فاعله واذا اثبتنا الاستطاعة قبل الفعل فانما نعنى بها صحة الجوارح وارتفاع الموانع التى يكون الفعل بها ممكنا متوهما لا واجبا ولا ممتنعا وبها يكون المرء مخاطبا مكلفا مامورا منهيا وبعد مها يسقط عنه الخطاب والتكليف ويصير الفعل منه ممتنعا ويكون عاجزاً عن الفعل

(قال ابو محمد) فاذ قد تبين ما الاستطاعة فنقول بعون الله عز وجل فيما اعترضت به المعتزلة الموجبة للاستطاعة جملة قبل الفعل ولا بد فنقول وبالله تعالى التوفيق انهم قالوا اخبرونا عن الكافر المامور بالايمان أهو مامور بما لا يستطيع ام بما يستطيع فجوابنا وبالله تعالى نتأيد اننا قد بينا آنفا ان صحة الجوارح وارتفاع الموانع استطاعة وحامل هذه الصفة مستطيع بظاهر حاله من هذا الوجه وغير مستطيع مالم يفعل الله عز وجل فيه ما به يكون تمام استطاعته ووجود الفعل فهو مستطيع من وجه غير مستطيع من وجه آخر وهذا مع انه نص القرآن كما اوردنا فهو ايضاً مشاهد كالبناء المجيد فهو مستطيع بظاهر حاله ومعرفته بالبناء غير مستطيع للآلات التى لايوجد البناء الا بها وهكذا فى جميع الاعمال وأيضا فقد يكون المرء عاصيا لله تعالى فى وجه مطيعا له فى آخر مؤمنا بالله كافرا بالطاغوت فان قالوا فقد نسبتم لله تكليف ما لا يستطاع قلنا هذا باطل مانسبنا اليه تعالى الا ما اخبر به عن نفسه انه لايكلف احدا الا ما يستطيع بسلامة جوارحه وقد يكلفه مالا يستطيع فى علم الله تعالى لان الاستطاعة التى بها يكون الفعل ليست فيه بعد ولا يجوز ان يطلق على الله تعالى أحد القسمين دون الآخر واما قولهم ان هذا كتكليف المقعد الجرى او الاعمى النظر وادراك الالوان والارتفاع الى السماء فان هذا باطل لان هؤلاء ليس فيهم شىء من قسمى الاستطاعة فلا استطاعة لهم اصلا واما الصحيح الجوارح ففيه احد قسمى الاستطاعة وهو سلامة الجوارح ولولا ان الله عز وجل آمننا بقوله تعالى * ماجعل عليكم فى الدين من حرج *

لكان

والارض فان ذلك يدثر ويفنى لانه غير مشاكل للجسم السماوى لان الجسم السماوى لطيف لا وزن له ولا يلمس فالجسم في هذا العالم مستبطن فى الجرم لانه أشد روحانية وهذا العالم لايشاكل الجسم بل الجرم يشاكله وكل ماهو مركب والاجزاء النارية والهوائية عليه أغلب كانت الجسمية أغلب وهو مركب والاجزاء المائية والارضية عليه أغلب كانت الجرمية أغلب وهذا العالم عالم الجرم وذلك العالم عالم الجسم فالنفس فى ذلك العالم تحشر فى بدن جسمانى لاجرمانى دائما لا يجوز

لكان غير منكر ان يكلف الله تعالى الاعمى ادراك الالوان والمقعد الجرى والطلوع الى السماء ثم يعذبهم عند عدم ذلك منهم ولله تعالى ان يعذب من شاء دون ان يكلفه وان ينعم من شاء دون ان يكلفه كما رزق من شاء العقل وحرمه الجماد والحجارة وسائر الحيوان وجعل عيسى بن مريم نبيا فى المهد حين ولادته وشد على قلب فرعون فلم يؤمن قال تعالى * لايسأل عما يفعل وهم يسالون * وليس فى بداية العقول حسن ولا قبيح لعينه ألبتة وقالت المعتزلة متى اعطى الانسان الاستطاعة أقبل وجود الفعل فان كان قبل وجود الفعل قالوا فهذا قولنا وان كان حين وجود الفعل فما حاجتنا اليها فجوابنا وبالله تعالى التوفيق ان الاستطاعة قسمان كما قلنا فاحدهما قبل الفعل وهو سلامة الجوارح وارتفاع الموانع والثانى مع الفعل وهو خلق الله للفعل فى فاعله ولولاها لم يقع الفعل كما قال الله عز وجل ولو كانت الاستطاعة لاتكون الاقبل الفعل ولابد ولاتكون مع الفعل اصلا كما زعم ابو الهزيل لكان الفاعل اذا فعل عديم الاستطاعة وفاعلا فعلا لااستطاعة له على فعله حين فعله واذ لااستطاعة له عليه فهو عاجز عنه فهو فاعل عاجز عما يفعل معا وهذا تناقض ومحال ظاهر

(قال ابو محمد) ولهم الزامات سخيفة هى لازمة لهم كما تلزم غيرهم سواء بسواء منها قولهم متى احرقت النار العود افى حال سلامته ام وهو غير محترق فان كانت احرقته فى حال سلامته فهو اذا محرق غير محرق وان كانت احرقته وهو محرق فما الذى فعلت فيه وكسؤالهم متى كسر المرء العود اكسره وهو صحيح فهو اذا مكسور صحيح اوكسره وهو مكسور فما الذى احدث فيه وكسؤالهم متى اعتق المرء عبده افى حال رقه فهو حر عبد معا اوفى حال عتقه فاى معنى لعتقه اياه ومتى طلق المرء زوجته اطلقها وهى غير مطلقة فهى مطلقة لامطلقة معا ام طلقها وهى مطلقة فما الذى اثر فيها طلاقه ومتى مات المرء فى حياته مات ام وهو ميت ومثل هذا كثير

(قال ابو محمد) وكل هذه سفسطة وسؤالات سخيفة مموهة والحق فيها ان تفريق النار اجزاء ماعملت فيه هو المسمى احراقا وليس للاحراق شىء غير ذلك فقولهم هل احرقت وهو محرق تخليط لان فيه ايهاما ان الاحراق غير الاحراق وهذه سخافة وكذلك كسر العود انما هو اخراجه عن حال الصحة والكسر نفسه هو حال العود حينئذ وكذلك اخراج العبد من الرق الى عتقه هو عتقه ولا مزيد ليست له حال اخرى وكذلك خروج المرأة من الزوجية الى الطلاق هو تطليقها نفسه وكذلك فراق الروح للجسد وهو الاماتة والموت نفسه ولامزيد وليست هاهنا حال اخرى وقع الفعل فيها وبالله تعالى التوفيق

(الكلام فى ان اتمام الاستطاعة لا يكون الا مع الفعل لا قبله)

(قال ابو محمد) يقال لمن قال ان الاستطاعة كلها ليست الا قبل الفعل وانها قبل الفعل بتمامها وتكون ايضاً مع الفعل اخبرونا عن الكافر هل يقدر قبل ان يؤمن فى حال كفره على الايمان قدرة تامة أم لا وعن تارك الصلاة هل يقدر قدرة تامة على الصلاة فى حال تركه وعن الزانى هل يقدر فى حال زناه على ترك الزنا بان لايكون منه زنا اصلا ام لا وبالجملة فالا وامر كلها انما هى امره بحركة اوامر بسكون أوامر باعتقاد اثبات شىء ما أو

عليه الفناء والدثور ولذته تكون دائمة لايملها الطباع والنفوس وقيل لفيثاغورس لم قلت بابطال العالم قال لانه يبلغ العلة التى من أجلها كان فاذا بلغها سكنت حركته وأكثر اللذات العلوية هى التاليفات اللحنية وذلك كما يقال التسبيح والتقديس غذاء الروحانيين وغذاء كل موجود هو مما خلق منه ذلك الموجود وأما (ايراقليطس وأباسيس) كانا من الفيثاغورسيين وقالوا ان مبدأ الموجودات هو النار فما تكاثف منها وتحجر فهو الارض وما تحلل من الارض بالنار صار ماء وماتحلل من الماء

امر باعتقاد ابطال شيء ما وهذا كله يجمعه فعل أو ترك فاخبرونا هل يقدر الساكن المامور بالحركة على الحركة حال السكون أو يقدر المتحرك المأمور بالسكون على السكون في حال الحركة وعن معتقد ابطال شيء ما وهو مامور باعتقاد اثباته هل يقدر في حال اعتقاده ابطاله علي اعتقاد اثباته ام لا وعن معتقد اثبات شيء ما وهو مامور باعتقاد ابطاله هل يقدر في حال اعتقاده اثباته علي اعتقاد ابطاله ام لا وعن المامور بالترك وهو فاعل ما امر بتركه أيقدر على تركه في حال فعله فيكون فاعلا لشيء تاركا لذلك الشيء معا ام لا فان قالوا نعم هو قادر على ذلك كابروا العيان وخالفوا المعقول والحس واجازوا كل طامة من كون المرء قاعدا قائما معا ومؤمنا بالله كافرا به معا وهذا اعظم مايكون من المحال الممتنع وان قالوا انه لا يقدر قدرة تامة يكون بها الفاعل لشيء هو فاعل لخلافه قالوا الحق ورجعوا الى انه لا يستطيع احد استطاعة تامة يقع بها الفعل الا حتى يفعله وكل جواب اجابوا به هاهنا فانما هو ايهام ولواذ ومدافعة بالروح لانه الزام ضروري حسي متيقن لا محيد عنه وبالله تعالى التوفيق فان قالوا لسنا نقول انه يقدر على ان يجمع بين الفعلين المتضادين معا ولكننا قلنا انه قادر على ان يترك ماهو فيه ويفعل ما امر به قيل لهم هذا هو نفسه الذي اردنا منكم وهو انه لا يقدر قدرة تامة ولا يستطيع استطاعة تامة علي فعل ما دام فاعلا لما يمانعه فاذا ترك كل ذلك وشرع فيما امر به فحينئذ تمت قدرته واستطاعته لا بد من ذلك وهذا هو نفس ما موهوا به في سؤالهم لنا هل امر الله تعالى العبد بما يستطيع قبل ان يفعله ام بما لا يستطيع حتى يفعله وهذا لهم لازم لانهم شنعوه وعظموه وانكروه ونحن لا ننكره ولا نرى ذلك الزاما صحيحا فقبحه عائد عليهم وانما يلزم الشيء من يصححه وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) وقد اجاب في هذه المسالة عبدالله بن احمد الكعبي البلخي احد رؤساء الاصلح من المعتزلة بان قال انا لا نختلف في ان الله عز وجل قادر على تسكين المتحرك وتحريك الساكن وليس يوصف بالقدرة على ان يجعله ساكنا متحركا معا

(قال ابو محمد) وليس كما قال الجاهل الملحد فيما وصف الله تعالى به بل الله تعالى قادر علي ان يجعل الشيء ساكنا متحركا معا في وقت واحد من وجه واحد ولكن كلام البلخي هذا لازم لمن التزم هذه الكفرة الصلعاء (١) من ان الله تعالى لا يوصف بالقدرة علي المحال ويقال لهم لم لا يوصف بالقدرة على ذلك لان له قدرة علي ذلك ولا يوصف بها ام لانه لا قدرة له علي ذلك ولا محيد لهم عن هذا وهذه طائفة جعلت قدرة الله تعالى متناهية بل قطعوا قطعا بانه تعالى لا يقدر على الشيء حتى يفعله وهذا كفر مجرد لا خفاء به ونعوذ بالله من الخذلان

(قال أبو محمد) ويقال للمعتزلة ايضا انتم مقرون ايضا معنا بان الله تعالى لم يزل عليما بان كل كائن فانه سيكون علي ما هو عليه اذا كان ولم يزل الله تعالى يعلم ان فلانا سيطأ فلانة في وقت كذا فتحمل منه بولد يخلقه الله تعالى من منيهما الخارج منهما عند جماعه اياها وانه يعيش

---

(١) قوله الكفرة الخ تقدم له هذا الكلام مرارا وتقدم لنا ان هذه مقالة الاشعرية وانهم قالوها فرارا من المحال لكن لو تعلقت القدرة بكل شيء حتى الواجب والمستحيل لكان الواجب ممكنا لانه من تحت القدرة لا بد ان يكون ممكنا حتى تغيره القدرة من حال الى حال وكذا شريك الباري لا يكون مستحيلا بل ممكنا وهذا من اشنع المقالات فليتامل اه مصححه

بالنار صار هواء فالنار مبدأ وبعدها الارض وبعدها الماء وبعدها الهواء وبعدها النار والنار هي المبدأ واليها المنتهي فمنها التكون واليها الفساد وأما (ابيقورس) الذي تفلسف في أيام ديمقراطيس وكان يرى أن مبادي الموجودات أجسام تدرك عقلا وهي كانت تتحرك من الخلاف الخلا لا نهاية له الا ان لها ثلاثة اشياء الشكل والعظم والثقل وديمقراطيس كان يرى ان لها شيئين العظم والشكل فقط وذكر ان تلك الاجسام لا تتجزى أي لا تنفعل ولا تنكسر وهي معقولة أي موهومة غير محسوسة فاصطكت تلك

ثمانين سنة ويملك ويفعل ويصنع فاذا قلتم ان ذلك الفلان يقدر قدرة تامة على ترك ذلك الوطء الذى لم يزل الله تعالى يعلم انه سيكون وانه يخلق ذلك الولد منه فقد قطعتم بانه قادر على ان يمنع الله من خلق ماقد علم انه سيخلقه وانه قادر قدرة تامة على ابطال علم الله عز وجل وهذا اكفر ممن اجازه فان قال قائل فانكم انتم تطلقون ان المرء مستطيع قبل الفعل لصحة جوارحه فهذا يلزمكم قلنا هذا لا يلزمنا لاننا لم نطلق ان له قدرة تامة على ذلك اصلا بل قلنا انه لا يقدر على ذلك قدرة تامة البتة ومعنى قولنا انه مستطيع بصحة جوارحه اى انه متوهم منه ذلك لو كان ونحن لم نطلق الاستطاعة الا على هذا الوجه حيث اطلقها الله عز وجل فان قالوا ان الله تعالى قادر على كل ذلك ولا يوصف بالقدرة على فسخ علمه الذى لم يزل قلنا وهذا ايضا مما تكلمنا فيه آنفا بل الله تعالى قادر على كل ذلك بخلاف خلقه على ماقد مضى كلامنا فيه وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) وقد نص الله تعالى على ماقلنا بقوله عز وجل سيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون انفسهم والله يعلم انهم لكاذبون * الى قوله * ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين * فاكذبهم الله تعالى فى نفيهم عن انفسهم الاستطاعة التى هى صحة الجوارح وارتفاع الموانع ثم نص تعالى على انه قال اقعدوا مع القاعدين وهذا أمر تكوين لا امر بالقعود لانه تعالى ساخط عليهم لقعودهم وقد نص تعالى على انه * انما امره اذا أراد شيئا ان يقول له كن فيكون * فقد ثبت يقينا انهم مستطيعون بظاهر الامر بالصحة فى الجوارح وارتفاع الموانع وان الله تعالى كون فيهم قعودهم فبطل ان يتم لستطاعتهم لخلاف فعلهم الذى ظهر منهم وقال عز وجل * من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا * فبين عز وجل بيانا جليا ان من اعطاه الهدى اهتدى ومن اضله فلا يهتدى فصح يقينا ان بوقوع الهدى له من الله تعالى وهو التوفيق يفعل العبد ما يكون به مهتديا وان بوقوع الاضلال من الله تعالى وهو الخذلان وخلق ضلال العبد يفعل المرء ما يكون به ضالا فان قال قائل معنى هذا من سماه الله مهتديا ومن سماه ضالا قيل له هذا باطل لان الله تعالى نص على ان من اضله الله فلن تجد له وليا مرشدا فلو اراد الله تسميته كما زعمتم لكان هذا القول منه عز وجل كذبا لان كل ضال فله اولياء على ضلاله يسمونه مهتديا وراشدا وحاشا الله من الكذب فبطل تاويلهم الفاسد وصح قولنا والحمد لله رب العالمين

(قال ابو محمد) وقال الله تعالى مخبرا عن الخضر الذى آتاه الله تعالى العلم والحكمة والنبوة حاكيا عن موسى عليه السلام وفتاه . فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما * وقال تعالى مخبرا عنه ومصدقا عنه . وما فعلته عن أمرى . فصح أن كل ماقال الخضر عليه السلام فمن وحى الله عز وجل ثم أخبر عز وجل بان الخضر قال لموسى عليه السلام * انك لن تستطيع معى صبرا * فلم ينكر الله تعالى كلامه ذلك ولا أنكره موسى عليه السلام لكن أجابه بقوله * ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا * فلم يقل له موسى عليه السلام انى مستطيع للصبر بل صدق قوله فى ذلك اذ أقره ولم ينكره ورجا ان يجد الله له استطاعة على الصبر فيصبر ولم يوجبه موسى عليه السلام أيضا لنفسه الا أن يشاء الله تعالى ثم كرر عليه الخضر بعد ذلك مرات انه غير مستطيع للصبر اذ لم يصبر فلم ينكر ذلك موسى عليه السلام فهذه شهادة ثلاثة انبياء محمد وموسى والخضر صلى الله عليه وسلم واكبر من شهادتهم شهادة الله عز وجل

الاجزا فى حركاتها اضطرارا واتفاقا فحصل من اصطكاكها صور هذا العالم واشكالها وتحركت على انحناء من جهات التحرك وذلك هو الذى يحكي عنهم انهم قالوا بالاتفاق فلم يثبتوا لها صانعا أوجب الاصطكاك واوجد هذه الصورة وهؤلاء قد أثبتوا الصانع واثبتوا سبب حركات تلك الجواهر واما اصطكاكها فقد قالوا فيها بالاتفاق فلزمهم حصول العالم بالاتفاق والخبطة وكان لفيثاغورس تلميذان رشيدان يدعي احدهما فلنكس ويعرف ببرزنوش قد دخل فارس ودعا الناس الى حكمة فيثاغورس واضاف

بتصديقهم فى ذلك اذ قد نصه الله تعالى علينا غير منكوله بل مصدقا لهم وهذا لا يرده الا مخذول وقال عزوجل * وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا الذين كانت اعينهم فى غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعا * فنص تعالى نصا جليا علي انهم كانوا لا يستطيعون السمع الذى أمروا به وانهم مع ذلك كانت أعينهم فى غطاء عن ذكر الله عزوجل ومع ذلك استحقوا على ذلك جهنم وكانوا اى ظاهر الامر مستطيعين بصحة جوارحهم وهذا نص قولنا بلا تكلف والحمد لله رب العالمين علي هداه لنا وتوفيقه ايانا لا اله الا هو وقال تعالى * اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا * فنفى الله عزوجل عنهم استطاعة شىء من السبل غير سبيل الضلال وحده وفى هذا كفاية لمن عقل وقال تعالى * وماكان لنفس ان تؤمن الا باذن الله * فنص تعالى على ان من لم يأذن له فى الايمان لم يؤمن وان من أذن له فى الايمان آمن وهذا الاذن هو التوفيق الذي ذكرنا فيكون به الايمان ولابد وعدم الاذن هو الخذلان الذى ذكرنا نعوذ بالله منه وقال تعالى حاكيا عن يوسف عليه السلام ومصدقا له اذ يقول * والا تصرف عنى كيدهن أصب اليهن واكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن * فنص تعالى علي ان رسوله صلى الله عليه وسلم ان لم يعنه بصرف الكيد عنه صبا وجهل وانه تعالى صرف الكيد عنه فسلم وهذا نص جلى علي انه اذا وفقه اعتصم واهتدى وقال تعالى حاكيا عن ابراهيم خليله ورسوله صلى الله عليه وسلم ومصدقا له * لئن لم يهدني ربى لاكونن من القوم الضالين * فهذا نص علي ان من أعطاه الله عزوجل قوة الايمان آمن واهتدى وان من منعه تلك القوة كان من الضالين وهذا نص قولنا والحمد لله رب العالمين وقال تعالى * واصبر وما صبرك الا بالله * فنص تعالى علي انه أمره بالصبر ثم أخبره انه لا صبر له الا بعون الله تعالى فاذا أعانه بالصبر صبر وقال تعالى * ان تحرص علي هداهم فان الله لا يهدى من يضل * وهذا نص جلى على ان من أضله الله تعالى بالخذلان له فلا يكون مهتديا وقال تعالى * واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا وجعلنا علي قلوبهم أكنة ان يفقهوه وفى آذانهم وقرا * فهذا نص لا اشكال فيه علي ان الله عزوجل منعهم ان يفقهوه فان قال قائل انما قال تعالي انه يفعل ذلك بالذين لا يؤمنون ولذلك قال تعالى * ومايضل به الا الفاسقين ، وكذلك يطبع الله علي قلوب الكافرين ، قيل له وبالله تعالى التوفيق لو صح لك هذا التاويل لكان حجة عليك لانه تعالى قد منعهم التوفيق وسلط عليهم الخذلان وأضلهم وطبع علي قلوبهم فاجمله كيف شئت فكيف وليس ذلك على ما تاولت ولكن الآيات ظواهرها وعلى ما يقتضيه لفظها دون تكلف هو ان الله تعالى لما أضلهم صاروا ضالين فاسقين حين أضلهم لا قبل ان يضلهم وكذلك انما صاروا لا يؤمنون حين جعل بينهم وبينه حجابا وحين جعل على قلوبهم أكنة وفى آذانهم الوقر لا قبل ذلك وانما صاروا كافرين حين طبع علي قلوبهم لا قبل ذلك وقال تعالى * ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا * فنص تعالى علي انه لولا أن ثبت نبيه صلى الله عليه وسلم بالتوفيق لركن اليهم فانما يثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ثبته الله عزوجل لا قبل ذلك ولو لم يعطه التثبيت وخذله لركن اليهم وضل واستحق العذاب علي ذلك ضعف الحياة وضعف الممات فتبا لكل مخذول يظن فى نفسه الخسيسة انه مستغن عما افتقر اليه محمد صلى الله عليه وسلم من توفيق الله وتثبيته وانه قد استوفى من الهدى مالا مزيد عليه وانه ليس عند ربه أفضل مما أعطاه بعد ولا أكثر وقد

حكمه الى مجوسية القوم والاخر يدعى قلانوس ودخل المندود ها الناس الى حكمه واضاف حكمه الى برهمية القوم الاان المجوس كما يقال اخذوا جسمانية قوله والهند اخذوا روحانيته ومما اخبر عنه فيثاغورس واوصى به قال اني عاينت هذه العوالم العلوية بالحس بعد الرياضة البالغة وارتفعت عن عالم الطبائع الي عالم النفس وعالم العقل فنظرت الى مافيها من الصور المجردة ومالها من الحسن والبهاء والنور وسمعت مالها من اللحون الشريفة والاصوات الشجية الروحانية وقال ان مافي هذا العالم يشتمل علي مقدار

أمرنا عز وجل أن نقول * إياك نعبد وإياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين * فنص تعالى على أمرنا بطلب العون منه وهذا نص قولنا والحمد لله رب العالمين فلو لم يكن هاهنا عون خاص من آتاه الله اياه اهتدى ومن حرمه اياه وخذله ضل لما كان لهذا الدعاء معنى لان الناس كلهم كانوا يكونون معانين منعما عليهم مهديين وهذا بخلاف النص المذكور وقال تعالى * ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم * فنص تعالى على انه ختم على قلوب الكافرين وان على سمعهم وأبصارهم غشاوة حائلة بينهم وبين قول الحق فمن هو الجاعل هذه الغشاوة على سمعهم وعلى أبصارهم الا الذي ختم على قلوبهم عز وجل وهذا هو الخذلان الذى ذكرنا ونعوذ بالله منه وهذا نص على أنهم لا يستطيعون الايمان مادام ذلك الختم على قلوبهم والغشاوة على أبصارهم واسماعهم فلو ازالها تعالى لآمنوا الا ان يعجزوا ربهم عز وجل عن ازالة ذلك فهذا خروج عن الاسلام وقال تعالى . ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا . فنص تعالى كما ترى على انه من لم يتفضل عليه ولم يرحمه اتبع الشيطان ضرورة فصح ان التوفيق به يكون الايمان وان الخذلان به يكون الكفر والعصيان وهو اتباع الشيطان ومعنى قوله تعالى الا قليلا على ظاهره وهو استثناء من المنعم عليهم المرحومين الذين لم يتبعوا الشيطان برحمة الله تعالى لهم أى لاتبعتم الشيطان الا قليلا لم يرحمهم الله فاتبعوا الشيطان اذ رحمكم أنتم فلم تتبعوه وهذا نص قولنا ولله تعالى الحمد وقال تعالى . فما لكم فى المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا أتريدون ان تهدوا من اضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا وهذا نص ما قلنا ان من اضله الله تعالى لا سبيل له الى الهدى وان الضلال وقع مع الاضلال من الله تعالى للكافر والفاسق وقال تعالى ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده فاخبر تعالى ان عنده هدى يهدى به من يشاء من عباده فيكون مهتديا وهذا تخصيص ظاهر كما ترى وقال تعالى . فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد فى السماء . فهذا نص ما قلنا وان الله تعالى قد نص قائلا لنا ان من أراد هداه شرح صدره للاسلام فآمن بلا شك وان من أراد ضلاله ولم يرد هداه ضيق صدره واحرجه حتى يكون كمريد الصعود الى السماء فهذا لا يؤمن البتة ولا يستطيع وهو فى ظاهره مستطيع بصحة جوارحه

قال ابو محمد ان الضال لمن ضل بعد ما ذكرنا من النصوص التى لا تحتمل تأويلا ومن شهادة خمسة من الانبياء ابراهيم وموسى ويوسف والخضر ومحمد عليهم السلام بانهم لا يستطيعون فعلا لشىء من الخير الا بتوفيق الله تعالى لهم وانهم ان لم يوفقهم ضلوا جميعا مع ما أوردنا من البراهين الضرورية المعروفة بالحس وبديهة العقل

قال ابو محمد ومن عرف تراكيب الاخلاق المحمودة والمذمومة علم انه لا يستطيع احد غير ما يفعل مما خلقه الله عز وجل فيه فتجد الحافظ لا يقدر على تاخر الحفظ والبليد لا يقدر على الحفظ والفهيم لا يقدر على الغباوة والغبى لا يستطيع ذكاء الفهم والحسود لا يقدر على ترك الحسد والنزيه النفس لا يقدر على الحسد والحريص لا يقدر على ترك الحرص والبخيل لا يقدر على البذل والجبان لا يقدر على الشجاعة والكذاب لا يقدر على ضبط نفسه عن الكذب

يسير من الحسن لكونه معلول الطبيعة وما فوقه من العوالم أبهي وأشرف وأحسن الى أن يصل الوصف الى عالم النفس والعقل فيقف فلا يمكن المنطق وصفه مافيها من الشرف والكرم والحسن والبهاء فليكن حرصكم واجتهادكم على الاتصال بذلك العالم حتى يكون بقاؤكم ودوامكم طويلا ابعد مالكم من الفساد والدثور وتصيرون الى عالم هو حسن كله وبهاء كله وسرور كله وعز وحق كله ويكون سروركم ولذتكم دائمة غير منقطعة قال ومن كانت الوسائط بينه وبين مولاه أكثر

كذلك يوجدون من طفوليتهم والسيء الخلق لايقدر على الحلم والحيى لايقدر على القحة والوقح لايقدر على الحياء والعى لايقدر على البيان والطيوش لايقدر على الصبر والغضوب لايقدر على الحلم والصبور لايقدر على الطيش والحليم لايقدر على الغضب والعزيز النفس لايقدر على المهانة والمهين لايقدر على عزة النفس وهكذا في كل شيء فصح انه لايقدر احد الاعلى مايفعل بما يتم الله تعالى فيهم القوة على فعله وان كان خلاف ذلك متوهما منهم بصحة البنية وعدم المانع

(قال أبو محمد) والملائكة والحور العين والجن وجميع الحيوان كله في الاستطاعة سواء كما ذكرنا ولافرق بين شيء في ذلك كله وكلهم قد خلق الله عز وجل فيهم الاستطاعه الظاهرة بصحة الجوارح ولا يكون منهم فعل الا بعون وارد من الله تعالى اذا ورد كان الفعل معه ولا بد قد خلق الله عز وجل فيهم اختيارا وارادة وحركة وسكونا هم فعالهم على غيرها والملائكة وحور العين معصومون لم يخلق الله تعالى فيهم معصية اصلا لاطاعة ولا معصية وأما الذى يقدر على كل مايفعل ومالا يفعل ولم يزل قادرا على كل مايخطر بالقلب فهو واحد لاشريك له وهو الله عز وجل ليس كمثله شيء ولم يكن له كفوا أحد وبالله تعالى التوفيق

(الكلام في الهدى والتوفيق)

(قال أبو محمد) احتجت المعتزلة بقول الله عز وجل * وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى . وبقوله تعالى . انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيرا انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا انا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالا وسعيرا .

(قال ابو محمد) وهذا حق وقد قال تعالى * ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة * فاخبر تعالى ان الذين هدى بعض الناس لا كلهم وقال تعالى * ان تحرص على هداهم فان الله لايهدى من يضل * وهى قراءة مشهورة عن عاصم بفتح الياء من يهدى وكسر الدال فاخبر تعالى ان في الناس من لم يهده وقال تعالى * من يضلل الله فلا هادى له * فاخبر تعالى ان الذين اضل فلم يهدهم وقال تعالى * فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء * فاخبر تعالى ان الذين هدى غير الذى أضل ومثل هذا كثير وكل ذلك كلام الله عز وجل وكله حق لايتعارض ولايبطل بعضه بعضا قال الله تعالى * ولوكان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا * فصح يقينا ان كل ماأوردنا من الآيات فكلها متفق لاتختلف فنظرنا في الآيات المذكورة فوجدناها ظاهرة لائحة وهو ان الله تعالى اخبر انه هدى ثمود فلم يهتدوا وهدى الناس كلهم السبيل ثم هم بعد اما شاكر واما كفور وأخبر تعالى في الآيات الاخر انه هدى قوما فاهتدوا ولم يهد آخرين فلم يهتدوا فعلمنا ضرورة ان الهدى الذى أعطاه الله عز وجل جميع الناس هو غير الذى اعطاه بعضهم ومنعه بعضهم فلم يعطهم اياه هذا

فهو في رتبة العبودية انقص وان كان البدن مفتقرا في مصالحه الى تدبير الطبيعة مفتقرة في تأدية أفعالها الى تدبير النفس وكانت النفس مفتقرة في في اختيارها الافضل الى ارشاد العقل ولم يكن فوق العقل فاتح الا الهداية الالهية فبالحرى أن يكون المستعين بصريح العقل في كافة المصارف مشهودا له بفطنة الاكتفاء بمولاه وأن يكون التابع لشهوة البدن المنقاد لدواعى الطبيعة والموانى لهوي النفس بعيدا من مولاه ناقصا في رتبته

(رأي سقراط ابن سفرنيسقوس) الحكيم

امر

أمر معلوم بضرورة العقل وبديهته اذ لاشك فى ذلك فقد لاح الامر وهو ان الهدى فى اللغة العربية من الأسماء المشتركة وهى التى يقع الاسم منها على مسميين مختلفين بنوعهما فصاعدا فالهدى يكون بمعنى الدلالة تقول هديت فلانا الطريق بمعنى أريته اياه ووقفته عليه وأعلمته اياه سواء سلكه أو تركه وتقول فلان هاد بالطريق أى دليل فيه فهذا الهدى الذى هداه الله ثمود وجميع الجن والملائكة وجميع الانس كافرهم ومؤمنهم لانه تعالى دلهم على الطاعات والمعاصى وعرفهم مايسخط مما يرضي فهذا معنى ويكون الهدى بمعنى التوفيق والعون على الخير والتيسير له وخلقه لقبول الخير فى النفوس فهذا هو الذى اعطاه الله عز وجل الملائكة كلهم والمهتدين من الانس والجن ومنعه الكفار من الطائفتين والفاسقين فيما فسقوا فيه ولو اعطاهم اياه تعالى لما كفروا ولا فسقوا وبالله تعالى التوفيق ومما يبين هذا قوله تعالى فى الآيات المذكورة * انا هديناه السبيل * فبين تعالى ان الذى هداهم له فهو الطريق فقط وكذلك ايضا قوله تعالى * الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين * فهذا نص قولنا والحمد لله رب العالمين وكذلك قوله تعالى * ولو شئنا لا تينا كل نفس هداها ولكن حق القول منى لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين * وقوله تعالي . ولو شاء الله لجمعهم على الهدى . وهذا بلاشك غير ما هدي جميعهم عليه من الدلالة والتبيين للحق من الباطل

(قال ابو محمد) وقوله تعالى ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم

(قال ابو محمد) فهذا نص جلى على ما قلنا وبيان ان الدلالة لهم على طريق جهنم يحملون فيه اليها هدى لهم الى تلك الطريق ونفى عنهم تعالي فى الآخرة كل هدى الى شيء من الطرق الا طريق جهنم ونعوذ بالله من الضلال

(قال ابو محمد) وقال بعض من يتعسف القول بلا علم ان قول الله عز وجل . وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمي على الهدى . وقوله تعالى . انا هديناه السبيل . وقوله تعالى . وهديناه النجدين انما أراد تعالى بكل ذلك المؤمنين خاصة

(قال ابو محمد) وهذا باطل لوجهين احدهما تخصيص الآيات بلا برهان وما كان هكذا فهو باطل والثانى ان نص الآيات يمنع من التخصيص ولابد وهو ان الله تعالى قال . وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فرد تعالى الضمير فاستحبوا العمي على الهدي الى المهديين انفسهم فصح أن الذين هدوا لم يهتدوا وايضا فان الله تعالى قال لرسوله صلى الله عليه وسلم . ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء . وقال له تعالى . وانك لتهدى الى صراط مستقيم . فصح يقينا ان الهدي الواجب على النبى صلى الله عليه وسلم هو الدلالة وتعليم الدين وهو غير الهدى الذى ليس هو عليه وانما هو لله تعالى وحده فان ذكر ذاكر قول الله عز وجل * ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون * فليس هذا على ما ظنه من لا ينعم النظر من ان الله وحده لو اسمعهم لم يسمعوا بذلك بل ظاهر الآية مبطل لهذا الظن لانه تعالى قال ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم فصح يقينا ان من علم الله تعالى فيه خيرا اسمعه وثبت ان فيه خيرا ثم قال تعالي * ولو اسمعهم لتولوا

الفاضل الزاهد من أثينيه وكان قد اقتبس الحكمة من فيثاغورس وارسالاوس واقتصر من أصنافها على الالهيات والاخلاقيات واشتغل بالزهد ورياضة النفس وتهذيب الاخلاق واعرض عن ملاذ الدنيا واعتزل الى الجبل وأقام فى غاربه ونهى الرؤساء الذين كانوا فى زمانه عن الشرك وعبادة الاوثان فثوروا عليه الغاغة والجاؤا الملك الى قتله فحبسه الملك ثم سقاه السم وقصته معروفة قال سقراط أن البارى تعالى لم يزل هويته فقط وهو جوهر فقط واذا رجعنا الى حقيقة الوصف والقول فيه وجدنا النطق

وهم معرضون . فصح يقينا انه اراد بلاشك انه لو أسمعهم لتولوا عن الكفر وهم معرضون عنه لايجوز غير هذا اصلا لانه تعالى قد نص على أن اسماعه لايكون الا لمن علم فيه خيرا ومن المحال الباطل ان يكون من علم الله تعالى فيه خيرا يتولى عن الخير ويعرض عنه فبطل ماحرفوه بظنونهم من كلام الله عز وجل وكذلك قوله تعالى . انا هديناه السبيلا اما شاكرا واما كفورا . فانه تعالى قسم من هدى السبيل قسمين كفورا وشاكرا فصح ان الكفور أيضا هدى السبيل فبطل ماتوهموه من الباطل ولله تعالى الحمد وصح ماقلنا

الكلام فى الاضلال

(قال ابو محمد) وقد تلونا من كلام الله تعالى فى الباب الذى قبل هذا والباب الذى قبله متصلا به نصوصا كثيرة بان الله تعالى اضل من شاء من خلقه وجعل صدورهم ضيقة حرجة فان اعترضوا بقول الله تعالى عن الكفار انهم قالوا * وما اضلنا الا المجرمون * فلا حجة لهم فى هذه الوجوه احدها انه قول كفار قد قالوا الكذب وحكى الله تعالى حينئذ * والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون * فان ابوا الا الاحتجاج بقول الكفار فليجعلوه الى جنب قول ابليس * رب بما اغويتنى لازينن لهم فى الارض * والوجه الثانى اننا لاننكر اضلال المجرمين واضلال ابليس لهم ولكنه اضلال آخر ليس اضلال الله تعالى لهم والثالث انه لاعذر لاحد فى ان الله تعالى اضله ولا لوم على الخالق تعالى فى ذلك واما من أضل آخر من دون الله تعالى فهو ملوم وقد فسر الله تعالى اضلاله لمن يضل كيف هو وفسر تعالى ذاك الاضلال تفسيرا اغنانا به عن تفسير الخلعاء العيارين كالنظام والعلاف وثمامة وبشر بن المعتمر والجاحظ والناشى وما هنالك من الاحزاب ومن تبعهم من الجهال فبين تعالى فى نص القرآن أن اضلاله لمن أضل من عباده انما هو ان يضيق صدره عن قبول الايمان وأن يحرجه حتى لايرغب فى تفهمه والجنوح اليه ولا يصبر عليه ويوعر عليه الرجوع الى الحق حتى يكون كانه يتكلف فى ذلك الصعود الى السماء وفسر ذلك ايضا عز وجل فى آية اخرى قد تلوناها آنفا بانه يجعل اكنة على قلوب الكافرين يحول بين قلوبهم وبين تفهم القرآن والاصاخة لبيانه وهداه وان يفقهوه وانه جعل تعالى بينهم وبين قول الرسول صلى الله عليه وسلم حجابا مانعا لهم من الهدى وفسره ايضا تعالى بانه ختم على قلوبهم وطبع عليها فامتنعوا بذلك من وصول الهدى اليها وفسر تعالى اضلال من دونه فقال تعالى انه جعلهم ائمة يدعون الى النار وفسر تعالى ايضا القوة التى اعطاها المؤمنين وحرمها الكافرين بانها تثبيت على قبول الحق وانه تعالى يشرح صدورهم لفهم الحق واعتقاده والعمل به وانه صرف لكيد الشيطان ولفتنته عنهم نسأل الله أن يمدنا بهذه العطية وان يصرف عنا الاضلال بمنه وأن لايكلنا الى انفسنا فقد خاب وخسره من ظن فى نفسه انه قد استكمل القوى حتى استغنى عن أن يزيده الله تعالى توفيقا وعصمة ولم يحتج الى خالقه فى ان يصرف عنه فتنته ولا كيده لاسيما من جعل نفسه اقوى على ذلك من خالقه تعالى ولم يجعل عند خالقه قوة يصرف بها عنه كيد الشيطان نعوذ بالله مما امتحنهم به ونبرأ الى الله خالقنا تعالى من الحول والقوة كلها الا ما اتانا منها متفضلا علينا وأما كل ماجاء فى القرآن من اضلال الشياطين للناس وانسائهم ايام ذكر الله تعالى وتزيينهم لهم

ووسوستهم

والعقل قاصرا عن اجتناء وصفه وتحققه وتسميته وادراكه لان الحقائق كلها من تلقاء جوهره فهو المدرك حقا والواصف لكل شىء وصفا والمسمى لكل موجود اسما فكيف يقدر المسمى أن يسميه اسما وكيف يقدر المحاط أن يحيط به وصفا فيرجع فيصفه من جهة اثاره وأفعاله وهى أسماء وصفات الا انها ليست من الاسماء الواقعة على الجوهر المخبر عن حقيقته وذلك مثل قولنا انه أى واضع كل شىء وخالق أى مقدر كل شىء وعزيز أى ممتنع أن يضام وحكيم أى محكم أفعاله على النظام وكذلك سائر

ووسوستهم وفعل بعض الناس ذلك ببعض فصحيح كما جاء فى القرآن دون تكلف وهذا كله القاء لما ذكرنا فى قلوب الناس وهو من الله تعالى خلق لكل ذلك فى القلوب وخالق لافعال هؤلاء المضلين من الجن والانس وكذلك قوله تعالى * حسدا من عند انفسهم * لانه فعل اضيف الى النفس لظهوره منها وهو خلق الله تعالى فيها فان ذكروا قول الله تعالى * وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون * فهو كما قال الله عز وجل وهو حجة على المعتزلة لان الله تعالى اخبر انه لا يضل قوما حتى يبين لهم ما يتقون وما يلزمهم وصدق الله عز وجل لان المرء قبل ان يأتيه خبر الرسول غير ضال بشيء مما يفعل اصلا فانما سمي الله تعالى فعله فى العبد اضلالا بعد بلوغ البيان اليه لا قبل ذلك وبالله التوفيق فصح بهذه الآية انه تعالى يضلهم بعد ان يبين لهم وقد فسر بعضهم الاضلال بانه منع اللطف الذى يقع به الايمان فقط

(قال أبو محمد) ونصوص القرآن تزيد على هذا المعنى زيادة لا شك فيها وتوجب أن الاضلال معنى زائد أعطاه الله للكفار والعصاة وهو ما ذكرنا من تضييق الصدور وتحريجها والختم على القلوب والطبع عليها واكنانها عن أن يفقهوا الحق فان قالوا ان هذا فعل النفوس كلها ان لم يمدها الله تعالى بتوفيق قلنا لهم من خلقها هذه الخلقة المفسدة فان لم يؤيدها بالتوفيق فان قالوا الله تعالى هو خلقها كذلك أقروا بان الله تعالى أعطاها هذه البلية وركب فيها هذه الصفة المهلكة فان فروا الى قول معمر والجاحظ ان هذا كله فعل الطبيعة لم يتخلصوا من سؤالنا وقلنا لهم فمن خلق النفس وخلق فيها هذه الطبيعة الموجبة لهذه الافاعيل فان قالوا الله سبحانه وتعالى اقروا بان الله أعطاها هذه الصفة المهلكة لها ان لم يمدها بلطف وتوفيق وكذلك ان قالوا ان النفس هى فعلت الطبيعة الموجبة لهذه المهالك كانوا مع خروجهم من الاسلام بهذا القول محيلين ايضا محالا ظاهرا لان النفس لو فعلت هى طبيعتها لكانت اما مختارة لفعلها واما مضطرة الى فعلها على ما هى عليها فان كانت مختارة فقد يجب أن تقع طبيعتها مرارا بخلاف ما لا توجد الا عليه وان كانت مضطرة فمن خلقها مضطرة الى هذا الفعل فلا بد من انه الله تعالى فرجعوا ضرورة الى أن الله تعالى هو الذى اعطاها هذه الصفة المهلكة التى بها كانت المعصية مع انه لم يقل احد من المسلمين ان النفس احدثت طبيعتها مع انه ايضا قول يبطله الحس والمشاهدة وضرورة العقل

(قال أبو محمد) وأما القائلون بالاصلح من المعتزلة فانهم انقطعوا هاهنا وقالوا لا ندرى ما معنى الاضلال ولا معنى الختم على قلوبهم ولا الطبع عليها وقال بعضهم معنى ذلك ان الله تعالى سماهم ضالين وحكم انهم ضالون وقال بعضهم معنى اضلهم اتلفهم كما تقول ضللت بعيري وهذه كلها دعاوى بلا برهان

(قال أبو محمد) لم نجد لهم تأويلا اصلا في قول الله عز وجل حكاية عن موسى عليه السلام انه قال * ان هى الا فتنتك تضل بها من تشاء *

(قال أبو محمد) وهذا هو الضلال حقا وهو ان يحملهم اللجاج والعمى فى لزوم أصل قد ظهر فساده وتقليد من لا خير فيه من اسلافهم على ان يدعوا انهم لا يعرفون ما معنى الاضلال والختم

الصفات وقال أن علمه وقدرته وجوده وحكمته بلا نهاية ولا يبلغ العقل ان يصفها ولو وصفها لكانت متناهية فالزم عليك انك تقول انها بلا نهاية ولا غاية وقد نرى الموجودات متناهية فقال انما تناهيها بحسب احتمال القوابل لا بحسب القدرة والحكمة والوجود ولما كانت المادة لم تحتمل صورا بلا نهاية فتناهت الصور لا من جهة بخل فى الواهب بل لقصور في المادة وعن هذا اقتضت الحكمة الالهية انها وان تناهت ذاتا وصورة وحيزا ومكانا الا انها لا تتناهى زمانا فى آخرها الا من نحو أولها وان لم يتصور بقاء شخص

والطبع والاكنة على القلوب وقد فسر الله كل ذلك تفسيراً جليا وأيضافانها الفاظ عربية معروفة المعاني فى اللغة التى نزل بها القرآن فلايحل لاحد صرف لفظة معروفة المعنى فى اللغة عن معناها الذى وضعت له فى اللغة التى بها خاطبنا الله تعالى فى القرآن الى معنى غير ماوضعت له الا أن يأتى نص قرآن أو كلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أواجماع من علماء الامة كلها على انها مصروفة عن ذلك المعنى الى غيره أو يوجب صرفها ضرورة حس أو بديهة عقل فيوقف حينئذ عندما جاء من ذلك ولم يأت فى هذه الالفاظ التى اضلهم الله تعالى فيها وخيرهم الشيطان عن فهمها نص ولا اجماع ولا ضرورة بانها مصروفة عن موضعها فى اللغة بل قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ميسر لما خلق له فبين عليه السلام أن الهدى والتوفيق هو تيسير الله تعالى للخير الذي له خلقه وان الخذلان تيسيره الفاسق للشر الذى له خلقه وهذا موافق للغة والقرآن والبراهين الضرورية العقلية ولما عليه الفقهاء والائمة المحدثون من الصحابة والتابعين ومن بعدهم وعامة المسلمين حاشا من أضله الله على علم من أتباع العيارين الخلعاء كالنظام وثمامة والعلاف والجاحظ

(قال أبو محمد) ونبين هذا أيضا بيانا طبيعيا ضروريا لاخفاء به بعون الله تعالى وتاييده على من له أدنى بصر بالنفس واخلاقها وقدرة الله تعالى فى اختراعها فنقول وبالله تعالى التوفيق ان الله عز وجل خلق نفس الانسان مميزة عاقلة عارفة بالاشياء على ماهى عليه فهمة بما تخاطب به وجعلها مامورة منهية فعالة منعمة معذبة ملتذة آلمة حساسة وخلق فيها قوتين متعاديتين متضادتين فى التاثير وهما التمييز والهوى كل واحدة منهما تريد الغلبة على اثار النفس فالتمييز هو الذى خص نفس الانسان والجن والملائكة دون الحيوان الذى لايكلف والذي ليس ناطقا والهوى هو الذى يشاركها فيه نفوس الجن والحيوان الذى ليس ناطقا من حب اللذات والغلبة

(قال ابو محمد) وهذه القوة فى كل الحيوان حاشا الملائكة فانما فيها قوة التمييز فقط ولذلك لم يقع منها معصية اصلا بوجه من الوجوه فاذا عصم الله النفس غلب التمييز بقوة من عنده هى له مددوعون فجرت افعال النفس على مارتب الله عز وجل فى تمييزها من فعل الطاعات وهذا هو الذى يسمى العقل واذا خذل جل وعز النفس امد الهوي بقوة هى الاضلال فجرت افعال النفس على مارتب الله عز وجل فى هواها من الشهوات وحب الغلبة والحرص والبغى والحسد وسائر الاخلاق الرذلة والمعاصى وقد قامت البراهين على ان النفس مخلوقة وكذلك جميع قواها المنتجة عن قوتيها الاولتين التمييز والهوى كل ذلك مخلوق مركب فى النفس مرتب على ماهو عليه فيها كل جار على طبيعته المخلوق لجرى كيفياته بها على ماهي عليه فاذ قد صح ان كل ذلك خلق الله تعالى فلا مغلب لبعض ذلك على بعض الا خالق الكل وحده لاشريك له وقد نص الله تعالى على ذم النفس جملة الا من رحمها الله تعالى وعصمها قال جل وعز * ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربى * فاخبر عز وجل بنص ماقلنا فصح ان المرحومة المستثناة لاتامر بسوء وبالله تعالى التوفيق قال الله تعالى * وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى . وذم الله تعالى الهوى فى غير ماموضع من كتابه وهذا نص ماقلنا وحسبنا الله ونعم الوكيل

فاقتضت الحكمة استيفاء الاشخاص ببقاء الانواع وذلك تجدد أمثالها ليستحفظ الشخص ببقاء النوع واستبقى النوع بتجدد الاشخاص فلايبلغ القدرة الى حد النهاية ولا الحكمة تقف على غاية ثم من مذهب سقراط ان أخص مايوصف به البارى تعالى هو كونه حياقيوما لان العلم والقدرة والجود والحكمة تندرج تحت كونه حيا والحياة صفة جامعة للكل والبقاء والسرمد والدوام تندرج تحت كونه قيوما والقيومية صفة جامعة للكل وربما يقول هو حى ناطق من جوهره أى من ذاته وحياتنا ونطقنا لا من

الكلام فى القضاء والقدر

(قال ابو محمد) ذهب بعض الناس لكثرة استعمال المسلمين هاتين اللفظتين الى ان ظنوا ان فيهما معنى الاكراه والاجبار وليس كما ظنوا وانما معنى القضاء في لغة العرب التى بها خاطبنا الله تعالى ورسوله صلي الله عليه وسلم وبها نتخاطب ونتفاهم مرادنا انه الحكم فقط ولذلك يقولون القاضى بمعنى الحاكم وقضى الله عز وجل بكذا أى حكم به ويكون أيضا بمعنى امر قال تعالى . وقضي ربك ألا تعبدوا إلا إياه * انما معناه بلا خلاف انه تعالى أمر أن لا تعبدوا إلا إياه ويكون أيضا بمعنى أخبر قال الله تعالى * وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين * بمعنى اخبرناه ان دابرهم مقطوع بالصباح وقال تعالى * وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا * أى أخبرناهم بذلك ويكون أيضا بمعنى أراد وهو قريب من معنى حكم قال الله تعالى * اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون * ومعنى ذلك حكم بكونه فكونه ومعنى القدر في اللغة العربية الترتيب والحد الذي ينتهى اليه الشيء تقول قدرت البناء تقديرا اذا رتبته وحددته قال تعالى * وقدر فيها اقواتها * بمعنى رتب اقواتها وحددها وقال تعالى * انا كل شيء خلقناه بقدر * يريد تعالى برتبة وحد فمعنى قضى وقدر حكم ورتب ومعنى القضاء والقدر حكم الله تعالى فى شيء بحمده أو ذمه وبكونه وترتيبه علي صفة كذا والى وقت كذا فقط وبالله تعالى التوفيق

الكلام فى البدل

(قال أبو محمد) قال بعض القائلين بالاستطاعة مع الفعل اذا سئل هل يستطيع الكافر ما امر به من الايمان أم لا يستطيعه فاجاب أن الكافر مستطيع للايمان على البدل بمعنى ان لا يتمادى فى الكفر لكن يقطعه ويبدل منه الايمان

(قال أبو محمد) والذى يجب أن يجيب به هو الجواب الذى بيناصحته بحول الله تعالي وقوته فى كلامنا فى الاستطاعة وهو أن تقول هو مستطيع فى ظاهر الامر بسلامة جوارحه وارتفاع موانعه غير مستطيع للجمع بين الايمان والكفر مادام كافرا ومادام لا يؤتيه الله جل وعز العون فاذا آتاه اياه تمت استطاعته وفعل ولا بد فان قيل فهو مكلف مامور قلنا نعم فان قيل أهو عاجز عما هو مامور به ومكلف أن يفعله قلنا وبالله التوفيق هو غير عاجز بظاهر بنيته لسلامة جوارحه وارتفاع الموانع وهو عاجز عن الجمع بين الفعل وضده مالم ينزل الله تعالى له العون فيتم ارتفاع العجز عنه ويوجد الفعل ولا بد وتقول ان العجز فى اللغة انما يقع على الممنوع بآفة علي الجوارح أو بمانع ظاهر الى الحواس والمامور بالفعل ليس فى ظاهر امره عاجزا اذ لا آفة فى جوارحه ولا مانع له ظاهرا وهو في الحقيقة عاجز عن الجمع بين الفعل وضده وبين الفعل وتركه وعن فعل مالم يؤته الله عونا عليه وعن تكذيب علم الله تعالى الذى لم يزل بانه لم يفعل الا ماسبق علمه تعالى فيه هذه حقيقة الجواب فى هذا الباب والحمد لله رب العالمين فان قيل فهو مختار لما يفعل قلنا نعم اختيارا صحيحا لا مجازا لانه مريد لكونه منه محب له مؤثر على تركه وهذا معنى لفظة الاختيار علي الحقيقة وليس مضطرا ولا مجبرا ولا مكرها لان هذه الفاظ فى اللغة لا تقع الا علي الكاره لما يكون منه فى هذه الحال وقد يكون المرء مضطرا مختارا مكرها فى حالة واحدة كانسان فى رجله اكلة لا دواء له الا بقطعها

جوهرنا ولهذا يتطرق الى حياتنا ونطقنا العدم والدثور والفساد ولا يتطرق ذلك الى حياته ونطقه تعالى وتقدس وحكى (فلوطرخيس) عنه فى المبادى انه قال أصول الاشياء ثلاثة وهى العلة الفاعلة والعنصر والصورة فالله تعالى هو الفاعل والعنصر هو الموضوع الاول للكون والفساد والصورة جوهر لا كون وقال الطبيعة امة للنفوس والنفس امة للعقل والعقل امة للمبدع الاول من أجل أن أول مبدع أبدعه المبدع الاول صورة العقل وقال المبدع لا غاية له ولا نهاية وما ليس له نهاية ليس له

فيامر اعوانه مختار الامره اياهم بقطعها او بحسمها بالنار بعد القطع ويامرهم بامساكه وضبطه وان لا يلتفتوا الي صياحه ولا الى أمره لهم بتركه اذا احس الالم ويتوعدهم على التقصير في ذلك بالضرب والنكال الشديد فيفعلون به ذلك فهو مختار لقطع رجله اذ لو كره ذلك كراهة تامة لم يكرهه أحد علي ذلك وهو بلا شك كاره لقطعها مضطر اليه اذ لو وجد سبيلا بوجه من الوجوه دون الموت الى ترك قطعها لم يقطعها وهو مجبر مكره بالضبط من أعوانه حتى يتم القطع والحسم اذ لو لم يضبطوه ويعسروه ويقهروه ويكرهوه ويجبروه لم يمكن من قطعها البتة وانما اتينا بهذا لئلا ينكر الجاهلون أن يكون أحد يوجد مختارا من وجه مكرها من وجه آخر عاجزا من وجه مستطيعا من آخر قادرا من وجه ممنوعا من آخر وبالله تعالى نتايد

الكلام في خلق الله عز وجل لافعال خلقه

(قال ابو محمد) اختلفوا في خلق الله تعالى لافعال عباده فذهب اهل السنة كلهم وكل من قال بالاستطاعة مع الفعل كالمريسى وابن عون والنجارية والاشعرية والجهمية وطوائف من الخوارج والمرجئة والشيعة الى ان جميع افعال العباد مخلوقة خلقها الله عز وجل في الفاعلين لها ووافقهم علي هذا موافقة صحيحة من المعتزلة ضرار بن عمرو وصاحبه ابو يحيى حفص الفرد وذهب سائر المعتزلة ومن وافقهم علي ذلك من المرجئة والخوارج والشيعة الى ان افعال العباد محدثة فعلها فاعلوها ولم يخلقها الله عز وجل علي تخليط منهم في مائية افعال النفس الا بشر بن المعتمر عطف فقال الا انه ليس شيء من افعال العباد الا ولله تعالى فيه فعل من طريق الاسم والحكم يريد بذلك انه ليس للناس فعل الا ولله تعالى فيه حكم بانه صواب أو خطأ ونسميه بانه حسن أو قبيح طاعة أو معصية

(قال ابو محمد) وقد ادى هذا القول الفاحش الملعون رجلا من كبار المعتزلة وهو عباد بن سليمان تلميذ هشام بن عمرو الفوطى الى ان قال ان الله تعالى لم يخلق الكفار لانهم ناس وكفر معا لكن خلق أجسامهم دون كفرهم

(قال ابو محمد) ويلزمه مثل هذا نفسه في المؤمنين وفي جميع الملائكة والجن لانه ليس الا مؤمن وكافر والمؤمن انسان وايمانه أو ملك وايمانه أو جني وايمانه وكفره فعلى قول هذا البائس السخيف لا يجوز ان يقال ان الله تعالى خالق من الناس ولا الجن ولا الملائكة سعيد بل يكون القول بهذا كذبا وحسبك بهذا القول خلافا للقرآن وللمسلمين وقال معمر والجاحظ ان افعال العباد كلها لا فعل لهم فيها وانما نسب اليهم مجازا لظهورها منهم وانها فعل الطبيعة حاشا الارادة فقط فانه لا فعل للانسان غيرها البتة

(قال ابو محمد) ومن تدبر هذا القول علم انه أقبح من قول جهم وجميع الجبرة لانهم جعلوا افعال العباد طبيعة اضطرارية كفعل النار للاحراق بطبعها وفعل الثلج للتبريد بطبعه وفعل السقمونيا في احدارها الصفراء بطبعها وهذه صفة الاموات لا صفة الاحياء المختارين واذا لم يبق على قول هذين الرجلين للانسان فعل الا الارادة فقد وجدنا الارادة لا يقدر الانسان علي صرفها ولا احالتها ولا على تبديلها بوجه من الوجوه وانما يظهر من المرء تبديل حركاته وسكونه واما ارادته فلا حيلة له فيها ونحن نجد كل قوى الآلة من الرجال

شخص وصورة وقال اللانهاية فى سائر الموجودات لو تحققت لكان لها صورة واقعة ووضع وترتيب وما تحقق له صورة ووضع وترتيب صار متناهيا فالموجودات ليست بلا نهاية والمبدع الاول ليس بذى نهاية ليس على انه ذاهب فى الجهات بلانهاية كما يتخيله الخيال والوم بل لا يرتقى اليه الخيال حتى يصفه بنهاية ولا نهاية فلانهاية له من جهة العقل اذ ليس يحده ولا من جهة الحس فليس يحده فهو ليس له نهاية فليس له شخص وصورة خيالية أو وجودية حسية أو عقلية تعالى وتقدس ومن مذهب (سقراط) ان النفوس

يحب وطء كل جميلة يستمتع بها لولا التقوى ويحب النوم عن الصلاة فى الليالى القارة والهواجر الحارة ويحب الاكل فى ايام الصوم ويحب امساك ماله عن الزكاة وانما ياتى خلاف مايريد مغالبة لارادته وقهرا لها واما صرفالها فلا سبيل له اليه فقد تم الاخبار صحيحا على قول هذين الرجلين وحسبنا الله ونعم الوكيل

(قال أبو محمد) والبرهان على صحة قول من قال ان الله تعالى خلق أعمال العباد كلها نصوص من القرآن و براهين ضرورية منتجة من بديهة العقل والحس لايغيب عنها الا جاهل وبالله تعالى التوفيق فمن النصوص قول الله عز وجل * هل من خالق غير الله

(قال أبو محمد) هذا كاف لمن عقل واتقى الله وقد قال لى بعضهم انما انكر الله تعالى ان يكون هاهنا خالق غيره يرزقنا كما فى نص الآية

(قال أبو محمد) وجواب هذا انه ليس كما ظن هذا القائل بل القضية قد تمت فى قوله غير الله ثم ابتدأ عز وجل بتعديد نعمه علينا فاخبرنا انه يرزقنا من السماء والارض وقال تعالى . فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم . وهذا برهان جلى على ان الدين مخلوق لله عز وجل وقال تعالى . والذين تدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا

(قال أبو محمد) ومنهم من يعبد المسيح وقالت الملائكة وصدقوا بل كانوا يعبدون الجن فصح ان كل ماعبدوه ومنهم المسيح والجن لايخلقون شيئا ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا فثبت يقينا انهم مصرفون مدبرون وان أفعالهم مخلوقة لغيرهم وقال تعالى . افمن يخلق كمن لا يخلق افلا تذكرون .

(قال ابو محمد) وهذا نص جلى على ابطال ان يخلق احد دون الله تعالى شيئا لانه لو كان هاهنا احد غيره تعالى يخلق لكان من يخلق موجودا جنسا فى حيز ومن لا يخلق جنسا آخر وكان الشبه بين من يخلق موجودا وكان من لا يخلق لا يشبه من يخلق وهذا الحاد عظيم فصح بنص هذه الآية ان الله تعالى هو يخلق وحده وكل من عداه لا يخلق شيئا فليس احد مثله تعالى فليس من يخلق وهو الله تعالى كمن لا يخلق وهو كل من سواه وقال تعالى . ولكل وجهة هو موليها . وهذا نص جلى من كذب به كفر وقد علمنا انه تعالى لم يأمر بتلك الوجهات كلها بل فيها كفر قد نهي الله عز وجل عنه فلم يبق اذ هو مولى كل وجهة الا انه خالق كل وجهة لا احد من الناس وهذا كاف لمن عقل و نصح نفسه ومنها قول الله عز وجل . هذا خلق الله فارونى ماذا خلق الذين من دونه . وهذا ايجاب لان الله تعالى خلق كل ما في العالم وان كل من دونه لايخلق شيئا اصلا ولو كان ههنا خالق لشىء من الاشياء غير الله تعالى لكان جواب هؤلاء المقررين جوابا قاطعا ولقالوا له نعم نريك افعالنا خلقتها من دونك ونعم هاهنا خالقون كثير وهم نحن لافعالنا وقوله عز وجل * أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شىء * وهذا بيان واضح لاخفاء به لان الخلق كله جواهر واعراض ولا شك فى انه لا يفعل الجواهر احد دون الله تعالى وانما يفعله الله عز وجل وحده فلم تبق الا الاعراض فلو كان الله عز وجل خالقا لبعض الاعراض ويكون الناس خالقين

الانسانية كانت موجودة قبل وجود الابدان على نحو من انحاء أما متصلة بكلها أو متمايزة بذواتها وخواصها فاتصلت بالابدان استكمالا واستدامة والابدان قوالبها وآلاتها فتبطل الابدان وترجع النفوس الى كليتها وعن هذا كان يخوف بالملك الذى حبسه انه يريد قتله قال ان سقراط فى حب والملك لايقدر الا على كسر الحب فالحب يكسر ويرجع الماء الى البحر ولسقراط أقاويل فى المسائل الحكمية والعلمية والعملية ومما اختلف فيه فيثاغورس وسقراط أن الحكمة قبل الحق أم الحق قبل الحكمة واوضح القول فيه بان الحق اعم من الحكمة الا انه قد يكون جليا وقد يكون خفيا واما الحكمة فهى أخص من

لبعضها لـكانوا شركاء فى الخلق ولكانوا قد خلقوا كبخلقه خلق اعراضا وخلقوا اعراضا وهذا تكذيب لله تعالى ورد للقرآن مجرد افصح انه لا يخلق شيئا غير الله عز وجل وحده والخلق هو الاختراع فالله مخترع افعالنا كسائر الاعراض ولا فرق فان نفوا خلق الله تعالى لجميع الاعراض لزمهم ان يقولوا انها افعال لغير فاعل أو انها فعل لمن ظهرت منه من الاجرام الجمادية وغيرها فان قالوا هى افعال لغير فاعل فهذا قول اهل الدهر نصا ويكلمون حينئذ بما يكلم به اهل الدهر وان قالوا انها افعال الاجرام كانوا قد جعلوا الجمادات فاعلة مخترعة وهذا باطل محال وهو ايضا غير قولهم فالطبيعة لا تفعل شيئا مخترعة له وانما الفاعل لما ظهر منها خالق الطبيعة المظهر منها ما ظهر فهو خالق الكل ولا بد ولله الحمد ومنها قوله تعالى . أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون. انه خلقنا وخلق العيدان والمعادن التى تعمل وهذا نص جلى على انه تعالى خلق اعمالنا وقد فسر بعضهم قوله تعالى والله خلقكم وما تعملون منها الاوثان

(قال ابو محمد) وهذا كلام سخيف دل على جهل قائله وعناده وانقطاعه لانه لا يقول احد فى اللغة التى بها خوطبنا فى القرآن وبها نتفاهم فيما بيننا ان الانسان يعمل العود والحجر هذا ما لا يجوز فى اللغة أصلا ولا فى المعقول وانما يستعمل ذلك موصولا فنقول عملت هذا العود صنما وهذا الحجر وثنا فانما بين تعالى خلقه الصنمية التى هي شكل الصنم ونص تعالي على ذلك بقوله تعالى اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون فانما عملنا النحت بنص الآية وبضرورة المشاهدة فهى التى عملنا وهى التى اخبرنا تعالى أنه خلقها

(قال ابو محمد) وقد ذكر عن كبير منهم وهو محمد بن عبد الله الاسكافى انه كان يقول ان الله تعالى لم يخلق العيدان ولا الطنابير ولا المزامير ولقد يلزم المعتزلة أن توافقه على هذا لان الخشبة لا تسمى عودا ولا طنبورا ولو حلف انسان لا يشترى طنبورا فاشترى خشبا لم يحنث وكذلك لو حلف أن لا يشترى خشبا فاشترى طنبورا لم يحنث ولا يقع فى اللغة علي الطنبور اسم خشبة وقال تعالي * خلق السموات والارض . فهى مخلوقة بنص القرآن وقد قال بعضهم انما قال تعالى . خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام فكانت اعمال الناس مخلوقة فى تلك الايام

(قال أبو محمد) لم ينف الله عز وجل ان يخلق شيئا بعد الستة أيام بل قد قال عز وجل يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق . وقال تعالى . ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين . فكان هذا كله فى غير تلك الستة الايام فاذ قد جاء النص بأن الله تعالى يخلق بعد تلك الايام أبدا ولا يزال يخلق بعد ناشئة الدنيا ثم لا يزال يخلق نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار أبدا بلا نهاية الان عموم خلقه تعالى للسموات والارض وما بينهما باق علي كل موجود وقال بعضهم لا نقول ان أعمالنا بين السماء والارض لانها غير مماسة للسماء والارض

(قال أبو محمد) وهذا عين التخليط لان الله تعالى لم يشترط المماسة فى ذلك وقد قال تعالى . والسحاب المسخر بين السماء والارض . فصح ان السحاب ليست مماسة للسماء

ولا

الحق الا انها لا تكون الا جلية فاذا الحق مبسوط فى العالم مشتمل على الحكمة المستفيضة فى العالم والحكمة موضحة للحق المبسوط فى العالم والحق ما به الشيء والحكمة ما لاجله الشىء ولبسقراط الغاز ورموز القاها الى تلميذه اذخانس وحلها فى كتاب فاذن ونحن نوردها مرسلة معقودة منها قوله عند ما فتشت عليه الحياة القيت الموت وعند ما وجدت الموت القيت الحياة الدائمة ومنها اسكت عن الضوضاء الذى فى الهواء وتكلم بالليالى حيث لا يكون اعشاش الخفافيش واسدد الخمس الكوى ليضيء مسكن العلة وأملا الوطاطيا وأفرغ على المثلث من القلاع الفارغة وأجلس على باب الكلام وأمسك مع الحذر اللحام الرخو لئلا يصعب فتري

للارض فهى اذا على قول هذا الجاهل غير مخلوقة ويلزمه أيضا ان يقول بقول معمر والجاحظ فى أن الله تعالى لم يخلق الالوان ولا الطعوم ولا الروائح ولا الموت ولا الحياة لان كل هذا غير مماس للسماء ولا للارض

(قال ابو محمد) وأما قول معمر والجاحظ ان كل هذا فعل الطبيعة فغباوة شديدة وجهل بالطبيعة ومعنى لفظ الطبيعة انما هى قوة الشىء تجرى بها كيفياته على ماهى عليه وبالضرورة نعلم ان تلك القوة عرض لا يعقل وكل ما كان مما لا اختيار له من جسم أو عرض كالحجارة وسائر الجمادات فمن نسب الى مايظهر منها انها أفعالها مخترعة لها فهو فى غاية الجهل وبالضرورة نعلم ان تلك الافعال خلق غيرها فيها ولا خالق هاهنا الا خالق الكل وهو الله لا اله الا هو

(قال أبو محمد) ومن بلغ ههنا فقد كفانا الله تعالى شانه لمجاهرته بالجهل العظيم والكفر المجرد فى موافقته أهل الدهر وتكذيبه القرآن اذ يقول الله تبارك وتعالى. الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا. وقوله تعالى. تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل. فاخبر تعالى ان تفاضلها فى الطعوم من فعله عزوجل نعوذ بالله مما ابتلاهم به وأقحمهم فيه وقال معمر معنى قوله تعالى. خلق الموت والحياة. انما معناه الاماتة والاحياء

(قال أبو محمد) فما زاد على انه أبدى تمام جهله بوجهين بينين أحدهما احالته النص من كلام ربه تعالى بلا دليل والثانى انه لم يزل عما الزمه لان الموت والحياة هما الاماتة والاحياء بلا شك لان الحياة والاحياء هو جمع النفس مع الجسد المركب الارضى والموت والاماتة شيء واحد وهو التفريق بين النفس والجسد المذكور فقط فاذا كان جمع النفس والجسد وتفريقهما مخلوقين لله تعالى فقد صح ان الموت والحياة مخلوقان له تعالى يقينا وبطل تمويه هذا المجنون

(قال أبو محمد) ومن النصوص القاطعة فى هذا قول الله تعالى. انا كل شىء خلقناه بقدر فلجا بعضهم الى دعوى الخصوص وذكر قول الله تعالى. تدمر كل شىء بامر ربها فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم. وقوله تعالى. وأوتيت من كل شيء. وقوله. ففتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما أوتوا

(قال أبو محمد) وكل هذا لا حجة لهم فيه لان قوله تعالى تدمر كل شىء بامر ربها بيان جلى على انها انما دمرت كل شىء أمرها الله تعالى بتدميره لا ما لم يأمرها فهو عموم لكل شيء أمرها به وقوله تعالى وأوتيت من كل شىء فمن للتبعيض فمن أتاه الله شيئا من الاشياء فقد أتاه من كل شىء لانه قد أتاه بعض الاشياء وأما قوله تعالى ففتحنا عليهم أبواب كل شىء فحق ونحن لا ندرى كيفية ذلك الفتح الا أننا ندرى أن الله تعالى صدق فيما قال وانه تعالى انما أتاهم بعض الاشياء التى فتح عليهم أبوابها ثم لو صح برهان فى بعض هذا العموم انه ليس على ظاهره وانما أريد به الخصوص لما وجب من ذلك ان يحمل كل عموم على خلاف ظاهره بل كل عموم فعلى ظاهره حتى يقوم برهان بانه مخصوص أو انه منسوخ فيوقف عنده ولا يتعدى بالتخصيص وبالنسخ الى ما لم يقم برهان بانه منسوخ أو مخصوص ولو كان غير هذا لما صحت

نظام الكواكب ولا تأكل الاسود الذئب ولا تجاوز الميزان ولا تستوطن النار بالسكين ولا تجلس على المكيال ولا تشم التفاحة وامت الحى يحيي بموته وكن قاتله بالسكين المرين أو غير المرين واحذر الاسود ذا الاربع ومن جهة العلة كن أرنبا وعند الموت لا تكن نملة وعند مايذكر دوران الحياة امت الميت ليكون ذا كرا وكن مقضضا ولا تكن صديق شرايطى ولا تكن مع اصدقائك قوسا ولا تنعس على باب اعدائك واثبت على ينبوع واحد متكئا على يمينك وينبغي أن تعلم انه ليس زمان من الازمنة يفقد فيه زمان الربيع وافحص عن ثلاث سبل فاذا لم تجدها فارض بان تنام لها نوم المستغرق واضرب الاترجة بالرمانة

حقيقة في شيء من أخبار الله تعالى ولا صحت شريعة أبداً لانه لايعجز أحد في أمر من أوامر الله تعالى وفي كل خبر من أخباره عز وجل ان يحمله على غير ظاهره وعلي بعض مايقتضيه عمومه وهذا عين السفسطة والكفر والحماقة ونعوذ بالله من الخذلان ولم يقم برهان على تخصيص قوله تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر

(قال أبو محمد) ومن ذلك قوله تعالى * ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا علي ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم *

(قال ابو محمد) فنص الله علي انه برأ المصائب كلها فهو بارىء لها والبارىء هو الخالق نفسه بلا شك فصح يقينا ان الله تعالى خالق كل شيء اذ هو خالق كل ما أصاب في الارض وفي النفوس ثم زاد تعالى بيانا برفع الاشكال جملة بقوله تعالى لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم فبين تعالى أن ما أصاب الاموال والنفوس من المصائب فهو خالقها وقد تكون تلك المصائب افعال الظالمين باتلاف الاموال وأذى النفوس فنص تعالي على أن كل ذلك خلق له تعالى وبه عز وجل التوفيق وأما من طريق النظر فان الحركة نوع واحد وكلما يقال على جملة النوع فهو يقال مقول علي أشخاص ذلك النوع ولابد فان كان النوع مخلوقا فاشخاصه مخلوقة وأيضا فلو كان في العالم شيء غير مخلوق لله عز وجل لكان من قال العالم مخلوق والاشياء مخلوقة وما دون الله تعالى مخلوق كاذب لان في كل ذلك عندهم ماليس بمخلوق ولكان من قال العالم غير مخلوق ولم يخلق الله تعالى الاشياء صادقا ونعوذ بالله تعالى من كل قول أدي الى هذا ونسألهم هل الله تعالى اله العالم ورب كل شيء أم لا فان قالوا نعم سئلوا اعموما او خصوصا فان قالوا بل عموما صدقوا ولزمهم ترك قولهم اذ من المحال أن يكون تعالى الها لما لم يخلق وان قالوا بل خصوصا قيل لهم ففي العالم اذا ماليس الله الها له وما لا رب له وان كان هذا فان من قال ان الله تعالى رب العالمين كاذب وكان من قال ليس الله الها للعالمين ولا ربا للعالمين صادقا وهذا خروج عن الاسلام وتكذيب لله تعالى في قوله انه رب العالمين وخالق كل شيء وقد وافقونا على أن الله تعالى خالق حركات المختارين من سائر الحيوان غير الملائكة والانس والجن وبالضرورة ندري الحركات الاختيارية كلها نوع واحد فمن المحال الباطل ان يكون بعض النوع مخلوقا وبعضه غير مخلوق

(قال أبو محمد) واعترضوا باشياء من القرآن وهي انهم قالوا قال الله عز وجل * فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا. وقال تعالى. لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله. وقال تعالى. فتبارك الله أحسن الخالقين. وقوله تعالي. وتخلقون افكا. وقوله تعالى * صنع الله الذى اتقن كل شيء. وقوله. الذي أحسن كل شيء خلقه. وقوله. ماتري في خلق الرحمن من تفاوت. واعترضوا باشياء من طريق النظر وهي ان قالوا ان كان الله تعالى خلق أعمال العباد فهو اذا يغضب مما خلق ويكره مافعل ويسخط فعله ولا يرضى ما فعل ولا مادبر وقالوا أيضا كل من فعل شيئا فهو مسمى به ومنسوب اليه لا يعقل غير ذلك فلو خلق الله الخطاء والكذب والظلم والكفر لنسب كل ذلك اليه تعالى الله عن ذلك وقالوا ايضا لا يعقل فعل واحد من فاعلين

هذا

واقتل العقرب بالصوم وان أحببت أن تكون ملكا فكن حمار وحش والبست التسعة باكمل من الواحد وبالاثنى عشر اقتنى اثنى عشر وازرع بالاسود واحصد بالابيض ولا تسلبن الاكاليل ولا تنهتكه ولا تقفن راضيا بعدمك للخير وأنت موجود ذلك لك في أربعة وعشرين مكانا وان سألك سائل أن تعطيه من هذا الغذاء فميزه وان كان مستحقا للغذاء المرى فاعطه وان احتاج الى غذاء يمينك فاصنعه لان اللون الذى يطلب ذاك من كمال الغذاء فهو للبالغين وقال يكفى من تاجج النار نورها وقال له رجل من أين لى هذا المشار اليه واحد فقال لانى أعلم أن الواحد بالاطلاق غير محتاج الى الثانى فمتى فرضته قريبا للواحد كنت

هذا فعله كله أو هذا فعله كله وقالوا أيضا انتم تقولون ان الله تعالى خلق الفعل وان العبدا كتسبه فاخبرونا عن هذا الاكتساب الذى انفرد به العبد أهو خلق أم هو غيره فان قلتم هو خلق الله لزمكم انه تعالى اكتسبه وانه مكتسب له اذا الكسب هو الخلق، وان قلتم ان الكسب هو غير الخلق وليس خلقا لله تعالي تركتم قولكم ورجعتم الى قولنا وقالوا أيضا اذا كانت أفعالكم مخلوقة لله تعالى وانتم تقولون انكم مستطيعون علي فعلها وعلي تركها فقد اوجبتم أنكم مستطيعون علي ان لا يخلق الله تعالى بعض خلقه وقالوا أيضا اذا كان فعلكم خلقا لله تعالى وعذبكم على فعلكم فقد عذبكم علي ما خلق وقالوا ايضا قد فرض الله علينا الرضا بما خلق فان كان الظلم والكفر والكذب مما خلق ففرض علينا الرضا بالكفر والظلم والكذب

(قال ابو محمد) هذه عمدة اعتراضاتهم التى لا يشذ عنها شىء من تفريعاتهم وكل ما ذكروا لا حجة لهم فيه على ما نبين ان شاء الله تعالى بعونه وتأييده ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فنقول وبالله تعالى نستعين أما قول الله تعالى * ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله * فلا حجة لهم فى هذا لان اول الآية فى قوم كتبوا كتابا وقالوا هذا من عند الله فاكذبهم الله تعالى فى ذلك واخبر انه ليس منزلا من عنده ولا مما امر به عز وجل ولم يقل هؤلاء القوم ان هذا الكتاب مخلوق فاكذبهم الله تعالى فى ذلك وقال تعالى ان ذلك الكتاب ليس مخلوقا لله تعالى فبطل تعلقهم بهذه الآية جملة ولا شك عند المعتزلة وعندنا فى ان ذلك الكتاب مخلوق لله تعالى لانه قرطاس او اديم ومداد وكل ذلك مخلوق بلا شك واما قوله تبارك وتعالى * الله احسن الخالقين * فقد علمنا ان كلام الله تعالى لا يتعارض ولا يتدافع * وقال تعالى * ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا * فاذ لا شك فى هذا فقد وجدناه تعالى انكر على الكافرين * فقال تعالى * ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شىء وهو الواحد القهار * فهذه الآية بينت ما تعلق به المعتزلة وذلك ان قوما جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فجعلوهم خالقين فانكر الله تعالى ذلك فعلى هذا خرج * قوله تعالى * تبارك الله أحسن الخالقين * كما قال تعالى * يكيدون كيدا واكيد كيدا * وقال * ومكروا ومكر الله * ويبين بطلان ظنون المعتزلة فى هذه الآية قول الله تعالى * ويوم يناديهم أين شركائى قالوا آذناك ما منا من شهيد * أفيكون مسلما من اوجب لله تعالى شركاء من اجل قول الله تعالى للكفار الذين جعلوا له شركاء أين شركائى ولا شك فى ان هذا الخطاب انما خرج جوابا عن ايجابهم له الشركاء تعالى الله عن ذلك وكذلك قوله تعالى * ذق انك انت العزيز الكريم * وقد علمنا ان كلام الله تعالى كله هو على حكم ذلك المعذب لنفسه فى الدنيا انه العزيز الكريم وقد علمنا بضرورة العقل والنص انه ليس لله تعالى شركاء وانه لا خالق غيره عز وجل وانه خالق كل شىء فى العالم من عرض او جوهر وبهذا خرج قوله تعالى * احسن الخالقين * مع * قوله تعالى * افمن يخلق كمن لا يخلق * فلو امكن ان يكون فى العالم خالق غير الله تعالى يخلق شيئا لما انكر ذلك عز وجل اذ هو عز وجل لا ينكر وجود الموجودات وانما ينكر الباطل فصح ضرورة لا شك فيها انه لا خالق غير الله تعالى فاذ لا شك فى هذا فليس فى قول الله تعالى احسن الخالقين اثبات لان فى العالم خالقا غير الله تعالى يخلق شيئا وبالله تعالى التوفيق واما قوله وتخلقون افكا وقوله تعالى عن المسيح عليه السلام

كواضع ما لا يحتاج اليه البتة الى جانب ما لا بد منه البتة وقال الانسان له مرتبة واحدة من جهة واحدة وثلاث مراتب من جهة هيئته وقال للقلب آفتان الغم والهم فالغم يعرض منه النوم والهم يعرض منه السهر وقال الحكمة اذا اقبلت خدمت الشهوات العقول واذا ادبرت خدمت العقول الشهوات وقال لا تكرهوا اولادكم على آثاركم فانهم مخلوقون لزمان غير زمانكم وقال ينبغى ان تغتم بالحياة وتفرح بالموت لانا نحيي لنموت ونموت لنحيى وقال قلوب المترفين فى المعرفة بالحقائق منابر الملائكة وبطون المتلذذين بالشهوات قبور الحيوانات الهالكة وقال للحياة حدان احدهما العمل والثانى الاجل فبالاول بقاؤها وبالآخر فناؤها وقال النفس الناطقة جوهر

انه قال * اني اخلق لـكم من الطين كهيئة الطير * وقول زهير بن ابي سلمى المزنى

وأراك تخلق ما فريت * وبعض القوم يخلق ثم لايفرى

فقـد قلنا ان كلام الله تعالى لايختلف وقد قال تعالي * أفمن يخلق كمن لا يخلق * وقال تعالى * ام اتخذوا من دون الله آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون * ويقين علم كل ذى عقل ان من جملة اولئك الآلهة الذين اتخذهم الـكفار الملائكة والجن والمسـيح عليه السلام قال تعالى * لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم . وقال الله تعالي حاكيا عن الملائكة انهم قالوا عن الـكفار * بل كانوا يعبدون الجن * فقـد صح يقينا بنص هذه الآية ان الملائكة والجن والمسيح عليه السلام لايخلقون شيئا اصلا ولا يختلف اثنان فى ان جميع الانس فى فعلهم كمن ذكرنا ان كانوا هؤلاء يخلقون افعالهم فسائر الناس يخلقون افعالهم وان كان هؤلاء لايخلقون شيئا من افعالهم فسائر الناس لا يخلقون شيئا من افعالهم فان ذلك وكلام الله عزوجل لايختلف فاذ لاشك فى هذا فاذ الخلق الذى اثبته الله عزوجـل للمسيح عليه السلام فى الطير ولـلكفار فى الافك هوغير الخلق الذى نفاه عنهم وعن جميع الخلق لايجوز البتة غير هذا فاذ هذا هو الحق بيقين فالخلق الذي اوجبه الله تعالى لنفسه ونفاه عن غيره هو الاختراع والابداع واحداث الشيء من لاشيء بمعنى من عدم الى وجود وأما الخلق الذى اوجبه الله تعالى فانما هو ظهور الفعل منهم فقط وانفرادهم به والله تعالى خالقه فيهم وبرهان ذلك ان العرب تسمى الـكذب اختلاقا والقول الـكاذب مختلقا وذلك القول بلاشك انما هو لفظ ومعنى واللفظ مركب من حروف الهجاء وقد كان كل ذلك موجود النوع قبل وجود اشخاص هؤلاء المختلقين وهذا كقوله عز وجل * أفرأيتم ماتحرثون أأنتم تزرعونه ام نحن الزارعون * وكقوله تعالى * فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى * فبيقين يدري كل ذى حس يؤمن بالله تعالي وبالقرآن ان الزرع والقتل والرمى الذى نفاه عن الناس وعن المؤمنين وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو غير الزرع والقتل والرمي الذى اضافه اليهم لايمكنه البتة غير ذلك لانه تعالى لايقول الا الحق فاذ ذلك كذلك قال الذى نفاه عمن ذكرنا هو خلق كل شيء واختراعه وابداعه وتكوينه واخراجه من عدم الى وجود والذى اوجب لهم منه ظهوره فيهم ونسبة ذلك كله اليهم كذلك فقط وبالله تعالى التوفيق وقول زهير . واراك تخلق ما فريت . لايشك من له اقل فهم بالعربية انه لم يعن الابداع ولا اخراج الخلق من عدم الى وجود وانما اراد النفاذ فى الامور فقط فقد وضح ان لفظة الخلق مشتركة تقع علي معنيين أحدهما لله تعالي لا لاحد دونه وهو الابداع من عدم الى وجود والثاني الكذب فيما لم يكن او ظهور فعل لم يتقدم لغيره او نفاذ فيما حاول وهذا كله موجود من الحيوان ولله تعالى خالق كل ذلك وبالله تعالى التوفيق وبهذا تتألف النصوص كلها واما قوله تعالي * صنع الله الذى اتقن كل شيء * فهو عليهم لا لهم لان الله تعالى اخبر ان بصنعه اتقن كل شيء وهذا علي عمومه وظاهره فالله تعالي صانع كل شيء واتقانه له ان خلقه جوهرا او عرضا جاريين علي رتبة واحـدة ابدا وهـذا عين الاتقان واما قوله تعالي * احسن كل شيء خلقه * فانهما قراءتان مشهورتان من قرآآت المسلمين احداهما احسن كل شيء خلقه باسكان اللام فيكون

بسيط ذو سبع قوى يتحرك بها حركة مفردة وحركات مختلفة فاما حركتها المفردة فاذا تحركت نحو ذاتها ونحو العقل واما حركتها المختلفة فاذا تحركت نحو الحواس الخمس واليونانيون بنوا ثلاثة ابيات على طوالع مقبولة احدها بيت بانطاكية على جبلها كانوا يعظمونه ويقربون القرابين فيه وقد خرب والثانى من جملة الاهرام التى بمصر بيت كانت فيه اصنام تعبد وهي التى نهاهم سقراط عن عبادتها والثالث بيت المقدس الذى بناه داود وابنه سليمان ويقال ان سليمان هو الذي بناه والمجوس يقول ان الضحاك بناه وقد عظمته اليونانيون تعظيم اهل الكتاب (رأى افلاطن الالهى ابن ارسطن بن ارسطوقليس) من آثينية وهو آخر المتقدمين الاوائل

خلقة بدلا من كل شيء بدل البيان فهذه القراءة حجة عليهم لان معناها ان الله تعالى احسن خلقه لكل شيء وصدق الله عزوجل وهكذا نقول ان خلق الله تعالى لكل شيء حسن والله تعالى محسن في كل شيء والقراءة الاخرى خلقه بفتح اللام وهذه ايضا لاحجة لهم فيها لانه ليس فيها ايجاب لان هاهنا شيئا لم يخلق الله عزوجل ومن ادعى ان هذا في اقتضاء الآية فقد كذب وانما يقتضي لفظة الآية ان كل شيء فالله خلقه كما في سائر الآيات والله تعالى احسنه اذ خلقه وهذا قولنا وكذا نقول ان الانسان لا يفعل شيئا الا الحركة او السكون والاعتقاد والارادة والفكر وكل هذه كيفيات واعراض حسن خلقها من الله عزوجل قد حسن رتبتها وايقاعها في النفوس والاجساد وانما قبح ماقبح من ذلك من الانسان لان الله تعالى سمى وقوع ذلك أو بعضها ممن وقعت منه قبيحا وسمى بعض ذلك حسنا كما كانت الصلاة الى بيت المقدس حركة حسنة ايمانا ثم سماها تعالى قبيحة كفرا وهذه تلك الحركة نفسها فصح انه ليس في العالم شيء حسن لعينه ولا شيء قبيح لعينه لكن ماسماه الله تعالى حسنا فهو حسن وفاعله محسن قال الله تعالى * ان احسنتم احسنتم لانفسكم * وقال تعالى * هل جزاء الاحسان الا الاحسان * وماسماه الله تعالى قبيحا فهو حركة قبيحة وقد سمى الله تعالى خلقه لكل شيء في العالم حسنا فهو كله من الله تعالى حسن وسمى ما وقع من ذلك من عباده كما شاء فبعض ذلك قبحه فهو قبيح وبعض ذلك حسنه فهو حسن وبعد ذلك قبحه ثم حسنه فكان قبيحا ثم حسنا وبعض ذلك حسنه ثم قبحه فكان حسنا ثم قبح كما صارت الصلاة الى الكعبة حسنة بعد ان كانت قبيحة وكذلك جميع افعال الناس التي خلقها الله تعالى فيهم كالوطء قبل النكاح وبعده وكسبي من نقض الذمة وسائر الشريعة كلها وقد اتفقت المعتزلة معنا على ان خلق الله تعالى للخمر والخنازير والحجارة المعبودة من دونه حسن بلا شك وهو سماه قبائح وارجاسا وحراما ونجسا وسيئا وخبيثا وهكذا القول في خلقه للاعراض في عباده ولا فرق وكذلك وافقنا اكثرهم على انه تعالى خلق فساد الدماغ والجنون المتولد منه والجذام والعمى والصمم والفالج والحدبة والادرة وكل هذا من خلق الله تعالى له حسن وكله فيما بيننا قبيح ردىء جدا يستعاذ بالله منه وقد نص الله تعالى على انه خلق المصائب كلها فقال عزوجل * ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير * فنص تعالى على أنه برأ المصايب كلها وبرأ هو خلق بلا خلاف من أحد ولا فرق بين الزامهم ايانا ان الله تعالى احسن الكفر والظلم والجور والكذب والقبائح اذ خلق كل ذلك وبين اقرارهم معنا ان الله تعالى قد احسن الخمر والخنازير والدم والميتة والعذرة وابليس وكل ماقال انا اله من دون الله تعالى والاوثان المعبودة من دون الله تعالى والمصايب كلها والامراض والعاهات اذ خلق كل ذلك فاي شيء قالوه في هذه الاشياء فهو قولنا في خلق الله تعالى للكفر به ولشتمه والظلم والكذب ولا فرق كل ذلك قد أحسن الله خلقه اذ حركة اوسكونا اوضميرا في النفس وسمي ظهوره من العبد قبيحا موصوفا به الانسان وأما قوله تعالى * ماترى في خلق الرحمن من تفاوت * فلاحجة لهم في هذا ايضاً لان التفاوت المعهود هو مانافر النفوس اوخرج عن المعهود فنحن نسمي الصورة المضطربة بان فيها تفاوتاً فليس هذا التفاوت الذي نفاه الله تعالي عن خلقه فاذ ليس هو هذا

الاساطين معروف بالتوحيد والحكمة ولد في زمان ازدشير ابن دارا في سنة ست عشر من ملكه كان حديثا متعلما يتلمذ لسقراط ولما اغتيل سقراط السم ومات قام مقامه وجلس على كرسيه قد اخذ العلم من سقراط وطيماوس والفريبين غريب اثينية وغريب الناطس وضم اليه العلوم الطبيعية والرياضية حكى عنه قوم ممن شاهده وتلمذ له مثل ارسطاطوليس وطيماوس وثاوفرسطوس انه قال ان للعالم محدثا مبدعا ازليا واجبا بذاته عالما بجميع معلوماته على نعت الاسباب الكلية كان في الاول ولم يكن في الوجود رسم ولا طلل الا مثال عند الباري وربما يعبر عنه بالعنصر والهيولى ولعله يشير الى صور المعلومات في علمه قال فابدع العقل الاول

الذى يسميه الناس تفاوتا فلم يبق الا ان التفاوت الذى نفاه الله تعالى عما خلق هو شيء غير موجود فيه البتة لانه لو وجد فى خلق الله تعالى تفاوتا لكذب قول الله عز وجل ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت ولا يكذب الله تعالى الا كافر فبطل ظن المعتزلة ان الكفر والظلم والكذب والجور تفاوت لان كل ذلك موجود فى خلق الله عز وجل مرئى فيه مشاهد بالعيان فيه فبطل احتجاجهم والحمد لله رب العالمين فان قال قائل فما هذا التفاوت الذى اخبر الله عز وجل انه لا يرى فى خلقه قيل لهم نعم وبالله التوفيق هو اسم لا يقع على مسمى موجود فى العالم اصلا بل هو معدوم جملة اذ لو كان شيئا موجودا فى العالم لوجد التفاوت فى خلق الله تعالى والله تعالى قد اكذب هذا واخبر انه لا يرى في خلقه ثم نقول وبالله تعالى التوفيق ان العالم كله ما دون الله تعالى وهو كله مخلوق لله تعالى اجسامه واعراضه كلها لا نحاشى شيئا منها ثم اذا نظر الناظر فى تقسيم انواع اعراضه وانواع اجسامه جرت القسمة جريا مستويا فى تفصيل اجناسه وانواعه بحدودها المميزة لها وفصولها المفرقة بينها على رتبة واحدة وهيئة واحدة الى ان يبلغ الى الاشخاص التى تلى أنواع الانواع لا تفاوت في شيء من ذلك البتة بوجه من الوجوه ولا تخالف فى شيء منه أصلا ومن وقف على هذا علم ان الصورة المستقبحة عندنا والصورة المستحسنة عندنا واقعتان معا تحت نوع الشكل والتخطيط ثم تحت نوع الكيفية ثم تحت اسم العرض وقوعا مستويا لا تفاضل فيه ولا تفاوت فى هذا بوجه من التقسيم وكذلك ايضا نعلم ان الكفر والايمان بالقلب واقعان تحت نوع الاعتقاد ثم تحت فعل النفس ثم تحت الكيفية والعرض وقوعا مستويا لا تفاضل فيه ولا تفاوت من هذا الوجه من التقسيم وكذلك ايضا نعلم ان الايمان والكفر باللسان واقعان تحت نوع قرع الهواء بآلات الكلام ثم تحت نوع الحركة وتحت نوع الكيفية وتحت اسم العرض وقوعا حقا مستويا لا تفاوت فيه ولا اختلاف وهكذا القول فى الظلم والانصاف وفى العدل والجور وفى الصدق والكذب وفي الزنا والوطء الحلال وكذلك كل ما فى العالم حتى يرجع جميع الموجودات الى الرؤس الاول التى ليس فوقها رأس يجمعها الا كونها مخلوقة لله تعالى وهى الجوهر والكم والكيف والاضافة على ما بينا فى كتاب التقريب والحمد لله رب العالمين فانتفى التفاوت عن كل ما خلق الله تعالى وعادت الآية المذكورة حجة على المعتزلة ضرورة لا منفك لهم عنها وهى انه لو كان وجود الكفر والكذب والظلم تفاوتا كما زعموا لكان التفاوت موجودا فى خلق الرحمن وقد كذب الله تعالى ذلك ونفى أن يرى فى خلقه تفاوت وأما اعتراضهم من طريق النظر بان قالوا انه تعالى ان كان خلق الكفر والمعاصى فهو اذا يغضب مما فعل ويغضب مما خلق ولا يرضى ما صنع ويسخط ما فعل ويكره ما يفعل وانه يغضب ويسخط من تدبيره وتقديره فهذا تمويه ضعيف ونحن لا ننكر ذلك اذ أخبرنا الله عز وجل بذلك وهو تعالى قد أخبرنا انه يسخط الكفر والظلم والكذب ولا يرضاه وانه يكره كل ذلك ويغضب منه فليس الا التسليم لقول الله تعالى نعم نعكس عليهم هذا السؤال نفسه فنقول لهم أليس الله خلق ابليس وفرعون والخمر والكفار فلا بد من نعم فنقول لهم أيرضى عز وجل عن هؤلاء كلهم أم هو ساخط لهم فلا بد من انه ساخط لهم كاره لهم غضبان عليهم غير راض

وبتوسطه النفس الكلي قد انبعثت عن العقل انبعاث الصورة فى المرآة وبتوسطها العنصر (ويحكى) عنه ان الهيولى التى هى موضوع الصور الحسية غير ذلك العنصر ويحكى عنه انه ادرج الزمان فى المبادي وهو الدهر واثبت لكل موجود مشخص فى العالم الحسى مثالا موجودا غير مشخص فى العالم العقلى يسمى ذلك المثل الافلاطونية فالمبادى الاول بسائط والمثل مبسوطات والاشخاص مركبات فالانسان المركب المحسوس جزئى ذلك الانسان المبسوط المعقول وكذلك كل نوع من الحيوان والنبات والمعادن قال والموجودات فى هذا العالم آثار الموجودات فى ذلك العالم ولا بد لكل اثر من مؤثر يشابهه نوعا من المشابهة قال

عنهم فنقول لهم هذا نفس ما انكرتم من انه تعالى سخط تدبيره وغضب من فعله وكره ما خلق ولعنه فان قالوا لم يكره عين الكافر ولا سخط شخص ابليس ولا كره عين الخمر لم نسلم لهم ذلك لانه تعالى قد نص على أنه تعالى لعن ابليس والكفار وانهم مسخوطون ملعونون مكروهون من الله تعالى مغضوب عليهم وكذا الخمر والاوثان وقال * انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه * وقال تعالى * ولحم خنزير فانه رجس . وقد سمى الله تعالى كل ذلك رجساً ثم امر بعد ذلك باجتنابه وأضاف كل ذلك الى عمل الشيطان ولا خلاف فى انه عز وجل خالق كل ذلك فهو خالق الرجس بالنص ولا فرق فى المعقول بين خلق الرجس وخلق الكفر والظلم والكذب وقوله تعالى . ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها . فعلى قول هؤلاء المخاذيل انه تعالى يغضب مما الهم ويكرهه والهامه فعله بلا شك ضرورة فقد صح عليهم ما شنعوا به من انه يغضب من فعله ايضا فيقال لهم هل الله تعالى قادر على منع الظالم من المظلوم وعلى منع الذين قتلوا رسل الله صلى الله عليه وسلم وعلى ان يحول بين الكافر وكفره وان يميته قبل ان يبلغ وبين الزانى وزناه باضعاف جارحته او بشىء يشغله به او تيسير انسان يطل عليهما ام هو عاجز عن ذلك كله قادر على شىء منه ولا سبيل الى قسم ثالث فان قالوا هو غير قادر على شيء من ذلك عجزوا ربهم وكفروا وابطلت اداتهم على احداث العالم اذا أضعفوا اقدرته عن هذا اليسير السهل وان قالوا بل هو قادر على ذلك كله فقد أقروا ايضا على انه تعالى رأى المنكر والكفر والزنا والظلم فاقره ولم يغيره وأطلق ايدى الكفار على قتل رسله وضربهم ومع اقراره لكل ذلك فلم يكتف بكل ذلك الاحتى قوام بجوارحهم وآلاتهم وكف كل مانع وهذا على قولهم انه رضا منه تعالى بالكفر واختيارا منه تعالى لكل ذلك وهذا كفر مجرد وأما انه يغضب مما أقر ويسخط مما أعان عليه ويكره ما فعل من اقرارهم على كل ذلك وهذا هو الذى شنعوا به لا بد من احد الوجهين ضرورة وكلاهما خلاف قولهم الا ان هذا لازم لهم على اصولهم ولا يلزمنا نحن شىء منه لاننا لا نقبح الا ما قبح الله تعالى ولا نحسن الا ما حسن الله تعالى فان قالوا انما اقره لينتقم منه وانما يكون سفها وعبثا لو اقره ابدا قيل لهم اى فرق بين اقراره تعالى الكفر والظلم والكذب ساعة وبين ابقائه اياه ساعة بعد ساعة وهكذا أبدا بلا نهاية او بنهاية فى الحسن والقبح والا فعرفونا الامد الذى يكون اقرار الكفر والكذب والظلم اليه حكمة وحسنا واذا تجاوزه صار عبثا وعيبا وسفها فان تكلفوا أن يحدوا فى ذلك حدا اتوا بالجنون والسخف والكذب والدعوى التى لا يعجز عنها احد وان قالوا لا ندرى وردوا الامر فى ذلك الى الله عز وجل صدقوا وهذا هو قولنا ان كل ما فعله الله تعالى من تكليف ما لا يطلق وتعذيبه عليها وخلقه الكفر والظلم فى الكافر والظالم واقراره كل ذلك ثم تعذيبهما عليه وخلقه الكفر وغضبه منه وسخطه اياه كل ذلك من الله تعالى حكمة وعدل وحق وممن دونه تعالى سفه وظلم وباطل لا يسال عما يفعل وهم يسالون واما قولهم ان من فعل شيئا وجب ان ينسب اليه ويسمى به نفسه وانه لا يعقل ولا يوجد غير هذا وايجابهم بهذا الاستدلال ان يسمى الله تعالى ظالما لانه خلق الظلم وكذلك من الكفر والكذب فهذا ينتقض عليهم من وجهين احدهما ان هذا تشبيه محض لانهم يريدون ان يحكموا على البارى تعالى بالحكم الموجود الجارى على

ولما كان العقل الانساني من ذلك العالم ادرك من المحسوس مثالا منتزعا من المادة معقولا يطابق المثال الذى فى عالم العقل بكليته ويطابق الموجود الذى فى عالم الحس بجزئيته ولولا ذلك لما كان لما يدركه العقل مطابقا مطابقا بلا من خارج فما يكون مدركا لشىء يوافق ادراكه حقيقة المدرك قال والعالم عالمان عالم العقل وفيه المثل العقلية والصور الروحانية وعالم الحس وفيه الاشخاص الحسية والصور الجسمانية كالمرآة المجلوة التى تنطبع فيها صور المحسوسات فان الصور فيها مثل الاشخاص كذلك العنصر فى ذلك العالم مرآت لجميع صور هذا العالم يتمثل فيه جميع الصور غير ان الفرق ان المنطبع فى المرآة الحسية صورة خيالية يرى انها موجودة يتحرك بحركة

خلقه ويقال لهم اذ لم تجدوا فاعلا فى الشاهد الاجسما ولاعالما الابعلم هوغيره ولاحيا الابحياة هى عرض فيه ولامخبرا عنه الاجسما اوعرضا ومالم يكن كذلك فهومعدوم ولا يتوهم ولايعقل ثم رأيتم البارى تعالى بخلاف ذلك كله ولم تحكموا عليه بالحكم فيما وجدتم فقد وجب ضرورة ان لايحكم عليه تعالى بالحكم علينا فى ان يسمي من افعاله ولافى ان ينسب اليه كما ينسب الينا بلاخلاف ذلك بالبرهان الضرورى وهو ان الله عز وجل خلق كل ماخلق من ذلك مخترعا له كيفية مركبة فى غيره فهكذا هو فعل الله تعالى فيما خلق واما فعل عباده لما فعلوا فانما معناه انه ظهر ذلك الفعل عرضا محمولا فى فاعله لانه اما حركة فى متحرك واما سكون فى ساكن اواعتقاد فى معتقد اوفكر فى متفكر اوارادة في مريد ولا مزيد فبين الامرين بون بائن لايخفى علي من له اقل فهم واما المدح والذم واشتقاق اسم الفاعل من فعله فليس كما ظنوا لكن الحق هو انه لايستحق احدمدحا ولاذما الامن مدحه الله تعالى اوذمه وقد أمرنا الله تعالى بحمده والثناء عليه فهوعزوجل محمود علي كل مافعله محبوب لذلك وأما من دونه تعالى فمن حمد الله تعالى فعله الذى أظهره فيه فهو ممدوح محمود ومن ذم عزوجل فعله الذى اظهره فيه فهومذموم ولامزيد وبرهان هذا اجماع اهل الاسلام على انه لايستحق الحمد والمدح الامن اطاع الله عز وجل ولا يستحق الذم الامن عصاه وقد يكون المرء مطيعا محمودا اليوم ممدوحا بفعله ان فعله اليوم وكافرا مذموما به ان فعله غدا كالحج فى اشهر الحج وفى غير اشهر الحج والصوم يوم الفطر والاضحى وصوم رمضان وكالصلاة في الوقت وقبل الوقت وبعد الوقت وكسائر الشرائع كلها وقد وجدنا فاعلا للكذب قائلا له وفاعلا للكفر قائلا به وهما غيرمذمومين ولايسمى واحد منهما كاذبا ولا كافرا وهما الحاكى والمكره فبطل ماظنت المعتزلة من انه كل من فعل الكذب فهو كاذب ومن فعل الكفر فهو كافر ومن فعل الظلم فهو ظالم وصح انه لايكون كاذبا ولا كافرا ولاظالما الامن سماه الله تعالى كافرا وكاذبا وظالما وانه لا كفر ولاظلم ولا كذب الاماسماه الله كفرا وكذبا وظلما وصح بالضرورة التى لامحيد عنها انه ليس فى العالم شيء محمود ممدوح لعينه ولامذموم لعينه ولا كفر لعينه ولاظلم لعينه واما مالايقع عليه اسم طاعة ولامعصية ولاحكمهما وهو الله تعالى فلايجوز ان يوقع عليه مدح ولاحمد ولاذم الابنص من قبله فنحمده كما امرنا ان نقول الحمد لله رب العالمين واما من دونه ممن لاطاعة تلزمه ولامعصية كالحيوان من غير الملائكة وكالحور العين والانس والجن وكالجمادات فلا يستحق حمدا ولاذما لان الله لم يامر بذلك فيها فان وجدله تعالى امر بمدح شيء منها او ذمه وجب الوقوف عند امره تعالى كامره تعالى بمدح الكعبة والمدينة والحجر الاسود وشهر رمضان والصلاة وغير ذلك وكامره تعالى بذم الخمر والخنزير والميتة والكنيسة والكفر والكذب ومأشبه ذلك واما ماعدا هذين القسمين فلا حمد ولا ذم وأما اشتقاق اسم الفاعل من فعله فكذلك أيضا ولافرق وليس لاحدان يسمى شيئا الابما أباحه الله تعالى فى الشريعة أوفى اللغة التى امرنا بالتخاطب بها وقد وجدناه تعالى اخبرنا بان له كيدا ومكرا ويمكر ويكيد ويستهزىء وينسى من نسيه وهذا لاتدفعه المعتزلة ولودفعته لكفرت لردها نص القرآن وهم مجمعون معنا على انه لايسمى باسم مشتق

من

الشخص وليس في الحقيقة كذلك فان المتمثل فى المرآة العقلية صور حقيقية روحانية هى موجودة بالفعل تحرك الاشخاص ولا تتحرك فنسبة الاشخاص اليها نسبة الصور فى المرآة الى الاشخاص فلها الوجود الدائم ولها الثبات القائم وهي تتمايز فى حقائقها تمايز الاشخاص فى ذواتها قال وانما كانت هذه الصور موجودة كلية باقية دائمة لان كل مبدع ظهرت صورته فى حد الابداع فقد كانت صورته فى علم الاول الحق والصور عنده بلانهاية ولولم تكن الصور معه فى ازليته فى علمه لم تكن لتبقى ولم تكن دائمة دوامها لكانت تدثر بدثور الهيولى ولو كانت تدثر مع دثور الهيولى لما كانت رجاء ولاخوف ولكن لما صارت الصور الحسية على رجا وخوف استدل على بقائها وانما تبقى اذا كانت لها صور

من ذلك فلا يقال ماكر من اجل ان له مكرا ولا انه كياد من اجل انه يكيد وان له كيدا ولا يسمى مستهزئا من اجل انه يستهزىء بهم فقد ابطل مااصلوه من ان كل فعل فانه يسمى منه وينسب اليه ولا يشغب هاهنا مشغب مع من لا يحسن المناظرة فيقول انما قلنا انه يكيد ويستهزىء ويمكر وينسى على المعارضة بذلك فانا نقول له صدقت ولم نخالفك فى هذا لكن الزمناك ان تسميه تعالى كيادا وماكرا ومستهزئا وناسيا على معنى المعارضة كما تقول فان ابي من ذلك وقال ان الله تعالى لم يسم بشىء من ذلك نفسه فقد رجع الى الحق ووافقنا فى ان الله تعالى لا يسمى ظالما ولا كافرا ولا كاذبا من اجل خلقه الظلم والكفر والكذب لانه تعالى لم يسم بذلك نفسه وان انكر ذلك تناقض وظهر بطلان مذهبه (قال ابو محمد) وقد وافقونا على ان الله تعالى خلق الخمر وحبل النساء ولا يجوز ان يسمى خمارا ولا محبلا وانه تعالى خلق اصباغ القماري والمداهد والحجل وسائر الالوان ولا يسمى صبغا وانه تعالى بنى السماء والارض ولا يسمى بناء وانه تعالى سقانا الغيث ومياه الارض ولا يسمي سقاء ولا ساقيا وانه تعالى خلق الخمر والخنازير وابليس ومردة الشياطين وكذلك كل سوء وسيء وخبيث ورجس وشر ولا يسمي من اجل ذلك مسيئا ولا شريرا فاى فرق بين هذا كله وبين ان يخلق الشر والظلم والكفر والكذب ومعاصي عباده ولا يسمى بذلك مسيئا ولا ظالما ولا كافرا ولا كاذبا ولا شريرا ولا فاحشا والحمد لله على مامن به من الهدى والتوفيق وهو المستزاد من فضله لا اله الا هو ويقال لهم ايضا انتم تقرون بانه خلق القوة التى بها يكون الكفر والظلم والكذب وهيأها لعباده ولا يسمونه من اجل ذلك مقويا على الكفر ولا معينا للكافر فى كفره ولا مسببا للكفر ولا واهبا للكفر وهذا بعينه هو الذى عبتم وانكرتم ويقال لهم ايضا اخبرونا عن تعذيبه اهل جهنم فى النيران أمحسن هو بذلك اليهم أم مسىء فان قالوا بل محسن اليهم قالوا الباطل وخالفوا اصلهم وسألناهم ان يسألوا الله عز وجل لانفسهم ذلك الاحسان نفسه وان قالوا انه مسىء اليهم كفروا به وان قالوا ليس مسيئا اليهم قلنا لهم فهم فى اساءة او فى احسان فان قالوا ليسوا فى اساءة كابروا العيان وان قالوا بل هم فى اساءة قلنا لهم هذا الذي انكرتم ان يكون منه تعالى اليهم حال هى غاية الاساءة ولا يسمى بذلك مسيئا واما نحن فنقول لهم انهم فى غاية المساءة والاساءة والسخط اليهم وعليهم وليس السخط احسانا الى المسخوط عليه وكذلك اللعنة للملعون وانه تعالى محسن على الاطلاق ولا نقول انه مسىء اصلا وبالله تعالى التوفيق والاصل فى ذلك ماقلناه من انه لا يجوز ان يسمى الله تعالى الا بما سمى به نفسه ولا يخبر عنه الا بما اخبر به عن نفسه ولا مزيد فان قالوا اذا جوزتم ان يفعل الله تعالى فعلا ماهو ظلم بيننا ولا يكون بذلك ظالما فجوزوا ان نخبر بالشىء على خلاف ماهو ولا يكون بذلك كاذبا وان لا يعلم مايكون ولا يكون بذلك جاهلا وان لا يقدر على الشىء ولا يكون بذلك عاجزا قيل لهم وبالله تعالى التوفيق هذا محال من وجهين احدهما اننا قد اوضحنا انه ليس فى العالم ظلم لعينه ولا بذاته البتة وانما الظلم بالاضافة فيكون قتل زيد اذا نهى الله عنه ظلما وقتله اذا أمر الله بقتله عدلا واما الكذب فهو كذب لعينه وبذاته فكل من اخبر بخبر بخلاف ماهو فهو كاذب الا انه لا يكون ذلك اثما ولا مذموما الا حيث اوجب الله تعالى فيه الاثم والذم فقط

عقلية فى ذلك العالم ترجو اللحوق بها وتخاف التخلف قال واذا اتفقت العقلاء ان حسا ومحسوسا وعقلا ومعقولا وشاهدنا بالحس جميع المحسوسات وهى محدودة محصورة بالزمان والمكان فيجب أن يشاهد بالعقل جميع المعقولات وهى غير محدودة ومحصورة بالزمان والمكان فيكون مثلا عقلية ومايثبته افلاطن موجودات محققة بهذا التقسيم قال انا نجد النفس تدرك امور البسائط والمركبات ومن المركبات انواعها واشخاصها ومن البسائط ماهى هيولانية وهى التى تعري عن الموضوع وهي رسوم الجزويات مثل النقطة والخط والسطح والجسم التعليمى قال وهذه اشياء موجودة بذواتها وكذلك توابع الجسم مفردة مثل الحركة والزمان والمكان والاشكال فانا نلخصها باذهاننا بسائط مرة ومركبة

وكذلك القول فى الجهل والعجز انهما جهل لعينه وعجز لعينه فكل من لم يعلم شيئا فهو جاهل به ولابد وكل من لم يقدر على شيء فهو عاجز عنه ولابد والوجه الثاني ان بالضرورة التى بها علمنا من نواة التمر لايخرج منها زيتونة وان الفرس لا ينتج جملا بها عرفنا ان الله تعالى لايكذب ولايعجز ولايجهل لان كل هذه من صفات المخلوقين عنه تعالى منفية الاما جاء نص بان يطلق الاسم خاصة من اسمائها عليه تعالى فيقف عنده وايضا فان اكثر المعتزلة يحقق قدرة الباري تعالى على الظلم والكذب ولايجيزون وقوعهما منه تعالى وليس وصفهم اياه عز وجل بالقدرة على ذلك بموجب امكان وقوعه منه تعالى فلاينكروا علينا ان نقول ان الله عز وجل فعل افعالا هي منه تعالى عدل وحكمة وهى منا ظلم وعبث وليس يلزمنا مع ذلك ان نقول انه يقول الكذب ويجهل فبطل هذا الالزام والحمد لله رب العالمين وايضا فانا لم نقل انه تعالى يظلم ولايكون ظالما ولا قلنا انه يكفر ولا يسمى كافرا ولاقلنا انه يكذب ولا يسمى كاذبا فيلزمنا ماأرادوا والزامنا اياه وانما قلنا انه خلق الظلم والكذب والكفر والشر والحركة والطول والعرض والسكون اعراضا في خلقه فوجب ان يسمي خالقا لكل ذلك كما خلق الجوع والعطش والشبع والرى والسمن والهزال واللغات ولم يجز ان يسمى ظالما ولا كاذبا ولا كافرا ولاشريرا كما لم يجز عندنا وعندهم ان يسمى من اجل خلقه لكل ماذكرناه متحركا ولاساكنا ولاطويلا ولاعريضا ولاعطشان ولا ريان ولاجائعا ولاشابعا ولاسمينا ولا هزيلا ولالغويا وهكذا كل ماخلق الله تبارك وتعالى فانما يخبر عنه بانه تعالى خالق له فقط ولايوصف بشيء مما ذكرنا الامن خلقه الله تعالى عرضا فيه واما قولهم لايفعل فعل من فاعلين هذا فعله كله وهذا فعله فان هذا تحكم ونقصان من القسمة اوقعهم فيها جهلهم وتناقضهم وقولهم انما يستدل بالشاهد على الغايب وهذا قول قد أفسدناه فى كتابنا فى الاحكام فى اصول الاحكام بحمد الله تعالى ونبين ههنا فساده بايجاز فنقول وبالله تعالي التوفيق انه ليس عن العقل الذي هو التمييز شيء غائب اصلا وانما يغيب بعض الاشياء من الحواس وكل مافى العالم فهو مشاهده فى العقل المذكور لان العالم كله جوهر حامل وعرض محمول فيه وكلاهما يقتضى خالقا أولا واحدا لايشبهه شيء من خلقه فى وجه من الوجوه فان كانوا يعنون بالغائب البارى عز وجل فقد لزمه تشبيهه بخلقه اذ حكموا بتشبيه الغائب بالحاضر وفى هذا كفاية بل مادل الشاهد كله الا ان الله تعالى بخلاف كل من خاق من جميع الوجوه وحاشا الله ان يكون جل وعز غائبا عنا بل هو شاهد بالعقل كما نشاهد بالحواس كل حاضر ولافرق بين صحة معرفتنا به عز وجل بالمشاهدة بضرورة العقل وبين صحة معرفتنا لسائر مانشاهده ثم نرجع ان شاء الله تعالى الى انكارهم فعلا واحدا من فاعلين فنقول وبالله تعالى التوفيق انما امتنع ذلك فيما بيننا فى الاكثر لا على العموم لما شاهدناه من انه لاتكون حركة واحدة فى الاغلب لمتحركين ولا اعتقاد واحد لمعتقدين ولا ارادة واحدة لمريدين ولا فكرة واحدة لمفتكرين ولكن لو اخذ اثنان سيفا واحدا او رمحا واحدا فضربا به انسانا فقطعاه او طعناه به لكانت حركة واحدة غير منقسمة لمتحركين بها وفعلا واحدا غير منقسم لفاعلين هذا امر يشاهد بالحس والضرورة وهذا منصوص فى القرآن من انكره كفر وهو ان القراءة المشهورة عند المسلمين * انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا * وليهب لك غلاما زكيا كلا القراءتين

اخرى ولها حقائق فى ذواتها من غير حوامل ولا موضوعات ومن البسائط ماليست هى هيولانية مثل الوجود والوحدة والجوهر والعقل يدرك القسمين جميعا متطابقين عالمين متقابلين عالم العقل وفيه المثل العقلية التى تطابقها الاشخاص الحسية وعالم الحس وفيه المتمثلات الحسية التى تطابقها المثل العقلية فاعيان ذلك العالم آثار في هذا العالم واعيان هذا العالم آثار فى ذلك العالم وعليه وضع الفطرة والتقدير ولهذا الفصل شرح وتقرير وجماعة المشائين وارسطوطاليس لا يخالفونه فى هذا المعنى الكلى الا انهم يقولون هو معنى فى العقل موجود فى الذهن والكلى من حيث هو كلى لا وجود له فى الخارج عن الذهن اذ لا يتصور ان يكون شيء واحد ينطاق على زيد

بنقل

بنقل الكواف عن رسول الله ﷺ عن جبريل صلى الله عليه وسلم فاذا قرئت بالهمز فهو اخبار جبريل رسول الله ﷺ الروح الامين انه هو الواهب لها عيسي عليه السلام واذا قرئت بالياء فهو من اخبار جبريل عن الله عز وجل بان الله تعالى هو الواهب لها عيسي عليه السلام فهذا فعل من فاعلين نسب الى الله عزوجل الهبة لانه تعالى هو الخالق لتلك الهبة ونسبت الهبة ايضا الي جبريل لانه منه ظهرت اذ أتى بها وكذلك قوله عزوجل * ومارميت اذرميت ولكن الله رمى * فاخبر تعالى انه رمى وان نبيه رمى فاثبت تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم الرمى ونفاه عنه معا وبالضرورة ندرى ان كلام الله عزوجل لايتناقض فعلمنا ان الرمى الذي نفاه الله عزوجل عن نبيه صلى الله عليه وسلم هو غير الرمي الذى أثبته له لايظن غير هذا مسلم البتة فصح ضرورة ان نسبة الرمى الى الله عزوجل لانه خلقه وهو تعالى خالق الحركة التى هى الرمي ومحض الرمية وخالق مسير الرمي وهذا هو المنفى عن الرامي وهو النبي صلى الله عليه وسلم وصح ان الرمى الذى اثبته الله عزلجل لنبيه صلى الله عليه وسلم هو ظهور حركة الرمى منه فقط وهذا هو نص قولنا دون تكلف وكذلك قوله تعالى * فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم * والقول فى هذا كالقول فى الرمي ولافرق وكذلك قوله تعالى * زينا لكل امة عملهم * وقوله تعالى * فزين لهم الشيطان ماكانوا يعملون * ضرورة ان تزيين الله لكل أمة عملها انما هو خلقه لمحبة أعمالهم فى نفوسهم وان تزيين الشيطان لهم أعمالهم انما هو بظهور الدعاء اليها وبوسوسة وقال تعالى حاكيا عن عيسى عليه السلام انه قال . اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وابرىء الاكمه والابرص واحيي الموتي باذن الله . افليس هذا فعلا من فاعلين من الله تعالى ومن المسيح عليه السلام بنص الآية وهل خالق الطير ومبرىء الاكمه والابرص الا الله وقد اخبر عيسى اذ يخلق ويبرىء فهو فعل من فاعلين بلاشك وقال عزوجل مخبرا عن نفسه انه يحيي ويميت وقال عيسى عليه السلام عن نفسه واحيي الموتي باذن الله فبالضرورة نعلم ان الميت الذى أحياه عليه السلام والطير الذى خلق بنص القرآن فان الله تعالى احياه وخلقه وعيسى عليه الصلاة والسلام احياه وخلقه بنص القرآن فهذا كله فعل من فاعلين بلاشك وبالله تعالى التوفيق وهكذا القول فى قوله تعالى وأحلوا قومهم دار البوار جهنم . وقد علمنا يقينا ان الله تعالي هو الذى أحلهم فيها بلاشك لكن لما ظهر منهم السبب الذى حلوا به دار البوار أضيف ذلك اليهم كما قال تعالى عن إبليس . كما اخرج ابويكم من الجنة . وقد علمنا يقينا ان الله تعالى هو اخرجهما واخرج ابليس معهما لكن لما ظهر من ابليس السبب فى خروجهما اضيف ذلك اليه وكما قال تعالي . لتخرج الناس من الظلمات الى النور . فنقول ان محمدا صلى الله عليه وسلم اخرجنا من الظلمات الى النور وقد علمنا ان المخرج له عليه السلام ولنا هو الله تعالى لكن لما ظهر السبب فى ذلك منه عليه السلام اضيف الفعل اليه فهذا كله لايوجب الشركة بينهم وبين الله تعالى كما زعمه المعتزلة وكل هذا فعل من فاعلين وكذلك سائر الافعال الظاهرة من الناس ولافرق وقال تعالى * انما نملي لهم ليزدادوا اثما وقال تعالى . واملى لهم ان كيدي متين * وقال تعالى . الشيطان سول لهم واملى لهم . فعلمنا ضرورة ان إملاء الله تعالى انما هو تركه اياهم دون تعجيل عقاب بل بسط لهم من الدنيا ومدلهم من العمر

وعمرو وهو فى نفسه واحد وافلاطن يقول ذلك المعنى الذى اثبته في العقل يجب ان يكون له شيء يطابقه فى الخارج فينطبق عليه وذلك هو المثال الذى في العقل وهو جوهر لاعرض اذ تصور وجوده لا فى موضوع وهو متقدم على الاشخاص الجزئية تقدم العقل على الحس وهو تقدم ذاتي وشرفي معا وتلك المثل مبادى الموجودات الحسية منها بدأت واليها تعود ويتفرع على ذلك ان النفوس الانسانية هى متصلة بالابدان اتصال تدبير وتصرف وكانت هي موجودة قبل وجود الابدان وكان لها نحو من من انحاء الوجود العقلى وتمايز بعضها عن بعض تمايز الصور المجردة عن المواد بعضها عن بعض وخالفه فى ذلك تلميذه ارسطوطاليس ومن بعده

ماكان لهم عونا على الكفر والمعاصى وعلمنا ان إملاء الشيطان انما هو بالوسوسة وانساء العقاب والحض لهم على المعاصى وقال تعالى * افرأيتم ماتحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون . فهذا فعل من فاعلين ضرورة نسب الى الله تعالى لانه اخترعه وخلقه وأنماه ونسب الينا لاننا حركنا فى زرعه فظهرت الحركة المخلوقة فينا فهذه كلها افعال خلقها الله تعالى واظهرها فى عباده فقط وبالله تعالى تأيد

(قال ابو محمد) وتحقيق هذا القول فى الافعال هو ان الله سبحانه وتعالى خلق كل ماخلق قسمين فقط جوهرا حاملا وعرضا محمولا ناطقا وغير ناطق فغير الحى هو الجماد كله والناطق هو الملائكة وحور العين والجن والانس فقط وغير الناطق هو كل ماعدا ذلك من الحيوان ثم خلق تعالى فى الجمادات وفى الحى غير الناطق وفى الحى الناطق حركة وسكونا وتأثيرا قد ذكرناه آنفا فالفلك يتحرك والمطر ينزل والوادى يسيل والجبل يسكن والنار تحرق والثلج يبرد وهكذا فى كل شيء وبهذا جاء القرآن وجميع اللغات قال تعالى * تلفح وجوههم النار * وقال تعالى فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا * وقال تعالى * فاما الزبد فيذهب جفاء وأما ماينفع الناس فيمكث فى الارض * وقال تعالى * والفلك تجرى في البحر بامره والفلك تجرى فى البحر بما ينفع الناس . ومثل هذا كثير جدا وبهذا جاءت اللغات فى نسبة الافعال الظاهرة فى الجمادات اليها لظهورها فيها فقط لا يختلف لغة فى ذلك وقال تعالى حاكيا عن ابراهيم عليه السلام انه قال . اجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام رب انهن اضللن كثيرا من الناس . فاخبر ان الاصنام تضل وقال تعالى . تذروه الرياح وهذا اكثر من ان يحصى والاعراض ايضا تفعل كما ذكرنا قال عز وجل . والعمل الصالح يرفعه وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم ارداكم . فالظن يردى والعمل يرفع ولم تختلف أمة فى صحة القول أعجبنى عمل فلان وسرني خلق فلان ومثل هذا كثير جدا وقد وجدنا الحر يحلل ويصعد والبرد يجمد ومثل هذا كثير جدا وقد بيناه والكل خلق الله عز وجل وأما حركة الحى غير الناطق والحى الناطق وسكونهما وتأثيرهما فظاهر أيضا ثم خلق الله سبحانه وتعالى في الحى غير الناطق وفى الحى الناطق قصدا ومشيئة لم يخلق ذلك فى الجماد كارادة الحيوان الرعى وتركه والمشى وتركه والاكل وتركه وما أشبه هذا ثم خلق تعالى فى الحى الناطق تمييزا لم يخلقه فى الحى غير الناطق ولا فى الجماد وهو التصرف فى العلوم والمعارف هذا كله امر مشاهد وكل ذلك خلق الله تعالى فيما خلقه فيه ونسب الفعل فى كل ذلك الى من أظهره الله تعالى منه فقط فخلق تعالى كما ذكرنا فى الحى الناطق الفعل والاختيار والتمييز وخلق فى الحى غير الناطق الفعل والاختيار فقط وخلق فى الجماد الفعل فقط وهو الحركة والسكون والتأثير كما ذكرنا وبالجملة فلا فرق بين من كابر وجاهر فانكر فعل المطبوع بطبعه وقال ليس هو فعله بل هو فعل الله تعالى فيه فقط وبين آخر جاهر وكابر فانكر فعل المختار باختياره وقال ليس هو فعله بل هو فعل الله تعالى فيه فقط وكلا الامرين محسوس بالحس معلوم باول العقل وضرورته انه فعل لما ظهر منه ومعلوم كل ذلك بالبرهان الضرورى انه خلق الله تعالى فى المطبوع وفى المختار فان فروا الى القول بان الله تعالى لم يخلق فعل المختار وانه فعل المختار فقط قلنا قد بينا بطلان هذا قبل ولكن نعارضكم هاهنا بامن منكم من يقول بان الله تعالى أيضا لم يخلق فعل المطبوع وانه فعل المطبوع

فقط

من الحكماء وقالت اى النفوس حدثت مع حدوث الابدان وقد رأيت فى كلام ارسطوطاليس كما يأتى حكايته انه ربما يميل الى مذهب افلاطن فى كون النفوس موجودة قبل وجود الابدان الا أن نقل المتأخرون ما قدمنا ذكره وخالفه ايضا فى حدوث العالم فان افلاطن يخيل وجود حوادث لا اول لها لانك اذا قلت حادث فقد اثبت الاولية لكل واحد ومتى ثبت لكل واحد ثبت للكل وقال ان صورها الابد وان تكون حادثة لكن الكلام فى هيولاها وعنصرها فاثبت عنصرا قبل وجودها فظن بعض العقلاء انه حكم عليه بالازلية والقدم وهو اذا اثبت واجب الوجود لذاته واطلق لفظ الابداع على العنصر فقد اخرجه

فقط كمعمر وغيره من كبار المعتزلة فان قالوا اخطأ من قال هذا وكفر قلنا لهم وأخطأ أيضا وكفر من قال ان افعال المختار لم يخلقها الله تعالى ولا فرق فان قالوا ان الله تعالى هو خالق الطبيعة والمطبوع الذين ينسبون الفعل اليهما فهو خالق ذلك الفعل قلنا لهم والله عزوجل ايضا هو خالق المختار وخالق اختياره وخالق قوته وهم الذين ينسبون الفعل اليهم فهو عز وجل خالق ذلك الفعل ولا فرق

قال ابو محمد ❊ وهذا الذى ذكرنا من اضافة التأثير وجميع الافعال الى كل من ظهرت منه من جماد أو عرض أو حى أو ناطق أو غير ناطق فهو الذى تشهد به الشريعة وبه جاء القرآن والسنن كلها وبه تشهد البينة لانه امر محسوس مشاهد وبه تشهد جميع اللغات من جميع أهل الارض قاطبة لانقول لغة العرب فقط بل كل لغة لا نحاشى شيئا منها وما كان هكذا فلا شىء أصح منه فان قالوا تسمون الجماد والعرض كاسبا قلنا لا لانا لا نتعدي ماجاءت به اللغة من أحال اللغة التى بها نزل القرآن برأيه فقد دخل فى جملة من قال الله تعالى فيه * يحرفون الكلم عن مواضعه * ولحق بالسوفسطائية فى ابطالهم التفاهم ولو جاءت اللغة بذلك لقلناه كما نقول ان الله عزوجل فاعل ذلك ولا نسميه كاسبا فان قيل اتقولون ان الجمادات والعرض عامل قلنا نعم لان اللغة جاءت بذلك وبه نقول الحديد يعمل والحر يعمل فى الاجسام وهكذا في غير ذلك فان قيل اتقولون للجماد والعرض استطاعة وقوة وطاقة وقدرة قلنا انما نتبع اللغة فقط فنقول ان الجمادات والاعراض قوى يظهر بها ماخلق الله تعالى فيها من الافعال وفيها طاقة لما ولا نقول فيها قدرة ولا نمنع من ان نقول فيها طاقة قال الله تعالى * وانزلنا الحديد فيه باس شديد * فنقول الحديد ذو باس شديد وذو قوة عظيمة وذو طاقة وقد قلنا لكم لا نتعدى فى التسمية والعبارة جملة ماجاءت به اللغة ولا نتعدى فى تسمية الله تعالى والخبر عنه ماجاء به القرآن ونص عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا هو الذى صح به البرهان وماعداه فباطل وضلال وبالله تعالى التوفيق واما اعتراضهم بهل الخلق هو الكسب أو غيره فنعم كسبنا لما ظهر منا وبطن وكل صنعنا وجميع اعمالنا وافعالنا لذلك هو خلق الله عزوجل فينا كما ذكرنا لان كل ذلك شيء وقال تعالى * انا كل شيء خلقناه بقدر * ولكننا لا نتعدى باسم الكسب حيث اوقعه الله تعالى مخبرا لنا باننا نجزى بما كسبت ايدينا وبما كسبنا فى غير موضع من كتابه ولا يحل ان يقال انه كسب لله تعالى لانه تعالى لم يقله ولا اذن فى قوله ولا يحل ان يقال أنها خالق لنا لان الله تعالى لم يقله ولا اذن فى قوله لكن نقول هى خلق لله كما نص على انه خالق كل شيء ونقول هى كسب لنا كما قال تعالى * لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت * ولا نسميه فى الشريعة ولا فيما يخبر به عن الله عز وجل لان الله خالق الالسنة الناطقة بالاسماء وخالق الاسماء وخالق المسميات حاشاه تعالى وخالق الهواء الذى ينقسم على حروف الهجاء فتتركب منها الاسماء فاذا كانت الاسماء مخلوقة لله والمسميات دونه تعالى مخلوقة لله عزوجل والمسمون الناطقون بالاسماء مخلوقين لله عز وجل فليس لاحد ايقاع اسم على مسمى لم يوقعه الله تعالي عليه فى الشريعة او اباح ايقاعه عليه باباحته الكلام باللغة التى امرنا الله عز وجل بالتفاهم بها وبان نتعلم بها ديننا ونعلمه

عن الازلية بذاته بل يكون وجوده بوجود واجب الوجود كسائر المبادى التى ليست زمانية ولا وجودها ولا حدوثها حدوث زماني والمركبات حدوثها بوسائط البسائط حدوث زماني وقال ان العالم لا يفسد فسادا كليا ويحكي عنه فى سؤاله عن طيماوس ما الشيء لا حدوث له وما الشيء الحادث وليس بباق وما الشيء الموجود بالفعل وهو ابدا بحال واحد وانما يعنى بالاول وجود الباري وبالثانى وجود الكائنات الفاسدات التى لا تثبت على حالة واحدة وبالثالث وجود المبادى والبسائط التى لا يتغير ومن اسئلته ما الشيء الكائن ولا وجود له وما الشيء الموجود ولا كون له يعنى بالاول الحركة المكانية والزمان لانه لم يؤهله لاسم الوجود ويعنى بالثانى الجواهر العقلية

بها وقد نص تعالى على هذا القول منكرا على قوم اوقعوا اسماء على مسميات لم ياذن الله تعالى بها ولا بايقاعها عليها * ان هى الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى ام للانسان ما تمنى * فاخبر عز وجل ان من أوقع اسما على مسمى لم يات به نص بايجابه أو بالاذن فيه بالشريعة أو بجملة اللغة فانما يتبع الظن والظن اكذب الحديث وانما يتبع هواه وقد حرم الله تعالى اتباع الهوى واخبر تعالى ان الهدى قد جاء من عنده وقال تعالى * وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة * فليس لاحد أن يتعدى القرآن والسنة اللذين هما هدي الله عز وجل وبه التوفيق فصح ضرورة انه ليس لاحد أن يقول ان افعالنا خلق لنا ولا انها كسب لله عز وجل ولكن الحق الذى لا يجوز خلافه هو انها خلق لله تعالى كسب لنا كما جاء في هدي الله الذى هو القرآن وقد بينا أيضا ان الخلق هو الابداع والاختراع وليس هذا لنا اصلا فافعالنا ليست خلقا لنا والكسب انما هو استضافة الشيء الى جاعله اوجامعه بمشيئة له وليس يوصف الله تعالى بهذا فى افعالنا فلا يجوز ان يقال هي كسب له تعالى وبه نتايد وايضا فقد وافقونا كلهم على تسمية البارى تعالى بانه خالق للاجسام وكلهم حاشا معمر او عمرو بن بحر الجاحظ موافقون لنا على تسمية البارى تعالى بانه خالق للاعراض كلها حاشا افعال المختارين وكلهم ومعمر والجاحظ ايضا موافقون لنا على تسمية البارى تعالى بانه خالق الاماتة والاحياء وكلهم موافقون لنا على انه تعالى انما سمى خالقا لكل ما خلق لابداعه اياه ولم يكن قبل ذلك فاذا ثبت بالبرهان اختراعه تعالى لسائر الاعراض التى خالفونا فيها وجب ان يسمى خلقا له عز وجل ويسمى هو تعالى خالقا لها واما اعتراضهم بانه اذا كانت افعالنا خلقا لله تعالى وكان متوهما منا ومستطاعا عليه فى ظاهر امرنا بسلامة جوارحنا ان لا تكون تلك الافعال فقد ادعينا اننا مستطيعون فى ظاهر الامر بسلامة الجوارح وانه متوهم منا منع الله من ان يخلقها وهذا كفر مجرد ممن اجازه

(قال ابو محمد) وهذا لازم للمعتزلة على الحقيقة لا لنا لانهم القائلون انهم يقدرون ويستطيعون على الحقيقة على ترك افعالهم وعلى ترك الوطء الذى قد علم الله تعالى انه لابد ان يكون وان يخلق منه الولد وعلى ترك الضرب الذى قد علم الله انه لابد ان يكون وانه يكون منه الموت وانقضاء الاجل المسمى عنده وعلى ترك الحرث والزرع الذي قد علم الله تعالى انه لابد ان يكون وان يكون منه النبات الذى تكون منه الاقوات والمعاش فيلزمهم ولابد انهم قادرون على منع الله تعالى مما قد علم وقال انه سيفعل

❋ قال ابو محمد ❋ ومن بلغ ههنا فلابد ان يرجع اما تائبا محسنا الى نفسه أو خاسئا غاويا مقلدا منقطعا أو يتمادى على طرد قوله فيكفر ولابد مع خلافه لضرورة الحس والمشاهدة وضرورة العقل والقرآن وبالله تعالى التوفيق واما نحن فجوابنا هاهنا اننا لم نستطع قط على فعل ما لم يعلم الله اننا سنفعله ولا على ترك ما علم اننا نفعله ولا على فسخ علم الله تعالى أصلا ولا على تكذيبه عز وجل في فعل ما امر تعالى به وان كنا فى ظاهر الامر نطلق ما اطلق الله تعالى من الاستطاعة التى لا يكون بها الا ما علم الله تعالى انه يكون ولا مزيد وهى استطاعة باضافة لا استطاعة على الاطلاق لكن نقول هو مستطيع بصحة جوارحه أي انه متوهم كون الفعل منه فقط فان قالوا افأمركم الله تعالى بان تكذبوا قوله وتبطلوا علمه اذ أمركم بفعل ما علم انه لا تفعلونه قلنا عند

التى هى فوق الزمان والحركة والطبيعة وحق لها اسم الوجود اذ لها السرمد والبقاء والدهر ويحكى عنه انه قال الاستقسات لم تزل تتحرك حركة مشوهة مضطربة غير ذات نظم وان البارى تعالى نظمها ورتبها وكان هذا العالم وربما عبر عن الاستقسات بالاجزاء اللطيفة وقيل انه عنى بها الهيولى الازلية العارية عن الصور حتى اتصلت الصور والاشكال بها وترتبت وانتظمت ورأيت فى رموزه انه قال ان النفوس كانت فى عالم الذكر مغتبطة مبتهجة بعالمها وما فيه من الروح والبهجة والسرور فاهبطت الى هذا العالم حتى تدرك الجزئيات وتستفيد ما ليس لها بذاتها بواسطة القوى الحسية فسقطت رياستها قبل الهبوط واهبطت حتى يستوي ريشها وتطير الى عالمها باجنحة مستفادة من هذا

تحقيق الامر فان امره عز وجل لمن علم انه لايفعل ماأمر به أمر تعجيز كقوله * قل كونوا حجارة أوحديدا * وكقوله * من كان يظن أن لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده مايغيظ

(قال ابو محمد) وقد تحيرت المعتزلة هاهنا حتى قال بعضهم لولم يقتل زيد لعاش وقال أبو الهذيل لولم يقتل لمات وشغب القائلون بانه لو لم يقتل لعاش بقول الله عز وجل * ومايعمر من معمر ولاينقص من عمره الا في كتاب * وبقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان ينسأ فى اجله فليصل رحمه

(قال ابو محمد) وكل هذا لاحجة لهم فيه بل هو بظاهره حجة عليهم لان النقص فى اللغة التى بها نزل القرآن انما هو من باب الاضافة وبالضرورة علمنا ان من عمر مائة عام وعمر اخر ثمانين سنة فان الذى عمر ثمانين نقص من عدد عمر الآخر عشرين عاما فهذا هو ظاهر الاية ومقتضاها على الحقيقة لامايظنه من لاعقل له من أن الله تعالى جار تحت احكام عباده ان ضربوا زيدا اماته وان لم يضربوه لم يمته ومن ان علمه غير محقق فربما اعاش زيدا مائة سنة وربما اعاشه اقل وهذا هو البداء بعينه ومعاذ الله تعالى من هذا القول بل الخلق كله مصرف تحت أمر الله عزوجل وعلمه فلايقدر احد على تعدى ماعلم الله تعالى انه يكون ولايكون البتة الاماسبق فى علمه ان يكون والقتل نوع من انواع الموت فمن سأل عن المقتول لولم يقتل لكان يموت أو يعيش فسؤاله سخيف لانه انما يسال لولم يمت هذا الميت اكان يموت أوكان لايموت وهذه حماقة جدا لان القتل علة لموت المقتول كما ان الحمى القاتلة والبطن القاتل وسائر الامراض القاتلة علل للموت الحادث عنها ولافرق واماقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان ينسا فى أجله فليصل رحمه فصحيح موافق للقرآن ولما توجبه المشاهدة وانما معناه ان الله عزوجل لم يزل يعلم ان زيدا سيصل رحمه وان ذلك سبب الى أن يبلغ من العمر كذا وكذا وكذا كل حى فى الدنيا لان من علم الله تعالى ان سيعمره كذا وكذا من الدهر فانه تعالى قد علم وقدر انه سيتغذى بالطعام والشراب ويتنفس بالهواء ويسلم من الآفات القاتلة تلك المدة التى لا بد من استيفائها والمسبب والسبب كل ذلك قد سبق فى علم الله عزوجل كما هو لا يبدل قال تعالى * مايبدل القول لدى * ولو كان على غير هذا لوجب البداء ضرورة ولكان غير عليم بمايكون متشككا فيه لايكون أم لا يكون جاهلا به جملة وهذه صفة المخلوقين لاصفة الخالق وهذا كفر ممن قال به وهم لا يقولون بهذ

(قال ابو محمد) ونص القرآن يشهد بصحة ماقلنا قال الله تعالى عزوجل * لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم * وقال تعالى * قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل * وقال تعالى * اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة * وقال تعالى منكر القول قوم جرت المعتزلة فى ميدانهم * الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو اطاعونا ماقتلوا قل فادرؤا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين * وقال تعالى * ياايها الذين امنوا لاتكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض او كانوا غزا لو كانوا عندنا ماماتوا وماقتلوا ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم والله يحيي ويميت * وقال تعالى * وماكان لنفس ان تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا *

العالم وحكى ارسطوطاليس) عنه انه أثبت المبادى خمسة أجناس الجوهر والاتفاق والاختلاف والحركة والسكون ثم فسر كلامه فقال اما الجوهر فيعنى به الوجود وأما الاتفاق فلان الاشياء متفقة بانها من الله تعالى وأما الاختلاف فلانها مختلفة فى صورها وأما الحركة فان لكل شيء من الاشياء فعلا خاصا وذلك نوع من الحركة لاحركة النقلة واذا تحركت نحو الفعل وفعل فله سكون بعد ذلك لامحالة قال وأثبت البخت أيضا سادسا وهو نطق عقلي وناموس لطبيعة الكل وقال جرجيس انه قوة روحانية مدبرة للكل وبعض الناس يسميه جدا وزعم الرواقيون انه نظام لعلل الاشياء وللاشياء المعلولة وزعم بعضهم أن علل الاشياء ثلاثة المشتري

(قال ابو محمد) وهذه نصوص لايبعد من ردها بعد ان سمعها عن الكفر نعوذ بالله من الخذلان

(قال ابو محمد) وموه بعضهم بان ذكر قول الله تعالى * ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده

(قال ابو محمد) وهذه الآية حجة عليهم لانه تعالى نص على انه قضى اجلا ولم يقل لشيء دون شيء لكن على الجملة ثم قال تعالى * واجل مسمي عنده * فهذا الاجل المسمى عنده هو الذى قضي بلا شك اذ لو كان غيره لكان احدهما ليس اجلا اذا امكن التقصير عنه او مجاوزته ولكن البارى تعالى مبطلا اذ سماه اجلا وهذا كفر لايقوله مسلم وأجل الشيء هو ميعاده الذى لايتعداه والا فليس يسمي أجلا البتة ولم يقل تعالى ان الاجل المسمى عنده هو غير الاجل الذى قضي فاجل كل شيء منقضى امره بالضرورة نعلم ذلك ويبين ذلك قوله تعالى * فاذا جاء اجلهم لايستاخرون ساعة ولا يستقدمون * قال * ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها * وقد اخبرنا تعالى بذلك ايضا فقال * وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا * فتظاهرت الآيات كلها بالحق الذى هو قولنا وبتكذيب من قال غير ذلك وبالله تعالى التوفيق واما الارزاق فان الله تعالى اخبرنا فقال * الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم * وقال تعالى * وخلقناكم ازواجا . فكل مال حلال فانما نقول انه تعالى رزقنا اياه وكل امرأة حلال فانما نقول ان الله تعالى زوجنا اياها او ملكنا اياها واما من اخذ مالا بغير حق او امرأة بغير حق فلا يجوز ان نقول انه تعالى رزقنا اياه ولا ان الله تعالى ملكنا اياه ولا ان الله اعطانا اياه ولا ان الله تعالى زوجنا اياها ولا ان الله تعالى ملكنا اياها ولا انكحنا اياها لان الله تعالى لم يطلق لنا ان نقول ذلك وقد قلنا ان الله تعالى له التسمية لا لنا لكن نقول ان الله ابتلانا بهذا المال وبهذه المرأة وامتحنا بهما واضلنا بهما وخلق تملكنا ايهما ونكاحها لنا واستعملنا اياهما ولا نقول انه اطعمنا الحرام ولا اباح لنا الحرام ولا وهب لنا الحرام ولا آتانا الحرام كما ذكرنا من التسمية وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) وأما قولهم أليس اذا كانت أفعالكم لكم ولله تعالى فقد وجب انكم شركاؤه فيها فالجواب وبالله تعالى التوفيق ان هذا من ابرد ما موهوا به وهو عايد عليهم لانهم يقولون انهم يخترعون افعالهم ويخلقونها وهى بعض الاعراض وان الله تعالى يفعل سائر الاعراض ويخلقها ويخترعها فهذا هو عين الاشراك والتشبيه فى حقيقة المعنى وهو الاختراع تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وأما نحن فلا يلزمنا ايجاب الشركة لله تعالى فيما قلنا لان الاشراك لايجب بين المشتركين الا باتفاقهما فيما اشتركا فيه وبرهان ذلك ان أموالنا ملك لنا وملك لله عز وجل باجماع منا ومنهم وليس ذلك بموجب ان تكون شركاؤه فيها لاختلاف جهات الملك لان الله تعالى انما هو مالك لها لانها مخلوقة له تعالى وهو مصرفنا فيها وناقلها عنا وناقلنا عنها كيف شاء الله تعالى وهى ملكنا لانها كسب وملزمون احكامها ومباح لنا التصرف فيها بالوجوه التى اباحها الله تعالى لنا وايضا فنحن عالمون بان محمدا رسول الله والله تعالى عالم بذلك وليس ذلك موجبا لان نكون شركاءه فى ذلك العلم لاختلاف الامر فى ذلك لان علمنا عرض محمول فينا وهو غيرنا وعلم الله تعالى ليس هو غيره ومثل هذا كثير جدا لايحصى فى دهر طويل بل لايحصيه مفصلا الا الله وحده لاشريك له

فكيف

والطبيعة والبخت وقال أفلاطن ان فى العالم طبيعة عامة تجمع الكل وفى كل واحد من المركبات طبيعة خاصة وحد الطبيعة بانها مبدأ الحركة والسكون فى الاشياء أى مبدأ التغير وهو قوة سارية فى الموجودات كلها تكون السكنات والحركات بها فطبيعة الكل محركة الكل والمحرك الاول يجب أن يكون ساكنا والا تسلسل القول فيه الى ما لا نهاية له وحكى ارسطوطاليس فى مقالة الالف الكبري من كتاب مابعد الطبيعة أن افلاطن كان يختلف فى حداثته الى اقراطولس فكتب عنه ماروى عن ارقطس أن جميع الاشياء المحسوسة فاسدة وان العلم لايحيط بها ثم اختلف بعده الى سقراط وكان من مذهبه طلب الحدود دون النظر فى طبائع المحسوسات

فكيف لم يجب الاشتراك البتة بين الله تعالى وبيننا عندهم فى هذه الوجوه كلها ووجب ان يكون شركاءه فى شيء ليس للاشتراك البتة فيه مدخل وهو خلقه تعالى لافعالنا هو فاعل لها بمعنى مخترع لها ونحن فاعلون لها بمعنى ظهورها محمولة فينا وهذا خلاف فعل الله تعالى لها وقد قال بعض اصحابنا بأن الافعال لله تعالى من جهة الخلق وهى لنا من جهة الكسب

(قال ابو محمد) وقد تذاكرت هذا مع شيخ طرابلسى يكنى ابا الحسن معتزلى فقال لى وللافعال جهات وزاد بعضهم فقال او ليست اعراضا والعرض لايحمل العرض والصفة لاتحمل الصفة

(قال ابو محمد) وهذا جهل من قائله وقضية فاسدة من اهذار المتكلمين ومشاغبهم وقول يرده القرآن والمعقول والاجماع من جميع اللغات والمشاهدة فاما القرآن فان الله تعالى يقول * عذاب عظيم وعذاب اليم ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر * وقال تعالى * وانبتها نباتا حسنا * وقال تعالى * ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال تعالى * ومكروا مكرا كبارا * وقال تعالى * ان كيدكن عظيم * وقال تعالى وجاؤا بسحر عظيم * وقال تعالى * صفراء فاقع لونها * وقال تعالى * قد بدت البغضاء من افواههم * وقال تعالى * اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وقال تعالى * وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم ارداكم * وقال تعالى * اتبعوا ما أسخط الله * وقال تعالى * فلما اضاءت ما حوله * وقال تعال * تلفح وجوههم النار * وقال تعالى * فاخذتكم الصاعقة * وقال تعالى * مما تنبت الارض * وقال تعالى لما يتفجر منه الانهار * وقال تعالى . فيخرج منه الماء . وقال تعالى . فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض . وقال تعالى . والفلك تجرى فى البحر بما ينفع الناس .

(قال ابو محمد) فوصف الله تعالى العذاب بالعظم وبالايلام وبان فيه اكبر وادنى ووصف النبات بالحسن وكيد الشيطان بالضعف وكيد النساء بالعظم والمكر بالكبر والسحر بالعظم واللون بالفقوع وذكر ان البغضاء تبدو وان الكلام الطيب يصعد اليه تعالى وان الاعمال الصالحة ترفع الكلام الطيب وان الظن يردى وان العمل الردىء يسخط الله تعالى ومثل هذا فى القرآن وسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر من ان يجمع الا فى جزء ضخم فكيف يساعد امرأ مسلما لسانه على انكار شيء من هذا بعد شهادة الله عز وجل بما ذكرنا واما اجماع اللغات فكل لغة لاينكر احد فيها القول بصورة حسنة وصورة قبيحة وحمرة مشرقة وحمرة مضيئة وحمرة كدرة ولا يختلف احد من اهل الارض فى ان يقول صف لي عمل فلان وهذا عمل موصوف وصفة عمل كذا وكذا وهذا هو الذى انكروا بعينه وهو اكثر من ان يحصى واما الحس والعقل والمعقول فيقين يدرى كل ذى فهم ان الكيفيات تقبل الاشد والاضعف هذه خاصة الكيفية التى توجد فى غيرها وكل هذا عرض يحمل عرضا وصفة تحمل صفة

(قال ابو محمد) وقد عارضنى بعضهم فى هذا فقال لو أن العرض يحمل العرض لحمل ذلك العرض عرضا آخر وهكذا أبدا وهذا يوجب وجود أعراض لانهاية لها وهذا باطل

(قال ابو محمد) فقلت ان المشاهدات لاتدفع بهذه الدعوى الفاسدة وهذا الذى ذكرت

وغيرها فظن افلاطن ان نظر سقراط فى غير الاشياء المحسوسة لان الحدود ليست للمحسوسات لانها انما تقع على أشياء دائمة كلية أعنى الاجناس والانواع فعند ذلك سمى افلاطن الاشياء الكلية صورا لانها واحدة ورأى أن المحسوسات لا تكون الا بمشاركة الصور اذا كانت الصور رسوما ومثالات لها متقدمة عليها وانما وضع سقراط الحدود مطلقا لا باعتبار المحسوس وغير المحسوس وافلاطن ظن انه وضعها لغير المحسوسات فاثبتها مثلا عامة وقال افلاطن فى كتاب النواميس إن أشياء لاينبغى للانسان ان يجهلها منها ان له صانعا وان صانعه يعلم أفعاله وذكر أن الله تعالى انما يعرف بالسلب أى لاشبيه له ولا مثال وانه أبدع العالم من

لا يلزم لاننا لم نقل ان كل عرض فواجب أن يحمل أبدا لكنا نقول ان من الاعراض ما يحمل الاعراض كالذي ذكرنا ومنها ما لا يحمل الاعراض وكل ذلك جار علي ما رتبه الله عز وجل وعلي ما خلقه وكل ذلك له نهاية تقف عندها ولا يزيد ونحن اذا وجد فيما بيننا جسم يزيد علي جسم آخر زيادة ما في طوله أو عرضه فليس يجب من ذلك أن الزيادة موجودة الي ما لا نهاية له لكن تنتهي الزيادة الي حيث رتبها الله عز وجل وتقف وانما العلم كله معرفة الاشياء علي ما هي عليه فقط ونقول لهم أتخالف حمرة التفاحة حمرة الخوخة أم لا فلا بد لهم من أن يقولوا بأنها قد تخالفها في صفة ما الا أن ينكروا العيان فنقول لهم أتخالف الحمرة والصفرة أم لا فلا بد أيضا من نعم فنقول لهم أخلاف الحمرة للحمرة هو خلاف الحمرة للصفرة أم لا فلا بد من لا ولو قالوا نعم لازمهم ان الصفرة هي الحمرة اذ كانت الصفرة لا تخالفها الحمرة الا بما تخالف فيه الحمرة الحمرة الاخرى والخضرة فاذا في الحمرة والصفرة صفتان بهما يختلفان غير الصفة التي بها تخالف الحمرة الحمرة الاخرى والخضرة فقد صح يقيناً ان الصفة قد تحمل الصفة وان العرض قد يحمل العرض بضرورة المشاهدة علي حسب ما رتبه الله تعالى وكل ذلك ذو نهاية ولا بد وتحقيق الكلام في هذه المعاني وتناهيها هو ان العالم كله جوهر حامل وعرض محمول ولا مزيد والجوهر أجناس وأنواع والعرض أجناس وأنواع والاجناس محصورة ببراهين قد ذكرناها في كتاب التقريب عمدتها ان الاجناس أقل عددا من الانواع المنقسمة تحتها بلا شك والانواع اكثر عددا من الاجناس اذ لا بد من أن يكون تحت كل جنس نوعان أو اكثر من نوعين والكثرة والقلة لا يقعان ضرورة الا في ذي نهاية من مبدئه ومنتهاه لان ما لا نهاية له فلا يمكن ان يكون شيء اكثر منه ولا اقل منه ولا مساويا له لان هذا يوجب النهاية ولا بد فالعالم اذا ذو نهاية لانه ليس شيئاً غير الاجناس والانواع التي للجواهر والاعراض فقط والمعاني انما هي للاشياء المعبر عنها بالالفاظ فقط فاذ هذا كما ذكرنا فانما نقيس الاشياء بصفاتها التي تقوم منها حدودها مثل ان نقول ما الانسان فنقول جسم ملون ونفس فيه تمكن أن تكون متصرفه في العلوم والصناعات يقبل الحياة والموت فيقال ما الجسم وما النفس وما اللون وما الصناعات وما العلوم وما الحياة وما الموت فاذا فسرت جميع هذه الالفاظ ورسمت كل ما يقع عليه وفعلت كذلك في جميع الاجناس والانواع فقد انتهت المعاني وانقطعت ولا سبيل الى التمادي بلا نهاية أصلا لان كل ما ينطق به او يعقل فانه لا يعدو الاجناس والانواع ألبتة والانواع والاجناس محصورة كما بينا وكل ما خرج من الاشخاص الى حد الفعل فقد حصره العدد لانه ذو مبدأ وكل ما حصره العدد فمتناه ضرورة فجميع المعاني من الاعراض وغيرها محصورة بما ذكرنا من البرهان الصحيح الذي ذكرنا أن كل ما في العالم مما خرج الى الوجود في الدهر مذ كان العالم من جنس أو عرض فهو كله محصور عدده متناه أمده ذو غاية في ذاته في مبدئه ومنتهاه وعدده وبالله تعالى التوفيق وقد نعجز نحن عن عد شعور اجسامنا ونوقن انها ذات عدد متناه بلا شك فليس قصور قولنا عن احصاء عدد ما في العالم بمعترض علي وجوب وجود النهاية في جميع أشخاص جواهره وأعراضه وبالله تعالى التوفيق

(قال أبو محمد) وأما قولهم اذا كان فعلنا خلقاً لله عز وجل ثم عذبنا عليه فانما عذبنا علي خلقه فالجواب وبالله تعالى التوفيق ان هذا لا يلزم ولو لزمنا للزمهم اذا كان تعالى يعذبنا علي ارادتنا

وحركتنا

لا انظام الى نظام وان كل مركب فهو للانحلال وانه لم يسبق العالم زمان ولم يبدع عن شيء ثم إن الاوائل اختلفوا في الابداع والمبدع هل هما عبارتان عن معبر واحد أم الابداع نسبة الى المبدع ونسبة الى المبدع وكذلك في الارادة انها المراد والمريد علي حسب اختلاف متكلمي الاسلام في الخلق والمخلوق والارادة انها خلق أم مخلوقة أم صفة في الخالق قال انكساغورس بمذهب فلوطرخيس ان الارادة ليست هي غير المراد ولا غير المريد وكذلك الفعل لانهما لا صورة لهما ذاتية وانما يقومان بغيرهما فالارادة مرة مستنبطة في المريد ومرة ظاهرة في المراد وكذلك الفعل وأما افلاطن وارسطوطاليس فلا يقبلون هذا القول وقالا ان صورة

وحركتنا الواقعتين منا أن يعذبنا على كل حركة لنا أو على كل ارادة لنا بل على كل حركة فى العالم وعلى كل ارادة فان قالوا لا يعذبنا الا على حركتنا ولارادتنا الواقعين منا بخلاف امره عز وجل وكذلك نقول نحن انه لا يعذبنا الا على خلقه فينا الذى هو ظاهر منا بخلاف أمره وهو منسوب الينا ومكتسب لنا لايثارنا اياه المخلوق فينا فقط لا على كل ما خلق فينا أو فى غيرنا ولا فرق ولو أخبرنا تعالى انه يعذبنا على ما خلق فى غيرنا لقلنا به ولصدقناه كما نقر انه يعذب أقواما على ما لم يفعلوه قط ولا أمروا به لكن على ما يفعله غيرهم ممن جاء بعدهم بألف عام لان أولئك كانوا أول من فعل مثل ذلك الفعل قال الله تعالى * وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم * وقال تعالى * حاكيا عن أحد بنى آدم عليه السلام انه قال * انى أريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار * وقال تعالى * ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون * وليس هذا معارضا لقوله تعالى * وما هم بحاملين من خطاياهم من شىء * بل كلا الآيتين متفقة مع الاخرى لان الخطايا التى نفى الله عز وجل أن يحملها أحد عن احد هى بمعنى ان يحط حمل هذا لها من عذاب العامل بها شيئا فهذا لا يكون لان الله عز وجل نفاه وأما الحمل لمثل عقاب العامل للخطيئة مضاعفا زائدا الى عقابه غير حاط من عقاب الآخر شيئا فهو واجب موجود وكذلك اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من سن سنة فى الاسلام سيئة كان عليه مثل وزر من عمل بها ابدا لا يحط ذلك من اوزار العاملين لها شيئا ولو أن الله تعالى أخبرنا انه يعذبنا على فعل غيرنا دون أن نسنه وانه يعذبنا على غير فعل فعلناه أو على الطاعة لكان كل ذلك حقا وعدلا ولوجب التسليم له ولكن الله تعالى وله الحمد قد آمننا من ذلك بقوله تعالى * لا يضركم من ضل اذا اهتديتم * وبحكمه تعالى اننا لا نجزى الا بما عملنا أو كنا مبتدئين له فأمنا ذلك ولله تعالى الحمد وقد أيقنا أيضا انه تعالى يأجرنا على ما خلق فينا من المرض والمصائب وعلى فعل غيرنا الذى لا أثر لنا فيه كضرب غيرنا لنا ظلما وتعذيبهم لنا وعلى قتل القاتل لمن قتل ظلما وليس ها هنا من المقتول صبر ولا عمل اصلا فانما أجر على فعل غيره مجردا اذا احدثه فيه وكذلك من أخذ غيره ماله والمأخوذ ماله لا يعلم بذلك الى ان مات فأي فرق بين أن يأجرنا على فعل غيرنا وعلى فعله تعالى فى احراق مال من لم يعلم باحتراق ماله وبين أن يعذبنا على ذلك لو شاء عز وجل وأما قولهم فرض الله عز وجل الرضا بما قضى وبما خلق فان كان الكفر والزنا والظلم مما خلق ففرض علينا الرضا بذلك فجوابنا ان الله عز وجل لم يلزمنا قط الرضا بما خلق وقضى بكل ما ذكر بل فرض الرضا بما قضى علينا من مصيبة فى نفس أو فى مال فظهر تمويههم بهذه الشبهة

(قال ابو محمد) فان احتجوا بقول الله عز وجل * ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك * فالجواب ان يقال لهم وبالله تعالى التوفيق ان هذه الآية اعظم حجة على اصحاب الاصلح وهم جمهور المعتزلة فى ثلاثة أوجه وهى حجة على جميع المعتزلة فى وجهين لان فى هذه الآية أن ما اصاب الانسان من حسنة فمن الله وما أصابه من سيئة فمن نفسه وهم كلهم لا يفرقون بين الامرين بل الحسن والقبيح من افعال المرء كل ذلك عندهم من نفس المرء لا خلق الله تعالى فى شىء من فعله لا حسنه ولا قبيحه فهذه الآية مبطلة لقول جميعهم فى هذا الباب والوجه الثاني انهم كلهم قائلون انه لا يفعل المرء حسنا ولا قبيحا البتة الا بقوة موهوبة

الارادة وصورة الفعل قائمتان وهما أبسط من صورة المراد كالقاطع للشيء هو المؤثر وأثره في الشيء والمقطوع هو المؤثر فيه القابل للاثر ليس هو المؤثر ولا المؤثر فيه والا انعكس حتى يكون المؤثر هو الاثر والمؤثر فيه هو الاثر وهو محال فصورة المبدع فاعلة وصورة المبدع مفعولة وصورة الابداع متوسطة بين الفاعل والمفعول فللفعل صورة وأثر فصورته من جهة المبدع وأثره من جهة المبدع والصورة من جهة المبدع فى حق البارى تعالى ليست زائدة على ذاته حتى يقال صورة ارادة وصورة تأثير مفترقان بل هما حقيقة واحدة وأما برميندس الاصغر فقد أجاز قولهم فى الارادة ولم يجزه فى الفعل وقال ان الارادة يكون بلا توسط

من الله تعالى مكنه بها من فعل الخير والشر والطاعة والمعصيه تمكينا مستويا وهى الاستطاعة على اختلافهم فيها فهم متفقون على ان البارى تعالى خالقها وواهبها كانت نفس المستطيع او بعضها او عرضا فيه وفى هذه الآية فرق بين الحسن والسيء كما ترى وأما الوجه الثالث الذي خالف فيه القائلون بالاصلح خاصة هذه الآية فانهم يقولون ان الله تعالى لم يؤيد فاعل الحسنة بشيء من عنده تعالى ولم يؤيد فاعل السيئة والآية مخبرة بخلاف ذلك فصارت الآية حجة عليهم ظاهرة مبطلة لقولهم وأما قولنا نحن فيها فهو ما قاله الله عز وجل اذ يقول متصلا بهذه الآية دون فصل * قل كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ما أصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك * ثم قال تعالى بأثر ذلك بعد كلام يسير * أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا * فصح بما ذكرنا ان كل هذا الكلام متفق لا يختلف فقدم الله تعالى ان كل شيء من عنده فصح بالنص انه تعالى خالق الخير والشر وخالق كل ما اصاب الانسان ثم أخبر تعالى ان ما اصابنا من حسنة فمن عنده وهذا هو الحق لانه لا يجب لنا تعالى عليه شيء فالحسنات الواقعة منا فضل مجرد منه لا شيء لنا فيه واحسان منه الينا لن نستحقه قط عليه واخبر عز وجل ان ما اصابنا من مصيبة فمن انفسنا بعد ان قال ان الكل من عند الله تعالى فصح اننا مستحقون بالنكال لظهور السيئة منا واننا عاصون بذلك كما حكم علينا تعالى فحكمه الحق والعدل ولا مزيد وبالله تعالى التوفيق فان قالوا فاذا كان الله خالقكم وخالق افعالكم فانتم والجمادات سواء قلنا كلا لان الله تعالى خلق فينا علما نعرف به انفسنا الاشياء على ما هي عليه وخلق فينا مشيئة لكل ما خلق فينا يسمى فعلا لنا فخلق فيه استحسان ما يستحسنه واستقباح ما يستقبحه وخلق تصرفا فى الصناعات والعلوم ولم يخلق فى الجمادات شيئا من ذلك فنحن مختارون قاصدون مريدون مستحسنون أو كارهون متصرفون علما بخلاف الجمادات فان قيل فانتم مالكون لاموركم مفوض اليكم أعمالكم مخترعون لافعالكم قلنا لا لان الملك والاختراع ليس هو لاحد غير الله تعالى اذ الكل مما فى العالم مخترع له وملك له عز وجل والتفويض فيه معنى من الاستغناء ولا غنى باحد عن الله عز وجل وبه نتايد

(قال ابو محمد) فاذ قد ابطلنا بحول الله تعالى وقوته كل ما شغب به المعتزلة فى ان افعال العباد غير مخلوقة لله تعالى فلنأت ببرهان ضرورى ان شاء الله تعالى على صحة القول بانها مخلوقة لله تعالى فنقول وبه عز وجل نتايد ان العالم كله ما دون الله تعالى ينقسم قسمين جوهر وعرض لا ثالث لهما ثم ينقسم الجوهر الى اجناس وانواع ولكل نوع منها فصل يتميز به مما سواه من الانواع التي يجمعها واياه جنس واحد وبالضرورة نعلم ان ما لزم الجنس الاعلى لزم كل ما تحته اذ محال ان تكون نار غير حارة او هواء راسب بطبعه او انسان صهال بطبعه وما اشبه هذا ثم بالضرورة نعلم ان الانسان لا يفعل شيئا الا الحركة والسكون والفكر والارادة وهذه كلها كيفيات يجمعها مع اللون والطعم والمحبة والاشكال جنس الكيفية فمن المحال الممتنع ان يكون بعض ما تحت النوع الواحد والجنس الواحد مخلوقا وبعضه غير مخلوق وهذا امر يعلمه باطلا من له ادنى علم بحدود العالم وانقسامه وحركتنا وسكوننا يجمع كل ذلك مع كل حركة فى العالم وكل سكون فى العالم نوع من الحركة ونوع من السكون ثم ينقسم كل ذلك قسمين ولا مزيد حركة

من البارى تعالى فجائز ما وضعه الله واما الفعل فيكون بتوسط منه وليس ما هو بلا توسط كالذى يكون بتوسط بل الفعل قط لن يتحقق الا بتوسط الارادة ولا ينعكس فاما الاولون مثل ثاليس وانبذقلس قالوا الارادة من جهة المبدع هى المبدع ومن جهة المبدع هى المبدع وفسروا هذا بان الارادة من جهة الصورة هى المبدع ومن جهة الاثر هى المبدع ولا يجوز أن يقال انها من جهة الصورة هى المبدع لان صورة الارادة عند المبدع قبل أن يبدع فغير جائز ان يكون ذات صورة الشيء الفاعل هى المفعول بل من جهة أثر ذات الصورة هى المفعول ومذهب افلاطن وارسطوطاليس هذا بعينه وفى الفصل انغلاق

اضطرارية وحركة اختيارية وسكونا اختياريا وسكونا اضطراريا وكل ذلك حركة تحد بحد الحركة وسكون يحد بحد السكون ومن المحال ان يكون بعض الحركات مخلوقا لله تعالى وبعضها غير مخلوق وكذلك السكون ايضا فان لجؤا الى قول معمر فى ان هذه الاعراض كلها فعل ما ظهرت فيه بطباع ذلك الشىء سهل امرهم بعون الله تعالى وذلك انهم اذا اقروا ان الله تعالى خالق المطبوعات ومرتب الطبيعة على ما هي عليه فهو تعالى خالق ما ظهر منها لانه تعالى هو رتب كونه وظهوره على ما هو عليه رتبة لا يوجد بخلافها وهذا هو الخلق بعينه ولكنهم قوم لا يعلمون كالمتكسع فى الظلمات وكما قال تعالى * كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا * نعوذ بالله من الخذلان وايضا فان نوع الحركات موجود قبل خلق الناس فمن المحال البين ان يخلق المرء ما قد كان نوعه موجودا قبله وايضا فان عمدتهم فى الاحتجاج على القائلين بان العالم لم يزل انما هى مقارنة الاعراض للجواهر وظهور الحركات ملازمة للمتحرك بها فاذا كان ذلك دليلا باهرا على حدوث الجواهر وان الله تعالى خلقها فما المانع من ان يكون ذلك دليلا باهرا ايضا على حدوث الاعراض وان الله تعالى خلقها لولا ضعف عقول القدرية وقلة علمهم نعوذ بالله مما امتحنهم به ونسأله التوفيق لا اله الا هو وايضاً فان الله تعالى قال * اذاً لذهب كل اله بما خلق * فاثبت تعالى ان من خلق شيئا فهو له اله فيلزمهم بالضرورة انهم آلهة لافعالهم التى خلقوها وهذا كفر مجرد ان طردوه والا لزمهم الانقطاع وترك قولهم الفاسد وايضا فان من خلق شيئا لم يعنه غيره عليه لكن انفرد بخلقه فبالضرورة يعلم انه يصرف ما خلق كما يفعله اذا شاء ويتركه اذا شاء ويفعله حسنا اذا شاء وقبيحا اذا شاء فاذ هم خلقوا حركاتهم وارادتهم منفردين بخلقها فليظهروها الى ابصارنا حتى نراها او نلمسها او ليزيدوا فى قدرها وليخالفوها عن رتبتها فان قالوا لا نقدر على ذلك فليعلموا انهم كاذبون فى دعاويهم خلقها لانفسهم فان قالوا انما نفعلها كما قوانا الله على فعلها فليعلمون ان الله تعالى اذا هو المقوى على فعل الخير والشر فانه عز وجل كان الخير والشر واذ لولاه لم يكن خير ولا شر وبه كانا فهو كونهما واعان عليهما واظهرهما واخترعهما وهذا معنى خلقه تعالى لهما وبالله تعالى التوفيق ومن البرهان ان الله تعالى خالق افعال خلقه قوله تعالى حاكيا عن سحرة فرعون مصدقا لهم ومثنيا عليهم فى قولهم. ربنا افرغ علينا صبرا . فصح انه خالق ما يفرغه من الصبر الذى لو لم يفرغه على الصابر لم يكن له صبر وايضا فان جنس الحركات كلها والسكون كله والمعارف كلها جنس واحد وكل ما قيل على الكل قيل على جميع اجزائه وعلى كل بعض من ابعاضه فنسالهم عن حركات الحيوان غير الناطق وسكونه ومعرفته بما يعرف من مضاره ومنافعه فى اكله وشربه وغير ذلك اكل ذلك مخلوق لله تعالى ام هو غير مخلوق فان قالوا كل ذلك مخلوق كانوا قد نقضوا هذه المقدمات التى يشهد العقل والحس بتصديقها وظهر فساد قولهم فى التفريق بين معرفتنا ومعرفة سائر الحيوان بما عرفه وبين حركاتنا وبين حركات سائر الحيوان وبين سكوننا وسكونه وهذه مكابرة ظاهرة ودعوى بلا برهان وان قالوا بل كل ذلك غير مخلوق ألزمناهم مثل ذلك فى سائر الاعضاء كلها فان تناقضوا كفونا انفسهم وان تمادوا الزمهم انه تعالى لم يخلق شيئا من الاعراض وهذا الحاد ظاهر وابطال للخلق وكفى بهذا اضلالا ونعوذ بالله من الخذلان ويكفى من هذا ان

الحكماء الاصول الذين هم من القدماء الا انا ربما لم نجد لهم رأيا في المسائل المذكورة غير حكم مرسلة عملية أوردناها لئلا تشذ مذاهبهم عن القسمة ولا يخلو الكتاب عن تلك الفوائد فمنهم الشعراء الذين يستدلون بشعرهم وليس شعرهم على وزن وقافية ولا الوزن والقافية ركن فى الشعر عندهم بل الركن فى الشعر ايراد المقدمات المخيلة فحسب ثم يكون الوزن والقافية معينين فى التخيل فان كانت المقدمة التى يوردها فى القياس الشعرى مخيلة فقط تمحض القياس شعريا وان انضم اليها قول اقناعى تركبت المقدمة من معينين شعرى واقناعى وان كان الضميم اليه قولا يقينا تركبت المقدمة من شعرى وبرهانى ومنهم النساك ونسكهم

الاعراض تجرى على صفات الفاعل ونحن نجد الحكيم لايقدر على الطيش والبذاء وان الطياش البذى لايقدر على الحياء والصبر والسيء الخلق لايقدر على الحلم والحليم لايقدر على النزق والسخى لايقدر على المنع والشحيح لايقدر على الجود وقال تعالى * ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون * فصح ان من الناس موقى شح نفسه مفلحا وغير موقى ولا مفلح وكذلك الزكى لايقدر على البلادة والبليد لايقدر على الزكا والحافظ لايقدر على النسيان والناسى لايقدر على ثبات الحفظ والشجاع لايقدر على الجبن والجبان لايقدر على الشجاعة هكذا فى جميع الاخلاق التى عنها تكون الافعال فصح ان ذلك خلق لله تعالى لايقدر المرء على احالة شيء من ذلك أصلا حتى ان مخرج صوت احدنا وصفة كلامه لايقدر البتة على صرفه كما خلق عليه من الجهارة والخفاء أو الطيب والسماحة وكذلك خطه لايمكنه صرفه عما رتبه الله تعالى عليه ولو جهد وهكذا جميع حركات المرء حتى وقع قدميه ومشيه فلو كان هو خالق كل ذلك لصرفه كما يشاء فاذا ليس فيه قوة على صرف شيء من ذلك عن هيئته فقد ثبت ضرورة انه خلق الله تعالى فيمن نسب فى اللغة الى انه فاعله وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) واكثرت المعتزلة فى التولد وتحيرت فيه حيرة شديدة فقالت طائفة مايتولد عن فعل المرء مثل القتل والالم المتولد عن رمي السهم وما أشبه ذلك فانه فعل الله عز وجل وقال بعضهم بل هو فعل الطبيعة وقال بعضهم بل هو فعل الذى فعل الفعل الذى عنه تولد وقال بعضهم هو فعل لافاعل له وقال جميع اهل الحق انه فعل الله عز وجل وخلقه فالبرهان فى ذلك هو البرهان الذى ذكرنا فى خلق الافعال من أن الله تعالى خالق كل شيء وبالله تعالى التوفيق

الـكلام فى التعديل والتجوير

(قال ابو محمد) رحمه الله هذا الباب هو اصل ضلالة المعتزلة نعوذ بالله من ذلك على اننا رأينا منهم من لايرضى عن قولهم فيه

(قال ابو محمد) وذلك ان جمهورهم قالوا وجدنا من فعل الجور فى الشاهد كان جائرا ومن فعل الظلم كان ظالما ومن أعان فاعلا على فعله ثم عاقبه عليه كان جائرا عابثا قالوا والعدل من صفات الله تعالى والظلم والجور منفيان عنه قال تعالى * وما ربك بظلام للعبيد * وقال تعالى * وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون * وقال تعالى * فما كان الله ليظلمهم . وقال تعالى . لاظلم اليوم .

(قال أبو محمد) وقد علم المسلمون ان الله تعالى عدل لايجور ولايظلم ومن وصفه عز وجل بالظلم والجور فهو كافر ولكن ليس هذا على ماظنه الجهال من ان عقولهم حاكمة على الله تعالى فى ان لايحسن منه الا ما حسنت عقولهم وانه يقبح منه تعالى ماقبحت عقولهم وهذا هو تشبيه مجرد لله تعالى بخلقه اذ حكموا عليه بانه تعالى يحسن منه ما حسن منا ويقبح منه ماقبح منا ويحكم عليه فى العقل بما يحكم علينا

(قال ابو محمد) وهذا مذهب يلزم كل من قال لما كان الحى فى الشاهد لايكون الا بحياة وجب ان يكون البارى تعالى حيا بحياة وليس بين القولين فرق وكلاهما لازم لمن التزم

احدهما

وعبادتهم عقلية لاشرعية ويقتصر ذلك على تهذيب النفس عن الاخلاق الذميمة وسياسة المدينة الفاضلة التى هى الجثة الانسانية وربما وجدنا لبعضهم رأيا فى بعض المسائل المذكورة عن المبدع والابداع وانه عالم وان أول ماأبدعه ماذا وان المبادى كم هى وان المعاد كيف يكون وصاحب الرأى موافق للاوائل المذكورين أوردنا اسمه وذكرنا مقالته وان كانت كالمكررة ونبتدى بهم ونجعل فلوطرخيس مبدأ آخر

رأى (فلوطرخيس) قيل أنه أول من شهر بالفلسفة ونسبت اليه الحكمة تفلسف بمصر ثم سار الى ملطية وأقام بها وقد بعد من الاساطين قال ان البارى تعالى لم يزل بالازلية التى هى أزلية الازليات وهو مبدع فقط وكل مبدع

احدهما وكلاهما اضلال وخطأ وانما الحق هو ان كل مافعله الله عز وجل اى شى كان فهو منه عز وجل حق وعدل وحكمة وان كان بعض ذلك مناجورا وسفها وكل مالم يفعله الله عز وجل فهو الظلم والباطل والعبث والتفاوت واما اجراؤهم الحكم على البارى تعالى بمثل مايحكم به بعضنا على بعض فضلال بين وقول سبق له اصل عند الدهرية وعند المنانية وعند البراهمة وهو ان الدهرية قالت لما وجدنا الحليم فيما بيننا لا يفعل الا لاجتلاب منفعة او لدفع مضرة ووجدنا من فعله مالافائدة فيه فهو عابث هذا الذى لا يعقل غيره قالوا ولما وجدنا فى العالم ضرا وشرا وعبثا واقذارا ودودا ودبابا ومفسدين انتفى بذلك ان يكون له فاعل حكيم وقالت طائفة منهم مثل هذا سواء بسواء الا انهم زادوا فقالوا علمنا بذلك ان للعالم فاعلا سفيها غير البارى تعالى وهو النفس وان البارى الحكيم خلاها تفعل ذلك ليريها فساد ماتخيلته فاذا استبان ذلك لها افسده البارى الحكيم تعالى حينئذ وابطله ولم تعد النفس الى فعل شىء بعدها

(قال ابو محمد) وابطال هذا القول يثبت بما يبطل به قول المعتزلة سواء بسواء ولا فرق وقالت المنانية بمثل ماقالت به الدهرية سواء بسواء الا انها قالت ومن خلق خلقا ثم خلق من يضل ذلك الخلق فهو ظالم عابث ومن خلق خلقا ثم سلط بعضهم على بعض واغرى بين طالع خلقه فهو ظالم عابث قالوا فعلمنا ان خالق الشر وفاعله هو غير خالق الخير

(قال ابو محمد) وهذا نص قول المعتزلة الا انها زادت قبحا بان قالت ان الله تعالى لم يخلق من افعال العباد لا خيرا ولا شرا وان خالق الافعال الحسنة والقبيحة هو غير الله تعالى لكن كل احد يخلق فعل نفسه ثم زادت تناقضا فقالت ان خالق عنصر الشر هو ابليس ومردة الشياطين وفعله كل شر وخالق طباعهم على تضادها هو الله تعالى وقالت البراهمة ان من العبث وخلاف الحكمة ومن الجور البين ان يعرض الله تعالى عباده لما يعلم انهم يعطبون عنده ويستحقون العذاب ان وقعوا فيه يريدون بذلك ابطال الرسالة والنبوات كلها

(قال ابو محمد) وبالضرورة نعلم انه لا فرق بين خلق الشر وبين خلق القوة التى لا يكون الشر الا بها ولا بين ذلك وبين خلق من علم الله عز وجل انه لا يفعل الا الشر وبين خلق ابليس وانظاره الى يوم القيامة وتسليطه على اغواء العباد واضلالهم وتقويته على ذلك وتركه يضلهم الا من عصم الله منهم فان قالوا ان خلق الله تعالى ابليس وقوى الشر وفاعل الشر خير وعدل وحسن صدقوا وتركوا اصلهم الفاسد ولزمهم الرجوع الى الحق فى ان خلقه تعالى للشر والخير ولجميع افعال عباده وتعذيبه من شاء منهم ممن لم يهده واضلاله من اضل وهداه من هدى كل ذلك حق وعدل وحسن وان أحكامنا غير جارية عليه لكن احكامه جارية علينا وهذا هو الحق الذى لا يخفى الا على من اضله الله تعالى نعوذ بالله من اضلاله لنا ولا فرق بين شىء مما ذكرناه فى العقل البتة وبرهان ضرورى

(قال ابو محمد) يقال لمن قال لا يجوز ان يفعل الله تعالى الا ماهو حسن فى العقل منا ولا ان يخلق ويفعل ماهو قبيح فى العقل فيما بيننا ياهؤلاء انكم اخذتم الامر من عند انفسكم ثم عكستموه فعظم غلطكم وانما الواجب انتم مقرون بان الله تعالى لم يزل واحدا وحده ليس معه خلق اصلا ولا شىء موجود لا جسم ولا عرض ولا جوهر ولا عقل ولا معقول ولا سفه ولا غير

ظهرت صورته فى حد الابداع فقد كانت صورته عنده أى كانت معلولة له والصور عنده بلا نهاية أى المعلومات بلا نهاية قال ولو لم تكن الصور عنده ومعه لما كان ابداع ولا ابقاء للمبدع ولو لم تكن باقية قائمة لكانت تدثر بدثور الهيولى ولو كان كذلك لارتفع الرجاء والخوف ولكن لما كانت الصور باقية دائمة ولما الرجاء والخوف كان دليلا على انها لا تدثر ولما عدل عنها الدثور ولم يكن له قوة عليها كان ذلك دليلا على أن الصور أزلية فى علمه تعالى قال ولا وجه الا القول باحد الاقوال أما أن يقال البارى تعالى لا يعلم شيئا البتة وهذا من المحال الشنيع وأما أن يقال يعلم بعض الصور دون بعض وهذا من النقص الذي لا يليق بكمال الجلال

ذلك ثم اقررتم بلاخلاف منكم انه خلق النفوس واحدثها بعدان لم تكن وخلق لها العقول وركبها في النفوس بعدان لم تكن العقول البتة ان لاتحدثوا على الباري تعالى حكما لازماله من قبل بعض خلقه فليس في الجنون أفحش من هذا البتة ثم اخبرونا اذا كان الله وحده لاشيء موجود معه ففي أي شيء كانت صورة الحسن حسنة وصورة القبيح قبيحة وليس هنالك عقل اصلا يكون فيه الحسن حسنا والقبيح قبيحا ولا كانت هنالك نفس عاقلة أو غير عاقلة فيقبح عندها القبيح ويحسن الحسنة أى شىء قال تحسين الحسن وتقبيح القبيح وهما عرضان لا بد لهما من حامل ولا حامل أصلا ولا محمول ولا شيء حسن ولا شيء قبيح حتى احدث الله تعالى النفوس وركب فيها العقول المخلوقة وقبح فيها على قولكم ماقبح وحسن فيها على قولكم ماحسن فاذ لا سبيل الى أن يكون مع البارى تعالى في الازل شيء موجود اصلا قبيح ولا حسن ولا عقل يقبح فيه شيء اويحسن فقد وجب يقينا ان لا يمتنع من قدرة الله تعالى وفعله شيء يحدثه لقبح فيه ووجب ان لا يلزمه تعالى شيء لحسنه اذ لاقبح ولا حسن البتة فيما لم يزل فبالضرورة وجب ان ماهو الآن عندنا قبيح فانه لم يقبح بلا اول بل كان لقبحه أول لم يكن موجودا قبله فكيف ان يكون قبيحا قبله وكذلك القول في الحسن ولا فرق ومن المحال الممتنع جملة ان يكون ممكنا ان يفعل البارى تعالى حينئذ شيئا ثم يمتنع منه فعله بعد ذلك لان هذا يوجب اما تبدل طبيعة والله تعالى منزه عن ذلك واما حدوث حكم عليه فيكون تعالى متعبدا وهذا هو الكفر السخيف نعوذ بالله منه فان قالوا لم يزل القبيح قبيحا في علم الله عز وجل ولم يزل الحسن حسنا في علمه تعالى قلنا لهم هبكم ان هذا كما قلتم فعليكم في هذا حكمان مبطلان لقولكم الفاسد احدهما انكم جعلتم الحكم في ذلك لما في المعقول لا لما سبق في علم الله عز وجل فلم تجعلوا المنع من فعل ماهو قبيح عندكم الا لان المعقول قبحته فاخطأتم في هذا والثاني انه تعالى أيضا لم يزل يعلم ان الذي يموت مؤمنا فانه لايكفر ولم يزل تعالى يعلم ان الذى يموت كافرا لايؤمن فلم جوزتم قدرته على احالة ما علم من ذلك وتبديله ولم تجوزوا قدرته تعالى على احالة ماعلم حسنا الى القبح واحالة ماعلم قبيحا الى الحسن ولا فرق بين الامرين اصلا فاذا ثبت ضرورة انه لاقبيح لعينه ولا حسن لعينه البتة وانه لاقبيح الا ما حكم الله تعالى بانه قبيح ولا حسن الا ما حكم بانه حسن ولا مزيد وأيضا فان دعواكم ان القبيح لم يزل قبيحا في علم الله تعالى ما دليلكم على هذا بل لعله تعالى لم يزل عليما بان امر كذا يكون حسنا برهة من الدهر ثم يقبحه فيصير قبيحا اذا قبحه لاقبل ذلك كما فعل تعالى بجميع الملل المنسوخة وهذا أصح من قولكم لظهور براهين هذا القول وبالله التوفيق ولم يزل سبحانه وتعالى عليما ان عقد الكفر والقول به قبيح من العبد اذا فعلهما معتقدا لهما لان الله قبحهما لا لانهما حركة اوعرض في النفس وهذا هو الحق لظهور براهين هذا أيضا لا لان ذلك قبيح لعينه ويقال لهم أيضا أخبرونا من حسن الحسن في العقول ومن قبح القبيح في العقول فان قالوا الله عز وجل قلنا لهم أفما كان الله تعالى قادر على عكس تلك الرتبة اذ رتبها على أن يرتبها بخلاف مارتبها عليه فيحسن فيها القبيح ويقبح فيها الحسن فان قالوا نعم اوجبوا انه لم يقبح شيء الا بعد ان حكم الله تعالى بقبحه ولم يحسن شيء الا بعد ان حكم الله تعالى بحسنه وانه كان له تعالى ان يفعل بخلاف مافعل وله

واما أن يقال بعلم
جميع الصور والمعلومات
وهذا هو الرأى الصحيح
ثم قال ان أصل المركبات
هو الماء فاذا تخلخل صافيا
وجد النار واذ تخلخل
وفيه بعض الثقل صار هواء
واذا تكاثف تكاثفا مبسوطا
صار أرضا وحكى
فلوطرخيس أن ابرقليطس
زعم أن الاشياء انما انتظمت
بالبخت وجوهر البخت
هو نطق عقلى ينفذ في
الجوهر الكلى (رأى
اكسنوفانس كان يقول
ان المبدع الاول هو آنية
أزلية دائمة ديمومية اقدم
لاتدرك بنوع صفة منطقية
ولا عقلية مبدع كل صفة
وكل نعت نطقى وعقلى
فاذا كان هذا هكذا فقولنا
ان صورنا في هذا العالم
المبدعة لم تكن عنده أو
كانت أو كيف أبدع محال
فان العقل مبدع والمبدع

ذلك الآن وابدا وبطل ان يكون تعالى متعبدا لنفسه وموجبا عليه مايكون ظالما مذموما ان خالفه وان قالوا لا يوصف تعالى بالقدرة على ذلك عجزوا ربهم تعالى ولزمهم القول بمثل قول علي الاسواري من انه تعالى لا يقدر على غير مافعل فحكم هذا الردي الدين والعقل بانه أقدر من ربه تعالى وأقوى لانه عند نفسه الخسيسة يقدر على مافعل وعلى مالم يفعل وربه تعالى لا يقدر الا على مافعل ولو علم المجنون انه جعل ربه من الجمادات المضطرة الى مايبدو منها ولا يمكن ان يظهر منها غير مايظهر لسخنت عينه ولطال عويله على عظيم مصيبته نعوذ بالله من الخذلان ومن عظم ماحل بالقدرية المتنطعين بالجهل والعمى والحمد لله على توفيقه ايانا حمدا كثيرا كما هو أهله

(قال أبو محمد) ويقال لهم هبكم شنعتم في قبيح انه قبيح فلم نفيتم عن الله عز وجل خلق الخير كله وخلق الحسن كله فقلتم لم يخلق الله تعالى الايمان ولا الاسلام ولا الصلاة ولا الزكاة ولا النية الحسنة ولا اعتقاد الخير ولا إيتاء الزكاة ولا الصدقة ولا البر لان خلق هذا قبيح أم كيف الامر فبان تمويهكم بذكر خلق الشر وأنتم قد استوى عندكم الخير والشر في أن الله تعالى لم يخلق شيئا من ذلك كله فدعو التمويه الضعيف

(قال أبو محمد) وقرأت في مسائل لابي هاشم عبد السلام ابن أبي علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي رئيس المعتزلة وابن رئيسهم كلاما له يردد فيه كثيرا دون حياء ولا رقبة يجب على الله أن يفعل كذا كانه المجنون يخبر عن نفسه او عن رجل من عرض الناس فليت شعري اما كان له عقل أو حس يسائل به نفسه فيقول ليت شعري من أوجب على الله تعالى هذا الذي قضي بوجوبه عليه ولا بد لكل وجوب وايجاب من موجب ضرورة والا كان يكون فعلا لا فاعل له وهذا اكفر مما أجازه فمن هذا الموجب على الله تعالى حكما ما وهذا لا يخلو ضرورة من أحد وجهين لا ثالث لهما اما ان يكون أوجبه تعالى عليه بعض خلقه اما العقل وأما العاقل فان كان هذا فقد رفع القلم عنه وأف لكل عقل يقوم فيه انه حاكم على خالقه ومحدثه بعد ان لم يكن ومرتبه على ماهو عليه ومصرفه على مايشاء واما ان يكون تعالى اوجب ذلك على نفسه بعد ان لم يزل غير موجب له على نفسه فان قال بهذا قيل له فقد كان غير واجب عليه حتى اوجبه فاذ هو كذلك فقد كان مباحا له ان يعذب من لم يقدره على ترك ماعذبه عليه وعلى خلاف سائر ماذكرت انه اوجبه على نفسه واذا وجب ذلك على نفسه بعد ان لم يكن واجبا عليه فممكن له ان يسقط ذلك الوجوب عن نفسه واما ان يكون تعالى لم يزل موجبا ذلك على نفسه فان قال بهذا لزمته عظيمتان مخرجتان له عن الاسلام وعن جميع الشرائع وهما ان الباري تعالى لم يزل فاعلا ولم يزل فعله معه لان الايجاب فعل ومن لم يزل موجبا فلم يزل فاعلا وهذا قول اهل الدهر نفسه

(قال أبو محمد) ولا يمانع بين جميع المعتزلة في اطلاق هذا الجنون من انه يجب على الله ان يفعل كذا ويلزمه ان يفعل كذا فعجبوا لهذا الكفر المحض وبهذا يلوح بطلان ما يتاولونه في قول الله تعالى * وكان حقا علينا نصر المؤمنين * وقوله تعالى * كتب على نفسه الرحمة * وقوله عليه السلام حق العباد على الله ان لا يعذبهم يعني اذا قالوا لا اله الا الله وحق على الله ان يسقيه من طينة الخبال يعني عن شارب الخمر وان كل هذا انما هو ان الله تعالى قضى بذلك وجعله حتما واجبا وكونه حقا فوجب ذلك منه

مسبوق بالمبدع والمسبوق لا يدرك السابق ابدا فلا يجوز أن يصف المسبوق السابق بل يقول ان المبدع أبدع كيف ما احب وكيف ماشاء فهو هو ولا شيء معه وهذه الكلمة أعني هو ولا شيء بسيط لا مركب معه وهو مجمع كل مايطلبه من العلم لانك اذا قلت ولا شيء معه فقد نفيت عنه ازلية الصورة والهيولى وكل مبدع من صورة وهيولى وكل مبدع من صورة فقط ومن قال ان الصور ازلية مع انيته فليس هو فقط بل هو واشياء كثيرة فليس هو مبدع للصور بل كل صورة انما ظهرت ذاتها فعند اظهارها ذاتها ظهرت هذه العوالم وهذا اشنع مايكون من القول وكان هرمس وعاذيمون يقول ليست أوائل البتة ولا معقول قبل المحسوس مجل

تعالى لا عليه فابدلت من من على وحروف الجر يبدل بعضها من بعض ثم نقول لهم من خلق ابليس ومردة الشياطين والخمر والخنازير والحجارة المعبودة والميسر والاصنام والازلام وما أهل لغير الله به وما ذبح على النصب فمن قولهم وقول كل مسلم أن الله تعالى خالق هذا كله فلنسالهم اشىء حسن هو كل ذلك أم رجس وقبيح وشر فان قالوا بل رجس وقبيح ونجس وشر وفسق صدقوا وأقروا انه تعالى خلق الانجاس والرجس والشر والفسق وما ليس حسنا فان قالوا بل هى حسان فى اضافة خلقها الى الله تعالى وهى رجس ونجس وشر وفسق تسمية الله تعالى لها بذلك قلنا صدقتم وهكذا نقول ان الكفر والمعاصى هى فى انها اعراض وحركات خلق لله تعالى حسن من خلق الله تعالى كل ذلك وهى من العصاة باضافتها اليهم قبايح ورجس وقال عز وجل * انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان * وقال تعالى * ولحم خنزير فانه رجس * فليخبرونا أي ذنب كان من هذه الاشياء وجب ان يسخطها الله تعالى وان يرجسها ويحل غيرها طيبات هل هاهنا الا انه تعالى فعل مايشاء واى فرق بين ان يسخط ما شاء فيلعنه مما لا يعقل ويرضى عما شاء من ذلك فيعلى قدره ويأمر بتعظيمه كناقة صالح والبيت الحرام وبين ان يفعل ذلك أيضا فيمن يعقل فيقرب بعضا كما شاء ويبعد بعضا كما شاء وهذا ما لا سبيل الى وجود الفرق فيه أبدا ثم نسألهم هل حابي الله تعالى من خلقه في ارض الاسلام بحيث لا يلقى الا داعيا الى الدين ومحسنا له على من خلقه فى أرض الزنج والصين والروم بحيث لا يسمع الا ذاما لدين المسلمين مبطلا له وصادا عنه وهل رأوا قط وسمعوا بمن خرج من هذه البلاد طالبا لصحة البرهان على الدين فمن انكر هذا كابر العيان والحس ومن اذعن لها ترك قول المعتزلة الفاسد

(قال ابو محمد) والقول الصحيح هو ان العقل الصحيح يعرف بصحته ضرورة ان الله تعالى حاكم على كل ما دونه وانه تعالى غير محكوم عليه وان كل ماسواه تعالى فمخلوق له عز وجل سواء كان جوهرا حاملا او عرضا محمولا لا خالق سواه وانه يعذب من يشاء ان يعذبه ويرحم من يشاء ان يرحمه وانه لا يلزم احدا الا ما ألزمه الله عز وجل ولا قبيح الا ما قبح الله ولا حسن الا ما حسن الله وانه لا يلزم لاحد على الله تعالى حق ولا حجة ولله تعالى على كل من دونه ومادونه الحق الواجب والحجة البالغة لو عذب المطيعين والملائكة والانبياء فى النار مخلدين لكان ذلك له ولكان عدلا وحقا منه ولو نعم ابليس والكفار فى الجنة مخلدين كان ذلك له وكان حقا وعدلا منه وان كل ذلك اذ أباه الله تعالى واخبر انه لا يفعله صار باطلا وجورا وظلما وانه لا يهتدى احد الا من هداه الله عز وجل ولا يضل احد الا اضله الله عز وجل ولا يكون فى العالم الا ما اراد الله عز وجل كونه من خير او شر وغير ذلك وما لم يرد عز وجل كونه فلا يكون البتة وبالله تعالى التوفيق ونحن نجد الحيوان لا يسمى عدوان بعضها على بعض قبيحا ولا ظلما ولا يلام على ذلك ولا يلام على من ربى شيئا منها على العدوان عليها فلو كان هذا النوع قبيحا لعينه وظلما لعينه لقبح متى وجد فلما لم يكن كذلك صح انه لا يقبح شىء لعينه البتة لكن اذا قبحه الله عز وجل فقط فاذ قد بطل قولهم بالبرهان الكلى الجامع لاصلهم الفاسد فلنقل بحول الله تعالى وقوته فى ابطال اجزاء مسائلهم وبالله تعالى نستعين فاول ذلك ان نسألهم فنقول عرفونا

بل مثل بدعة الاشياء مثل الذى يفرج من ذاته بلا حدث ولا فعل ظهر فلا يزال يخرجه من القوة الى الفعل حتى يوجد فيكمل فيحسه ويدركه وليس شىء معقول البتة والعالم دائم لايزول ولا يفنى فان المبدع لايجوز ان يفعل فعلا يدثر الا وهو داثر مع دثور فعله وذلك محال (راي زينون الاكبر) كان يقول ان المبدع الاول كان فى علمه صورة ابداع كل جوهر وصورة دثور كل جوهر فان علمه غير متناه والصور التى فيه من حد الابداع غير متناهية وكذلك صور الدثور غير متناهية فالعوالم فى كل حين ودهر فما كان منها مشاكلا لنا ادركنا حدود وجوده ودثوره بالحواس والعقل وما كان غير مشاكل لنا لم ندركه الا انه ذكر وجه

ماهذا القبيح فى العقل أعلى الاطلاق فقال قائلون من زعمائهم منهم الحارث بن علي الوراق البغدادى وعبدالله بن احمد بن محمود الكعبى البلخى وغيرهما ان كل شىء حسن بوجه ما قلت يمتنع وقوع مثله من الله تعالى لانه حينئذ يكون حسنا اذ ليس قبيحا البتة على كل حال واما ما كان قبيحا على كل حال فلا يحسن البتة فهذا منفى عن الله عز وجل ابدا قالوا ومن القبيح على كل حال ان تفعل بغيرك مالا تريد ان يفعل بك ، تكليف مالا يطاق ثم التعذيب عليه

(قال ابو محمد) وظن هؤلاء المبطلون اذ اتوا بهذه الحماقة انهم اغربوا وقرطسوا وهم بالحقيقة قد هذوا وهدروا وهذا عين الخطاء وانما قبح بعض هذا النوع اذ قبحه الله عز وجل وحسن بعضه اذ حسنه الله عز وجل والعجب من مباهتتهم فى دعواهم ان المحاباة فيما بيننا ظلم ولا ندرى فى اى شريعة ام فى اى عقل وجدوا ان المحاباة ظلم وان الله تعالى قد اباحها الا حيث شاء وذلك ان للرجل ان ينكح امرأتين وثلاثا واربعا من الزوجات وذلك له مباح حسن وان يطأ من امائه اى عدد احب وذلك له مباح حسن ولا يحل للمرأة ان تنكح غير واحد ولا يكون عبدها وهذا منه حسن وبالضرورة ندرى ان في قلوبهن من الغيرة كما فى قلوبنا وهذا محظور فى شريعة غيرنا والنفار منه موجود فى بعض الحيوان بالطبع والحر المسلم ملكه ان يستعبد اخاه المسلم ولعله عند الله تعالى خير من سيده فى دينه وفى اخلاقه وقنوته ويبيعه ويهبه ويستخدمه ولا يجوز ان يستعبده هو احد لا عبده ذلك ولا غيره وهذا منه حسن وقد احب رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه المقدسة ما اكرمه الله تعالى به من ان لا ينكح احد من بعده من نسائه امهاتنا رضوان الله عليهن واحب هو عليه السلام نكاح من نكح من النساء بعد ازواجهن وكل ذلك حسن جميل صواب ولو احب ذلك غيره كان مخطىء الارادة قبيحا ظالما ومثل هذا ان تتبع كثير جدا اذ هو فاش فى العالم وفي اكثر الشريعة فبطل هذا القول الفاسد منهم وقد نص الله تعالى على اباحة ما ليس عدلا عند المعتزلة بل على الاطلاق وعلى المحاباة حيث شاء وكل ذلك عدل منه قال عز وجل * ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء وان حرصتم فلا تميلوا كل الميل * وقال تعالى فان خفتم ان لا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم * فاباح تعالى لنا ان لا نعدل بين ما ملكت ايماننا واباح لنا محاباة من شئنا منهن فصح أن لا عدل الا ما سماه الله عدلا فقط وان كل شيء فعله الله فهو العدل فقط لا عدل سوى ذلك وكذلك وجدنا الله تعالى قد اعطى الابن الذكر من الميراث حظين وان كان غنيا مكتسبا واعطى البنت حظا واحدا وان كانت صغيرة فقيرة فبطل قول المعتزلة وصح ان الله تعالى يحابى من يشاء ويمنع من يشاء وان هذا هو العدل لا ما تظنه المعتزلة عدلا بجهلها وضعف عقولها واما تكليف ما لا يطاق والتعذيب عليه فانما قبح ذلك فيما بيننا لان الله تعالى حرم ذلك علينا فقط وقد علمت المعتزلة كثرة عدد من يخالفهم فى ان هذا لا يقبح من الله تعالى الذى لا امر فوقه ولا يلزمه حكم عقولنا وما دعواهم على مخالفيهم فى هذه المسئلة انهم خالفوا قضية العقل ببديهته الا كدعوى المجسم عليهم انهم خالفوا قضية العقل ببديهته اذ اجازوا وجود الفعل مما ليس جسما واذ اجازوا حيا بلا حياة وعالما لا بعلم

(قال ابو محمد) وكلتا الدعويين على العقول كاذبة وقد بينا فيما سلف من كتابنا هذا غلط من ادعى فى العقل ما ليس فيه وبينا ان العقل لا يحكم به على الله الذى خلق العقل ورتبه على ما هو

التجدد فقال ان الموجودات باقية دائرة فاما بقاؤها فبتجدد صورها واما دثورها فبدثور الصورة الاولى عند تجدد الاخرى وذكر ان الدثور قد يلزم الصور والهيولى وقال ايضا ان الشمس والقمر والكواكب يستمد القوة من جوهر السماء فاذا تغيرت السماء تغيرت النجوم ايضا ثم هذه الصور كلها بقاؤها ودثورها فى علم البارى تعالى والعلم يقتضى بقاءها دائما وكذلك الحكمة تقتضى ذلك لان بقاءها على هذا الحال افضل والبارى تعالى قادر على ان يفنى العوالم يوما ان اراد وهذا الرأى قد مال اليه الحكماء المنطقيون والجدليون ذو الالهيين وحكى فلوطرخيطس أن زينون كان يزعم أن الاصول هو الله تعالى والعنصر فقط فالله تعالى

به ولامزيد وبالله تعالى التوفيق وقال بعض المعتزلة ان من القبيح بكل حال والمحظور فى العقل بكل وجه كفر نعمة المنعم وعقوق الاب

(قال ابو محمد) وهذا غاية الخطأ لان العاقل المميز بالامور اذا تدبرها علم يقينا انه لامنعم على احد الا الله وحده لاشريك له الذى اوجده من عدم ثم جعل له الحواس والتمييز وسخر له ما في الارض وكثيرا مما فى السماء وخوله المال وان كل منعم دون الله عز وجل فان كان منعما بمال فانما اعطى من مال الله عز وجل فالنعمة لله عز وجل دونه وان كان ممرضا او معتقا او خائفا من مكروه فانما صرف فى ذلك كلما وهبه الله عز وجل من الكلام والقوة والحواس والاعضاء وانما تصرف بكل ذلك فى ملك الله عز وجل وفيما هو تعالى اولى به منه فالنعمة لله عز وجل دونه فالله تعالى هو ولى كل نعمة فاذ لاشك في ذلك فلامنعم الا من سماه الله تعالى منعما ولا يجب شكر منعم الا بعد ان يوجب الله تعالى شكره فحينئذ يجب والا فلا ويكون حينئذ من لم يشكره عاصيا فاسقا اتى كبيرة لخلاف امر الله تعالى بذلك فقط ولا فرق بين تولدنا من مني ابوينا وبين تولدنا من التراب الارضى ولا خلاف فى انه لا يلزمنا بر التراب ولا له علينا حق ليس ذلك الا لان الله تعالى لم يجعل له علينا حقا وقد يرضع الصغير شاة فلا يجب لها عليه حق لان الله تعالى لم يجعله لها وجعله للابوين وان كانا كافرين مجنونين ولم يتوليا تربيتنا بل اشتغلا عنا بلذاتهما ليس ههنا الا امر الله تعالى فقط وبرهان آخر ان امرألو زنى بامرأة عالما بتحريم ذلك اوغير ذلك عالم الا انه ممن لا يلحق به الولد المخلوق من نطفته النازلة من ذلك الوطء فان بره لا يلزم ذلك الولد اصلا ويلزمه بر أمه لان الله تعالى امره بذلك لها ولم يامره بذلك فى الذى تولد من نطفته فقط ولا فرق فى العقل بين الرجل والمرأة فى ذلك ولا فرق فى المعقول وفى الولادة تولد الجنين من نطفة الواطئ لامه بين اولاد الزنا واولاد الرشدة لكن لما الزم الله تعالى اولاد الرشدة المتولدين عن عقد نكاح او ملك يمين فاسدين او صحيحين بر آبائهم وشكرهم وجعل عقوقهم من الكبائر لزمنا ذلك ولما لم يلزم ذلك اولاد الزانية لم يلزمهم وقد علمنا نحن وهم يقينا ان رجلين مسلمين لو خرجا فى سفر فاغار احدهما على قرية من قرى دار الحرب فقتل كل رجل بالغ فيها واخذ جميع اموالهم وسبى ذراريهم ثم خمس ذلك بحكم الامام العدل ووقع فى حظه اطفال قد تولى هو قتل ابائهم وسبى امهاتهم ووقعن ايضاً بالقسمة الصحيحة فى حصته فنكحهن وصرف اولادهن فى كنس حشوشه وخدمة دوابه وحرثه وحصاده ولم يكلفهم من ذلك الا ما يطيقون وكساهم وانفق عليهم بالمعروف كما امر الله تعالى فان حقه واجب عليهم بلا خلاف ولو أعتقهم فانه منعم عليهم وشكره فرض عليهم وكذلك لو فعل ذلك بمن اشتراه وهو مسلم بعد واغار الثانى علي قرية للمسلمين فاخذ صبيانا من صبيانهم فاسترقهم فقط ولم يقتل احدا ولا سبي لهم حرمة فربى الصبيان احسن تربية وكانوا فى قرية شقاء وجهد وتعب وشظف عيش وسوء حال فرفه معايشهم وعلمهم العلم الاسلام وخولهم المال ثم اعتقهم فلا خلاف فى انه لا حق له عليهم وان ذمه وعداوته فرض عليهم وانه لو وطيء أمرأة منهن وهو محصن وكان احدهم قد ولى حكما للزمه شدخ رأسه بالحجارة حتى يموت افلا يتبين لكل ذى عقل من اهل الاسلام انه لا محسن ولا منعم الا الله تعالى وحده لاشريك له الا من سماه الله تعالى محسنا او منعما ولا شكر لازما لاحد على

هو العلة الفاعلة والعنصر هو المنفعل حكمه قال اكثروا من الاخوان فان بقاء النفوس ببقاء الاخوان كما ان شفاء الابدان بالادوية وقيل رأى زينون فتى على شاطىء البحر محزونا يتلهف علي الدنيا فقال له يافتى مايلهفك علي الدنيا لو كنت فى غاية الغنى وانت راكب فى لجة البحر قد انكسرت السفينة وأشرفت على الغرق كانت غاية مطلوبك النجاة ويفوت كل ما فى يدك قال نعم قال لو كنت ملكا علي الدنيا وأحاط بك من يريد قتلك كان مرادك النجاة من يده قال نعم قال فانت الغنى وأنت الملك الان فتسلى الفتى وقال لتلميذه كن بما يأتى من الخير مسرورا وبما يجتنب من الشر محذورا وقيل له أى الملوك أفضل ملك اليونيين

احد الامن الزمه الله تعالى شكره ولاحق لاحد على احد الامن جعل الله تعالى له حقا فيجب كل ذلك اذا أوجبه الله تعالى والافلا وقد اجمعوا معنا على ان من افاض احسان الدنيا على انسان أفاضه بوجه حرمه الله تعالى فانه لا يلزمه شكره وان من احسن الى آخر غاية الاحسان فشكره بان اعانه فى دنياه بما لا يجوز فى الدين فانه مسيء اليه ظالم فصح يقينا انه لا يجب شيء ولا يحسن شيء ولا يقبح شيء الا ما اوجبه الله تعالى فى الدين او حسنه الله فى الدين او قبحه الله فى الدين فقط وبالله تعالى نتأيد وقال بعضهم الكذب قبيح على كل حال

(قال ابو محمد) وهذا كالاول وقد أجمعوا معنا على بطلان هذا القول وعلى تحسين الكذب فى مواضع خمسة اذ حسنه الله تعالى وذلك نحو انسان مسلم مستتر من امام ظالم يظلمه ويطلبه فسال ذلك الظالم هذا الذى استتر عنده المطلوب وسال ايضا كل من عنده خبره وعن ماله فلا خلاف بين احد من المسلمين فى انه ان صدقه ودله على موضعه وعلى ماله فانه عاص لله عز وجل فاسق ظالم فاعل فعلا قبيحا وانه لو كذبه وقال له لا ادرى مكانه ولا مكان ماله فانه ماجور محسن فاعل فعلا حسنا وكذلك كذب الرجل لامرأته فيما يستجر به مودتها وحسن صحبتها والكذب فى حرب المشركين فيما يوجد به السبيل الى اهلاكهم وتخليص المسلمين منهم فصح انه انما قبح الكذب حيث قبحه الله عز وجل ولولا ذلك ما كان قبيحا بالعقل اصلا اذ ما اوجب ضرورة العقل فمحال ان يستحيل فى هذا العالم البتة مما رتبه الله عز وجل فى وجود العقل اياه كذلك فصح كذبهم على العقول وقال بعضهم الظلم قبيح

(قال ابو محمد) وهذا كالاول ونسالهم ما معنى الظلم فلا يجدون الا ان يقولوا انه قتل الناس واخذ اموالهم واذاهم وقتل المرء نفسه أو التشويه بها او اباحة حرمه للناس ينكحونهن وكل هذا فليس شيء منه قبيحا لعينه وقد أباح الله عز وجل اخذ اموال قوم بخراسان من اجل ابن عمهم قتل بالاندلس رجلا خطأ لم يرد قتله لكن رمى صيدا مباحا له أو رمى كافرا فى الحرب فصادف المسلم السهم وهو خارج من خلف جبل فمات ووجدناه تعالى قد أباح دم من زنى وهو محصن ولم يطأ امرأة قط الا زوجة له عجوزا شعرها سوداء وطئها مرة ثم ماتت ولا يجد من ان ينكح ولا من ان يتسرى وهو شاب محتاج الى النساء وحرم دم شيخ زنى وله مائة جارية كالنجوم حسنا الا انه لم يكن له قط زوجة واما قتل المرء نفسه فقد حسن الله تعالى تعريض المرء نفسه للقتل فى سبيل الله عز وجل وصدمة الجموع التى يوقن انه مقتول فى فعله ذلك وقد أمر عز وجل من قبلنا بقتل نفسه قال تعالى *فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم* ولو امرنا عز وجل بمثل ذلك لكان حسنا كما كان حسنا أمره عز وجل بذلك بنى اسرائل وأما التشويه بالنفس فان الختان والاحرام والركوع والسجود لولا أمر الله تعالى بذلك وتحسينه اياه لكان لا معنى له ولكان على اصولهم تشويها ودليل ذلك ان امرا من الناس لو قام ثم وضع رأسه فى الارض فى غير صلاة بحضرة الناس لكان عابثا بلا شك مقطوعا عليه بالهوس وكذلك لو تجرد المرء من ثيابه امام الجموع فى غير حج ولا عمرة وكشف رأسه ورمى بالحصى وطاف ببيت مهرولا مستديرا به لكان مجنونا بلا شك لاسيما ان امتنع من قتل قملة ومن فلى رأسه ومن قص اظفاره وشاربه لكن لما امر الله عز وجل بما امر به من ذلك كان فرضا واجبا

أم ملك الفرس قال من ملك شهوته وغضبه وسئل بعد أن هرم ما حالك قال أموت قليلا قليلا على مهل وقيل له اذا مت من يدفنك قال من يؤذيه نتن جيفتي وسئل ما الذى يهرم قال الغضب والحسد وأبلغ منها الغم وقال الفلك تحت تدبيري ونعي اليه ابنه فقال ما ذهب ذلك على انما ولدت ولدا يموت وما ولدت ولدا لا يموت وقال لا تخف موت البدن وقال ولكن يجب عليك أن تخاف موت النفس فقيل له لم قلت خف موت النفس والنفس الناطقة عندك لا تموت فقال اذا انتقلت النفس الناطقة من حد النطق الى حد البهيمية وان كان جوهرها لا يبطل فقد ماتت من العيش العقلي وقال اعط الحق من نفسك فان الحق يخصمك ان لم تعطه حقه وقال محبة

وحسنا وكان تركه قبيحا وانكاره كفرا واما اباحة المرء حرمه للنكاح فهذا أعجب ماأتوا به أما علموا ان الله تعالى خلى بين عبده وامائه يفجر بعضهم ببعض وهو قادر على منعهم من ذلك فلم يفعل بل قوى آلاتهم وقوي شهواتهم على ذلك باقرار المعتزلة فهذا من الله حسن ومن عباده قبيح لان الله قبحه ولا مزيد ولو حسنه تعالى لحسن أما شاهدوا انكاح الرجال بناتهم من رجال ثم يطلق الرجل منهم المرأة فمن آخر ثم آخر وهكذا ما أمكنهم وكذلك ان مات عنها فاى فرق فى العقول بين اباحة وطئها بلفظ زوجتك اوانكحتك وبين حظر وطئها بالاطلاق عليه بلفظة قم فطاها فهل هاهنا قبيح الاما قبحه الله عزوجل أوحسن الاما حسن الله عزوجل وقال بعضهم الكفر قبيح على كل حال

(قال ابو محمد) وهذا كالاول وما قبح الكفر الالان الله قبحه ونهى عنه ولولا ذلك ماقبح وقد اباح الله عزوجل كلمة الكفر عند التقية واباح بها الدم فى غير التقية ولوان امرأ اعتقد أن الخمر حرام قبل ان ينزل تحريمها لكان كافرا ولكان ذلك منه كفرا ان كان عالما باباحة الرسول صلي الله عليه وسلم ثم صار ذلك الكفر ايمانا وصار الآن من اعتقد تحليلها كافرا وصار اعتقاد تحليلها كفرا فصح ان لا كفر الاماسماه الله عزوجل كفرا ولا ايمانا الاماسماه ايمانا وان الكفر لايقبح الابعد ان قبحه الله عزوجل ولايحسن الايمان الابعد ان حسنه الله عز وجل فبطل كل ماقالوه فى الجور والكفر والظلم وصح انه لاظلم الامانهى الله عنه ولاجور الاما كان كذلك ولاعدل الاماامر الله تعالى به اواباحه أى شيء كان وبالله تعالى التوفيق فاذ هذا كماذكرنا فقد صح انه لاظلم فى شيء من فعل البارى تعالى ولوانه تعالى عذب من لم يقدره على ماأمر به من طاعته لماكان ذلك ظلما اذ لم يسمه تعالى ظلما وكذلك ليس ظلما خلقه تعالى للافعال التى هى من عباده عزوجل كفر وظلم وجور لانه لا آمر عليه تعالى ولا ناهيا بل الامر أمره والملك ملكه وقالوا تكليف مالايطاق ثم التعذيب عليه قبيح فى العقول جملة لايحسن بوجه من الوجوه فيمابيننا فلايحسن من البارى تعالى اصلا

(قال أبو محمد) نسى هؤلاء القوم مالا يجب ان ينسى ويقال لهم أليس قول القائل فيما بيننا أعبدونى أسجدوالى قبحا لايحسن بوجه من الوجوه ولاعلى حال من الاحوال فلا بد من نعم فيقال لهم أوليس هذا القول من الله تعالى حسنا وحقا فلابد من نعم فان قالوا انما قبح ذلك منا لاننا لانستحقه قيل لهم وكذلك انما قبح منا تكليف مالا يطاق والتعذيب عليه لاننا لانستحق هذه الصفة واى شيء أتوابه من الفرق فهو راجع عليهم فى تكليف مالا يطاق ولافرق وكذلك الممتن باحسانه الجبار المتكبر ذوالكبرياء قبيح فيما بيننا على كل حال وهو من الله تعالى حسن وحق وقد سمى نفسه الجبار المتكبر وأخبر أن له كبرياء وهو تعالى يمن باحسانه فان قالوا حسن ذلك منه لان الكل خلقه قيل لهم وكذلك حسن منه تكليف من لا يستطيع ثم تعذيبه لان الكل خلقه وكذلك فيما بيننا من عذب حيوانا بالنتف والضرب ثم احسن علفه ورفهه فهو قبيح على كل وجه وفاعله عابث وهم يقولون أن البارى تعالى أباح ذلك فى الحيوان من أكلها وذبحها ثم يعوضها على ذلك وهذا منه عزوجل حسن الاان يلجؤا الى أنه تعالى لايقدر على تعويض الحيوان الابعد ايلامها وتعذيبها فهذا أقبح قول وابينه كذبا وأوضحه نخبة وأتمه كفرا وأذمه للبارى تعالى وحسبنا الله ونعم الوكيل فان قالوا ان ايلام الحيوان قد يحسن فيما

المال وتد الشر لان سائر الآفات يتعلق بها ومحبة الشرف وتد العيوب لان سائر العيوب متعلقة بها وقال احسن مجاورة النعم فتنعم ولاتسيء بها فتسيء بك وقال اذا ادركت الدنيا الهارب منها جرحته واذا أدركها الطالب لها قتلته وقيل له وكان لا يقتنى الاقوت يومه ان الملك يبغضك فقال وكيف يحب الملك من هو اغنى منه وسئل باى شيء تخالف الناس فى هذا الزمان البهائم قال بالشرازة قال وما رأينا العقل قط الاخادما للجهل وفى رواية للسنجرى الا خادما للجد والفرق بينهما ظاهر فان الطبيعة ولوازمها اذا كانت مستولية على العقل استخدمه الجهل واذا كان ماقسم للانسان من الخير والشر فوق تدبيره العقلى كان الجد مستخدما للعقل ويعظم جد الانسان بالعقل وليس يعظم العقل بالجد

بيننا مثل ان يسقى الانسان من يحب ماء الادوية الكريهة ويحجمه ويكويه ليوصله بذلك الى منافع لولا هذا المكروه لم يكن ليصل اليها

(قال أبو محمد) وهذا تمويه لم ينفكوا به مما سألهم عنه اصحابنا فى هذه المسالة ونحن لم نسألهم عمن لا يقدر على نفعه الا بعد الاذى الذى هو أقل من النفع الذي يصل اليه بعد ذلك الاذى انما سألناهم عمن يقدر على نفعه دون ان يبتديه بالاذى ثم لا ينفعه الا حتى يؤذيه

(قال أبو محمد) وكذلك تكليف من يدرى المرء انه لا يطيقه وانه اذا لم يطقه عذبه قبيح فيما بيننا فقال قائل منهم ان هذا قد يحسن فيما بيننا وذلك ان يكون المرء يريد ان يقرر عند صديقه معصية عبده له فيأمره وهو يدرى انه لا يطيعه فان نهيه له حسن

(قال أبو محمد) وهذا كالاول ولا فرق ولم نسألهم عمن لم يقدر على تعريف صديقه معصية غلامه له الا بتكليفه امامه ما لا يطيعه فيه ولا عمن لا يقدر على منع العاصى له باكثر من النهى وانما نسألهم عمن لا منفعة له فى ان يعلم زيدا معصية غلامه له وعمن يقدر على ان يعرف زيدا بذلك ويقرره عنده بغير ان يامر من لا يطيعه وعمن يقدر على منعه من المعصية فلا يفعل ذلك الا ان يعجزوا ربهم كما ذكرنا فهذا مع أنه كفر فهو أيضا كذب ظاهر لانه تعالي قد أخبر عن أهل النار أنهم لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه فتقرر هذا عندنا تقررا لو رأينا ذلك عيانا ما زادنا علما بصحته وكذلك قد شاهدنا قوما آخرين ارادوا ضروبا من المعاصى فحال الله تعالى بينهم وبينها بضروب من الحوايل وأطلق آخرين ولم يحل بينهم وبينها بل قوى الدواعى لها ورفع الموانع عنها جملة حتى ارتكبوها فلاح كذب المعتزلة وعظيم اقدامهم على الافتراء على الله تعالى وشدة مكابرتهم العيان ومخالفتهم للمعقول وقوة جهلهم وتناقضهم نعوذ بالله من الخذلان ثم بعد هذا كله فاى منفعة لنا فى تعريفنا ان فرعون يعصى ولا يؤمن وما الذى ضر الاطفال اذا ماتوا قبل ان يعرفوا من أطاع ومن عصى ونسألهم أيضا عمن أعطى آخر سيوفا وخناجر وعتلا للنقب وكل ذلك يصلح للجهاد ولقطع الطريق والتلصص وهو يدرى انه لا يستعمل شيئا من ذلك في الجهاد الا فى قطع الطريق والتلصص وعمن مكن آخر من خمر وامرأة طاهرة وبغاء واحلى له منزلا مع كل ذلك أليس عابثا ظالما بلا خلاف فلا بد من نعم ونحن وهم نعلم أن الله عز وجل وهب لجميع الناس القوى التى بها عصوا وهو يدرى انهم يعصونه بها وخلق الخمر وبثها بين ايديهم ولم يحل بينهم وبينها وليس ظالما ولا عابثا فان عجزوه تعالى عن المنع من ذلك بلغوا الغاية من الكفر فان من عجز نفسه منا عن منع الخمر من شاربها وهو يقدر على ذلك لفى غاية الضعف والمهانة او مريد لكون ذلك كما شاء لا معقب لحكمه وهذا قولنا لا قولهم

(قال أبو محمد) فانقطعوا عند هذه ولم يكن لهم جواب الا أن بعضهم قال انما قبح ذلك منا لجهلنا بالمصالح ولعجزنا عن التعويض ولان ذلك محظور وهذا محظور علينا ولو أن امرأ له منا عبيد وقد صح عنده باخبار النبي عليه الصلاة والسلام انهم لا يؤمنون أبدا فان كسوتهم واطعامهم مباح له

(قال أبو محمد) وهذا عليهم لا لهم واقرار منهم بانه انما قبح ذلك منا لانه محرم علينا وكذلك كسوة العبيد الذين يوقن انهم لا يؤمنون وانما حسن ذلك لاننا مأمورون بالاحسان الى العبيد وان كانوا كفارا ولو فعلنا ذلك باهل دار الحرب لكنا عصاة لاننا نهينا عن ذلك ليس هاهنا شيء يقبح ولا يحسن الا ما أمر الله تعالى فقط واما قولهم ان ذلك قبح منا لجهلنا بالمصالح

ولهذا خيف على صاحب الجد ما لم يخف على صاحب العقل والجد أصم أخرس لا يفقه ولا ينقه وانما هو ريح تهب وبرق يلمع ونار تلوح وصحو يعرض وحلم يمنع وهذا اللفظ أولى فانه عمم الحكم فقال ما رأينا العقل قط وقد يعرض العقل أن يرى ولا يستخدمه الجهل وذلك هو الاكثر وقال زينون فى الجرادة خلقة سبعة جبابرة رأسها رأس فرس وعنقها عنق ثور وصدرها صدر أسد وجناحاها جناحا نسر ورجلاها رجلا جمل وذنبها ذنب حية (رأى ذيمقراطيس وشيعته) فانه كان يقول فى المبدع الاول انه ليس هو العنصر فقط ولا العقل فقط بل الاخلاط الاربعة وهى الاستقسات أوائل الموجودات كلها دفعة واحدة وأما المركبة

فليقنعوا بهذا فمن اجابهم بهذا بعينه فى الفرق بين حسن تكليف الله تعالى ما لا يطاق وتعذيبه عليه منه وقبح ذلك منا وانه انما قبح منا لجهلنا بالمصالح

(قال ابو محمد) واما نحن فكلا الجوابين عندنا فاسد ولا مصلحة فيما ادى الى النار والخلود فيها بلا نهاية ولكنا نقول قبح منا ما نهانا الله عنه وحسن منا ما امرنا به وكل ما فعله ربنا تعالى الذى لا آمر فوقه فهو عدل وحسن وبالله تعالى التوفيق وسألهم اصحابنا فقالوا ان المعهود بيننا ان الحكيم لا يفعل الا لاجتلاب منفعة او دفع مضرة ومن فعل لغير ذلك فهو سفيه والبارى تعالى يفعل لغير اجتلاب منفعة ولا لدفع مضرة وهو حكيم فقالت طائفة من المعتزلة ان البارى تعالى يفعل لاجتلاب المنافع الى عباده ودفع المضار عنهم وقالت طائفة منهم لم يكن الحكيم فيما بيننا حكيما لانه يفعل لاجتلاب المنافع ودفع المضار لانه قد يفعل ذلك كل ملتذ وكل متشف وان لم يكن حكيما وانما سمى الحكيم حكيما لاحكامه عمله

(قال ابو محمد) وكل هذا ليس بشيء لان الحيوان ما يحكم عمله مثل الخطاف والعنكبوت والنحل ودود القز ولا يسمى شيء من ذلك حكيما لكن انما سمي الحكيم حكيما على الحقيقة لالتزامه الفضائل واجتنابه الرزائل فهذا هو العقل والحكمة المسمى فاعله حكيما عاقلا وهكذا هو فى الشريعة لان جميع الفضائل انما هى طاعات الله عز وجل والرزائل انما هى معاصيه فلا حكيم الا من اطاع لله عز وجل واجتنب معاصيه وعمل ما امره به عز وجل وليس من اجل هذا يسمى البارى حكيما انما سمى حكيما لانه سمي نفسه حكيما فقط ولو لم يسم نفسه حكيما ما سميناه حكيما كما لم نسمه عاقلا اذ لم يسم بذلك ثم نقول لهم واما قولكم انما سمى الله حكيما لفعله الحكمة فانتم مقرون انه اعطي الكفار قوة الكفر ولا يسمى مع ذلك مقويا على الكفر واما من قال منهم انه تعالى يفعل لاجتلاب المنافع الي عباده ودفع المضار عنهم فكلام فاسد اذا قيل على عمومه لان كل مستضر يفعله فى دنياه واخراه لم يصرف الله تعالى عنه تلك المضرة وقد كان قادرا على صرفها عنه الا ان يعجزوه عن ذلك فيكفروا وسالهم أصحابنا فقالوا اذا كان الله عز وجل لا يفعل الا ما هو عدل بيننا فلم خلق من يدرى انه يكفر به وانه سيخلده بين اطباق النيران ابدا فاجابوا عن هذا باجوبة فمن اظرفها ان كثيرا منهم قالوا لو لم يخلق من يكفر به ويخلده فى نار جهنم لما استحق العذاب احد ولا دخل النار احد

(قال ابو محمد) وتكفى من الدلالة على ضعف عقل هذا الجاهل هذا الجواب ونقول له ذلك ما كنا نبغى وهل الخير كله على ما بيننا الا ان لا يعذب احد بالنار وهل الحكمة المعهودة بيننا والعدل الذى لا عدل عندنا سواه الا نجاة الناس كلهم من الاذى واجتماعهم فى النعيم الدائم ولكن المعتزلة قوم لا يعقلون واجاب بعضهم فى هذا بان قال لو كان هذا السلم الجميع من اللوم ولكان لا شيء اوضع ولا اخس من العقل لان الذى لا عقل له سالم من العذاب واللوم والامم كلها مجمعة على فضل العقل

(قال ابو محمد) لو عرف هذا الجاهل معنى العقل لم يجب بهذا السخف لان العقل على الحقيقة انما هو استعمال الطاعات واجتناب المعاصي وما عدا هذا فليس عقلا بل هو سخف وحمق قال الله عز وجل حكاية عن الكفار انهم قالوا * لو كنا نسمع او نعقل ما كنا فى اصحاب السعير * ثم صدقهم الله عز وجل فى هذا فقال * فاعترفوا بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير * فصدق الله من عصاه انه لا يعقل ثم نقول لهم نعم لا منزلة أخس ولا أوضع ولا اسقط من منزلة موهبة ادت الى الخلود

فانها كانت دائمة دائرة لا أن ديمومتها بنوع ودثورها بنوع ثم إن العالم بجملته باق غير داثر لانه ذكر ان هذا العالم متصل بذلك العالم الاعلى كما ان عناصر هذه الاشياء متصلة بلطيف أرواحها الساكنة فيها والعناصر وان كانت تدثر فى الظاهر فان صفوها من الروح البسيط الذى فيها فاذا كان كذلك فليس يدثر إلا من جهة الحواس فاما من نحو العقل فانه ليس يدثر فلا يدثر هذا العالم اذا كان صفوها فيه وصفوه متصل بالعوالم البسيطة وانما شنع عليه الحكماء من جهة قوله إن أول مبدع هو العناصر وبعدها أبدعت البسائط الروحانية فهو يرتقى من الاسفل الى الاعلى ومن الا كدر الى الاصفى ومن شيعته (فلموخوس) الا انه خالفه فى المبدع الاول

فى النيران عقلا كانت او غير عقل قولكم فى العقل لو كان كون الانسان حشرة اودودة اوكلبا كان احظى له واسلم وافضل عاجلا وآجلا واحب الى كل ذى عقل صحيح، تمييز غير مدخول واذا كان عند هؤلاء القوم العقل الموهوب وبالا على صاحبه وسببا الى تكليفه امورا لم يات بها فاستحق النار فلاشك عند كل ذى حس سليم فى ان عدمه خير من وجوده فان قالوا ان التكليف لم يوجب عليه دخول النار قلنا نعم ولكنه كان سببا الى ذلك ولولا التكليف لم يدخل النار اصلا وقد شهد الله عز وجل بصحة هذا القول شهادة لا تخفى على مسلم وهي قوله تعالى * انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا * فحمد الله تعالى اباءة الجمادات من قبول التمييز الذى به وقع التكليف، وتحمل امانة الشرائع وذم عز وجل اختيار الانسان لتحملها وسمى ذلك منه ظلما وجهلا وجورا، هذا معروف فى بنية العقل والتمييز ان السلامة المضمونة لا يعدل بها التغرير المؤدي الى الهلاك اوالى النعم. قال بعضهم خلق الله عز وجل من يكفر ومن يعلم انه يخلده فى النار ليعظ بذلك الملائكة وحور العين

(قال ابو محمد) وهذا خبط لا عهد لنا بمثله وهذا غاية السخف والعبث والظلم فاما العبث فان فى العقول منا ان من عذب واحدا ليعظ به آخر فغاية العبث والسخف وأما الجور فاي جور اعظم فيما بيننا من ان يخلق قوما قد علم انه يعذبهم ليعظ بهم آخرين من خلقه مخلدين فى النعيم فهلا عذب الملائكة وحور العين ليعظ بهم الجن والانس وهل هذا على اصولهم الا غاية المحاباة والظلم والعبث تعالي الله عن ذلك يفعل مايشاء لا معقب لحكمه وسألهم اصحابنا عن ايلام الله عز وجل الصغار والحيوان واباحته تعالي ذبحها فوجموا عند هذه وقال بعضهم لان الله تعالى يعوضهم على ذلك

(قال ابو محمد) وهذا غاية العبث فيما بيننا ولا شىء اتم فى العبث والظلم ممن يعذب صغيرا ليحسن بعد ذلك اليه فقالوا ان تعويضه بعد العذاب بالجدرى والامراض أتم والذ من تنعيمه دون تعذيب

(قال ابو محمد) وفى هذا عليهم جوابان احدهما ان يقول لهم اكان الله تعالى قادرا على ان يوفى الاطفال والحيوان ذلك النعيم دون ايلام أوكان غير قادر على ذلك فان قالوا كان غير قادر جمعوا مع الكفر الجنون لان ضرورة العقل يعلم بها انه اذا قدر على ان يعطيهم مقدارا ما من النعيم بعد الايلام فلا شك فى انه قادر على ذلك المقدار نفسه دون ايلام يتقدمه ليس فى العقل غير هذا اصلا اذ ليس هاهنا منزلة زائدة في القدرة ولا فعلان مختلفان وانما هو عطاء واحد لشىء واحد فى كلا الوجهين وان قالوا انه قادر على ذلك فقد وجب العبث على اصولهم اذ كان قادرا على ان يعطيهم دون ايلام مالم يعطهم الا بعد غاية الايلام والجواب الثاني ان نريهم صبيانا وحيوانا اماتهم فى خير دون ايلام وهذه محاباة وظلم للمؤلم منهم فقالوا ان المؤلم لم يزدد فى نعيمه لاجل ايلامه فقلنا لهم فهذه محاباة بزيادة النعيم للمؤلم فهلا آلم الجميع ليسوى بينهم فى النعيم اوهلا يسوى بينهم فى النعيم بان لا يؤلم منهم احدا وهذا مالا انفكاك منه البتة وقال بعضهم فعل ذلك ليعظ بهم غيرهم

(قال ابو محمد) وهذا غاية الجور بيننا ولا عبث اعظم من ان يعذب انسانا لا ذنب له ليوعظ بذلك آخرون مذنبون وغير مذنبين والله تعالى قد انكر هذا بقوله تعالى *

وقال بقول سائر الحكماء غير انه قال إن المبدع الأول هو مبدع الصور فقط دون الهيولى فانها لم تزل مع المبدع فانكروا عليه وقالوا ان الهيولى لو كانت أزلية قديمة لما قبلت الصور ولما تغيرت من حال الى حال ولما قبلت فعل غيرها اذ الازلى لا يتغير وهذا الرأى مما كان يعزى الى افلاطون الالهى والرأى فى نفسه مزيف والعزوة اليه غير صحيحة ومما نقل عن (ذيمقراطيس وزينون الاكبر وفيثاغورس) انهم كانوا يقولون ان الباري تعالى متحرك بحركة فوق هذه الحركة الزمانية وقد اشرنا الى المذهبين وبينا ان المراد باضافة الحركة والسكون اليه تعالى ونزيده شرحا من احتجاج كل فريق على صاحبه قال اصحاب السكون إن الحركة

ولاتكسب كل نفس الاعليها ولا تزر وازره وزر اخرى* فقدانتفى عن الله عز وجل هذا الظلم حقا ولقد كان على اصولهم الفاسدة تعذيبه الطغاة وايلامه البغاة ليعظ بذلك غيرهم ادخل فى العدل والحكمة من ان يؤلم طفلا او حيوانا لاذنب لهما ليعظ بذلك آخرين بل لعل هذا الوجه قد صار سبيلا الى كفر كثير من الناس واجاب بعضهم فى ذلك بان قال انما فعل ذلك عز وجل بالاطفال ليؤجر آباءهم

(قال ابو محمد) وهذا كالذى قبله فى الجور سوء بسواء ان يؤذى من لاذنب له ليأجر بذلك مذنبا اوغير مذنب حاشا لله من هذا الان فى هذا مزية من التناقض لان هذا التعليل ينقض عليهم فى اولاد الكفار واولاد الزنا ممن قد ماتت امه وفى اليتامى من آبائهم وامهاتهم ورب طفل قدقتل الكفار أو الفساق اباه وامه وتركه هو بدار مضيعة حتى مات هزلا اواكلته السباع فليت شعرى من وعظ بهذا أو من اوجر به مع ان هذا مما لم يجدوه يحسن بيننا البتة بوجه من الوجوه يعنى ان تؤذى انسان لاذنب له لينتفع بذلك آخرون وهم يقولون ان الله تعالى فعل هذا فكان حسنا وحكمة ولجأ بعضهم الى ان قال ان لله عز وجل فى هذا سرا من الحكمة والعدل يوقن به وان كنا لانعلم لما هو ولا كيف هو

(قال ابو محمد) واذ قد بلغوا ههنا فقد قرب امرهم بعون الله تعالى وهو انه يلزمهم تصديق من يقول لهم ولله تعالى فى تكليف من لايستطيع ثم تعذيبه عليه سر من الحكمة يوقن به ولا نعلمه

(قال ابو محمد) واما نحن فلا نقول بهذا بل نقول انه لاسر ههنا اصلا بل كل ذلك كما هو عدل من الله عز وجل لا من غيره ولله الحجة البالغة لا يسأل عما يفعل وهم يسألون

(قال ابو محمد) ولجأت طائفتان منهم الى أمرين أحدهما قول بكر بن اخت عبد الواحد بن زيد فانه قال ان الاطفال لا يألمون البتة

(قال ابو محمد) ولاندرى لعله يقول مثل ذلك فى الحيوان

(قال ابو محمد) وهذا انقطاع سمج ولجاج فى الباطل قبيح ودفع للعيان والحس وكل احدنا قدكان صغيرا ويوقن اننا كنا نألم الالم الشديد الذى لاطاقة لنا بالصبر عليه والثانية احمد بن حابط البصرى والفضل الحربى وكلاهما من تلاميذ النظام فانهما قالا ان ارواح الاطفال وارواح الحيوان كانت فى اجساد قوم عصاة فعوقبت بان ركبت فى اجساد الاطفال والحيوان لتؤلم عقوبة لها

(قال ابو محمد) ومن هرب عن الاذعان للحق أو عن الاقرار بالانقطاع الى الكفر والخروج عن الاسلام فقد بلغ الى حالة ما كنا نريد أن يبلغها لكن اذ آثر الكفر فالى لعنة الله وحر سعيره ونعوذ بالله من الخذلان وانما كلامنا هذا مع من يتقى مخالفة الاسلام فاما اهل الكفر فقد تم ولله الحمد ابطالنا لقولهم وقد ابطلنا قول اصحاب التناسخ فى صدر كتابنا هذا والحمد لله فاغنى عن اعادته واذا بلغ خصمنا الى مكابرة الحس أو الى مفارقة الاسلام فقد انقطع وظهر باطل قوله ولله تعالى الحمد

(قال ابو محمد) فان لجؤا الى قول معمر والجاحظ وقالوا ان آلام الاطفال هي فعل الطبيعة لافعل الله تعالى لم يتخلصوا بذلك من الانقطاع بل نقول لهم هل الله عز وجل قادر على معارضة

ابدا لاتكون إلا ضد السكون والحركة لاتكون الا بنوع زمان اما ماض واما مستقبل والحركة لاتكون الا مكانية منتقلة واما مستوية ومن المستوية يكون الحركة المستقيمة والمنفرجة والمكانية تكون مع الزمان فلو كان البارى تعالى متحركا لكان داخلا فى الدهر والزمان قال اصحاب الحركة ان حركته اعلى من جميع ما ذكرتموه وهو مبدع الدهر والمكان وابداعه ذلك هو الذى يعنى بالحركة والله اعلم (رأى فلاسفة اقا ذاميا) فانهم كانوا يقولون ان كل مركب ينحل ولا يجوز أن يكون مركبا من جوهرين متفقين فى جميع الجهات والا فليس بمركب فاذا كان هذا هكذا فلا محالة انه اذا انحل المركب دخل كل جوهر فاتصل بالاصل الذى منه كان فا

هذه الطبيعة المقطعة لحم هذا الصبي بالجدرى والآكلة والخنازير المعدية له ووجع الحصاة واحتباس البول أو الغائط أو انطلاق البطن حتى يموت والعدو القاسى القلب يرحمه ويتقطع له لعظيم مايرى به من التضور والاوجاع بقوة من عنده تعالى يفرج بها عن هذا الطفل المسكين المعذب أم هو تعالى غير قادر علي ذلك فان قالوا هو غير قادر على ذلك فما فى العالم اعجز ممن تغلبه طبيعة هو خلقها وطبعها ووضعها فيمن هى فيه وربما غلبها طبيب ضعيف من خلقه بعقار ضعيف من خلقه فهل فى الجنون والكفر اكثر من هذا القول ان يكون هو خلق الطبيعة ووضعها فيمن هى فيه ثم لايقدر على كف عملها الذى هو وضعه فيها وان قالوا بل هو قادر على صرف الطبيعة وكفها ولم يفعل دخل فى نفس ماانكر واقر على ربه على اصله الفاسد بالظلم والعبث وبالضرورة ندرى ان من رأى طفلا فى نار أو ماء وهو قادر علي استنقاذه بلا مؤنة ولم يفعل فهو عابث ظالم ولكن الله تعالى يفعل ذلك وهو الحكيم اعدل فى حكمه لا العابث ولا الظالم وهذا هو الذى اعظموا من ان يكون قادرا علي هدى الكفار ولا يفعل والجأ بعضهم الى ان قال لو عاش هذا الطفل لكان طاغيا قلنا لهم لم نسئلكم بعد عمن مات طفلا انما سالناكم عن ايلامه قبل بلوغه ثم نجيبهم عن قولهم فيمن مات من الاطفال انه لو عاش لكان طاغيا فنقول لهم هذا أشد فى الظلم ان يعذبه علي مالم يفعل بعد

(قال ابو محمد) قد وجدنا الله عز وجل قد حرم ذبح بعض الحيوان واكله واباح ذبح بعضه واوجب ذبح بعضه اذا نذر الناذ ذبحه قربانا فنقول للمعتزلة اخبرونا ما كان ذنب الذي ابيح ذبحه وسلخه وطبخه بالنار واكله وما كان ذنب الذى حرم كل ذلك فيه حتى حرم العوض الذى تدعونه وما كان بخت الذي حرم ايلامه ووجدناه عزوجل قد اباح ذبح صغار الحيوان مع مايحدث لامهاتها من الحنين والوله كالابل والبقر فاى فرق بين ذبحنا لمصالحنا أو لتعوض هى وبين ماحرم من ذبح اطفالنا وصغار اولاد اعدائنا لمصالحنا أو ليعوضوا فان طردوا دعواهم فى المصلحة لزمهم ان كل من له مصلحة في قتل غيره كان له قتله فان قالوا لايجوز ذلك الاحيث أباحه الله عزوجل تركوا قولهم ووفقوا للحق

(قال ابو محمد) وجدناه تعالى قد حرم قتل قوم مشركين يجعلون له الصاحبة والولد ويهود ومجوس اذا اعطونا دينارا او اربعة دنانير فى العام وهم يكفرون بالله تعالى واباح قتل مسلم فاضل قد تاب واصلح لزنا سلف منه وهو محصن ولم يبح لنا استبقاء مشركى العرب من عباد الاوثان الا ان يسلموا ولابد فاي فرق بين هؤلاء الكفار وبين الكفار الذين افترض علينا ابقاؤهم لذهب ناخذه منهم فى العام

(قال ابو محمد) وقالوا لنا هل فى افعال الله تعالى عبث وضلال ونقص ومذموم فجوابنا وبالله تعالى التوفيق اما ان يكون في افعاله تعالى عبث يوصف به او عيب مضاف اليه او ضلال يوصف به او نقص ينسب اليه او جور منه او ظلم منه أو مذموم منه فلا يكون ذلك اصلا بل كل افعاله عدل وحكمة وخير وصواب وكلها حسن منه تعالى ومحمود منه ولكن فيها عيب على من ظهر منه ذلك الفعل وعبث منه وضلال منه وظلم منه ومذموم منه ثم نسالهم فنقول لهم هل فى افعاله تعالى سخف وجنون وحمق وفضائح ومصائب وقبح وسخام واقذار وانتان ونجس وسخنة للعين وسواد الوجه فان قالوا لا اكذبهم الله عز وجل بقوله تعالى * ما اصاب من مصيبة فى الارض

كان منها بسيطا روحانيا لحق بعالمه الروحاني البسيط والعالم الروحانى باق غير داثر وما كان منها جاسيا غليظا لحق بعالمه أيضا وكل جاسى اذا انحل فانما يرجع حتى يصل الى الطف من كل لطيف فاذا لم يبق من اللطافة شيء اتحد باللطيف الاول المتحد به فيكونان متحدين الى الابد واذا اتحدت الاواخر بالاوائل وكان الابدع هو أول مبدع ليس بينه وبين مبدعه جوهر آخر متوسط فلا محلة ان ذلك المبدع الاول متعلق بنور مبدعه فيبقى خالداً دهر الدهور وهذا الفصل قد نقل وهو يتعلق بالمعاد لا بالمبدأ وهؤلاء يسمون مشائين اماذاميا وأما (المشاؤن) المطلق هم أهل لوقين وكان افلاطون يلقن الحكمة ماشيا تعظيما لها و تابعه علي ذلك

ولا فى انفسكم الا فى كتاب من قبل ان نبرأها * وموت الانبياء وفرعون وابليس وكل ذلك مخلوق واذ قالوا ان الله تعالى خالق كل ذلك ولكن لا يضاف شيء منه الى الله عز وجل على الوجه المذموم ولكن على الوجه المحمود قلنا هذا قولنا فيما الزمونا عنه ولا فرق فان قالوا اترضون بافعال الله عز وجل وقضائه قلنا نعم بمعنى اننا مسلمون لفعله وقضائه ومن الرضى بفعله وقضائه ان نكره ما كره الينا قال تعالى * وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان * ثم نسالهم عن هذا بعينه فنقول لهم اترضون بفعل الله تعالى وقضائه فان قالوا نعم لزمهم الرضي بقتل من قتل من الانبياء وبالخمور والانصاب والازلام وبابليس ويلزمهم ان يرضى منهم بالخلود فى النار من خلد فيها وفى هذا ما فيه وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) وسال بعض اصحابنا بعض المعتزلة فقال اذا كان عندكم انما خلق الله تعالى الكفار وهو يعلم انهم لا يؤمنون وانه سيعذبهم بين اطباق النيران ابدا ليعظ بهم الملائكة وحور العين فقد كان يكفى من ذلك خلق واحد منهم فقال له المعتزلة ان المؤمنين الذين يدخلون الجنة والملائكة وحور العين وجميع من لا عذاب عليه ومن الاطفال اكثر من الكفار بكثير جدا

(قال ابو محمد) ولم يخرج بهذا الجواب مما الزمه السائل لان الموعظة كانت تتم بخلق واحد هذا لو كان يخلق من يعذب ليوعظ به آخر وجه فى الحكمة بيننا وايضا فلولا ذكره الملائكة لكان كاذبا فى ظنه ان عدد الداخلين فى الجنة من الناس اكثر من الداخلين النار لان الامر بخلاف ذلك لان الله عز وجل يقول * فابى اكثر الناس الا كفورا * وقال تعالى * وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين * وقال تعالى * وان تطع اكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل الله * وقال تعالى * الا الذين عملوا الصالحات وقليل ما هم * فليت شعرى فى اى حكمة وجدوا فيما بينهم او بيننا او فى اى عدل خلق من يكونوا اكثرهم مخلدين فى جهنم على اصول هؤلاء الجهال واما نحن فانه لو عذب اهل السموات كلهم وجميع من عمر الارض لكان عدلا منه وحقا له وحكمة منه ولو لم يخلق النار وادخل كل من خلق الجنة لكان حقا منه وعدلا وحكمة منه لا عدل ولا حكمة ولا حق الا ما فعل وما امر به

(قال ابو محمد) ولجأ قوم منهم الى ان قالوا ان الله تعالى لم يعلم من يكفر ومن يؤمن واقروا انه لو علم من يموت كافرا لكان خلقه له جورا وظلما

(قال ابو محمد) وهؤلاء ايضا مع عظيم ما اتوا به من الكفر فى تجهيل ربهم تعالى فلم يتخلصوا مما الزمهم اصحابنا لانه ليس من الحكمة خلق من لا يدرى ايموت كافرا فيعذبه ام لا وهذا هو التغرير بمن خلق وتعريضهم للهلكة على جهالة وهذا ليس من الحكمة ولا من العدل فيما بيننا لمن يمكنه ان لا يغرر وقد كان البارى تعالى قادرا على ان لا يخلق كما قد كان لم يزل لا يخلق ثم خلق الا ان يلجا الى انه تعالى لا يقدر على ان لا يخلق فيجعلوه مضطرا ذا طبيعة غالبة وهذا كفر مجرد محض ونعوذ بالله من الخذلان

(قال ابو محمد) واذا اقرت المعتزلة ان اطفال بنى آدم كلهم اولاد المشركين واولاد المسلمين فى الجنة دون عذاب ولا تقرير تكليف فقد نسوا قولهم الفاسد ان العقل افضل من عدمه بل ما نرى السلامة على قولهم وضمانها والحصول على النعيم الدائم فى الآخرة بلا تقرير الا فى عدم العقل فكيف فارقوا هذا الاستدلال واما نحن فنقول

ان

ارسطوطاليس فيسمى هو
واصحابه المشائين واصحاب
الرواقيين أهل الظلال وكان
لافلاطون تعليمان أحدهما
تعليم كليس وهو الروحانى
الذى لا يدرك بالبصر ولكن
بالفكرة اللطيفة وتعليم
كليس وهو الهيولانيات
(رأى هرقل الحكيم) وانه
كان يقول ان أول الاوائل
النور الحق لا يدرك من
جهة عقولنا لانها أبدعت
من ذلك النور الاولى الحق
وهو الله حقا وهو اسم الله
باليونانية انما يدل على انه
مبدع الكل وهذا الاسم
عندهم شريف جدا وكان
يقول ان بدو الخلق وأول
شيء أبدع والذى هو اول
لهذه العالم هو المحبة
والمنازعة ووافق فى هذا
الرأى انبذقلس حيث
قال الاول الذى أبدع هو
المحبة والغلبة وقال هرقل
السماء متحركة من ذاتها

ان من اسعده الله تعالى من الملائكه فلم يعرضهم لشيء من الفتن أعلي حالا من كل خلق غيرهم ثم بعدهم الذين عصم الله تعالى من النبيين عليهم الصلاة والسلام وآمنهم من المعاصى ثم من سبقت لهم من الله تعالى الحسنى من مؤمنى الجن والانس الذين لا يدخلون النار والحور العين اللاتي خلقن لاهل الجنة على ان لهؤلاء المذكورين حاشا الحور العين حالة من الخوف طول بقائهم فى الدنيا يوم الحشر فى هول المطلع وشنعة ذلك الموقف الذى لا يبقى به شيء الا السلامة منه ولا يهنا معه عيش حتى يخلص منه وقد تمنى كثير من الصالحين العقلاء الفضلاء ان لو كانوا نسيا منسيا فى الدنيا ولا يعرضوا لما عرضوا له على انهم قد آمنوا بالضمان التام الذى لا ينجس ولقد اصابوا في ذلك اذ السلامه لا يعدلها شيء الا عند المعتزلة لقائلين ان الثواب والنعيم بعد الضرب بالسياط والضغط بانواع العذاب والتعريض لكل بلية أطيب وألذ وأفضل من النعيم السالم من ان يتقدمه بلاء ثم الاطفال الذين يدخلون الجنة دون تكليف ولا عذاب ومن بلغ ولا تمييز له ثم منزلة من دخل النار ثم اخرج منها بعد ان دخل فيها على ما فيها من البلاء نعوذ بالله منه وأما من يخلد فى النار فكل ذي حس سليم توقن نفسه يقين ضرورة ان الكلب والدود والقرد وجميع الحشرات احسن حالا فى الدنيا والآخرة منه وأعلي مرتبة وأتم سعدا وأفضل صفة واكرم عناية من عند البارى تعالي ويكفى من هذا اخبار الله تعالى اذ يقول * ويقول الكافر ياليتنى كنت ترابا * فنص تعالى علي ان حال الجمادية احسن منه حالة فاعجبوا للمعتزلة القائلين ان الله تعالى اعطي من يتمنى يوم القيامة ان يكون ترابا افضل عطية عنده ولم يترك فى قدرته اصلح مما عمل به وان خلقه له كان خيرا له من ان لا يخلقه ونحن نعوذ بالله لانفسنا من ان يعمل بنا ما عمل بهم

(قال أبو محمد) ومن عجائبهم قولهم ان الله تعالي لم يخلق شيئا لا يعتبر به احد من المكلفين

(قال ابو محمد) فنقول لهم ما دليلكم علي هذا وقد علمنا بضرورة الحس ان الله تعالى فى قعور البحار وأعماق الارض أشياء كثيرة لم يرها انسان قط فلم يبق الا ان يدعوا عوض الملائكة والجن فى عمق الجبال وقعور البحور فهذه دعوى مفتقرة الى دليل والا فهى باطلة قال عز وجل * قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين * وايضا فمما تبطل به دعوى هؤلاء القائلين بغير علم علي الله ان الله تعالى اذا خلق زيدا وله من الطول كذا او كذا فانه لو خلقه علي اقل من ذلك الطول باصبع لكان الاعتبار بخلقه سواء كما هو الآن ولا مزيد وهكذا كل مقدار من المقادير فان ادعوا ان الزيادة فى العدد زيادة فى العبرة لزمهم ان يلزموا ربهم تعالى ان يزيد في مقدار طول كل ما خلق لانه كان زيادة فى الاعتبار والا فقد قصر وبالجملة فهوسهم لا يحصيه الا الذي خلقهم نعوذ بالله مما ابتلاهم به

(قال ابو محمد) وهم مقرون ان العقول معطاة من عند الله عز وجل فنسالهم افاضل بين عباده فيما اعطاهم من العقول أم لا فان قالوا لا كابروا الحس ولزمهم مع ذلك ان عقل النبي صلى الله عليه وسلم وتمييزه وعقل عيسى وابراهيم وموسى وايوب وسائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام وتمييزهم وعقل مريم بنت عمران وتمييزها بل تمييز جبريل وميكائيل وسائر الملائكة ثم تمييز ابي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب وعقولهم وتمييز امهات المؤمنين وبنات النبي صلى الله عليه

والارض مستديرة ساكنة جامدة بذاتها والشمس حللت كل ما فيها من الرطوبة فاجتمعت فصار البحر والذى حجرت الشمس ونفذت فيه حتى لم تذر فيه شيئا من الرطوبة صار منه الحصى والحجارة والجبل وما لم ينفذ فيه الشمس أكثر ولم ينزع عنه الرطوبة كلها فهو التراب وكان يقول ان السماء فى النشأة الاخرى تصير بلا كواكب لان الكواكب تهبط سفلا حتى تحيط بالارض وتلتهب فيصير متصلا بعضها ببعض حتى تكون الدائرة حول الارض وانما هبط منها ما كان من أجزائها نارا محضة ويصعد ما كان نورا محضا فتبقى النفوس الشريرة الدنسة الخبيثة فى هذا العالم الذى أحاط به النار الى الابد فى عقاب السرمد وتصعد النفوس الشريفة

وسلم ورضوان الله على جميع من ذكرنا وعقولهن ثم تميز سقراط وافلاطون وارسطوطاليس وعقولهم ليس شيء من ذلك افضل من العقل والتمييز المعطيين لهذا المخنث الالغاء الرقان ولهذه الزانية الحليقة المتبرجة السحاقة ولهذا الشيخ الذي يلعب مع الصبيان بالكعاب في الخانات ويصفهم اذاقدر ومن بلغ هذا المبلغ وساوى بين من اعطي الله عز وجل كل من ذكرنا من العقل والتمييز فقد كفى خصمه مؤنته واذ قالوا بل الله تعالى فاضل بين عباده فيما اعطاهم من العقل والتمييز قيل لهم صدقتم وهذا هو المحاباة والجور على اصولكم ولا محاباة على الحقيقة اكثر من هذا وهي عندنا حق وعدل منه تعالى لا يسال عما يفعل ولعمري ان فيهم لعجبا اذ يقولون ان الله تعالى لم يعط احدا من خلقه الا ما اعطى سائرهم فهلا ان كانوا صادقين ساوى جميعهم ابراهيم النظام وابا الهذيل العلاف وبشر بن المعتمر والجبائي في دقة نظرهم وقوتهم على الجدال اذ كلهم فيما منحهم الله عز وجل من ذلك سواء فاذ لا شك في عجزهم عن بلوغ ذلك فلا شك في ان كل احد لا يقدر ان يزيد فيما منحه الله تعالى به وليس يمكنهم اصلا ان يدعوا ههنا انهم كلهم قادرون على ذكاء الذهن وحدة النظر وقوة الفطنة وجودة الحفظ والبتة لدقيق الحجة وان لم يظهر وكما ادعوا ذلك في الاعمال الصالحة فصحت المحاباة من الله تعالى يقينا عيانا لا محيد عنه وبالله تعالى التوفيق فان قروا ان العقول والذكاء وقبول العلم وذكاء الخاطر ودقة الفهم غير موهوبة من الله تعالى عزوجل قلنا لهم فمن خلقها فان قالوا هي فعل الطبيعة قلنا لهم ومن خلق الطبيعة التي فعلت العقول وكل ذلك بذاتها متفاضلة فمن قولهم ان الله تعالى خلقها فيقال لهم فهو موجب المحاباة اذ رتب الطبيعة رتبة المحاباة ولا بد وان قالوا لم تخلق الطبيعة ولا العقول لحقوا بالدهرية وصاروا الى ما لم يردلهم المصير اليه وهذا لا مخلص لهم منه اصلا وبالله تعالى التوفيق وبالضرورة ندري ان من كان تميزه اتم كان اهتداؤه واعتصامه اتم على اصولهم وهذا هو المحاباة التي انكروها وسموها ظلما وجورا

(قال ابو محمد) ومهما امكنهم من الدفاع والقحة في شيء فانه لا يمكنهم اعتراض اصلا في ان فضل الله تعالى على المسيح ابن مريم عليه الصلاة والسلام وعلى يحيي بن زكريا اذ جعل عيسى نبيا ناطقا عاقلا في المهد رسولا حين سقوطه من بطن أمه واذ آتى يحيي الحكم صبيا اتم واعلا واكثر من فضله على من ولد في اقاصي بلاد الخزر والزنج حيث لم يستمع قط ذكر محمد صلى الله عليه وسلم الا مشبعا اقبح الذكر من التكذيب وانه كان متخيلا واكثر من فضله بلا شك على فرعون اذ دعا موسى عليه الصلاة والسلام فقال * ربنا انك آتيت فرعون وملاه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم قال قد اجيبت دعوتكما *

(قال ابو محمد) ان من ضل بعد هذا لضال وان من قال ان فضل الله عزوجل وعطاءه لموسى وعيسى ويحي ومحمد صلى الله عليه وسلم وعصمته لهم كفضله وعطائه على فرعون وملئه وعصمته لهم الذين نص عزوجل على انه شد على قلوبهم شدا منعهم الايمان حتى يروا العذاب الاليم فلا ينفعهم أيمانهم حينئذ لضعيف العقل قليل العلم مهلهل اليقين ولا بيان ابين من هذه الآية في تفضيل الله عز وجل بعض خلقه على بعض خلقه واختصاص بعضهم بالهدى والرحمة دون بعض ومحاباته من شاء منهم واضلالهم من ضل منهم وأيضا فانهم لا

يستطيعون

الخالصة الطيبة الى العالم الذي يمحض نورا وبهاء وحنا في ثواب السرمد وهناك الصور الحسان لذات البصر والالحان الشجية لذات السمع ولانها أبدعت بلا توسط مادة وتركب استقسات فهي جواهر شريفة روحانية نورانية وقال ان الباري يمسح تلك الانفس في كل دهر مسحة فيتجلى لها حتى تنظر الى نوره المحض الخارج من جوهره الحق فحينئذ يستلذ عشقها وشوقها ومجدها فلا يزال ذلك دائما أبد الابد

(رأي أبي ابيقورس) خالف الاوائل في الاوائل قال المبادى اثنان الخلاء والصور أما الخلاء فمكان فارغ وأما الصور فهي فوق المكان والخلاء ومنها ابدعت الموجودات وكل ما كون منها فانه ينحل اليها فمنها

يستطيعون ان الله عزوجل فضل بنى آدم على كثير ممن خلق قال تعالى * تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات * وقال تعالى * ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض * وقال تعالى . ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا وهى المحاباة بعينها التى هى عند المعتزلة جور وظلم فيقال لهم على اصلكم الفاسد هلا رزق الله العقل سائر الحيوان فيعرضهم بذلك للمراتب السنية التى عرض لها بنى آدم وهلا ساوى بين الحيوان وبيننا فى ان لا يعرضنا كلنا للمهالك والفتن فهل هذا الا محاباة مجردة وفعل لما يشاء لا معقب لحكمه لا يسال عما يفعل

(قال ابو محمد) وقد ذكر بعضهم ان الله تعالى قبح فى عقول بنى آدم اكل ما يعطيهم واكل اموال غيرهم ولم يقبح ذلك فى عقول الحيوان

(قال ابو محمد) فاقر هذا الجاهل بان الله تعالى هو المقبح والمحسن فاذ ذلك كذلك فلا قبيح الا ما قبح الله ولا حسن الا ما حسن وهذا قولنا ولم يقبح الله تعالى قط خلقه لما خلق وانما قبح منا كون ذلك الذى خلق من المعاصى فينا فقط وبالله تعالى التوفيق وان الامر لابين من ذلك ألم تروا ان الله خلق الحيوان فجعل بعضه افضل من بعض بلا عمل أصلا ففضل ناقة صالح عليه السلا على سائر النوق نعم وعلى نوق الانبياء الذين هم افضل من صالح وانما اتينا بهذا لئلا يقولوا انه تعالى انما فضلها تفضيلا لصالح عليه السلام وجعل تعالى الكلب مضروبا به المثل فى الخساسة والرزالة وجعل القردة والخنازير معذبا بعض من عصاه بتصويره فى صورتها فلولا ان صورتها عذاب ونكال ما جعل القلب فى صورتها أشد ما يكون من عذاب الدنيا ونكالها وجعل بعض الحيوان متقربا الى الله عزوجل بذبحه وبعضه محرما ذبحه وبعضه ماواه الرياض والاشجار والخضر وبعضه ماواه الحشوش والرداع والدبر وبعضه قويا وبعضه ضعيفا وبعضه منتفعا به فى الاودية وبعضه سما قاتلا وبعضه قويا على الخلاص ممن اراد بطيرانه وعدوه أو قوته وبعضه مهينا لا مخلص عنده وبعضه خيلا فى نواصيها الخير يجاهد عليها العدو وبعضه سباعا ضارية مسلطة على سائر الحيوان ذاعرة لها قاتلة لها آكلة لها وجعل سائر الحيوان لا ينتصر منها وبعضها حياة عادية مهلكة وبعضه ماكولا على كل حال فاى ذنب كان لبعضه حتى سلط عليه غيره فاكله وقتله وابيح ذبحه وقتله وان لم يؤكل كالقمل والبراغيث والبق والوزغ وسائر الهوام ونهى عن قتل النحل وعن قتل الصيد فى الحرمين والاحرام وأباحه فى غير الحرمين والاحرام فان قالوا ان الله تعالى يعوض ما اباح ذبحه وقتله منها قيل له فهلا أباح ذلك فيما حرم قتله ليعوضه أيضا وهذه محاباة لا شك فيها مع انه فى المعهود من المعقول عين العبث الا ان يقولوا انه تعالى لا يقدر على نعيمها الا بتقديم الاذى فانهم لا ينفكون بهذا من المحاباة لما على من لم يبح ذلك فيها من سائر الحيوان مع انه تعجيز لله عزوجل ويقال لهم ما الذى عجزه عن ذلك واقدره على تنعيم من تقدم له الاذى فى الدنيا أطبيعة فيه جارية على بنيتها ام فوقه واهب له تلك القدرة ولا بد من احد هذين القولين وكلاهما كفر مجرد وايضا فان قولهم يبطل بتنعيم الله عز وجل الاطفال الذين ولدوا احياء وماتوا من وقتهم دون ألم سلف لهم ولا تعذيب فهلا فعل بجميع الحيوان كذلك على اصولكم

المبدأ واليها المعاد وربما يقول الكل بفسدوليس بعد الفراق حساب ولا قضاء ولا مكافاة وجزاء بل كلها تضمحل وتدثر والانسان كالحيوان مرسل مهمل فى هذا العالم والحالات التى ترد على الانفس فى هذا العالم كلها من تلقائها على قدر حركاتها وأفاعيلها فان عملت خيرا وحسنا فيرد عليها سرور وفرح وان فعلت شرا وقبيحا فيرد عليها حزن وترح وانما سرور كل نفس بالانفس الاخرى وكذا حزنها مع الانفس الاخرى بقدر مايظهر لها من أفاعيلها وتبعه جماعة من التناسخية على هذا الرأى (حكم سولون الشاعر) وكان عند الفلاسفة من الانبياء العظام بعد هرمس وقبل سقراط واجمعوا على تقديمه والقول بفضائله قال سولون لتلميذه

وايضا فقد كان عز وجل قادرا على ان يجعل غذاءنا فى غير الحيوان لكن فى النبات والثمار كعيش كثير من الناس فى الدنيا لا يأكلون لحما فما ضرهم ذلك فى عيشهم شيئا فهل هاهنا الا ان الله تعالى لا يجوز الحكم على افعاله بما يحكم به على افعالنا لاننا مأمورون منهيون وهو تعالى آمرنا لا مأمور ولا منهى فكل ما فعل فهو عدل وحكمة وحق وكل ما فعلناه فانه ان وافق امره عز وجل كان عدلا وحقا وان خالف امره عز وجل كان جورا وظلما (قال ابو محمد) واما الحيوان فان قولنا فيه هو نص ما قاله الله عز وجل ورسوله ﷺ اذ يقول عز وجل * وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شىء ثم الى ربهم يحشرون * وقال عز وجل * واذا الوحوش حشرت * فنحن موقنون ان الوحوش كلها وجميع الدواب والطير تحشر كلها يوم القيامة كما شاء الله تعالى ولما شاء عز وجل واما نحن فلا ندرى لماذا والله اعلم بكل شىء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يقتص يومئذ للشاة الجماء من الشاة القرناء فنحن نقر بهذا وبأنه يقتص يومئذ للشاة الجماء من الشاة القرناء ولا ندرى ما يفعل الله بهما بعد ذلك الا انا ندرى يقينا انها لا تعذب بالنار لان الله تعالى قال * لا يصلاها الا الاشقى الذى كذب وتولى * وبيقين ندرى ان هذه الصفة ليست الا فى الجن والانس خاصة ولا علم لنا الا ما علمنا الله تعالى وقد ايقنا ان سائر الحيوان الذى فى هذا العالم ما عدا الملائكة والحور والانس والجن فانه غير متعبد بشريعته واما الجنة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة الا نفس مسلمة والحيوان حاشى من ذكرنا لا يقع عليهم اسم مسلمين لان المسلم هو المتعبد بالاسلام والحيوان المذكور غير متعبد بشرع فان قال قائل انكم تقولون ان اطفال المسلمين واطفال المشركين كلهم فى الجنة فهل يقع علي هؤلاء اسم مسلمين فجوابنا وبالله تعالى التوفيق ان نقول نعم كلهم مسلمون بلا شك لقول الله تعالى * واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم علي انفسهم الست بربكم قالوا بلي * وقوله تعالى * فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله * ولقول رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد علي الفطرة وروى على الملة فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه او يشركانه ولقوله صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل اني خلقت عبادى حنفاء كلهم فاجتالتهم الشياطين عن دينهم فصح لهم كلهم اسم الاسلام والحمد لله رب العالمين وقد نص عليه السلام علي انه رأى كل من مات طفلا من اولاد المشركين وغيرهم فى روضة مع ابراهيم خليل الله صلى الله عليه وسلم واما المجانين ومن مات فى الفترة ولم تبلغه دعوة نبى ومن ادركه الاسلام وقد هرم او اصم لا يسمع فقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه تبعث لهم يوم القيامة نار موقدة ويؤمرون بدخولها فمن دخلها كانت عليه بردا ودخل الجنة او كلاما هذا معناه فنحن نؤمن بهذا ونقر به ولا علم لنا الا ما علمنا الله تعالى علي لسان رسوله صلى الله عليه وسلم

(قال ابو محمد) واذ قد بلغ الكلام هاهنا فلنصله ان شاء الله تعالى راغبين فى الاجر من الله عز وجل علي بيان الحق فنقول وبالله تعالى نتأيد ان الله تعالى قد نص كما ذكرنا انه آخذ من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم وهذا نص جلى علي انه عز وجل خلق انفسنا كلها من عهد آدم عليه السلام لان الاجساد حينئذ بلا شك كانت ترابا وماء وايضا فان المكلف المخاطب انما هو النفس لا الجسد فصح يقينا ان نفوس كل من يكون من بنى آدم الى يوم القيامة كانت موجودة مخلوقة حين خلق آدم بلا شك ولم

تزود من الخير وأنت مقبل خير لك من أن تتزود وأنت مدبر وقال من فعل خيرا فليجتنب ما خالفه والا دعى شريرا وقال أن أمور الدنيا حق وقضاء فمن أسلف فليقض ومن قضى فقد وفى وقال اذا عرضت لك فكرة سوء فادفعها عن نفسك ولا ترجع بالائمة علي غيرك الكريم رأيك بما أحدث عليك وقال ان فعل الجاهل فى خطائه أن يذم غيره وفعل طالب الادب أن يذم نفسه وفعل الاديب أن لا يذم نفسه ولا غيره وقال اذا انصب الدهن وأريق الشراب وانكسر الاناء فلا تغتم بل قل كما ان الارباح لا يكون الا فيما يباع ويشتري كذلك الخسران لا يكون الا فى الموجودات فانف الغم والخسارة عنك فان لكل ثمنا وليس يجيء

يقل الله عز وجل انه افنانا بعد ذلك ونص تعالى على انه خلق الأرض والماء حينئذ بقوله تعالى * انه جعل من الماء كل شيء حي * وقوله تعالى * خلق السموات والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش * واخبر عز وجل انه خلقنا من طين والطين هو التراب والماء وانما خلق تعالى من ذلك اجسامنا فصح ان عنصر اجسامنا مخلوق منذ اول خلقه تعالى السموات وان ارواحنا وهى انفسنا مخلوقة منذ اخذ الله تعالى عليها العهد وهكذا قال تعالى * ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم * وثم توجب فى اللغة التى بها نزل القرآن التعقيب بمهلة ثم يصور الله تعالى من الطين اجسامنا من اللحم والدم والعظام بان يحيل اعراض التراب والماء وصفاتهما فتصير نباتا وحبا وثمارا يتغذى بها فتستحيل فينا لحما وعظاما ودما وعصبا وجلدا وغضاريف وشعرا ودماغا ونخاعا وعروقا وعضلا وشحما ومنيا ولبنا فقط وكذلك تعود اجسامنا بعد الموت ترابا ولابد وتصعد رطوباتها المائية واما جمع الله تعالى الانفس الى الاجساد فهى الحياة الاولى بعد افتراقها الذي هو الموت الاول فتبقى كذلك فى عالم الدنيا الذي هو عالم الابتلاء ماشاء الله تعالى ثم ينقلنا بالموت الثاني الذى هو فراق الانفس للاجساد ثانية الى البرزخ الذي تقيم فيه الانفس الى يوم القيامة وتعود اجسامنا ترابا كما قلنا ثم يجمع الله عزوجل يوم القيامة بين انفسنا واجسادنا التى كانت بعد ان يعيدها وينشرها من القبور وهى المواضع التى استقرت اجزاؤها فيها لايعلمها غيره ولايحصيها سواه عزوجل لا اله الا هو فهذه الحياة الثانية التى لاتبيد ابدا ويخلد الانس والجن مؤمنهم فى الجنة بلانهاية وكافرهم في النار بلانهاية واما الملائكة وحور العين فكلهم فى الجنة فيها خلقوا من النور وفيها يبقون ابدا بلانهاية ولم ينقلوا عنها قط ولا ينلقون هذا كله نص قول الله عز وجل اذ يقول * كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم * واذ يقول تعالى مصدقا للقائلين * ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين * فلا يشذ عن هذا احد الا من أبانه الله تعالى بمعجزة ظهرت فيه كمن أحياه الله عزوجل آية لنبي كالمسيح عليه السلام وكالذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم فهؤلاء والذى اماته الله مائة عام ثم احياه كلهم ماتوا ثلاث موتات وحيوا ثلاث مرات واما من ظن ان الصعقة التى تكون يوم القيامة موت فقد أخطا بعض القرآن الذى ذكرنا لانها كانت تكون حينئذ لكل احد ثلاث موتات وثلاث احياآت وهذا كذب وباطل وخلاف للقرآن وقد بين عز وجل هذا نصا فقال تعالى * ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله * فبين تعالى ان تلك الصعقة انما هي فزع لاموت وبين ذلك بقوله تعالى فى صورة الزمر * ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذاهم قيام الله ينظرون واشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء * الآية فبين تعالى ان تلك الصعقه مستثنى منها من شاء الله عزوجل وفسر بها الآية التى ذكرنا قبل وبينت انها فزعة لاموتة وكذلك فسرها النبي عليه الصلاة والسلام بانه اول من يقوم فيرى موسى عليه السلام قائما فلايدرى اكان ممن صعق فافاق ام جوزى بصعقة الطور فسماها افاقة ولو كانت موتة ماسماها افاقة بل احياء فكذلك كانت صعقة موسى عليه الصلاة والسلام يوم الطور فزعة لاموتا قال تعالى * وخر

بالمجان وسئل أيما أحمد فى الصبا الحياء أم الخوف قال الحياء لان الحياء يدل على العقل والخوف يدل على المقفة والشهوة وقال لابنه دع المزاح فان المزاح لقاح الضغائن وساله رجل قال هل ترى أن أتزوج أو ادع قال أى الامرين فعلت ندمت عليه وسئل أى شيء أصعب على الانسان قال أن لا يعرف عيب نفسه وأن يمسك عما لا ينبغي أن يتكلم به ورأى رجلا عثر فقال له تعثر برجلك خير من أن تعثر بلسانك وسئل ما الكرم فقال النزاهة عن المساوى وقيل له ما الحياة قال التمسك بامر الله تعالى وسئل ما النوم فقال النوم موتة خفيفة والموت نومة طويلة وقال ليكن اختيارك من الاشياء جديدها ومن الاخوان أنفعهم وقال أنفع العلم

موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك * هذا ما الاخلاف فيه

(قال أبو محمد) فصح بما ذكرنا ان الدور سبع وهى عالمون كل عالم منها قائم بذاته فاولها دار الابتداء وعالمه وهو الذى خلق عز وجل فيه الانفس جملة واحدة وأخذ عليها العهد هكذا نص تعالى على انها الانفس بقوله عز وجل * واشهدهم على انفسهم ألست بربكم * وهى دار واحدة لانهم كلهم فيها مسلمون وهى دار طويلة على آخر النفوس جدا الا على اول المخلوقين فهى قصيرة عليهم جدا وثانيها وهى دار الابتلاء وعالمه وهى التى نحن فيها وهى التى يرسل الله تعالى النفوس اليها من عالم الابتدا فتقيم فيه فى اجسادها متعبدة ما اقامت حتى تفارقه جيلا بعد جيل حتى تستوفى جميع الانفس المخلوقة بسكناها الموفق لها فيه ثم ينقضي هـذا العالم وهى دار قصيرة جدا على كل نفس فى ذاتها لان مدة عمر الانسان فيها قليل ولو عمر الف عام فكيف باعمار جمهور الناس التى هى من ساعة الى حدود المائة عام ثم داران اثنتان للبرزخ وهما اللتان ترجع اليهما النفوس عند خروجها من هذا العالم وفراقها اجسادها وهما عند سماء الدنيا نص على ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر انه رأى ليلة اسرى به عليه الصلاة والسلام آدم في سماء الدنيا وعن يمينه أسودة وعن يسارة أسودة فسأل عنها فاخبر انها نسم بنيه وان الذين عن يمينه ارواح اهـل السعادة والذين عن يساره ارواح اهل الشقاء وقد نص الله تعالى على هذا نصا فقال تعالى * وكنتم ازواجا ثلاثة فاصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشامة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون اؤلئك المقربون فى جنات النعيم ثلة من الاولين وقليل من الآخرين * وقال تعالى * فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم واما ان كان من أصحـاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين وأما ان كان من المـكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم ان هذا لهو الحق اليقين * وقال تعالى ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة أولئك أصحاب الميمنة والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشامة عليهم نار مؤصدة *

(قال أبو محمد) رضى الله عنه هكذا نص رسول صلى الله عليه وسلم على ان ارواح الشهداء فى الجنة وكذلك الانبياء بلا اشكال فمن الباطل ان يفوز الشهداء بفضل يحرمه الانبياء وهم المقربون الذين ذكر الله تعالى انهم فى الجنة اذ يقول تعـالى فاما ان كان من المقربين فروح وريحـان وجنة نعيم فهاتان داران قائمتان لم يدخـل اهلهما بعد لا جنة ولا نارا بنص القرآن والسنة وقال تعـالى * النار يعرضون عليها غـدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب * وقال تعالى حاكيا عن الكفار انهم يقولون يوم البعث * ياويلنا من بعثنا من مرقدنا * فصح انهم لم يعذبوا فى النار بعد وهكذا جاءت الاخبار كلها بان الجميع يوم القيامة يصيرون الى الجنة والى النار لا قبل ذلك حاشى الانبياء والشهداء فقط ولا ينكر خروجهم من الجنة لحضور الحساب فقد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة ثم خرج عنها قال تعالى * ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى * وهما داران طويلتان على أول النفوس جدا حاشى آخر المخلوقين فهى قصيرة عليهم جدا وانما استقصرها الـكفار كما قال عز وجل في القرآن لانهم انتقلوا عنها الى عذاب النار نعوذ بالله منها فاستقلوا تلك المدة وان كانت طويلة حتى ظنها بعضهم لشدة ما صاروا اليه يوما أو بعض

ما أصابته الفكرة وأقله نفعا ما قلته بلسانك وقال ينبغى أن يكون المرء حسن الشكل فى صغره وعفيفا عند ادراكه وعدلا فى شبابه وذا رأي فى كهولته وحافظا للسنن عند الفناء حتى لا يلحقه الندامة وقال ينبغى للشاب أن يستعد لشيخوخته مثل ما يستعد الانسان للشتاء من البرد الذي يهجم عليه وقال يا بنى احفظ الامانة تحفظك وصنها حتى تصان وقال جوعوا الى الحكمة واعطشوا الى عبادة الله تعالى قبل أن يأتيكم المانع منها وقال لتلامذته لا تكرموا الجاهل فيستخف بكم ولا تتصلوا بالاشراف فتقعدوا فيهم ولا تعتمدوا الغنى ان كنتم تلامـذة الصدق ولا تهملوا من انفسكم فى ايامكم ولياليكم ولا تستخفوا بالمساكين فى جميع أوقاتكم وكتب اليه بعض

يوم وقال بعضهم ان لبثتم الا عشرا ثم الدار الخامسة هى عالم البعث وهو يوم القيامة وهو عالم الحساب ومقداره خمسون الف سنة قال تعالى * في يوم كان مقداره خمسين الف سنة فاصبرا جميلا انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن ولا يسال حميم حميما يبصرونهم يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه . فصح انه يوم القيامة وبهذا أيضا جاءت الاخبار الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما الايام التى قال الله تعالى فيها ان اليوم منها الف سنة فهى آخر قال تعالى . يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون . وقال تعالى . وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون * فهي أيام اخر بنص القرآن ولا يحل احالة نص عن ظاهره بغير نص آخر أو اجماع بيقين أو ضرورة حس ثم الدار السادسة والسابعة داران للجزاء وهما الجنة والنار وهما داران لا آخر لهما ولا فناء لهما ولا لمن فيهما نعوذ بالله من سخطه الموجب للنار ونساله الرضى منه الموجب للجنة وماتوفيقنا الا بالله الرحيم الكريم وأما من قال ان قوله تعالى فى يوم القيامة انما هو مقدار خمسين الف سنة لو تولى ذلك الحساب غيره فهو مكذب لربه تعالى مخالف للقرآن ولقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طول ذلك اليوم وبضرورة العقل ندرى انه لو كلف جميع اهل الارض محاسبة اهل حصر واحد فيما أضمروه وفعلوه وموازنة كل ذلك ماقاموا به فى الف الف عام فبطل هذا القول الكاذب بيقين لاشك فيه وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) واذ قد بينا بطلان قول المعتزلة فى تحكمهم على ربهم وايجابهم عليه ما أوجبوا بآرائهم السخيفة وتشبيههم اياه بانفسهم فيما يحسن منهم ويقبح وتجويزهم اياه فيما فعل وقضى وقدر فلنبين بحول الله وقوته انهم المجورون له على الحقيقة لا نحن ثم نذكر مانص الله تعالى عليه مصدقاً لقولنا ومكذبا لقولهم وبالله تعالى التوفيق فنقول وبالله عزوجل نتايد ان من المحال البين ان يقول المعتزلة اننا نجور الله تعالى ونحن نقول انه لا يجور البتة ولا جار قط وان كل مافعل او يفعل أى شيء كان فهو العدل والحق والحكمة على الحقيقة لاشك فى ذلك وانه لا جور الا ماسماه الله عزوجل جورا وهو ماظهر فى عصاة عباده من الجن والانس مما خالف امره تعالى وهو خالقه فيهم كما شاء فكيف يكون مجور اليه عزوجل من هذه هى مقالته وانما المجور لربه تعالى من يقول فيما اخبر الله عزوجل انه خلقه هذا جور وظلم فان قابل هذا القول لا يخلو ضرورة من احد وجهين لا ثالث لهما اما انه مكذب لربه عزوجل فى اخباره فى القرآن انه برأ المصائب كلها وخلقها وانه تعالى خلقنا وما نعمل وانه خلق كل شيء بقدر محرف لكلام ربه تعالى الذى هو غاية البيان عن مواضعه مبدل له بعد ماسمعه وقد نص الله تعالى فيمن يحرف الكلم عن مواضعه ويبدله بعد ماسمعه مانص فهذا خطة كفران التزمها والثانية وهى تصديق الله عزوجل فى اخباره بذلك وتجويزه فى فعله لا بدله من ذلك وهذه ايضا خطة كفران التزمها أو الانقطاع والتناقض والثبات على اعتقاد الباطل بلا حجة تقليدا للعيارين الشطار الفساق كالنظام والعلاف وبشر نخاس الرقيق ومعمر المتهم عندهم فى دينه وثمامة الخليع المشهور بالقبايح والجاحظ وهو من عرف هزلا وعيارة وانهما لا وهذه اسلم الوجوه لهم ونعوذ بالله من مثلها ثم بعد هذا صنفان أصحاب الاصلح واصحاب اللطف فاما اصحاب اللطف فان اصحاب الاصلح يصفونهم بأنهم مجورون

الحكماء يستوصفه أمر عالمى العقل والحس فقال اما عالم العقل فدار ثبات وثواب وأما عالم الحس فدار بوار وغرور وسئل ما فضل علمك على علم غيرك قال معرفتى بان علمى قليل وقال اخلاق محمودة وجدتها فى الناس الا انها انما توجد فى قليل صديق يحب صديقه غائبا كمحبته حاضرا وكريم يكرم الفقراء كما يكرم الاغنياء ومقر بعيوبه اذا ذكر ذاكر يوم نعيمه فى يوم بؤسه ويوم بؤسه فى يوم نعيمه وحافظ لسانه عند غضبه (حكم أوميرس الشاعر) وهو من القدماء الكبار الذى يجريه أفلاطون وارسطوطاليس فى أعلى المراتب ويستدل بشعره لما كان يجمع فيه من اتفاق المعرفة ومتانة الحكمة وجودة الرأى وجزالة اللفظ فمن ذلك

لله مجهلون له واصحاب الاصلح يصفهم اصحاب اللطف بأنهم معجزون لله تعالى مشبهون له بخلقه فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون وقد نص الله تعالى على انه يفعل مايشاء بخلاف ماقالت المعتزلة فقال عزوجل . كذلك يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء . وامرنا عز وجل ان ندعوه فنقول . ربنا لاتوآخذنا ان نسينا أوأخطانا ربنا ولاتحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولاتحملنا مالاطاقة لنابه .

(قال ابو محمد) وهذه غاية البيان في انه عزوجل له ان يكلفنا مالاطاقة لنابه وانه لوشاء ذلك لكان من حقه ولولم يكن له ذلك لما امرنا بالدعاء فى ان لايحملنا ذلك ولكان الدعاء بذلك كالدعاء فى ان يكون الها خالقا على أصولهم ونص تعالى كما تلونا على انه قدحمل من كان قبلنا الاصر وهو الثقل الذى لايطاق وامرنا ان ندعوه بان لايحمل ذلك علينا وايضا فقد امرنا تعالى فى هذه الآية ان ندعوه فى ان لايؤاخذنا ان نسينا أوأخطانا وهذا هو تكليف مالايطاق نفسه لان النسيان لايقدر احد على الخلاص منه ولايتوهم التحفظ منه ولايمكن احدا دفعه عن نفسه فلو لاان له تعالى ان يوآخذ بالنسيان من شاء من عباده لما امرنا بالدعاء فى النجاة منه وقد وجدنا الانبياء عليهم الصلاة والسلام مؤاخذين بالنسيان منهم ابونا آدم صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى . ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى * يريد نسيانه عداوة ابليس له الذى حذره الله تعالى منها ثم آخذه على ذلك واخرجه من الجنة ثم تاب عليه وهذا كله على اصول المعتزلة جور وظلم تعالى الله عن ذلك وقال عزوجل . ولوشاء الله ماشركوا . ولوفى اللغة التى بها نزل القرآن حرف يدل على امتناع الشيء لامتناع غيره فصح يقينا ان ترك الشرك من المشركين ممتنع لامتناع مشيئة الله تعالى لتركه وقال تعالى * وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله . ومشيئة الله هي تفسير اذن الله وقال تعالى . ولواننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ماكانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله فهذا نص جلي على انه لايمكن احد ان يؤمن الا باذن الله عزوجل له فى الايمان فصح يقينا ان كل من آمن فلم يؤمن الا باذن الله عز وجل وانه تعالى شاء ان يؤمن وان كل من لم يؤمن فلم ياذن الله تعالى له فى الايمان ولاشاء ان يكون منه الايمان هذا نص هاتين الآيتين اللتين لايحتملان تاويلا غيره اصلا وليس لاحد ان يقول انه تعالى عنى الاكراه على الايمان لان نص الآيتين مانع من هذا التاويل الفاسد لانه تعالى اخبر ان كل من آمن فانما آمن باذن الله عزوجل وان من لم يؤمن فان الله تعالى لم يشاء ان يؤمن فيلزمهم على هذا ان كل مؤمن فى العالم فمكره على الايمان وهذا شر من قول الجهمية واشد فان قالوا ان اذن الله تعالى هاهنا انما هو أمره لزمهم ضرورة احدوجهين لابد منهما اما ان يقولوا ان الله تعالى لم يامر الكفار بالايمان لان النص قد جاء بانه تعالى لواذن لهم لآمنوا واما ان يقولوا ان كل من في العالم فهم مؤمنون لانهم عندهم ماذون لهم فى الايمان اذا كان الاذن هو الامر وكلا القولين كفر مجرد ومكابرة للعيان ونعوذ بالله من الضلال

(قال ابو محمد) الاذن هاهنا ومشيئته تعالى هو خلق الله تعالى للايمان فيمن آمن وقوله لايمانه كن فيكون وعدم اذنه تعالى وعدم مشيئته للايمان هو ان لايخلق فى المرء الايمان فلا يؤمن لايجوز غير هذا البتة اذ قد صح ان الاذن هاهنا ليس هو الامر وقال عزوجل * ولقد

بعثنا

قوله لاخير فى كثرة الرؤساء وهذه كلمة وجيزة تحتها معان شريفة لما فى كثرة الرؤساء من الاختلاف الذى يأتى على حكمة الرئاسة بالابطال ويستدل بها فى التوحيد أيضا لما فى كثرة الالهة من المخالفات التى تعكر على حقيقة الآلهية بالافساد وبالجملة لوكان أهل بلد كلهم رؤساء ماكان رئيس البتة ولو كان أهل بلد كلهم رعية لما كان رعية البتة ومن حكمه قال اني لاعجب من الناس اذ كان يمكنهم الاقتداء بالله فيدعون ذلك الى الاقتداء بالبهائم ثم قال له تلميذه لعل هذا انما يكون لانهم قد رأوا انهم يموتون كما يموت البهائم فقال له بهذا السبب يكثر تعجبي منهم من قبل انهم يحسبون بانهم لابسون بدنا ميتا ولا يحسبون ان في ذلك البدن نفسا غير

بعثنافى كل أمة رسولاان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة * فاخبر تعالى انه هدى بعضهم دون بعض وهذا عند المعتزلة جور وقال تعالى * ولقد ذرأنالجهنم كثيرا من الجن والانس * فنص على انه خلقهم ليدخلهم النار نعوذ بالله من ذلك وقال تعالى * ولوشاء الله لجعلهم امة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدى من يشاء . وأمر تعالى ان ندعوه فنقول . ربنالاتزغ قلوبنا بعداذهديتنا . فنص تعالى على زيغ قلوب من لم يهدهم من الذين زاغوا اذازاغ الله قلوبهم وقال تعالى . كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا انهم لايؤمنون . فقطع تعالى على ان كلماته قدحقت على الفاسقين انهم لايؤمنون فمن الذى حقق عليهم ان لايؤمنوا الاهو عزوجل وهذا جور عند المعتزلة

(قال ابو محمد) وكل آية ذكرناها فى باب الاستطاعة منهن حجة عليهم في هذا الباب وكل آية تتلوها ان شاء الله عزوجل فى باب اثبات ان الله عزوجل اراد كون الكفر والفسق بعد هذا الباب منهى أيضا حجة عليهم فى هذا الباب وكذلك كل آية نتلوها ان شاء الله عزوجل فى ابطال قول من قال ليس عند الله تعالى شيء اصلح مما اعطاه الله اباجهل وفرعون وأبالهب مما يستدعى الى الايمان فانها حجة عليهم في هذا الباب وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) واحتجت المعتزلة بقول الله تعالى . وماخلقنا السموات والارض ومابينهما لاعبين ماخلقناهما إلا بالحق . وبقوله تعالى . ومار بك بظلام للعبيد . وبقوله تعالى . وماظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون . وبقوله تعالى . وماخلقت الجن والانس الاليعبدون . وبقوله تعالى . ومار بك بظلام للعبيد . وبقوله تعالى . ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ولوعلم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولواسمعهم لتولوا وهم معرضون .

(قال ابو محمد) وهذه حجة لنا عليهم لانه تعالى اخبر انه قادر على ان يسمعهم والاسماع هاهنا الهدى بلاشك لان آذانهم كانت صحاحا ومعنى قوله تعالى . ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون . إنما معناه بلا شك لتولوا عن الكفر وهم معرضون عنه لايجوز غير هذا لانه محال أن يهديهم الله وقد علم من قلوبهم خيرا فلايهتدوا هذا تناقض قد تنزه كلامه عزوجل عنه فصح انه كما ذكرنا يقينا

(قال ابو محمد) وسائرها لاحجة لهم فى شيء منه بل هو حجة لنا عليهم وهو نص قولنا انه خلق السموات والارض ومابينهما بالحق وافعال العباد بين السماء والارض بلاشك فالله تعالى خلقها بالحق الذى هو اختراعه لها وكل مافعل تعالى حق واضلاله من اضل حق له ومنه تعالى وهداه من هدى حق منه تعالى ومحاباته من حابى بالنبوة وبالطاعة حق منه ونحن نبرأ الى الله تعالى من كل من قال ان الله تعالى خلق شيئا بغير الحق أو انه تعالى خلق شيئا لاعبا او انه تعالى ظلم احدا بل فعله عدل وصلاح ولقد ظهر لكل ذى فهم انا قائلون بهذه الآيات على نصها وظاهرها فاى حجة لهم علينا فى هذه النصوص لو عقلوا واما المعتزلة فيقولون انه تعالى لم يخلق كثيرا مما بين السموات والارض لاسيما عباد بن سليمان منهم تلميذ هشام بن عمرو الفوطي القائل ان الله تعالى لم يخلق الجدب ولا الجوع ولا الامراض ولا الكفار ولا الفساق ومحمد بن عبدالله الاسكافى تلميذ جعفر بن حرب القائل ان الله تعالى لم يخلق العيدان ولا المزامير ولا الطنابير وكل ذلك ليس بخالق من خلق الله تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وهم يقولون ان الله عزوجل لو حابى احدا لكان ظالما لغيره وقد صح ان الله تعالى حابي موسى وابراهيم

ميتة وقال من يعلم أن الحياة لنا مستعبدة والموت معتق مطلق آثر الموت على الحياة وقال العقل نحوان طبيعى وتجربى وهما مثل الماء والارض وكما أن النار تذيب كل صامت وتخلصه وتمكن من العمل فيه كذلك العقل يذيب الامور ويخلصها ويفصلها ويعدها للعمل ومن لم يكن لهذين النحوين فيه موضع فان خير أموره له قصر العمر وقال ان الانسان الخير أفضل من جميع ما على الارض والانسان الشرير أخس وأوضع من جميع ما على الارض وقال لن تنبل واحلم تعز ولا تكن معجبا فتمتهن واقهر شهوتك فان الفقير من انحط الى شهواته وقال الدنيا دار تجارة والويل لمن تزود عنها الخسارة وقال الامراء ثلاثة أشياء

ويحيى ومحمدا صلوات الله عليهم دون غيرهم ودون ابى لهب وابى جهل وفرعون والذى حاج ابراهيم فى ربه فعلى قول المعتزلة يجب ان الله تعالى ظلم هؤلاء الذين حابى غيرهم عليهم وهذا مالا مخلص لهم منه الا بترك قولهم الفاسد واما قوله تعالى * وماخلقت الجن والانس الاليعبدون * فهكذا نقول ماخلقهم الله تعالى الا ليكونوا له عبادا مصرفين بحكمه فيهم منقادين لتدبيره اياهم وهذه حقيقة العبادة والطاعة أيضا عبادة وقال تعالى حاكيا عن القائلين * انؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون * وقد علم كل احد ان قوم موسى عليه السلام لم يعبدوا قط فرعون عبادة تدين لكن عبدوه عبادة تذلل فكانوا له عبيدا فهم له عابدون وكذلك قول الملائكة عليهم السلام بل كانوا يعبدون الجن وقد علم كل احد انهم لم يعبدوا الجن عبادة تدين لكن عبدوهم عبادة تصرف لامرهم واغوائهم فكانوا لهم بذلك عبيدا فصح القول بانهم يعبدونهم وهذا بين وقال بعض اصحابنا معنى هذه الاية انه تعالى خلقهم ليامرهم بعبادته ولسنا نقول بهذا لان فيهم من لم يامره الله تعالى قط بعبادته كالاطفال والمجانين فصار تخصيصا للآية بلا برهان والذي قلناه هو الحق الذى لاشك فيه لانه المشاهد المتيقن العام لكل واحد منهم واما ظن المعتزلة فى هذه الآية فباطل يكذبه اجماعهم معنا ان الله تعالى لم يزل يعلم ان كثيرا منهم لايعبدونه فكيف يجوز ان يخبر انه خلقهم لامر قد علم انه لا يكون منهم الا ان يصيروا الى قول من يقول انه تعالى لا يعلم الشىء حتى يكون فيتم كفر من لجا الى هذا ولا يخلصون مع ذلك من نسبة العبث الى الخالق تعالى اذ غرر من خلق فيما لا يدرى ايعطبون فيه أم يفوزون وتحيرت المعتزلة القائلون بالاصلح وبابطال المحاباة فى وجه العدل فى ستة عشر بابا وهى العدل فى ادامة العذاب العدل فى ايلام الحيوان العدل فى تبليغ من فى المعلوم انه يكفر العدل فى المخلوق العدل فى اعطاء الاستطاعة العدل فى الارادة العدل فى البدل العدل فى الامر العدل في عذاب الاطفال العدل فى استحقاق العذاب العدل فى المعرفة العدل فى اختلاف احوال المخلوقين العدل فى اللطف العدل فى الاصلح العدل فى نسخ الشرائع العدل في النبوة

الكلام فى هل شاء الله عز وجل كون الكفر والفسق

(واراده تعالى من الكافر والفاسق ام لم يشاء ذلك ولا أراد كونه)

(قال ابو محمد) قالت المعتزلة ان الله تعالى لم يشاء ان يكفر الكافر ولا ان يفسق الفاسق ولا ان يشتم تعالى ولا ان يقتل الانبياء عليهم الصلاة والسلام واحتجوا بقول الله عز وجل * ولا يرضى لعباده الكفر * وبقوله تعالى . اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فاحبط أعمالهم * وقالوا من فعل ما أراد الله فهو مأجور محسن فان كان الله تعالى أراد أن يكفر الكافر وان يفسق الفاسق فقد فعلا جميعا ما أراد الله تعالى منهما فهما محسنان ماجوران و ذهب اهل السنة ان لفظة (شاء) وأراد لفظة مشتركة تقع على معنيين احدهما الرضى والاستحسان فهذا منفى عن الله تعالى انه اراده أو شاءه فى كل مانهى عنه والثاني ان يقال أراد وشاء بمعنى أراد كونه وشاء وجوده فهذا هو الذى نخبر به عن الله عز وجل فى كل موجود فى العالم من خير او شر فسلكت المعتزلة سبيل السفسطة فى التعلق بالالفاظ المشتركة الواقعه على معنيين فصاعدا والتمويه الذى يضمحل اذا فتش ويفتضح اذا بحث

عنه

الزيادة والنقصان فى الطبائع الاربع ومايهيجه الاحزان فشفاء الزائد والناقص فى الطبائع الادوية وشفاء مايهيجه الاحزان كلام الحكماء والاخوان وقال العمى خير من الجهل لان أصعب مايخاف من العمى التهور فى بئر ينهد منه الجسد والجهل يتوقع منه هلاك الابد وقال مقدمة المحمودات الحياء ومقدمة المذمومات القحة وقال برقليطس ان أوميرس الشاعر لما رأى تضاد الموجودات دون فلك القمر قال بالتيه هلك التضاد من هذا العالم ومن الناس والسادة يعنى النجوم واختلاف طبائعها وأراد بذلك ان يبطل التضاد والاختلاف حتى يكون هذا العام المتحرك المنتقل داخلا فى العالم الساكن القائم الدائم ومن مذهبه أن بهرام واقع

عنه وهذه سبيل الجهال الذين لا حيلة بايديهم الا المخرفة وقال اهل السنة ليس من فعل ما أراد الله تعالى وما شاء الله كان محسنا وانما المحسن من فعل بما أمره الله تعالى به ورضيه منه

(قال ابو محمد) ونسألهم فنقول لهم اخبرونا أكان الله تعالى قادرا على منع الكافر من الكفر والفاسق من الفسق وعلى منع من شتمه من النطق به ومن امراره على خاطره وعلى المنع من قتل من قتل من انبيائه عليهم الصلاة والسلام أم كان عاجزا عن المنع من ذلك فان قالوا لم يكن قادرا على المنع من شيء من ذلك فقد اثبتوا له معنى العجز ضرورة وهذا كفر مجرد وابطال لالاهيته تعالى وقطع عليه بالضعف والنقص وتناهى القوة وانقطاع القدرة مع التناقض الفاحش لانهم مقرون انه تعالى هو اعطاهم القوة التى بها كان الكفر والفسق وشتمه تعالى وقتل الانبياء عليهم الصلاة والسلام فمن المحال المحض ان يكون تعالى لا يقدر على ان لا يعطيهم الذى اعطاهم وهذه صفة المضطر المجبر وان قالوا بل هو قادر على منعهم من كل ذلك اقروا ضرورة انه مريد لبقائهم على الكفر وانه المبقى للكافر وللكفر وحالف الزمان الذى امتد فيه الكافر على كفره والفاسق على فسقه وهذا نفسه هو قولنا انه اراد كون الكفر والفسق والشتم له وقتل الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولم يرض عن شيء من ذلك بل سخطه تعالى وغضب على فاعله وقالت المعتزلة ان كان الله تعالى أراد كون كل ذلك فهو اذن يغضب مما أراد

(قال ابو محمد) ونحن نقر انه تعالى يغضب على فاعل ما اراد كونه منه ثم نعكس عليهم هذا السؤال بعينه فنقول لهم فاذ هذا عندكم منكر وانتم مقرون بانه قادر على المنع منه فهو عندكم يغضب مما أقر ويسخط مايقره ولا يغيره ويثبت ما لا يرضي وهذا هو الذى شنعوا فيه ولا يقدرون على دفعه والشناعة عليهم راجعة لانهم انكروا ما الزمهم وبالضرورة ندرى ان من قدر على المنع من شيء فلم يفعل ولا منع منه فقد اراد وجود كونه ولو لم يرد كونه لغيره ولمنع منه ولما تركه يفعل فان قالوا انه حكيم وخلاهم دون منع لسر من الحكمة له فى ذلك قيل لهم فاقنعوا بمثل هذا الجواب ممن قال لكم انه اراد كونه لانه حكيم كريم عزيز وله فى ذلك سر من الحكمة

(قال أبو محمد) واما نحن فنقول انه تعالى اراد كون كل ذلك ولا سر ها هنا وان كل ما فعل فهو حكمة وحق وان قولهم هذا هادم لمقدمتهم الفاسدة انه يقبح من البارى تعالى مايقبح منا وفيما بيننا وما علم قط ذو عقل ان من خلى من عدوه منطلق اليد على وليه واحب الناس اليه يقتله ويعذبه ويلطمه ويهينه ويتركه ينطلق على عبيده وامائه يفجر بهم وبهن طوعا وكرها والسيد حاضر يرى ويسمع وهو قادر على المنع من ذلك فلا يفعل بل لا يقنع بتركهم الا حتى يعطى عدوه القوة على كل ذلك والآلات المعينة له ويمده بالقوى شيئا بعد شيء فليس حكيما ولا حليما ولكنه عابث ظالم جائر فيلزمهم على اصلهم الفاسد ان يحكموا على الله تعالى بكل هذا لانهم معترفون بانه تعالى فعل كل هذا وهذا لا يلزمنا لاننا نقول ان الله تعالى يفعل مايشاء وان كل ما فعل مما ذكرنا وغيره فهو كله منه تعالى حكمة وحق وعدل لا يسأل عما يفعل وهم يسألون فبطل بضرورة المشاهدة قولهم ان الله تعالى لم يرد كون الكفر أو كون الفسق أو كون شتمه تعالى وقتل أنبيائه عليهم الصلاة والسلام ولو

الزهرة فتولدت من بينهما طبيعة هذا العالم وقال ان الزهرة هى علة التوحد والاجتماع وبهرام علة التفرق والاختلاف والتوحد ضد التفرق فلذلك صارت الطبيعة ضدا تركب وتنقض وتوحد وتفرق وقال الخط شيء اظهره العقل بوساطة القلم فلما قابل النفس عشقته بالعنصر هذا حكمه وأما مقطعات أشعاره قال ينبغى للانسان أن يفهم الامور الانسانية ان الادب للانسان ذخر لا يسلب . ادفع من عمرك مايجريك . إن أمور العالم تعلمك العلم ان كنت ميتا فلا تحقر عداوة من لا يموت كل مايختار فى وقته يفرح به ان الزمان يبين الحق وينيره اذكر نفسك أبدا انك انسان ان كنت انسانا فافهم كيف تضبط

لم يرد كونه لمنع من ذلك كما منع من كون كل ما لم يردان يكون

(قال ابو محمد) ويكفى من هذا كله اجتماع الامة على قول ما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن فهذا على عمومه موجب ان كل مافى العالم كان اويكون اى شيء كان فقد شاءه الله تعالى وكل مالم يكن ولا يكون فلم يشأه الله تعالى نصا لا يحتمل تاويلا على انه تعالى اراد كون كل ذلك فمن ذلك قوله تعالى * لمن شاء منكم ان يستقيم وما تشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين * فنص تعالى نصا جليا على انه لا يشاء احد استقامة على طاعته تعالى الا ان شاء الله تعالى ان يستقيم فلو صح قول المعتزلة ان الله تعالى شاء ان يستقيم كل مكلف لكان بنص القرآن كل مكلف مستقيم لان الله تعالى عندهم قد شاء ذلك وهذا تكذيب مجرد لله تعالى نعوذ بالله من مثله فصح يقينا لا مدخل للشك فى صحته انه تعالى شاء خلاف الاستقامة منهم ولم يشا ان يستقيموا بنص القرآن وقال تعالى * وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين فى قلوبهم مرض والكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلا كذلك يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء *

(قال ابو محمد) وهذه الاية غاية فى البيان فى ان الله تعالى جعل عدة ملائكة النار فتنة للذين كفروا وليقولوا ماذا اراد الله بهذا مثلا فاخبر تعالى أنه أراد ان يفتن الذين كفروا وان يضلهم فيضلوا وانه تعالى قصد اضلالهم وحكم بذلك كما قصد هدي المؤمنين وارادة وكذلك قال تعالى * ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمى وعربى قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى *

(قال ابو محمد) فنص تعالى على انه نزل القرآن هدى للمؤمنين وعمى للكفار وبيقين ندرى انه تعالى اذا نزل القرآن اراد أن يقول كما قال تعالى عمي للكفار وهدى للمؤمنين وقال تعالى * ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعاً افأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون * هكذا هى الآية كلها موصولة بعضها ببعض فنص تعالى على انه لوشاء لآمن الناس والجن وهم أهل الارض كلهم ولو فى لغة العرب التى بها خاطبنا الله عز وجل ليفهمنا حرف يدل على امتناع الشيء لامتناع غيره فصح يقينا ان الله تعالى لم يشأ أن يؤمن كل من فى الارض واذ لا شك فى ذلك فباليقين ندرى انه شاء منهم خلاف الايمان وهو الكفر والفسق لا بد ولو كان الله تعالى اذن للكافرين فى الايمان على قول المعتزلة لكان كل من فى الارض قد آمن لانه تعالى قد نص على أنه لا يؤمن أحد الا باذنه وهذا أمر من المعتزلة يكذبه العيان فصح ان المعتزلة كذبت وان الله تعالى صدق وانه لم ياذن قط لمن مات كافرا فى الايمان وان من عمى عن هذه لأعمى القلب وكيف لا يكون أعمى القلب من أعمى الله قلبه عن الهدي وبالضرورة ندرى ان قول الله تعالى * وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله * حق وان من لم ياذن الله تعالى له فى الايمان فانه تعالى لم يشا ان يؤمن واذ لم يشأ أن يؤمن فبلا شك انه تعالي شاء ان يكفر هذا ما لا انفكاك منه وقال تعالى * ونذرهم فى طغيانهم يعمهون ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله * فبين تعالى اتم بيان على ان الايات لا تغنى شيئا ولا النذر وهم الرسل وانه لا يؤمن شيء

من

غضبك . اذا نالك ضرة فاعلم انك كنت أهلها . اطلب رضى كل أحد لارضى نفسك فقط . ان الضحك فى غير وقته هو ابن عم البكاء . إن الارض تلد كل شيء ثم تسترده . ان الرأى من الجبان جبان انتقم من الاعداء نقمة لا تضرك . كن مع حسن الجرأة ولا تكن متهورا . ان كنت ميتا فلا تذهب مذهب من لا يموت . ان أردت أن تحي فلا تعمل عملا يوجب الموت . ان الطبيعة كونت الاشياء بارادة الرب تعالى . من لا يفعل شيئا من الشر فهو الهى . آمن بالله فانك توفق فى أمورك . إن مساعدة الاشرار على أفعالهم كفر بالله . ان المغلوب من قاتل الله والبخت أعرف الله والامور الانسانية اذا أراد الله خلاصك عبرت

من ذلك الا من شاء الله عز وجل ان يؤمن فصح يقينا انه لا يؤمن الا من شاء الله ايمانه ولا يكفر الا من شاء الله كفره فقال تعالى حاكيا عن يوسف عليه السلام انه قال * وان لا تصرف عنى كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن * فبالضرورة نعلم أن من صبا وجهل فان الله تعالى لم يصرف عنه الكيد الذى صرفه برحمته عمن لم يصب ولم يجهل واذ صرفه تعالى عن بعض ولم يصرفه عن بعض فقد أراد تعالى اضلال من صبا وجهل وقال تعالى * وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا * فليت شعري اذ قال تعالى انه جعل قلوب الكافرين فى اكنة أن يفقهوا القرآن وجعل الوقر فى آذانهم أتراه أراد أن يفقهوه أو أراد أن لا يفقهوه وكيف يسوغ فى عقل احد ان يخبر تعالى انه فعل عز وجل شيئا لم يرد أن يفعله ولا أراد كونه ولا شاء ايجاده وهذا تخليط لا يتشكل فى عقل كل ذى مسكة من عقل فصح يقينا ان الله تعالى أراد كون الوقر فى آذانهم وكون الاكنة على قلوبهم وقال تعالى * ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدى من يشاء * فنص تعالى على انه لم يرد أن يجعلنا امة واحدة ولكن شاء ان يضل قوما ويهدى قوما فصح يقينا انه تعالى شاء اضلال من ضل وقال تعالى مثنيا على قوم ومصدقا لهم فى قولهم * قد افترينا على الله كذبا ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها الا أن يشاء الله ربنا * فقال النبيون عليهم الصلاة والسلام واتباعهم قول الحق الذى شهد الله عز وجل بتصديقه انهم انما خلصوا من الكفر بان الله تعالى نجاهم منه ولم ينج الكافرين منه وان الله تعالى ان شاء أن يعودوا فى الكفر عادوا فيه فصح يقينا انه تعالى شاء ذلك ممن عاد فى الكفر وقد قالت المعتزلة فى هذه الآية معنى هذا الا أن يأمرنا الله بتعظيم الاصنام كما أمرنا بتعظيم الحجر الاسود والكعبة

(قال أبو محمد) وهذا فى غاية الفساد لان الله تعالى لو امرنا بذلك لم يكن عودا فى ملة الكفر بل كان يكون ثابتا على الايمان وتزايدا فيه وقال تعالى * فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا * فليت شعرى اذ زادهم الله مرضا أتراه لم يشا ولا أراد ما فعل من زيادة المرض فى قلوبهم وهو الشك والكفر وكيف يفعل الله ما لا يريد ان يفعل وهل هذا الا الحاد مجرد ممن قاله وقال تعالى * ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد * فنص تعالى على انه لو شاء لم يقتتلوا فوجب ضرورة انه شاء وأراد ان يقتتلوا وفى اقتتال المقتتلين ضلال بلا شك فقد شاء الله تعالى كون الضلال ووجوده بنص كلامه تعالى وقال عز وجل * ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا * فنص تعالى على انه أراد فتنة المفتتنين وهم الكفار وكفرهم الذين لم يملك لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله شيئا فهذا نص على أن الله تعالى أراد كون الكفر من الكفار وقال تعالى * أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم *

(قال ابو محمد) وهذا غاية البيان فى انه تعالى لم يرد ان يطهر قلوبهم وبالضرورة ندرى ان من لم يرد الله ان يطهر قلبه فقد أراد فساد دينه الذى هو ضد طهارة القلب وقال تعالى * ولو شاء الله لجمعهم على الهدى * وهذا غاية البيان فى أن الله تعالى لم يرد هدى الجميع واذا لم يرد هداهم فقد

البحر على البادية. ان العقل الذى يناطق الله لشريف أن قوام السنة بالرئيس أن لفيف الناس وان كانت لهم قوة فليس لهم عقل ان السنة توجب كرامة الوالدين مثل كرامة الاله. رأى ان والديك آلهة لك أن الاب من هو ربى لا من ولد. ان الكلام فى غير وقته يفسد العمر كله. اذا حضر البخت تمت الامور أن سنن الطبيعة لا يتعلم ان اليد تغسل اليد والاصبع الاصبع وليكن فرحك بما تدخره لنفسك دون ما تدخره لغيرك. يعنى بالمدخر لنفسه العلم والحكمة والمدخر لغيره المال والكرم يحمل ثلاثة عناقيد عنقود الالتذاذ وعنقود الشكر وعنقود الشيم خير أمور العالم الحسى أوساطها وخير أمور العالم

أراد كون كفرهم الذى هو ضد الهدى وقال تعالى * ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول منى لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين *

(قال ابو محمد) هذا غاية البيان فى انه تعالى لم يشأ هدى الكفار لكن حق قوله بانهم لابد من ان يكفروا فيكونوا من اهل جهنم وقال تعالى * من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم * فاخبر تعالى انه شاء ان يضل من اضله وشاء ان يهدى من جعله على صراط مستقيم وهم بلاشك غير الذين لم يجعلهم على صراط مستقيم واراد فتنتهم وان لا يطهر قلوبهم وان يكونوا من اصحاب النار نعوذ بالله من ذلك وقال تعالى حاكيا عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام انه قال * لئن لم يهدني ربى لاكونن من القوم الضالين * فشهد الخليل عليه السلام ان من لم يهده الله تعالى ضل وصح ان من ضل فلم يهده الله عز وجل ومن لم يهده الله وهو قادر على هداه فقد اراد ضلاله واضلاله ولم يرد هداه وقال تعالى. ولو شاء الله ما اشركوا. فصح يقينا لا اشكال فيه ان الله تعالى شاء ان يشركوا اذ نص علي انه لو شاء ان لا يشركوا ما اشركوا وقال تعالى. يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه * وهذا نص علي انه تعالى شاء ان يفعلوه اذ أخبر انه لو شاء ان لا يفعلوه ما فعلوه وقال تعالى. وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه * فنص تعالى على انه لو لم يشا ان يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ما اوحوه ولو شاء ان لا يلبس بعضهم دين بعض وان لا يقتلوا اولادهم ما لبس عليهم دينهم ولا قتلوا اولادهم فصح ضرورة انه تعالى شاء ان يلبس دين من التبس دينه واراد كون قتلهم اولادهم وان يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا وقال تعالي. ولو شاء الله لسلطهم عليكم. فصح يقينا انه تعالى سلط ايدى الكفار على من قتلوه من الانبياء والصالحين وقال تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد فى السماء. فنص علي انه يريد هدى قوم فيهديهم ويشرح صدورهم للايمان ويريد ضلال آخرين فيضلهم بان يضيق صدورهم ويحرجها فكانهم كلفوا الصعود الي السماء فيكفروا وقال تعالى. واصبر وما صبرك الا بالله. فنص تعالى على ان من صبر فصبره ليس الا بالله فصح ان من صبر فان الله آتاه الصبر ومن لم يصبر فان الله عز وجل لم يؤته الصبر وقال تعالي. ولا تنازعوا. فنهانا عن الاختلاف وقال تعالى. ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم. فنص تعالى انه خلقهم للاختلاف الا من رحم الله منهم ولو شاء لم يختلفوا فصح يقينا ان الله خلقهم لما نهاهم عنه من الاختلاف واراد كون الاختلاف منهم وقال عز وجل. تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير * وقال تعالى * بعثنا عليكم عبادا لنا أولى باس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا. الى قوله تعالى. وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة. فنص تعالى على انه اغرى الكفار وسلب المؤمنين فى الملك وانه بعث اولئك الذين دخلوا المسجد ودخوله مسخط لله تعالي بلاشك فصح يقينا انه تعالى خلق كل ذلك واراد كونه وقال عز وجل. الم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه ان آتاه الله الملك. فهذا نص جلى علي ان الله اتي ذلك الكافر فصح يقينا ان الله

تعالى

العقلى أفضلها وقيل ان وجود الشعر فى امة اليونان كان قبل الفلسفة وانما أبدعه أوميرس وثاليس كان بعده ثلاثمائة واثنين وثمانين سنة وأول فيلسوف كان منهم فى سنة تسعمائة واحدى وخمسين من وفاة موسى عليه السلام وهذا ما خبر به كورفس فى كتابه وذكر فرفوريوس أن ثاليس ظهر فى سنة ثلاث وعشرين ومائة من ملك بختنصر (حكم بقراط) واضع الطب الذى قال بفضله الاوائل والاواخر كان اكثر حكمته فى الطب وشهرته به فبلغ خبره بهمن ابن اسفنديار بن كشتاسف وكتب الي فيلاطس ملك قوة وهو بلد من بلاد اليونانيين يأمر بتوجيه بقراط اليه وأمر له بقناطير من الذهب فابي ذلك وتلكأ عن الخروج اليه ضنا بوطنه

تعالى فعل تمليكه وملكه على أهل الايمان ولا خلاف بين احد من الامة فى ان ذلك يسخط الله عز وجل ويغضبه ولا يرضاه وهو نفس الذي انكرته المعتزلة وشنعت به

(قال ابو محمد) ونسالهم عما مضت الدنيا عليه مذ كانت من اولها الى يومنا هذا من النصر النازل على ملوك اهل الشرك والملوك الجورة والظلمة والغلبة المعطاة لهم على من ناوأهم من اهل الاسلام واهل الفضل واحترام من ارادهم بالموت أو باضطراب الكلمة ويأتى النصر لهم بوجوه الظفر الذى لاشك فى ان الله تعالى فاعله من أماتة اعدائهم من اهل الفضل وتاييدهم عليهم وهذا مالا مخلص لهم في ان الله تعالى اراد كونه وقال عز وجل. ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين. فنص تعالى نصا جليا لا يحتمل تاويلا على انه كره ان يخرجوا فى الجهاد الذي افترض عليهم الخروج فيه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كره تعالى كون ما اراد ونص على انه ثبطهم عن الخروج فى الجهاد ثم عذبهم على التثبيط الذى اخبر تعالى انه فعله ونص تعالى على انه قال اقعدوا مع القاعدين وهذا يقين ليس بامر الزام لان الله تعالى لم يامرهم بالقعود عن الجهاد مع رسوله صلى الله عليه وسلم بل لعنهم وسخط عليهم اذ قعدوا فاذ لاشك فى هذا فهو ضرورة امر تكوين فصح ان الله تعالى خلق قعودهم المغضب له الموجب لسخطه واذا نص تعالى على امر فلا اعتراض لاحد عليه وقال عز وجل. فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها فى الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون. وهذا نص جلى على انه عز وجل اراد ان يموتوا وهم كافرون وانه تعالى اراد كفرهم والقاف من تزهق مفتوحة بلا خلاف من احد من القراء معطوفة على ما اراد الله عز وجل من ان يعذبهم بها فى الدنيا والواو تدخل المعطوف فى حكم المعطوف عليه بلا خلاف من احد فى اللغة التى بها خاطبنا الله تعالي

(قال أبو محمد) فان قال قائل فان الله عز وجل قال فى الذين قعدوا عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولا وضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم. فلهذا ثبطهم قلنا لا عليكم اكانوا مامورين بالخروج معه عليه السلام متوعدين بالنار ان قعدوا لغير عذر ام كانوا غير مامورين بذلك فاذ لاشك فى انهم كانوا مامورين فقد ثبطهم الله عز وجل عما أمرهم به وعذبهم على ذلك وخلق قعودهم عما أمرهم به ثم نقول لهم اكان تعالى قادرا على ان يكف عن اهل الاسلام خبالهم وفتنتهم لو خرجوا معهم أم لا فان قالوا لم يكن قادرا على ذلك عجزوا ربهم تعالى وان قالوا انه تعالى كان قادرا على ذلك رجعوا الي الحق واقروا ان الله تعالى ثبطهم وكره كون ما افترض عليهم وخلق قعودهم الذي عذبهم عليه ولامهم عليه كما شاء لا معقب لحكمه وبالله تعالي التوفيق

(قال ابو محمد) فاذ جاءت النصوص كما ذكرنا متظاهرة لا تحتمل تأويلا بانه عز وجل اراد ضلال من ضل وشاء كفر من كفر فقد علمنا ضرورة ان كلام الله تعالى لا يتعارض فلما اخبر عز وجل انه لا يرضى لعباده الكفر فبالضرورة علمنا ان الذى نفى عز وجل هو غير الذى أثبت فاذ لاشك فى ذلك فالذي نفى تعالى هو الرضى بالكفر والذى أثبت هو الارادة لكونه والمشيئة لوجوده وهما معنيان متغايران بنص القرآن وحكم اللغة فان أبت المعتزلة من قبول كلام ربهم وكلام نبيهم صلي الله عليه وسلم وكلام ابراهيم ويوسف وشعيب وسائر الانبياء صلى الله عليهم وسلم وأبت

وقومه وكان لا ياخذ على المعالجة اجرة من الفقراء وأواسط الناس وقد شرط أن ياخذ من الاغنياء أحد ثلاثة أشياء طوقا أو اكليلا أو سوارا من ذهب فمن حكمه ان قال استهينوا بالموت فان مرارته فى خوفه وقيل له اى العيش خير قال الامن مع الفقر خير من الغنى مع الخوف وقال الحيطان والبروج لا تحفظ المدن ولكن يحفظها آراء الرجال وتدبير الحكماء وقال يداوى كل عليل بعقاقير أرضه فان الطبيعة متطلعة الى هوائها ونازعة الى غذائها ولما حضرته الوفاة قال خذوا جامع العلم منى من كثر نومه ولانت طبيعته ونديت جلدته طال عمره وقال الاقلال من الضار خير من الاكثار من النافع وقال لو خلق الانسان من

أيضا من قبول اللغة وما أوجبته البراهين الضرورية مما شهدت به الحواس والمقول من الله تعالى لو لم يرد كون ما هو موجود كائن لمنع منه وقد قال تعالى * الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين * فشهد الله تعالى بتكذيبهم واستعاضته من ذلك باصول المنانية ان الحكيم لا يريد كون الظلم ولا يخلقه فلبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون ولقد لجأ بعضهم الى ان قال ان الله تعالى في هذه الايات معنى ومرادا لا نعلمه

(قال أبو محمد) وهذا تجاهل ظاهر وراجع لنا عليهم سواء بسواء في خلق الله تعالى أفعال عباده ثم يعذبهم عليها ولا فرق فكيف وهذا كله لا معنى له بل الايات كلها احق على ظاهرها لا يحل صرفها عنه لان الله تعالى قال * افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها * وقال تعالى * قرآنا عربيا * وقال تعالى * تبيانا لكل شيء . وقال تعالى . اولم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم - وقال تعالى . وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم . فاخبر تعالى ان القرآن تبيان لكل شيء فقالت المعتزلة انه لا يفهمه أحد وانه ليس بيانا نعوذ بالله من مخالفة الله عز وجل ومخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم

(قال ابو محمد) ولا فرق بين ما تلونا من الآيات في أن الله تعالى شاء كون الكفر والضلال وبين قوله تعالى . قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير . وقوله تعالى . ان الله يفعل ما يشاء . وقال تعالى . يجتبي من رسله من يشاء * وقوله * يرزق من يشاء . وقوله تعالى يختص برحمته من يشاء . وقوله تعالى . فعال لما يريد . فهذا العموم جامع لمعاني هذه الآيات ونص القرآن واجماع الامة على أن الله عز وجل حكم بان من حلف فقال ان شاء الله او الا ان يشاء الله على أي شيء حلف فانه ان فعل ما حلف عليه أن لا يفعله فلا حنث عليه ولا كفارة تلزمه لان الله تعالى لو شاء لانفذه وقال عز وجل . ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله .

(قال ابو محمد) فان اعترضوا بقول الله عز وجل وقالوا * لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون * فلا حجة لهم في هذه الآية لان الله عز وجل لا يتناقض كلامه بل يصدق بعضه بعضا وقد اخبر تعالى انه لو شاء ان يؤمنوا لآمنوا وانه لو لم يشاء ان يشركوا ما اشركوا وانه شاء اضلالهم وانه لا يريد ان يطهر قلوبهم فمن المحال الممتنع ان يكذب الله عز وجل قوله الذي أخبر به وصدقه فاذ لا شك في هذا فان في الآية التي ذكروا بيان نقض اعتراضهم بها بأوضح برهان وهو أنه لم يقل تعالى انهم كذبوا في قولهم * لو شاء الرحمن ما عبدناهم * فكان يكون لهم حينئذ في الآية متعلق وانما اخبر تعالى انهم قالوا ذلك بغير علم عندهم لكن تخرصا ليس في هذه الآية معنى غير هذا اصلا وهذا حق وهو قولنا ان الله تعالى لم ينكر قط فيها ولا في غيرها معنى قولهم لو شاء الرحمن ما عبدناهم بل صدقه في الايات الاخر وانما انكر عز وجل ان قالوا ذلك بغير علم لكن بالتخرص وقد اكذب الله عز وجل من قال الحق الذي لا حق احق منه اذ قاله غير معتقد له قال عز وجل اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون *

(قال ابو محمد) فلما قالوا أصدق الكلام وهو الشهادة لمحمد صلى الله عليه وسلم بانه رسول غير معتقدين لذلك سماهم الله تعالى كاذبين وهكذا فعل عز وجل في قولهم لو شاء الرحمن ما عبدناهم

طبيعة واحدة لما مرض لانه لم يكن هناك شيء يضادها فيمرض ودخل على عليل فقال له انا وانت والعلة ثلاثة فان اعنتني عليها بالقبول لما تسمع مني صرنا اثنين وانفردت العلة فقوينا عليها والاثنان اذا اجتمعا على واحد غلبا وسئل ما بال الانسان اثور ما يكون بدنه اذا شرب الدواء قال مثل ذلك مثل البيت أكثر ما يكون غبارا اذا كنس وحديث ابن الملك اذ عشق جارية من حظايا أبيه فنهك بطنه واشتدت علته فاحضر بقراط فجس نبضه ونظر الى تفسرته فلم ير أثر علة فذاكره حديث العشق فرآه يهش لذلك ويطرب فاستخبر الحال من خاصته فلم يكن عندها خبر وقالت ماخرج قط من الدار فقال بقراط للملك مر رئيس

مالهم بذلك من علم لما قالوا هذا الكلام الذى هو الحق غير عالمين بصحته انكر تعالى عليهم ان يقولوه متخرصين وبرهان هذا قول الله تعالي أثر هذه الاية نفسها * ام اتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون . بل قالوا انا وجدنا آباءنا علي امة وانا على آثارهم مهتدون . فبين تعالى انهم قالوا ذلك بغير علم من كتاب أتاهم وان الذين قالوه معتقدين له انما هو انهم اهتدوا باتباع آثار آبائهم فهذا هو الذى عقدوا عليه وهذا الذى انكر تعالى عليهم لا قولهم لو شاء الرحمن ما عبدناهم فبطل ان يكون لهم فى الاية متعلق اصلا والحمد لله رب العالمين فان اعترضوا بقول الله عزوجل . وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء . كذلك فعل الذين من قبلهم فهل علي الرسل الا البلاغ المبين .

(قال ابو محمد) فان سكتوا هاهنا لم يهنهم التمويه وقلنا لهم صلوا القراءة وأتموا معنى الآية فان بعد قوله تعالى فهل على الرسل الى البلاغ المبين متصلا به . ولقد بعثنا فى كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليهم الضلالة .

(قال ابو محمد) فآخر هذه الآية يبين اولها وذلك ان الله تعالي ايضا لم يكذبهم فيما قالوه من ذلك بل حكي عزوجل انهم قالوا . لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه شيء . ولم يكذبهم فى ذلك اصلا بل حكى هذا القول عنهم كما حكي تعالى ايضا قولهم . ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله . ولو انكر عزوجل قولهم ذلك لا كذبهم فاذ لم يكذبهم فلقد صدقهم فى ذلك والحمد لله رب العالمين

(قال أبو محمد) فان اعترضوا بقول الله عزوجل . سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء . كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين قل هلم شهداءكم الذين يشهدون ان الله حرم هذا فان شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون قل تعالوا اتل ماحرم ربكم عليكم ان لا تشركوا به شيا .

(قال ابو محمد) انما تلونا جميع الآيات على نسقها فى القرآن واتصالها خوف ان يعترضوا بالآية ويسكتوا عند قوله يخرصون فكثيرا ما احتجنا الى بيان مثل هذا من الاقتصار على بعض الآية دون بعضها من تمويه من لا يتقي الله عزوجل

(قال ابو محمد) وهذه الآية من أعظم حجة علي القدرية لانه تعالى لم ينكر عليهم قولهم . ولو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء . ولو انكره لكذبهم فيه وانما انكر تعالى قولهم ذلك بغير علم وان وافقوا الصدق والحق كما قدمنا آنفا وقد بين تعالى انه انما انكر عليهم ذلك بقوله عزوجل فى الآية نفسها ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون ثم لم يدعنا تعالى فى لبس من ذلك بل واتبع ذلك نسقا واحدا بان قال . فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم اجمعين . فصدقهم عز وجل فى قولهم انه لو شاء ما اشركوا ولا آباؤهم ولا حرموا ما حرموا واخبر تعالى انه لو شاء لهداهم فاهتدوا وبين تعالى ان له الحجة عليهم في ذلك ولا حجة لاحد عليه تعالى وانكر عزوجل ان اخرجوا ذلك فخرج العذر لأنفسهم او فخرج الاحتجاج علي الرسل عليهم السلام كما تفعل المعتزلة ثم بين تعالى انه انما انكر ايضا تكذيبهم رسله

الخصيان بطاعتى فامره بذلك فقال اخرج على النساء فخرجن وبقراط واضع أصبعه علي نبض الفتى فلما خرجت الحظية اضطرب عرقه وطار قلبه وحار طبعه فعلم بقراط انها المعينة لهواه فسار الى الملك فقال ابن الملك قد عشق لمن الوصول اليها صعب قال الملك ومن ذاك قال هو محب حليلتى قال انزل عنها ولك عنها بدل فتحازن بقراط وجم وقال هل رأيت أحدا كلف أحدا اطلاق أمرأته لاسيما الملك فى عدله ونصفته يامرني بمفارقة حليلتي ومفارقتها مفارقة روحى قال الملك انى وثر ولدى عليك وأعوضك من هو احسن منها فامتنع حتى بلغ الامر الى التهديد بالسيف قال بقراط ان الملك لايسمى عدلا حتى

بقوله تعالى كذلك كذب الذين من قبلهم بالذال المشددة بلا خلاف من القراء ودعوام ان الله تعالى حرم ماادعوا تحريمه وهم كاذبون بقوله تعالى ٭ قل هلم شهداءكم الذين يشهدون ان الله حرم هذا. فوضح بكل ماذكرنا بطلان قول المعتزلة الجهال وبان صحة قولنا ان الله تعالى شاء كون كل مافى العالم من ايمان وشرك وهدى وضلال وان الله تعالى اراد كون ذلك كله وكيف يمكن ان ينكر تعالى قولهم لو شاء الله ما اشركنا وقد اخبرنا عز وجل بهذا نصا فى قوله فى السورة نفسها ٭ اتبع ما اوحى اليك من ربك لا اله الا هو واعرض عن المشركين ولو شاء الله ما اشركوا ٭ فلاح يقينا صدق ما قلنا من انه تعالى لم يكذبهم في قولهم لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء وهذا مثل ما ذكره الله تعالى من قولهم ٭ انطعم من لو يشاء الله اطعمه ٭ فلم يورد الله عز وجل قولهم هذا تكذيبا بل صدقوا فى ذلك بلا شك ولو شاء الله لأطعم الفقراء والمجاويع وما ارى المعتزلة تنكر هذا وانما اورد الله تعالى قولهم هذا لاحتجاجهم به فى الامتناع من الصدقة واطعام الجائع وبهذا نفسه احتجت المعتزلة على ربها اذ قالت يكلفنا مالا يقدرنا عليه ثم يعذبنا بعد ذلك على ما اراد كونه منا فسلكوا مسلك القائلين لم كلفنا الله عز وجل اطعام هذا الجائع ولو اراد اطعامه لاطعمه (قال ابو محمد) تبا لمن عارض أمر ربه تعالى واحتج عليه بل لله الحجة البالغة ولو شاء لأطعم من الزمنا اطعامه ولو شاء لهدى الكافرين فآمنوا ولكنه تعالى لم يرد ذلك بل أراد ان يعذب من لا يطعم المسكين ومن أضله من الكافرين لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وحسبنا الله ونعم الوكيل وقالت المعتزلة معنى قوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ولآمن من فى الارض وسائر الآيات التى تلوتهم انما هو لو شاء عز وجل لاضطرهم الى الايمان فآمنوا مضطرين فكانوا لا يستحقون الجزاء بالجنة

(قال أبو محمد) وهذا تاويل جمعوا فيه بلايا جمة اولها انه قول بلا برهان ودعوى بلا دليل وما كان هكذا فهو ساقط ويقال لهم ما صفة الايمان الضروري الذى لا يستحق عليه الثواب عندكم وما صفة الايمان غير الضروري الذى يستحق به الثواب عندكم فانهم لا يقدرون على فرق أصلا الا ان يقولوا هو مثل ما قال الله عز وجل اذ يقول تعالى ٭ يوم ياتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا ٭ ومثل قوله تعالى ٭ ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون ٭ ومثل حالة المحتضر عند المعاينة التى لا يقبل فيها ايمانه وكما قيل لفرعون ٭ آلآن وقد عصيت قبل ٭

(قال أبو محمد) فيقال لهم كل هذه الآيات حق وقد شاهدت الملائكة تلك الآيات وتلك الاحوال ولم يبطل بذلك قبول ايمانهم فهلا على اصولكم صار ايمانهم ايمان اضطرار لا يستحقون عليه جزاء فى الجنة ام صار جزاؤهم عليه أفضل من جزاء كل مؤمن دونهم وهذا لا مخلص لهم منه اصلا ثم نقول لهم اخبرونا عن ايمان المؤمنين اذ صح عندهم صدق النبى بمشاهدة المعجزات من شق القمر واطعام النفر الكثير من الطعام اليسير ونبعان الماء الغزير من بين الاصابع وشق البحر واحياء الموتى واوضح كل ذلك بنقل التواتر الذى به صح ما كان قبلنا من الوقائع والملوك وغير ذلك مما يصير فيه من بلغه كمن شاهده ولا

ينصف من نفسه ما ينتصف من غيره أرأيت لو كانت العشيقة حظية الملك قال يابقراط عقلك أتم من معرفتك فنزل عنها لابنه وبريء الفتى وقال بقراط إن تاكل ما تستمريء وما لا تستمريء فانه يا كلك وقيل لبقراط لم ثقل الميت قال لانه كان اثنين احدهما خفيف رافع والاخر ثقيل واضع فلما انصرف أحدهما وهو الخفيف الرافع ثقل الثقيل الواضع وقال الجسد يعالج جملة على خمسة اضرب ما فى الرأس بالغرغرة وما فى المعدة بالقيء وما فى البدن باسهال البطن وما بين الجلدتين بالعرق وما فى العمق وداخل العروق بارسال الدم وقال الصفراء بيتها المرارة وسلطانها فى الكبد والبلغم بيته المعدة وسلطانه في الصدر والسوداء بيتها

فرق فى صحة اليقين لكوته هل ايمانهم الا ايمان يقين قد صح عندهم وانه حق ولم يتخالجهم فيه شك فان علمهم به كعلمهم ان ثلاثة اكثر من اثنين وكعلمهم ماشاهدوه بحواسهم فى انه كله حق وعلموه ضرورة ام ايمانهم ذلك ليس يقينا مقطوعا بصحة ما آمنوا به عنده كقطعهم على صحة ما علموه بحواسهم ولا سبيل الى قسم ثالث فان قالوا بل هو الان يقين قد صح علمهم بانه حق لا مدخل للشك فيه عندهم كتيقنهم صحة ماعلموه بمشاهدة حواسهم قلنا لهم نعم هذا هو الايمان الاضطرارى بعينه والا ففرقوا وهذا الذى موهتم بانه لا يستحق عليه من الجزاء كالذى يستحق على غيره وبكل تمويهكم بحمد الله تعالى اذ قلتم ان معنى قوله تعالى * لجمعهم على الهدى ولآمن من فى الارض * انه كان يضطرهم الى الايمان فان قالوا بل ليس ايمان المؤمنين هكذا ولا علمهم بصحة التوحيد والنبوة على يقين وضرورة قيل لهم قد اوجبتم ان المؤمنين على شك فى ايمانهم وعلى عدم يقين فى اعتقادهم وليس هذا ايمانا بل كفر مجرد ممن كان دينه هكذا فان كان هذا صفة ايمان المعتزلة فهم اعلم بانفسهم واما نحن فايماننا ولله الحمد ايمان ضرورى لامدخل للشك فيه كعلمنا ان ثلاثة اكثر من اثنين وان كل بناء فمبنى وكل من اتى بمعجزة فمحق فى نبوته ولا نبالى إن كان ابتداء علمنا استدلالا ام مدركا بالحواس اذ كانت نتيجة كل ذلك سواء فى تيقن صحة الشىء المعتقد وبالله تعالى التوفيق ثم نسالهم عن الذين يرون بعض آيات ربنا يوم لاينفع نفسا ايمانها الا كان الله تعالى قادرا على ان ينفعهم بذلك الايمان ويجزيهم عليه جزاءه لسائر المؤمنين ام هو تعالى غير قادر على ذلك فان قالوا بل هو قادر على ذلك رجعوا الى الحق والتسليم لله عز وجل وانه تعالى منع من شاء واعطى من شاء وانه تعالى ابطل ايمان بعض من آمن عند رؤية آية من آياته ولم يبطل ايمان من آمن عند رؤية آية اخرى وكلاهما سواء فى باب الاعجاز وهذا هو المحاباة والمحضة والجور البين عند المعتزلة فان عجزوا ربهم تعالى عن ذلك احالوا او كفروا وجعلوه تعالى مضطرا مطبوعا محكوما عليه تعالى الله عن ذلك (قال ابو محمد) وقد قال عز وجل * فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين * فهؤلاء قوم يونس لما رأوا العذاب آمنوا فقبل الله عز وجل منهم ايمانهم وآمن فرعون وسائر الامم المعذبة لما رأوا العذاب فلم يقبل الله عز وجل منهم ففعل الله تعالى ما شاء لامعقب لحكمه فظهر فساد قولهم فى ان الايمان الاضطرارى لايستحق عليه جزاء جملة وصح ان الله تعالى يقبل ايمان من شاء ولا يقبل ايمان من شاء ولا مزيد ثم يقال لهم وبالله تعالى التوفيق هبكم لو صح لكم هذا الباطل الغث الذى هديتم به من ان معنى قوله تعالى * لجمعهم على الهدى انما هو لاضطرهم الى الايمان فاخبرونا لو كان ذلك فاى ضرر كان يكون فى ذلك على الناس والجن بل كان يكون فى ذلك الخير كله وماذا ضر الاطفال اذ لم يكن لهم ايمان اختيارى كما تزعمون وقد حصلوا على أفضل المواهب من السلامة من النار بالجملة ومن هول المطلع وصعوبة الحساب وفظاعة تلك المواقف كلها ودخل الجنة جميعهم بسلام آمنين منعمين لم يروا افزاعا رآه غيرهم وأيضا فان دعواهم هذه التى كذبوا فيها على الله عز وجل اذ وصفوا عن مراد الله تعالى ما لم يقله تعالى فقد خالفوا فيها القرآن واللغة لان اسم الهدى والايمان لايقعان البتة على معنى غير المعنى المعهود فى القرآن واللغة وهما طاعات الله عز وجل والعمل بها والقول بها والتصديق بجميعها الموجب كل ذلك بنص القرآن رضى الله عز وجل وجنته ولا يسمى الجماد والحيوان غير الناطق ولا المجنون ولا الطفل

الطحال وسلطانها فى القلب والدم بيته القلب وسلطانه فى الرأس وقال لتلميذ له ليكن أفضل وسيلتك الى الناس محبتك لهم والتفقد لامورهم ومعرفة حالهم واصطناع المعروف اليهم ويحكى عن بقراط قوله المعروف العمر قصير والصناعة طويلة والزمان جديد والتجربة خطر والقضاء عسر وقال لتلاميذه اقسموا الليل والنهار ثلاثة أقسام فاطلبوا فى القسم الاول العقل الفاضل واعملوا فى القسم الثانى بما أحرزتم من ذلك العقل ثم عاملوا فى القسم الثالث من لاعقل له وانهزموا من الشر مااستطعتم وكان له ابن لايقبل الادب فقالت امرأته أن إبنك هو منك فادبه فقال لها هو منى طبعا ومن غيري نفسا فما اصنع به وقال ما كان كثيرا فهو مضادا للطبيعة فليكن الاطعمة والاشربة والنوم والجماعة والتعب قصدا وقال ان صحة البدن اذا

مؤمنا ولا مهتديا الا علي معنى جرى احكام الايمان علي المجنون والطفل خاصة وبرهان ما قلناه قول الله تعالى * ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين . فصح أن الهدى الذي لو أراده الله تعالى جمع الناس عليه هو المنقذ من النار والذي لا يعلاجهم من أهله وكذلك قوله تعالى . وما كان لنفس ان تؤمن إلا باذن الله . فصح ان الايمان جملة شيء واحد وهو المنقذ من النار الموجب للجنة وأيضا فان الله عز وجل يقول * من يهدى الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا . ويقول . انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء . ويقول تعالى . ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء . فهذه الآيات مبنية علي ان الهدى المذكور هو الاختيارى عند المعتزلة لانه تعالى يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم . ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين . وقال تعالى . لا اكراه في الدين . فصح يقينا ان الله تعالى لم يرد قط بقوله لجمعهم علي الهدى ولآمن من في الارض ايمانا فيه اكراه فبطل هذرهم والحمد لله رب العالمين فان قالوا لنا فاذا أراد الله تعالى كون الكفر والضلال فاريدوا ما أراد الله تعالى من ذلك قلنا لهم وبالله تعالى التوفيق ليس لنا ان نفعل مالم نؤمر به ولا يحل لنا ان نريد مالم يامرنا الله تعالى بارادته وانما علينا ما امرنا به فنكره ما أمرنا بكراهيته ونحب ما أمرنا بمحبته ونريد ما أمرنا بارادته ثم نسألهم هل أراد الله تعالى امراض النبي ﷺ اذ أمرضه وموته صلى الله عليه وسلم اذ أماته وموت ابراهيم ابنه اذ أماته أو لم يرد الله شيئا من ذلك فلا بد من ان الله تعالى أراد كون كل ذلك فيلزم ان يريدوا موت النبي صلي الله عليه وسلم ومرضه وموت ابنه ابراهيم لان الله تعالى أراد كل ذلك فان اجابوا الى ذلك ألحدوا بالاخلاف وعصوا الله ورسوله وان أبوا من ذلك بطل ما أرادوا الزامنا اياه الا انه لازم لهم على أصولهم الفاسدة لا لنا لانهم صححوا هذه المسالة ونحن لم نصححها ومن صحح شيئا لزمه ثم نقول لهم وبالله تعالى التوفيق لسنا ننكر في حال ما يباح لنا فيه ارادة الكفر من بعض الناس فقد أثنى الله عز وجل على ابن آدم في قوله لاخيه . انى اريد ان تبوء باثمى واثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين . فهذا ابن آدم الفاضل قد أراد ان يكون أخوه من أصحاب النار وان يبوء باثمه مع اثم نفسه وقد صوب الله عز وجل قول موسى وهارون عليهما السلام . ربنا اطمس علي اموالهم واشدد علي قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم . قال قد اجيبت دعوتكما . فهذا موسى وهارون عليهما السلام قد ارادا وأحبا ان لا يؤمن فرعون وان يموت كافرا الى النار وقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه دعا علي عتبة بن ابي وقاص ان يموت كافرا الى النار فكان كذلك

(قال ابو محمد) واصدق الله عز وجل أنا عن نفسى التي هو اعلم بما فيها منى ان الله تعالى يعلم أني لاسر بموت عقبة بن ابي معيط كافرا وكذلك أمر ابي لهب لاذاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ولتتم كلمة العذاب عليهما وان المرء ليسر بموت من استباغ في اذاه ظلما بان يموت علي اقبح طريقة وقد روينا هذا عن بعض الصالحين في بعض الظلمة ولا حرج علي من ائتسى بمحمد وبموسي وبافضل ابنى آدم صلى الله عليه وسلم وليت شعرى أي فرق بين لعن الكافر والظالم والدعاء عليه بالعذاب في النار وبين الدعاء عليه بان يموت غير متوب عليه والمسرة بكلا الامرين وحسبنا الله ونعم الوكيل وقال عز وجل * ولو شاء الله

لساطهم

كان في الغاية كان أشد خطرا وقال إن الطب هو حفظ الصحة بما يوافق الاصحاء ودفع المرض بما يضاده وقال من سقى السم من الاطباء والقى الجنين ومنع الحبل واجترأ علي المريض فليس من شيعتي وله ايمان معروفة على هذه الشرائط وكتبه كثيرة في الطب وقال في الطبيعة انها القوة التي تدبر جسم الانسان فتصوره من النطفة الى تمام الخلقة خدمة للنفس في اتمام هيكلها ولا يزال هو المدبر له غذاء من الثدى وبعده مما به قوامه من الاغذية ولها ثلاث قوى المولدة والمربية والحافظة ويخدم الثلاث أربع قوى الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة

(حكيم ديمقراطيس)

وكان من الحكماء المعتبرين في زمان بهمن بن اسفنديار وهو وبقراط كانا في زمان واحد قبل أفلاطون وله آراء في الفلسفة وخصوصا في مبادىء الكون والفساد وكان أرطوطاليس يؤثر

لسلطهم عليكم * وقال تعالى * وما النصر الا من عند الله * وقال تعالى * اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم وقال تعالى * هو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة * فصح يقينا ان الله تعالى سلط الكفار على من سلطهم عليهم من الانبياء وعلى اهل بئر معونة ويوم احد ونصرهم املاء لهم وابتلاء للمؤمنين والا فيقال لمن انكر هذا اتراه تعالى كان عاجزا عن منعهم فان قالوا نعم كفروا أو ناقضوا لان الله تعالى قد نص على انه كف ايدي الكفار عن المؤمنين اذ شاء وسلط ايديهم على المؤمنين ولم يكفها اذ شاء

(قال ابو محمد) وقال بعض شيوخ المعتزلة ان اسلام الله تعالى من أسلم من الانبياء الى اعدائه فقتلوهم وجرحوهم واسلام من اسلم من الصبيان الى اعدائه يخصونهم ويغلبونهم على انفسهم بركوب الفاحشة اذا كان ليعوضهم أفضل الثواب فليس خذلانا فقلنا دعونا من لفظة الخذلان فلسنا نجيزها لان الله تعالى لم يذكرها في هذا الباب لكنا نقول لكم اذا كان قتل الانبياء عليهم الصلاة والسلام اعظم ما يكون من الكفر والظلم وكان الله عز وجل بقولكم قد اسلم انبياءه صلوات الله عليهم الى اعدائهم ليعوضهم اجل عوض فقد اقررتم بزعمكم أن الله عز وجل اراد اسلامهم الى اعدائهم واذا أراد الله عز وجل ذلك باقراركم فقد أراد باقراركم كون اعظم ما يكون من الكفر وشاء وقوع اعظم الضلال ورضي ذلك لانبيائه عليهم السلام على الوجه الذي تقولون كاينا ما كان وهذا ما لا مخلص لهم منه وأيضا فنقول لهذا القائل اذا كان اسلام الانبياء الى اعداء الله عز وجل يقتلونهم ليس ظلما وعبثا على توجيهكم المناقض لاصولكم في انه أدى الى أجزل الجزاء فليس خذلانا وكذلك اسلام المسلم الى عدوه يخصه ويرتكب فيه الفاحشة فهو على اصولكم خير وعدل فيلزمكم ان تتمنوا ذلك وان تسروا بما نيل من الانبياء عليهم السلام في ذلك وان تدعوا فيه الى الله تعالى وهذا خلاف قولكم وخلاف اجماع اهل الاسلام وهذا ما لا مخلص لهم منه ولا يلزمنا نحن ذلك لاننا لا نسر الا بما أمرنا الله تعالى بالسرور به ولا نتمنى الا ما قد اباح لنا تعالى ان ندعوه فيه وكل فعله عز وجل وان كان عدلا منه وخيرا فقد افترض تعالى علينا ان تنكر من ذلك ما سماه من غيره ظلما وان نبرأ منه ولا نتمناه لمسلم فانما نتبع ما جاءت به النصوص فقط وبالله تعالى التوفيق وقال قائل من المعتزلة اذا حملتم قوله تعالى * والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى * فما يدريكم لعله عليكم عمى

(قال ابو محمد) فجوابنا وبالله تعالى التوفيق ان الله تعالى قد نص على انه لا يكون عمي الا على الذين لا يؤمنون ونحن مؤمنون ولله تعالى الحمد فقد أمنا ذلك وقد ذم الله تعالى قوما حملوا القرآن على غير ظاهره فقال تعالى * يحرفون الكلم عن مواضعه * فهذه صفتكم على الحقيقة الموجودة فيكم حسا فمن حمل القرآن على ما خوطب به من اللغة العربية واتبع بيان الرسول صلى الله عليه وسلم فالقرآن له هدي وشفاء ومن بدل كلمه عن مواضعه وادعى فيه دعاوي برأيه وكهانات بطنه واسرارا واعرض عن بيان الرسول صلى الله عليه وسلم المبين عن الله تعالى بامره ومال الى قول المنانية فهو الذي عليه القرآن عمى وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) ومن نوادر المعتزلة وعظيم جهلها وحماقتها واقدامها انهم قالوا ان الشهادة

قوله على قول أستاذه افلاطون الالهي وما أنصف قال ديمقراطيس ان الجمال الظاهر يشبه به المصورون بالاصباغ ولكن الجمال الباطن لا يشبه به الا من هو له بالحقيقة وهو مخترعه ومنشأة وقال ليس ينبغي أن تعد نفسك من الناس ما دام الغيظ يفسد رأيك ويتبع شهوتك وقال ليس ينبغي أن تمتحن الناس في وقت ذاتهم بل في وقت عزتهم وتملكهم وكما أن الكير يمتحن به الذهب كذلك الملك يمتحن به الانسان فيتبين خيره من شره وقال ينبغي أن تأخذ في العلوم بعد أن تنقي نفسك عن العيوب وتعودها الفضائل فانك ان لم تفعل هذا لم تنتفع بشيء من العلوم وقال من أعطى أخاه المال فقد أعطاه خزائنه ومن أعطاه علمه ونصيحته فقد وهب له نفسه وقال لا ينبغي أن تعد النفع الذي فيه الضرر العظيم نفعا ولا الضرر

التى غبط الله تعالى بها الشهداء واوجب لهم بها افضل الجزاء وتمناها رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وفضلاء المسلمين ليس هى قتل الكافر للمؤمن ولا قتل الظالم للمسلم البرئ

(قال ابو محمد) وجنون المعتزلة وجهلهم وإهذارهم ووساوسهم لاقياس عليها وحق لمن استغنى عن الله عزوجل وقال انه يقدر على مالا يقدر عليه ربه تعالى وقال ان عقله كعقول الانبياء عليهم السلام سواء بسواء ان يخذله الله عزوجل مثل هذا الخذلان نعوذ بالله من خذلانه ونسئله العصمة فلا عاصم سواه أما سمعوا قول الله عز وجل * ان اشتري من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقا * وقوله تعالى * ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء * ثم انهم فسروا الشهادة بقولهم فقالوا انما الشهادة الصبر على الجراح المؤدية الى القتل والعزم على التقدم الى الحرب

(قال ابو محمد) وفى هذا الكلام من الجنون ثلاثة اضرب احدها انه كلام مبتدع لم يقبله احد قبل متاخريهم المنسلخين من الخير جملة والثانى انه لو وضح ما ذكروا لكانت الشهادة في الحياة لا بالموت لان الصبر على الجراح والعزم على التقدم لا يكونان الا في الحياة والشهادة فى سبيل الله لا تكون بنص القرآن وصحيح الاخبار واجماع الامة الا بالقتل والثالث ان الذى منه هربوا فيه وقعوا بعينه وهو ان الشهاده التى تمنى المسلمون بها ان كانت العزم على التقدم الى الحرب والصبر على الجراح المودية الى القتل فقد حصل تمنى قتل الكفار للمسلمين وتمنى ان يجرحوا المسلمين جراحا تؤدى الى القتل وتمنى ثبات الكفار على الكفر حتى يجرحوا اهل الاسلام جراحا قاتلة وحرب الكفار للمسلمين وثباتهم لهم وجراحهم اياهم معاص وكفر بلا شك فقد حصلوا على تمنى المعاصى وهو الذى به شنعوا وبالله تعالى التوفيق فبطل كل ما شنعت به المعتزلة والحمد لله رب العالمين

(الكلام فى اللطف والاصلح)

(قال ابو محمد) وضل جمهور المعتزلة فى فصل من القدر ضلالا بعيدا فقالوا باجمعهم حاشا ضرار بن عمرو وحفصا الفرد وبشر بن المعتمر ويسيرا ممن اتبعهم انه ليس عند الله تعالى شيء اصلح مما اعطاه جميع الناس كافرهم ومؤمنهم ولا عنده هدى اهدى مما قد هدى به الكافر والمؤمن هدا مستويا وانه ليس يقدر على شيء هو اصلح مما فعل بالكفار والمؤمنين ثم اختلف هؤلاء فقال جمهورهم انه تعالى قادر على امثال ما فعل من الصلاح بلا نهاية وقال الاقل منهم وهم عباد ومن وافقه هذا باطل لانه لا يجوز ان يترك الله تعالى شيئا يقدر عليه من الصلاح من اجل فعله لصلاح ما وحجتهم فى هذا الكفر الذى أتوا به انه لو كان عنده أصلح أو أفضل مما فعل بالناس ومنعهم اياه لكان بخيلا ظالما لهم ولو أعطى شيئا من فضله بعض الناس دون بعض لكان محابيا ظالما والمحاباة جور ولو كان عنده ما يؤمن به الكفار اذا أعطاهم اياه ثم منعهم اياه لكان ظالما لهم غاية الظلم قالوا وقد علمنا ان انسانا لو ملك اموالا عظيمة تفضل عنه ولا يحتاج اليها فقصده جار فقير له تحل له الصدقة فساله درهما يحيى به نفسه وهو يعلم فقره اليه ويعلم انه يتدارك به رمقه فمنعه لا لمعنى فانه بخيل قالوا فلو علم انه اذا أعطاه الدرهم سهلت عليه افعال كلفه اياها فمنعه من ذلك لكان بخيلا ظالما فلو علم انه لا يصل الى

ما

الذي فيه النفع العظيم ضررا ولا الحياة التى لا تحمد أن تعد حياة وقال مثل من قنع بالاسم كمثل من قنع عن الطعام بالرائحة وقال عالم معاند خير من جاهل منصف وقال ثمرة العزة التواني وثمرة التوانى الشقاء وثمرة الشقاء ظهور البطالة وثمرة البطالة السفه والعنت والندامة والحزن وقال يجب على الانسان أن يطهر قلبه من المكر والخديعة كما يطهر بدنه من أنواع الخبث وقال لا تطمع أحدا أن يطا عقبك اليوم فيطاؤك غدا وقال لا تكن حلوا جدا لئلا تبلغ ولا مرا جدا لئلا تلفظ وقال ذنب الكلب يكسب له الطعام وفمه يكسب الضرب وكان بأثينية نقاش غير حاذق فاتى ديمقراطيس وقال جصص بيتك فاصوره قال صوره أولا حتى أجصصه وقال مثل العلم مع من لا يقبل وان قبل لا يعلم كمثل دواء مع سقيم وهو لا يداوى به وقيل له

ماكلفه الابذلك الدرم فنعه لكان بخيلا ظالما سفيها فهذا كل ما احتجوا به لاحجة لهم غير هذه البتة وذهب ضرار بن عمرو وحفص الفرد وبشر بن المعتمر ومن وافقهم وهم قليل منهم الي ان عند الله عز وجل الطافا كثيرة لانهاية لها لو اعطاها الكفار لآمنوا ايمانا اختياريا يستحقون به الثواب بالجنة وقد أشار الى نحو هذا ولم يحققه ابو علي الجبائي وابنه ابو هاشم وكان بشر بن المعتمر يكفر من قال بالاصلح والمعتزلة اليوم تدعي ان بشرا تاب عن القول باللطف ورجع الى القول بالاصلح

(قال ابو محمد) وحجة هؤلاء انه تعالى قد فعل بهم مايؤمنون عنده لو شاؤا فليس لهم عليه غير ذلك ولا يلزمه اكثر من ذلك فعارضهم اصحاب الاصلح بان قالوا ان الاختيار هو ما يمكن فعله ويمكن تركه فلو كان الكفار عند اتيان الله تعالى بتلك الالطاف يختارون الايمان لامكن ان يفعلوه وان لا يفعلوه ايضا فعادت الحال الى ما هي عليه الان يقولوا أنهم كانوا يؤمنون ولا بد فهذا اضطرار من الله تعالى لهم الى الايمان لا اختيار قالوا ونحن لا ننكر هذا بل الله تعالى قادر علي ان يضطرهم الى الايمان كما قال تعالى * يوم ياتى بعض ايات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل * قالوا فالذى فعل تعالى بهم أفضل وأصلح

- قال ابو محمد - هذا لازم لمن لم يقل ان افعال العباد مخلوقة لله تعالى لزوما لا ينفكون عنه وأما نحن فلا يلزمنا وانما سألناهم هل الله تعالى قادر على ان ياتى الكفار بالطاف يكون منهم الايمان عندها باختيار ولا بد ويثيبهم علي ذلك أتم ثواب يثيبه عبدا من عباده أم لا فقالوا لا

(قال ابو محمد) كأن أصحاب الأصلح غيب عن العالم أو كأنهم اذا حضروا فيه سلبت عقولهم وطمست حواسهم وصدق الله فقد نبه على مثل هذا اذ يقول تعالى * لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم آذان لا يسمعون بها * أترى هؤلاء القوم ما شاهدوا أن الله عز وجل منع الاموال قوما واعطاها آخرين ونبأ قوما وأرسلهم الى عباده وخلق قوما آخرين فى أقاصي أرض الزنج يعبدون الاوثان وأمات قوما من أوليائه ومن أعدائه عطشا وعنده مجادح السموات وسقى آخرين الماء العذب أما هذه محاباة ظاهرة فان قالوا ان كل ما فعل من ذلك فهو أصلح بمن فعله به سألناهم عن أماتته تعالى الكفار وهم يصيرون الى النار وأعطائه تعالى قوما مالا ورياسة فبطروا وهلكوا وكانوا مع القلة والخمول صالحين وأفقر أقواما فسرقوا وقتلوا كانوا فى حال الغنى صالحين وأصح أقواما وجمل صورهم فكان ذلك سببا لكون المعاصى منهم وتركوها إذا أسنوا وأمرض أقواما فتركوا الصلاة عمدا وضجروا وثربوا وتكلموا بما هو الكفر او قريب منه وكانوا فى صحتهم شاكرين لله يصلون ويصومون أهذا الذى فعل الله بهم كان اصلح لهم فان قالوا نعم كابروا المحسوس وان قالوا لو عاشوا لازدادوا قلنا لهم فاما كان أصلح لهم ان يخترمهم الله عز وجل قبل البلوغ أو أن يطيل اعمارهم فى الكفر ويملكهم الجيوش فيهلكوا بها أرض الاسلام ويقوي اجسادهم واذهانهم فيضل بهم جماعة كما فعل لسعيد الفيومى اليهودى وأباريطا اليعقوبى النصرانى والمحققين بالكلام من اليهود والنصارى والمجوس والمنانية والدهرية اما كان أصلح لهم ولمن ضل منهم ان يميتهم صغارا

(قال ابو محمد) فانقطعوا فلجأ بعضهم الى أن قال لعله قد سبق فى علم الله تعالى أنه لو أماتهم صغارا لكفر خلق من المؤمنين

لا تنظر فغمض عينيه قيل له لا تسمع فسد اذنيه قيل له لا تتكلم وضع يده علي شفتيه قيل له لا تعلم قال لا أقدر انما أراد به أن البواطن لا تندرج تحت الاختيار فاشار الى ضرورة السر واختيار الظاهر ولما كان الانسان مضطر الحدوث كان معزول الولاية عن قلبه وهو بقلبه أكثر منه بسائر جوارحه فلهذا لم يستطع أن يتصرف فى أصله لاستحالة أن يكون فاعل أصله ولهذا الكلام شرح آخر وهو انه أراد التميز بين العقل والحس فان الادراك العقلى لا يتصور الانفكاك عنه واذا حصل لن يتصور نسيانه بالاختيار والاعراض عنه بخلاف الادراك الحسى وهذا يدل على ان العقل ليس من جنس الحس ولا النفس من حيز البدن وقد قيل أن الاختيار فى الانسان مركب من انفعالين أحدهما انفعال نقيصة والثانى انفعال تكامل وهو الى الانفعال

(قال أبو محمد) وفى هذا الجواب من السخافة وجوه جمة أولها انه دعوى بالدليل والثاني انهم لا ينفكون به مما الزمناهم ونقول لهم كان الله عز وجل قادرا على ان يميتهم ولا يوجب موتهم كفر احد فان قالوا لا عجزوا ربهم تعالى وان قالوا بل كان قادرا على ذلك ألزموه الجور والظلم على أصولهم ولا بد من احد الامرين والثالث انه ما يسمع فى العالم باسخف من قول من قال ان انسانا مؤمنا يكفر من أجل صغير مات فهذا أمر ما شوهد قط فى العالم ولا توهم ولا يدخل في الامكان ولا فى العقل وكم طفل يموت كل يوم مذ خلق الله تعالى الدنيا الى يوم القيامة فهل كفر احد قط من اجل موت ذلك الطفل وانما عهدنا الناس يكفرون عند ما يقع لهم من الغضب الذي يخلقه الله عز وجل فى طبائعهم وبالعصبية التى أتاهم الله عز وجل اسبابها او بالملاء الذى أتاهم الله اياه اذا عارضهم فيه عارض والرابع انه ليس فى الجور ولا فى العبث ولا فى الظلم ولا فى المحاباة أعظم من أن يبقى طفلا حتى يكفر فيستحق الخلود فى النار ولا يميته طفلا فينجوا من النار من أجل صلاح قوم لولا كفر هذا المنحوس لكفر أولئك وما فى الظلم والمحاباة اقبح من هذا وهل هذا الا كمن وقف انسانا للقتل فاخذه وآخر من عرض الطريق فقتله مكانه فظهر فساد هذا القول السخيف الملعون

(قال ابو محمد) وقال بعضهم قد يخرج من صلبه مؤمنون

(قال أبو محمد) وقد يموت الكافر عن غير عقب وقد يلد الكافر كفارا اضر على الاسلام منه ومع هذا فكل ما ذكرنا يلزم ايضا فى هذا الجواب السخيف وايضا فقد يخرج من صلب المؤمن كافر طاغ وظالم باغ يفسد الحرث والنسل ويثير الظلم ويميت الحق ويؤسس القتالات والمنكرات حتى يضل بها خلق كثير حتى يظنوا انها حق وسنة فاى وجه لخلق هؤلاء على اصول المعتزلة الضلال نعم واى معنى واى صلاح فى خلق ابليس ومردة الشياطين واعطائهم القوة على اضلال الناس من الحكمة المعهودة بيننا وبالضرورة نعلم ان من نصب المصايد للناس فى الطرقات وطرح الشوك فى ممشاهم فانه عائب سفيه فيما بيننا والله تعالى خلق كل ما ذكرنا باقرارهم وهو الحكيم العليم ثم وجدناه تعالى قد شهد للذين بايعوا تحت الشجرة بانه علم ما في قلوبهم فانزل السكينة عليهم ثم أمات منهم من ولى منهم أمور المسلمين سريعا ووهن قوى بعضهم وملك عليهم زيادا والحجاج وبغاة الخوارج فاى مصلحة في هذا الحجاج ولقطرى او لسائر المسلمين لو عقلت المعتزلة ولكن الحق هو قولنا وهو ان كل ذلك عدل من الله وحق وحكمة وهلاك ودمار واضلال للحجاج المسلط ولقطرى ونظائرهما اراد الله تعالى بذلك هلاكهم فى الاخرة ونعوذ بالله من الخذلان ثم نسألهم ماذا تقولون اذا أمر الله عز وجل بجلد الحرة فى الزنا ماية وبجلد الامة نصف ذلك أليس هذا محاباة للامة واذ خول الله عز وجل قوما اموالا جمة فعاثوا فيها وحرم آخرين اما هذا عين المحاباة والجور على اصلهم الفاسد فيمن منع جاره الفقير الان يطردوا قولهم فيصيروا الى قول من ذكر ان الواجب يواسى الناس فى الاموال والنساء على السواء وبالجملة فان القوم يدعون نفى التشبيه ويكفرون من شبه الله تعالى بخلقه ثم لا نعلم أحدا أشد تشبيها لله تعالى بخلقه منهم فيلزمونه الحكم ويجرون عليه الامر والنهى ويشبهونه بخلقه تعالى فيما يحسن منه ويقبح ثم نقضوا اصولهم اذ من قولهم ان ما صلح بيننا بوجه من الوجوه فلسنا نبعده عن البارى تعالى ونحن نجد فيما بيننا من يحابى

الاول أميل بحكم الطبيعة والمزاج والآخر ضعيف فيه الا اذا وصل اليه مدد من جهة العقل ولتميز والنطق فينشيء الرأى الثاقب ويحدث الحزم الصائب فيحب الحق ويكره الباطل فمتى وقف هذا المدد من القوة الاختيارية كانت الغلبة للانفعال الآخر ولولا يركب الاختيار عن هذين الانفعالين وانقسامه الى هذين الوجهين لتاتى للانسان جميع ما يقصده بالاختيار بلا مهلة ولا ترجح ولا هنية ولا ترنح ولا استشارة ولا استخارة وهذا الرأي الذي رآه هذا الحكيم لم أجد أحدا أبداه ولا عثر عليه أو حكم به وأومى اليه (حكيم أوقليدس) وهو أول من تكلم فى الرياضات وأفراده علما نافعا فى العلوم منقحا للخاطر ملقحا للفكر وكتابه معروف باسمه وذلك حكمته وقد وجدنا له حكما متفرقة فاوردناها على سوق مرامنا وطرد كلامنا فمن ذلك

أحد عبيده على الآخر فيجعل احدهم مشرفا على ماله وعياله وحاضنا لولده ويرتضيه لذلك من صغره بان يعلمه الكتاب والحساب ويجعل الآخر رائضا لدابته وجامعا للزبل لبستانه ومنقيا لحشه ويرتضيه لذلك من صغره وكذلك الاماء فيجعل احداهن محل ازاره ومطلب الولد ويجعل الثانية خادما لهذه في الطبخ والغسل وهذا عدل باجماع المسلمين كلهم فلم انكروا ان يحابي البارى عزوجل من شاء من عباده بما احب من التفضيل ووجدوا في الشاهد من يعطى المحاويج من ماله فيعطى أحدهم ما يغنيه ويخرجه عن الفقر وذلك نحو الف دينار ثم يعطي آخر مثله ألف دينار ويزيده ألف دينار فانه وان حابى فحسن غير ملوم فلم منعوا ربهم من ذلك وجوره اذا فعله وهو تعالى بلا شك اتم ملكا لكل ما في العالم من احدنا لما خوله عز وجل من الاملاك ونقضوا اصلهم في ان ما حسن في الشاهد بوجه من الوجوه لم يمنعوا وقوعه من البارى عزوجل ووجدوا في الشاهد من يدخر اموالا عظيمة فيؤدى جميع الحقوق اللازمة له حتى لا يبقى بحضرته محتاج ثم يمنع سائر ذلك فلا يسمى بخيلا فلاى شيء منعوا ربهم عزوجل من مثل ذلك وجوروه وبخلوه اذا لم يعط أفضل ما عنده وهذا كله بين لا اشكال فيه

(قال ابو محمد) ونسالهم عن قول لهم عجيب وهو انهم اجازوا ان يخلق الله عزوجل أضعف الاشياء ثم لا يكون قادرا على اضعف منه فهكذا هو قادر فاعل اصلح الاشياء ثم لا يكون قادرا على اصلح منه وعلى اصغر الاشياء وهو الجزء الذى لا يتجزأ ولا يقدر على اصغر منه

(قال ابو محمد) هذا ايجاب منهم لتناهى قدرة الله عزوجل وتعجيز له تعالى وايجاب لحدوثه وابطال الميته اذ التناهى في القوة صفة المحدث المخلوق لا صفة الخالق الذى لم يزل وهذا خلاف القرآن واجماع المسلمين وتشبيه الله تعالى بخلقه في تناهى قدرتهم

(قال ابو محمد) ولكنه لازم لكل من قال بالجزء الذى لا يتجزأ وبالقياس لزوما صحيحا لا انفكاك لهم منه ونعوذ بالله من هذه المقالات المهلكة بل نقول ان الله تعالى كل ما خلق شيئا صغيرا أو ضعيفا أو كبيرا او قويا او مصلحة فانه ابدا بلا نهاية قادر على خلق أصغر منه واضعف وأقوى وأصلح

(قال ابو محمد) ونسالهم ايقدر الله تعالى على ما لو فعله لكفر الناس كلهم فان قالوا لا لحقوا بعلى الاسوارى وهم لا يقولون بهذا ولو قالوه لاكذبهم الله تعالى اذ يقول * ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض * وبقوله تعالى ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة * وان قالوا نعم هو قادر على ذلك قلنا لهم فقد قطعتم بانه تعالى يقدر على الشر ولا يقدر على الخير هذه مصيبة على اصولهم ولزمهم ايضا فساد اصلهم في قولهم ان من يقدر على شيء قدر على ضده لانهم يقولون ان الله تعالى يقدر على ما يكفر الناس كلهم عنده ولا يقدر على ما يؤمن جميعهم عنده

(قال ابو محمد) ونسال من قال منهم انه تعالى يقدر على مثل ما فعل من الصلاح بلا نهاية لا على اكثر من ذلك فنقول لهم ان على اصولكم لم تنفكوا من تجوير البارى عزوجل لان بضرورة الحس ندرى انه اذا استضافت المصالح بعضها الى بعض كانت أصلح من انفراد كل مصلحة عن الاخرى فاذا هو قادر عندكم على ذلك ولم يفعله بعباده فقد لزمه ما الزمتموه لو كان قادرا على اصلح مما فعل ولم يفعله فقالوا هذا كالدواء والطعام والشراب لكل

قوله الخط هندسة روحانية ظهرت بآلة جسمانية وقال له رجل يهدده اني لا الوا جهدا في أن افقدك حياتك قال أوقليدس وأنا لا آلوا جهدا في أن افقدك غضبك وقال كل أمر تصرفنا فيه وكانت النفس الناطقة هى المقدرة له فهو داخل في الافعال الانسانية وما لم تقدره النفس الناطقة فهو داخل في الافعال البهيمية قال ومن أراد أن يكون محبوبه محبوبك وافقك على ما يحب فاذا اتفقتما على محبوب واحد صرتما الى الاتفاق وقال افزع الى ما يشبه الرأى العام التدبيرى العقلى وانهم ما سواء وقال ما أستطيع على خلعه ولم يضطر الى لزومه المرء فلم الاقامة على مكروهة وقال الامور جنسان أحدهما يستطاع خلعه والمصير الى غيره والآخر توجبه الضرورة فلا يستطاع الانتقال عنه والاغتمام والاسف على كل واحد منهما غير سائغ في الرأى وقال ان كانت الكائنات

ذلك مقدار يصلح به من اعطيه فاذا استضافت اليه امثاله كان ضرورا قال علي رضي الله عنه ولم يقل قط ذو عقل ومعرفة بحقائق الامور ان غفار كذا مصلحة جملة وعلى كل حال ولاان الاكل مصلحة ابدا وعلى الجملة ولاان الشراب مصلحة بكل وجه ابدا وانما الحق ان مقدارا من الدواء مصلحة لعلة كذا فقط فان زاد او نقص او تعدى به تلك العلة كان ضررا وكذلك الطعام والشراب هما مصلحة في حال ما وبقدر ما فما زاد او تعدى به وقته كان ضررا وما نقص عن الكفاية كان ضررا ليس اطلاق اسم الصلاح في شيء من ذلك اولى من اطلاق اسم الضرر لان كلا الامرين موجود في ذلك كما ذكرنا وليس الصلاح من الله عزوجل للعبد والهدي له والخير من قبله عزوجل كذلك بل على الاطلاق والجملة وعلى كل حال بل كلما ازداد الصلاح وكثر وازداد الهدى وكبر وزاد الخير وكبر فهو افضل فان قالوا نجد الصلاة والصيام اثما في وقت ما واجرا في آخر قلنا ما كان من هذا منهيا عنه فليس صلاحا البتة ولا هو هدى ولا خير بل هو اثم وخذلان وضلال وليس في هذا كلامنا لكن فيما هو صلاح حقيقة وهدى حقيقة وخير حقيقة وهذا ما لا مخلص لهم منه

(قال ابو محمد) وقال اصحاب الاصلح منهم ان من علم الله تعالى انه يؤمن من الاطفال ان عاش أو يسلم من الكفار ان عاش أو يتوب من الفساق ان عاش فانه لا يجوز البتة ان يميته الله قبل ذلك قالوا وكذلك من علم الله تعالى انه ان عاش فعل خيرا فلا يجوز البتة ان يميته الله قبل فعله قالوا ولا يميت الله تعالى احدا الا وهو يدرى انه ان ابقاه طرفة عين فما زاد فانه لا يفعل شيئا من الخير أصلا بل يكفر أو يفسق ولابد

(قال ابو محمد) وهذا من طوامهم التي جمعت الكفر والسحق ولم ينفكوا بها فما فروا عنه من تجوير الباري تعالى بزعمهم واما الكفر فانه يلزمهم ان ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم لو بلغ لكفر أو فسق وليت شعري اذ هذا عندهم كما زعموا فلم امات بعضهم اثر ولادته ثم آخر بعد ساعة ثم يوم ثم يومين وهكذا شهرا بعد شهر وعاما بعد عام الى ان امات بعضهم قبل بلوغه بيسير وكلهم عندهم سواء في انهم لو عاشوا لكفروا او فسقوا كلهم واذ عنى بهم هذه العناية فلم ابقى من الاطفال من درى انه يكفر ويفسق نعم ويؤتيهم القوى والتدقيق في الفهم كالفيومى سعيد ابن يوسف والمعمس داود بن قزوان وابراهيم البغدادى وأبي كثير الطبرانى متكلمى اليهود وأبي ربطة اليعقوبي ومقرونيش الملكى من متكلمى النصارى وقردان بخت المثاني حتى اضلوا كثيرا بشبههم وتمويهاتهم ومخارفتهم ولا سبيل الى وجود فرق اصلا وهذا محاباة وجور على اصولهم ثم نجده تعالى قد عذب بعض هؤلاء الاطفال باليتم والقمل والعرى والبرد والجوع وسوء المرقد والعمى والبطلان والاوجاع حتى يموتوا كذلك وبعضهم مرفه مخدوم منعم حتى يموت كذلك ولعلهما لاب وام وكذلك يلزمهم ان ابا بكر وعمر وعثمان وعليا وسائر الصحابة رضي الله عنهم نعم ومحمدا صلى الله عليه وسلم وموسي وعيسى وابراهيم وسائر الرسل عليهم الصلاة والسلام ان كل واحد منهم لو عاش طرفة عين على الوقت الذي مات فيه لكفر او فسق ولزمهم مثل هذا في جبريل ومكائيل وحملة العرش عليهم السلام ان كانوا يقولون بانهم يموتون فان تمادوا على هذا كفروا وقد صرح بعضهم بذلك جهارا وان ابوا تناقضوا ولزمهم ان الله تعالى يميت من يدرى انه يزداد خيرا او يبقى من يدرى انه يكفر وهذا

عندهم

من المضطرة فما الاهتمام بالمضطر اذ لابد منه وان كانت غير مضطرة فلم الهم فيما يجوز الانتقال عنه وقال الصواب اذا كان عاميا كان أفضل لان الخاص يقع بالتحرى وتلقاء امر ما وقال العمل على الانصاف ترك الاقامة على المكروه وقال اذا لم يضطرك الى الاقامة عليه شيء فان اقمت رجعت باللائمة عليك وقال الحزم هو العمل على ان لا تثق بالامور التي في الامكان عسيرها ويسيرها وقال كل فائت وجدت في الامور منه عوضا وامكنك اكتساب مثله فما الاسف على فوته وان لم يكن منه عوض ولا يصادف له مثل فما الاسف على ما لا سبيل الى مثله ولا امكان في دفعه وقال لما علم العاقل انه لا ثقة بشيء من امر الدنيا التي منها ما منه بد واقتصر على ما لابد منه وعمل بما يوثق به بابلغ ما قدر عليه وقال اذا كان الامر ممكنا فيه التصرف فوقع بمجال ما تحب فاعتده ربحا وان

عندهم على اصولهم عين الظلم والعبث

(قال ابو محمد) واجاب بعضهم في هذا السؤال بان قال ان النبي صلى الله عليه وسلم امتحنه الله عز وجل قبل موته بما بلغ ثوابه على طاعته فيه مبلغ ثوابه على كل طاعة تكون منه لو عاش الى يوم القيامة

(قال ابو محمد) وهذا جنون ناهيك به لوجوه أولها انه محاباة مجردة له عليه السلام على غيره وهلا فعل ذلك بغيره وعجل راحتهم من الدنيا ونكدها وثانيها ان هذا القول كذب بحت وذلك ان المحن في العالم معروفة وهي اما في الجسم بالعلل واما في المال بالاتلاف واما في النفوس بالخوف والهوان والهم بالاهل والاحبة والقطع دون الامل لا محنة في العالم تخرج عن هذه الوجوه الا المحنة في الدين فقط نعوذ بالله من ذلك فاما المحنة في الجسم فكذبوا وما مات عليه السلام الا سليم الاعضاء سويها معافى من مثل محنة ايوب عليه السلام وسائر اهل البلاء نعوذ بالله منه واما في المال فما شغله الله عز وجل منه بما يقتضي محنته في فضوله ولا احوجه الى احد بل اقامه على حد الغنى بالقوت ووفقه لتنفيذ الفضل فيما يقربه من ربه عز وجل واما النفس فاى محنة لمن قال الله عز وجل له * والله يعصمك من الناس * ولمن رفع له ذكره وضمن له اظهار دينه على الدين كله ولو كره اعداؤه وجعل شانئه الابتر واعزه بالنصر على كل عدو فاى خوف واى هوان يتوقعه عليه السلام واما اهله واحبته فاخترم بعضهم فاجره فيهم كابراهيم ابنه وخديجة وحمزة وجعفر وزينب وأم كلثوم ورقية بناته رضى الله عنهم وأقر عينه ببقاء بعضهم وصلاحه كعائشة وسائر امهات المؤمنين وفاطمة ابنته وعلي والعباس والحسن والحسين واولاد العباس وعبد الله بن جعفر وابى سفيان بن الحارث رضى الله عن جميعهم فاى محنة هاهنا أليس قد اعاذه الله تعالى من مثل محنة حبيب بن عدي سمية ام عمار رضى الله عنهم أليس من قتل من الانبياء عليهم السلام ومن انشر بالمنشار واحرق بالنيران اعظم محنة ومن خالفه قومه فلم يتبعه منهم الا اليسير وعذب الجمهور كهود وصالح ولوط وشعيب وغيرهم اعظم محنة وهل هذه الامكابرة وحماقة وقحة واى محنة تكون لمن اوجب الله عز وجل على الجن والانس طاعته واكرمه برسالته وأمنه من كل الناس واكب عدوه لوجهه وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وهل هذه الا نعم وخصائص وفضائل وكرامات ومحاباة مجردة له على جميع الانس والجن وهل استحق عليه السلام هذا قط على ربه تعالى حتى ابتدأه بهذه النعمة الجليلة وقد تحنث قبله زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى العدوي وقيس بن ساعدة الايادي وغيرهما فما اكرموا بشيء من هذا ولكن نوك المعتزلة ليس عليه قياس

(قال ابو محمد) ومما سئلوا عنه أن قيل لهم أليس قد علم الله أن فرعون والكفار ان أعاشهم كفروا فمن قولهم نعم فيقال لهم فلم أبقاهم حتى كفروا واخترم علي قولهم من علم انه ان عاش كفر وهذا تخليط لا يعقل ونقول لهم ايضا أيما كان اصلح للجميع لا سيما لاهل النار خاصة ان يخترعنا الله تعالى كلنا في الجنة كما فعل بالملائكة وحور العين ام ما فعل بنا من خلقنا في الدنيا والتعريض للبلاء فيها وللخلود في النار

(قال ابو محمد) فلحوا عند هذه فقال بعضهم لم يخلق الجنة بعد فقلنا لهم هبكم ان الامر كما قلتم فانما كان اصلح للجميع ان يعجل الله عز وجل خلقها ثم يخلقنا فيها او يؤخر خلقنا

وقع بحال ماتكره فلا تحزن فانك قد عملت فيه على غير ثقة بوقوعه على ما تحب وقال لم أر أحدا الاذا ما للدنيا وأمورها اذهى على ماهى من التغير والتنقل فالمستكثر منها يلحقه أن يكون أشد اتصالا بما يذم الانسان ما يكره والمستقل مستقل مما يكره واذا استقل مما يكره كان ذلك أقرب الى ما يحب وقال أسوأ الناس حالا من لا يثق بأحد لسوء ظنه ولا يثق به أحد لسوء فعله وقال الجشع بين شرين والاعدام يخرجه الى التسفه والجدة تخرجه الى الشر وقال لا تعن أخاك على أخيك في خصومة فانهما يصطلحان على قليل وتكتسب المذمة (حكم بطليموس) وهو صاحب المجسطى الذى تكلم في هيئة الفلك وأخرج علم الهندسة من القوة الى الفعل فمن حكمه انه قال ما أحسن بالانسان أن يصبر عما يشتهى وأحسن منه أن لا يشتهى الى ما ينبغي وقال الحكيم

حتى يخلقها ثم يخلقنا منها أم خلقه لنا حيث خلقنا فان عجزوا ربهم جعلوه ذا طبيعة متناهى القدرة ومشبها لخلقه وأبطلوا الاهيته وجعلوه عيزا ضعيفا وهذا كفر مجرد ونفى السؤال أيضا مع ذلك بحسبه فى ان يجعلنا كالملائكة وان يجعلنا كلنا انبياء كما فعل بعيسى ويحيي عليهما السلام وسائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقال بعضهم ليس جهلنا بوجه المصلحة فى ذلك مما يخرج هذا الامر عن الحكمة فقلنا لهم فاقنعوا بمثل هذا بعينه فمن قال لكم ليس جهلنا بوجه المصلحة والحكمة فى خلق الله تعالى لافعال عباده وفى تكليفه الكافر والفاسق مالا يطيق ثم يعذبهما على ذلك مما يخرجه عن الحكمة وهذا لا مخلص لهم منه

(قال أبو محمد) وأما نحن فلا نرضى بهذا بل ما جهلنا ذلك لكن نقطع على ان كل ما فعله الله تعالى فهو عين الحكمة والعدل وان من أراد اجراء افعاله تعالى على الحكمة المعهودة بيننا والعدل المعهود بيننا فقد الحدوا حظار ضل وشبه الله عز وجل بخلقه لان الحكمة والعدل بيننا انما هما طاعة الله عز وجل فقط لا حكمة ولا عدل غير ذلك الا ما امرنا به اى شيء كان فقط واما الله تعالى فلا طاعة لاحد عليه فبطل ان تكون افعاله جارية على احكام العبيد المامورين المربوبين المسؤلين عما يفعلون لكن افعاله تعالى جارية على العزة والقدرة والجبروت والكبرياء والتسليم له وان لا يسأل عما يفعل ولا مزيد كما قال تعالى وقد خاب من خالف ما قال الله عز وجل ومع هذا كله فلم يتخلصوا من رجوع وجوب التجوير والعبث على اصولهم على ربهم تعالى عن ذلك وقال متكلموهم لو خلقنا فى الجنة لم نعلم مقدار النعمة علينا فى ذلك وكنا ايضا نكون غير مستحقين لذلك النعيم بعمل عملناه وادخالنا الجنة بعد استحقاقنا لهم اتم فى النعمة وابلغ فى اللذة وايضا فلو خلقنا فى الجنة لم يكن بد من التوعد على ما حظر علينا وليست الجنة دار توعد وايضا فان الله تعالى قد علم ان بعضهم كان يكفر فيجب عليه الخروج من الجنة

(قال ابو محمد) هذا كل ما قدروا عليه من السخف وهذا كله عائد عليهم بحول الله تعالى وقوته وعونه لنا فنقول وبالله تعالى التوفيق اما قولهم لو خلقنا في الجنة لم نعلم مقدار النعمة علينا فى ذلك فاننا نقول وبالله تعالى نتايد أكان الله تعالي قادر على ان يخلقنا فيها ويخلق فينا قوة وطبيعة نعلم بها قدر النعمة علينا فى ذلك اكثر من علمنا بذلك بعد دخولنا فيها يوم القيامة أو كعلمنا ذلك ام كان غير قادر على ذلك فان قالوا كان غير قادر على ذلك عجزوا ربهم تعالى وجعلوا قوته متناهية يقدر على امر ما ولا يقدر على غيره وهذا لا يكون الا لعرض داخل او لبنية متناهية القوة وهذا كفر مجرد وان قالوا كان الله قادرا على ذلك اقروا بانه عز وجل لم يفعل بهم اصلح ما عنده وان عنده اصلح مما فعل بهم وايضا فان كانوا ارادوا بذلك ان اللذة تعقب البلاء والتعب اشد سرورا وابلغ لزمهم ان يبطلوا نعم الجنة جملة لانه ليس نعيمها البتة مشوبا بالم ولا تعب وكل الم بعد العهد به فانه ينسى كما قال القائل

كان الفتى لم يعر يوما اذا اكتسى ولم يفتقر يوما اذا ما تمولا

فلزم على هذا الاصل ان يحدد الله عز وجل لاهل الجنة آلاما فيها ليتجدد لهم بذلك وجود اللذة وهذا خروج عن الاسلام ويلزمهم ايضا ان يدخل النبيين والصالحين النار ثم يخرجهم منها الى الجنة فتضاعف اللذة والسرور اضعافا بذلك ويقال لهم كنا نكون

الذي اذا صدق صبر لا الذى اذا قذف كظم وقال لمن يغنى الناس ويسأل أشبه بالملوك ممن يستغنى بغيره ويسال وقال لان يستغنى الانسان عن الملك أكرم له من أن يستغنى به وقال موضع الحكمة من قلوب الجهال كموقع الذهب من ظهر الحمار وسمع جماعة من أصحابه وهم حول سرادقه يقعون فيه ويثلبونه فهز رمحا كان بين يديه ليعلموا انه يسمع منهم وان يتباعدوا عنه قيد رمح ثم يقولوا ما أحبوا قال العلم فى موطنه كالذهب فى معدنه لا يستنبط الا بالدؤوب والتعب والكد والنصب ثم يجب تخليصه بالفكر كما يخلص الذهب بالنار وقال بطلميوس دلالة القمر فى الايام أقوى ودلالة الشمس والزهرة فى الشهور أقوى ودلالة المشترى وزحل فى السنين أقوى ومما ينقل عنه انه قال نحن كائنون فى الزمن الذى يأتي بعد هذا زمن الى المعاد اذ الكون والوجود الحقيقى ذلك

كالملائكة والحور العين فان كانوا عالمين بمقدار ماهم فيه من نعيم ولذة فكنا نحن كذلك وان كانوا غير عالمين بمقدار ماهم فيه من اللذة والنعيم فهلا اعطاهم هذه المصلحة ولاى شيء منعهم هذه الفضيلة التى اعطاها لنا وهم اهل طاعته التى لم تشب بمعصية فان قالوا ان الملائكة وحور العين قد شاهدوا عذاب الكفار في النار فقام لهم مقام الترهيب قلنا لهم وهل المحاباة والجور الا ان يعرض قوما المعاطب ويبقيهم حتى يكفروا فيخلدوا فى النار ليوعظ بهم قوم آخرون خلقوا فى الجنة والرفاهية سرمدا ابد الابد وهل عين الظلم الا هذا فيما بيننا على اصول المعتزلة وكمن يقول من الطغاة قتل الثلث فى صلاح الثلثين صلاح وهل فى الشاهد عبث وسفه اعظم من عبث من يقول لآخر هات اضربك بالسياط واردك من جبل واصفع فى قفاك وانتف سبالك وامشيك فى طريق ذات شوك دون راحة فى ذلك ولا منفعة ولكن لاعطيك بعد ذلك ملكا عظيما ولعلك فى خلال ضربى اياك ان تتضرر فتقع فى بئر منتنة لا يخرج منها ابدا فاى مصلحة عند ذي عقل فى هذا الحال لا سيما وهو قادر على ان يعطيه ذلك الملك دون ان يعرضه لشيء من هذا البلاء فهذه صفة الله عز وجل عند المعتزلة لا يستحقون من ان يصفوا انفسهم بان يصفوا الله تعالى بالعدل والحكمة

(قال ابو محمد) وأما نحن فنقول لو ان الله تعالى اخبرنا انه يفعل هذا كله بعينه ما انكرناه ولعلمنا انه منه تعالى حق وعدل وحكمة

(قال ابو محمد) ومن العجب ان يكون الله تعالى يخلقنا يوم القيامة خلقا لا نجوع فيه ابدا ولا نعطش ولا نبول ولا نمرض ولا نموت وينزع ما فى صدورنا من غل ثم لا يقدر على ان يخلقنا فيها ولا على ان يخلقنا خلقا نلتذ معه بابتدائنا فيها كالتذاذنا بدخولها بعد طول النكد فهل يفرق بين شيء من هذا الا من لا عقل له او مستخف بالبارى تعالى وبالدين وأما قولهم لو خلقنا الله تعالى فى الجنة لكنا غير مستحقين لذلك النعيم فانا نقول لهم اخبرونا عن الأعمال التى استحققتم بها الجنة عند أنفسكم أفبضرورة العقل علمتم ان من عملها فقد استحق الجنة دينا واجبا على ربه تعالى ام لم تعلموا ذلك ولا وجب ذلك الا حتى أعلمنا الله عز وجل انه يفعل وجعل الجنة جزاء على هذه الاعمال فان قالوا بالعقل عرفنا استحقاق الجنة على هذه الاعمال كابروا وكذبوا على العقل وكفروا لانهم بهذا القول يوجبون الاستغناء عن الرسل عليهم الصلاة والسلام ولزمهم ان الله تعالى لم يجعل الجنة جزاء على هذه الاعمال لكن وجب ذلك عليه حتما لا باختياره ولا بانه لو شاء غير ذلك لكان له وهذا كفر مجرد وايضا فان شريعة موسى عليه السلام فى السبت وتحريم الشحوم وغير ذلك قد كان الجنة جزاء على العمل بها ثم صارت الآن جهنم جزاء على العمل بها فهل هاهنا الا ان الله تعالى اراد ذلك فقط ولو لم يرد ذلك لم يجب من ذلك شيء فان قالوا بل ما علمنا استحقاق الجنة بذلك إلا بخبر الله تعالى انه حكم بذلك فقط قيل لهم فقد كان الله تعالى قادرا على ان يخبرنا انه جعل الجنة حقا لنا يخترعنا فيها كما فعل بالملائكة وحور العين وايضا فقد كذبوا فى دعواهم استحقاق الجنة باعمالهم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من احد ينجيه عمله او يدخله الجنة عمله قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدنى الله برحمة منه او كلاما هذا معناه وأيضا فبضرورة العقل ندرى ان ما زاد على المماثلة فى الجزاء فيما بينا فانه تفضل مجرد فى الاحسان وجور فى الاساءة هذا حكم المعهود

السكون والوجود فى ذلك العالم (حكماء أهل المظال وهم خروسيس وزينون) قولهما الخالص إن البارى الاول واحد محض هو هو ان فقط أبدع العقل أو النفس دفعة واحدة ثم أبدع جميع ما تحتهما بتوسطهما وفى بدوما أبدعهما أبدعهما جوهرين لا يجوز عليهما الدثور والفناء وذكروا أن للنفس جرمين جرم من النار والهواء وجرم من الماء والارض فالنفس متحدة بالجرم الذى من النار والهواء والجرم الذى من النار والهواء متحد بالجرم الذى من الماء والارض فالنفس تظهر أفاعيلها فى ذلك الجرم وذلك الجرم ليس له طول ولا عرض ولا قدر مكانى وباصطلاحنا سميناه جسما وأفاعيل النفس فيها نيرة بهية ومن الجسم الى الجرم ينحدر النور والحسن والبهاء ولما ظهرت أفاعيل النفس عندنا بمتوسطين كانت اظلم ولم يكن لها نور شديد

فى العقل فعلى أصول المعتزلة يلزمهم ان بقاء احدنا في الجنة او في النار اكثر من احسانه او اساءته جزاء على ماسلف منه فضل مجرد وعقاب زايد على مقدار الجرم وقد فعله الله عزوجل بلاشك وهو عدل وحكمة وحق

(قال ابو محمد) واما قولهم ان دخول الجنة على وجه الجزاء على العمل اعلى درجة واسنى رتبة من دخولها بالتفضل المجرد فنقول لهم وبالله تعالى التوفيق هذا خطأ محض لا نناقد علمنا ان هذا الحكم انما يقع بين الاكفاء والمتماثلين واما الله تعالى فليس له كفوا أحد ومن كان عبد الآخر فان اقبال السيد عليه بالتفضل عليه المجرد والاختصاص والمحاباة اسنى له واعلى واشرف لرتبته وارفع لدرجته من ان لا يعطيه شيئا بمقدار مايستحقه لخدمته ويستخبره اياه هذا ماينكره الا معاند فكيف وليس لاحد على الله حق وحينئذ كل ما وهبه الله تعالى لاحد بين انبيائه وملائكته عليهم السلام وكل ما أخبر تعالى انه اوجبه وكتبه على نفسه وجعله حقا لعباده فكل ذلك تفضل مجرد من الله عزوجل واختصاص مبدأ لو لم ينعم به عزوجل لم يجب عليه شيء منه لا يقول غير هذا الا مدخول الدين فاسد العقل

(قال ابو محمد) وهم يقرون ان الملائكة أفضل من الانبياء عليهم جميعهم السلام وصدقوا في هذا ثم نقضوا هذا الاصل باصلهم هذا السخيف من قولهم ان من دخل الجنة بعد التعريض للبلاء فهو أفضل من ابتداء النعمة والتقريب فنحن على قولهم افضل من الملائكة على جميعهم السلام وقد قالوا ان الملائكة افضل من الانبياء فعلى هذا الترتيب ان يكون نحن افضل من الملائكة بدرجة وافضل من النبيين بدرجتين وهذا كفر مجرد وتناقض ظاهر واما قولهم انا لو خلقنا في الجنة لم يكن بد من التوعد والتحذير فاننا نقول لهم وبالله تعالى التوفيق حتى لو كان مايقولون لما منع من ذلك ان يخلقوا في الجنة ثم يطلعوا منها على النار ويعاينوا وحشتها وهولها وقبحها ونفار النفوس عنها كالذى يعرض لنا عند الاطلاع على الغيران المقيمة المظلمة وان كنا قط لم نقع فيها ولا شاهدنا من وقع فيها بل ذلك كان يكون ابلغ فى التحذير من وصفها دون رؤية لكن كما فعل بالملائكة وحور العين فيكون ذلك ادعى لهم الى الشكر والحمد والاغتباط بمكانهم واجتناب ما نهوا عنه خوف مفارقة ما قد حصلوا عليه ثم نقول لهم ايضا قولوا هذا فهم بعد دخولهم الجنة امباح لهم الكفر والشتم والضرب فيما بينهم ام محظور عليهم لزمهم تمادى التوعد والتحذير هنالك قلنا نكون لو اخترعنا فيها على الحال التى تكون فيها يوم القيامة ولا فرق وكان يكون أصلح لجميعنا بلاشك فان قالوا قد سبقت الطاعة فى الدنيا قيل لهم وكذلك كانت تسبق منهم فى الجنة كالملائكة سواء بسواء وهم لا يقولون ان المعاصى والتضارب والتلاطم والتراكض والتشاتم مباح لهم فى الجنة ولا يقولون هذا احد فيحتاج الى كسر هذا القول فان لجؤا الى قول ابى الهذيل ان اهل الجنة مضطرون لا مختارون قيل لهم وكنا نكون فيها كذلك ايضا كما نكون يوم القيامة فيها فهذا كان صلح للجميع بلاشك وهذا ما لا انفكاك لهم منه

(قال ابو محمد) واما قولهم ان الله علم ان بعضهم يكفر ولا بد فيجب عليه الخروج من الجنة قلنا لهم ايقدر الله على خلاف ما علم ام لا فان قالوا انه يقدر ولكن لا يفعل اقروا انه فعل من ترك ابتدائنا في الجنة امضاء لما سبق فى علمه غير ما كان اصلح لنا بلاشك ورجعوا الى الحق الذى هو

وذكروا ان النفس اذا كانت طاهرة زكية استصحبت الاجزاء النارية والهوائية وهى جسمها فى ذلك العالم جسما روحانيا نورانيا علويا طاهرا مهذبا من كل ثقل وكدر وأما الجرم الذى من الماء والارض فيدثر ويفنى لانه غير مشاكل للجسم السماوى لان ذلك الجسم خفيف لطيف لا وزن له ولا تلمس وانما يدرك من البصر فقط كما يدرك الاشياء الروحانية من العقل فألطف مايدرك الحس البصرى من الجواهر النفسانية وألطف مايدرك من ابداع البارى تعالى الاثار التى عند العقل وذكروا أن النفس اذا هى مستطيعة ماخلاها البارى تعالى أن تفعل واذا ربطها فليست بمستطيعة كالحيوان الذى اذا خلاه مدبره أعنى الانسان كان مستطيعا فى كل مادعا اليه وتحرك اليه واذا ربطه لم يقدر حينئذ أن يكون مستطيعا وذكروا ان دنس

قولنا انه تعالى فعل ماسبق فى علمه من تكليف مالا يطاق ومن خلقه تعالي الكفر والظلم وانعامه علي من شاء وحده لاشريك له وتركوا قولهم فى الاصلح وان قالوا لا يقدر على غير ماعلم ان يفعله جعلوه مجبراً مضطراً عاجزاً متناهى القوة ضعيف القدرة محدثاً فى اسوأ حالة منهم وهذا كفر وخلاف للقرآن ولاجماع المسلمين نعوذ بالله من الخذلان

(قال أبو محمد) ونسألهم أي مصلحة للحشرات والكلاب والبق والدود فى خلقها حشرات ولم يخلقها ناساً مكلفين معرضين لدخول الجنة فان قالوا لو جعلها ناساً لكفروا قيل لهم فقد جعل الكفار ناسا فكفروا فهلا نظر لهم كما نظر للدود والحشرات فجعلهم حشرات لئلا يكفروا فكان اصلح لهم علي قولكم وهذا مالا مخلص منه

(قال ابو محمد) ونسألهم فنقول لهم اذا قلتم ان الله تعالى لا يقدر علي لطف لو اتي به الكفار لامنوا ايمانا يستحقون معه الجنة لكنه قادر على ان لا يضطرهم الى الايمان أخبرونا عن ايمانكم الذى تستحقون به الثواب هل يشوبه عندكم شك أم يمكن بوجه من الوجوه ان يكون عندكم باطلا فان قالوا نعم يشوبه شك ويمكن ان يكون باطلا أقروا علي انفسهم بالكفر وكفونا مؤنتهم وان قالوا لا يشوبه شك ولا يمكن ألبتة ان يكون باطلا قلنا لهم هذا هو الاضطرار بعينه ليست الضرورة فى العالم شيئا غير هذا انما هو معرفة لا يشوبها شك لا يمكن اختلاف ما عرف بها فهذا هو علم الضرورة نفسه وما عدا هذا فهو ظن وشك فان قالوا ان الاضطرار ما علم بالحواس أو باول العقل وما عداه فهو ما عرف بالاستدلال قلنا هذه دعوي فاسدة لانها بلا برهان وما كان هكذا فهو باطل وتقسيمنا هو الحق الذى يعرف ضرورة وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) ونسالهم ايما كان اصلح للعالم ان يكون بريا من السباع والافاعى والدواب العادية أو ان يكون فيه كما هي مسلطة علي الناس وعلى سائر الحيوان وعلي الاطفال فان قالوا خلق الله الافاعى والسباع كخلق الحفر والحرث ومزجرة للكفار

(قال ابو محمد) وهذا من ظريف الجنون ولقد ضل بخلقتها جمع من المخذولين ممن جري مجرى المعتزلة فى ان يتعقبوا على الله عز وجل فعله كالمنانية والمجوس اللذين جعلوا الها خالقا غير الحكيم العدل ثم نقول للمعتزلة ان كانت كما تقولون مصلحة فكان الاستكثار من المصلحة اصلح وابلغ في الزجر والتحريف وكل هذه الدعاوى منهم حماقات ومكابرات بلا برهان ليست اجوبتهم فيها باصح من اجوبة المنانية والمجوس واصحاب التناسخ بل كلها جارية في ميدان واحد من انها كلها دعوى فاسدة بلا برهان بل البرهان ينقضها وكلها راجعة الى اصل واحد وهو تعليل افعال الله عز وجل الذى لا علة لها اصلا والحكم عليه بمثل الحكم علي خلقه فيم يحسن منه ويقبح تعالى الله عن ذلك

(قال أبو محمد) ويقال لاصحاب الاصلح خاصة ما معنى دعائكم فى العصمة وانتم تقولون ان الله تعالى قد عصم الكفار كما عصم المؤمنين فلم يعتصموا وما معنى دعائكم فى الاعاذة من الخذلان وفى الرغبة فى التوفيق وانتم تقولون انه ليس عنده افضل مما قد اعطاكموه ولا فى قدرته زيادة علي ما قد فعله بكم واى معنى لدعائكم فى التوبة وانتم تقطعون علي انه لا يقدر علي ان يعينكم فى ذلك بمقدار شعرة زائدة علي ما قد اعطاكموه فهل دعاؤكم فى ذلك الا ضلال وهزل وهزء كمن دعا الى الله ان يجعله من بنى آدم او ان يجعل النبي

النفس وأوساخ الجسد انما تكون لازمة للانسان من جهة الاجزاء وأما التطهير والتهذيب فمن جهة الكل لانه اذا انفصلت النفس الكلية من النفس الجزئية والعقل الجزئى من العقل الكلي غلظت وصارت من حيز الجرم لانها كلما سفلت اتحدت بالجرم من حيز الماء والارض وهما ثقيلان يذهبان سفلا وكلما اتصلت النفس الجزئية بالنفس الكلية والعقل الجزئى بالعقل الكلي ذهبت علوا لانها تتحد بالجسم من حيز النار والهواء وكلاهما لطيفان يذهبان علوا وهذان الجرمان مركبان وكل واحد منهما من جوهرين واجتماع هذين الجرمين يوجب الاتحاد شيئا واحدا عند الحسن البصري فاما عند الحواس الباطنة وعند العقل فليست شيئا واحدا فى هذا العالم مستبطن فى الجرم لانه أشد روحانية ولان هذا العالم ليس مشاكلا ولا مجانسا والجرم

نبيا والحجر حجرا وهل بين الامرين فرق فان الدعاء عمل امرنا الله تعالى به فقيل لهم ان اوامره تعالى من جملة افعاله بلا شك وافعاله عندكم تجرى على ما يحسن فى العقل ويقبح فيه فى المعهود وفيما بيننا وعلى الحكمة عندكم وقد علمنا انه لا يحسن فى الشاهد بوجه من الوجوه أن يامر احدا يرغب اليه فيما ليس بيده ولا فيما قد اعطاه اياه وكلا هذين الوجهين عبث وسفه وهم مقرون باجمعهم ان الله تعالى حكم بهذا وفعله وهو امره لهم بالدعاء اليه اما فيما لا توصف عندهم بالقدرة عليه واما فيما قد اعطاهم اياه وهو عندهم عدل وحكمة فنقضوا اصلهم الفاسد بلا شك واما نحن فاننا نقول ان الدعاء عمل امرنا الله عز وجل به فيما يقدر عليه ثم ان شاء اعطانا وان شاء منعنا اياه لا معقب لحكمه ولا يسال عما يفعل

(قال أبو محمد) وان فى ابتداء الله عز وجل كتابه المنزل الينا بقوله تعالى آمرا لنا ان نقوله راضيا منا أن نقوله * إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين * ثم ختمه تعالى كتابه آمرا لنا ان نقوله راضيا بقوله * قل اعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس * لابين بيان فى تكذيب القائلين بانه ليس عند الله تعالى اصلح مما فعل وانه غير قادر على كف وسوسة الشيطان ولا على هدى الكفار هدى يستحقون به الثواب كما وعد المهتدين لأنه عز وجل نص على انه هو المطلوب منه العون لنا والهدي الى صراط من خصه بالنعمة عليه تعالى وضل فلولا انه تعالى قادرا على الهدى المذكور وان عنده عونا على ذلك لا يؤتيه الا من شاء دون من لم يشأ وانه تعالي انعم على قوم بالهدى ولم ينعم به على آخرين لما امرنا ان نسأله من ذلك ما ليس يقدر عليه او ما قد اعطاه اياه ونص تعالى على انه قادر على صرف وسوسة الشيطان فلولا انه تعالى يصرفها عمن يشاء لما امرنا عز وجل ان نستعيذ مما لا يقدر على الاعاذة منه او مما قد اعاذنا بعد منه

(قال ابو محمد) ولا مخلص لهم من هذا اصلا ثم نسألهم اى مصلحة للعصاة فى ان جعل بعض حركاتهم وسكونهم كبائر يستحقون عليها النار وجعل بعض حركاتهم وسكونهم صغائر مغفورة ولقد كان اصلح ان يجعلها كلها صغائر مغفورة ولقد اصلح ان يجعلها كلها صغائر مغفورة فان قالوا هذا أزجر عن المعاصى واصلح قيل لهم فهلا اذ هو كما تقولون جعلها جميعها كبائر زاجرة فهو ابلغ فى الزجر

(قال ابو محمد) وقد نص الله تعالى فى القرآن آيات كثيرة لا يحتمل تاويلا بتكذيب المعجزين لربهم تعالى وليس يمكنهم وجود آية ولا سنة يتعلقون بها أصلا فمنها قوله تعالى * ان هى الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء * أفلم يكن عنده أصلح من فتنة يضل بها بعض خلقه حاشى لله من هذا الكفر والتعجيز وقال تعالى حاكيا عن الذين اثنى عليهم من مؤمنى الجن انهم قالوا * وأنا لا ندري اشر اريد بمن فى الارض أم اراد بهم ربهم رشدا *

(قال ابو محمد) وصدقهم الله عز وجل فى ذلك اذ لو انكره لما أورده مثنيا عليهم بذلك وهذا فى غاية البيان الذي قد هلك من خالفه وبطل به قول الضلال الملحدين القائلين ان الله تعالى أراد رشد فرعون وابليس وانه ليس عنده أصلح ولا يقدر لهما على هدى

مشاكل ومجانس لهذا العالم فصار الجرم أظهر من الجسم لمجانسة هذا العالم وتركيبه وصار الجسم مستبطنا فى الجرم لان هذا العالم غير مشاكل له وغير مجانس فاما فى ذلك العالم فالجسم ظاهر على الجرم لان ذلك العالم عالم الجسم لانه مجانس ومشاكل له ويكون لطيف الجرم الذى من لطيف الماء والارض المشاكل لجوهر النار والهواء مستبطنا فى الجسم كما كان الجسم مستبطنا فى هذا العالم فى الجرم فاذا كان هذا فيما ذكروا هكذا كان ذلك الجسم باقيا دائما لا يجوز عليه الدثور والفناء ولذته دائمة لا تملها النفوس ولا العقول ولا ينفد ذلك السرور والحبور ونقلوا عن افلاطون أستاذهم لما كان الواحد لا بدء له صار نهاية كل متناه وانما صار الواحد لا نهاية له لانه لا بدء له لا لانه لا نهاية له وقال ينبغي للمرء أن ينظر كل يوم الى وجهه فى المرآة فان

أصلا * وقال تعالى * ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس * فليت شعرى اى مصلحة لهم فى ان يذأرهم لجهنم نعوذ بالله من هذه المصلحة * وقال تعالى * وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته فصح انه تعالى هو الذى يقى السيئات وان الذى رحمه هو الذى وقاه السيئات لان من لم يقه السيئات فلم يرحمه وبلا شك ان من وقاه السيئات فقد فعل به أصلح مما فعل بمن لم يقه اياها هذا مع * قوله تعالى * ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولو شاء ربك لامن من فى الارض كلهم جميعا * ولا يشك من لدماغه أقل سلامة او فى وجهه من برد الحياء شىء فى ان هذا كان أصلح بالكفار من إدخالهم النار بان لا يؤتهم ذلك الهدى وان كانوا كما يقولون من دخولهم الجنة بغير استحقاق * وقال تعالى * وحبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم * فليت شعرى أين فعله تعالى بهؤلاء. نسال الله ان يجعلنا منهم. من فعله بالذين قال فيهم انه ختم على قلوبهم وزين لهم سوء افعالهم وجعل صدورهم ضيقة حرجة ان من ساوى بين الامرين وقال ان الله تعالى لم يعط هؤلاء الا ما أعطى هؤلاء ولا أعطى من الهدى والاختصاص محمد وابراهيم وموسى وعيسى ويحيي والملائكة عليهم السلام الا ما أعطى إبليس وفرعون وأبا جهل وأبا لهب والذى حاج ابراهيم فى ربه واليهود والنصارى والمجوس والمتقبلين والشرط والبغائيين والعوهر وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذى الاوتاد الذين طغوا فى البلاد فاكثروا فيها الفساد بل سوى فى التوفيق بين جميعهم ولم يقدر لهم على مزيد من الصلاح لقليل الحياء عديم الدين وما جوابه الا قوله تعالى * ان ربك لبالمرصاد * وقال عز وجل * كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين

(قال أبو محمد) فايما كان أصلح للكفار المخلدين فى النار أن يكونوا مع المؤمنين امة واحدة لا عذاب عليهم أم بعثة الرسل اليهم وهو عز وجل يدرى انهم لا يؤمنون فيكون ذلك سببا الى تخليدهم فى جهنم وقال تعالى * وأملى لهم ان كيدى متين. وقال تعالى. ولا يحسبن الذين كفروا انما نملى لهم خيرا لانفسهم انما نملى لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين. وقال تعالى. أيحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون. وقال تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون

(قال أبو محمد) وهذا غاية البيان فى ان الله عز وجل أراد بهم وفعل بهم ما فيه فساد أديانهم وهلاكهم الذى هو ضد الصلاح والافاى مصلحة لهم فى أن يستدرجوا الى البلاد من حيث لا يعلمون وفى الاملاء لهم ليزدادوا إثما ونص تعالى أن كل ذلك الذى فعله ليس مسارعة لهم فى الخير فبطل قول هؤلاء الهلكى جملة والحمد لله رب العالمين وقال تعالى. واذا أردنا أن نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا. فهل بعد هذا بيان فى أن الله عز وجل أراد هلاكهم ودمارهم ولم يرد صلاحهم فامر مترفيها باوامر خالفوها ففسقوا فدمروا تدميرا فايما كان أصلح لهم ان لا يؤمروا فيسلموا أو ان يؤمروا وهو تعالى يدرى انهم لا يأتمرون فيدخلون النار فان قالوا فاحملوا قوله تعالى امرنا مترفيها على ظاهره قلنا نعم هكذا نقول ولم يقل تعالى انه أمرهم بالفسق وانما قال تعالى أمرناهم فقط وقد نص تعالى

كان قبيحا لم يفعل قبيحا فيجمع بين قبيحين وان كان حسنا لم يشنه بقبيح وقال انك لن تجد الناس الا رجلين اما مؤخرا فى نفسه قدمه حظه او مقدما فى نفسه أخره دهره فارض بما أنت فيه اختيارا والا رضيت اضطرارا! الحكماء الذين تلوهم فى الزمان وخالفوهم فى الرأى مثل ارسطوطاليس ومن تابعه على رأيه مثل الاسكندر الرومى والشيخ اليونانى وديوجانس الكلبى وغيرهم وكلهم على رأى ارسطوطاليس فى المسائل التى نوردها عن القدماء ونحن نذكر من آرائه ما يتعلق بغرضنا من المسائل التى شرعت فيها الاوائل وخالفهم المتأخرون وخصوها فى ستة عشر مسئلة رأى (ارسطوطاليس) بن نيقوماخوس من أهل اسطاخوا وهو المقدم المشهور والمعلم الاول والحكيم المطلق عندهم وانما ولد فى أول سنة من ملك ازدشير بن دارا فلما

على انه لا يامر بالفحشاء فصح قولنا ايضا وقال عز وجل * وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم * فنص تعالى على ان اصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لو تولوا الابدل قوما غيرهم لا يكونون امثالهم وبالضرورة نعلم انه عز وجل انما اراد خيرا منهم فقد صح انه عز وجل قادر على ان يخلق اصلح منهم وقال تعالى * أنا القادرون على ان نبدل خيرا منهم * وفى هذا كفاية وقال تعالى * عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن * فهل فى البيان فى ان الله تعالى قادر على ان يفعل اصلح مما فعل وان عنده تعالى اصلح مما اعطى خلقه ابين او اوضح او اصح من اخباره تعالى انه قادر على ان يبدل نبيه صلى الله عليه وسلم الذى هو احب الناس اليه خيرا من الازواج اللواتى اعطاه واللواتى هن خير الناس بعد الانبياء عليهم السلام

(قال ابو محمد) فبطل قول البقر الشاذة أصحاب الاصلح فى انه تعالى لا يقدر على اصلح مما فعل بعباده

(قال ابو محمد) نسأل الله العافية مما ابتلاهم به ونساله الهدى الذى حرمهم اياه وكان قادراً على ان يتفضل عليهم به فلم يرد وما توفيقنا الا بالله عز وجل وهو حسبنا ونعم الوكيل

(قال ابو محمد) كل من منع قدرة الله عز وجل عن شيء مما ذكرنا فلا شك فى كفره لانه عجز ربه تعالى وخالف جميع اهل الاسلام

(قال أبو محمد) وقالوا اذا كان عنده اصلح مما فعل بنا ولم يؤتنا اياه وليس بخيلا وخلق افعال عباده وعذبهم عليها ولم يكن ظالما فلا تنكروا على من قال انه جسم ولا يشبه خلقه وانه يقول غير الحق ولا يكون كاذباً

(قال ابو محمد) فجوابنا وبالله تعالى التوفيق انه تعالى لم يقل انه جسم ولو قاله لقلناه ولم يكن ذلك تشبيها له بخلقه ولم يقل تعالى انه يقول غير الحق بل قد ابطل ذلك وقطع بان قوله الحق فمن قال على الله ما لم يقله فهو ملحد كاذب على الله عز وجل وقد قال تعالى انه خالق كل شيء وخلقنا وما نعمل وانه لو شاء لهدى كل كافر وانه غير ظالم ولا بخيل ولا ممسك فقلنا ما قال من كل ذلك ولم نقل ما لم يقل وقلنا ما قام به البرهان العقلى من انه تعالى خالق كل موجود دونه وانه تعالى قادر على كل ما يسال عنه وانه لا يوصف بشيء من صفات العباد لا ظلم ولا بخل ولا غير ذلك ولم نقل ما قد قام البرهان العقلى على انه باطل من انه جسم او انه يقول غير الحق وقال بعض اصحاب الاصلح وهو ابن بدد الغزال تلميذ محمد بن شبيب تلميذ النظام بلى ان عند الله الطافا لو اتى بها الكفار لا منوا ايمانا يستحقون معه الثواب الا ان الثواب الذى يستحقونه على ما فعل بهم اعظم واجل فلهذا منعهم تلك الالطاف

(قال ابو محمد) وهذا تمويه ضعيف لانا انما سالناهم هل يقدر الله تعالى على الطاف اذا اتى بها اهل الكفر آمنوا ايمانا يستحقون به مثل هذا الثواب الذى يؤتيهم على الايمان اليوم او اكثر من ذلك الثواب فلا بد له من ترك قوله او يعجز ربه تعالى

(قال ابو محمد) ونسال جميع اصحاب الاصلح فنقول لهم وبالله تعالى التوفيق اخبرونا عن كل من شاهد براهين الانبياء عليهم السلام ممن لم يؤمن به وصحت عنده بنقل التواتر هل صح ذلك عندهم صحة لا مجال للشك فيها انها شواهد موجبة صدق نبوتهم أم لم يصح ذلك عندهم الا بغالب الظن وبصفة انها مما يمكن ان يكون تخييلا أو سحراً أو نقلا مدخولا ولا بد من أحد الوجهين فان قالوا بل صح ذلك عندهم صحة لا مجال للشك فيها وثبت ذلك فى عقولهم بلا شك

أتت عليه سبعة عشر سنة أسلمه أبوه الى افلاطون فمكث عنده نيفا وعشرين سنة وانما سموه بالمعلم الاول لانه واضع التعاليم المنطقية ومخرجها من القوة الى الفعل وحكمها حكم واضع النحو وواضع العروض فان نسبة المنطق الى المعانى التى فى الذهن نسبة النحو الى الكلام والعروض الى الشعر وهو واضع لا بمعنى انه لم يكن المعاني مقومة بالمنطق قبله فقومها بل بمعنى انه جرد آلة عن المادة فقومها تقريبا الى أذهان المتعلمين حتى يكون كالميزان عندهم يرجعون اليه عند اشتباه الصواب بالخطا والحق بالباطل الا انه أجمل القول اجمال الممهدين وفصله المتاخرون تفصيل الشارحين وله حق السبق وفضيلة التمهيد وكتبه فى الطبيعيات والالهيات والاخلاق معروفة ولها شروح كثيرة ونحن اخترنا فى نقل مذهبه شرح ثامسطيوس اعتمده الذى مقدم المتاخرين ورئيسهم أبو

قلنا لهم هذا هو الاضطرار نفسه الذى لا اضطرار فى العالم غيره وهذه صفة كل من ثبت عنده شىء ثباتا متيقنا كمن يتيقن بالخبر الموجب للعلم موت فلان وكون صفين والجمل وكسائر ما لم يشاهد المرء بحواسه فالكل على هذا مضطرون الى الايمان لا يختارون له وان قالوا لم يصح عندهم شىء من ذلك هذه الصحة قلنا لهم فما قامت عليهم حجة النبوة قط ولا صحت لله تعالى عليهم حجة ومن كان هكذا فاختياره للايمان انما هو استحباب وتقليد واتباع لما مالت اليه نفسه وغلب فى ظنه فقط وفى هذا بطلان جميع الشرائع وسقوط حجة الله تعالى وهذا كفر مجرد

الكلام فى هل لله تعالى نعمة على الكفار أم لا

(قال ابو محمد) اختلف المتكلمون فى هذه المسئلة فقالت المعتزلة ان نعم الله تعالى على الكفار فى الدين والدنيا كنعمه على المؤمنين ولا فرق وهذا قول فاسد قد نقضناه آنفا ولله الحمد وقالت طائفة أخرى ان الله تعالى لا نعمة له على كافر اصلا لا فى دين ولا دنيا وقالت طائفة له تعالى عليهم نعم فى الدنيا فاما فى الدين فلا نعمة له عليهم فيه أصلا

(قال ابو محمد) قال الله عز وجل * فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر *

(قال ابو محمد) فوجدنا الله عز وجل يقول * الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون * وقال تعالى * الذى جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء وصوركم فاحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم *

(قال ابو محمد) فهذا عموم بالخطاب بانعام الله تعالى على كل من خلق الله تعالى وعموم لمن يشكر من الناس والكفار من جملة ما خلق الله تعالى بلا شك واما اهل الاسلام فكلهم شاكر لله تعالى بالاقرار به ثم يتفاضلون فى الشكر وليس احد من الخلق يبلغ كل ما عليه من شكر الله تعالى فصح ان نعم الله تعالى فى الدنيا على الكفار كهى على المؤمنين وربما اكثر فى بعضهم فى بعض الاوقات قال تعالى * بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار * وهذا نص جلى على نعم الله تعالى على الكفار وانهم بدلوها كفرا فلا يحل لاحد ان يعارض كلام ربه تعالى برأيه الفاسد واما نعمة الله فى الدين فان الله تعالى ارسل اليهم الرسل هادين لهم الى ما يرضى الله تعالى وهذه نعمة عامة بلا شك فلما كفروا وجحدوا نعم الله تعالى فى ذلك أعقبهم البلاء وزوال النعمة كما قال عز وجل * ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم * وبالله تعالى نتايد وهو حسبنا ونعم الوكيل

كتاب الايمان

(والكفر والطاعات والمعاصى والوعد والوعيد)

(قال ابو محمد) اختلف الناس فى ماهية الايمان فذهب قوم الى ان الايمان انما هو معرفة الله تعالى بالقلب فقط وان أظهر اليهودية والنصرانية وسائر انواع الكفر بلسانه وعبادته فاذا عرف الله تعالى بقلبه فهو مسلم من اهل الجنة وهذا قول ابي محرز الجهم بن صفوان وابى

على بن سينا وأوردنا نكتا من كلامه فى الالهيات وأحلنا باقى مقالاته فى المسائل على نقل المتأخرين اذ لم يخالفوه فى رأي ولا نازعوه فى حكم كالمقلدين له المتهالكين عليه وليس الامر على ما مالت اليه ظنونهم. المسئلة الاولى فى اثبات واجب الوجود الذى هو المحرك الاول وقال فى كتاب اثولوجيا من حرف اللام ان الجوهر يقال على ثلاثة أضرب اثنان طبيعيان وواحد غير متحرك قال أنا وجدنا المتحركات على أثر اختلاف جهاتها وأوضاعها ولا بد لكل متحرك من محرك فاما أن المحرك يكون متحركا فيتسلسل القول ولا ينحصر والا فيستند الى محرك غير متحرك ولا يجوز أن يكون فيه شيء ما بالقوة فانه يحتاج الى شيء آخر يخرجه من القوة الى الفعل فالفعل اذا اقدم على ما بالقوة وكل جائز وجوده ففى طبيعته معنى ما بالقوة وهو الامكان

الحسن الاشعرى البصرى واصحابهما وذهب قوم الى ان الايمان هو اقرار باللسان بالله تعالى وان اعتقد الكفر بقلبه فاذا فعل ذلك فهو مؤمن من أهل الجنة وهذا قول محمد بن كرام السجستاني واصحابه وذهب قوم الى ان الايمان هو المعرفة بالقلب والاقرار باللسان معا فاذا عرف المرء الدين بقلبه واقر بلسانه فهو مسلم كامل الايمان والاسلام وأن الاعمال لا تسمى ايمانا ولكنها شرائع الايمان وهذا قول ابى حنيفة النعمان بن ثابت الفقيه وجماعة من الفقهآء وذهب سائر الفقهآء واصحاب الحديث والمعتزلة والشيعة وجميع الخوارج الى ان الايمان هو المعرفة بالقلب بالدين والاقرار به باللسان والعمل بالجوارح وان كل طاعة وعمل خير فرضا كان او نافلة فهى ايمان وكل ما ازداد الانسان خيرا ازداد ايمانه وكلما عصى نقص ايمانه وقال محمد بن زياد الحريرى الكوفى من آمن بالله عز وجل وكذب برسول الله صلى الله عليه وسلم فليس مؤمنا على الاطلاق ولا كافرا على الاطلاق ولكنه مؤمن كافر معا لانه آمن بالله تعالى فهو مؤمن وكفر بالرسول صلى الله عليه وسلم فهو كافر

(قال ابو محمد) فحجة الجهمية والكرامية والاشعرية ومن ذهب مذهب ابى حنيفة حجة واحدة وهى انهم قالوا انما انزل القرآن بلسان عربي مبين وبلغة العرب خاطبنا الله تعالى ورسول الله صلى الله عليه وسلم والايمان فى اللغة هو التصديق فقط والعمل بالجوارح لا يسمى فى اللغة تصديقا فليس ايمانا قالوا والايمان هو التوحيد والاعمال لا تسمي توحيدا فليست ايمانا قالوا ولو كانت الاعمال توحيدا او ايمانا لكان من ضيع شيئا منا فقد ضيع الايمان وفارق الايمان فوجب ان لا يكون مؤمنا قالوا وهذه الحجة انما تلزم اصحاب الحديث خاصة لا تلزم الخوارج ولا المعتزلة لانهم يقولون بذهاب الايمان جملة باضاعة الاعمال

(قال ابو محمد) مالهم حجة غير ما ذكرنا وكل ما ذكروا فلا حجة لهم فيه أصلا لما نذكره انشاء الله عز وجل

(قال ابو محمد) ان الايمان هو التصديق فى اللغة فهذا حجة على الاشعرية والجهمية والكرامية مبطلة لاقوالهم ابطالا تاما كافيا لا يحتاج معه الى غيره وذلك قولهم ان الايمان فى اللغة التى بها انزل القرآن هو التصديق فليس كما قالوا على الاطلاق وما سمى قط التصديق بالقلب دون التصديق باللسان ايمانا فى لغة العرب وما قال قط عربي ان من صدق شيئا بقلبه فاعلن التكذيب به بقلبه وبلسانه فانه لا يسمي مصدقا به اصلا ولا مؤمنا به البتة وكذلك ما سمي قط التصديق باللسان دون التصديق بالقلب ايمانا فى لغة العرب اصلا على الاطلاق ولا يسمى تصديقا فى لغة العرب ولا ايمانا مطلقا الا من صدق بالشىء بقلبه ولسانه معا فبطل تعلق الجهمية والاشعرية باللغة جمله ثم نقول لمن ذهب مذهب أبي حنيفة فى أن الايمان انما هو التصديق باللسان والقلب معا وتعلق فى ذلك باللغه ان تعلقكم باللغه لا حجة لكم فيه أصلا لان اللغة يجب فيها ضرورة ان كل من صدق بشىء فانه مؤمن به وأنتم والاشعرية والجهمية والكرامية كلكم توقعون اسم الايمان ولا تطلقونه علي كل من صدق بشيء ما ولا تطلقونه الا على صفة محدودة دون سائر الصفات وهى من صدق بالله عز وجل وبرسوله صلى الله عليه وسلم وبكل ما جاء به القرآن والبعث والجنة والنار والصلاة والزكاة وغير ذلك مما قد أجمعت الامة على أنه لا يكون مؤمنا من لم يصدق به وهذا خلاف

والجواز فيحتاج الى واجب به يجب وكذلك كل متحرك فيحتاج الى محرك فواجب الوجود بذاته ذات وجودها غير مستفاد من وجود غيره وكل موجود فوجوده مستفاد عنه بالفعل وجائز الوجود له فى نفسه وذاته الامكان وذلك اذا أخذته بشرط علته فله الوجوب واذا أخذته بشرط لا علته الامتناع.

المسئلة الثانية فى أن واجب الوجود واحدا أخذ ارسطوطاليس بوضح ان المبدأ الاول واحد من حيث ان العالم واحد ويقول أن الكثرة بعد الاتفاق فى الحد ليست هى كثرة العنصر وأما ماهو بالآنية الاولى فليس له عنصر لانه تمام قائم بالفعل لا يخالط القوة فاذا المحرك الاول واحد بالكلمة والعدد أى الاسم والذات قال فمحرك العالم واحد لان العالم واحد هذا نقل ثامسطيوس وأخذ من نصر مذهبه يوضح أن المبدأ الاول واحد من

اللغة مجرد فان قالوا إن الشريعة اوجبت علينا هذا قلنا صدقتم فلا تتعلقوا باللغة حيث جاءت الشريعة بنقل اسم منها عن موضوعه في اللغة كما فعلتم آنفا سواء بسواء ولا فرق

(قال ابو محمد) ولو كان ما قالوه صحيحا لوجب ان يطلق اسم الايمان لكل من صدق بشيء ما ولكان من صدق بالاهية الحلاج وبالاهية المسيح وبالاهية الاوثان مؤمنين لانهم مصدقون بما صدقوا به وهذا لا يقوله أحد ممن ينتمي الى الاسلام بل قائله كافر عند جميعهم ونص القرآن بكفر من قال بهذا قال الله تعالى * ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا * فهذا الله عز وجل شهد بان قوما يؤمنون ببعض الرسل وبالله تعالى ويكفرون ببعض فلم يجز مع ذلك ان يطلق عليهم اسم الايمان اصلا بل اوجب لهم اسم الكفر بنص القرآن

-﴿ قال ابو محمد ﴾- وقول محمد بن زياد الحريري لازم لهذه الطوائف كلها لا ينفكون عنه على مقتضى اللغة وموجبها وهو قول لم يختلف مسلمان في انه كفر مجرد وانه خلاف للقرآن كما ذكرنا

(قال ابو محمد) فبطل تعلق هذه الطوائف باللغة جملة واما قولهم انه لو كان العمل يسمى ايمانا لكان من ضيع منه شيئا فقد اضاع الايمان ووجب ان لا يكون مؤمنا فاني قلت لبعضهم وقد ألزمني هذا الالزام كلاما تفسيره وبسطه اننا لا نسمي في الشريعة اسما الا بان يأمرنا الله تعالى ان نسميه او يبيح لنا الله بالنص ان نسميه لاننا لا ندري مراد الله عز وجل منا الا بوحي وارد من عنده علينا ومع هذا فان الله عز وجل يقول منكرا لمن سمى في الشريعة شيئا بغير إذنه عز وجل * ان هي الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ان يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى أم للانسان ما تمنى * وقال تعالى * وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا * فصح انه لا تسمية مباحة لملك ولا لانسي دون الله تعالى ومن خالف هذا فقد افترى على الله عز وجل الكذب وخالف القرآن فنحن لا نسمي مؤمنا الا من سماه الله عز وجل مؤمنا ولا نسقط الايمان بعد وجوبه الا عمن أسقطه الله عز وجل عنه ووجدنا بعض الاعمال التي سماها الله عز وجل ايمانا لم يسقط الله عز وجل اسم الايمان عن تاركها فلم يجز لنا ان نسقطه عنه لذلك لكن نقول انه ضيع بعض الايمان ولم يضيع كله كما جاء النص على ما نبين ان شاء الله تعالى

(قال ابو محمد) فاذا سقط كل ما موهت به هذه الطوائف كلها ولم يبق لهم حجة أصلا فلننتقل بعون الله عز وجل وتأييده في بسط حجة القول الصحيح الذي هو قول جمهور اهل الاسلام ومذهب الجماعة واهل السنة واصحاب الآثار من ان الايمان عقد وقول وعمل وفي بسط ما اجملناه مما نقدنا به قول المرجئة وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) اصل الايمان كما قلنا في اللغة التصديق بالقلب وباللسان معا باي شيء صدق المصدق لا شيء دون شيء البتة الا ان الله عز وجل على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم اوقع لفظة الايمان على العقد بالقلب لاشياء محدودة مخصوصة معروفة لا على العقد لكل شيء واوقعها ايضا تعالى على الاقرار باللسان بتلك الاشياء خاصة لا بما سواها واوقعها ايضا على اعمال الجوارح لكل ما هو طاعة له تعالى فقط فلا يحل لاحد خلاف الله تعالى فيما انزله وحكم به وهو تعالى خالق اللغة واهلها فهو أملك بتصريفها وايقاع اسمائها على ما يشاء ولا عجب اعجب ممن اوجد لامرئ القيس أو لزهير أو

حيث انه واجب الوجود لذاته قال ولو كان كثير الجزء واجب الوجود عليه وعلى غيره بالتواطىء فيشملها جنسا وينفصل أحدهما عن الآخر نوعا فيتركب ذاته من جنس وفصل فيسبق أجزاء المركب على المركب سبقا بالذات فلا يكون واجبا بذاته ولانه لو لم يكن هو بعينه لذاته لا لشيء عينه بل أمر خارج عنه فكان واجب الوجود بذلك الامر الخارج فلم يكن واجبا بذاته هذا خلف المسئلة الثالثة في ان واجب الوجود لذاته عقل لذاته وعاقل ومعقول لذاته عقل من غيره أو لم يعقل اما انه عقل فلانه مجرد عن المادة منزه عن اللوازم المادية فلا يحتجب ذاته عن ذاته وأما انه عقل لذاته فلانه مجرد لذاته واما انه معقول لذاته فلانه غير محجوب عن ذاته بذاته أو بغيره قال الاول يعقل ذاته ثم من ذاته يعقل كل شيء فهو يعقل العالم العقلي

لجرير او الحطيئة او الطرماح او لاعرابي اسدي او سلمي او تميمي او من سائر ابناء العرب بوال على عقبيه لفظا في شعر او نثر جعله في اللغة وقطع به ولم يعترض فيه ثم اذا وجد لله تعالى خالق اللغات واهلها كلاما لم يلتفت اليه ولا جعله حجة وجعل يصرفه عن وجهه ويحرفه عن مواضعه ويتحيل في احالته عما اوقعه الله عليه واذا وجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم كلاما فعل به مثل ذلك وتالله لقد كان محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم قبل ان يكرمه الله تعالى بالنبوة وايام كونه فتى بمكة بلاشك عند كل ذي مسكة من عقل أعلم بلغة قومه وافصح فيها واولى بان يكون ما نطق به من ذلك حجة من كل خندفي وقيسي وربيعي وأيادي وتيمي وقضاعي وحميري فكيف بعد ان اختصه الله تعالى للنذارة واجتباه للوساطة بينه وبين خلقه واجرى على لسانه كلامه وضمن حفظه وحفظ ما يأتي به فاي ضلال اضل ممن يسمع لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب يقول

فعلت فروع الايهقان واطفلت * بالجلهتين ظباؤها ونعامها

فجعله حجة وابو زياد الكلابي يقول ما عرفت العرب قط الايهقان وانما هو اللهق بيت معروف ويسمع قول ابن احمر كناه تقلق عن ماموسة الحجر وعلماء اللغة يقولون انه لم يعرف قط لاحد من العرب انه سمى النار ماموسة الا ابن احمر فيجعله حجة ويجيز قول من قال من الاعراب هذا جحر ضب خرب وسائر الشواذ عن معهود اللغة مما يكثر لو تكلفنا ذكره ويحتج بكل ذلك ثم يمتنع من ايقاع اسم الايمان على ما اوقعه عليه الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم محمد بن عبد الله القرشي المسترضع في بني سعد بن بكر ويكابر في ذلك بكل باطل وبكل حماقة وبكل دفع للمشاهدة ونعوذ بالله من الخذلان

(قال ابو محمد) فمن الآيات التي أوقع الله تعالى فيها اسم الايمان على أعمال الديانة قوله عز وجل * هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم *

(قال ابو محمد) والتصديق بالشيء أي شيء كان لا يمكن البتة ان يقع فيه زيادة ولا نقص وكذلك التصديق بالتوحيد والنبوة لا يمكن البتة ان يكون فيه زيادة ولا نقص لانه لا يخلو كل معتقد بقلبه أو مقر بلسانه باي شيء اقر أو أي شيء اعتقد من أحد ثلاثة أوجه لا رابع لها اما أن يصدق بما اعتقد واقر واما ان يكذب بما اعتقد واما منزلة بينهما وهي الشك فمن المحال أن يكون انسان مكذبا بما يصدق به ومن المحال ان يشك احد فيما يصدق به فلم يبق الا انه مصدق بما اعتقد بلاشك ولا يجوز أن يكون تصديق واحد اكثر من تصديق آخر لان أحد التصديقين اذا دخلته داخلة فبالضرورة يدري كل ذي حس سليم انه قد خرج عن التصديق ولا بد وحصل في الشك لان معنى التصديق انما هو ان يقع ويوقن بصحة وجود ما صدق به ولا سبيل الى التفاضل في هذه الصفة فان لم يقطع ولا ايقن بصحته فقد شك فيه فليس مصدقا به واذا لم يكن مصدقا به فليس مؤمنا به فصح أن الزيادة التي ذكر الله عز وجل في الايمان ليست في التصديق أصلا ولا في الاعتقاد البتة فهي ضرورة في غير التصديق وليس ههنا الا الاعمال فقط فصح يقينا ان اعمال البر ايمان بنص القرآن وكذلك قول الله عز وجل. فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا. وقوله تعالى. الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا. فان قال قائل معنى زيادة الايمان ههنا انما هو لما نزلت تلك الآية صدقوا بها فزادهم بنزولها ايمانا تصديقا بشيء وارد لم يكن عندهم قبل لهم وبالله تعالى التوفيق هذا محال لانه

دفعة واحدة من غير احتياج الى انتقال وتردد من معقول الى معقول وانه ليس يعقل الاشياء على انها أمور خارجة عنه فيعقلها منه كحالنا عند المحسوسات بل يعقلها من ذاته وليس كونه عاقلا وعقلا بسبب وجود الاشياء المعقولة حتى يكون وجودها قد جعله عقلا بل الامر بالعكس أي عقله للاشياء جعلها موجودة وليس للاول شيء يكمله فهو الكامل لذاته المكمل لغيره فلا يستفيد وجوده من وجود كمالا وأيضا فانه لو كان يعقل الاشياء من الاشياء لكان وجودها متقدما على وجوده ويكون جوهره في نفسه في قوامه وطباعه ان يقبل معقولات الاشياء فيكون في طباعه بالقوة من حيث يكمل بما هو خارج عنه حتى يقال لولا ما هو خارج عنه لم يكن له ذلك المعنى وكان فيه عدمها فيكون الذي له في طباع نفسه وباعتبار نفسه من غير اضافة الى غيره أن يكون عادما

قد اعتقد المسلمون فى أول اسلامهم انهم مصدقون بكل ما يأتيهم به نبيهم عليه الصلاة والسلام فى المستانف فلم يزدهم نزول الآية تصديقا لم يكونوا اعتقدوه فصح أن الايمان الذى زادتهم الآيات انما هو العمل بها الذى لم يكونوا عملوه ولا عرفوه ولا صدقوا به قط ولا كان جائزا لهم ان يعتقدوه ويعملوا به بل كان فرضا عليهم تركه والتكذيب بوجوبه والزيادة لا تكون الا فى كمية عدد لا فيما سواه ولا عدد للاعتقاد ولا كمية وانما الكمية والعدد في الاعمال والاقوال فقط فان قالوا ان تلاوتهم لها زيادة ايمان قلنا صدقتم وهذا هو قولنا والتلاوة عمل بجارحة اللسان ليس اقرارا بالمعتقد ولكنه من نوع الذكر بالتسبيح والتهليل وقال تعالى . وما كان الله ليضيع ايمانكم . ولم يزل اهل الاسلام قبل الجهمية والاشعرية والكرامية وسائر المرجئة مجمعين علي انه تعالى انما عنى بذلك صلاتهم الى بيت المقدس قبل ان ينسخ بالصلاة الى الكعبة وقال عز وجل * اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا * وقال عز وجل * وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة * فنص تعالى على أن عبادة الله تعالى فى حال اخلاص الدين له تعالى واقام الصلاة وايتاء الزكاة الواردتين في الشريعة كله دين القيمة وقال تعالى . ان الدين عند الله الاسلام * وقال تعالى . ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين . فنص تعالى على ان الدين هو الاسلام ونص قبل على ان العبادات كلها والصلاة والزكاة هى الدين فانتج ذلك يقينا ان العبادات هى الدين والدين هو الاسلام فالعبادات هى الاسلام وقال عز وجل . يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان ان كنتم صادقين . وقال تعالى . فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين . فهذا نص جلى على أن الاسلام هو الايمان وقد وجب قبل بما ذكرنا أن أعمال البر كلها هى الاسلام والاسلام هو الايمان فاعمال البر كلها ايمان وهذا برهان ضرورى لا محيد عنه وبالله تعالى التوفيق وقال تعالى . فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما. فنص تعالى وأقسم بنفسه ان لا يكون مؤمنا الا بتحكيم النبى صلى الله عليه وسلم فى كل ما عن ثم يسلم بقلبه ولا يجد فى نفسه حرجا مما قضى فصح ان التحكيم شىء غير التسليم بالقلب وانه هو الايمان الذى لا ايمان لمن لم يات به فصح يقينا ان الايمان اسم واقع علي الاعمال فى كل ما فى الشريعة وقال تعالى . ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا . فصح ان لا يكون التصديق مطلقا ايمانا الا حتى يستضيف اليه ما نص الله تعالى عليه ومما يتبين ان الكفر يكون بالكلام قول الله عز وجل . ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن ان تبيد هذه أبدا وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا * الى قوله . ياليتنى لم أشرك بربى أحدا * فاثبت الله له الشرك والكفر مع اقراره بربه تعالى اذ شك فى البعث وقال تعالى . أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض . فصح ان من آمن ببعض الدين وكفر بشىء منه فهو كافر مع صحة تصديقه لما صدق من ذلك

(قال ابو محمد) وأكثر الاسماء الشرعية فانها موضوعة من عند الله تعالى علي مسميات لم يعرفها العرب قط هذا أمر لا يجهله احد من أهل الارض ممن يدرى اللغة العربية ويدرى الاسماء

للمعقولات ومن شأنه أن يكون له ذلك فيكون باعتبار نفسه مخالطا للامكان والقوة واذا فرضنا انه لم يزل ولا يزال موجودا بالفعل فيجب أن يكون له من ذاته الامر الاكمل الافضل لا من غيره قال واذا عقل ذاته عقل ما يلزمها لذاتها بالفعل وعقل كونه مبدأه وعقل كل ما يصدر عنه علي ترتيب الصدور عنه والا فلم يعقل ذاته بكنهها قال وان كان ليس يعقل بالفعل فما الشيء الكريم له وهو الكون الناقص كماله فيكون حاله كحال النائم وان كان يعقل الاشياء من الاشياء فتكون الاشياء متقدمة عليه تتقوم بما يعقله ذاته وان كان يعقل الاشياء من ذاته فهو المراد والمطلب وقد يعبر عن هذا الغرض بعبارة اخرى تؤدي قريبا من هذا المعنى فيقول ان كان جوهره العقل وان يعقل فاما أن يعقل ذاته أو غيره فان كان يعقل شيئا آخر فما هو فى حد ذاته غير

الشرعية كالصلاة فان موضوع هذه اللفظة في لغة العرب الدعاء فقط فاوقعها الله عز وجل على حركات محدودة معدودة من قيام موصوف الى جهة موصوفة لا تتعدى وركوع كذلك وسجود كذلك وقعود كذلك وقراءة كذلك وذكر كذلك في أوقات محدودة وبطهارة محدودة وبلباس محدود متى لم تكن على ذلك بطلت ولم تكن صلاة وما عرفت العرب قط شيئا من هذا كله فضلا عن أن تسميه حتى أتانا بهذا كله رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال بعضهم ان في الصلاة دعاء فلم يخرج الاسم بذلك عن موضوعه في اللغة

(قال ابو محمد) وهذا باطل لانه لا خلاف بين أحد من الامة في ان من أتى بعدد الركعات وقرأ أم القرآن وقرآنا معها في كل ركعة وأتى بعدد بالركوع والسجود والجلوس والقيام والتشهد وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وسلم بتسليمتين فقد صلى كما أمر وان لم يدع بشيء أصلا وفي الفقهاء من يقول ان من صلى خلف الامام فلم يقرأ اصلا ولا تشهد ولا دعا اصلا فقد صلى كما أمر وأيضا فان ذلك الدعاء في الصلاة لا يختلف احد من الامة في انه ليس شيئا ولا يسمى صلاة اصلا عند احد من أهل الاسلام فعلى كل قد اوقع الله عز وجل اسم الصلاة على اعمال غير الدعاء ولا بد وعلى دعاء محدود لم تعرفه العرب قط ولا عرفت ايقاع الصلاة على دعاء بعينه دون سائر الدعاء ومنها الزكاة وهي موضوع في اللغة للنماء والزيادة فاوقعها الله تعالى على اعطاء مال محدود معدود من جملة اموال ما موصوفة محدودة معدودة معينة دون سائر الاموال لقوم محدودين في اوقات محدودة فان هو تعدى شيئا من ذلك لم يقع على فعله ذلك اسم زكاة ولم تعرف العرب قط هذه الصفات والصيام في لغة العرب الوقوف تقول صام النهار اذا طال حتى صار كانه واقف لطوله قال امرؤ القيس . اذا صام النهار وهجرا . وقال آخر وهو النابغة الذبياني

خيل صيام وخيل غير صائمة تحت العجاج وخيل تعلك اللجما

فاوقع الله تعالى اسم الصيام على الامتناع من الاكل والشرب والجماع وتعمد القيء من وقت محدود وهو تبين الفجر الثاني الى غروب الشمس في أوقات من السنة محدودة فان تعدى ذلك لم يسم صياما وهذا أمر لم تعرفه العرب قط فظهر فساد قول من قال ان الاسماء لا تنقل في الشريعة عن موضوعها في اللغة وصح ان قولهم هذا مجاهرة سمجة قبيحة

(قال ابو محمد) فاذ قد وضح وجود الزيادة في الايمان بخلاف قول من قال انه التصديق فبالضرورة ندري ان الزيادة تقتضي النقص ضرورة ولا بد لأن معنى الزيادة انما هي عدد مضاف الى عدد واذا كان ذلك فذلك العدد المضاف اليه هو بيقين ناقص عند عدم الزيادة فيه وقد جاء النص بذكر النقص وهو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم المشهور المنقول نقل الكواف انه قال للنساء ما رأيت من ناقصات عقل ودين أسلب للرجل الحازم منكن قلن يا رسول الله وما نقصان ديننا قال عليه السلام أليس تقيم المرأة العدد من الايام والليالي لا تصوم ولا تصلي فهذا نقصان دينها

(قال ابو محمد) ولو نقص من التصديق شيء لبطل عن ان يكون تصديقا لان التصديق لا يتبعض اصلا ولصار شكا والله تعالى التوفيق وهم مقرون بان امرأ لو لم يصدق بآية من القرآن أو بسورة منه وصدق بسائره لبطل ايمانه فصح ان التصديق لا يتبعض اصلا

(قال ابو محمد) وقد نص الله عز وجل على ان اليهود يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم كما يعرفون أبناءهم وانهم يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل وقال تعالى * فانهم لا يكذبونك

ولكن

مضاف الى ما يعقله وهل لهذا المعتبر بنفسه فضل وجلال مناسب لان يعقل بأن يكون بعض الاحوال أن يعقل له أفضل من أن لا يعقل وبان لا يعقل يكون له أفضل من أن يعقل فانه لا يمكن القسم الآخر وهو أن يكون يعقل الشيء الآخر أفضل من الذي له في ذاته من حيث هو في ذاته شيء يلزمه أن يعقل فيكون فضله وكماله بغيره وهذا محال . المسئلة الرابعة في أن واجب الوجود لا يعتريه تغير وتأثر من غيره بان يبدع أو يعقل فان الباري تعالى عظيم الرتبة جدا غير محتاج الى غيره ولا متغير بسبب من غيره سواء كان التغير زمانيا أو كان تغيرا بان ذاته يقبل من غيره أثرا وان كان دائما في الزمان وانما لا يجوز أن يتغير كيف ما كان لان انتقاله انما يكون الى الشر لا الى الخير لان كل رتبة غير رتبته فهو دون رتبته وكل شيء يناله ويوصف به فهو دون نفسه

ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون * واخبر تعالى عن الكفار فقال * ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله * فاخبر تعالى انهم يعرفون صدقه ولا يكذبونه وهم اليهود والنصارى وهم كفار بلا خلاف من أحد من الامة ومن انكر كفرهم فلا خلاف من احد من الامة فى كفره وخروجه عن الاسلام ونص تعالى عن ابليس انه عارف بالله تعالى وبملائكته وبرسله وبالبعث وانه قال * رب فانظرنى الى يوم يبعثون * وقال * لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون * وقال . خلقتنى من نار وخلقته من طين . وكيف لا يكون مصدقا بكل ذلك وهو وقد شاهد ابتداء خلق الله تعالى لآدم وخاطبه الله تعالى خطابا كثيرا وسأله ما منعك ان تسجد وامره بالخروج من الجنة واخبره انه منظر الى يوم الدين وانه ممنوع من اغواء من سبقت له الهداية وهو مع ذلك كله كافر بلا خلاف اما بقوله عن آدم انا خير منه واما بامتناعه للسجود لا يشك احد فى ذلك ولو كان الايمان هو بالتصديق والاقرار فقط لكان جميع المخلدين فى النار من اليهود والنصارى وسائر الكفار مؤمنين لانهم كلهم مصدقون بكل ما كذبوا به فى الدنيا مقرون بكل ذلك لكان ابليس واليهود والنصارى فى الدنيا مؤمنين ضرورة وهذا كفر مجرد ممن اجازه وانما كفر اهل النار بمنعهم من الاعمال قال تعالى * يوم يدعون الى السجود فلا يستطيعون

(قال أبو محمد) فلجأ هؤلاء المخاذيل الى أن قالوا ان اليهود والنصارى لم يعرفوا قط أن محمدا رسول الله ومعنى قول الله تعالى يعرفونه كما يعرفون ابناءهم أى انهم يميزون صورته ويعرفون ان هذا الرجل هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمى فقط وأن معنى قوله تعالى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل انما هو انهم يجدون سوادا فى بياض لا يدرون ما هو ولا يفهمون معناه وان ابليس لم يقل شيئا مما ذكر الله عز وجل عنه انه قال مجدا بل قاله هازلا وقال هؤلاء أيضا انه ليس على ظهر الارض ولا كان قط كافر يدرى ان الله حق وان فرعون قط لم يتبين له أن موسى نبى بالآيات التى عمل

(قال ابو محمد) وقالوا اذا كان الكافر يصدق ان الله حق والتصديق ايمان فى اللغة فهو مؤمن اذا أو فيه ايمان ليس به مؤمنا وكلا القولين محال

(قال أبو محمد) هذه نصوص أقوالهم التى رأيناها فى كتبهم وسمعناها منهم وكان مما احتجوا به لهذا الكفر المجرد ان قالوا ان الله عز وجل سمى كل من ذكرنا كفارا ومشركين فدل ذلك على انه علم ان فى قلوبهم كفرا وشركا وجحدا وقال هؤلاء ان شتم الله عز وجل وشتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس كفرا لكنه دليل على ان فى قلبه كفرا

(قال أبو محمد) أما قولهم فى أخبار الله تعالى عن اليهود انهم يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يعرفون أبناءهم وعن اليهود والنصارى انهم يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل فباطل بحت ومجاهرة لا حياء معها لانه لو كان كما ذكروا لما كان فى ذلك حجة لله تعالى عليهم وأى معنى أو أى فائدة فى ان يميزوا صورته ويعرفوا انه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب فقط أو فى أن يجدوا كتابا لا يفقهون معناه فكيف ونص الآية نفسها مكذبة لهم لانه تعالى يقول * الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون * فنص تعالى انهم يعلمون الحق فى نبوته وقال فى الآية الاخرى * يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف

ويكون أيضا شيئا مناسبا للحركة خصوصا ان كانت بعدية زمانية وهذا معنى قوله إن التغير الى الشىء الذى هو شر وقد ألزم على كلامه انه اذا كان العقل الاول يعقل أبدا ذاته فانه يتعب ويكل ويتغير ويتأثر وأجاب ثامسطيوس عن هذا بانه انما لا يتعب لانه يعقل ذاته وكما لا يتعب من ان يجب فانه لا يتعب من أن يعقل ذاته قال أبو على بن سينا ليست العلة انه لذاته يعقل أو لذاته يجب بل لانه ليس مضاد الشىء فى جوهر العاقل فان التعب هو أذى يعرض لسبب خروج عن الطبيعة وانما يكون ذلك اذا كانت الحركات التى تتوالى مضادة لمطلوب الطبيعة فاما الشىء الملائم واللذيذ المحض ليس منافاة بوجه فلم يجب أن يكون تكرره متعبا (المسئلة الخامسة) فى أن واجب الوجود حى بذاته باق بذاته أى كامل فى أن يكون بالفعل مدركا لكل شىء نافذ

وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم * وانما اورد تعالى معرفتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم محتجا عليهم بذلك لانه اتي من ذلك بكلام لافائدة فيه واما قولهم فى ابليس فكلام داخل فى الاستخفاف بالله عزوجل وبالقرآن لاوجه له غير هذا ومن المحال الممتنع فى العقل وفى الامكان غاية الامتناع ان يكون ابليس يوافق فى هزله عين الحقيقة فى أن الله تعالى كرم آدم عليه السلام عليه وانه تعالى أمره بالسجود فامتنع وفى ان الله تعالى خلق آدم من طين وخلقه من نار وفى أخباره آدم ان الله تعالى نهاه عن الشجرة وفى دخوله الجنة وخروجه عنها اذا خرجه الله تعالى وفى سؤاله الله تعالى النظرة وفي ذكره يوم يبعث العباد وفى اخباره ان الله تعال اغواه وفي تهديده ذرية آدم قبل ان يكونوا وقد شاهد الملائكة والجنة وابتداء خلق آدم ولا سبيل الى موافقة هازل معنيين صحيحين لا يعلمهما فكيف بهذه الامور العظيمة وأخرى ان الله تعالى حاشى له من أن يجيب هازلا بما يقتضيه معنى هزله فانه تعالى امره بالسجود ثم ساله عما منعه من السجود ثم اجابه الى النظرة التى سال ثم اخرجه عن الجنة واخبره انه يعصم منه من شاء من ذرية آدم وهذه كلها معان من دافعها خرج عن الاسلام لتكذيبه القرآن وفارق المعقول لتجويزه هذه المحالات ولحق بالمجانين الوقحاء وأما قولهم ان اخبار الله تعالى بان هؤلاء كلهم كفار دليلا على أن في قلوبهم كفرا وان شتم الله تعالى ليس كفرا ولكنه دليل على أن فى القلب كفراً وان كان كافرا لم يعرف الله تعالى قط فهذه منهم دعاوى كاذبة مفتراة لادليل لهم عليها ولا برهان لا من نص ولا من سنة صحيحة ولا سقيمة ولا من حجة عقل أصلا ولا من اجماع ولا من قياس ولا من قول احد من السلف قبل اللعين جهم بن صفوان وما كان هكذا فهو باطل وافك وزور فسقط قولهم هذا من قرب ولله الحمد رب العالمين فكيف والبرهان قائم بابطال هذه الدعوى من القرآن والسنن والاجماع والمعقول والحس والمشاهدة الضرورية اما القرآن فان الله عزوجل يقول * ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله * وقال تعالى * ومايؤمن اكثرهم بالله الاوهم مشركون * فاخبر تعالى بانهم يصدقون بالله تعالى وهم مع ذلك مشركون وقال تعالى * وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم *

(قال ابو محمد) هذه شهادة من الله مكذبة لقول هؤلاء الضلال لا يردها مسلم أصلا

(قال ابو محمد) وبلغنا عن بعضهم انه قال فى قول الله تعالى * يعرفونه كما يعرفون ابناءهم * ان هذا انكار من الله تعالى لصحة معرفتهم بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وذلك لان الرجال لايعرفون صحة ابنائهم على الحقيقة وانما هو ظن منهم

(قال ابو محمد) وهذا كفر وتحريف للكلم عن مواضعه ويرد ماشئت منه

(قال ابو محمد) فاول ذلك ان هذا الخطاب من الله تعالى عموم للرجال والنساء من الذين أوتوا الكتاب لايجوز ان يخص به الرجال دون النساء فيكون من فعل ذلك مفتريا على الله تعالى وبيقين يدرى كل مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى النساء كما بعث الى الرجال والخطاب بلفظ الجمع المذكر يدخل فيه بلا خلاف من اهل اللغة النساء والرجال وقد علمنا ان النساء يعرفن ابناءهن على الحقيقة بيقين والوجه الثاني هو ان الله تعالى لم يقل كما يعرفون من خلقنا من نطفتهم فكان يسوغ لهذا الجاهل حينئذ هذا التمويه البارد باستكراه ايضا وانما قال

تعالى

الامر فى كل شيء وقال ان الحياة التى عندنا يقترن بها من ادراك خسيس وتحريك خسيس فاما هناك المشار اليه بلفظ الحياة وهو كون العقل التام بالفعل الذى يعقل من ذاته كل شيء وهو باقى الدهر أزلى فهو حي بذاته باق بذاته عالم بذاته وانما يرجع جميع صفاته الى ماذكرنا من غير تكثر ولاتغير في ذاته (المسئلة السادسة) فى انه لايصدر عن الواحد الا واحد قال الصادر الاول هو العقل الفعال لان الحركات اذا كانت كثيرة ولكل متحرك محرك فيجب أن يكون عدد المحركات بحسب عدد المتحركات فلو كانت المتحركات والمحركات ينسب اليه لا على ترتيب أول وثانى بل جملة واحدة لتكثرت جهات ذاته الى محرك محرك ومتحرك متحرك فتكثر ذاته وقد أقمنا البرهان على انه واحد من كل وجه فلن يصدر عن الواحد من كل وجه الا واحد

قال تعالى كما يعرفون ابنائهم فاضاف تعالى البنوة اليهم فمن لم يقل انهم ابناءهم بعد ان جعلهم الله ابناءهم فقد كذب الله تعالى وقد علمنا انه ليس كل من خلق من نطفة الرجل يكون ابنه فولد الزنا مخلوق من نطفة انسان ليس هو اباه فى حكم الديانة اصلا وانما ابناؤنا من جعلهم الله ابناءنا فقط كما ان الله تعالى جعل ازواج رسول الله صلي الله عليه وسلم امهات المؤمنين منهن امهاتنا وان لم يلدننا ونحن ابناؤهن وان لم نخرج من بطونهن فمن انكر هذا فنحن نصدقه لانه حينئذ ليس مؤمنا فلسن امهاته ولا هو ابن لهن والوجه الثالث هو ان الله تعالى انما اورد الآية مبكتا للذين أوتوا الكتاب لا معتذرا عنهم لكن مخبرا بأنهم يعرفون صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم بآياته وبما وجدوا فى التوراة والانجيل معرفة قاطعة لاشك فيها كما يعرفون ابناءهم ثم اتبع ذلك تعالى بانهم يكتمون الحق وهم عالمون به فبطل هذر هذا الجاهل المخذول والحمد لله رب العالمين وقال عز وجل * لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى * فنص تعالى على ان الرشد قد تبين من الغى عموما وقال تعالى * ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدي ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى * وقال تعالى * الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ماتبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئا. وهذا نص جلى من خالفه كفر فى أن الكفار قد تبين لهم الحق والهدى فى التوحيد والنبوة وقد تبين له الحق فبيقين يدري كل ذي حس سليم انه مصدق بلاشك بقلبه وقال تعالى. فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا (قال ابو محمد) وهذا ايضا نص جلى لايحتمل تأويلا على ان الكفار جحدوا بالسنتهم الآيات التى اتى بها الانبياء عليهم الصلاة والسلام واستيقنوا بقلوبهم انها حق ولم يجحدوا قط انها كانت وانما جحدوا انها من عند الله فصح ان الذى استيقنوا منها هو الذي جحدوا وهذا يبطل قول من قال من هذه الطائفة انهم انما استيقنوا كونها وهى عندهم حيل لا حقائق اذ لو كان ذلك لكان هذا القول من الله تعالي كذبا تعالى الله عن ذلك لانهم لم يجحدوا كونها وانما جحدوا انها من عند الله وهذا الذى جحدوا هو الذى استيقنوا بنص الآية وقال تعالى حاكيا عن موسى عليه السلام انه قال لفرعون. لقد علمت ما أنزل هؤلاء الارب السموات والارض بصائر. فمن قال ان فرعون لم يعلم ان الله تعالى حق ولا علم ان معجزات موسى حق من عند الله تعالى فقد كذب ربه تعالى وهذا كفر مجرد وقد شغب بعضهم بان هذه الآية قرئت لقد علمت بضم التاء

(قال ابو محمد) وكلا القراءتين حق من عند الله تعالى لايجوز ان يرد منهما شيء فنعم موسى عليه السلام علم ذلك وفرعون علم ذلك فهذه نصوص القرآن واما من طريق المعقول والمشاهدة والنظر فانا نقول لهم هل قامت حجة الله تعالى علي الكفار كما قامت على المؤمنين بتبين براهينه عز وجل لهم ام لم تقم حجة لله تعالى عليهم قط اذ لم يتبين الحق قط لكافر فان قالوا ان حجة الله تعالى لم تقم قط علي كافر اذ لم يتبين الحق للكفار كفروا بلا خلاف من أحد وعذروا الكفار وخالفوا الاجماع وان اقروا ان حجة الله تعالى قد قامت على الكفار بان الحق تبين لهم صدقوا ورجعوا الي الحق والى قول اهل الاسلام وبرهان آخر ان كان أحد منامذ عقلنا لم نزل نشاهد اليهود والنصارى فما منهم أحد الامقرين

وهو العقل الفعال وله فى ذاته وباعتبار ذاته امكان الوجود وباعتبار علته وجوب الوجود فتكثر ذاته لا من جهة علته فيصدر عنه شيئان ثم يزيد التكثر فى الاسباب فتكثر المسببات والكل ينسب اليه *

(المسئلة السابعة) فى عدد المفارقات قال اذا كان عدد المتحركات مترتبا على عدد المحركات فتكون الجواهر المفارقة كثيرة على ترتيب أول وثانى فلكل كرة متحركة محرك مفارق غير متناهى القوة يحرك كما يحرك المشتهى المشوق ومحرك آخر مزاول للحركة فيكون صورة للجرم المساوى فالاول عقل مفارق والثانى نفس مزاول فالمحركات المفارقة تحرك على انها مشتهاة معشوقة والمحركات المزاولة تحرك على انها مشتهية عاشقة ثم يطلب عدد المحركات من عدد حركات الاكر وذلك شيء لم يكن ظاهرا فى زمانه وانما ظهر بعد والاكر تسعة لمادل

بالله تعالى وبنبوة موسى عليه السلام وان الله تعالى حرم على اليهود العمل فى السبت والتحوم فمن الباطل ان يتواطؤا كلهم فى شرق الارض وغربها على اعلان مايعتقدون خلافه بلا سبب داع الي ذلك وبرهان آخر وهو اننا قد شاهدنا من النصارى واليهود طوائف لا يحصى عددهم اسلموا وحسن اسلامهم وكلهم اولهم عن آخرهم يخبر من استخبره متى بقوا انهم فى اسلامهم يعرفون ان الله تعالى حق وان نبوة موسى وهارون حق كما كانوا يعرفون ذلك فى ايام كفرهم ولا فرق ومن انكر هذا فقد كابر عقله وحسه ولحق بمن لا يستحق ان يكلم وبرهان آخر وهو انهم لا يختلفون فى ان نقل التواتر يوجب العلم الضروري فوجب من هذين الحكمين ان اليهود والنصاري الذين نقل اليهم ما اتى به عليه السلام من المعجزات نقل التواتر قد وقع لهم به العلم الضرورى بصحة نبوته من اجلها وهذا لا محيد لهم عنه وبالله تعالى التوفيق واما قولهم ان شتم الله تعالى ليس كفرا وكذلك شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو دعوى لان الله تعالى قال * يحلفون بالله ماقالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم * فنص تعالى على أن من الكلام ماهو كفر وقال تعالى * واذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم إذا مثلهم * فنص تعالى ان من الكلام فى آيات الله تعالى ماهو كفر بعينه مسموع وقال تعالى * قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة * فنص تعالى على ان الاستهزاء بالله تعالى أو بآياته او برسول من رسله كفر فخرج عن الايمان ولم يقل تعالى فى ذلك انى علمت ان فى قلوبكم كفرا بل جعلهم كفارا بنفس الاستهزاء ومن ادعى غير هذا فقد قول الله تعالى مالم يقل وكذب على الله تعالى وقال عز وجل * انما النسيء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليوطؤا عدة ماحرم الله *

(قال أبو محمد) وبحكم اللغة التى بها نزل القرآن ان الزيادة في الشيء لا تكون البتة الا منه لا من غيره فصح ان النسيء كفر وهو عمل من الاعمال وهو تحليل ماحرم الله تعالى فمن أحل ماحرم الله تعالى وهو عالم بان الله تعالى حرمه فهو كافر بذلك الفعل نفسه وكل من حرم ماأحل الله تعالى فقد أحل ماحرم الله عز وجل لان الله تعالى حرم على الناس ان يحرموا ماأحل الله وأما خلاف الاجماع فان جميع أهل الاسلام لا يختلفون فيمن أعلن جحد الله تعالى أو جحد رسوله صلى الله عليه وسلم فانه محكوم له بحكم الكفر قطعا اما القتل واما أخذ الجزية وسائر أحكام الكفر وما شك قط أحد في هل هم في باطن امرهم مؤمنون أم لا ولا فكروا فى هذا لا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحد من اصحابه ولا احد ممن بعدهم وأما قولهم ان الكفار اذا كانوا مصدقين بالله تعالي وبنبيه صلى الله عليه وسلم بقلوبهم والتصديق فى اللغة التى بها نزل القرآن هو الايمان ففيهم بلا شك ايمان فالواجب ان يكونوا بايمانهم ذلك مؤمنين أو ان يكون فيهم ايمان ليسوا بكونه فيهم مؤمنين ولا بد من أحد الامرين

(قال ابو محمد) وهذا تمويه فاسد لان التسمية كما قدمنا لله تعالى لا لاحد دونه وقد أوضحنا البراهين على ان الله تعالى نقل اسم الايمان فى الشريعة عن موضوعه فى اللغة الى معنى آخر وحرم فى الديانة ايقاع اسم الايمان على التصديق المطلق ولولا نقل الله تعالى للفظة الايمان كما ذكرنا

الرصد عليها فالعقول المفارقة عشرة منها مدبرات النفوس التسعة المزاولة وواحد هو العقل الفعال (المسئلة الثامنة) فى أن الاول منتهج بذاته قال ارسطوطاليس اللذة فى المحسوسات هو الشعور بالملائم وفى المعقولات الشعور بالكمال الواصل اليه من حيث يشعر به فالاول مغتبط بذاته متلذذ بها لانه يعقل ذاته على كمال حقيقتها وشرفها وان جل عن أن ينسب اليه لذة انفعالية بل يجب أن يسمي ذلك بهجة وعلاء وبهاء كيف ونحن نلتذ بادراك الحق ونحن مصروفون عنه مردودون في قضاء حاجات خارجة عما يناسب حقيقتنا التى نحن بها ناس وذلك ضعف عقولنا وقصورنا فى المعقولات وانغماسنا فى الطبيعة البدنية لكنا نتوصل اليها على سبيل الاختلاس فيظهر لنا اتصال بالحق الاول فيكون كسعادة عجيبة فى زمان قليل جدا وهذه الحالة له أبدا وهو

لوجب ان يسمي كل كافر على وجه الارض مؤمناً وان يخبر عنهم بان فيهم ايمانا لانهم مؤمنون ولابد باشياء كثيرة مما فى العالم يصدقون بها هذا لاينكره ذو مسكة من عقل فلما صح اجماعنا واجماعهم واجماع كل من ينتمى الى الاسلام على انهم وان صدقوا باشياء كثيرة فانه لا يحل لاحد ان يسميهم مؤمنين على الاطلاق ولا ان يقول ان لهم ايمانا مطلقا اصلا لم يجز لاحد ان يقول فى الكافر المصدق بقلبه ولسانه بان الله تعالى حق والمصدق بقلبه ان محمداً رسول الله انه مؤمن ولا ان فيه ايمانا أصلا الا حتى يأتي بما نقل الله تعالى اليه اسم الايمان من التصديق بقلبه ولسانه بان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله وان كل ما جاء به حق وانه بريء من كل دين غير دينه ثم يتمادى باقراره على ما لا يتم ايمان الا بالاقرار به حتى يموت لكننا نقول ان فى الكافر تصديقا بالله تعالى هو به مصدق بالله تعالى وليس بذلك مؤمنا ولا فيه ايمان كما امرنا الله تعالى لا كما امرجهم (١) والاشعرى

(قال ابو محمد) فبطل هذا القول المتفق على تكفير قائله وقد نص على تكفيرهم ابو عبيد القاسم فى كتابه المعروف برسالة الايمان وغيره ولنا كتاب كبير نقضنا فيه شبه اهل هذه المقالة الفاسدة كتبناه على رجل منهم يسمى عطاف بن دوناس من اهل قيروان افريقية وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) واما من قال ان الايمان انما هو الاقرار باللسان فانهم احتجوا بان النبى صلى الله عليه وسلم وجميع اصحابه رضى الله عنهم وكل من بعدهم قد صح اجماعهم على ان من اعلن بلسانه بشهادة الاسلام فانه عندهم مسلم محكوم له بحكم الاسلام وبقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في السوداء اعتقها فانها مؤمنة وبقوله صلى الله عليه وسلم لعمه ابو طالب قل كلمة احاج لك بها عند الله عز وجل

(قال ابو محمد) وكل هذا لا حجة لهم فيه اما الاجماع المذكور فصحيح وانما حكمنا لهم بحكم الايمان فى الظاهر ولم نقطع على انه عند الله تعالى مؤمن وهكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله ويؤمنوا بما ارسلت به فاذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله وقال عليه السلام من قال لا إله الا الله مخلصا من قلبه واما قوله عليه السلام فى السوداء انها مؤمنة فظاهر الامر كما قال عليه السلام اذ قال له خالد ابن الوليد رب مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه فقال عليه السلام انى لم ابعث لاشق عن قلوب الناس وأما قوله لعمه احاج لك بها عند الله فنعم يحاج بها على ظاهر الامر وحسابه على الله تعالى فبطل كل ما موهوا به ثم نبين بطلان قولهم ان شاء الله تعالى فنقول وبالله تعالى نتايد انه يبين بطلان قول هؤلاء قول الله عز وجل ❊ ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا انفسهم وما يشعرون فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون ❊ وقوله عز وجل ❊ يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ❊ وقوله

---

(١) قوله والاشعرى الخ لم يقل الاشعرى ان من فى قلبه تصديق بشيء من العقائد يسمى مؤمنا لانه وان قال ان الايمان هو التصديق لكنه اشترط فى تحققه الاسلام فلا يتحقق ايمان بدون الاسلام ولا اسلام بدون ايمان هذا هو مذهب الاشعرى فالخلاف بينه وبين ما قال ابن حزم لفظى لا معنوى حتى يلزم تكفيره تامل اه مصححه

لنا غير ممكن لانا مدينون ولا يمكننا أن نشم تلك البارقة الا خطفة وخلسة . (المسئلة التاسعة) فى صدور نظام الكل وترتيبه منه قال قد بينا ان الجوهر على ثلاثة أضرب اثنان طبيعيان وواحد غير متحرك وقد بينا القول فى الواحد الغير المتحرك وأما الاثنان الطبيعيان فهما الهيولى والصورة أو العنصر والصورة وهما مبدأ الاجسام الطبيعية وأما العدم فيعد من المبادي بالعرض لا بالذات فالهيولى جوهر قابل للصورة والصورة معنى ما يقترن بالجوهر فيصير به نوعا كالجزء المقوم له لا كالعرض الحال فيه والعدم ما يقابل الصورة فانا متى توهمنا ان الصورة لم تكن فيجب أن يكون فى الهيولى عدم الصورة والعدم المطلق مقابل للصورة المطلقة والعدم الخاص مقابل للصورة الخاصة قال وأول الصورة التى تسبق الى الهيولى هى الابعاد الثلاثة فيصير جرما ذا طول وعرض

. قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم * وقال تعالى . انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقا *

(قال ابو محمد) فان قالوا انما هذه الآية بمعنى ان هذه الافعال تدل على ان فى القلب ايمانا قلنا لهم لو كان ماقلتم لوجب ولا بد ان يكون من ترك شيئا من هذه الافعال دليلا على انه ليس فى قلبه ايمان وانتم لا تقولون هذا اصلا مع ان هذا صرف للآية عن وجهها وهذا لا يجوز الا ببرهان وقولهم هذا دعوى بلا برهان وقال تعالى * انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله اولئك هم الصادقون * وقال تعالى * والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شىء حتى يهاجروا * فاثبت عز وجل لهم الايمان الذى هو التصديق ثم اسقط عنا ولايتهم اذ لم يهاجروا فابطل بذلك ايمانهم المطلق ثم قال تعالى * والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا * فصح يقينا ان هذه الاعمال ايمان حق وعدمها ليس ايمانا وهذا غاية البيان وبالله تعالى التوفيق وقال تعالى * اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون * فنص عز وجل فى هذه الآية على أن من آمن بلسانه ولم يعتقد الايمان بقلبه فانه كافر ثم اخبرنا تعالى بالمؤمنين من هم وانهم الذين آمنوا وايقنوا بالسنتهم وقلوبهم معا وجاهدوا فى سبيل الله باموالهم وانفسهم واخبر تعالى ان هؤلاء هم الصادقون

(قال ابو محمد) ويلزمهم ان المنافقين مؤمنون لاقرارهم بالايمان بالسنتهم وهذا قول مخرج عن الاسلام وقد قال تعالى * ان الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا * وقال تعالى . اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ما كانوا يعملون ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم * فقطع الله تعالى عليهم بالكفر كما ترى لانهم ابطنوا الكفر

(قال ابو محمد) وبرهان آخر وهو ان الاقرار باللسان دون عقد القلب لا حكم له عند الله عز وجل لان احدنا يلفظ بالكفر حاكيا وقارئا له فى القرآن فلا يكون بذلك كافرا حتى يقر أنه عقده

(قال أبو محمد) فان احتج بهذا أهل المقالة الاولى وقالوا هذا يشهد بان الاعلان بالكفر ليس كفرا قلنا له وبالله تعالى التوفيق قد قلنا ان التسمية ليست لنا وانما هى لله تعالى فلما امرنا تعالى بتلاوة القرآن وقد حكى لنا فيه قول اهل الكفر واخبرنا تعالى انه لا يرضى لعباده الكفر خرج القارىء للقرآن بذلك عن الكفر الى رضى الله عز وجل والايمان بحكايته ما نص الله تعالى باداء الشهادة بالحق فقال تعالى * الا من شهد بالحق وهم يعلمون خرج الشاهد المخبر عن الكافر بكفره عن ان يكون بذلك كافرا الى رضى الله عز وجل والايمان ولما قال تعالى * إلا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا * اخرج من ثبت اكراهه عن ان يكون باظهار الكفر كافرا الى رخصة الله تعالى والثبات على الايمان وبقى من اظهر الكفر لا قاريا ولا شاهدا ولا حاكيا ولا مكرها على وجوب الكفر له باجماع الامة على الحكم له بحكم الكفر وبحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وبنص القرآن

وعمق وهو الهيولى الثانية وليست بذات كيفية ثم تلحقها الكيفيات الاربعة التى هي الحرارة والبرودة الفاعلتان والرطوبة واليبوسة المنفعلتان فتصير الاركان والاستقصات الاربعة التى هى النار والهواء والماء والارض وهى الهيولى الثالثة ثم يتكون منها المركبات التى يلحقها الاعراض والكون والفساد ويكون بعضها هيولى بعض قال وانما رتبنا هذا الترتيب فى العقل والوهم خاصة دون الحس وذلك أن الهيولى عندنا لم تكن معراة عن الصورة قط فلم يقدر فى الوجود جوهرا مطلقا قابلا للابعاد ثم لحقها الابعاد ولا جسما عاريا عن هذه الكيفيات ثم عرض لها ذلك وانما هو عند نظرنا فيما هو أقدم بالطبع وأبسط فى الوهم والعقل ثم أثبت طبيعية خامسة وراء هذه الطبائع لا تقبل الكون ولا الفساد ولا يطرأ عليها الاستحالة والتغير وهي طبيعة السماء وليس يعنى

على من قال كلمة الكفر انه كافر وليس قول الله عزوجل ولكن من شرح بالكفر صدرا على ماظنوه من اعتقاد الكفر فقط بل كل من نطق بالكلام الذى يحكم لقائله عند اهل الاسلام بحكم الكفر لاقاريا ولاشاهدا ولاحاكيا ولامكرها فقدشرح بالكفر صدرا بمعنى انه شرح صدره لقبول الكفر المحرم على اهل الاسلام وعلى اهل الكفران يقولوه وسواء اعتقده أولم يعتقده لان هذا العمل من اعلان الكفر على غير الوجوه المباحة فى ايراده وهو شرح الصدربه فبطل تمويههم بهذه الآية وبالله تعالى التوفيق وبرهان آخر وهوقول الله تعالى * انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون * فنص الله تعالى على الايمان انه شىء قبل نفى الارتياب ونفى الارتياب لايكون ضرورة الا بالقلب وحده فصح ان الايمان اذهو قبل نفى الارتياب شىء آخر غير نفى الارتياب والذى قبل نفى الارتياب هو القول باللسان ثم التصديق بالقلب والجهاد مع ذلك بالبدن والنفس والمال فلا يتم الايمان بنص كلام الله عزوجل الا بهذه الاقسام كلها فبطل بهذا النص قول من زعم ان الايمان هو التصديق بالقلب وحده او القول باللسان وحده اوكلاهما فقط دون العمل بالبدن وبرهان آخر وهو ان نقول لهم اخبرونا عن أهل النار المخلدين فيها الذين ماتوا على الكفر ام حين كونهم فى النار عارفون بقلوبهم صحة التوحيد والنبوة الذى يجحدهم لكل ذلك ادخلوا النار وهل هم حينئذ مقرون بذلك بالسنتهم أم لا ولا بدمن احدهما فان قالوا هم عارفون بكل ذلك مقرون به بالسنتهم وقلوبهم قلنا أهم مؤمنون أم غير مؤمنين فان قالوا هم غير مؤمنين قلنا قد تركتم قولكم ان الايمان هو المعرفة بالقلب او الاقرار باللسان فقط اوكلاهما فقط فان قالوا هذا حكم الآخرة قلنا لهم فاذجوزتم نقل الاسماء عن موضوعها فى اللغة فى الآخرة فمن اين منعتم من ذلك فى الدنيا ولم تجوزوه لله عز وجل فيها وليس فى الحماقة اكثر من هذا وان قالوا بل هم مؤمنون قلنا لهم فالنار اذن أعدت للمؤمنين لا للكافرين وهى دار المؤمنين وهذا خلاف القرآن والسنن واجماع اهل الاسلام المتقين وان قالوا بل هم غير عارفين بالتوحيد ولا بصحة النبوة فى حال كونهم فى النار اكذبهم نصوص القرآن وكذبوا ربهم عزوجل فى اخباره انهم عارفون بكل ذلك هاتفون به بالسنتهم راغبون فى الرجعة والاقالة نادمون على ماسلف منهم وكذبوا نصوص المعقول وجاهروا بالمحال اذجعلوا من شاهد القيامة والحساب والجزاء غير عارف بصحة ذلك فصح بهذا انه لا ايمان ولا كفر الا ماسماه الله تعالى ايمانا وكفرا وشركا فقط ولا مؤمن ولا كافر ولا مشرك الا من سماه الله تعالى بشىء من ذلك اما فى القرآن واما على لسان النبى صلى الله عليه وسلم

(قال ابو محمد) وأما من قال ان الايمان هو العقد بالقلب والاقرار باللسان دون العمل بالجوارح فلا نكفر من قال بهذه المقالة وان كانت خطا وبدعة واحتجوا بان قالوا اخبرونا عمن قال لا اله الا الله محمد رسول الله وبرئ من كل دين حاشا الاسلام وصدق بكل ماجاء به النبى صلى الله عليه وسلم واعتقد ذلك بقلبه ومات اثر ذلك أمؤمن هو أم لا فان جوابنا انه مؤمن بلا شك عند الله عزوجل وعندنا قالوا فاخبرونا اناقص الايمان هو أم كامل الايمان قالوا فان قلتم انه كامل الايمان فهذا قولنا وان قلتم انه ناقص الايمان سألنا كم ماذا نقصه

بالخامسة طبيعة من جنس هذه الطبائع بل معنى ذلك أن طبائعها خارجة عن هذه ثم هى على تركيبات يختص كل تركيب خاص بطبيعة خاصة ويتحرك بحركة خاصة ولكل متحرك محرك مزاول ومحرك مفارق والمتحركات أحياء ناطقون والحيوانية والناطقية لها بمعنى آخر وانما يحمل ذلك عليها وعلى الانسان بالاشتراك فترتب العالم كله علوية وسفلية على نظام واحد وصار النظام فى الكل محفوظا بعناية المبدأ الاول على أحسن ترتيب وأحكم قوام متوجها الى الخير وترتيب الموجودات كلها فى طباع الكل على نوع نوع ليس على ترتيب المساواة فليس حال السباع كحال الطائر لا حالها كحال النبات ولا حال النباة كحال الحيوان وليس مع هذا التفاوت منقطعا بعضها عن بعض بحيث لاينسب بعضها الى بعض بل هناك مع الاختلاف اتصال واضافة جامعة

من الايمان وماذا معه مع الايمان

(قال أبو محمد) فجوابنا وبالله تعالى التوفيق انه مؤمن ناقص الايمان بالاضافة الى من له ايمان زائد باعمال لم يعملها هذا وكل واحد فهو ناقص الايمان بالاضافة الى من هو افضل اعمالا منه حتى يبلغ الامر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا احدا تم ايمانا منه بمعنى احسن اعمالا منه واما قولهم ما الذى نقصه من الايمان فانه نقصه الاعمال التى عملها غيره والتى ربنا عزوجل اعلم بمقاديرها

(قال أبو محمد) ومما يبين ان اسم الايمان فى الشريعة منقول عن موضوعه فى اللغة وان الكفر ايضا كذلك فان الكفر فى اللغة التغطية وسمى الزراع كافر التغطيته الحب وسمى الليل كافر التغطيته كل شيء قال الله عز وجل * فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع * وقال تعالى * كزرع اعجب الكفار نباته * يعنى الزراع وقال لبيد بن ربيعة يمينها القت زكاة فى كافر . يعنى الليل ثم نقل الله تعالى اسم الكفر فى الشريعة الى جحد الربوبية وجحد نبوة نبي من الانبياء صحت نبوته فى القرآن أو جحد شيء مما اتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم مما صح عند جاحده بنقل الكافة أو عمل شيء قام البرهان بان العمل به كفر مما قد بيناه فى كتاب الايصال والحمد لله رب العالمين فلو ان انسانا قال ان محمدا عليه الصلاة والسلام كافر وكل من تبعه كافر وسكت وهو يريد كافرون بالطاغوت كما قال تعالى * فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها * لما اختلف احد من اهل الاسلام فى ان قائل هذا محكوم له بالكفر وكذلك لو قال ان ابليس وفرعون وابا جهل مؤمنون لما اختلف احد من اهل الاسلام فى ان قائل هذا محكوم له بالكفر وهو يريد مؤمنون بدين الكفر فصح عند كل ذى مسكة من تمييز أن اسم الايمان والكفر منقولان فى الشريعة عن موضوعهما فى اللغة بيقين لا شك فيه وانه لا يجوز ايقاع اسم الايمان المطلق على معنى التصديق باى شيء صدق به المرء ولا يجوز ايقاع اسم الكفر على معنى التغطية لاي شيء غطاه المرء لكن على ما اوقع الله تعالى عليه اسم الايمان واسم الكفر ولا مزيد وثبت يقينا ان ما عدا هذا ضلال مخالف للقرآن وللسنن ولاجماع اهل الاسلام اولهم عن آخرهم وبالله تعالى التوفيق وبقى حكم التصديق على حاله فى اللغة لا يختلف فى ذلك انسى ولا جنى ولا كافر ولا مؤمن فكل من صدق بشيء فهو مصدق به فمن صدق بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم ولم يصدق بما لا يتم الايمان الا به فهو مصدق بالله تعالى أو برسوله صلي الله عليه وسلم وليس مؤمنا ولا مسلما لكنه كافر مشرك لما ذكرنا وبالله تعالى التوفيق والحمد لله رب العالمين

اعترافات للمرجئية الطبقات الثلاث المذكورة

(قال أبو محمد) ان قال قائل اليس الكفر ضد الايمان قلنا وبالله تعالى التوفيق اطلاق هذا القول خطأ لان الايمان اسم مشترك يقع على معان شتى كما ذكرنا فمن تلك المعانى شيء يكون الكفر ضداً له ومنها ما يكون الفسق ضدا له لا الكفر ومنها ما يكون الترك ضدا له لا الكفر ولا الفسق فاما الايمان الذى يكون الكفر ضدا له فهو العقد بالقلب والاقرار باللسان فان الكفر ضد لهذا الايمان واما الايمان الذى يكون الفسق ضدا له لا الكفر فهو ما كان من الاعمال فرضا فان تركه ضد للعمل وهو فسق لا كفر واما الايمان الذي يكون الترك له

للكل يجمع الكل الى الاصل الاول الذى هو المبدأ لفيض الجود والنظام فى الوجود على ما يمكن فى طباع الكل أن يترتب عنه قال وترتيب الطباع فى الكل كترتيب المنزل الواحد من الارباب والاحرار والعبيد والبهائم والسباع فقد جمعهم صاحب المنزل ورتب لكل واحد مكانا خاصا وقدر له عملا خاصا ليس قد أطلق لهم أن يعملوا ما شاؤا وأحبوا فان ذلك يؤدى الى تشويش النظام فهم وان اختلفوا فى مراتبهم وانفصل بعضهم عن بعض باشكالهم وصورهم منتسبون الى مبدأ واحد صادرون عن رأيه وأمره مصرفون تحت حكمه وقدره فكذلك يجرى الحال فى العالم بأن يكون هناك أجزاء أول مفردة مقدمة لها أفعال مخصوصة مثل السموات ومحركاتها ومدبراتها وما قبلها من العقل الفعال وأجزاء مركبة متأخرة تجري أكثر أمورها على الاتفاق المخلوط بالطبع

ضدا فهو كل ما كان من الاعمال تطوعا فان تركه ضد العمل به وليس فسقا ولا كفراً برهان ذلك ماذ كرناه من ورود النصوص بتسمية الله عزوجل اعمال البر كلها ايمانا وتسميته تعالى ماسمى كفرا وماسمي فسقا وماسمى معصية وماسمى اباحة لامعصية ولا كفرا ولا ايمانا وقد قلنا ان التسمية لله عزوجل لا لاحد غيره فان قال قائل منهم اليس جحد الله عز وجل بالقلب فقط لا باللسان كفرا فلابد من نعم قال فيجب علي هذا ان يكون التصديق باللسان وحده ايمانا فجوابنا وبالله تعالى التوفيق ان هذا كان يصح لكم لو كان التصديق بالقلب وحده او باللسان وحده ايمانا وقد اوضحنا آنفا انه ليس شيء من ذلك على انفراده ايمانا وانه ليس ايمانا الا ماسماه الله عزوجل ايمانا وليس الكفر الا ماسماه الله عزوجل كفرا فقط فان قال قائل من اهل الطائفة الثالثة أليس جحد الله تعالى بالقلب وباللسان هو الكفر كله فكذلك يجب أن يكون الاقرار بالله تعالى باللسان والقلب هو الايمان كله قلنا وبالله تعالى نتايد ليس شيء مما قلتم بل الجحد لشيء مما صح البرهان انه لا ايمان الا بتصديقه كفر والنطق بشيء من كل ماقام البرهان ان النطق به كفر كفر والعمل بشيء مما قام البرهان بانه كفر كفر فالكفر يزيد وكلما زاد فيه فهو كفر والكفر ينقص وكله مع ذلك ما بقي منه ومانقص فكله كفر وبعض الكفر اعظم واشد واشنع من بعض وكله كفر وقد اخبر تعالى عن بعض الكفر انه تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا وقال عز وجل * هل تجزون الا ما كنتم تعملون * ثم قال * ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار. وقال تعالى * أدخلوا آل فرعون اشد العذاب * فاخبر تعالى ان قوما يضاعف لهم العذاب فاذ كل هذا قول الله عزوجل وقوله الحق فالجزاء علي قدر الكفر بالنص وبعض الجزاء اشد من بعض بالنصوص ضرورة والايمان ايضا يتفاضل بنصوص صحاح وردت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والجزاء عليه في الجنة يتفاضل بلاخلاف فان قال من الطبقتين الاولتين اليس من قولكم من عرف الله عزوجل والنبي صلى الله عليه وسلم واقر بهما بقلبه فقط الا انه منكر بلسانه لكل ذلك اولبعضه فانه كافر وكذلك من قولكم ان من اقر بالله عزوجل وبرسوله صلى الله عليه وسلم بلسانه فقط الا انه منكر بقلبه لكل ذلك اولبعضه فانه كافر

(قال ابو محمد) فجوابنا نعم هكذا نقول قالوا فقد وجب من قولكم اذا كان بماذكرنا كافرا ان يكون فعله ذلك كفرا ولابدا اذ لا يكون كافرا الا بكفره فيجب علي قولكم ان الاقرار بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم بالقلب كفر ولابد ويكون الاقرار بالله تعالى ايضا وبرسوله صلى الله عليه وسلم باللسان ايضا كفر ولابد وانتم تقولون انهما ايمان فقد وجب علي قولكم ان يكونا كفرا ايمانا معا وفاعلهما كافرا مؤمنا معا وهذا كما ترون

(قال أبو محمد) فجوابنا وبالله تعالى التوفيق ان هذا شغب ضعيف والزام كاذب سموه لانا لم نقل قط ان من اعتقد وصدق بقلبه فقط بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم وانكر بلسانه ذلك اوبعضه فان اعتقاده لتصديق ذلك كفر ولا انه كان بذلك كافرا وانما قلنا انه كفر بترك اقراره بذلك بلسانه فهذا هو الكفر وبه صار كافرا وبه اباح الله تعالى دمه او اخذ الجزية منه باجماعكم معنا واجماع جميع اهل الاسلام وكان تصديقه بقلبه فقط بكل ذلك لغوا محبطا كانه لم يكن ليس ايمانا ولا كفرا ولاطاعة ولامعصية قال تعالى * لئن أشركت ليحبطن عملك * وقال تعالى * يأيها الذين آمنوا لاترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي

والارادة والجبر الممزوج بالاختيار ثم ينسب الكل الي عناية البارى جلت عظمته. (المسئلة العاشرة) في أن النظام في الكل متوجه الى الخير والشر واقع في القدر بالعرض وقال لما اقتضت الحكمة الالهية نظام العالم على أحسن إحكام وإتقان لا لارادة وقصد في السافل حتى يقال انما أبدع العقل مثلا لغرض في السافل حتى يفيض مثلا على السافل فيضا بل لامر أعلى من ذلك وهو أن ذاته أبدع ما أبدع لذاته لا لعلة ولا لغرض فوجدت الموجودات كاللوازم واللواحق ثم توجهت الى الخير لانها صادرة عن أصل الخير وكان المصير في كل حال رأس واحد ثم ربما يقع شر وفساد من مصادمات في الاسباب السافلة دون العالية التي كلها خير مثل المطر الذى لم يخلق الا خيرا ونظاما للعالم فيتفق أن يخرب به بيت عجوز كان ذلك واقعا بالعرض

ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون * وبالضرورة يدرى كل مسلم ان من حبط عمله وبطل فقد سقط حكمه وتاثيره ولم يبق له رسم وكذلك لم نقل ان من اقر بلسانه وحده بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم وجحد بقلبه ان اقراره بذلك بلسانه كفر ولا انه كان به كافرا لكنه كان كافرا بجحده بقلبه لما جحد من ذلك وجحده لذلك هو الكفر وكان اقراره بكل ذلك بلسانه لغوا محبطا كما ذكرنا لا ايمانا ولا كفرا ولا طاعة ولا معصية وبالله تعالى التوفيق فسقط هذا الايهام الفاسد فان قال قائل منهم اليس بعض الايمان ايمانا وبعض الكفر كفرا واراد ان يلزمنا من هذا ان العقد بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالجوارح اذا كان ذلك ايمانا فابعاضه اذا انفردت ايمانا أو ان نقول ان ابعاض الايمان ليست ايمانا فيموه بهذا

(قال ابو محمد) فجوابنا وبالله تعالى التوفيق اننا نقول ونصرح انه ليس بعض الايمان ايمانا اصلا بل الايمان متركب من اشياء اذا اجتمعت صارت ايمان كالبلق ليس السواد وحده بلقا ولا البياض وحده بلقا فاذا اجتمعا صارا بلقا وكالباب ليس الخشب وحده بابا ولا المسامير وحدها بابا فاذا اجتمعا على شكل سمى حينئذ بابا وكالصلاة فان القيام وحده ليس صلاة ولا الركوع وحده صلاة ولا الجلوس وحده صلاة ولا القراءة وحدها صلاة ولا الذكر وحده صلاة ولا استقبال القبلة وحده صلاة اصلا فاذا اجتمع كل ذلك سمى المجتمع حينئذ صلاة وكذلك الصيام المفترض والمندوب اليه ليس صيام كل ساعة من النهار على انفرادها صياما فاذا اجتمع صيامها كلها يسمى صياما وقد يقع فى اليوم الاكل والجماع والشراب سهوا فلا يمنع ذلك من ان يكون صيامه صحيحا والتسمية لله عزوجل كما قدمنا لا لاحد دونه بل من الايمان شيء اذا انفرد كان كفرا كمن قال مصدقا بقلبه لا اله الا الله محمد رسول الله فهذا ايمان فلو افرد لا اله وسكت سكوت قطع كفر بلا خلاف من احد ثم نسألهم فنقول لهم فاذا انفرد صيامه اوصلاته دون ايمان اهى طاعة فمن قولهم لا فقد صاروا فيما أرادوا ان يموهوا به علينا من ان ابعاض الطاعات اذا انفردت لم تكن طاعة بل كانت معصية واذا اجتمعت كانت طاعة

(قال ابو محمد) فان قالوا اذا كان النطق باللسان عندكم ايمانا فيجب اذا عدم النطق بأن يسكت الانسان بعد اقراره ان يكون سكوته كفرا فيكون بسكوته كافرا قلنا ان هذا يلزمنا عندكم فما تقولون ان سألكم اصحاب محمد بن كرام فقالوا لكم اذا كان الاعتقاد بالقلب هو الايمان عندكم فيجب اذا سها عن الاعتقاد واحضاره ذكره اما فى حال حديثه مع من يتحدث اوفى حال فكره اونومه ان يكون كافرا وان يكون ذلك السهو كفرا فجوابهم انه محمول على ماصح منه من الاقرار باللسان

(قال ابو محمد) ونقول للجهمية والاشعرية فى قولهم ان جحد الله تعالى وشتمه وجحد الرسول صلى الله عليه وسلم اذا كان كل ذلك باللسان فانه ليس كفرا لكنه دليل على ان فى القلب كفرا اخبرونا عن هذا الدليل الذي ذكرتم اتقطعون به فتثبتونه يقينا ولا تشكون فى ان فى قلبه جحدا للربوبية وللنبوة ام هو دليل يجوز ويدخله الشك ويمكن ان لا يكون فى قلبه كفر ولا بد من احدهما فان قالوا انه دليل لا نقطع به قطعا ولا نثبته يقينا قلنا لهم فما بالكم تحتجون بالظن الذى قال تعالى فيه * ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغنى من

بالذات وبان لا يقع شر جزئى فى العالم لا يقتضى الحكمة أن يوجد خير كلى فان فقدان المطر أصلا شر كلى وتخريب بيت عجوز شر جزئى والعالم للنظام الكلى لا الجزئى فالشر اذا وقع فى القدر بالعرض وقال ان الهيولى قد لبست الصورة على درجات ومراتب وانما يكون لكل درجة ما يحتمله فى نفسها دون أن يكون فى الفيض الاعلى امساك عن بعض وأفاضة على بعض فالدرجة الاولى احتمالها على نحو أفضل والثانية دون ذلك والذى عندنا من العناصر دون الجميع لان كل ماهية من ماهيات هذه الاشياء انما تحتمل ما يستطيع أن يلبس من الفيض على النحو الذى كنى له ولذلك تقع العاهات والتشويهات فى البدن لما يلزم من صورة المادة الناقصة التى لا تقبل الصورة على كمالها الاول والثانى قال انا ان لم نجر الامور على

الحق شيئا * واعجب من هذا انكم انما قلتم ان اعلان الكفر انما قلنا انه دليل علي ان فى القلب كفرا لان الله تعالى سماهم كفاراً فلا يمكننا رد شهادة الله تعالى فساد هذا البلاء عليكم لانكم قطعتم انها شهادة الله عز وجل ثم لم تصدقوا شهادته ولا قطعتم بها بل شككتم فيها وهذا تكذيب من لا خفاء به واما نحن فمعاذ الله من ان نقول او نعتقد ان الله تعالى شهد بهذا قط بل من ادعى ان الله شهد بان من أعلن الكفر فانه جاحد بقلبه كذب على الله عز وجل وافترى عليه بل هذه شهادة الشيطان التى أضل بها اولياءه وما شهد الله تعالى الا بضد هذا وبانهم يعرفون الحق ويكتمونه ويعرفون ان الله تعالى حق وان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم حقا ويظهرون بالسنتهم خلاف ذلك وما سماهم الله عز وجل قط كفارا الا بما ظهر منهم بالسنتهم وافعالهم كما فعل بابليس واهل الكتاب وغيرهم وان قالوا بل يثبت بهذا الدليل ونقطع به ونوقن ان كل من أعلن بما يوجب اطلاق اسم الكفر عليه فى الشريعة فانه جاحد بقلبه قلنا لهم وبالله تعالى التوفيق هذا باطل من وجوه (اولها) انه دعوى بلا برهان (وثانيها) انه علم غيب لا يعلمه الا الله عز وجل والذى يضمره وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لم أبعث لاشق عن قلوب الناس فمدعى هذا مدعي علم غيب ومدعى علم الغيب كاذب (وثالثها) ان القران والسنن كما ذكرنا قد جاءت النصوص فيهما بخلاف هذا كما تلونا قبل (ورابعها) ان كان الامر كما تقولون فمن اين اقتصرتم بالايمان على عقد القلب فقط ولم تراعوا اقرار اللسان وكلاهما عندكم مرتبط بالآخر لا يمكن انفرادهما وهذا يبطل قولكم انه اذا اعتقد الايمان بقلبه لم يكن كافرا باعلانه الكفر فجوزتم أن يكون يعلن الكفر من يبطن الايمان فظهر تناقض مذهبهم وعظيم فساده (وخامسها) انه كان يلزمهم اذا كان اعلان الكفر باللسان دليلا علي الجحد بالقلب والكفر به ولا بد فان اعلان الايمان باللسان يجب ايضا ان يكون دليلا قاطعا باتا ولا بد علي ان فى القلب ايمانا وتصديقا لا شك فيه لان الله تعالى سمي هؤلاء مؤمنين كما سمى اولئك كفاراً ولا فرق بين الشهادتين فان قالوا ان الله تعالى قد أخبر عن المنافقين المعلنين بالايمان المبطنين للكفر والجحد قيل لهم وكذلك اعلمنا الله تعالى واخبرنا ان ابليس واهل الكتاب والكفار بالنبوة انهم يعلنون الكفر ويبطنون التصديق ويؤمنون بان الله تعالى حق وان رسوله حق يعرفونه كما يعرفون ابنائهم ولا فرق وكل ما موهتم به من الباطل والكذب فى هؤلاء امكن للكرامية مثله سواء بسواء فى المنافقين وقالوا لم يكفروا قط بابطانهم الكفر لكن لما سماهم الله بانهم آمنوا ثم كفروا علمنا انهم نطقوا بعد ذلك بالكفر والجحد بشهادة الله تعالى بذلك كما ادعيتم انتم شهادته تعالى علي ما فى نفوس الكفار ولا فرق

(قال ابو محمد) وكلتا الشهادتين من هاتين الطائفتين كذب علي الله عز وجل وما شهد الله عز وجل قط على ابليس واولى الكتاب بالكفر الا بما اعلنوه من الاستخفاف بالنبوة وبآدم وبالنبي صلى الله عليه وسلم فقط ولا شهد تعالى قط علي المنافقين بالكفر الا بما بطنوه من الكفر فقط واما هذا فتحريف للكلم عن مواضعه وافك مفترى ونعوذ بالله من الخذلان

(قال ابو محمد) ونظروا قولهم قالوا مثل هذا ان نقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل

هذا المنهاج ألجأتنا الضرورة الى أن نقع فى محالات وقع فيها من قبلنا كالثنوية وغيرهم * (المسألة الحادية عشر) فى كون الحركات سرمدية وأن الحوادث لم تزل قال ان صدور الفعل عن الحق الاول انما يتاخر لا بزمان بل بحسب الذات والفعل ليس مسبوقا بعدم بل هو مسبوق بذات الفاعل ولكن القدماء لما أرادوا أن يعبروا عن العلية افتقروا الى ذكر القبلية والقبلية فى اللفظ تتناول الزمان وكذلك فى المعنى عند من لم يتدرب وأوهمت عباراتهم ان فعل الاول الحق فعل زماني وان تقدمه تقدم زمانى (قال ونحن أثبتنا أن الحركات تحتاج الى محرك غير متحرك ثم تقول الحركات لا تخلوا اما أن تكون لم تزل أو تكون قد حدثت بعد أن لم تكن وقد كان المحرك موجودا لها بالفعل قادرا ليس يمانعه مانع من أن يكون عنه

هذه الدار اليوم الا كافر أو يقول كل من دخل هذه الدار اليوم فهو كافر قالوا فدخول تلك الدار دليل على انه يعتقد الكفر لأن دخول الدار كفر

(قال ابو محمد) وهذا كذب وتمويه ضعيف بان دخول تلك الدار فى ذلك اليوم كفر محض مجرد وقد يمكن ان يكون الداخل فيها مصدقا بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم الا ان تصديقه ذلك قد حبط بدخوله الدار وبرهان ذلك انه لا يختلف اثنان من أهل الاسلام فى ان دخول تلك الدار لا يحل البتة لعائشة ولا لابي بكر ولا لعلى ولا لاحد من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ولا لاحد من أصحابه رضى الله عنهم كما ان الله تعالى قد نص على انه علم ما فى قلوبهم وأنزل السكينة عليهم واذ ذلك كذلك فقد وجب ضرورة ان هؤلاء رضي الله عنهم لو دخلوا تلك الدار لكانوا كفارا بلا شك بنفس دخولهم فيها ولحبط ايمانهم فان قالوا لو دخلها هؤلاء لم يكفروا كانوا هم قد كفروا لانهم بهذا القول قاطعون بان كلامه صلى الله عليه وسلم كذب فى قوله لا يدخلها الا كافر واحتج بعضهم فى هذا المكان بقول الاخطل النصرانى لعنه الله اذ يقول

ان الكلام لفى الفؤاد وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

(قال ابو محمد) فيجوابنا على هذا الاحتجاج ان نقول ملعون ملعون قائل هذا البيت وملعون ملعون من جعل قول هذا النصراني حجة فى دين الله عز وجل وليس هذا من باب اللغة التى يحتج فيها بالعربي وان كان كافرا وانما هي قضية عقلية فالعقل والحس يكذب بان هذا البيت وقضية شرعية فالله عز وجل أصدق من النصراني اللعين اذ يقول عز وجل * يقولون بافواههم ما ليس فى قلوبهم * فقد أخبر عز وجل بان من الناس من يقول بلسانه ما ليس فى فؤاده بخلاف قول الاخطل لعنه الله ان الكلام لفى الفؤاد واللسان دليل على الفؤاد فاما نحن فنصدق الله عز وجل ونكذب الاخطل ولعن الله من يجعل الاخطل حجة فى دينه وحسبنا الله ونعم الوكيل فان قالوا ان الله عز وجل قال * ولتعرفنهم فى لحن القول * قلنا لولا ان الله عز وجل عرفه بهم ودله عليهم بلحن القول ما كان لحن قولهم دليلا عليهم ولم يطلق الله تعالى هذا على كل احد بل على أولئك خاصة بل قد نص تعالى على آخرين بخلاف ذلك اذ يقول * وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم * فهؤلاء من أهل المدينة منافقون مردوا على النفاق لم يعلمهم قط رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحن قولهم ولو ان الناس لم يضربوا قط كلام ربهم تعالى بعضه ببعض واخذوه كله على مقتضاه لاهتدوا لكن * من يهده الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا * وقد قال عز وجل * ان الذين ارتدوا على ادبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم واملى لهم ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما أنزل الله سنطيعكم فى بعض الامر والله يعلم اسرارهم فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم ذلك بانهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فاحبط أعمالهم * فجعلهم تعالى مرتدين كفرا بعد علمهم الحق وبعد أن تبين لهم الهدى بقوله للكفار ما قالوا فقط واخبرنا تعالى انه يعرف اسرارهم ولم يقل تعالى انها جحد او تصديق بل قد صح ان فى سرهم التصديق لان الهدى قد تبين لهم ومن تبين له شىء فلا يمكن البتة ان يجحده بقلبه اصلا واخبرنا تعالى انه قد احبط أعمالهم باتباعهم ما أسخطه وكراهيتهم رضوانه وقال تعالى * يا أيها الذين آمنوا

ولا حدث حادث فى حال ما أحدثها فرغبه وحمله على الفعل اذ كان جميع ما يحدث انما يحدث عنه وليس شيء غيره يعوقه أو يرغبه ولا يمكن أن يقال قد كان لا يقدر أن يكون عنه فقدر أو لم يرد فاراد أو لم يعلم فعلم فان ذلك كله يوجب الاستحالة ويوجب أن يكون شىء آخر غيره هو الذى أحاله وان قلنا انه منعه مانع يلزم أن يكون السبب المانع أقوى والاستحالة والتغير عن المانع حركة أخرى استدعت محركا وبالجملة كل سبب ينسب اليه الحادث فى زمان حدوثه بعد جوازه فى زمان قبله وبعده فانما ذلك السبب جزئي خاص وجب حدوث تلك الحادثة التى لم تكن قبل ذلك والا فالارادة الكلية والقدرة الشاملة والعلم الواسع العام ليس يخصص بزمان دون زمان بل نسبته الى الزمان كلها نسبة واحدة فلابد لكل حادث من سبب حادث ويتعالى عنه الواحد الحق الذى لا يجوز

لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولاتجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وأنتم لاتشعرون * فهذا نص جلي وخطاب للمؤمنين بان إيمانهم يبطل جملة واعمالهم تحبط برفع أصواتهم فوق صوت النبي صلى الله عليه وسلم دون جحد كان منهم أصلا ولو كان منهم جحد الشعروا له والله تعالى اخبرنا بان ذلك يكون وهم لايشعرون فصح ان من اعمال الجسد مايكون كفرا مبطلا لايمان فاعله جملة ومنه مالايكون كفرا لكن على ماحكم الله تعالى به في كل ذلك ولامزيد

(قال ابو محمد) فان قال قائل من أين قلتم ان التصديق لايتفاضل ونحن نجد خضرة أشد من خضرة وشجاعة أشد من شجاعة لاسيما والشجاعة والتصديق كيفيات من صفات النفس معا فالجواب وبالله تعالى التوفيق ان كل ماقبل من الكيفيات الاشد والاضعف فانما يقبلهما بمزاج يداخله من كيفية أخرى ولايكون ذلك الافيما بينه وبين ضده منها وسائط قد تمازج كل واحد من الضدين أوفيما جاز امتزاج الضدين فيه كما نجد بين الخضرة والبياض وسائط من حمرة وصفرة تمازجهما فتولد حينئذ بالممازجة الشدة والضعف وكالصحة التي هي اعتدال مزاج العضو فاذا مازج ذلك الاعتدال فضل ماكان مرضه بحسب مامازجه في الشدة والضعف والشجاعة انما هي استسهال النفس للثبات والاقدام عند المعارضة في اللقاء فاذا ثبت الاثنان فاثبانا واحدا واقدما اقداما مستويا فهما في الشجاعة سواء واذا ثبت احدهما أو اقدم فوق ثبات الآخر واقدامه كان اشجع منه وكان الآخر قد مازج ثباته او اقدامه جبن واما ما كان من الكيفيات لايقبل المزاج أصلا فلا سبيل الى وجود التفاضل فيه وكان ذلك على حسب ماخلقه الله عز وجل من كل ذلك ولامزيد كاللون فانه لاسبيل الى ان يكون لون أشد دخولا في انه لون من لون آخر اذ لو مازج التصديق غيره لصار كذبا في الوقت ولو مازج التصديق شيء غيره لصار شكا في الوقت وبطل التصديق جملة وبالله تعالى التوفيق والايمان قد قلنا انه ليس هو التصديق وحده بل اشياء مع التصديق كثيرة فانما دخل التفاضل في كثرة تلك الاشياء وقلتها وفي كيفية ايرادها وبالله تعالى التوفيق وهكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يخرج من النار من في قلبه مثقال شعيرة من ايمان ثم من في قلبه مثقال برة من ايمان ثم من في قلبه مثقال ذرة من ايمان الى ادنى ادنى من ذلك انما أراد عليه السلام من قصد الى عمل شيء من الخير اوهم به ولم يعمله بعد ان يكون مصدقا بقلبه بالاسلام مقرا بلسانه كما في الحديث المذكور من قال لا اله الا الله وفي قلبه مثقال كذا

(قال أبو محمد) ومن النصوص على ان الاعمال ايمان قول الله تعالى * فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما * فنص تعالى نصا جليا لايحتمل تأويلا وأقسم تعالى بنفسه انه لايؤمن أحد الا من حكم رسوله صلى الله عليه وسلم فيما شجر بينه وبين غيره ثم يسلم لما حكم به عليه السلام ولا يجد في نفسه حرجا مما قضي وهذه كلها أعمال باللسان وبالجوارح غير التصديق بلا شك وفي هذه كفاية لمن عقل

(قال أبو محمد) ومن العجب قولهم ان الصلاة والصيام والزكاة ليست ايمانا لكنها شرائع الايمان

(قال أبو محمد) هذه تسمية لم يأذن الله تعالى بها ولا رسوله صلى الله عليه وسلم ولا أحدا من

عليه التغير والاستحالة قال واذ لابد من محرك للحركات ومن حامل للحركات وتبين أن المحرك سرمدي فالحركات سرمدية فالمتحركات سرمدية ولو قيل ان حامل الحركة وهو الجسم لم يحدث لكنه تحرك عن سكون وجب أن تعثر على السبب الذي يغير من السكون الى الحركة فان قلنا ان ذلك الجسم حدث تقدم حدوث الجسم حدوث الحركة فقد بان ان الحركة والمتحرك والزمان الذي هو عاد الى الحركة أزلية سرمدية والحركات اما مستقيمة أو مستديرة والاتصال لايكون الا المستديرة لان المستقيم ينقطع والاتصال أمر ضروري للاشياء الازلية فان الذي يسكن ليس بازلي والزمان متصل لانه لايمكن أن يكون من ذلك قطع مبتورة فيجب من ذلك أن تكون الحركة متصلة وكانت المستديرة هي وحدها متصلة فيجب ان تكون هي أزلية فيجب

الصحابة رضي الله عنهم بل الاسلام هو الايمان وهو الشرائع والشرائع هى الايمان والاسلام وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) واختلف الناس فى الكفر والشرك فقالت طائفة هى اسمان واقعان على معنيين وان كل شرك كفر وليس كل كفر شركا وقال هؤلاء لا شرك الا قول من جعل لله شريكا قال هؤلاء اليهود والنصارى كفارا لا مشركون وسائر الملل كفار مشركون وهو قول ابي حنيفة وغيره وقال اخرون الكفر والشرك سواء وكل كافر فهو مشرك وكل مشرك فهو كافر وهو قول الشافعى وغيره

(قال ابو محمد) واحتجت الطائفة الاولى بقول الله عز وجل * لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين * قالوا ففرق الله تعالى بين الكفار والمشركين وقالوا لفظة الشرك ماخوذة من الشريك فمن لم يجعل لله تعالى شريكا فليس شركا

(قال ابو محمد) هذه عمدة حجتهم مانعلم لهم حجة غير هاتين

(قال ابو محمد) اما احتجاجهم بقول الله عز وجل * لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين * فلو لم يات فى هذا المعنى غير هذه الآية لكانت حجتهم ظاهرة لكن الذى انزل هذه الآية هو القائل * اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا * وقال تعالى * ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمى الهين من دون الله * وقال تعالى عنهم انهم قالوا أن الله ثالث ثلاثة وهذا كله تشريك ظاهر لا خفاء به فاذ قد صح الشرك والتشريك فى القرآن من اليهود والنصارى فقد صح انهم مشركون وان الشرك والكفر اسمان لمعنى واحد وقد قلنا ان التسمية لله عز وجل لا لنا فاذ ذلك كذلك فقد صح ان قوله تعالى * الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين كقوله تعالى * ان الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا * ولا خلاف بين أحد من أهل الاسلام فى أن المنافقين كفار وكقوله تعالى قل من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل فان الله عدو للكافرين * ولا خلاف فى أن جبريل وميكائيل من جملة الملائكة وكقوله تعالى * فيها فاكهة ونخل ورمان والرمان من الفاكهة والقرآن نزل بلغة العرب والعرب تعيد الشيء باسمه وان كانت قد أجملت ذكره تأكيدا لامره فبطل تعلق من تعلق بتفريق الله تعالى بين الكفار والمشركين في اللفظ وبالله تعالى التوفيق وأما احتجاجهم بان لفظ الشرك ماخوذ من الشريك فقد قلنا أن التسمية لله عز وجل لا لاحد دونه وله تعالى أن يوقع اى اسم شاء على أى مسمى شاء برهان ذلك أن من أشرك بين عبيدين له فى عمل ما أو بين اثنين فى هبة وهبها لهما فانه لا يطلق عليه اسم مشرك ولا يحل أن يقال أن فلانا أشرك ولا ان عمله شرك فصح انها لفظة منقولة أيضا عن موضوعها فى اللغة كما أن الكفر لفظة منقولة أيضا عن موضوعها إلى ما أوقعها الله تعالى عليه والتعجب من أهل هذه المقالة وقولهم ان النصارى ليسوا مشركين وشركهم اظهر وأشهر من أن يجهله أحد لانهم يقولون كلهم بعبادة الاب والابن وروح القدس وان المسيح اله حق ثم يجعلون البراهمة مشركين وهم لا يقرون الا بالله وحده ولقد كان يلزم أهل هذه المقالة أن لا يجعلوا كافرا الا من جحد الله تعالى فقط فان قال قائل كيف اتخذ اليهود والنصارى

أن يكون محرك هذه الحركة المستديرة أيضا أزليا اذ لا يكون ما هو أخس علة لما هو أفضل ولا فائدة فى محركات ساكنة غير محركة كالصور الافلاطونية فلا ينبغي ان يضع هذه الطبيعة بلا فعل فتكون متعطلة غير قادرة أن تحرك وتحيل *

(المسئلة الثانية عشر) فى كيفية تركب العناصر حكى (فرفوريوس) عنه أنه قال كل موجود ففعله مثل طبيعته فما كانت طبيعته بسيطة ففعله بسيط ففعل الله تعالى واحد بسيط وكذلك فعله الاجتلاب الى الوجود فانه موجود لكن الجوهر لما كان وجوده بالحركة كان بقاؤه أيضا بالحركة وذلك انه ليس للجوهر أن يكون موجودا من ذاته بمنزلة الوجود الاول الحق لكن من التشبه بذلك الاول الحق وكل حركة يكون اما مستقيمة أو مستديرة فالحركة المستقيمة يجب ان تكون متناهية

اربابا من دون الله وهم ينكرون هذا قلنا وبالله تعالى التوفيق ان التسمية لله عز وجل فلما كان اليهود والنصارى يحرمون ماحرم احبارهم ورهبانهم ويحلون ماأحلوا كانت هذه ربوبية صحيحة وعبادة صحيحة قددانوا بها وسمى الله تعالى هذا العمل اتخاذأرباب من دون الله وعبادة وهذا هو الشرك بلاخلاف كما سمى كفرهم بان رسول الله صلى الله عليه وسلم نبي ناسخ لما هم عليه كفر بالله عز وجل وان كانوا مصدقين به تعالى لكن لما احبط الله تعالى تصديقهم سقط حكمه جملة فان قالوا كيف تقولون ان الكفار مصدقون بالله تعالى والله تعالى يقول * لا يصلاها الا الاشقى الذى كذب وتولى * ويقول تعالى * واما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم . قلنا وبالله تعالى نتايد ان كل من خرج الى الكفر بوجه من الوجوه فلا بدله من أن يكون مكذبا بشيء مما لا يصح الاسلام الا به أورد أمر امن أمور الله عز وجل لا يصح الاسلام الا به فهو مكذب بذلك الشيء الذي رده أو كذب به ولم يقل الله تعالى الذى كذب بالله عز وجل لكن قال كذب وتولى ولا قال تعالى واما ان كان من المكذبين بالله وانما قال تعالى من المكذبين الضالين فقط فمن كذب بامر من أمور الله عز وجل لا يصح الاسلام الا به فهو مكذب على الاطلاق كما سماه الله تعالى وان كان مصدقا بالله تعالى وبما صدق به

(قال أبو محمد) فان قالوا كيف تقولون ان اليهود عارفون بالله تعالى والنصارى والله تعالى يقول . قاتلوا الذين لا يؤمنوا بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ماحرم ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب . قلنا وبالله تعالى التوفيق قد قلنا أن التسمية الى الله عز وجل لا لاحد دونه وقلنا ان اسم الايمان منقول عن موضوعه في اللغة عن التصديق المجرد الى معنى آخر زائد مع التصديق فلما لم يستوفوا تلك المعاني بطل تصديقهم جملة واستحقوا ببطلانه ان يسموا غير مؤمنين بالله ولا باليوم الآخر فان قيل فهلم مصدقون بالله وباليوم الآخر قلنا نعم فان قيل فهم موحدون لله تعالى قلنا نعم فان قيل فهم مؤمنون بالله وبالرسول وباليوم الآخر قلنا لا لان الله تعالى نص على كل ماقلنا فاخبر تعالى انهم يعرفونه ويقرون به ويعرفون نبيه صلي الله عليه وسلم وانه نبي فاقررنا بذلك وأسقط تعالى عنهم اسم الايمان فاسقطناه عنهم ومن تعدى هذه الطريقة فقد كذب ربه تعالى وخالف القرآن وعاند الرسول وخرق اجماع أهل الاسلام وكابر حسه وعقله مع ذلك وبالله تعالى التوفيق وهكذا نقول فيمن كان مسلما ثم اطلق واعتقد مايوجب الخروج عن الاسلام كالقول بنبوة انسان بعد النبى صلى الله عليه وسلم أو تحليل الخمر أو غير ذلك فانه مصدق بالله عز وجل وبرسوله صلى الله عليه وسلم موحد عالم بكل ذلك وليس مؤمنا مطلقاً ولا مؤمنا بالله تعالى ولا بالرسول صلى الله عليه وسلم ولا باليوم الآخر لما ذكرنا آنفا ولا فرق لاجماع الامة كلها على استحقاق اسم الكفر على من ذكرنا والله تعالى التوفيق وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم تسليما والحمد لله رب العالمين

الكلام في تسمية المؤمن بالمسلم والمسلم بالمؤمن وهل الايمان والاسلام اسمان لمسمى واحد ومعنى واحد أو لمسميين ومعنيين .

(قال أبو محمد) ذهب قوم الى ان الاسلام والايمان اسمان واقعان على معنيين وانه قد يكون مسلم غير مؤمن واحتجوا بقول الله عز وجل * قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا

فالجوهر يتحرك في الاقطار الثلاثة التى هى الطول والعرض والعمق على خطوط مستقيمة حركة متناهية فيصير بذلك جسما ويبقى عليه ان يتحرك بالاستدارة على الجهة التى يمكن فيها بالاستدارة حركة بلانهاية ولا يسكن فى وقت من الاوقات الا انه ليس يمكن ان يتحرك باجمعه حركة على الاستدارة وذلك ان الدائر يحتاج الى شيء ساكن في وسطه كالنقطة فانقسم الجوهر فتحرك بعضه على الاستدارة وهو الفلك وسكن بعضه فى الوسط قال وكل جسم يتحرك فيماس جسما ساكنا فى طبيعته قبول التاثير منه احدث سخونة فيه واذا سخن لطف وانحل وجف فكان طبيعة النار تلى الفلك المتحرك والجسم الذى يلى النار يبعد عن الفلك ويتحرك بحركة النار لكن جزؤ منه دون سخونة النار وهو والجسم الذي يلى الهواء

ولـكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الأيمان في قلوبكم ✽ وبالحديث المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال له سعد هل لك يارسول الله فى فلان فانه مؤمن فقـال له رسول الله صلى الله عليه وسلم . أو مسلم . وبالحديث المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أتاه جبريل صلى الله عليه وسلم فى صورة فتى غير معروف العين فساله عن الاسلام فاجابه باشياء فى جملتها اقام الصلاة وايتاء الزكاة وأعمال أخر مذكورة فى ذلك الحديث وساله عن الايمان فأجابه باشيـاء من جملتها ان تؤمن بالله وملائـكته وبحديث لايصح من أن المرء يخرج عن الايمان الى الاسلام وذهب آخرون الى ان الايمان والاسلام لفظان مترادفان على معنى واحد واحتجوا بقول الله عز وجل ✽ فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ✽ وبقوله تعالى ✽ يمنون عليك ان اسلموا قل لاتمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هدا كم للايمان ان كنتم صادقين (قال ابو محمد) والذى نقول به وبالله تعالى التوفيق ان الايمان اصله فى اللغة التصديق علي الصفة التى ذكرنا قبل ثم اوقعه الله عز وجل فى الشريعة على جميع الطاعات واجتناب المعاصى اذا قصد بكل ذلك من عمل او ترك وجه الله عز وجل وان الاسلام اصله فى اللغة التبرؤ تقول أسلمت امر كذا الى فلان اذا تبرأت منه اليه فسمى المسلم مسلما لانه تبرأ من كل شيء الى الله عز وجل ثم نقل الله تعالى اسم الاسلام ايضا الى جميع الطاعات وايضا فان التبرؤ الى الله من كل شيء هو معنى التصديق لانه لايبرأ الى الله تعالى من كل شيء حتى يصدق به فاذا اريد بالاسلام المعنى الذى هو خلاف الـكفر وخلاف الفسق فهو والايمان شيء واحد كما قال تعالى ✽ لاتمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هدا كم للايمان ✽ وقد يكون الاسلام ايضا بمعنى الاستسلام اى انه استسلم للملة خوف القتل وهو غير معتقد لها فاذا اريد بالاسلام هذا المعنى فهو غير الايمان وهو الذى اراد الله تعالى بقوله ✽ لم تؤمنوا ولـكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم وبهذا تتالف النصوص المذكورة من القرآن والسنن وقد قال تعالي ✽ ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ✽ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايدخل الجنة الا نفس مسلمة فهذا هو الاسلام الذي هو الايمان فصح ان الاسلام لفظة مشتركة كما ذكرنا ومن البرهان على انها لفظة منقولة عن موضعها فى اللغة ان الاسلام فى اللغة هو التبرؤ فاى شيء تبرأ منه المرء فقد اسلم من ذلك الشيء وهو مسلم كما ان من صدق بشيء فقد آمن به وهو مؤمن به وبيقين لاشك فيه يدرى كل واحد ان كل كافر على وجه الارض فانه مصدق باشياء كثيرة من أمور دنياه ومتبريء من اشياء كثيرة ولايختلف اثنين من أهل الاسلام فى انه لايحل لاحد ان يطلق على الـكافر من اجل ذلك انه مؤمن ولا انه مسلم فصح يقينا ان لفظة الاسلام والايمان منقولة عن موضوعها فى اللغة الي معان محدودة معروفة لم تعرفها العرب قط حتى أنزل الله عز وجل بها الوحى علي رسول الله ﷺ انه من أتى بها استحق اسم الايمان والاسلام وسمى مؤمنا مسلما ومن لم يات بها لم يسم مؤمنا ولا مسلما وان صدق بكل شيء غيرها او تبرأ من كل شيء حاشى ما اوجبت الشريعة التبرأ منه وكذلك الكفر والشرك لفظتان منقولتان عن موضوعهما فى اللغة لان الكفر في اللغة التغطية والشرك أن تشرك شيئا مع آخر فى اى معنى

لايتحرك لبعده عن المحرك له فهو بارد بسكونه ورطب بمجاورة الهواء الحار الرطب وكذلك انحل قليلا والجسم الذى في الوسـط فلانه بعد فى الغاية عن الفلك ولم يستفد من حركته شيئا ولاقبل منه تاثيرا فسكن وبرد وهو الارض واذا كانت هذه الاجسام تقبل التاثير بعضها من بعض وتختلط يتولد عنها أجسام مركبة وهى المركبـات المحسوسـات التى هى المعادن والنبات والحيوان والانسان ثم يختص بكل نوع طبيعة خاصة تقبل فيضا خاصا علي ماقدره البارى جلت قدرته ✽ (المسئلة الثالثة) عشر فى الآثار العلوية قال ارسطوطاليس الذى يتصاعد من الاجسام السفلية الى الجو ينقسم قسمين أدخنة نارية باسخان الشمس وغيرها والثانى أبخرة مائية فتصعد الى الجو وقد صحبتها أجزاء أرضية فتكاثف وتجمع بسبب ريح او غـيرها

جمع بينهما ولا خلاف بين احد من اهل التمييز فى ان كل مؤمن فى الارض فى انه يغطى اشياء كثيرة ولا خلاف بين احد من أهل الاسلام فى انه لا يجوز ان يطلق عليه من اجل ذلك الكفر ولا الشرك ولا ان يسمى كافرا ولا مشركا وصح يقينا ان الله تعالى نقل اسم الكفر والشرك الى انكار اشياء لم تعرفها العرب والى أعمال لم تعرفها العرب قط كمن جحد الصلاة أو صوم رمضان أو غير ذلك من الشرائع التى لم تعرفها العرب قط حتى انزل الله تعالى بها وحيه او كمن عبد وثنا فمن اتى بشىء من تلك الاشياء سمى كافرا او مشركا ومن لم يأت بشىء من تلك الاشياء لم يسم كافرا ولا مشركا ومن خالف هذا فقد كابر الحس وجحد العيان وخالف الله تعالى ورسوله ﷺ والقرآن والسنن واجماع المسلمين وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) واختلف الناس فى قول المسلم انا مؤمن فروينا عن ابن مسعود وجماعة من أصحابه الافاضل ومن بعده من الفقهاء انه كره ذلك وكان يقول انا مؤمن ان شاء الله وقال بعضهم آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله وكانوا يقولون من قال انا مؤمن فليقل انه من اهل الجنة

(قال ابو محمد) فهذا ابن مسعود وأصحابه حجج فى اللغة فاين جهال المرجئة المموهون فى نصر بدعتهم

(قال ابو محمد) والقول عندنا فى هذه المسئلة ان هذه صفة يعلمها المرء من نفسه فان كان يدرى انه مصدق بالله عزوجل وبمحمد صلى الله عليه وسلم وبكل ما أتي به عليه السلام وانه يقر بلسانه بكل ذلك فواجب عليه ان يعترف بذلك كما أمر تعالى اذ قال تعالى * وأما بنعمة ربك فحدث * ولا نعمة اوكد ولا افضل ولا اولى بالشكر من نعمة الاسلام فواجب عليه ان يقول انا مؤمن مسلم قطعا عند الله تعالى فى وقتى هذا ولا فرق بين قوله انا مؤمن مسلم وبين قوله انا اسود او انا ابيض وهكذا سائر صفاته التى لا يشك فيها وليس هذا من باب الامتداح والعجب فى شىء لانه فرض عليه ان يحقن دمه بشهادة التوحيد قال تعالي * قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل وأسحق ويعقوب والاسباط وما اوتى موسى وعيسي وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون * وقول ابن مسعود عندنا صحيح لان الاسلام والايمان اسمان منقولان عن موضوعهما فى اللغة الى جميع البر والطاعات فانما منع ابن مسعود من القول بانه مسلم مؤمن على معنى انه مستوف لجميع الطاعات وهذا صحيح ومن ادعى لنفسه هذا فقد كذب بلا شك وما منع رضي الله عنه من ان يقول المرء انى مؤمن بمعنى مصدق كيف وهو يقول قل آمنت بالله ورسله اى صدقت واما من قال فقل انك فى الجنة فالجواب اننا نقول ان متنا على ما نحن عليه الآن فلابد لنا من الجنة بلا شك وبرهان ذلك انه قد صح من نصوص القرآن والسنن والاجماع ان من آمن بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم وبكل ما جاء به أو لم يات بما هو كفر فانه فى الجنة الا اننا لا ندرى ما يفعل بنا فى الدنيا ولا نامن مكر الله تعالي ولا اضلاله ولا كيد الشيطان ولا ندري ماذا نكسب غدا ونعوذ بالله من الخذلان .

(قال ابو محمد) اختلف الناس فى تسمية المذنب من اهل ملتنا فقالت المرجئة هو مؤمن كامل الايمان وان لم يعمل خيرا قط ولا كف عن شر قط وقال بكر بن اخت

فيصير ضبابا أو سحابا فيصادفها برودة فتعصر ماء وثلجا وبردا فتنزل الى مركز الماء ذلك لاستحالة الاركان بعضها الى بعض فكما ان الماء يستحيل هواء فيصعد كذلك الهواء يستحيل ماء فينزل ثم الرياح والادخنة اذا احتقنت في خلال السحاب واندفعت بجرة سمع لها صوت وهو الرعد ويلمع من اصطكاكها وشدة صدمتها ضياء وهو البرق وقد يكون من الادخنة ماتكون الدهنية على مادتها أغلب فيشتعل فيصير شهابا ثاقبا وهى الشهب منها مايحترق فى الهواء فيتحجر فينزل حديدا وحجرا ومنها مايحترق نارا فيدفعها دافع فينزل صاعقة ومن المشتعلات مايبقى فيه الاشتعال ووقف تحت كوكب ودارت به النار الدائرة بدوران الفلك فكان ذنبا له وربما كان عريضا فرأى كأنه لحية كوكب وربما وقع على صقيل الظاهر من السحاب صور النيران وأضواؤها كما يقع

عبد الواحد بن زيد هو كافر مشرك كعابد الوثن باى ذنب كان منه صغيرا او كبيرا ولو فعله على سبيل المزاح وقالت الصفرية ان كان الذنب من الكبائر فهو مشرك كعابد الوثن وان كان الذنب صغيرا فليس كافرا وقالت الاباضية ان كان الذنب من الكبائر فهو كافر نعمة تحل موارثته ومناكحته واكل ذبيحته وليس مؤمنا ولا كافرا على الاطلاق وروى عن الحسن البصرى وقتادة رضي الله عنهما ان صاحب الكبيرة منافق وقالت المعتزلة ان كان الذنب من الكبائر فهو فاسق ليس مؤمنا ولا كافرا ولا منافقا واجازوا مناكحته وموارثته واكل ذبيحته قالوا وان كان من الصغائر فهو مؤمن لاشىء عليه فيها وذهب اهل السنة من اصحاب الحديث والفقهاء الى انه مؤمن فاسق ناقص الايمان وقالوا الايمان اسم معتقده واقراره وعمله الصالح والفسق اسم عمله السىء الا أن بين السلف منهم والخلف اختلافا فى تارك الصلاة عمداً حتى يخرج وقتها وتارك الصوم لو مضى كذلك وتارك الزكاة وتارك الحج كذلك وفى قاتل المسلم عمدا وفي شارب الخمر وفيمن سب نبيا من الانبياء عليهم السلام وفيمن رد حديثا قد صح عنده عن النبى صلى الله عليه وسلم فروينا عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ومعاذ بن جبل وابن مسعود وجماعة من الصحابة رضى الله عنهم وعن ابن المبارك واحمد بن حنبل واسحاق ابن راهويه رحمة الله عليهم وعن تمام سبعة عشر رجلا من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم ان من ترك صلاة فرض عامدا ذاكرا حتى يخرج وقتها فانه كافر مرتد وبهذا يقول عبد الله بن الماجشون صاحب مالك وبه يقول عبد الملك بن حبيب الاندلسى وغيره وروينا عن عمر رضى الله عنه مثل ذلك في تارك الحج وعن ابن عباس وغيره مثل ذلك فى تارك الزكاة والصيام وفى قاتل المسلم عمدا وعن ابى موسى الاشعرى وعبد الله بن عمرو بن العاص فى شارب الخمر وعن اسحق بن راهويه ان من رد صحيحا عنده عن النبى صلى الله عليه وسلم فقد كفر

(قال ابو محمد) واحتج من كفر المذنبين بقول الله عز وجل * ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون * وبقوله تعالى * فانذرتكم نارا تلظى لا يصلاها الا الاشقى الذى كذب وتولى * فهؤلاء كلهم ممن كذب وتولى والمكذب المتولى كافر فهؤلاء كفار

(قال ابو محمد) والعجب ان المرجئة المسقطة للوعيد جملة عن المسلمين قد احتجوا بهذه الآية نفسها فقالوا قد اخبرنا ان الله عز وجل ان النار لا يصلاها الا الاشقى الذى كذب وتولى فصح أن من لم يكذب ولا تولى لا يصلاها قالوا ووجدنا هؤلاء كلهم لم يكذبوا ولا تولوا بل هم مصدقون معترفون بالايمان فصح انهم لا يصلونها وان المراد بالوعيد المذكور في الآيات المنصوصة انما هو فعل تلك الافاعيل من الكفار خاصة

(قال ابو محمد) واحتج ايضا من كفر من ذكرنا باحاديث كثيرة منها سباب المسلم فسوق وقتاله كفر لا يزنى الزاني حين يزنى وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا ينهب نهبة ذات شرف حين ينهبها وهو مؤمن وترك الصلاة شرك وان كفرا بكم ان ترغبوا عن آبائكم ومثل هذا كثير

(قال ابو محمد) وما نعلم لمن قال هو منافق حجة أصلا ولا لمن قال انه كافر نعمة الا انهم نزعوا بقول الله عز وجل * الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا واحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار

مي المرآى والجدران الصقيلة فيرى ذلك على الوان مختلفة بحسب اختلاف بعدها من النير وقربها وصفائها وكدورتها فيرى هالة وقوس قزح وشموس وشهب والمجرة وذكر أسباب كل واحد من هذه في كتابه المعروف بالآثار العلوية والسماء والعالم وغيرها (المسئلة الرابعة عشر) فى النفس الانسانية الناطقة واتصالها بالبدن قال النفس الانسانية ليست بجسم ولا قوة فى جسم وله فى اثباتها مآخذ منها الاستدلال على وجودها بالحركات الاختيارية ومنها الاستدلال عليها بالتصورات العلمية أما الاول فقال لا يشك ان الحيوان يتحرك الى جهات مختلفة حركة اختيارية اذ لو كانت حركاته طبيعية أو قسرية لتحركت الى جهة واحدة لا تختلف البتة فلما تحركت الى جهات متضادة علم ان حركاته اختيارية والانسان مع انه يختار في حركاته كالحيوان

اسم

(قال ابو محمد) وهذا لا حجة لهم فيه لان كفر النعمة عمل يقع من المؤمن والكافر وليس هو ملة ولا اسم دين فمن ادعى اسم دين وملة غير الايمان المطلق والكفر المطلق فقد أتى بما لا دليل عليه وأما من قال هو فاسق لا مؤمن ولا كافر فما لهم حجة اصلا الا انهم قالوا قد صح الاجماع على انه فاسق لان الخوارج قالوا هو كافر فاسق وقال غيرهم هو مؤمن فاسق فاتفقوا على الفسق فوجب القول بذلك ولم يتفقوا على ايمانه ولا على كفره فلم يجز القول بذلك

(قال ابو محمد) وهذا خلاف لاجماع من ذكر لانه ليس منهم أحد جعل الفسق اسم دينه وانما سموا بذلك عمله والاجماع والنصوص قد صح كل ذلك على انه لا دين الا الاسلام أو الكفر من خرج من أحدهما دخل فى الآخر ولا بد اذ ليس بينهما وسيطة وكذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم وهذا حديث قد أطبق جميع الفرق المنتمية الى الاسلام على صحته وعلى القول به فلم يجعل عليه السلام ديناً غير الكفر والاسلام ولم يجعل هاهنا دينا ثالثا أصلا

(قال ابو محمد) واحتجت المعتزلة ايضا بان قالت قال الله تعالى * أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون *

(قال ابو محمد) وهذا لا حجة لهم فيه لان الله تعالى قال * افنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون * فصح ان هؤلاء الذين سماهم الله تعالى مجرمين وفساقا واخرجهم عن المؤمنين نصا فانهم ليسوا على دين الاسلام واذا لم يكونوا على دين الاسلام فهم كفار بلا شك اذ لا دين هاهنا غيرهما اصلا برهان هذا قوله تعالى * فانذرتكم نارا تلظى لا يصلاها الا الاشقى الذى كذب وتولى * وقد علمنا ضرورة انه لا دار الا الجنة او النار وان الجنة لا يدخلها الا المؤمنون المسلمون فقط ونص الله تعالى على ان النار لا يدخلها الا المكذب المتولى والمتولى المكذب كافر بلا خلاف فلا يخلد فى النار الا كافر ولا يدخل الجنة الا مؤمن فصح انه لا دين الا الايمان والكفر فقط واذ ذلك كذلك فهؤلاء الذين سماهم الله عز وجل مجرمين وفاسقين واخرجهم عن المؤمنين فهم كفار مشركون لا يجوز غير ذلك وقال المؤمن محمود محسن ولى لله عز وجل والمذنب مذموم مسىء عدو لله قالوا ومن المحال ان يكون انسان واحد محمودا مذموما محسنا مسيئا عدوا لله وليا له معا

(قال ابو محمد) وهذا الذى انكروه لا نكرة فيه بل هو امر موجود مشاهد فمن احسن من وجه واساء من وجه آخر كمن صلى ثم زنى فهو محسن محمود ولى لله فيما احسن فيه من صلاة وهو مسىء مذموم عدو لله فيما اساء فيه من الزنا قال عز وجل * وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سياء * فبالضرورة ندرى ان العمل الذى شهد الله عز وجل انه سيء فان عامله فيه مذموم مسيء عاص لله تعالى ثم يقال لهم ما تقولون ان عارضتكم المرجئة بكلامكم نفسه فقالوا من المحال ان يكون انسان واحد محمودا مذموما محسنا مسيئا عدو الله وليا له معا ثم ارادوا تغليب الحمد والاحسان والولاية واسقاط الذم والاساءة والعداوة كما اردتم انتم بهذه القضية نفسها تغليب الذم والاساءة والعداوة واسقاط الحمد والاحسان والولاية بما ينفصلون عنهم فان قالت المعتزلة ان الشرط في حمده واحسانه وولايته ان تجتنب الكبائر قلنا لهم فان عارضتكم المرجئة فقالت ان الشرط فى ذمه واساءته ولعنه وعداوته ترك شهادة التوحيد فان قلت المعتزلة

الا انه يتحرك لمصالح عقبية يراها فى عاقبة كل أمر فلا يصدر عنه حركاته الا الى غرض وكمال وهو معرفته فى عاقبة كل حال والحيوان ليست حركاته بطبعه على هذا المنهج فيجب أن يتميز الانسان بنفس خاص كما تميز الحيوان عن سائر الموجودات بنفس خاص وأما الثاني وهو المعول عليه قال لا نشك انا نعقل ونتصور أمرا معقولا صرفا مثل المتصور من الانسان انه انسان كلى يعم جميع أشخاص النوع ومحل هذا المعقول جوهر ليس بجسم ولا قوة فى جسم او صورة الجسم فانه ان كان جسما فاما أن يكون محل الصورة المعقولة طرفا منه لا ينقسم او جملته المنقسمة وبطل ان يكون طرفا منه غير منقسم فانه لو كان كذلك لكان المحل كالنقطة التى لا تميز لها فى الوضع عن الخط فان الطرف نهاية الخط والنهاية لا يكون لها نهاية أخرى والا تسلسل القول فيه

ان الله قد ذم المعاصى وتوعد عليها قيل لهم فان المرجئة تقول لكم ان الله تعالى قد حمد الحسنات ووعد عليها واراد بذلك تغليب الحمد كما اردتم تغليب الذم فاذ ذكرتم آيات الوعيد ذكروا آيات الرحمة

(قال ابو محمد) وهذا ما لا مخلص للمعتزلة منه ولا للمرجئة أيضا فوضح بهذا ان كلا الطائفتين مخطئة وان الحق هو جمع كل ما تعلقت به كلتا الطائفتين من النصوص التى في القرآن والسنن ويكفي من هذا كله قول الله عز وجل * انى لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر أو انثى * وقوله تعالى * اليوم تجزى كل نفس بما كسبت . وقوله تعالى . فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره . وقال تعالى . من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها . وقال تعالى * ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين * فصح بهذا كله انه لا يخرجه عن اسم الايمان الا الكفر ولا يخرجه عن اسم الكفر الا الايمان وان الاعمال حسنها حسن ايمان وقبيحها قبيح ليس ايمانا والموازنة تقضى على كل ذلك ولا يحبط الاعمال الا الشرك قال تعالى . لئن اشركت ليحبطن عملك وقالوا اذا اقررتم ان اعمال البر كلها ايمانا وان المعاصى ليست ايمانا فهو عندكم مؤمن غير مؤمن قلنا نعم ولا نكرة فى ذلك وهو مؤمن بالعمل الصالح غير مؤمن بالعمل السيء كما تقول محسن بما أحسن فيه مسيء غير محسن مما اساء فيه وليس الايمان عندنا التصديق وحده فيلزمنا التناقض وهذا هو معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن اى ليس مطيعا فى زناه ذلك وهو مومن بسائر حسناته واحتجوا بقول الله تعالى . وكذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا انهم لا يؤمنون . ففرق تعالى بين الفسق والايمان

(قال ابو محمد) نعم وقد اوضحنا ان الايمان هو كل عمل صالح فبيقين ندرى ان الفسق ليس ايمانا فمن فسق فلم يؤمن بذلك العمل الذى هو الفسق ولم يقل عز وجل انه لا يؤمن فى شيء من سائر اعماله وقد قال تعالى . انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم . فهولاء قد شهد الله تعالى لهم بالايمان فاذا وقع منهم فسق ليس ايمانا فمن المحال أن يبطل فسقه ايمانه فى سائر اعماله وان يبطل ايمانه فى سائر الاعمال فسقه بل شهادة الله تعالى له بالايمان فى جهاده حق وبانه لم يومن فى فسقه حق أيضا فان الله عز وجل قال . ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون . ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون . ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون فيلزم المعتزلة ان يصرحوا بكفر كل عاص وظالم وفاسق لان كل عامل بالمعصية فلم يحكم بما انزل الله

(قال ابو محمد) وأما نحن فنقول ان كل من كفر فهو فاسق ظالم عاص وليس كل فاسق ظالم عاص كافرا بل قد يكون مؤمنا وبالله تعالى التوفيق وقد قال تعالى . وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم . فبعض الظلم مغفور بنص القرآن

(قال ابو محمد) وقالوا قد وجب لعن الفساق والظالمين وقال تعالى ألا لعنة الله على الظالمين . والمؤمن يجب ولايته والدعاء له بالرحمة وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم السارق ومن

لعن

فيكون النقط متشافعة ولكل نهاية وذلك محال وان كان محل المعقول من الجسم شيء منقسم فيجب أن ينقسم المعقول بانقسام محله ومن المعلومات ما لا ينقسم البتة فان ما ينقسم يجب أن يكون شيئا كالشكل أو المقدار والانسانية الكلية المتصورة فى الذهن ليس كشكل قابل للقطع ولا كمقدار قابل للفصل فتبين أن النفس ليست بجسم ولا صورة ولا قوة فى جسم

(المسئلة الخامسة عشر) فى وقت اتصالها بالبدن ووجه اتصالها قال اذا تحقق انها ليست بجسم لم تتصل بالبدن اتصال انطباع فيه ولا حلول فيه بل اتصلت به اتصال تدبير وتصرف وانما حدثت مع حدوث البدن لا قبله ولا بعده قال لانها لو كانت موجودة قبل وجود الابدان لكانت إما متكثرة بذواتها أو متحدة وبطل الاول فان المتكثر إما أن يكون بالماهية والصورة وقد فرضناها متفقة فى النوع لا اختلاف

لعن اباه ومن غير منار الارض فيلزمكم ان تدعوا على المرء الواحد باللعنة والمغفرة معا

(قال ابو محمد) فنقول ان المؤمن الفاسق يتولى دينه وملته وعقده واقراره ويتبرأ من عمله الذي هو الفسق والبراءة والولاية ليست من عين الانسان مجردة فقط وانما هي له اومنه بعمله الصالح او الفاسد فاذ ذلك كذلك فبيقين ندرى ان المحسن فى بعض افعاله من المؤمنين نتولاه من اجل ما أحسن فيه ونبرأ من عمله السىء فقط واما الله تعالى فانه يتولى عمله الصالح عنده ويعادى عمله الفاسد واما الدعاء باللعنة والرحمة معا فلسنا ننكره بل هو معنى صحيح وماجاء عن الله تعالى قط ولا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهي ان يلعن العاصي على معصيته ويترحم عليه لاحسانه ولو ان امرأ زنى اوسرق وحال الحول على ماله وجاهد لوجب ان يحد للزنا والسرقة ولولعن لاحسن لاعنه ويعطي نصيبه من المغنم ونقبض زكاة ماله ونصلى عليه عند ذلك لقول الله * خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم * وبيقين ندرى انه قد كان فى اولئك الذين كان عليه السلام يقبض صدقاتهم ويصلى عليهم مذنبون عصاة لا يمكن البتة ان يخلو جميع جزيرة العرب من عاص وكذلك كل من مات فى عصره عليه السلام وصلى عليه هو عليه السلام والمسلمون معه وبعده فبيقين ندرى انه قد كان فيهم مذنب بلاشك واذا صلى عليه ودعا له بالرحمة وان ذكر عمله القبيح لعن وذم

(قال ابو محمد) ونعكس عليهم هذا السؤال نفسه فى اصحاب الصغائر الذين يوقع عليهم المعتزلة اسم الايمان فهذه السؤالات كلها لازمة لهم اذ الصغائر ذنوب ومعاص بلاشك الا اننا لانوقع عليها اسم فسق ولا ظلم اذا انفردت عن الكبائر لان الله تعالى ضمن غفرانها لمن اجتنب الكبائر ومن غفر له ذنبه فمن المحال أن يوقع عليه اسم فاسق أو اسم ظالم لان هذين اسمان يسقطان قبول الشهادة ومجتنب الكبائر وان تستر بالصغاير فشهادته مقبولة لانه لاذنب له وبالله تعالى التوفيق

(قال أبو محمد) ولنا على المعتزلة الزامات أيضا تعمهم والخوارج المكفرة ننبه عليها عند نقضنا اقوال المكفرة ان شاء الله تعالى وبه نتأيد

(قال ابو محمد) ويقال لمن قال ان صاحب الكبيرة كافر قال الله عز وجل * يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى فمن عفى له من أخيه شىء فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم * فابتدأ الله عز وجل بخطاب اهل الايمان من كان فيهم من قاتل أو مقتول ونص تعالى على ان القاتل عمدا وولى المقتول اخوان وقد قال تعالى * انما المؤمنون اخوة * فصح ان القاتل عمدا مؤمن بنص القرآن وحكمه له باخوة الايمان ولا يكون للكافر مع المؤمن تلك الاخوة وقال تعالى * وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله * فهذه الآية رافعة للشك جملة فى قوله تعالى ان الطائفة الباغية على الطائفة الاخرى من المؤمنين المامور سائر المؤمنين بقتالها حتى تفىء الى امر الله تعالى اخوة للمؤمنين المقاتلين

فيها فلا تكثر ولا تمايز واما أن تكون متكثرة من جهة النسبة الى العنصر والمادة المتكثرة بالامكنة والازمنة وهذا محال أيضا فانا اذا فرضناها قبل البدن ماهية مجردة لانسبة لها الى مادة دون مادة وهى من حيث انها ماهية لا اختلاف فيها وان الاشياء التى ذواتها معان فتكثر نوعياتها بالحوامل والقوابل والمنفعلات عنها واذا كانت مجردة فمحال ان يكون بينها مغايرة ومكاثرة ولعمرى انها تبقى بعد البدن متكثرة فان الانفس قد وجد كل منها ذاتا منفردة باختلاف موادها التى كانت وباختلاف أزمنة حدوثها وباختلاف هيئات وملكات حصلت عند الاتصال بالبدن فهى حادثة مع حدوث البدن يصيره نوعا كسائر الفصول الذاتية وباقية بعد مفارقة البدن بعوارض معينة له لم توجد تلك العوارض قبل اتصالها بالبدن وبهذا الدليل فارق استاذه وفارق قدماءه وانما وجد فى أثناء كلامه مايدل

وهذا امر لا يضل عنه الا ضال وهاتان الآيتان حجة قاطعة ايضا على المعتزلة أيضا المسقطة اسم الايمان عن القاتل وعلى كل من اسقط عن صاحب الكبائر اسم الايمان وليس لاحد ان يقول انه تعالى انما جعلهم اخواننا اذا تابوا لان نص الآية انهم اخوان في حال البغي وقبل الفئة الى الحق

(قال ابو محمد) وقال بعضهم ان هذا الاقتتال انما هو التضارب

(قال ابو محمد) وهذا خطأ فاحش لوجهين احدهما انه دعوى بلا برهان وتخصيص الآية بلا دليل وما كان هكذا فهو باطل بلا شك، والثاني ان ضرب المسلم للمسلم ظلما وبغيا فسق ومعصية ووجه ثالث، وهو ان الله تعالى لو لم يرد القتال المعهود لما امرنا بقتال من لا يزيد على الملاطمة وقد عم تعالى فيها باسم البغي بكل بغى فهو داخل تحت هذا الحكم

(قال ابو محمد) وقد ذكروا قول الله عز وجل * وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ *

(قال ابو محمد) فهذه الآية بظاهرها دون تاويل حجة لنا عليهم لانه ليس فيها ان القاتل العامد ليس مؤمنا وانما فيها نهى المؤمن عن قتل المؤمن عمدا فقط لانه تعالى قال * وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا * وهكذا نقول ليس للمؤمن قتل المؤمن عمدا ثم قال تعالى * الا خطا * فاستثنى عز وجل الخطا في القتل من جملة ما حرم من قتل المؤمن للمؤمن لانه لا يجوز النهى عما لا يمكن الانتهاء عنه ولا يقدر عليه لان الله تعالى امتنا من ان يكلفنا ما لا طاقة لنا به وكل فعل خطا فلم ننه عنه بل قال تعالى . ليس عليكم جناح فيما اخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم . فبطل تعلقهم بهذه الآية وكذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض فهو ايضا على ظاهره وانما في هذا اللفظ النهى عن ان يرتدوا بعده الى الكفر فيقتتلوا في ذلك فقط وليس في هذا اللفظ ان القاتل كافر ولا فيه ايضا النهى عن القتال المجرد اصلا وانما نهى عنه في نصوص اخر من القرآن والسنن كما ليس في هذا اللفظ ايضا نهى عن الزنا ولا عن السرقة وليس في كل حديث حكم كل شريعة فبطل تعلقهم بهذا الخبر وكذلك قوله عليه السلام سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر فهو ايضا على عمومه لان قوله عليه السلام المسلم ههنا عموم للجنس ولا خلاف في ان من نابذ جميع المسلمين وقاتلهم لاسلامهم فهو كافر برهان هذا هو ما ذكرنا قبل من نص القرآن في ان القاتل عمدا والمقاتل مؤمنان وكلامه عليه السلام لا يتعارض ولا يختلف وكذلك قوله عليه السلام لا ترغبوا عن آبائكم فانه كفر لكم ان ترغبوا عن آبائكم فانه عليه السلام لم يقل كفر منكم ولم يقل انه كفر بالله تعالى نعم ونحن نقر ان من رغب عن ابيه فقد كفر بابيه وجحده ويقال لمن قال ان صاحب الكبيرة ليس مؤمنا ولكنه كافر أو فاسق ألم يقل الله عز وجل . ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولامة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم . وقال تعالى . فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن . وقال تعالى . ولا تمسكوا بعصم الكوافر . وقال تعالى . اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم اذا آتيتموهن اجورهن محصنين غير مسافحين

على انه كان يعتقد أن النفس كانت موجودة قبل وجود الابدان فحمل بعض مفسرى كلامه قوله ذلك على انه أراد به الفيض والصور الموجودة بالقوة في واهب الصور كما يقال إن النار موجودة في الخشب أو الانسان موجود في النطفة والنخلة موجودة في النواة والضياء موجود في الشمس ومنهم من أجراه على ظاهره وحكم بالتميز بين النفوس بالخواص التى لها وقال اختصت كل نفس انسانية بخاصية لم يشاركها فيه غيرها فليست متفقة بالنوع أعنى النوع الاخير ومنهم من حكم بالتميز بالعوارض التى هى مهيئة نحوها وكما انها تتمايز بعد الاتصال بالبدن بأنها كانت متمايزة في المادة كذلك تتمايز بانها ستكون متمايزة بالابدان والصنائع والافعال واستعداد كل نفس لصنعة خاصة وعلم خاص فتنهض هذه فصولا ذاتية أو عوارض لازمة لوجودها

(المسئلة السادسة عشر)

وفى

* وفى سورة النساء محصنات غير مسافحات فهذه آيات فى غاية البيان فى انه ليس فى الارض الا مؤمن أو كافر أو مؤمنة أو كافرة ولا يوجد دين ثالث وان المؤمنة حلال نكاحها للمؤمن وحرام نكاحها على الكافر وأن الكتابية حلال للمؤمن بالزواج وللكافر فخبرونا اذا زنت المرأة وهى غير محصنة أو وهى محصنة أو إذا سرقت أو شربت الخمر أو قذفت أو اكلت مال يتيم أو تعمدت ترك الغسل حتى خرج وقت الصلاة وهى عالمة بذلك أو لم تخرج زكاة مالها فكانت عندكم بذلك كافرة أو بريئة من الاسلام خارجة عن الايمان وخارجة من جملة المؤمنين أيحل للمؤمن الفاضل ابتداء نكاحها او البقاء معها على الزوجية ان كان قد تزوجها قبل ذلك أو يحرم على أبيها الفاضل أو اخيها البر أن يكونا لها وليين فى تزويجها وأخبرونا اذا زنى الرجل أو سرق أو قذف أو أكل مال يتيم أو فر من الزحف أو سحر أو ترك صلاة عمدا حتى خرج وقتها أو لم يخرج زكاة ماله فصار بذلك عندكم كافرا أو بريئا من الاسلام وخرج من الايمان وعن جملة المؤمنين ايحرم عليه ابتدا نكاح امرأة مؤمنة أو وطؤها بملك اليمين أو تحرم عليه امرأته المؤمنة التى فى عصمته فينفسخ نكاحها منه او يحرم عليه أن يكون وليا لابنته المؤمنة او اخته المؤمنة فى تزويجها وهل يحرم على التى ذكرنا والرجل الذي ذكرنا ميراث وليهما المؤمن او يحرم على وليهما المؤمن ميراثهما أو يحرم اكل ذبيحته لانه قد فارق الاسلام فى زعمكم وخرج عن جملة المؤمنين فانهم كلهم لا يقولون بشيء من هذا فى الخلاف المجرد منهم لله تعالى أن يحرم الله تعالى المؤمنة على من ليس بمؤمن فيحلونها هم ويحرم الله تعالى التى ليست مؤمنة على المؤمن الا أن تكون كتابية فيحلونها هم ويقطع الله تعالى الولاية بين المؤمن ومن ليس مؤمنا فيبقونها فى الانكاح ويحرم تعالى ذبائح من ليس مؤمنا الا أن يكون كتابيا فيحلونها هم ويقطع عز وجل الموارثة بين المؤمن ومن ليس مؤمنا فيثبتونها هم ومن خالف القرآن وثبت على ذلك بعد قيام الحجة عليه فنحن نبرأ الى الله تعالى منه

(قال أبو محمد) واكثر هذه الامور التى ذكرنا فانه لا خلاف بين أحد من أهل الاسلام فيها ولا بين فرقة من الفرق المنتمية الى الاسلام وفى بعضها خلاف نشير اليه لئلا يظن ظان اننا اغفلناه فمن ذلك الخلاف فى الزانى والزانية فان على بن ابى طالب رضى الله عنه يفسخ النكاح قبل الدخول بوقوعه من أحدهما والحسن البصرى وغيره من السلف لا يجيزون للزانى ابتداء نكاح مع مسلمة البتة ولا للزانية ايضا الا ان يتوبا وبهذا نقول نحن ليس لانهما ليسا مسلمين بل هما مسلمان ولكنها شريعة من الله تعالى واردة فى القرآن فى ذلك كما يحرم على المحرم النكاح مادام محرما وبالله تعالى التوفيق وذلك قوله تعالى * الزانى لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك وحرم ذلك على المؤمنين

(قال أبو محمد) وفى هذه الآية ايضا نص جلى على ان الزانى والزانية ليسا مشركين لان الله تعالى فرق بينهما فرقا لا يحتمل البتة ان يكون على سبيل التاكيد بل على انهما صفتان مختلفتان واذا لم يكونا مشركين فهما ضرورة مسلمان لما قد بينا قبل من ان كل كافر فهو مشرك وكل مشرك فهو كافر وكل من لم يكن كافرا أو مشركا فهو مؤمن اذ لا سبيل الى دين ثالث وبالله تعالى التوفيق ومن الخلاف فى بعض ما ذكرنا قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه وابراهيم النخعى ان المسلم اذا ارتد والمسلمة اذا لم يسلم زوجها فهى امرأته كما كانت الا انه لا يطؤها وروى عن عمر ايضا انها تخير فى البقاء معه او فراقه وكل هذا لا حجة فيه ولا حجة الا فى نص قرآن او سنة واردة عن رسول الله

فى بقائها بعد البدن وسعادتها فى العالم العقلى قال ان النفوس الانسانية اذا استكملت قوتي العلم والعمل تشبهت بالاله تعالى ووصلت الى كمالها وانما هذا التشبه بقدر الطاقة يكون إما بحسب الاستعداد واما بحسب الاجتهاد فاذا فارق البدن اتصل بالروحانيين وانخرط فى سلك الملائكة المقربين ويتم له الالتذاذ والابتهاج وليس كل لذة فهى جسمانية فان تلك اللذات لذات نفسانية عقلية وهذه اللذة الجسمانية تنتهى الى حد ويعرض للملتذ سآمة وكلال وضعف وقصور إن تعدي عن الحد المحدد بخلاف اللذات العقلية فانها حيث ما ازدادت ازداد الشوق والحرص والعشق اليها وكذلك القول فى الآلام النفسانية فانها تقع بالضد مما ذكرنا ولم يحقق المعاد الا للانفس ولم يثبت حشرا ولا نشرا ولا انحلالا لهذا الرباط المحسوس من العالم ولا ابطالا لنظامه كما ذكره القدماء فهذه نكت

صلى الله عليه وسلم

(قال ابو محمد) وأيضا فان الله عز وجل قد أمر بقتل المشركين جملة ولم يستثن منهم احدا الا كتابيا يغرم الجزية مع الصغار اورسولا حتى يؤدى رسالته ويرجع الى مأمنه اومستجيرا ليسمع كلام الله تعالى ثم يبلغ الى مامنه وأمر رسول الله ﷺ بقتل من بدل دينه فنسال كل من قال بان صاحب الكبيرة قد خرج من الايمان وبطل اسلامه وصار فى دين آخر اما الكفر واما الفسق اذا كان الزاني والقاتل والسارق والشارب للخمر والقاذف والفار من الزحف وآكل مال اليتيم قد خرج عن الاسلام وترك دينه أيقتلونه كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله أم لا يقتلونه ويخالفون الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ومن قولهم كلهم خوارجهم ومعتزليهم أنهم لا يقتلونه واما فى بعض ذلك حدود معروفة من قطع يد او جلد مائة او ثمانين وفى بعض ذلك أدب فقط وانه لا يحل الدم بشىء من ذلك وهذا انقطاع ظاهر وبطلان لقولهم لا خفاء به

(قال ابو محمد) وبعض شاذة الخوارج جسر فقال تقام الحدود عليهم ثم يستتابون فيقتلون

(قال ابو محمد) وهذا خلاف الاجماع المتيقن وخلاف للقرآن مجرد لان الله تعالى يقول * والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا وأولئك هم الفاسقون الا الذين تابوا * فقد حرم الله تعالى قتلهم وافترض استبقاءهم مع اصرارهم ولم يحمل فيهم الا رد شهادتهم فقط ولو جاز قتلهم فكيف كانوا يؤدون شهادة لا تقبل بعد قتلهم

(قال ابو محمد) وقال الله عز وجل * لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها *

(قال ابو محمد) لا خلاف بيننا وبينهم ولا بين أحد من الامة فى ان من كفر بالطاغوت وآمن بالله واستمسك بالعروة الوثقى التى لا انفصام لها فانه مؤمن مسلم فلو كان الفاسق غير مؤمن لكان كافرا ولا بد ولو كان كافرا لكان مرتدا يجب قتله وبالله تعالى التوفيق قال الله عز وجل * ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم * وقال تعالى انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين * فوجب يقينا بامر الله عز وجل ان لا يترك يعمر مساجد الله بالصلاة فيها الا المؤمنون وكلهم متفق معنا على ان الفاسق صاحب الكبائر مدعو ملزم عمارة المساجد بالصلاة مجبر على ذلك وفى اجماع الامة كلها على ذلك وعلى تركهم يصلون معنا والزامهم اداء الزكاة وأخذها منهم والزامهم صيام رمضان وحج البيت برهان واضح لا اشكال فيه على انه لم يخرج عن دين المؤمنين وانه مسلم مؤمن وقال عز وجل * يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى * الى قوله تعالى . اليوم يئس الذين كفروا من دينكم . فخاطب تعالى المؤمنين بايأس الكافرين عن دينهم ولا سبيل الى قسم ثالث وقال تعالى * ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه . فصح ان لا دين الا دين الاسلام وما عداه شىء غير مقبول وصاحبه يوم القيامة خاسر وبالله تعالى التوفيق وقال عز وجل * المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض * وقال تعالى . والذين كفرا بعضهم أولياء بعض وقال تعالى . ومن يتولهم منكم فانه منهم . وقال تعالى * هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير . فصح يقينا انه ليس فى الناس ولا فى الجن الا مؤمن أو كافر

كلامه استخرجناها من مواضع مختلفة وأكثرها من شرح ثامسطيوس والشيخ أبى على بن سينا الذى يتعصب له وينصر مذهبه ولا يقول من القدماء الا به وسنذكر طريقة ابن سينا عند ذكر فلاسفة الاسلام ونحن الآن ننقل كلمات حكمية لاصحاب ارسطوطاليس ومن نسج على منواله بعده دون الآراء العلمية اذ لا خلاف بينهم فى الآراء والعقائد ووجدت فصولا وكلمات للحكيم ارسطوطاليس من كتب متفرقة فنقلتها على الوجه وان كان فى بعضها ما يدل على أن رأيه على خلاف ما نقله ثامسطيوس واعتمده ابن سينا منها فى حدوث العالم قال الاشياء المحمولة أعنى الصور المتضادة فليس يكون أحدهما من صاحبه بل يجب أن يكون بعد صاحبه فيتعاقبان على المادة فقد بان أن الصور تبطل وتدثر فاذا دثر معنى وجب أن يكون له بدو الا ان الدثور غاية وهو أحد الحاشيتين

فمن خرج عن أحدهما دخل فى الآخر فنسألهم عن رجل من المسلمين فسق وجاهر بالكبائر وله اختان احداهما نصرانية والثانية مسلمة فاضلة لأيتهما يكون هذا الفاسق وليا فى النكاح ووارثا وعن امرأة سرقت وزنت ولها ابنا عم أحدهما يهودى والآخر مسلم فاضل أيهما يحل له نكاحها وهذا مالا خلاف فيه ولا خفاء به فصح ان صاحب الكبائر مؤمن وقال الله تعالى . ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا . وقال تعالى . انما يتقبل الله من المتقين * فاخبرونا أتأمرون الزانى والسارق والقاذف والقاتل بالصلاة وتؤدبونه ان لم يصل أم لا فمن قولهم نعم ولو قالوا لا لخالفوا الاجماع المتيقن فنقول لهم افتامرونه بما هو عليه أم بما ليس عليه وبما يمكن ان يقبله الله تعالى أم بما يوقن انه لا يقبله فان قالوا نامره بما ليس عليه ظهر تناقضهم اذ لا يجوز أن يلزم احدا ما لا يلزمه وان قالوا بل بما عليه قطعوا بانه مؤمن لان الله تعالى اخبر ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا وان قالوا انا نامره بما لا يمكن ان يقبل منه احالوا اذ من المحال ان يؤمر احد بعمل هو على يقين من انه لا يقبل منه وان قالوا بل نامره بما نرجو أن يقبل منه قلنا صدقتم وقد صح بهذا ان الفاسق من المتقين فيما عمل من عمل صالح فقط ومن الفاسقين فيما عمل من المعاصى ونسألهم أيامرون صاحب الكبيرة بتمتيع المطلقة ان طلقها أم لا فان قالوا نامره بذلك لزمهم انه من المحسنين المتقين لان الله تعالى يقول فى المتعة حقا على المحسنين وحقا على المتقين فصح ان الفاسق محسن فيما عمل من صالح ومسيء فيما عمل من سيء فان قالوا ان الصلاة عليه كما هى عندكم على الكفار أجمعين قلنا لا سواء لانها وان كان الكافر وغير المتوضيء والجنب مامورين بالصلاة معذبين على تركها فانا لا نتركهم يقيمونها أصلا بل نمنعهم منها حتى يسلم الكافر ويتوضا المحدث ويغتسل الجنب ويتوضا او يتيمم وليس كذلك الفاسق بل نجبره على اقامتها

(قال ابو محمد) وهذا لا خلاف فيه من احد الا ان الجبائى المعتزلى ومحمد بن الطيب الباقلانى ذهبا من بين جميع الامة الى ان من كانت له ذنوب فانه لا تقبل له توبة من شيء منها حتى يتوب من الجميع واتبعهما على ذلك قوم وقد ناظرنا بعضهم فى ذلك والزمناهم ان يوجبوا على كل من اذنب ذنبا واحداً ان يترك الصلاة الفرض والزكاة وصوم رمضان والجمعة والحج والجهاد لان اقامة كل ذلك توبة الى الله من تركها فاذا كانت توبته لا تقبل من شيء حتى يتوب من كل ذنب له فانه لا يقبل له توبة من ترك صلاة ولا من ترك صوم ولا من ترك زكاة الا حتى يتوب من كل ذنب له وهذا خلاف لجميع الامة ان قالوه أو تناقض ان لم يقولوه مع انه قول لا دليل لهم على تصحيحه اصلا وما كان هكذا فهو باطل قال الله تعالى * قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين * وقال تعالى * واشهدوا ذوى عدل منكم * وقال تعالى * وصالح المؤمنين * فصح يقيناً بهذا اللفظ ان فينا غير عدل وغير صالح وهما منا ونحن المؤمنون فهو مؤمن بلا شك وقال تعالى * فان تابوا * يعنى من الشرك * واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم فى الدين * وهذا نص جلى على ان من صلى من اهل شهادة الاسلام وزكى فهو اخونا فى الدين ولم يقل تعالى ما لم يات بكبيرة فصح انه منا وان اتى بالكبائر

(قال ابو محمد) فان ذكروا قول الله تعالى * مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء * وقوله تعالى . ألم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم . وراموا بذلك اثبات انه لا مؤمن ولا كافر فهذا لا حجة لهم فيه لان الله تعالى انما وصف بذلك المنافقين المبطنين للكفر المظهرين

مادل على أن جابيا جابه . فقد صح أن الكون حادث لا من شيء وان الحامل لها غير ممتنع الذات من قبولها وحمله اياها وهى ذات بدو وغاية يدل على ان حامله ذو بدو وغاية وانه حادث لا من شيء ويدل على محدث لا بدو له ولا غاية لان الدثور آخر والآخر ما كان له أول فلو كانت الجواهر والصور لم يزلا فغير جائز استحالتها لان الاستحالة دثور الصورة التى كان بها الشيء وخروج الشيء من حد الى حد ومن حال الى حال يوجب دثور الكيفية وتردد المستحيل فى الكون والفساد يدل على دثوره وحدوث أحواله يدل على ابتدائه وابتداء جزئه يدل على بدو كله وواجب ان قبل بعض ما فى العالم الكون والفساد أن يكون كل العالم قابلا له وكان له بدو يقبل الفساد واخر يستحيل الى كون فالبدو والغاية يدلان الى مبدع وقد سال بعض الدهرية ارسطوطاليس وقال اذا كان لم يزل ولا شيء

للاسلام فهم لا مع الكفار ولا منهم ولا اليهم لان هؤلاء يظهرون الاسلام واولئك لا يظهرونه ولا هم مع المسلمين ولا منهم ولا اليهم لا بطانهم الكفر وليس فى هاتين الآيتين انهم ليسوا كفاراً وقد قال عز وجل . ومن يتولهم منكم فانه منهم . فصح يقيناً أنهم كفار لا مؤمنون اصلا وبالله تعالى التوفيق ويقال لمن قال ان صاحب الكبيرة منافق مامعنى هذه الكلمة فجوابهم الذى لا جواب لاحد فى هذه المسئلة غيره هو ان المنافق من كان النفاق صفته ومعنى النفاق فى الشريعة هو اظهار الايمان وابطان الكفر فيقال له وبالله تعالى التوفيق لا يعلم مافى النفس الا الله تعالى ثم تلك النفس التى ذلك الشىء فيها فقط ولا يجوز ان نقطع علي اعتقاد احد الكفر الا باقراره بلسانه بالكفر وبوحى من عند الله تعالى ومن تعاطى علم مافى النفوس فقد تعاطى علم الغيب وهذا خطا متيقن يعلم بالضرورة وحسبك من القول سقوطا ان يؤدي الى المحال المتيقن وقد قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم رب مصل يقول بلسانه ماليس فى قلبه فقال عليه السلام اني لم ابعث لاشق عن قلوب الناس وقد ذكر الله تعالى المنافقين فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم * وممن حولكم من الاعراب منافقون لا تعلمهم نحن نعلمهم . فاذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرف المنافقين وهم معه وهو يراهم ويشاهد افعالهم فمن بعده أحرى ان لا يعلمهم ولقد كان الزناة علي عهده صلى الله عليه وسلم والسرقة وشراب الخمر ومضيعو افرض الصلاة فى الجماعة والقاتلون عمدا والقذفة فما سمي عليه السلام قط احداً منهم منافقين بل اقام الحدود فى ذلك وتوعد بحرق المنازل وامر بالدية والعفو وابقاهم فى جملة المؤمنين وأبقى عليهم حكم الايمان واسمه وقد قلنا ان التسمية فى الشريعة لله عز وجل لا لاحد دونه ولم يات قط عن الله عز وجل تسمية صاحب الكبيرة منافقا فان قالوا قد صح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال وقد ذكر خصالا من كن فيه كان منافقا خالصا وان صام وصلى وقال انى مسلم وذكر عليه السلام تلك الخصال فمنها اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر وذكر عليه السلام ان من كانت به خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها قلنا له وبالله تعالى التوفيق صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أخبرناك ان المنافق هو من أظهر شيئا وأبطن خلافه ماخوذ فى اصل اللغة من نافقاء اليربوع وهو باب فى جانب جحره مفتوح قد غطاه بشيء من تراب وهذه الخلال كلها التى ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها باطن صاحبها بخلاف مايظهر فهو منافق هذا النوع من النفاق وليس هو النفاق الذى يظن صاحبه الكفر بالله برهان ذلك ماذكرناه آنفا من اجماع الأمة علي أخذ زكاة مال كل من وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنفاق وعلى انكاحه ونكاحها ان كانت أمرأة وموارثته واكل ذبيحته وتركه يصلى مع المسلمين وعلي تحريم دمه وماله ولو تيقنا انه يبطن الكفر لوجب قتله وحرم انكاحه ونكاحها وموارثته واكل ذبيحته ولم نتركه يصلى مع المسلمين ولكن تسمية النبي صلى الله عليه وسلم من ذكر منافقا كتسمية الله عز وجل الذراع كفارا اذ يقول تعالى * كمثل غيث أعجب الكفار نباته * لان أصل الكفر فى اللغة التغطية فمن ستر شيئا فهو كافر له وأصل النفاق فى اللغة ستر شيء واظهار خلافه فمن ستر شيئا وأظهر خلافه فهو منافق فيه وليس هذان من الكفر الدينى ولا من النفاق الشرعي فى شيء وبهذا تتالف الآيات والاحاديث كلها وبالله تعالى التوفيق ثم نقول لمن قال بهذا القول هل أتيت بكبيرة قط فان قال لا قيل له هذا القول كبيرة

لانه

غيره ثم أحدث العالم فلم أحدثه فقال له لم غير جائزة عليه لان لم يقتضى علة والعلة محمولة فيما هى علة له من معل فوقه ولا علة فوقه وليس بمركب فتحيل ذاته العلل فلم عنه منفية فانما فعل ما فعل لانه جواد فقيل فيجب أن يكون فاعلا لم يزل لانه جواد لم يزل قال معنى لم يزل أن لا أول وفعل يقتضي أولا واجتماع أن يكون ما لا أول له وذو أول فى القول والذات محال متناقض قيل له فهل يبطل هذا العالم قال نعم قيل فاذا أبطله بطل الجود قال يبطله ليصوغه الصيغة التى لا تحتمل الفساد لان هذه الصيغة تحتمل الفساد تم كلامه ويعزى هذا الفصل الى سقراطيس قاله لبقراطيس وهو بكلام القدماء أشبه ومما نقل عن ارسطوطاليس تحديده العناصر الاربعة قال الحار ما خلط بعض ذوات الجنس ببعض وفرق بين بعض ذات الجنس من بعض وقال البارد ما جمع بين ذوات

لانه تزكية وقدنهى الله عزوجل عن ذلك فقال تعالى * فلاتزكوا أنفسكم * وقد علمنا انه لايعرى أحد من ذنب الاالملائكة والنبيين صلى الله عليهم وسلم وأمامن دونهم فغير معصوم بل قداختلف الناس فى عصمة الملائكة والنبيين عليهم الصلاة والسلام وان كنا قاطعين على خطأ من جوز علي أحد من الملائكة ذنباصغيرا أو كبيرا بعمد أوخطأ من جوز علي أحد من النبيين ذنبا بعمدصغيرا أو كبيرا لكنا أعلمنا انه لم يتفق علي ذلك قط وان قال بلي قد كان لى كبيرة قيل له هل كنت فى حال مواقعتك الكبيرة شاكا فى الله عزوجل أو في رسوله صلى الله عليه وسلم او كافر ابهما ام كنت موقنا بالله تعالى وبالرسول صلى الله عليه وسلم وبما اتي به موقنا بانك مسيء مخطيء فى ذنبك فان قال كنت كافرا اوشا كافهو اعلم بنفسه ويلزمه ان يفارق امرأته وامته المسلمتين ولايرث من مات له من المسلمين ثم بعد ذلك لا يجوز له ان يقطع علي غيره من المذنبين بمثل اعتقاده في الجحد ونحن نعلم بالضرورة كذب دعواه وندرى اننا فى حين ما كان مناذنب مؤمنون بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم وان قال بل كنت مؤمنا بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم فى جال ذنبي قيل له هذا ابطال منك للقول بالنفاق والقطع به علي المذنبين

(قال ابو محمد) ففى اجماع الامة كلها دون مختلف من احد منهم على ان صاحب الكبيرة مامور بالصلاة مع المسلمين وبصوم شهر رمضان والحج وباخذ زكاة ماله واباحة مناكحته وموارثته واكل ذبحيته وبتركه يتزوج المرأة المسلمة الفاضلة ويبتاع الامة المسلمة الفاضلة ويطاها وتحريم دمه وماله وان لايؤخذ منه جزية ولايصغر برهان صحيح على انه مسلم مؤمن وفى اجماع الامة كلها دون مخالف على تحريم قبول شهادته وخبره برهان علي انه فاسق فصح يقينا انه مؤمن فاسق ناقص الايمان عن المؤمن الذى ليس بفاسق قال تعالى * ياأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين * فامامن قال انه كافر نعمة فمالهم حجة اصلا الا ان بعضهم نزغ بقول الله تعالى * الذين بدلوا نعمة الله كفرا واحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار *

(قال ابو محمد) وهذا لاحجة لهم فيه لان نص الآية مبطل لقولهم لان الله تعالى يقول متصلا بقوله * وبئس القرار وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله * فصح ان الاية فى المشركين بلاشك وايضا فقد يكفر المرء نعمة الله ولايكون كافرا بل مؤمنا بالله تعالى كافرا لانعمه بمعاصيه لاكافرا علي الاطلاق وبالله تعالى التوفيق

(الكلام فيمن يكفر ولايكفر)

(قال ابو محمد) اختلف الناس فى هذا الباب فذهبت طائفة الى ان من خالفهم فى شيء من مسائل الاعتقاد اوفى شيء من مسائل الفتيا فهو كافر وذهبت طائفة الى انه كافر في بعض ذلك فاسق غير كافر فى بعضه على حسب ماأدتهم اليه عقولهم وظنونهم وذهبت طائفة الى ان من خالفهم فى مسائل الاعتقاد فهو كافر وان من خالفهم فى مسائل الاحكام والعبادات فليس كافرا ولافاسقا ولكنه مجتهد معذور ان اخطأ ماجور بنيته وقالت طائفة بمثل هذا فيمن خالفهم فى مسائل العبادات وقالوا فيمن خالفهم فى مسائل الاعتقادات ان كان الخلاف

الجنس وغير ذوات الجنس لان البرودة اذا جمدت الماء حتى صار جليدا اشتملت علي الاجناس المختلفة من الماء والنبات وغيرهما قال والرطب العسير الانحصار من نفسه اليسير الانحصار من ذات غيره واليابس اليسير الانحصار من ذاته العسير الانحصار من غيره والحدان الاولان يدلان على الفعل والآخران يدلان على الانفعال ونقل ارسطوطاليس عن جماعة من الفلاسفة أن مبادىء الاشياء هى العناصر الاربعة وعن بعضهم أن المبدأ الاول هو ظلمة وهاوية وفسروه بفضاء وخلاء وعماية وقد أثبت قوم من النصاري تلك الظلمة وسموها الظلمة الخارجة ومما خالف ارسطوطاليس استاذه افلاطن ان قال افلاطن * من الناس من يكون طبعه مهيئا لشيء لايتعداه فخالفه وقال اذا كان الطبع سليما صلح لكل شيء وكان أفلاطن يعتقد أن النفوس الانسانية أنواع يتهيا كل نوع لشيء مالا يتعداه وأرسطو طاليس يعتقد أن النفوس الانسانية نوع واحد واذا تهيا صنف

فى صفات الله عزوجل فهو كافر وان كان فيما دون ذلك فهو فاسق وذهبت طائفة الى انه لا يكفر ولا يفسق مسلم بقول قاله فى اعتقاد او فتيا وان كل من اجتهد فى شيء من ذلك فدان بما رأى انه الحق فانه ماجور على كل حال ان أصاب الحق فاجران وان أخطأ فاجر واحد وهذا قول ابن ابي ليلى وابي حنيفة والشافعى وسفيان الثورى وداود بن على رضى الله عن جميعهم وهو قول كل من عرفنا له قولا فى هذه المسئلة من الصحابة رضي الله عنهم لا نعلم منهم فى ذلك خلافا اصلا الا ما ذكرنا من اختلافهم فى تكفير من ترك صلاة متعمدا حتى خرج وقتها او ترك اداء الزكاة او ترك الحج او ترك صيام رمضان او شرب الخمر واحتج من كفر بالخلاف فى الاعتقادات باشياء نوردها ان شاء الله عزوجل

(قال ابو محمد) ذكروا حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن القدرية والمرجئة مجوس بهذه الامة وحديثا آخر تفترق هذه الامة على بضع وسبعين فرقة كلها فى النار حاشى واحدة فهى فى الجنة

(قال ابو محمد) هذان حديثان لا يصحان اصلا من طريق الاسناد وما كان هكذا فليس حجة عند من يقول بخبر الواحد فكيف من لا يقول به واحتجوا بالخبر الثابت عن رسول الله صلي الله عليه وسلم من قال لاخيه يا كافر فقد باء بالكفر احدهما

(قال ابو محمد) وهذا لا حجة لهم فيه لان لفظه يقتضى انه يأثم برميه للكفر ولم يقل عليه السلام انه بذلك كافر

(قال ابو محمد) والجمهور من المحتجين بهذا الخبر لا يكفرون من قال لمسلم يا كافر فى مشاتمة تجرى بينهما وبهذا خالفوا الخبر الذى احتجوا به

(قال ابو محمد) والحق هو ان كل من ثبت له عقد الاسلام فانه لا يزول عنه الا بنص او اجماع واما بالدعوي والافتراء فلا فوجب ان لا يكفر احد بقول قاله الا بان يخالف ماقد صح عنده ان الله تعالى قاله او ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله فيستجيز خلاف الله تعالى وخلاف رسوله عليه الصلاة والسلام وسواء كان ذلك فى عقد دين او فى نحلة او في فتيا وسواء كان ما صح من ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منقولا نقل اجماع تواترا او نقل آحاد الا ان من خالف الاجماع المتيقن المقطوع على صحته فهو أظهر فى قطع حجته ووجوب تكفيره لاتفاق الجميع على معرفة الاجماع وعلي تكفير مخالفته برهان صحة قولنا قول الله تعالى * ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا *

(قال ابو محمد) هذه الآية نص بتكفير من فعل ذلك فان قال قائل ان من اتبع غير سبيل المؤمنين فليس من المؤمنين قلنا له وبالله تعالى التوفيق ليس كل من اتبع غير سبيل المؤمنين كافرا لان الزنا وشرب الخمر واكل اموال الناس بالباطل ليست من سبيل المؤمنين وقد علمنا ان من اتبعها فقد اتبع غير سبيل المؤمنين وليس مع ذلك كافرا ولكن البرهان فى هذا قول الله عزوجل * فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما

(قال ابو محمد) فهذا هو النص الذى لا يحتمل تاويلا ولا جاء نص يخرجه عن ظاهره اصلا

لشيء تهياله كل النوع

(حكم الاسكندر الرومي)

وهو ذو القرنين الملك وليس هو المذكور فى القرآن بل هو ابن فيلفوس الملك وكان مولده في السنة الثالثة عشر من ملك دارا الاكبر سلمه أبوه الى ارسطوطاليس الحكيم المقيم بمدينة اينياس فاقام عنده خمس سنين يتعلم منه الحكمة والادب حتى بلغ أحسن المبالغ ونال من الفلسفة مالم ينله سائر تلامذته فاسترده والده حين استشعر من نفسه علة خاف منها فلما وصل اليه جدد العهد له وأقبل اليه واستولت العلة فتوفى منها واستقل الاسكندر باعباء الملك فمن حكمه أن ساله معلمه وهو فى المكتب أن أفضي اليك هذا الامر يوما أين تضعني قال حيث تضعك طاعتك ذلك الوقت وقيل له انك تعظم مؤدبك أكثر من تعظيمك والدك قال لان أبي كان سبب حياتي الفانية ومؤدبي سبب حياتي الباقية وفى رواية لان أبي كان سبب كوني ومؤدبي كان سبب تجويد حياتي وفى رواية لان أبي كان سبب كوني ومؤدبي كان سبب نطقي وقال أبو زكريا الصميري لو قيل لى هذا لقلت وطرا بالطبيعة التى اختلفت بالكون والفساد

ولاجاء برهان بتخصيصه فى بعض وجوه الايمان

(قال ابو محمد) واما ما لم تقم الحجة على المخالف للحق في اى شيء كان فلا يكون كافرا الا ان ياتى نص بتكفيره فيوقف عنده كمن بلغه وهو فى اقاصى الزنج ذكر النبي ﷺ فقط فيمسك عن البحث عن خبره فانه كافر فان قال قائل فما تقولون فيمن قال انا اشهد ان محمدا رسول الله ولا ادرى أهو قرشى ام تميمى أم فارسى ولاهل كان بالحجاز او بخراسان ولا أدري احى هو او ميت ولا ادرى لعله هذا الرجل الحاضر ام غيره قيل له ان كان جاهلا لا علم عنده بشيء من الاخبار والسير لم يضره ذلك شيئا ووجب تعليمه فاذا علم وصح عنده الحق فان عاند فهو كافر حلال دمه وماله محكوم عليه بحكم المرتد وقد علمنا ان كثيراً ممن يتعاطى الفتيا في دين الله عزوجل نعم وكثيرا من الصالحين لا يدرى كم لموت النبي ﷺ ولا أين كان ولا فى اي بلد كان ويكفيه من كل ذلك اقراره بقلبه ولسانه ان رجلا اسمه محمد ارسله الله تعالى الينا بهذا الدين

(قال ابو محمد) وكذلك من قال ان ربه جسم فانه ان كان جاهلا أو متاولا فهو معذور لاشيء عليه ويجب تعليمه فاذا قامت عليه الحجة من القرآن والسنن فخالف ما فيهما عنادا فهو كافر يحكم عليه بحكم المرتد وأما من قال ان الله عزوجل هو فلان لانسان بعينه أو ان الله تعالى يحل في جسم من أجسام خلقه أو ان بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبيا غير عيسى بن مريم فانه لا يختلف اثنان فى تكفيره لصحة قيام الحجة بكل هذا على كل أحد ولو امكن ان يوجد احد يدين بهذا لم يبلغه قط خلافه لما وجب تكفيره حتى تقوم الحجة عليه

(قال ابو محمد) وأما من كفر الناس بما تؤول اليه اقوالهم فخطأ لانه كذب على الخصم وتقويل له مالم يقل به وان لزمه فلم يحصل على غير التناقض فقط والتناقض ليس كفرا بل قد احسن اذ فر من الكفر وايضا فانه ليس للناس قول الا ومخالف ذلك القول يلزم خصمه الكفر فى فساد قوله وطرده فالمعتزلة تنسب الينا تجوير الله عز وجل وتشبيهه بخلقه ونحن ننسب اليهم مثل ذلك سواء بسواء ونلزمهم أيضا تعجيز الله عزوجل وانهم يزعمون انهم يخلقون كخلقه وان له شركاء فى الخلق وانهم مستغنون عن الله عزوجل ومن أثبت الصفات يسمي من نفاها باقية لانهم قالوا تعبدون غير الله تعالى لان الله تعالى له صفات وأنتم تعبدون من لا صفة له ومن نفى الصفات يقول لمن أثبتها انتم تجعلون مع الله عزوجل أشياء لم تزل وتشركون به غيره وتعبدون غير الله لان الله تعالى لا أحد معه ولا شيء معه فى الازل وأنتم تعبدون شيئا من جملة أشياء لم تزل وهكذا فى كل ما اختلف فيه حتى فى السكون والجزء وحتى فى مسائل الاحكام والعبادات فاصحاب القياس يدعون علينا خلاف الاجماع واصحابنا يثبتون عليهم خلاف الاجماع واحداث شرائع لم ياذن الله عزوجل بها وكل فرقة فهى تنتفى مما تسميها به الاخرى وتكفر من قال شيئا من ذلك فصح انه لا يكفر احد الا بنفس قوله ونص معتقده ولا ينتفع احد بان يعبر عن معتقده بلفظ يحسن به قبحه لكن المحكوم به هو مقتضى قوله فقط واما الاحاديث الواردة فى ان ترك الصلاة شرك فلا تصح من طريق الاسناد واما الاخبار التى فيها من قال لا إله الا الله دخل الجنة فقد جاءت احاديث اخر بزيادة على هذا الخبر لا يجوز ترك تلك الزيادة وهى قوله عليه السلام امرت ان اقاتل الناس حتى

ومؤدبى أفادنى العقل الذى به انطلقت الى ما ليس فيه الكون والفساد وجلس الاسكندر يوما فلم يساله أحد حاجته فقال لاصحابه والله ما أعد هذا اليوم أيام من عمرى فى ملكي قيل ولم أيها الملك قال لان الملك لا يوجد التلذذ به الا على السائل بالجود واغاثة الملهوف ومكافاة المحسن والا بانالة الراغب واسعاف الطالب وكتب اليه ارسطوطاليس فى كلام طويل أجمع فى سياستك بين بدار لا حدة فيه وريث لا غفلة معه وامزج كل شيء بشكله حتى تزداد قوة وعزة عن ضده حتى يتميز لك بصورته ومن وعدك من الخلف فانه شين وشب وعيدك بالعفو فانه زين وكن عبدا للحق فان عبد الحق حر وليكن وكدك الاحسان الى جميع الخلق ومن الاحسان وضع الاساءة فى موضعها واظهر لاهلك أنك منهم ولاصحابك أنك بهم ولرعيتك أنك لهم وتشاور الحكماء فى أن يسجدوا له اجلالا وتعظيما قال لا سجود لغير بارىء الكل بل يحق له السجود على من كساه بهجة الفضائل وأغلظ له رجل من أهل

يقولوا لا إله الا الله وانى رسول الله ويؤمنوا بما ارسلت به فهذا هو الذى لا ايمان لاحد بدونه

(قال ابو محمد) واحتج بعض من يكفر من سب الصحابة رضي الله عنهم بقول الله عز وجل * محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم . الى قوله . ليغيظ بهم الكفار : قال فكل من أغاظه احد من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كافر

(قال ابو محمد) وقد أخطا من حمل الآية على هذا لان الله عز وجل لم يقل قط ان كل من غاظه واحد منهم فهو كافر وانما اخبر تعالى انه يغيظ بهم الكفار فقط ونعم هذا حق لا ينكره مسلم وكل مسلم فهو يغيظ الكفار وايضا فانه لا يشك احد ذو حس سليم فى ان عليا قد غاظ معاوية وان معاوية وعمرو بن العاص غاظا عليا وان عمار أغاظ ابا العادية وكلهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد غاظ بعضهم بعضا فيلزم على هذا تكفير من ذكرنا وحاشى لله من هذا

(قال ابو محمد) ونقول لمن كفر انسانا بنفس مقالته دون ان تقوم عليه الحجة فيعاند رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجد فى نفسه الحرج مما أتى به اخبرنا هل ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا من الاسلام الذى يكفر من لم يقل به الا وقد بينه ودعا اليه الناس كافة فلا بد من نعم ومن انكر هذا فهو كافر بلا خلاف فاذا اقر بذلك سئل هل جاء قط عن النبى صلى الله عليه وسلم انه لم يقبل ايمان اهل قرية او أهل محلة او انسان اتاه من حر او عبد او امرأة الا حتى يقر ان الاستطاعة قبل الفعل او مع الفعل او ان القرآن مخلوق او ان الله تعالى يرى او لا يرى او ان له سمعا او بصرا او حياة او غير ذلك من فضول المتكلمين التى اوقعها الشيطان بينهم ليوقع بينهم العداوة والبغضاء فان ادعى ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يدع احدا يسلم الا حتى يوقفه على هذه المعانى كان قد كذب باجماع المسلمين من أهل الارض وقال ما يدرى انه فيه كاذب وادعى ان جميع الصحابة رضى الله عنهم تواطؤا على كتمان ذلك من فعله عليه السلام وهذا محال ممتنع فى الطبيعة ثم فيه نسبة الكفر اليهم اذ كتموا ما لا يتم اسلام احد الا به وان قالوا انه صلى الله عليه وسلم لم يدع قط احدا الى شىء من هذا ولكنه مودع فى القرآن وفى كلامه صلى الله عليه وسلم قيل له صدقت وقد صح بهذا انه لو كان جهل شىء من هذا كله كفرا لما ضيع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيان ذلك للحر والعبد والحرة والامة ومن جوز هذا فقد قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبلغ كما امر وهذا كفر مجرد ممن أجازه فصح ضرورة ان الجهل بكل ذلك لا يضر شيئا وانما يلزم الكلام منها اذا خاض فيها الناس فيلزم حينئذ بيان الحق من القرآن والسنة لقول الله عز وجل : كونوا قوامين لله شهداء بالقسط • ولقول الله عز وجل . لتبيننه للناس ولا تكتمونه . فمن عند حينئذ بعد بيان الحق فهو كافر لانه لم يحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا سلم لما قضى به وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا لم يعمل خيرا قط فلما حضره الموت قال لاهله اذا مت فاحرقونى ثم ذروا رمادى فى يوم راح نصفه فى البحر ونصفه فى البر فوالله لئن قدر الله تعالى على ليعذبنى عذابا لم يعذبه أحدا من خلقه وان الله عز وجل جمع رماده فاحياه وساله ما حملك على ذلك قال خوفك يارب وان الله تعالى غفر له لهذا القول

(قال ابو محمد) فهذا انسان جهل الى ان مات ان الله عز وجل يقدر على جمع رماده واحيائه وقد غفر له لاقراره وخوفه وجهله وقد قال بعض من يحرف الكلم عن مواضعه ان معنى لئن قدر الله على انما هو لئن ضيق الله على كما قال تعالى . واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه .

اثينية فقام اليه بعض قواده ليقابله بالواجب فقال له الاسكندر دعه لا تنحط الى دناءته ولكن ارفعه الى شرفك وقال من كنت تحب الحياة لاجله فلا تستعظم الموت بسببه وقيل له ان روشنك امرأتك ابنت دارا الملك وهى من أجمل النساء فلو قربتها الى نفسك قال اكره ان يقال غلب الاسكندر دارا وغلبت روشنك الاسكندر وقال من الواجب على أهل الحكمة أن يسرعوا الى قبول اعتذار المذنبين وان يبطؤا عن العقوبة وقال سلطان العقل على باطن العاقل أشد تحكما من سلطان السيف على ظاهر الاحمق وقال ليس الموت بالم النفس بل للجسد وقال الذى يريد أن ينظر الى أفعال الله مجردة فليعف عن الشهوات وقال ان نظم جميع ما فى الارض شبيه بالنظم السماوى لانها أمثال له بحق وقال العقل لا يألم فى طلب معرفة الاشياء بل الجسد يألم ويسام وقال النظر فى المرآة يرى رسم الوجه وفى أقاويل الحكماء يرى رسم النفس ووجدت فى عضده صحيفة فيها قلة الاسترسال الى الدنيا أسلم والاتكال على القدر أروح وعند حسن

(قال ابو محمد) وهذا تاويل باطل لا يمكن لانه كان يكون معناه حينئذ لئن ضيق الله علي ليضيقن علي وايضا فلو كان هذا لما كان لامره بان يحرق ويذرر ماده معني ولا شك في انه انما امر بذلك ليفلت من من عذاب الله تعالى

(قال أبو محمد) واين من شيء في هذا قول الله تعالي * واذ قال الحوواريون ياعيسى بن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء * الى قوله * ونعلم ان قد صدقتنا * فهؤلاء الحواريون الذين أثنى الله عزوجل عليهم قد قالوا بالجهل لعيسى عليه السلام هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء ولم يبطل بذلك ايمانهم وهذا مالا مخلص منه وانما كانوا يكفرون لو قالوا ذلك بعد قيام الحجة وتبيينهم لها

(قال أبو محمد) وبرهان ضروري لا خلاف فيه وهو ان الامة مجمعة كلها بلا خلاف من أحد منهم وهو ان كل من بدل آية من القرآن عامدا وهو يدرى انها في المصاحف بخلاف ذلك واسقط كلمة عمداً كذلك او زاد فيها كلمة عامدا فانه كافر باجماع الامة كلها ثم ان المرء يخطيء في التلاوة فيزيد كلمة وينقص اخرى ويبدل كلامه جاهلا مقدرا انه مصيب ويكابر في ذلك ويناظر قبل ان يتبين له الحق ولا يكون بذلك عند أحد من الامة كافراً ولا فاسقا ولا آثما فاذا وقف على المصاحف أو أخبره بذلك من القراء من تقوم الحجة بخبره فان تمادى على خطاه فهو عند الامة كلها كافر بذلك لا محالة وهذا هو الحكم الجارى في جميع الديانة

(قال ابو محمد) واحتج بعضهم بان قال الله تعالى * قل هل انبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا *

(قال ابو محمد) وآخر هذه الآية مبطل لتأويلهم لان الله عزوجل وصل قوله يحسنون صنعا بقوله * أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت اعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ذلك جزاؤهم جهنم واتخذوا آياتي ورسلي هزوا * فهذا يبين ان اول الآية في الكفار المخالفين لديانة الاسلام جملة ثم نقول لهم لو نزلت هذه الآية في المتاولين من جملة أهل الاسلام كما تزعمون لدخل في جملتها كل متأول مخطيء في تاويل في فتيا لزمه تكفير جميع الصحابة رضى الله عنهم لانهم قد اختلفوا وبيقين ندرى ان كل امرء منهم فقد يصيب ويخطيء بل يلزمه تكفير جميع الامة لانهم كلهم لا بد من أن يصيب كل امرىء منهم ويخطيء بل يلزمه تكفير نفسه لانه لا بد لكل من تكلم في شيء من الديانة من أن يرجع عن قول قاله الى قول آخر يتبين له انه اصح الا ان يكون مقلدا فهذه أسوأ لان التقليد خطا كله لا يصح ومن بلغ الي هاهنا فقد لاح غوامر قوله وبالله تعالى التوفيق وقد اقر عمر بن الخطاب رضى الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم انه لم يفهم آية الكلالة فما كفره بذلك ولا فسقه ولا اخبره انه آثم بذلك لكن أغلظ له في كثرة تكراره السؤال عنها فقط وكذلك أخطا جماعة من الصحابة رضى الله عنهم في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الفتيا فبلغه عليه السلام ذلك فما كفر بذلك أحدا منهم ولا فسقه ولا جعله بذلك آثما لانه لم يعانده عليه السلام أحد منهم وهذا كفتيا ابي السنابل بن بعكك في آخر الاجلين والذين افتوا على الزانى غير المحصن الرجم وقد تقصينا هذا في كتابنا المرسوم بكتاب الاحكام في اصول الاحكام هذا وايضا فان الآية المذكورة

الظن تقر العين ولا ينفع مما هو واقع التوقى وأخذ يوما تفاحة فقال ما ألطف قبول هذه الهيولى الشخصية لصورتها وانفعالها لما تؤثر الطبيعة فيها من الاصباغ الروحانية من تركيب بسيط وبسيط مركب حسب تمثل العقل لها كل ذلك دليل على ابداع مبدع الكل واله الكل ولو قيل ألطف منها قبول هذه النفس الانسانية لصورتها العقلية وانفعالها لما تؤثر النفس الكلى فيها من العلوم الروحانية من تركيب بسيط وبسيط مركب حسب تمثل العقل لها كل ذلك على ابداع مبدع الكل وساله اطوسايس الكلبي أن يعطيه ثلاث حبات فقال الاسكندر ليس هذه عطية ملك فقال الكلبي اعطنى مائة رطل من الذهب فقال ولا هذا مسئلة كلبي وقال بعضهم كنا عند شبر المنجم اذا وصل الينا انهاء الملك واقامنا في جوف الليل وأدخلنا بستانا ليرينا النجوم فجعل شبر يشير اليها بيده ويسير حتى سقط في بئر فقال من تعاطي علم ما فوقه فلا يجهل ما تحته وقال السعيد من لا يعرفنا

لاتخرج طي قول احدممن خالفنا الابحذف وذلك انهم يقولون ان الذين في قوله تعالى الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا هو خبرا ابتداء مضمر ولايكون ذلك الابحذف الابتداء كانه قال هم الذين ولايجوز لاحدان يقول في القرآن حذفا الابنص آخر جلي يوجب ذلك أو اجماع طي ذلك أوضرورة حس فبطل قولهم وصار دعوى بلا دليل وأمانحن فان لفظة الذين عندنا طي موضوعها دون حذف وهو نعت للاخسرين ويكون خبراً لابتداء قوله تعالى أولئك الذين كفروا وكذلك قوله تعالى * ويحسبون انهم طي شيء الا انهم هم الكاذبون . فنعم هـذه صفة القوم الذين وصفهم الله تعالى بهذا في أول الآية ورد الضمير اليهم وهم الكفار بنص أول الآية وقال قائلهم أيضا فاذا عذرتم للمجتهدين اذا أخطأوا فاعذروا اليهود والنصارى والمجوس وسائر الملل فانهم أيضا مجتهدون قاصدون الخير فجوابنا وبالله تعالى التوفيق انا لم نعذر من عذرنا بآرائنا ولا كفرنا من كفرنا بظننا وهوانا وهذه خطة لم يؤتها الله عز وجل أحدا دونه ولايدخل الجنة والنار أحدا بل الله تعالى يدخلها من شاء فنحن لانسمى بالايمان الامن سماه الله تعالى به كل ذلك طي لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ولايختلف اثنان من أهل الارض لانقول من المسلمين بل من كل ملة في ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قطع بالكفر طي أهل كل ملة غير الاسلام الذين تبرأ أهله من كل ملة حاشي التى اتاهم بها عليه السلام فقط فوقفنا عند ذلك ولايختلف أيضا اثنان في انه عليه السلام قطع باسم الايمان طي كل من اتبعه وصدق بكل ماجاء به وتبرأ من كل دين سوي ذلك فوقفنا أيضا عند ذلك ولامزيد فمن جاء نص في اخراجه عن الاسلام بعد حصول اسم الاسلام له اخرجناه منه سواء أجمع طي خروجه منه اولم يجمع وكذلك من أجمع اهل الاسلام طي خروجه عن الاسلام فواجب اتباع الاجماع في ذلك واما من لانص في خروجه عن الاسلام بعد حصول الاسلام له ولا اجماع في خروجه ايضا عنه فلا يجوز اخراجه عما قد صح يقينا حصوله فيه وقد نص الله تعالى طي ماقلنا فقال * ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين . وقال تعالى . ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا * وقال تعالى . قل أبالله وآياته ورسله كنتم تستهزؤون لاتعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم * فهولاء كلهم كفار بالنص وصح الاجماع طي ان كل من جحد شيئا صح عندنا بالاجماع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى به فقد كفر وصح بالنص ان كل من استهزأ بالله تعالى او بملك من الملائكة اوبنبي من الانبياء عليهم السلام اوبآية من القرآن اوبفريضة من فرائض الدين فهى كلها آيات الله تعالى بعد بلوغ الحجة اليه فهو كافر ومن قال بنبي بعد النبي عليه الصلاة والسلام او جحد شيئا صح عنده بان النبي صلى الله عليه وسلم قاله فهو كافر لانه لم يحكم النبي صلي الله عليه وسلم فيما شجر بينه وبين خصمه

(قال ابو محمد) وقد شقق اصحاب الكلام فقالوا ماتقولون فيمن قال له النبي صلى الله عليه وسلم قم صل فقال لاافعل اوقال له النبي صلى الله عليه وسلم ناولني ذلك السيف ادفع به عن نفسي فقال له لاافعل

(قال ابوا محمد) وهذا امر قد كفوا وقوعه ولافضول اعظم من فضول من اشتغل بشيء

ولانعرفه لانا اذا عرفناه أطلنا يومه وأطرنا نومه وقال استقلل كثير ماتعطي واستكثر قليل ماتاخذ فان قرة عين الكريم فيما يعطى ومسرة اللئيم فيما ياخذ ولا تجعل الشحيح أمينا ولا الكذاب صفيا فانه لا عفة مع شح ولا أمانة مع كذب وقال الظفر بالحزم والحزم باجالة الرأى واجالة الرأى بتحصين الاسرار ولما توفى الاسكندر برومية المدائن وضعوه في تابوت من ذهب وحملوه الى الاسكندرية وكان قد عاش اثنين وثلاثين سنة وملك اثنى عشرة سنة وندبه جماعة من الحكماء الندبة فقال بليموس هذا يوم عظيم العبرة أقبل من شره ماكان مدبرا وادبر من خيره ماكان مقبلا فمن كان باكيا على من قد زال ملكه فليبكه وقال ميلاطوس خرجنا الى الدنيا جاهلين وأقمنا فيها غافلين وفارقناها كارهين وقال زينون الاصغر ياعظيم الشان ما كنت الا ظل سحاب اضمحل فلما أضل فما نحس للملك أثرا ولا نعرف له خبرا قال افلاطن الثانى أيها ساعى المتعصب جمعت ماخذلك ماتولى عنك

قد أيقن انه لايكون ابدا ولكن الذى كان ووقع فاننا نتكلم فيه ولاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

(قال ابو محمد) قد أمر النبي صلى الله عليه وسلم افضل أهل الارض وهم أهل الحديبية بان يحلقوا وينحروا فتوقفوا حتى أمرهم ثلاثا وغضب عليه السلام وشكا ذلك الى ام سلمة فما كفروا بذلك ولكن كانت معصية تداركهم الله بالتوبة منها وما قال مسلم قط انهم كفروا بذلك لانهم لم يعاندوه ولا كذبوه وقد قال سعد بن عبادة والله يارسول الله لاز وجدت لكاع يتفخذها رجل ادعهما حتى آتي باربعة شهداء قال نعم قال اذن والله يقضى اربه والله لاتجللنهما السيف فلم يكن بذلك كافراً اذلم يكن عانداً ولا مكذبا بل أقر انه يدرى ان الله تعالى امر بخلاف ذلك وسألوا ايضا عما قال انا ادري ان الحج الى مكة فرض ولكن لاادري اهى بالحجاز ام بخراسان ام بالاندلس وأنا ادري ان الخنزير حرام ولكن لاادرى اهو هذا الموصوف الاقرن ام الذى يحرث به

(قال ابو محمد) وجوابنا هو ان من قال هذا فان كان جاهلا علم ولاشيء عليه فان المشبيين لايعرفون هذا اذا أسلموا حتى يعلموا وان كان عالما فهو عابث مستهزىء بآيات الله تعالى فهو كافر مرتد حلال الدم والمال ومن قذف عائشة رضى الله عنها فهو كافر لتكذيبه القرآن وقد قذفها مسطح وحمنة فلم يكفرا لانهما لم يكونا حينئذ مكذبين لله تعالى ولو قذفاها بعد نزول الآية لكفرا واما من سب احداً من الصحابة رضى الله عنهم فان كان جاهلا فمعذور وان قامت عليه الحجة فتمادى غير معاند فهو فاسق كمن زنى وسرق وان عاند الله تعالى فى ذلك ورسوله صلى الله عليه وسلم فهو كافر وقد قال عمر رضى الله عنه بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم عن حاطب وحاطب مهاجر بدرى دعنى اضرب عنق هذا المنافق فما كان عمر بتكفيره حاطبا كافرا بل كان مخطئا متاولا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آية النفاق بغض الانصار وقال لعلى لايبغضك الامنافق

(قال ابو محمد) ومن أبغض الانصار لاجل نصرتهم للنبي صلى الله عليه وسلم فهو كافر لانه وجد الحرج في نفسه مما قضى الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم من اظهار الايمان بايديهم ومن عادى عليا لمثل ذلك فهو ايضا كافر وكذلك من عادى من ينصر الاسلام لاجل نصرة الاسلام لا لغير ذلك وقد فرق بعضهم بين الاختلاف فى الفتيا والاختلاف فى الاعتقاد بان قال قد اختلف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الفتيا فلم يكفر بعضهم بعضا ولافسق بعضهم بعضا

(قال ابو محمد) وهذا ليس بشيء فقد حدث انكار القدر فى أيامهم فما كفرهم اكثر الصحابة رضى الله عنهم وقد اختلفوا فى الفتيا واقتتلوا على ذلك وسفكت الدماء كاختلافهم فى تقديم بيعة على على النظر فى قتلة عثمان رضى الله عنهم وقد قال ابن عباس رضي الله عنه من شاء باهلته عند الحجر الاسود ان الذى احصى رمل عالج لم يجعل فى فريضة واحدة نصفا ونصفا وثلثا

(قال أبو محمد) وهنا اقوال غريبة جدا فاسدة منها ان اقواما من الخوارج قالوا كل معصية فيها حد فليست كفرا وكل معصية لاحد فيها فهي كفر

(قال أبو محمد) وهذا تحكم بلا برهان ودعوى بلا دليل وما كان هكذا فهو باطل قال تعالى ❁

فلزمتك أوزاره وعاد على غيرك مهناه وثماره وقال فوطس ألا تتعجبوا ممن لم يعظنا اختيارا حتى وعظنا بنفسه اضطرارا وقال مطور قد كنا بالامس نقدر على الاستماع ولانقدر على القول واليوم نقدر على القول فهل نقدر على الاستماع وقال ثاون انظروا الى حلم النائم كيف انقضى والى ظل الغمام كيف انجلى وقال سوس كم قد أمات هذا الشخص لئلا يموت فمات فكيف لم يدفع الموت عن نفسه بالموت وقال حكيم طوى الارض العريضة فلم يقنع حتى طوي منها فى زراعين وقال آخر ماسافر الاسكندر سفرا بلا اعوان ولا آلة ولاعدة الا سفره هذا وقال آخر ما ارغبنا فيما فارقت واغفلنا عما عاينت وقال آخر لم يؤدبنا بكلامه كما ادبنا بسكوته وقال آخر من ير هذا الشخص فليتق وليعلم ان الدنيا هكذا قضاؤها وقال آخر قد كان بالامس طلعته علينا حياة واليوم النظر اليه سقم وقال آخر قد كان يسال عما قبله ولا يسال عما بعده وقال آخر من شدة حرصه على الارتفاع انحط وكله قال آخر الآن يضطرب

قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين * فصح ان من لا برهان له طي قوله فليس صادقا فيه

(قال أبو محمد) فصح بما قلنا ان كل من كان على غير الاسلام وقد بلغه امر الاسلام فهو كافر ومن تاءول من أهل الاسلام فاخطا فان كان لم تقم عليه الحجة ولا تبين له الحق فهو معذور ماجور اجرا واحدا لطلبه الحق وقصده اليه مغفور له خطؤه اذ لم يعتمده لقول الله تعالى * وليس عليكم جناح فيما أخطاتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم * وان كان مصيبا فله اجران اجر لاصابته واجر آخر لطلبه اياه وان كان قد قامت الحجة عليه وتبين له الحق فعند عن الحق غير معارض له تعالى ولا لرسوله صلى الله عليه وسلم فهو فاسق لجراءته على الله تعالى باصراره على الامر الحرام فان عند عن الحق معارضا الله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم فهو كافر مرتد حلال الدم والمال لا فرق فى هذه الاحكام بين الخطا فى الاعتقاد فى اي شيء كان من الشريعة وبين الخطا فى الفتيا فى اى شيء كان على ما بينا قبل

(قال ابو محمد) ونحن نختصر ههنا ان شاء الله تعالى ونوضح كل ما اطلنا فيه قال تعالى . وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا . وقال تعالى . لانذركم به ومن بلغ . وقال تعالي فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما . فهذه الآيات فيها بيان جميع هذا الباب فصح انه لا يكفر احد حتى يبلغه امر النبى صلى الله عليه وسلم فان بلغه فلم يؤمن به فهو كافر فان آمن به ثم اعتقد ماشاء الله ان يعتقده فى نحلة او فتيا او عمل ماشاء الله تعالى ان يعمله دون ان يبلغه فى ذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم حكم بخلاف ما اعتقده او قال او عمل فلا شيء عليه اصلا حتى يبلغه فان بلغه وصح عنده فان خالفه مجتهدا فيما لم يبين له وجه الحق فى ذلك فهو مخطيء معذور ماجور مرة واحدة كما قال عليه السلام اذا اجتهد الحاكم فاصاب فله أجران وان أخطا فله أجر وكل معتقد او قائل او عامل فهو حاكم فى ذلك الشيء وان خالفه بعمله معاندا للحق معتقداً بخلاف ما عمل به فهو مؤمن فاسق وان خالفه معانداً بقوله او قلبه فهو كافر مشرك سواء ذلك فى المعتقدات والفتيا للنصوص التى اوردناوهو قول اسحاق بن راهويه وغيره وبه نقول وبالله تعالى التوفيق

(الكلام فى تعبد الملائكة)
(وتعبد الحور العين والخلق المستانف وهل يعصى ملك ام لا)

(قال ابو محمد) قد نص الله عز وجل على ان الملائكة متعبدون قال تعالي * ويفعلون مايؤمرون * ونص تعالى على انه امرهم بالسجود لآدم وقال تعالى * وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون * الى قوله . ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين . وقال تعالى ولله يسجد ما فى السموات وما فى الارض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون .

(قال ابو محمد) فنص الله تعالى على انهم مامورون منهيون متوعدون مكرمون موعودون بايصال الكرامة ابدا مصرفون فى كتاب الاعمال وقبض الارواح واداء الرسالة الى الانبياء عليهم الصلاة والسلام والتوكل بما في العالم الاعلى والادنى وغير ذلك كما خالقهم عز وجل به عليم وقوله تعالى . انه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين . فاخبر عز وجل ان جبريل عليه السلام مطاع فى السموات أمين هنالك فصح ان هنالك اوامر وتدبير

وأمانات

الاقاليم لان مسكنها قد سكن حكيم ديوجانس الكلبي وكان حكيما فاضلا متقشفا لا يقتنى شيئا ولا ياوى الى منزل وكان من قدرية الفلاسفة لما يوجد فى مدارج كلامه من الميل الى القدر قال ليس الله علة الشرور بل الله علة الخيرات والفضائل والجود والعقل جعله بين خلقه فمن كسبها وتمسك بها نالها لانه لا يدرك الخيرات الا بها ساله الاسكندر يوما فقال باى شيء يكتسب الثواب قال بافعال الخيرات وانك لتقدر ايها الملك ان تكتسب فى يوم واحد مالا يقدر عليه الرعية ان تكتسبه فى دهرها وساله عصبة من اهل الجهل ما غذاؤك قال ماعفتم يعنى الحكمة قالوا فما عفت قال ما استطبتم يعنى الجهل قالوا كم عبد لك قال اربابكم يعنى الغضب والشهوة والاخلاق الردية الناشئة منهما قالوا فما اقبح صورتك قال لم املك الخلقة الذميمة فالام عليها ولا ملكتم الخلقة الحسنة فتحمدوا عليها واما ما صار فى ملكى واتي عليه تدبيرى فقد استكملت ترتيبه وتحسينه بغاية الطوق وقاصية الجهد واستكملتم شيئين ما فى ملككم قالوا فما الذى فى الملك

وامانات وطاعة ومراتب ونص تعالى على انهم كلهم معصومون بقوله عز وجل. عباد مكرمون لايسبقونه بالقول وهم بامره يعملون. وبقوله. ومن عنده لايستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون. وبقوله. فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون. فنص تعالى على انهم كلهم لا يسأمون من العبادة ولا يفترون من التسبيح والطاعة لا ساعة ولا وقتا ولا يستحسرون من ذلك وهذا خبر عن التأبيد لا يستحيل ابدا ووجب انهم متنعمون بذلك مكرمون به مفضلون بتلك الحال وبالتذاذهم بذلك ونص تعالى على انهم كلهم معصومون قد حققت لهم ولاية ربهم عز وجل ابد الابد بلا نهاية فقال تعالى. من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل فان الله عدو للكافرين * فكفر تعالى من عادى احدا منهم فان قال قائل كيف لا يعصون والله تعالى يقول. ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم. قلنا نعم هم متوعدون على المعاصى لما توعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ يقول له ربه عز وجل. لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين. وقد علم عز وجل انه عليه السلام لا يشرك ابدا وان الملائكة لا يقول احد منهم ابدا انى اله من دون الله وكذلك قوله تعالى. يانساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين. وهو تعالى قد برأهن وعلم انه لا يأتي احد منهن بفاحشة ابداً بقوله تعالى * والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرؤن مما يقولون * لكن الله تعالى يقول ما شاء ويشرع ما شاء ويفعل ما يشاء ولا معقب لحكمه ولا يسال عما يفعل وهم يسالون فاخبر عز وجل بحكم هذه الامور لو كانت وقد علم انها لا تكون كما قال تعالى. لو أردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا انا كنا فاعلين. وكما قال. لو أراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء. وكما قال تعالى. ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه. وكما قال تعالى. قل لو كان فى الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا. وكل هذا قد علم الله تعالى انه لا يكون أبدا وبالله تعالى التوفيق فان قال قائل ان الملائكة مامورون لا منهيون قلنا هذا باطل لان كل مامور بشيء فهو منهي عن تركه وقوله تعالى * يخافون ربهم من فوقهم * يدل على أنهم منهيون عن أشياء يخافون من فعلها وقال عز وجل * وما ننزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذن منظرين *

(قال أبو محمد) وهذا مبطل ظن من ظن ان هاروت وماروت كانا ملكين فعصيا بشرب الخمر والزنا والقتل وقد أعاذ الله عز وجل الملائكة من مثل هذه الصفة بما ذكرنا آنفا انهم لا يعصون الله ويفعلون ما يؤمرون وباخباره تعالى انهم لا يسامون ولا يفترون ولا يستحسرون عن طاعته عز وجل فوجب يقينا انه ليس فى الملائكة البتة عاص لا بعمد ولا بخطا ولا بنسيان وقال عز وجل * جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع * فكل الملائكة رسل الله عز وجل بنص القرآن والرسل معصومون فصح ان هاروت وماروت المذكورين فى القرآن لا يخلو أمرهما من احد وجهين لا ثالث لهما اما ان يكونا جنيين من احياء الجن كما روينا عن خالد بن ابي عمران وغيره وموضعهما حينئذ فى الجو بدل من الشياطين كانه قال ولكن الشياطين كفروا هاروت وماروت ويكون الوقوف على قوله وما أنزل على الملكين ببابل ويتم الكلام هنا واما ان يكونا ملكين أنزل الله عز وجل عليهما شريعة حق ثم نسخها فصارت كفرا كما فعل بشريعة موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام فتمادى الشياطين على تعليمها

من التزيين والتهجين قال أما التزيين فعمارة الذهن بالحكمة وجلاء العقل بالادب وقمع الشهوة بالعفاف وردع الغضب بالحلم وقطع الحرص بالقنوع وامانة الحسد بالزهد وتذليل المرح بالسكون ورياضة النفس حتى تصير مطية قدار تاضت فتصرفت حيث صرفها فأرسلها فى طلب العليات وهجر الدنيات ومن التهجين تعطيل الذهن من الحكمة وتوسيع العقل بضياع الادب واثارة الشهوة باتباع الهوى واضراء الغضب بالانتقام وامداد الحرص بالطلب وقدم اليه رجل طعاما وقال له استكثر منه فقال عليك بتقديم الاكل وعلينا باستعمال العدل وقال زمام العافية بيد البلاء ورأس السلامة تحت جناح العطب وباب الامن مستور بالخوف فلا تكونن فى حال من هذه الثلاث غير متوقع لضدها وقيل له مالك لا تغضب قال أما غضب الانسانية فقد أغضبه وأما غضب البهيمية فاني تركته لترك الشهوة البهيمية واستدعاه الملك اسكندر الى مجلسه يوما فقال للرسول قل له ان الذي منعك من المصير الينا منعنا من المصير اليك

وهى بعد كفر كانه قال تعالى * ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت * ثم ذكر عز وجل ما كان يفعله ذلك الملكان فقال تعالى * وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من احد الا باذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق *

(قال ابو محمد) فقول الملكين انما نحن فتنة فلا تكفر قول صحيح ونهى عن المنكر واما الفتنة فقد تكون ضلالا وتكون هدى قال الله عز وجل حاكيا عن موسى عليه السلام انه قال لربه. اتهلكنا بما فعل السفهاء منا ان هى الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء * فصدق الله عز وجل قوله وصح ان يهدى بالفتنة من يشاء ويضل بها من يشاء وقال تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة . وليس كل احد يضل بماله وولده فقد كان للنبى صلى الله عليه وسلم أولاد ومال وكذلك لكثير من الرسل عليهم السلام وقال تعالى * وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا . وقال تعالى * وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه . فهذه سقيا الماء التى هى جزاء على الاستقامة قد سماها الله تعالى فتنة فصح ان من الفتنة خيرا وهدى ومنها ضلالا وكفرا والملكان المذكوران كذلك كانا فتنة يهتدى من اتبع امرهما فى ان لا يكفر ويضل من عصاهما فى ذلك وقوله تعالى * فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه . حق لان اتباع رسل الله عليهم الصلاة والسلام هذه صفتهم يؤمن الزوج فيفرق ايمانه بينه وبين امرأته التى لم تؤمن وتؤمن هى فيفرق ايمانها بينها وبين زوجها الذى لم يؤمن فى الدنيا والآخرة وفى الولاية ثم رجع تعالى الى الخبر عن الشياطين فقال عز وجل . وما هم بضارين به من احد الا باذن الله * وهذا حق لان الشياطين فى تعليمهم ما قد نسخه الله عز وجل وابطله ضارون من اذن الله تعالى باستضراره به وهكذا الى آخر الآية وما قال عز وجل قط ان هاروت وماروت علما سحرا ولا كفرا ولا انهما عصيا وانما ذكر ذلك فى خرافة موضوعة لا تصح من طريق الاسناد اصلا ولا هى ايضا مع ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما هى موقوفة على من قال من دونه عليه السلام فسقط التعلق بها وصح ما قلناه والحمد لله رب العالمين وهذا التفسير الاخير هو نص الآية دون تكلف تأويل ولا تقديم ولا تاخير ولا زيادة فى الآية ولا نقص منها بل هو ظاهرها والحق المقطوع به عند الله تعالى يقينا وبالله تعالى التوفيق فان قيل كيف تصح هذه الترجمة او الاخرى وانتم تقولون ان الملائكة لا يمكن ان يراهم الا نبى وكذلك الشياطين ولا فرق فكيف تعلم الملائكة الناس أو كيف تعلم الجن الناس قلنا وبالله تعالى التوفيق اما الملائكة فيعلمون من أرسلوا اليه من الانبياء خاصة وينهونهم عن الكفر كما نهى النبى عليه الصلاة والسلام عن الكفر فى نص القرآن واما الشياطين فتعلم الناس بالوسوسة فى الصدور وتزيين الباطل او يتمثل فى صورة انسان كما تمثل يوم بدر فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم قال تعالى * واذ زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال انى برئ منكم انى أرى ما لا ترون أنى أخاف الله * واما الحور العين فنسوان مكرمات مخلوقات فى الجنة لاولياء الله عز وجل عاقلات مميزات مطيعات لله تعالى فى النعيم خلقن فيه ويخلدن بلا نهاية لا يعصين البتة والجنة اذا دخلها اهلها المخلدون فليست دار

بمنعك عنى استغنؤك بسلطانك ومنعى عنك استغنائى بقناعتى وعاتبته دالسة اليونانية بقبح الوجه وذمامة الصورة فقال منظر الرجل بعد المخبر ومخبر النساء بعد المنظر فخجلت وتابت ووقف عليه الاسكندر يوما فقال له ما تخافنى قال أنت خير أم شرير قال خير قال فالحق بى من الخير معنى بل يجب على رجاؤه وكان لاهل مدينة من يونان صاحب جيش جبان وطبيب لم يعالج أحدا الا قتله فظهر عليهم عدو ففزعوا اليه وقال اجعلوا طبيبكم صاحب لقاء العدو واجعلوا صاحب جيشكم طبيبكم وقال أعلم بانك ميت لا محالة فاجهد أن تكون حيا بعد موتك لئلا يكون لميتتك ميتة ثانية وقال كما أن الاجسام تعظم فى العين يوم الضباب كذلك تعظم الذنوب عند الانسان فى حال الغضب وسئل عن العشق فقال سوء اختيار صادف نفسا فارغة ورأى غلاما معه سراج فقال له تعلم من أين تجيء هذه النار قال له الغلام أن اخبرتنى الى أين تذهب أخبرتك من أين تجىء وأفحمه بعد ان لم يكن يقوى عليه أحد

معصية وكذلك اهل الجنة لايعصون فيها اصلا بل هم فى نعيم وحمد لله تعالى وذكر له والتذاذ باكل وشرب ولباس ووطء لايختلف فى ذلك من أهل الاسلام اثنان وبذلك جاء القرآن والحمد لله رب العالمين واما الولدان المخلدون فهم اولاد الناس الذين ماتوا قبل البلوغ كما جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يخلق خلقا يملأ الجنة بهم فنحن نقر بهذا ولاندرى امتعبدون مطيعون أم مبتدؤن في الجنة والله تعالى يخلق مايشاء ويختار ما كان لهم الخيرة واما الجن فان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث اليهم بدين الاسلام هذا مالاخلاف فيه بين احد من الامة فكافرهم في النار مع كافرنا واما مؤمنهم فقد اختلف الناس فيهم فقال ابو حنيفة لاثواب لهم وقال ابن ابى ليلي وابو يوسف وجمهور الناس انهم في الجنة وبهذا نقول لقول الله عز وجل * اعدت للمتقين * ولقوله تعالى حاكيا عنهم ومصدقا لمن قال ذلك منهم * وانا لما سمعنا الهدى منا به * وقوله تعالى حاكيا عنهم * قل أوحي الي انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد فآمنا به . وقوله تعالى . ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات تجرى من تحتها الانهار . الى آخر السورة وهذه صفة تعم الجن والانس عموما لايجوز البتة ان يخص منها احد النوعين فيكون فاعل ذلك قائلا على الله مالا يعلم وهذا حرام ومن المحال الممتنع ان يكون الله تعالى يخبرنا بخبر عام وهو لايريد الا بعض ما اخبرنا به ثم لايبين ذلك لنا هذا هو ضد البيان الذى ضمنه الله عز وجل لنا فكيف وقد نص عز وجل على انهم آمنوا فوجب انهم من جملة المؤمنين الذين يدخلون الجنة ولابد

(قال ابو محمد) واذا الجن متعبدون فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلت على الانبياء بست فذكر فيها انه عليه السلام بعث الى الاحمر والاسود وكان من قبله من الانبياء انما يبعث الى قومه خاصة وقد نص عليه السلام على انه بعث الى الجن وقال عز وجل . قل أوحي الي انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد فآمنا به . الى قوله تعالى . وانا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن اسلم فأولئك تحروا رشدا واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا . واذا الامر كما ذكرنا فلم يبعث الى الجن نبى من الانس البتة قبل محمد صلى الله عليه وسلم لانه ليس الجن من قوم انسي وباليقين ندري انهم قد انذروا فصح انهم جاءهم انبياء منهم قال تعالى * يامعشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم . وبالله تعالى التوفيق

(تم الجزء الثالث ويليه الجزء الرابع أوله هل تعصي الانبياء)

ورأى امرأة قد حملها الماء فقال على هذا المعنى جرى المثل دع الشر يغسله الشر ورأى امرأة تحمل نارا فقال نار على نار وحامل شر من محمول ورأى امرأة متزينة فى ملعب فقال لم تخرج لترى ولكن لترى ورأى نساء يتشاورن فقال هذا جرى المثل هوذا الثعبان يستقرض من الافاعى سما ورأى جارية تعلم الكتابة فقال يسقى هذا السهم سما ليرمى به يوما (حكم الشيخ اليوناني) وله رموز وأمثال منها قوله ان امك روم لكنها فقيرة رعناء وان أباك لحدث لكنه جواد مقدر يعنى بالام الهيولى وبالاب الصورة وبالروم انقيادها وبالفقر احتياجها الي الصورة وبالرعونة قلة ثباتها على ماتحصل عليه وما حداثة الصورة أى هي مشرقة لك بملابسة الهيولى وأما جودها أى النقص لايعتريها من قبل ذاتها فانها جواد لكن من قبل الهيولى فانها انما تقبل على تقدير هذا مافسر به رمزه ولغزه وحمل الام على الهيولى صحيح مطابق للمعنى وليس حمل الاب على الصورة بذلك الوضوح بل حملها على العقل الفعال الجواد الواهب للصور على

(فهرست الجزء الثالث من الفصل فى الملل والنحل لابن حزم)

صحيفة
٢ الكلام فى الرؤية
٣ الكلام فى القرآن وهو القول فى كلام الله تعالى
١٠ الكلام فى اعجاز القرآن
١٤ الكلام فى القدرة
١٧ باب ما الاستطاعة
٢١ الكلام فى أن اتمام الاستطاعة لايكون الا مع الفعل لا قبله
٢٦ الكلام فى الهدى والتوفيق
٢٨ الكلام فى الاضلال
٣١ الكلام فى القضاء والقدر
٣١ الكلام فى البدل
٣٢ الكلام فى خلق الله عزوجل لافعال خلقه
صحيفة
٥٦ الكلام فى التعديل والتجوير
٨٠ الكلام فى هل شاء الله عزوجل كون الكفر والفسق واراده تعالى من الكافر والفاسق أم لم يشأ ذلك ولا أراد كونه
٩٢ الكلام فى اللطف والاصلح
١٠٥ الكلام فى هل لله تعالى نعمة على الكفار أم لا
١٠٥ كتاب الايمان والكفر والطاعات والمعاصى والوعد والوعيد
اعتراضات للدرجتة الطبقات الثلاث المذكورة

(فهرست الجزء الثالث من الملل والنحل للشهرستاني)

صحيفة
٢ رأى فيثاغورس بن منسارخس
٢٦ رأى سقراط بن سفرنيسفوس
٢٨ رأى افلاطن الالهى بن ارسطن ابن ارسطوقليس
٥٦ رأى فلوطرخيس
٥٨ رأى اسكنوفانس
٦٠ رأى زينون الاكبر
٦٥ رأى ذيمقراطيس وشيعته
٦٨ رأى فلاسفة اقاذاميا
٧٠ رأي هرقل الحكيم
٧٢ رأى ابيقورس
صحيفة
٧٧ حكم اوميرس الشاعر
٨٤ حكم بقراط واضع الطب
٩٠ حكم دمقراطيس
٩٤ حكم اوقليدس
٩٧ حكم بطليموس
٩٩ حكماء أهل المقال وهم خروسيس وزينون
١٠٣ رأى ارسطاطاليس وفيه مسائل
١٢٤ رأى فرفوريوس
١٣٨ حكم الاسكندر الرومي
١٤٧ حكم الشيخ اليونانى

(تم الفهرست)

١٧
233

الفصل

في الملل والأهواء والنحل

للإمام ابن حزم الظاهري الأندلسي المتوفى ٤٥٦ هـ

وبهامشه

الملل والنحل للشهرستاني المتوفى سنة ٥٤٨ هـ

صححه وذيله بهوامش مفيدة

عبد الرحمن خليفة بقلمه

المدرس بمدرسة ماهر باشا [illegible] الأزهر

الجزء الرابع — الطبعة الاولى سنة ١٣٤٧ ه

حقوق الطبع بالتعليقات محفوظة للملتزم

مصدر بمقدمة بقلم مصححه

يطلب من مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده
بميدان الأزهر بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

(هل تعصى الانبياء عليهم الصلاة والسلام)

(قال ابو محمد) اختلف الناس فى هل تعصي الانبياء عليهم السلام ام لا فذهبت طائفة الى ان رسل الله صلى الله عليهم وسلم يعصون الله فى جميع الكبائر والصغائر عمدا حاشي الكذب فى التبليغ فقط وهذا قول الكرامية من المرجئة وقول ابن الطيب الباقلانى من الاشعرية ومن اتبعه وهو قول اليهود والنصارى وسمعت من يحكى عن بعض الكرامية انهم يجوزون علي الرسل عليهم السلام الكذب فى التبليغ ايضا واما هذا الباقلاني فانا رأينا فى كتاب صاحبه أبي جعفر السمناني قاضى الموصل انه كان يقول ان كل ذنب دق او جل فانه جائز على الرسل حاشى الكذب فى التبليغ فقط قال وجائز عليهم ان يكفروا قال واذا نهى النبي عليه السلام عن شيء ثم فعله فليس ذلك دليلا علي ان ذلك النهى قد نسخ لانه قد يفعله عاصيا لله عز وجل قال وليس لاصحابه ان ينكروا ذلك عليه وجوز ان يكون في أمة محمد عليه السلام من هو افضل من محمد عليه الصلاة والسلام مذ بعث الى أن مات

(قال ابو محمد) وهذا كله كفر مجرد وشرك محض وردة عن الاسلام قاطعة للولاية مبيحة دم من دان بها وماله موجبة للبراءة منه فى الدنيا ويوم يقوم الاشهاد وذهبت طائفة الي ان الرسل عليهم الصلاة والسلام لا يجوز عليهم كبيرة من الكبائر أصلا وجوزوا عليهم الصغائر بالعمد وهو قول ابن فورك الاشعرى وذهبت جميع اهل الاسلام من اهل السنة والمعتزلة والنجارية والخوارج والشيعة الى انه لا يجوز البتة ان يقع من نبي أصلا معصية بعمد لا صغيرة ولا كبيرة وهو قول ابن مجاهد الاشعرى شيخ ابن فورك والباقلانى المذكورين (قال ابو محمد) وهذا القول الذى ندين الله تعالى به ولا يحل لاحد ان يدين بسواه ونقول انه يقع من الانبياء السهو عن غير قصد ويقع منهم ايضا قصد الشيء يريدون به وجه الله تعالى والتقرب منه فيوافق خلاف مراد الله تعالى الا انه تعالى لا يقرهم علي شيء من هذين الوجهين أصلا بل ينبههم علي ذلك ولا يدا اثر وقوعه منهم ويظهر عز وجل ذلك لعباده ويبين لهم كما فعل نبيه صلى الله عليه وسلم فى سلامه من اثنتين وقيامه من اثنتين وربما عاتبهم علي ذلك بالكلام كما فعل نبيه عليه السلام فى أمر زينب أم المؤمنين وطلاق زيد لها رضى الله

قدر استعدادات القوابل أظهر وقال لك نسبان نسب الى أبيك ونسب الى امك أنت باحدهما أشرف وبالآخر أوضع فانتسب فى ظاهرك وباطنك الى من أنت به اشرف وتبرأ فى باطنك وظاهرك ممن أنت به أوضع فان الولد الفشل يحب امه أكثر مما يحب أباه وذلك دليل على انه دخل العرق والفساد المحتد قيل اراد بذلك الهيولي والصورة أو البدن والنفس أو الهيولى والعقل الفعال وقال قد ارتفع اليك خصمان منك يتنازعان بك أحدهما محق والآخر مبطل فاحذر أن تقضى بينهما بغير الحق فتهلك أنت الخصمان أحدهما العقل والثانى الطبيعة وقال كما أن البدن الخالى من النفس يفوح منه نتن الجيفة كذلك النفس الخالية من الادب يحس نقصها بالكلام والافعال وقال الغائب المطلوب فى طى الشاهد الحاضر وقال أبو سليمان السنجرى مفهوم هذ الاطلاق ان كل ما هو عندنا بالحس بين فهو بالعقل لنا هناك الان الذى عندنا ظل ذلك ولان من شان الظل كما يريك الشيء الذى هو ظله مرة فاضلا

عنهما وفى قصة ابن مكتوم رضى الله عنه وربما يبغض المكروه فى الدنيا كالذى اصاب آدم ويونس عليهما الصلاة والسلام والانبياء عليهم السلام بخلافنا فى هذا فاننا غير مؤاخذين بما سهونا فيه ولا بما قصدنا به وجه الله عزوجل فلم يصادف مراده تعالى بل نحن ماجورون على هذا الوجه أجرا واحدا وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قرن بكل احد شيطانا وان الله تعالى أعانه على شيطانه فاسلم فلا يأمره الا بخير واما الملائكة فبرآء من كل هذا لانهم خلقوا من نور محض لاشوب فيه والنور خير كله لاكدر فيه حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا احمد بن فتح حدثنا عبد الوهاب بن عيسى حدثنا احمد بن محمد بن على حدثنا مسلم بن الحجاج عن عبد بن حميد عن عبد الرزاق عن معمر الزهرى عن عروة عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف

(قال ابو محمد) واحتجت الطائفة الاولى بآيات من القرآن وأخبار وردت ونحن ان شاء الله عزوجل نذكرها ونبين غلطهم فيها بالبراهين الواضحة الضرورية وبالله تعالى التوفيق

(الكلام فى آدم عليه السلام)

(قال ابو محمد) فمما احتجوا به قول الله عز وجل * وعصى ادم ربه فغوى * وقوله تعالى * ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين * قالوا فقربها آدم فكان من الظالمين وقد عصى وغوى وقال تعالى * فتاب عليه * والمتاب لايكون الا من ذنب وقال تعالى * فازلهما الشيطان * وازلال الشيطان معصية وذكروا قول الله تعالى * فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما * هذا كل ماذكروا فى آدم عليه السلام

(قال ابو محمد) وهذا كله بخلاف ماظنوا اما قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى فقد علمنا ان كل خلاف لامر آمر فصورته صورة المعصية فيسمى معصية لذلك وغواية الا انه منه مايكون عن عمد وذكر فهذه معصية على الحقيقة لان فاعلها قاصد الى المعصية وهو يدرى انها معصية وهذا هو الذى نزهنا عنه الانبياء عليهم السلام ومنه مايكون عن قصد الى خلاف ماامر به وهو يتاول فى ذلك الخير ولايدرى انه عاص بذلك بل يظن انه مطيع لله تعالى او ان ذلك مباح له لانه يتاول ان الامر الوارد عليه ليس على معنى الايجاب ولا على التحريم لكن اما على الندب ان كان بلفظ الامر او الكراهية ان كان بلفظ النهى وهذا شىء يقع فيه العلماء والفقهاء الافاضل كثيرا وهذا هو الذى يقع من الانبياء عليهم السلام ويؤاخذون به اذا وقع منهم وعلى هذا السبيل اكل آدم من الشجرة ومعنى قوله تعالى * فتكونا من الظالمين * اى ظالمين لانفسكما والظلم فى اللغة وضع الشىء في غير موضعه فمن وضع الامر أو النهى فى موضع الندب او الكراهة فقد وضع الشىء فى غير موضعه وهذا الظلم من هذا النوع من الظلم الذى يقع بغير قصد وليس معصية لا الظلم الذى هو القصد الى المعصية وهو يدري انها معصية وبرهان هذا ماقد نصه الله تعالى من ان آدم عليه السلام لم يأكل منه الشجرة الابعد ان اقسم له ابليس ان نهى الله عزوجل لهما عن اكل الشجرة ليس على التحريم وانهما لايستحقان بذلك عقوبة اصلا بل يستحقان بذلك الجزاء الحسن وفوز الابد قال تعالى حاكيا عن ابليس انه * قال لهما ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين

على ماهو عليه ومرة ناقصا عما هو به ومرة على قدر عرض الحسبان والتوهم وصارا مزاحمين لليقين والتحقيق فينبغى أن يكون عنايتنا بطلب البقاء الابدى والوجود السرمدي أتم واظهر وابقى وابلغ فبالحق ماكان الغائب فى طى الشاهد وبتصفح هذا الشاهد يصح ذلك الغائب وقال الشيخ اليونانى النفس جوهر كريم شريف يشبه دائرة قد دارت على مركزها غير أنها دائرة لايمد لها ومركزها العقل وكذلك للعقل دائرة استدارت على مركزها وهو الخير الاول المحض غير أن النفس والعقل ان كانا دائرتين لكن دائرة العقل لاتتحرك أبدا بل هى ساكنة دائمة شبيهة بمركزها اما دائرة النفس فانها تتحرك على مركزها والعقل حركة الاستكمال وعلى ان دائرة العقل وانما كانت دائرة شبيهة بمركزها لكنها تتحرك حركة لاشتياق لانها تشتاق الى مركزها وهو الخير الاول واما دائرة العالم السفلى فانها دائرة تدور حول النفس واليها تشتاق وانما تتحرك بهذه الحركة الذاتية شوقا الى النفس كشوق [illegible]

اوتكونا من الخالدين وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين فدلاهما بغرور * وقدقال عزوجل ولقدعهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجدله عزما *

(قال ابو محمد) فلمانسي آدم عليه السلام عهدالله اليه فى أن ابليس عدوله احسن الظن بيمينه

(قال ابو محمد) ولاسلامة ولابراءة من القصد الى المعصية ولاابعد من الجراءة على الذنوب اعظم من حال من ظن ان احداً لايحلف حانثا وهكذا فعل آدم عليه السلام فانه انما اكل من الشجرة التى نهاه الله عنها ناسيا بنص القرآن ومتاولا وقاصدا الى الخير لانه قدر أنه يزداد حظوة عند الله تعالى فيكون ملكا مقربا اوخالدا فيما هوفيه أبدا فأداه ذلك الى خلاف ماامره الله عزوجل به وكان الواجب ان يحمل أمر ربه عز وجل على ظاهره لكن تاول وأراد الخير فلم يصبه ولوفعل هذا عالم من علماء المسلمين لكان ماجورا ولكن آدم عليه السلام لما فعله ووجد به اخراجه عن الجنة الى نكد الدنيا كان بذلك ظالما لنفسه وقد سمى الله عز وجل قاتل الخطا قاتلا كما سمى العامد والمخطىء لم يتعمد معصية وجعل فى الخطا فى ذلك كفارة عتق رقبة اوصيام شهرين متتابعين لمن عجز عن الرقبة وهو لم يتعمد ذنبا واما قوله عز وجل * لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما * فهذا تكفير لآدم عليه السلام ومن نسب لآدم عليه السلام الشرك والكفر كفراً مجرداً بلاخلاف من أحد من الامة ونحن ننكر على من كفر المسلمين العصاة العشارين القتالين والشرط الفاسقين فكيف من كفر الانبياء عليهم السلام وهذا الذى نسبوه الى آدم عليه السلام من أنه سمى ابنه عبد الحارث خرافة موضوعة مكذوبة من تاليف من لادين له ولاحياء لم يصح سندها قط وانما نزلت فى المشركين على ظاهرها وحتى لو صح انها نزلت فى آدم وهذا لايصح اصلا لما كانت فيه للمخالف حجة لانه كان يكون الشرك او الشركاء المذكورون فى الآية حينئذ على غير الشرك الذى هو الكفر لكن بمعنى انهما جعلا مع توكلهما شركة من حفظه ومعناه كما قال يعقوب عليه السلام * يابنى لاتدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وما أغنى عنكم من الله من شىء ان الحكم الالله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم ما كان يغنى عنهم من الله من شىء الاحاجة فى نفس يعقوب قضاها وانه لذو علم لما علمناه ولكن اكثر الناس لايعلمون * فاخبرنا عز وجل ان يعقوب عليه السلام امرهم ان يدخلوا من ابواب متفرقة اشفاقا عليهم اما من اصابة العين وأما من تعرض عدو اومستريب باجتماعهم او ببعض مايخوفه عليهم وهو عليه السلام معترف ان فعله ذلك وامره اياهم بما امرهم به من ذلك لايغنى عنهم من الله شيئا يريده عز وجل بهم ولكن لما كانت طبيعة البشر جارية فى يعقوب عليه السلام وفى سائر الانبياء عليهم السلام كما قال تعالى حاكيا عن الرسل انهم قالوا * ان نحن الابشر مثلكم * حملهم ذلك على بعض النظر المخفف لحاجة النفس ونزاعها وتوقها الى سلامة من يحب وان كان ذلك لايغنى شيئا كما كان عليه السلام يحب الفال الحسن فكان يكون على هذا معنى الشرك والشركاء ان يكون عوذة اوتميمة اونحو هذا فكيف ولم تنزل الآية قط الافى الكفار لافى آدم عليه السلام

(الكلام فى نوح عليه السلام)

(قال ابو محمد) ذكروا قول الله عز وجل لنوح * فلاتسألن ماليس لك به علم انى اعظك

الى العقل وشوق العقل الى الخير المحض الاول ولان دائرة هذا العالم جرم والجرم يشتاق الى الشىء الخارج منه ويحرص الى ان يصير اليه فيعانقه فلذلك يتحرك الجرم الاقصى الشريف حركة مستديرة لانه يطلب النفس من جميع النواحى لينالها فيستريح اليها ويسكن عندها وقال ليس للمبدع الاول تعالى صورة ولا حلية مثل صور الاشياء العالية ولا مثل صور الاشياء السافلة ولا قوة مثل قواها لكنه فوق كل صورة وحلية وقوة لانه مبدعها بتوسط العقل وقال المبدع الحق ليس شيئا من الاشياء وهو جميع الاشياء لان الاشياء منه وقد صدق الافاضل الاوائل فى قولهم مالك الاشياء كلها هو الاشياء كلها اذ هو علة كونها بانه فقط وعلة شوقها اليه وهو خلاف الاشياء كلها وليس فيه شىء مما ابدعه ولا يشبه شيئا منه ولو كان ذلك لما كان علة الاشياء كلها واذا كان العقل واحدا من الاشياء فليس فيه عقل ولاصورة ولاحلية أبدع الاشياء بانه فقط وبانه يعلمها ويحفظها ويدبرها لابصفة من الصفات وانما وصفناه بالحسنات

ان تكون من الجاهلين *

(قال ابو محمد) وهذا لاحجة لهم فيه لان نوحا عليه السلام تاول وعد الله تعالى ان يخلصه واهله فظن ان ابنه من اهله على ظاهر القرابة وهذا لوفعله احد لكان ماجورا ولم يسال نوح تخليص من ايقن انه ليس من اهله فتفرع على ذلك نهي عن ان يكون من الجاهلين فتندم عليه السلام من ذلك ونزع وليس ها هنا عمد للمعصية البتة وبالله تعالى التوفيق

(الكلام فى ابراهيم عليه السلام)

(قال ابو محمد) ذكروا ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من ان ابراهيم عليه السلام كذب ثلاث كذبات وانه قال اذ نظر فى النجوم انى سقيم وبقوله فى الكواكب والشمس والقمر هذا ربي وبقوله فى سارة هذه اختى وبقوله فى الاصنام اذ كسرها بل فعله كبيرهم هذا وبطلبه إذ طلب رؤية احياء الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى

(قال ابو محمد) وهذا كله ليس على ما ظنوه بل هو حجة لنا والحمد لله رب العالمين اما الحديث انه عليه السلام كذب ثلاث كذبات فليس كل كذب معصية بل منه ما يكون طاعة لله عز وجل وفرضا واجبا يعصى من تركه صح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس فينمي خيرا وقد اباح عليه السلام كذب الرجل لامرأته فيما يستجلب به مودتها وكذلك الكذب فى الحرب وقد اجمع اهل الاسلام علي ان انسانا لو سمع مظلوما قد ظلمه سلطان وطلبه ليقتله بغير حق وياخذ ماله غصبا فاستتر عنده وسمعه يدعو على من ظلمه قاصدا بذلك السلطان فسال السلطان ذلك السامع عما سمعه منه وعن موضعه فانه ان كتم ما سمع وانكر ان يكون سمعه او انه يعرف موضعه أو موضع ماله فانه محسن ماجور مطيع لله عز وجل وانه ان صدقه فاخبره بما سمعه منه وبموضعه وموضع ماله كان فاسقا عاصيا لله عز وجل فاعل كبيرة مذموما نماما وقد ابيح الكذب فى اظهار الكفر فى التقية وكل ما روى عن ابراهيم عليه السلام فى تلك الكذبات فهو داخل فى الصفة المحمودة لا فى الكذب الذى نهي عنه واما قوله عن سارة هي أختى فصدق هى اخته من وجهين قال الله تعالى * انما المؤمنون اخوة * وقال عليه السلام لا يخطب احدكم على خطبة اخيه والوجه الثانى القرابة وانها من قومه ومن مستجيبيه قال عز وجل والى مدين أخاهم شعيبا فمن عد هذا كذبا مذموما من ابراهيم عليه السلام فليعده كذبا من ربه عز وجل وهذا كفر مجرد فصح انه عليه السلام صادق فى قوله سارة اخته واما قوله . فنظر نظرة فى النجوم فقال انى سقيم . فليس هذا كذبا ولسنا ننكر ان تكون النجوم دلائل على الصحة والمرض وبعض ما يحدث فى العالم كدلالة البرق علي نزول البحر وكدلالة الرعد علي تولد الكماة وكتولد المد والجزر على طلوع القمر وغروبه واعذاروه ارتفاعه وامتلائه ونقصه وانما المنكر قول من قال ان الكواكب هى الفاعلة المدبرة لذلك دون الله تعالى او مشتركة معه فهذا كفر من قاله واما قوله عليه السلام بل فعله كبيرهم هذا فانما هو تقريع لهم وتوبيخ كما قال تعالى . ذق انك انت العزيز الكريم . وهو فى الحقيقة مهان ذليل مهين معذب فى النار فكلا القولين توبيخ لمن قيلا له علي ظنهم ان الاصنام تفعل الخير والشر وعلي ظن المعذب فى نفسه فى الدنيا انه عزيز كريم ولم يقل ابراهيم هذا على انه محقق لان كبيرهم فعله اذ الكذب انما هو الاخبار عن الشىء بخلاف ما هو عليه قصدا الى تحقيق ذلك واما قوله عليه السلام اذ رأى الشمس والقمر هذا ربى فقال قوم ان ابراهيم عليه السلام

والفضائل لانه علتها وانه الذي جعلها فى الصور هو مبدعها وقال انما تفاضلت الجواهر العالية العقلية لاختلاف قبولها من النور الاول فلذلك صارت ذوات مراتب شتى فمنها ما هو أول فى المرتبة ومنها ما هو ثانى ومنها ما هو ثالث فاختلفت الاشياء بالمراتب والفصول لا بالمواضع والاماكن وكذلك الحواس تختلف باماكنها على ان القوي الحاسة فانها معا لا يفترق بمفارقة الآلة وقال المبدع ليس متناه لا كانه جثة بسيطة وانما عظم جوهره بالقوة والقدرة لا بالكمية والمقدار فليس للاول صورة ولا حلية ولا شكل فلذلك صار محبوبا معشوقا يشتاقه الصور العالية والسافلة وانما اشتاقت اليه صور جميع الاشياء لانه ما بدعها وكساها من جوده حلية الوجود وهو قديم دائم علي حاله لا يتغير والعاشق يحرص على أن يصير اليه ويكون معه وللمعشوق الاول عشاق كثيرون وقد يفيض عليهم كلهم من نوره من غير أن ينقص منه شىء لانه ثابت قائم بذاته لا يتحرك وأما المنطق الجزئى فانه لا يعرف الشىء الا معرفة

قال ذلك محققا أول خروجه من الغار وهذا خرافة موضوعة مكذوبة ظاهرة الافتعال ومن المحال الممتنع ان يبلغ أحد حد التيميز والكلام بمثل هذا وهو لم ير قط شمسا ولا قمرا ولا كوكبا وقد اكذب الله هذا الظن الكاذب بقوله الصادق . ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين . فمحال أن يكون من اتاه الله رشده من قبل يدخل فى عقله ان الكواكب ربه أو ان الشمس ربه من اجل انها اكبر قرصا من القمر هذا مالا يظنه الا مجنون العقل والصحيح من ذلك انه عليه السلام انما قال ذلك موبخا لقومه كما قال لهم نحو ذلك فى الكبير من الاصنام ولا فرق لانهم كانوا على دين الصابئين يعبدون الكواكب ويصورون الاصنام على صورها واسمائها فى هياكلهم ويعيدون لها الاعياد ويذبحون لها الذبائح ويقربون لها القرب والقرابين والدخن ويقولون انها تعقل وتدبر وتضر وتنفع ويقيمون لكل كوكب منها شريعة محدودة فوبخهم الخليل عليه السلام على ذلك وسخر منهم وجعل يزيهم تعظيم الشمس لكبر جرمها كما قال تعالى . فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون : فاراهم ضعف عقولهم فى تعظيمهم لهذه الاجرام المسخرة الجمادية وبين لهم انهم مخطئون وانها مدبرة تنتقل فى الاماكن ومعاذ الله ان يكون الخليل عليه السلام اشرك قط بربه اوشك فى ان الفلك بكل ما فيه مخلوق وبرهان قولنا هذا ان الله تعالى لم يعاتبه على شيء مما ذكر ولا عنفه على ذلك بل صدقه تعالى بقوله : وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء . فصح ان هذ بخلاف ما وقع لآدم وغيره بل وافق مراد الله عز وجل بما قال من ذلك وبما فعل واما قوله عليه السلام رب أرنى كيف تحيي الموتي قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي . فلم يقرره ربنا عز وجل وهو يشك فى ايمان ابراهيم عبده وخليله ورسوله عليه السلام تعالى الله عن ذلك ولكن تقرير الايمان فى قلبه وان لم ير كيفية احياء الموتى فاخبر عليه السلام عن نفسه انه مؤمن مصدق وانما اراد ان يرى الكيفية فقط ويعتبر بذلك وما شك ابراهيم عليه السلام فى ان الله تعالى يحى الموتي وانما أراد أن يرى الهيئة كما اننا لا نشك فى صحة وجود الفيل والتمساح والكسوف وزيادة النهر والخليفة ثم يرغب من لم ير ذلك منا فى ان يرى كل ذلك ولا يشك فى انه حق لكن ليرى العجب الذى يتمثله ولم تقع عليه حاسة بصره فقط واما ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم نحن أحق بالشك من ابراهيم فمن ظن ان النبى صلى الله عليه وسلم شك قط فى قدرة ربه عز وجل على احياء الموتى فقد كفر وهذا الحديث حجة لنا على نفى الشك عن براهيم اى لو كان الكلام من ابراهيم عليه السلام شكا لكان من لم يشاهد من القدرة ما شاهد ابراهيم عليه السلام احق بالشك فاذا كان من لم يشاهد من القدرة ما شاهد ابراهيم غير شاك فابراهيم عليه السلام ابعد من الشك

(قال أبو محمد) ومن نسب هاهنا الى الخليل عليه السلام الشك فقد نسب اليه الكفر ومن كفر نبيا فقد كفر وايضا فان كان ذلك شكا من ابراهيم عليه السلام وكنا نحن احق بالشك منه فنحن اذا شكاك جاحدون كفار وهذا كلام نعلم والحمد لله بطلانه من أنفسنا بل نحن ولله الحمد مؤمنون مصدقون بالله تعالى وقدرته على كل شيء يسال عنه السائل وذكروا قول ابراهيم عليه السلام لابيه واستغفاره له وهذا لا حجة لهم فيه لانه لم يكن نهى عن ذلك قال تعالى : فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه : فاثنى الله تعالى عليه بذلك فصح ان استغفار ابراهيم لابيه انما كان مدة حياته راجيا ايمانه فلما مات كافرا تبرأ منه ولم يستغفر له بعدها تم الكلام فى ابراهيم عليه السلام

جزئية وشوق العقل الاول الى المبدع الاول أشد من شوق سائر الاشياء لان الاشياء كلها تحته واذا اشتاق اليه العقل لم يقل العقل لم صرت مشتاقا الى الاول اذ العشق لا علة له فاما المنطق الذى يختص بالنفس فيفحص عن ذلك ويقول ان الاول هو المبدع الحق وهو الذى لا صورة له وهو مبدع الصور فالصور كلها تحتاج اليه فتشتاق اليه وذلك ان كل صورة تطلب مصورها وتحن اليه وقال ان الفاعل الاول ابدع الاشياء كلها بغاية الحكمة لا يقدر احد ان ينال علل كونها ولم كانت على الحال التى هي الآن عليها وان لا عرفها كنه معرفتها ولم صارت الارض فى الوسط ولم كانت مستديرة ولم تكن مستطيلة ولا منحرفة الا ان يقول ان البارى صيرها كذلك وانما كانت بغاية الحكمة الواسعة لكل حكمة وكل فاعل يفعل بروية وفكرة لا بنيته فقط بل يفصل منه فلذلك يكون فعله لا بغاية الثقافة والاحكام والفاعل الاول لا يحتاج فى ابداع الاشياء الى روية وفكرة وذلك انه ينال العلل بلاقياس بل يبع لاشياء ويعلم عللها قبل الروية

السكلام

الـكلام فى لوط عليه السلام

قال أبو محمد - وذكروا قول الله تعالى فى لوط عليه السلام انه قال * لوان لى بكم قوة أو آوى الى ركن شديد * فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله لوطا لقد كان ياوي الى ركن شديد فظنوا ان هذا القول منه عليه السلام انكار على لوط عليه السلام أيضا * هؤلاء بناتي هن أطهر لكم .

(قال ابو محمد) وهذا لاحجة لهم فيه اما قوله عليه السلام لوان لى بكم قوة او آوى الى ركن شديد فليس مخالفا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله لوطا لقد كان ياوى الى ركن شديد بل كلا القولين منهما عليهما السلام حق متفق عليه لان لوطا عليه السلام انما أراد منعة عاجلة يمنع بها قومه مما هم عليه من الفواحش من قرابة او عشيرة او اتباع مؤمنين وما جهل قط لوط عليه السلام انه ياوى من ربه تعالى الى أمنع قوة واشد ركن ولا جناح على لوط عليه السلام في طلب قوة من الناس فقد قال تعالى * ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض . فهذا الذى طلب لوط عليه السلام وقد طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الانصار والمهاجرين منعة حتى يبلغ كلام ربه تعالى فكيف ينكر على لوط أمرا هو فعله عليه السلام تالله ما انكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما اخبر عليه السلام ان لوطا كان يأوى الى ركن شديد يعني من نصر الله له بالملائكة ولم يكن لوط علم بذلك ومن اعتقد ان لوطا كان يعتقد انه ليس له من الله ركن شديد فقد كفر اذ نسب الى نبى من الانبياء هذا الكفر وهذا أيضا ظن سخيف اذ من الممتنع ان يظن برب اراه المعجزات. وهو دائبا يدعو اليه هذا الظن واما قوله عليه السلام هؤلاء بناتى هن فانما اراد التزويج والوطء فى المكان المباح فصح ماقلنا اذ من المحال ان يدعوهم الى منكر وهو ينهاهم عن المنكر انقضي الكلام في لوط عليه السلام

الـكلام فى اخوة يوسف عليهم السلام

(قال ابو محمـد) واحتجوا بفعل اخوة يوسف وبيعهم اخاهم وكذبهم لابيهم وهذا لاحجة لهم فيه لان اخوة يوسف عليه السلام لم يكونوا أنبياء ولا جاء قط فى انهم انبياء نص لا من قرآن ولا من سنة صحيحة ولا من اجماع ولا من قول احد من الصحابة رضى الله عنهم وأما يوسف صلى الله عليه وسلم فرسول الله بنص القرآن قال عزوجل * ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم فى شك مما جاءكم به * الى قوله . من بعده رسولا . واما اخوته فافعالهم تشهد انهم لم يكونوا متورعين عن العظائم فكيف ان يكونوا انبياء ولـكن الرسولين اباهم وأخاهم قد استغفرا لهم وأسقطا التثريب عنهم وبرهان ماذكرنا من كذب من يزعم انهم كانوا انبياء قول الله تعالى حاكيا عن الرسول اخيهم عليه السلام انه قال لهم * انتم شر مكانا * ولا يجوز البتة ان يقوله نبى من الانبياء نعم ولا لقوم صالحين اذ توقير الانبياء فرض على جميع الناس لان الصالحين ليسوا شرا مكانا وقد عق ابن نوح اباه با اكثر مما عق به اخوة يوسف اباهم الا ان اخوة يوسف لم يكفروا ولا يحل لمسلم ان يدخل فى الانبياء من لم يات نص ولا اجماع أو نقل كافة بصحة نبوته ولا فرق بين التصديق بنبوة من ليس نبيا وبين التكذيب بنبوة من صحت نبوته منهم فان ذكروا فى ذلك ماروى عن بعض الصحابة رضي الله عنهم وهو زيد بن أرقم انما مات ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لانبي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم واولاد الانبياء انبياء فهذه

والفكر والعلل والبرهان والعلم والقنوع وسائر ماأشبه ذلك انما كانت أجزاء وهو الذى أبدعها وكيف يستعين بها وهي لم تكن بعد

(حكيم ثاوفرسطيس) كان الرجل من تلامذة ارسطوطاليس وكبار أصحابه واستخلفه على كرسى حكمته بعد وفاته وكانت المتفلسفة تختلف اليه وتقتبس منه وله تركيب الشروح الكثيرة والتصانيف المعتبرة وبالخصوص فى الموسيقا فمما يؤثر عنه انه قال الالهية لاتتحرك ومعناه لا تتغير ولا تتبدل لا فى الذات ولا فى شبه الافعال وقال السماء مسكن الكواكب والارض مسكن الناس على انهم مثل وشبه لما فى السماء فهم الاباء والمدبرون ولهم نفوس وعقول مميزة وليس لها أنفس نباتية فلذلك لا تقبل الزيادة والنقصان وقال الغناء فضيلة فى المنطق أشكلت على النفس وقصرت عن تبيين كنهها فابرزتها لحونا وأثارت بها شجونا وأصم فى عرضها فنونا وفتونا وقال الغناء شيء يخص النفس دون الجسم فيشغلها عن مصالحها كما أن لذة

غفلة شديدة وزلة عالم من وجوه أولها أنه دعوى لادليل علي صحتها وثانيها انه لو كان ماذكر لأمكن ان ينبأ ابراهيم في المهد كما نبئ عيسى عليه السلام وكما اوتي يحيي الحكم صبيافعلى هذا القول لعل ابراهيم كان نبياوقد عاش عامين غيرشهرين وحاشا الله من هذاو ثالثها ان ولد نوح كان كافراً بنص القرآن عمل عملا غير صالح فلو كان أولاد الانبياء انبياء لكان هذا الكافر المسخوط عليه نبيا وحاشا الله من هذاورابعها لو كان ذلك لوجب ولابد ان تكون اليهود كلهم أنبياء الى اليوم بل جميع اهل الارض انبياء لانه يلزم أن يكون الكل من ولد آدم لصلبه انبياء لان اباهم نبي واولاد اولاده انبياء أيضا لان آباءهم انبياء وهم أولاد انبياء وهكذا أبدا حتى يبلغ الامر الينا وفي هذا من الكفر لمن قامت عليه الحجة وثبت عليه مالا خفاء به وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) ولعل من جهل مرتين يقول عنا هذا ينكر نبوة اخوة يوسف ويثبت نبوة نبي المجوس ونبوة ام موسى وام عيسى وام اسحاق عليهم السلام فنحن نقول وبالله تعالى التوفيق وبه نعتصم لسنا نقر بنبوة من لم يخبر الله عز وجل بنبوته ولم ينص رسول الله صلى عليه وسلم علي نبوته ولا نقلت الكواف عن امثالها نقلا متصلا منه الينا معجزات النبوة عنه ممن كان قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بل ندفع نبوة من قام البرهان علي بطلان نبوته لان تصديق نبوة من هذه صفته افتراء على الله تعالى لايقدم عليه مسلم ولا ندفع نبوة من جاء القرآن بان الله تعالى نباه فاما أم موسى وأم عيسى وأم اسحاق فالقرآن قد جاء بمخاطبة الملائكة لبعضهن بالوحي والى بعض منهن عن الله عزوجل بالانباء بما يكون قبل ان يكون وهذه النبوة نفسها التى لانبوة غيرها فصحت نبوتهن بنص القرآن واما نبي المجوس فقد صح انهم اهل كتاب باخذ رسول الله صلي الله عليه وسلم الجزية منهم ولم يبح الله تعالى له اخذ الجزية الا من اهل الكتاب فقط فمن نسب الى محمد صلى الله عليه وسلم انه اخذ الجزية من غير اهل الكتاب فقد نسب اليه انه خالف ربه تعالي واقدم على عظيمة تقشعر منها جلود المؤمنين فاذ نحن علي يقين من انهم اهل كتاب فلا سبيل البتة الى نزول كتاب من عند الله تعالى علي غير نبي مرسل بتبليغ ذلك الكتاب فقد صح بالبرهان الضروري انهم قد كان لهم نبي مرسل يقينا بلا شك ومع هذا فقد نقلت عنه كواف عظيمة معجزات الانبياء عليهم السلام وكل مانقلته كافة علي شرط عدم التواطىء فواجب قبوله ولافرق بين مانقلته كواف الكافرين او كواف المسلمين فيما شاهدته حواسهم ومن قال لااصدق الا مانقلته كواف المسلمين فانا نسأله أى شيء يصح عنده موت ملوك الروم ولم يحضرهم مسلم اصلا وانما نقلته الينا يهود عن نصارى ومثل هذا كثير فان كذب هذا خالط نفسه وعقله وكابر حسه وايضا فان المسلمين انما علمنا انهم محقون لتحقيق نقل الكافة لصحة مابايديهم فبنقل الكافة علمنا هدى المسلمين ولا نعلم بالاسلام صحة نقل الكافة بل هو معلوم بالبينة وضرورة العقل وقد اخبر تعالى ان الاولين زبر وقال تعالى. ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك . وفي هذا كفاية وبالله تعالى التوفيق

﴿ الكلام في يوسف عليه السلام ﴾

وذكروا ايضا اخذ يوسف عليه السلام اخاه وايحاشه أباه عليه السلام منه وانه اقام مدة يقدر فيها على ان يعرف اباه خبره وهو يعلم مايقاسى به من الوجد عليه فلم يفعل وليس بينه

وبينه

الماكول والمشروب شيء يخص الجسم دون النفس وقال ان النفوس الى اللحون اذا كانت محجبة أشد اصغاء منها الى ماقد تبين لها وظهر معناه عندها وقال العقل نحوان أحدهما مطبوع والآخر مسموع فالمطبوع منها كالارض والمسموع كالبذر والماء فلايخلص للعقل المطبوع عمل دون أن يرد عليه العقل المسموع فينبهه من نومه ويطلقه من وثاقه ويقلقله من مكانه كما يستخرج البذر والماء مافي قعر الارض وقال الحكمة غنى النفس والمال غنى البدن وطلب غنى النفس أولى لانها اذا غنيت بقيت والبدن إذا غنى فنى وغنا النفس ممدود وغنى البدن محدود وقال ينبغى للعاقل أن يدارى الزمان مداراة رجل لايسبح فى الماء الجاري اذا وقع وقال لاتغبطن بسلطان من غير عدل ولا بغنى من غير حسن تدبير ولا ببلاغة فى غير صدق منطق ولابجود فى غير اصابة موضع ولابادب فى غير اصابة رأي ولابحسن عمل فى غير حسنة (شبه برقلس) في قدم العالم ان القول فى قدم العالم وأزلية الحركات بعد اثبات الصانع

بينه وبينه الاعشر ليال وبادخاله صواع الملك فى وعاء اخيه ولم يعلم بذلك سائر اخوته ثم أمر من هتف ايتها العير انكم لسارقون وهم لم يسرقوا شيئا وبقول الله تعالى * ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه * وبخدمته لفرعون وبقوله للذى كان معه فى السجن * اذكرني عند ربك

(قال ابو محمد) وكل هذا لاحجة لهم فى شىء منه ونحن نبين ذلك بحول الله تعالى وقوته فنقول وبالله تعالى نتأيد اما اخذه أخاه وايحاشه اباه منه فلاشك فى ان ذلك ليرفق باخيه وليعود اخوته اليه ولعلهم لو مضوا باخيه لم يعودوا اليه وهم فى مملكة اخرى وحيث لاطاعة ليوسف عليه السلام ولا للملك مصرهنالك وليكون ذلك سببا الاجتماعه وجمع شمل جميعهم ولاسبيل الى أن يظن برسول الله صلى الله عليه وسلم الذى اوتى العلم والمعرفة بالتاويل الا احسن الوجوه وليس مع من خالفنا نص بخلاف ماذكرنا ولايحل ان يظن بمسلم فاضل عقوق أبيه فكيف برسول الله صلى الله عليه وسلم واماظنهم انه أقام مدة يقدر فيها على ريتعف أبيه خبره ولم يفعل فهذا جهل شديد ممن ظن هذا لان يعقوب فى أرض كنعان من عمل فسلطين فى قوم رحالين خصاصين فى لسان آخر وطاعة اخرى ودين آخر وأمة أخرى كالذى بيننا اليوم وبين من يضافينا من بلاد النصارى كغاليش وغيرها أو كصحراء البربر فلم يكن عند يوسف عليه السلام علم بعد فراقه أباه بما فعل ولاحى هو أوميت أكثر من وعد الله تعالى بان ينبئهم بفعلهم به ولا وجد احدا يثق به فيرسل اليه للاختلاف الذى ذكرنا وانما يستسهل هذا اليوم من يرى أرض الشام ومصر لامير واحد وملة واحدة ولسانا واحدا وامة واحدة والطريق سابل والتجار ذاهبون وراجعون والرفاق سائرة ومقبلة والبرد ناهضة وراجعة فظن كل بيضاء شحمة ولم يكن الامر حينئذ كذلك ولكن كما قدمنا ودليل ذلك انه حين أمكنه لم يؤخره واستجلب أباه وأهله أجمعين عند ضرورة الناس اليه وانقيادهم له للجوع الذى كان عم الارض وامتيارهم من عنده فانتظر وعد ربه تعالى الذى وعده حين ألقوه فى الجب فاتوه ضارعين راغبين كما وعده تعالى فى رؤياه قبل أن ياتوه ورب رئيس جليل شاهدنا من أبناء البشاكس والافرنج لو قدر على أن يستجلب أبويه لكان أشد الناس بدارا الى ذلك ولكن الامر تعذر عليهم تعذرا أخرجه عن الامكان الى الامتناع فهذا كان أمر يوسف عليه السلام واما قول يوسف لاخوته انكم لسارقون وهم لم يسرقوا الصواع بل هو الذى كان قد أدخله فى وعاء أخيه دونهم فقد صدق عليه السلام لانهم سرقوه من أبيه وباعوه ولم يقل عليه السلام انكم سرقتم الصواع وانما قال نفقد صواع الملك وهو فى ذلك صادق لانه كان غير واجدله فكان فاقدا له بلاشك واما خدمته عليه السلام لفرعون فانما خدمه تقية وفى حق لاستنقاذ الله تعالى بحسن تدبيره ولعل الملك أو بعض خواصه قد آمن به الا ان خدمته له على كل حال حسنة وفعل خير وتوصل الى الاجتماع بابيه والى العدل والى حياة النفوس اذلم يقدر على المغالبة ولاامكنه غير ذلك ولامرية فى ان ذلك كان مباحا فى شريعة يوسف عليه السلام بخلاف شريعتنا قال الله تعالى * لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا واما سجود ابويه فلم يكن ذلك محظورا فى شريعتهما بل كان فعلا حسنا وتحقيق رؤياه الصادق من الله تعالي ولعل ذلك السجود كان تحية كسجود الملائكة لآدم عليه السلام الا ان الذى

والقول بالعلة الاولى انما ظهر بعد ارسطوطاليس لانه خالف القدماء صريحا وأبدع هذه المقالة على قياسات ظنها حجة وبرهانا فنسج على منواله من كان من تلامذته وصرحوا القول فيه مثل الاسكندر الافرودوسى وثامسطيوس وفرفوريوس وصنف برقلس المنتسب الى أفلاطن فى هذه المسئلة كتابا وأورد فيه هذه الشبه والا فالقدماء انما ابدوا فيه مانقلناه سابقا الشبهة الاولى قال البارى تعالى جواد بذاته وعلة وجود العالم جوده وجوده قديم لم يزل فيلزم أن يكون وجود العالم قديما لم يزل ولايجوز أن يكون مرة جوادا ومرة غير جواد فانه يوجب التغير فى ذاته فهو جواد لذاته لم يزل قال ولامانع من فيض جوده اذلو كان مانع لما كان من ذاته بل من غيره وليس لواجب الوجود لذاته حامل على شىء ولا مانع من شيء * الشبهة الثانية قال ليس يخلوا الصانع من أن يكون لم يزل صانعا بالفعل أو لم يزل صانعا بالقوة بان يقدر أن يفعل ولا يفعل فان كان الاول فالمصنوع معلول لم يزل وان

لا شك فيه انه لم يكن سجود عبادة ولا تذلل وانما كان سجود كرامة فقط بلاشك واما قوله عليه السلام للذى كان معه فى السجن اذكرنى عند ربك فما علمنا الرغبة فى الانطلاق من السجن محظورة على احد وليس فى قوله ذلك دليل على انه أغفل الدعاء الى الله عز وجل لكنه رغب هذا الذى كان معه فى السجن فى فعل الخير وحضه عليه وهذا فرض من وجهين احدهما وجوب السعى فى كف الظلم عنه والثانى دعاؤه الى الخير والحسنات واما قوله تعالى * فانساه الشيطان ذكر ربه * فالضمير الذى فى أنساه وهو الهاء راجع الى الفتى الذي كان معه فى السجن اى ان الشيطان انساه ان يذكر ربه أمر يوسف عليه السلام ويحتمل ايضا ان يكون انساه الشيطان ذكر الله تعالى ولو ذكر الله عزوجل لذكر حاجة يوسف عليه السلام وبرهان ذلك قول الله عزوجل وادكر بعد أمة . فصح يقينا ان المذكور بعد أمة هو الذى انساه الشيطان ذكر ربه حتى تذكر وحتى لو صح ان الضمير من انساه راجع الى يوسف عليه السلام لما كان فى ذلك نقص ولا ذنب اذ ما كان بالنسيان فلا يبعد عن الانبياء واما قوله . همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه فليس كما ظن من لم يمعن النظر حتى قال من المتاخرين من قال انه قعد منها مقعد الرجل من المرأة ومعاذ الله من هذا ان يظن برجل من صالحي المسلمين او مستوريهم فكيف برسول الله صلى الله عليه وسلم فان قيل ان هذا قد روى عن ابن عباس رضى الله عنه من طريق جيدة الاسناد قلنا نعم ولا حجة فى قول احد الا فيما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقط والوهم فى تلك الرواية انما هى بلاشك عمن دون ابن عباس أو لعل ابن عباس لم يقطع بذلك اذ انما أخذه عمن لا يدرى من هو ولاشك فى انه شىء سمعه فذكره لانه رضى الله عنه لم يحضر ذلك ولا ذكره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحال أن يقطع ابن عباس بما لا علم له به لكن معنى الآية لا يعدو أحد وجهين اما انه هم بالايقاع بها وضربها كما قال تعالي . وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه وكما يقول القائل لقد همت بك لكنه عليه السلام امتنع من ذلك ببرهان اراه الله اياه استغنى به عن ضربها وعلم ان الفرار اجدى عليه واظهر لبراءته على ما ظهر بعد ذلك من حكم الشاهد بامر قد من القميص والوجه الثاني ان الكلام تم عند قوله ولقد همت به ثم ابتدأ تعالى خبرا آخر فقال وهم بها لولا ان راى برهان ربه وهذا ظاهر الآية بلا تكلف تاويل وبهذا نقول حدثنا احمد بن محمد بن عبد الله الطلمنكى حدثنا ابن عون الله انبأنا ابراهيم ابن احمد بن فراس حدثنا احمد بن محمد بن سالم النيسابوري انا اسحق بن راهويه أنا المومل ابن اسماعيل الحميرى حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن انس بن مالك رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الاية . ذلك ليعلم انى لم اخنه بالغيب. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قالها يوسف عليه السلام قال له جبريل يا يوسف اذكر همك

كان الثاني فما بالقوة لا يخرج الى الفعل الا بمخرج ومخرج الشىء من القوة الي الفعل غير ذات الشىء فيجب أن يكون له مخرج من خارج مؤثر فيه فذلك ينافى كونه صانعا مطلقا لا يتغير ولا يتاثر الشبهة الثالثة قال كل علة لا يجوز عليها التحرك والاستحالة فانما يكون علة من جهة ذاته لا من جهة الانتقال من غير فعل الى فعل وكل علة من جهة ذاته فمعلولها من جهة ذاتها واذا كانت ذاتها لم تزل فمعلولها لم يزل. الشبهة الرابعة قال ان كان (١٠) الزمان لا يكون موجودا الا مع الفلك ولا الفلك الا مع الزمان لان الزمان هو العاد لحركات الفلك ثم لا جائز أن يقال متى وقبل الاحين يكون الزمان موجودا ومتى وقبل أبدى فالزمان أبدى فحركات الفلك أبدية فالزمان أبدى. الشبهة الخامسة قال ان العالم حسن النظام كامل القوام وصانعه جواد خير ولا ينقض الجيد الحسن الا شرير وصانعه ليس بشرير وليس يقدر على نقضه غيره فليس ينتقض ابدا وما لا ينتقض أبدا كان سرمدا . الشبهة السادسة قال لما كان الكائن لا يفسد الا بشىء غريب يعرض له ولم يكن شيء غير العالم خارجا منه يجوز أن يعرض فيفسد ثبت انه لا يفسد وما لا يتطرق اليه الفساد لا يتطرق اليه الكون والحدوث فان كل كائن فاسد. الشبهة السابعة قال ان الاشياء التى هى فى المكان الطبيعى لا تتغير ولا تتكون ولا تفسد وانما تتغير وتتكون وتفسد اذا كانت فى أماكن غريبة فتتجاذب الي أماكنها كالنار التى فى أجسادنا تحاول الانفصال الى مركزها فينحل الرباط فيفسد فاذا الكون والفساد انما يتطرق الى المركبات لا الى البسائط التى هى الاركان فى أماكنها ولكنها هى بحالة واحدة وما هو بحال واحد فهو أزلى. الشبهة الثامنة قال العقل والنفس والافلاك تتحرك على الاستدارة والطبائع تتحرك اما على الوسط واما الى الوسط على الاستقامة واذا كان كذلك كان التفاسد فى العناصر انما هو لتضاد حركاتها والحركة الدورية لا ضد لها فلم يقع فيها افساد قال وكليات العناصر انما تتحرك على استدارة وان كانت الاجزاء

منها تتحرك على الاستقامة فالفلك وكليات العناصر لا تفسد واذا لم يجز أن يفسد العالم لم يجز أن يتكون وهذه الشبهات هى التي يمكن أن يقال فتنقض وفى كل واحدة منها نوع مغالطة واكثرها تحكمات وقد افردت لها كتابا وأوردت فيه شبهات أرسطوطاليس وهذه تقريرات أبي على بن سينا ونقضتها على قوانين منطقية فليطلب ذلك ومن المتعصبين لبرقلس من مهد عذرا فى ذكر هذه الشبهات وقال انه كان يناطق الناس منطقين أحدهما روحانى بسيط والآخر جسماني (١١) مركب وكان أهل زمانه الذين يناطقونه الى جسمانيين وإنما دعاه الى ذكر هذه الاقوال مقاومتهم اياه فخرج من طريق الحكمة والفلسفة من هذه الجهة لان من الواجب علي الحكيم أن يظهر العلم على طرق كثيرة يتصرف فيها كل ناظر بحسب نظره ويستفيد منها بحسب فكره واستعداده فلا يجدوا على قوله مساغا ولا يصيبوا مقالا ولا مطعنا لان برقلس لما كان يقول بدهر هذا العالم وانه باق لا يدثر وضع كتابا فى هذا المعنى فطالعه من لم يعرف طريقته ففهموا منه جسمانية قوله دون روحانية فنقضوه على مذهب الدهرية وفى هذا الكتاب يقول لما اتصلت العوالم بعضها ببعض وحدثت القوى الواصلة فيها وحدثت المركبات من العناصر حدثت قشور واستبطنت لبوب فالقشور دائرة واللبوب قائمة دائمة ولا يجوز الفساد عليها لانها بسيطة وحيدة القوى فانقسم العالم الى عالمين عالم الصفوة واللب وعالم الكدورة والقشر فاتصل بعضه ببعض وكان آخر هذا العالم من بدو ذلك العالم فمن وجه لم يكن بينهما فرق فلم يكن هذا العالم دثر اذا كان متصلا بما ليس يدثر ومن وجه دثرة القشور ونالت الكدورة وكيف تكون القشور غير داثرة ولا مضمحلة ومالم تزل القشور باقية كانت اللبوب خافية وايضا فان هذا العالم مركب والعالم الاعلى بسيط وكل مركب ينحل حتى يرجع الى البسيط الذى تركب منه وكل بسيط باق دائما غير مضمحل ولا متغير قال الذى يذب عن برقلس هذا الذي نقل عنه هو المقبول عن مثله بل الذي اضاف اليه هذا القول الاول لا يخلوا

فقال يوسف وما ابرىء نفسى ان النفس لامارة بالسوء فليس فى هذا الحديث على معنى من المعانى تحقيق الهم بالفاحشة ولكنه فيه انه بامر ما وهذا حق كما قلنا فسقط هذا الاعتراض وصح الوجه الاول والثانى معا الا ان الهم بالفاحشة باطل مقطوع علي كل حال وصح ان ذلك الهم ضرب سيدته وهى خيانة لسيده اذ هم بضرب امرأته وبرهان ربه هاهنا هو النبوة وعصمة الله عز وجل اياه ولولا البرهان لكان يهم بالفاحشة وهذا لاشك فيه ولعل من ينسب هذا الى النبى المقدس يوسف ينزه نفسه الرذلة عن مثل المقام فيهلك وقد خشى النبى صلي الله عليه وسلم الهلاك على من ظن به ذلك الظن اذ قال للانصاريين حين لقيهما هذه صفية

(قال ابو محمد) ومن الباطل الممتنع ان يظن ظان ان يوسف عليه السلام هم بالزنا وهو يسمع قول الله تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء فنسال من خالفنا عن الهم بالزنا بسوء هو ام غير سوء فلابد انه سوء ولو قال انه ليس بسوء لعاند الاجماع فاذ هو سوء وقد صرف عنه السوء فقد صرف عنه الهم يقين وأيضا فانها قالت ما جزاء من أراد باهلك سوءا وانكر هو ذلك فشهد الصادق المصدق . ان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين . فصح انها كذبت بنص القرآن واذا كذبت بنص القرآن فما اراد بها قط سوء فما هم بالزنا قط ولو اراد بها الزنا لكانت من الصادقين وهذا بين جدا وكذلك قوله تعالى عنه انه قال . والا تصرف عنى كيدهن أصب اليهن واكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن : فصح عنه انه قط لم يصب اليها وبالله تعالى التوفيق تم الكلام في يوسف عليه السلام

(الكلام فى موسى عليه السلام وأمه)

(قال ابو محمد) ذكروا قول الله تعالى * وأصبح فؤاد أم موسى فارغا ان كادت لتبدى به لولا أن ربطنا علي قلبها * فمعناه فارغا من الهم بموسي جملة لان الله عز وجل قد وعدها برده اليها اذ قال لها تعالى * انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين * فمن الباطل المحض ان يكون الله تعالى ضمن لها رده اليها ثم يصبح قلبها مشغولا بالهم بامره هذا مالا يظن بذى عقل أصلا وانما معنى قوله تعالي ان كادت لتبدي به أى بسرورا بما اتاه الله عز وجل من الفضل وقولها لاخته قصية انما هو لترى أخته كيفية قدرة الله تعالى فى تخليصه من يدى فرعون عدوه بعد وقوعه فيهما وليتم بها ما وعدها الله تعالى من رده اليها فبعثت اخته لترده بالوحى وذكروا قول الله تعالى عن موسى عليه السلام فاخذ برأس أخيه يجره اليه * قال يابن أم لا تاخذ بلحيتى ولا برأسي * قالوا وهذه معصية أن ياخذ بلحية أخيه وشعره

من أحد أمرين أما ان لم يقف على مراده للعلة التى ذكرنا فيما سلف واما انه كان محسودا عند أهل زمانه لكونه بسيط الفكر وسيع النظر سائر القوى وكانوا أولئك أصحاب اوهام وخيالات فانه يقول فى موضع من كتابه ان الاوائل منها تكونت العالم وهى باقيه لاتدثر ولاتضمحل وهى لازمة الدهر ماسكة له الا انها من أول اواحد لايوصف بصفه ولايدرك بنعت ونطق لان صور الاشياء كلها (١٢) منه وتحته وهو الغاية والمنتهى التى ليس فوقها جوهر هو أعظم منها الا الاول الواحد وهو الذى قوته اخرجت هذه الاوائل وقدرته ابدعت هذه المبادىء وقال أيضا الحق لايحتاج الى ان يعرف ذاته لانه حق حقا بلا حق وكل حق حقا فهو تحته انما هو حق حقا اذا حققه الموجب له الحق فالحق هو الجوهر الممدد الطباع الحياة والبقاء وهو أفاد هذا العالم بدأ وبقاء بعد دثور قشوره وزكى البسيط الباطن من الدنس الذى كان فيه قد علق به وقال ان هذا العالم اذا اضمحلت قشوره وذهب دنسه صار بسيطا روحانيا بقى بما فيه من الجواهر الصافية النورانية في حد المراتب الروحانية مثل العوالم العلوية التى بلا نهاية وكان هذا واحد منها وبقى جوهر كل قشر ودنس وخبث ويكون له أهل يلبسه لانه غير جائز أن تكون الانفس الطاهرة التى تلبس الادناس القشور مع الانفس الكثيرة القشور فى عالم واحد وانما يذهب من هذا العالم ما ليس من جهة المتوسطات الروحانية وما كان القشر والدنس عليه أغلب وأما ما كان من البارى بلا متوسط أو كان من متوسط بلا قشر فانه لا يضمحل قال وانما يدخل القشر على شىء من غير المتوسطات فيدخل عليه بالعرض لا بالذات وذلك اذا كثرت المتوسطات وبعد الشىء عن الابداع الاول لانه حيث ما قلت المتوسطات فى الشىء كان انور واقل قشورا ودنسا وكلما قلت القشور والدنس كانت الجواهر اصفى والاشياء ابقى

وهو نبى مثله وأسن منه ولاذنب له

(قال ابو محمد وهذا ليس كما ظنوا وهو خارج على وجهين احدهما ان اخذه برأس اخيه ليقبل بوجهه عليه ويسمع عتابه له اذ تاخر عن اتباعه اذ رآهم ضلوا ولم ياخذ بشعر أخيه قط اذ ليس ذلك في الآية أصلا ومن زاد ذلك فيها فقد كذب على الله تعالى لكن هارون عليه السلام خشى بادرة من موسى عليه السلام وسطوة اذ رآه قد اشتد غضبه فاراد توقيفه بهذا الكلام عما تخوفه منه وليس فى هذه الآية ما يوجب غير ما قلناه ولا أنه مد يده الى أخيه أصلا وبالله تعالى التوفيق والثانى ان يكون هارون عليه السلام قد يكون استحق فى نظر موسى عليه السلام النكير لتاخيره عن لحاقه اذ رآهم ضلوا فاخذ برأسه منكرا عليه ولو كان هذا لكان انما فعله موسى عليه السلام غضبا لربه عز وجل وقاصدا بذلك رضاء الله تعالى ولسنا نبعد هذا من الانبياء عليهم السلام وانما نبعد القصد الى المعصية وهم يعلمون انها معصية وهذا هو معني ماذكره الله تعالى عن ابراهيم خليله صلى الله عليه وسلم اذ قال * والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين * وقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم * ليغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر . انما الخطيئة المذكورة والذنوب المغفورة ما وقع بنسيان أو بقصد الى الله تعالى ارادة الخير فلم يوافق رضا الله عز وجل بذلك فقط وذكروا قول موسى عليه السلام للخضر عليه السلام . اقتلت نفسا زكية بغير نفس . فانكر موسى عليه السلام الشىء وهو لايعلمه وقد كان اخذ عليه العهد ان لا يساله عن شىء حتى يحدث له منه ذكرا فهذا أيضا لا حجة لهم فيه لان ذلك كان على سبيل النسيان وقد بين موسي عليه السلام ذلك بقوله . لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقنى من أمري عسرا . فرغب اليه انه لا يؤاخذه بنسيانه ومؤاخذة الخضر له بالنسيان دليل على صحة ما قلنا من انهم عليهم السلام مؤاخذون بالنسيان وبما قصدوا به الله عز وجل فلم يصادفوا بذلك مراد الله عز وجل وتكلم موسى عليه السلام على ظاهر الامر وقدر ان الغلام زكى اذ لم يعلم له ذنبا وكان عند الخضر العلم الجلى بكفر ذلك الغلام واستحقاقه القتل فقصد موسى عليه السلام بكلامه فى ذلك وجه الله تعالى والرحمة وانكار ما لم يعلم وجهه وذكروا قول موسى عليه السلام . فعلتها اذا وانا من الضالين . فقول صحيح وهو حاله قبل النبوة فانه كان ضالا عما اهتدى له بعد النبوة وضلال الغيب عن العلم كما تقول أضلت بعيرى لا ضلال القصد الى الاثم وهكذا قول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ووجدك ضالا فهدى . أى ضالا عن المعرفة وبالله تعالى التوفيق وذكروا قول الله عز وجل عن بنى اسرائيل . فقد سالوا موسى أكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم . قالوا وموسى قد سال ربه مثل ذلك فقال . رب ارنى انظر اليك قال

لن

ومما ينقل عن برقلس انه قال ان البارى عالم بالاشياء كلها اجناسها وأنواعها وأشخاصها وخالف بذلك ارسطوطاليس فانه قال يعلم أجناسها وأنواعها دون اشخاصها الكائنة الفاسدة فان علمه يتعلق بالكليات دون الجزئيات كما ذكرنا ومما ينقل عنه فى قدم العالم قوله لن يتوهم حدوث العالم الابعد ان لم يكن فابدعه البارى وفى الحالة التى لم يكن ام يخلو من حالات ثلاث أما ان البارى لم يكن قادرا فصار قادرا وذلك محال لانه قادر لم يزل واما انه لم يرد فاراد (١٣) وذلك محال ايضا لانه مريد لم يزل وأما انه لم يفيض الحكمة وذلك محال أيضا لان الوجود اشرف من العدم على الاطلاق فاذا بطلت هذه الجهات الثلاث تشابها فى الصفة الخاصة وهي القدم على أصل المتكلم أوكان القدم بالذات له دون غيره وان كان معا فى الوجود والله الموفق

(رأى ثامسطيوس)

وهو الشارح لكلام ارسطوطاليس وانما يعتمد شرحه اذا كان أهدى القوم الى اشاراته ورموزه وهو على رأى ارسطوطاليس فى جميع ماذكرنا من اثبات العلة الاولى واختار من المذاهب فى المبادىء قول من قال ان المبادىء ثلاثة الصورة والهيولى والعدم وفرق بين العدم المطلق والعدم الخاص فان عدم صورة بعينها عن مادة تقبلها مثل عدم السفينة عن الحديد ليس كعدم السفينة عن الصوف فان هذه المادة لاتقبل هذه الصورة أيضا وقال ان الافلاك حصلت من العناصر الاربعة لان العناصر حصلت من الافلاك ففيها نارية وهوائية ومائية وأرضية الا ان الغالب على الافلاك النارية كما أن الغالب على المركبات السفلية هو الارضية والكواكب نيران متشملات حصلت تراكيبها على وجه لايتطرق اليها الانحلال لانها لاتقبل الكون والفساد والتغير والاستحالة والا فالطبائع واحدة والفرق يرجع الى ماذكرنا ونقل ثامسطيوس عن ارسطوطاليس وافلاطن وثاوفرسطيس وفرفريوس وفلوطرخيس وهو رأيه فى أن

لن ترانى . قالوا فقد سال موسى عليه السلام امرا عوقب سائلوه قبله

(قال ابو محمد) وهذا لاحجة لهم فيه لانه خارج على وجهين احدهما ان موسى عليه السلام سال ذلك قبل سؤال بني اسرائيل رؤية الله تعالى وقبل ان يعلم ان سؤال ذلك لايجوز فهذا لا مكروه فيه لانه سال فضيلة عظيمة اراد بها علو المنزلة عند ربه تعالى والثانى ان بني اسرائيل سالوا ذلك متعنتين وشكاكا فى الله عز وجل وموسى سال ذلك على الوجه الحسن الذى ذكرنا آنفا

(الكلام على يونس عليه السلام)

(قال ابو محمد) وذكروا أمر يونس عليه السلام وقول الله تعالى عنه . وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين . وقوله تعالى . فلولا انه كان من المسبحين للبث فى بطنه الى يوم يبعثون . وقوله لنبيه عليه السلام . فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم . وقوله تعالى . فالتقمه الحوت وهو مليم . قالوا ولا ذنب أعظم من المغاضبة لله عز وجل ومن أكبر ذنبا ممن ظن ان الله لا يقدر عليه وقد أخبر الله تعالى انه استحق الذم لولا ان تداركه نعمة الله عز وجل وانه استحق الملامة وانه اقر على نفسه انه كان من الظالمين ونهى الله تعالى نبيه ان يكون مثله (قال ابو محمد) هذا كله لاحجة لهم فيه بل هو حجة لنا على صحة قولنا والحمد لله رب العالمين أما أخبار الله تعالى ان يونس ذهب مغاضبا فلم يغاضب ربه قط ولا قال الله تعالى انه غاضب ربه فمن زاد هذه الزيادة كان قائلا على الله الكذب وزائدا فى القرآن ماليس فيه هذا لا يحل ولا يجوز ان يظن بمن له ادنى مسكة من عقل انه يغاضب ربه تعالى فكيف ان يفعل ذلك نبي من الانبياء فعلمنا يقينا انه إنما غاضب قومه ولم يوافق ذلك مراد الله عز وجل فعوقب بذلك وان كان يونس عليه السلام لم يقصد بذلك الا رضا الله عز وجل واما قوله تعالى . فظن ان لن نقدر عليه . فليس على ماظنوه من الظن السخيف الذى لا يجوز ان يظن بضعيفة من النساء او بضعيف من الرجال الا ان يكون قد بلغ الغاية من الجهل فكيف بنبي مفضل على الناس فى العلم ومن المحال المتيقن ان يكون نبي يظن ان الله تعالى الذى أرسله بدينه لا يقدر عليه وهو يرى ان آدميا مثله يقدر عليه ولا شك فى ان من نسب هذا للنبي صلى الله عليه وسلم الفاضل فانه يشتد غضبه لو نسب ذلك اليه او الى ابنه فكيف الى يونس عليه السلام الذى يقول فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفضلونى على يونس بن متى فقد بطل ظنهم بلا شك وصح ان معني قوله . فظن ان لن

العالم أجمع طبيعة واحدة عامة وكل نوع من أنواع النبات والحيوان مختص بطبيعة خاصة وحدوا الطبيعة العامة انها مبدأ الحركة فى الاشياء والسكون فيها على الامر الاول من ذواتها وهى علة الحركة فى المتحركات وعلة السكون فى الساكنات زعموا ان الطبيعة هى التى تدبر الاشياء كلها فى العالم حياته ومواته تدبيرا طبيعيا وليست هى حية ولا قادرة ولا مختارة ولكن لا تفعل الا حكمة وصوابا (١٤) وعلى تمام صحيح وترتيب محكم قال ثامسطيوس قال ارسطوطاليس فى مقالة اللام ان الطبيعة تفعل ما تفعل من الحكمة والصواب وان لم يكن حيوانا الا انها الهمت من سبب هو أكرم منها وأوهى الى ان السبب هو الله وقال أيضا ان الطبيعة طبيعتان طبيعة مستعلية على الكون والفساد بكلياتها وجزئياتها يعنى الفلك والنيرات وطبيعة يلحق جزئياتها الكون والفساد لا كلياتها يريد بالجزئيات الاشخاص وبالكليات الاستقصات

(رأى الاسكندر الافروديسي) وهو من كبار الحكماء رأيا وعلما وكلامه امتن ومقالته أرصن وافق ارسطوطاليس فى جميع آرائه وزاد عليه فى الاحتجاج على ان البارى عالم بالاشياء كلها كلياتها وجزئياتها على نسق واحد وهو عالم بما كان وبما سيكون ولا يتغير علمه بتغير المعلوم ولا يتكثر بتكثره ومما انفرد به ان قال كل كوكب ذو نفس وطبع وحركة من جهة نفسه وطبعه ولا يقبل التحريك من غيره أصلا بل انما يتحرك بطبعه واختياره الا ان حركاته لا تختلف لانها دورية وقال لما كان الفلك محيطا بما دونه وكان الزمان جاريا عليه لان الزمان هو العاد للحركات او هو عدد الحركات ولما لم يكن محيط بالفلك شيء آخر ولا كان الزمان جاريا عليه لم يجز أن يفسد الفلك ويكون فلم يكن قابلا للكون والفساد وما لم يقبل الكون والفساد كان قديما أزليا وقال فى كتابه فى النفس ان الصناعة تقبل

تقدر عليه. أى لن نضيق عليه كما قال تعالى. وأما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه. اي ضيق عليه فظن يونس عليه السلام ان الله تعالى لا يضيق عليه فى مغاضبته لقومه اذ ظن انه محسن فى فعله ذلك وإنما نهى الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وسلم عن ان يكون كصاحب الحوت فنعم نهاه الله عز وجل عن مغاضبة قومه وامره بالصبر على اذاهم وبالمطاولة لهم واما قول الله تعالى انه استحق الذم والملامة لولا النعمة التى تداركه بها للبث معاقبا فى بطن الحوت فهذا نفس ما قلناه من ان الانبياء عليهم السلام يؤاخذون فى الدنيا على ما فعلوه مما يظنونه خيرا وقربة الى الله عز وجل اذا لم يوافق مراد ربهم وعلى هذا الوجه أقر على نفسه بانه كان من الظالمين والظلم وضع الشيء فى غير موضعه فلما وضع النبى صلى الله عليه وسلم المغاضبة فى غير موضعها اعترف فى ذلك بالظلم لا على انه قصده وهو يدرى انه ظلم انقضى الكلام فى يونس عليه السلام وبالله تعالى التوفيق

(الكلام فى داود عليه السلام)

وذكروا أيضا قول الله تعالى حاكيا عن داود عليه السلام * وهل أتاك نبا الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان * الى قوله فغفرنا له ذلك (قال أبو محمد) وهذا قول صادق صحيح لا يدل على شيء مما قاله المستهزئون الكاذبون المتعلقون بخرافات ولدها اليهود وانما كان ذلك الخصم قوما من بنى آدم بلا شك مختصمين فى نعاج من الغنم على الحقيقة بينهم بغى أحدهما على الآخر على نص الآية ومن قال انهم كانوا ملائكة معرضين بأمر النساء فقد كذب على الله عز وجل وقوله ما لم يقل وزاد فى القرآن ما ليس فيه وكذب الله عز وجل وأقر على نفسه الخبيثة انه كذب الملائكة لان الله تعالى يقول * هل أتاك نبأ الخصم * فقال هو لم يكونوا قط خصمين ولا بغى بعضهم على بعض ولا كان قط لاحدهما تسع وتسعون نعجة ولا كان للآخر نعجة واحدة ولا قال له أكفلنيها فاعجبوا لم يقحمون فيه أهل الباطل أنفسهم ونعوذ بالله من الخذلان ثم كل ذلك بلا دليل بل الدعوى المجردة وتالله ان كل امرئ منا ليصون نفسه وجاره المستور عن أن يتعشق امرأة جاره ثم يعرض زوجها للقتل عمدا ليتزوجها وعن أن يترك صلاته لطائر يراه هذه أفعال السفهاء المتكهوكين الفساق المتمردين لا أفعال أهل البر والتقوى فكيف برسول الله داود صلى الله عليه وسلم الذى أوحى اليه كتابه وأجرى على لسانه كلامه لقد نزهه الله عز وجل عن أن يمر مثل هذا الفحش بباله فكيف أن يستضيف الى أفعاله وأما استغفاره وخروره ساجدا ومغفرة الله تعالى له فالانبياء عليهم السلام أولى الناس بهذه الافعال الكريمة والاستغفار فعل خير لا ينكر من ملك ولا من نبي

الطبيعة والطبيعة لاتقبل الصناعة وقال الطبيعة لطف وقوة وان أفعالها تفوق فى البراعة واللطف كل أعجوبة يتلطف فيها بصناعة من الصناعات وقال فى ذلك الكتاب لافعل للنفس دون مشاركة البدن حتى التصور بالعقل فانه مشترك بينهما وأومى الى انه لايبقى للنفس بعد مفارقتها قوة أصلا حتى القوة العقلية وخالف استاذه ارسطوطاليس فانه قال الذى يبقى مع النفس من جميع مالها من القوى هى القوة العقلية فقط ولذتها فى (١٥) ذلك العالم مقصورة على اللذات العقلية فقط اذ لا قوة لها دون ذلك فتحسس وتلتذ والمتأخرون يثبتون بقاءها على هيآت أخلاقية استفادتها من مشاركة البدن فتستعد بها لقبول الهيئات الملكية فى ذلك العالم (رأى فرفور يوس) وهو أيضا على رأي ارسطوطاليس ووافقه فى جميع ماذهب اليه ويدعى ان الذى يحكى عن أفلاط من القول بحدث لعالم غير صحيح قال فى رسالته الى انابا نوما مافرق به افلاطن عندكم من انه يضع للعالم ابتداء زمانيا فدعوى كاذبة وذلك ان افلاطن ليس يرى ان للعالم ابتداء زمانيا لكن ابتداء على جهة العلة ويزعم ان علة كونه ابتداؤه وقد رأي ان المتوهم عليه فى قوله ان العالم مخلوق وانه حدث لا من شىء وانه خرج من لا نظام الى نظام فقد أخطأ وغلط وذلك انه لايصح دائما ان كل عدم أقدم من الوجود فيما علة وجوده شىء آخر غيره ولا كل سوء نظام اقدم من النظام وانما يعنى افلاطن ان الخالق أظهر العالم من العدم الى الوجود ان وجدانه لم يكن من ذاته لكن سبب وجوده من الخالق وقال في الهيولى انها امر قابل للصور وهى كبيرة وصغيرة وهما فى الموضوع والحد واحد ولم يبين العدم كما ذكره اريسطوطاليس الا انه قال الهيولي لا صورة له فقد علم ان عدم الصورة فى الهيولى وقال ان المكونات كلها انما تكون بالصور على قبول التغير وتفسد بخلو الصور عنها وزعم فرفوريوس انها

نبى ولا من مذنب ولا من غير مذنب فالنبى يستغفر الله لمذنبى أهل الارض والملائكة كما قال الله تعالى * ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم * وأما قوله تعالى عن داود عليه السلام وظن داود انما فتناه * وقوله تعالى * فغفرنا له ذلك فقد ظن داود عليه السلام أن يكون ما أتاه الله عز وجل من سعة الملك العظيم فتنة فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو فى أن يثبت الله قلبه علي دينه فاستغفر الله تعالى من هذا الظن فغفر الله تعالى له هذا الظن اذ لم يكن ما أتاه الله تعالى من ذلك فتنة

الكلام فى سليمان عليه السلام

وذكروا قول الله عز وجل عن سليمان عليه السلام * ولقد فتنا سليمان وألقينا علي كرسيه جسدا ثم أناب *

(قال أبو محمد) ولا حجة لهم فى هذا اذ معنى قوله تعالى فتنا سليمان أى أتيناه من الملك ما اختبرنا به طاعته كما قال تعالى مصدقا لموسى عليه السلام فى قوله تعالى * ان هى الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء * ان من الفتنة من يهدى الله من يشاء * وقال تعالى الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين * فهذه الفتنة هى الاختبار حتى يظهر المهتدى من الضال فهذه فتنة الله تعالى لسليمان انما هى اختباره حتى ظهر فضله فقط وماعدا هذا فخرافات ولدها زنادقة اليهود واشباههم وأما الجسد الملقى علي كرسيه فقد أصاب الله تعالى به ما أراد نؤمن بهذا كما هو ونقول صدق الله عز وجل كل من عند الله ربنا ولو جاء نص صحيح فى القرآن أو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتفسير هذا الجسد ماهو لقلنا به فاذا لم يأت بتفسيره ما هو نص ولا خبر صحيح فلا يحل لاحد القول بالظن الذى هو أكذب الحديث فى ذلك فيكون كاذبا على الله عز وجل الا اننا لا نشك البتة فى بطلان قول من قال انه كان جنيا تصور بصورته بل نقطع علي انه كذب والله تعالى لا يهتك ستر رسوله صلى الله عليه وسلم هذا الهتك وكذلك نبعد قول من قال انه كان ولدا له أرسله الى السحاب ليربيه فسليمان عليه السلام كان أعلم من أن يربى ابنه بغير ما طبع الله عز وجل بنية البشر عليه من اللبن والطعام وهذه كلها خرافات موضوعة مكذوبة لم يصح اسنادها قط وذكروا أيضا قول الله عز وجل عن سليمان عليه السلام انى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب ردوها علي فطفق مسحا بالسوق والاعناق * وتأولوا ذلك علي ما قد نزه الله عنه من له أدنى مسكة من عقل

من أهل زماننا وغيره فكيف بنبي معصوم مفضل في انه قتل الخيل اذا اشتغل بها عن الصلاة

(قال ابو محمد) وهذه خرافة موضوعة مكذوبة سخيفة باردة قد جمعت افانين من القول والظاهر انها من اختراع زنديق بلا شك لان فيها معاقبة خيل لا ذنب لها والتمثيل بها واتلاف مال منتفع به بلا معنى ونسبة تضييع الصلاة الى نبي مرسل ثم يعاقب الخيل على ذنبه لا على ذنبها وهذا أمر لا يستجيزه صبي ابن سبع سنين فكيف بنبي مرسل ومعنى هذه الآية ظاهر بين وهو انه عليه السلام اخبر انه أحب حب الخير من أجل ذكر ربه حتى توارت الشمس بالحجاب أو حتى توارت تلك الصافنات الجياد بحجابها ثم أمر بردها فطفق مسحا بسوقها وأعناقها بيده براً بها واكراما لها هذا هو ظاهر الآية الذي لا يحتمل غيره وليس فيها اشارة أصلا الى ما ذكروه من قتل الخيل وتعطيل الصلاة وكل هذا قد قاله ثقات المسلمين فكيف ولا حجة في قول أحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكروا أيضا الحديث الثابت من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان سليمان عليه السلام قال لاطوفن الليلة على كذا وكذا امرأة كل امرأة منهن تلد فارسا يقاتل في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله

(قال أبو محمد) وهذا ما لا حجة لهم فيه فان من قصد تكثير المؤمنين المجاهدين في سبيل الله عز وجل فقد أحسن ولا يجوز ان يظن به انه يجهل ان ذلك لا يكون الا أن يشاء الله عز وجل وقد جاء في نص الحديث المذكور انه انما ترك ان شاء الله نسيانا فاوخذ بالنسيان في ذلك وقد قصد الخير وهذا نص قولنا والحمد لله رب العالمين تم الكلام في سليمان عليه الصلاة والسلام

(فصل) وذكروا قوله تعالى . واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين

(قال أبو محمد) وهذا ما لا حجة لهم فيه لانه ليس في نص الآية ولا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا المذكور كان نبياً وقد يكون انباء الله تعالى لهذا المذكور آياته انه أرسل اليه رسولا بآياته كما فعل بفرعون وغيره فانسلخ منها بالتكذيب فكان من الغاوين وإذا صح ان نبياً لا يعصى الله عز وجل تعمدا فمن المحال أن يعاقبه الله تعالى على ما لا يفعل ولا عقوبة أعظم من الحط عن النبوة ولا يجوز أن يعاقب بذلك نبي البتة لانه لا يكون منه ما يستحق به هذا العقاب وبالله تعالى التوفيق فصح يقينا ان هذا المنسلخ لم يكن قط نبيا وذكروا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ما من أحد الا من ألم بذنب او كاد إلا يحيي بن زكريا او كلاما هذا معناه

(قال ابو محمد) وهذا صحيح وليس خلافا لقولنا إذ قد بينا ان الانبياء عليهم السلام

ان من الاصول الثلاثة التي هي الهيولى والصور والعدم ان كل جسم اما ساكن واما متحرك وهاهنا شيء يكون ما يتكون ويحرك الاجسام وكل ما كان واحدا بسيطا ففعله واحد بسيط وما كان كثيرا مركبا فافعاله كثيرة مركبة وكل موجود ففعله مثل طبيعته ففعل الله بذاته فعل واحد بسيط وما في أفعاله يفعلها بمتوسط فمركب وقال كل ما كان موجودا فله فعل من الافعال مطابق لطبيعته ولما كان الباري (١٦): تعالى موجودا ففعله الخاص هو الاجتلاب الى الوجود ففعل فعلا واحدا وحرك حركة واحدة وهو الاجتلاب الى شبهه يعني الوجود ثم اما أن يقال كان المفعول معدوما يمكن ان يوجد وذلك هو طبيعة الهيولى بعينها فيجب ان يسبق الوجود طبيعة ما قابلة للوجود واما ان يقال لم يكن معدوما يمكن أن يوجد بل أوجده عن لاشيء وابدع وجوده من غير توهم شيء سبقه وهو ما يقوله الموحدون قال فاول فعل فعله هو الجوهر الا ان كونه جوهرا وقع بالحركة فوجب أن يكون بقاؤه جوهرا بالحركة وذلك انه ليس للجوهر ان يكون بذاته بمنزلة الوجود الاول لكن من التشبه بذلك الاول وكل حركة تكون فاما على خط مستقيم وأما على الاستدارة فتحرك الجوهر بهاتين الحركتين ولما كان وجود الجوهر بالحركة وجب أن يتحرك الجوهر في جميع الجهات التي يمكن فيها الحركة فيتحرك جميع الجواهر في جميع الجهات حركة مستقيمة على جميع الخطوط وهي ثلاثة الطول والعرض

يقع

والعمق الا انه لم يمكن ان يتحرك على هذه الخطوط بلا نهاية اذ ليس يمكن فيما هو بالفعل أن يكون بلا نهاية فيحرك الجوهر في هذه الاقطار الثلاثة حركة متناهية على خطوط مستقيمة وصار بذلك جسما يبقى عليه أن يتحرك بالاستدارة على الجهة التي يمكن فيه أن يتحرك بلا نهاية ولا يسكن وقتا من الاوقات الا انه ليس يمكن ان يتحرك باجمعه حركة

يقع منهم النسيان وقصد الشيء يظنونه قربة الى الله تعالى فاخبر عليه السلام انه لم ينج من هذا أحد الا يحيي بن زكريا عليهما السلام فيقول من هذا إن يحيي لم يذنس شيئا واجباً عليه قط ولا فعل الا ما وافق فيه مراد ربه عز وجل

(الكلام في محمد صلى الله عليه وسلم)

(قال ابو محمد) وذكروا قول الله تعالى لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم * وقوله تعالي * عبس وتولى ان جاءه الاعمي ومايدريك لعله يزكي او يذكر فتنفعه الذكرى اما من استغنى فانت له تصدى وما عليك الا يزكى واما من جاءك يسعى وهو يخشي فانت عنه تلهى * وبالحديث الكاذب الذي لم يصح قط في قراءته عليه السلام في والنجم اذا هوى وذكروا تلك الزيادة المفتراة التى تشبه من وضعها من قولهم وانها الغرانيق العلى وان شفاعتها لترتجى وذكروا * قول الله تعالى * وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى امنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته * وبقوله تعالى * ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله وان الوحى امتسك عنه عليه السلام لتركه الاستثناء اذ ساله اليهود عن الروح وعن ذى القرنين واصحاب الكهف * وبقوله تعالى * وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشي الناس والله احق ان تخشاه * وبما روى من قوله عليه السلام لقد عرض علي عذابكم ادنى من هذه الشجرة اذ قبل الفداء وترك قتل الاسرى ببدر وبما روى من قوله عليه السلام لو نزل عذاب ما نجى منه الا عمر لان عمر اشار بقتلهم وذكروا انه عليه السلام مال الى رأى ابي بكر في الفدا والاستبقاء وبقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر * قالوا فان لم يكن له ذنب فماذا غفر له وباى شيء أمتن الله عليه فى ذلك وبقوله صلى الله عليه وسلم لو دعيت الى ما دعي اليه يوسف لاجبت فانما هذا اذ دعي الى الخروج من السجن فلم يجب الى الخروج حتى قال للرسول ارجع الى ربك فاساله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن ان ربي بكيدهن عليم . فامسك عن الخروج من السجن وقد دعى الى الخروج عنه حتى اعترف النسوة بذنبهن وبراءته وتيقن بذلك ما كان شك فيه فاخبر محمد صلى الله عليه وسلم انه لو دعى الى الخروج من السجن لاجاب وهذا التفسير منصوص فى الحديث نفسه كما ذكرنا من كلامه عليه السلام لو لبثت في السجن ما لبث يوسف عليه السلام ثم دعيت لاجبت الداعى او كلاما هذا معناه واما قول الله عز وجل . ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر . فقد بينا ان ذنوب الانبياء عليهم السلام ليست الا ما وقع بنسيان او بقصد الى ما يظنون خيرا مما لا يوافقون مراد الله تعالى منهم فهذان الوجهان هما اللذان غفر الله عز وجل له واما قوله . لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم . فانما الخطاب فى ذلك للمسلمين لا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانما كان ذلك اذ تنازعوا فى غنائم بدر فكانوا هم المذنبين المتشتين عليه يبين ذلك

على الاستدارة لان الدائر يحتاج الى شيء ساكن فى وسط منه فعند ذلك انقسم الجوهر فتحرك بعضه على الاستدارة وسكن بعضه فى الوسط وقال كل جسم يتحرك فماس جسما ساكنا فى طبيعته قبول التاثير منه حركه معه واذا حركه سخن واذا سخن لطف وانحل وخف فكانت النار تلى الفلك والجسم الذى يلى النار يبعد عن الفلك ويتحرك بحركة النار فيكون حركته أقل فلا يتحرك لذلك اجمعه لكن جزء منه فيسخن (١٧) دون سخونة النار وهو الهواء والجسم الذي يلى الهواء لا يتحرك لبعده عن المحرك فهو بارد لسكونه وحار حرارة يسيرة بمجاورة الهواء وكذلك انحل قليلا وأما الجسم الذى فى الوسط فلانه بعد فى الغاية عن الفلك ولم يستفد من حركته شيئا ولا قبل منه تاثيرا سكن وبرد وهذه هى الارض واذا كانت هذه الاجسام تقبل التاثير بعضها من بعض اختلطت وتولد عنها أجسام مركبة وهذه هى الاجسام المحسوسة وقال الطبيعة تفعل بغير فكر ولا عقل ولا ارادة ولكنها ليست تفعل بالبخت والاتفاق والخبط بل لا يفعل الا ماله نظم وترتيب وحكمة وقد يفعل شيئا من أجل شيء كما يفعل البر لغذاء الانسان ويهيء أعضاؤه لما يصلح له وقسم فرفوريوس مقالة أرسطاطاليس فى الطبيعة خمسة أقسام أحدها العنصر والثانى الصورة والثالث المجتمع منهما كالانسان والرابع الحركة الحادثة فى الشيء بمنزلة حركة النار الكائنة الموجودة فيها الى فوق والخامس الطبيعة العامة للكل لان الجزئيات لا يتحقق وجودها الا عن كل يشملها ثم اختلفوا فى مركزها فمن الحكماء من صار الى انها فوق الكل وقال آخرون أنها دون الفلك قالوا وأما الدليل على وجودها أفعالها وقواها المنبثة فى العالم الموجبة للحركات والافعال كذهاب النار والهواء الى فوق وذهاب الماء والارض الى تحت فنعلم يقينا ان لا قوى فيها أوجبت تلك الحركات كانت مبدأ لها لم توجد فيها وكذلك

مايوجد في النبات والحيوان من قوة الغذاء وقوة النمو والنشو المتاخرون من فلاسفة الاسلام مثل يعقوب ابن اسحاق الكندي وحنين بن اسحاق ويحي النحوي وأبي الفرج المفسر وابي سليمان السنجري وابي سليمان محمد المقدسي وابي بكر ثابت ابن قرة وابي تمام يوسف بن محمد النيسابوري وابي زيد احمد بن سهل البلخي وابي محارب الحسن بن سهل ابن محارب القمي واحمد بن الطيب السرخسي وطلحة بن محمد النسفي وابي حامد احمد بن محمد (١٨) الاسفرايني وعيسى بن علي الوزير وابي علي احمد بن مسكويه وابي ذكريا يحي ابن عدي الضيمرس وابي الحسن العامري وابي نصر محمد ابن محمد بن طرخان الفارابي وغيرهم واما علامة القوم ابو علي الحسين بن عبد الله بن سينا قد سلكوا كلهم طريقة ارسطوطاليس في جميع ماذهب اليه وانفرد به سوى كلمات يسيرة ربما رأوا فيها رأى افلاطن والمتقدمين ولما كانت طريقة ابن سينا ادق عند الجماعة ونظره في الحقائق أغوص اخترت نقل طريقته من كتبه على ايجاز واختصار لانها عيون كلامه ومتون مرامه واعرضت عن نقل طرق الباقين وكل الصيد في جوف الفرا كلامه في المنطق (قال أبو علي بن عبد الله بن سينا) العلم اما تصور واما تصديق فالتصور هو العلم الاول وهو ان تدرك أمرا ساذجا من غير ان تحكم عليه بنفي او اثبات مثل تصورنا ماهية الانسان والتصديق هو ان تدرك امرا وامكنك ان تحكم عليه بنفي او اثبات مثل تصديقنا بان للكل مبدأ وكل واحد من القسمين منه ماهو أولي ومنه ماهو مكتسب فالتصور المكتسب انما يستحصل بالحد وما يجري مجراه والتصديق المكتسب انما يستحصل بالقياس وما يجري مجراه فالحد والقياس آلتان بهما تحصل المعلومات التي لم تكن حاصلة فتصير معلومة بالروية وكل واحد منهما منه ماهو حقيقي ومنه ماهو دون الحقيقي ولكنه نافع منفعة بحسبه ومنه ماهو باطل مشبه بالحقيقي والفطرة الانسانية غير كافية في التمييز بين

قوله تعالى. يسالونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم. وقوله تعالى في هذه السورة نفسها النازلة في هذا المعنى. يجادلونك في الحق بعدما تبين كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون. وقوله تعالي قبل ذكره الوعيد بالعذاب الذي احتج به من خالفنا. تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة. فهذا نص القرآن وقدر الله عز وجل الامر في الانفال الماخوذة يومئذ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واما الخبر المذكور الذي فيه لقد عرض على عذابكم ادنى من هذه الشجرة ولو نزل عذاب مانجى منه الا عمر فهذا خبر لايصح لان المنفرد بروايته عكرمة بن عمار اليمامي وهو ممن قد صح عليه وضع الحديث اوسوء الحفظ اوالخطا الذي لايجوز معها الرواية عنه ثم لو صح لكان القول فيه كما قلنا من انه قصد الخير بذلك واما قوله * عبس وتولى الايات فانه كان عليه السلام قد جلس اليه عظيم من عظماء قريش ورجا اسلامه وعلم عليه السلام انه لو اسلم لاسلم باسلامه ناس كثير واظهر الدين وعلم ان هذا الاعمى الذي يساله عن اشياء من امور الدين لايفوته وهو حاضر معه فاشتغل عنه عليه السلام بما يخاف فوته من عظيم الخير عما لايخاف فوته وهذا غاية النظر للدين والاجتهاد في نصرة القرآن في ظاهر الامر ونهاية التقرب الى الله الذي لو فعله اليوم منا فاعل لاجر فعاتبه الله عز وجل على ذلك اذ كان الاولى عند الله تعالى ان يقبل على ذلك الاعمى الفاضل البر التقي وهذا نفس ماقلناه وكما سهى عليه السلام من اثنتين ومن ثلاث وقام من اثنتين ولا سبيل الى ان يفعل من ذلك شيئا تعمدا اصلا نعم ولا يفعل ذلك تعمدا انسان منا فيه خير واما الحديث الذي فيه وانهن الغرانيق العلى وان شفاعتها لترتجى فكذب بحت موضوع لانه لم يصح قط من طريق النقل ولا معنى للاشتغال به اذ وضع الكذب لايعجز عنه احد واما قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته فينسخ الله مايلقى الشيطان الآية فلا حجة لهم فيها لان الاماني الواقعة في النفس لامعنى لها وقد تمنى النبي صلى الله عليه وسلم اسلام عمه ابي طالب ولم يرد الله عز وجل كون ذلك فهذه الاماني التي ذكرها الله عز وجل لاسواها وحاشا لله ان يتمنى نبي معصية وبالله تعالى التوفيق وهذا الذي قلنا هو ظاهر الاية دون مزيد تكلف ولا يحل خلاف الظاهر الا بظاهر آخر وبالله تعالى التوفيق واما قوله * ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت فقد كفي الله عز وجل الكلام في ذلك ببيانه في اخر الاية ان ذلك كان نسيانا فعوتب عليه السلام في ذلك واما قوله تعالى. وتخفى في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق أن تخشاه * فقد أنفنا من ذلك اذ لم يكن فيه معصية أصلا ولا خلاف فيما أمره الله تعالى به وانما كان اراد زواج مباح له فعله ومباح له تركه ومباح له طيه ومباح له اظهاره وانما

خشي

هذه الاصناف الا ان تكون مؤيدة من عند الله فلابد اذا للناظر من آلة قانونية تعصمه مراعاتها عن ان يضل فى فكره وذلك هو الغرض فى المنطق ثم ان كل واحد من الحد والقياس مؤلف من معانى معقولة بتاليف محدود فيكون لها مادة منها الفت وصورة بها التاليف والفساد قد يعرض من إحدى الجهتين وقد يعرض من جهتيهما معا فالمنطق هو الذي انه من اى المواد والصور يكون الحد الصحيح والقياس السديد الذى يوقع يقينا ومن ايها مايوقع (١٩) بمقدار شبيها باليقين ومن ايها مايوقع ظنا غالبا ومن ايها مايوقع مغالطة وجهلا وهذه فائدة المنطق ثم لما كانت المخاطبات النظرية بالفاظ مسموعة والافكار العقلية باقوال عقلية فتلك المعاني التى فى الذهن من حيث يتاتى بها الى غيرها كانت موضوعات المنطق ومعرفة احوال تلك المعاني مسائل علم المنطق فكان المنطق بالنسبة الى المعقولات على مثل النحو بالنسبة الى الكلام والعروض الى الشعر فوجب على المنطقى أن يتكلم فى الالفاظ ايضا من حيث تدل على المعاني واللفظ يدل على المعنى من ثلاثة أوجه أحدها بالمطابقة والثانى بالتضمن والثالث بالالتزام وهو ينقسم الى مفرد ومركب فالمفرد مايدل على معنى وجزء من اجزائه لايدل على جزء من اجزاء ذلك المعنى بالذات أى حين هو جزء له والمركب هو الذى يدل على معنى وله اجزاء منها يلتئم مسموعة ومن معانيها يلتئم معنى الجملة والمفرد ينقسم الى كلى والى جزئى فالكلى هو الذي يدل علي كثيرين بمعنى واحد متفق ولايمنع نفس مفهومه عن الشركة فيه والجزئى هو مايمنع نفس مفهومه ذلك ثم الكلى ينقسم الى ذاتى وعرضى والذاتى هو الذى يقوم ماهية مايقال عليه والعرضي هو الذى لايقوم ماهيته سواء كان مفارقا فى الوجود والوهم وبين الوجود له ثم الذاتى ينقسم الى ماهو مقول فى جواب ماهو وهو اللفظ المفرد الذى

خشي النبي صلى الله عليه وسلم الناس فى ذلك خوف ان يقولوا قولا ويظنوا ظنا فيهلكوا كما قال عليه السلام للانصاريين انها صفية فاستعظما ذلك فاخبرهما النبي صلي الله عليه وسلم انه انما آخشى ان يلقى الشيطان في قلوبهما شيئا وهذا الذى خشيه عليه السلام على الناس من هلاك اديانهم بظن يظنونه به عليه السلام هو الذي يحققه هؤلاء المخذولون المخالفون لنا فى هذا الباب من نسبتهم الى النبى صلى الله عليه وسلم تعمد المعاصي فهلكت اديانهم وضلوا ونعوذ بالله من الخذلان وكان مراد الله عز وجل أن يبدى مافى نفسه لما كان سلف فى علمه من السعادة لامنا زينب رضى الله عنها

(قال أبو محمد) فان قال قائل انكم تحتجون كثيرا بقول الله عزوجل * وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى * وبقوله * فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما * وبقوله تعالى * لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكروا الله كثيرا وبقوله عليه السلام اني لاتقاكم لله واعلمكم بما آتى وآذر وتقولون من أجل هذه النصوص ان كل قول قاله عليه السلام فبوحى من الله قاله وكل عمل عمله فباذن من الله تعالى ورضي منه عمله فاخبرونا عن سلامه صلى الله عليه وسلم من ركعتين ومن ثلاث وقيامه من اثنتين وصلاته الظهر خمسا واخباره بانه يحكم بالحق فى الظاهر لمن لايحل له اخذه ممن يعلم انه فى باطن الامر بخلاف ماحكم له به من ذلك أبوحى من الله تعالى وبرضاه فعل كل ذلك أم كيف تقولون وهل يلزم المحكوم عليه والمحكوم له الرضا بحكمه ذلك وهما يعلمان ان الامر بخلاف ذلك أم لا

(قال أبو محمد) فجوابنا وبالله تعالى التوفيق ان كل ماذكرهاهنا فبوحى من الله تعالى فعله وكل من قدر ولم يشك فى انه قد أتم صلاته فالله تعالى أمره بان يسلم فاذا علم بعد ذلك انه سهي فقد لزمته شريعة الاتمام وسجود السهو برهان ذلك انه لو تمادى ولم يسلم قاصدا الى الزيادة فى صلاته على تقديره انه قد أتمها لبطلت صلاته كلها بلا شك باطنا وظاهرا ولاستحق اسم الفسق والمعصية وكذلك من قدر انه لم يصل الا ركعة واحدة وانه لم يتم صلاته فان الله أمره بالزيادة فى صلاته يقينا حتى لا يشك فى الاتمام وبان يقوم الي ثانية عنده فمتى علم بان الامر كان بخلاف ذلك فصلاته تامة ولزمته حينئذ شريعة سجود السهو وبرهان ذلك أنه لو قعد من واحدة عنده متعمدا مستهزئا او سلم من ثلاث عنده متعمدا لبطلت صلاته جملة ولاستحق اسم الفسق والمعصية لانه فعل خلاف ماأمره الله تعالى به وكذلك أمره الله وأمرنا بالحكم بالبينة العدلة عندنا وباليمين من المنكر وباقرار المقر وان كانت البينة عامدة للكذب فى غير علمنا وكانت اليمين والاقرار كاذبين فى الباطن وافترض الله علينا بذلك سفك الدماء التى لو علمنا الباطن لحرمت علينا وهكذا

يتضمن جميع المعاني الذاتية التى يقوم الشيء بها وفرق بين المقول فى جواب ماهو وبين الداخل فى جواب ماهو والى ماهو ومقول فى جواب أى شيء هو وهو الذى يدل على معنى يتميز به اشياء مشتركة فى معنى واحد تميزا ذاتيا واما العرضى فقد يكون ملازما فى الوجود والوهم وبه يقع تمييز أيضا لاذاتيا وقد يكون مفارقا وفرق بين العرضى والعرض الذى هو قسيم الجوهر واما رسوم الالفاظ (٢٠) الخمسة التى هى الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض العام فالجنس يرسم بانه المقول على كثيرين مختلفين بالحقائق الذاتية فى جواب ماهو والنوع يرسم بأنه المقول علي كثيرين مختلفين بالعدد فى جواب ماهو اذا كان نوع الانواع واذا كان نوعا متوسطا فهو المقول على كثيرين مختلفين في جواب ماهو ويقال عليه قول آخر فى جواب ماهو بالشركة وينتهى الارتقاء الى جنس لاجنس فوقه وان قدر فوق الجنس أمر أعم منه فيكون العموم بالتشكيك والنزول الى نوع لانوع تحته وان قدر دون النوع صنف أخص فيكون الخصوص بالعوارض ويرسم الفصل بانه الكلى الذاتي الذي يقال به على نوع تحت جنسه بانه أى شيء هو ويرسم الخاصة بانه هو الكلي الذاتى الدال على نوع واحد فى جواب أي شيء هو لا بالذات ويرسم العرض العام بانه الكلى المفرد الغير الذاتى ويشترك في معناه كثيرون ووقوع العرض على هذا وعلى الذى هو قسيم الجوهر ووقوع بمعنيين مختلفين فى المركبات أم
الشيء إما عين موجودة واما صورة ماخوذة عنه فى الذهن ولا يختلفان فى النواحى والامم وأما الفظة تدل على الصورة التى فى الذهن وأما كتابة دالة على اللفظ ويختلفان فى الامم والكتابة دالة علي اللفظ واللفظ دال على الصورة فى الذهن وتلك الصورة دالة على الاعيان الموجودة ومبادى القول والكلام اما اسم واما كلمة واما اداة فالاسم لفظ مفرد يدل على معني

في الفروج والاموال برهان ذلك ان حاكما لو شهد عنده بينة عدل عنده فلم يقض بها وقضى باليمين علي المنكر الذى لا بينة عليه بحلف ثم قضى عليه لكان القاضي فاسقا بلا خلاف عاصيا لله عز وجل لخلافه ما أمره الله سبحانه وتعالى به وان وافق حقا لم يكن علم به وفرض على المحكوم عليه والمحكوم له ان يرضيا بالحكم بالبينة واليمين وان يصيرا فى أنفسهما الي حقيقة علمهما فى أخذ الحق واعطائه وبالله تعالى التوفيق

(قال أبو محمد) وذكروا قول الله تعالى * حتى اذا استياس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا . بتخفيف الذال وليس هذا علي ما ظنه الجهال وانما معناه ان الرسل عليهم السلام ظنوا بمن وعدهم النصر من قومهم انهم كذبوا فيما وعدوهم من نصرهم ومن المحال البين ان يدخل فى عقل من له ادني رمق ان الله تعالى يكذب فكيف بصفوة الله تعالى من خلقه واتمهم علما واعرفهم بالله عز وجل ومن نسب هذا الى نبي فقد نسب اليه الكفر ومن اجاز الى نبي الكفر فهو الكافر المرتد بلا شك والذى قلناه هو ظاهر الآية وليس فيها ان الله تعالى كذبهم حاشا لله من هذا وذكروا أيضا قول الله تعالى . فان كنت فى شك مما انزلنا اليك فاسال الذين يقرءون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك

(قال ابو محمد) انما عهدنا هذا الاعتراض من أهل الكتاب وغيرهم واما من يدعى انه مسلم فلا ولا يمكن البتة أن يكون مسلم يظن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شاكا في صحة الوحى اليه ولنا فى هذه الاية رسالة مشهورة وجملة حل هذا الشك ان إن فى هذه الآية المذكورة بمعنى ما التى للجحد بمعنى . وما كنت فى شك مما أنزلنا اليك . ثم أمره ان يسال أهل الكتاب تقريرا لهم علي انهم يعلمون انه نبي مرسل مذكور عندهم فى التوراة والانجيل وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) هذا كل ما موهوا به قد تقصيناه وبيناه وأرينا انه موافق لقولنا ولا يشهد شيء منه لقول مخالفنا وبالله التوفيق ونحن الآن ناخذ بحول الله وقوته فى الاتيان بالبراهين الضرورية الواضحة على صحة قولنا وبطلان قول مخالفنا قال الله تعالى . وما كان لنبي ان يغل ومن يغلل يات بما غل يوم القيامة . وقال تعالى . وما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله * فوجدنا الله تعالى وهو اصدق القائلين قد نفى عن الانبياء عليهم السلام الغلول والكفر والتجبر ولا خلاف بين احد من الامة فى ان حكم الغلول كحكم سائر الذنوب قد صح الاجماع بذلك وان من جوز على الانبياء عليهم السلام شيئا من تعمد الذنوب جوز عليهم الغلول ومن نفى عنهم الغلول نفى عنهم سائر الذنوب وقد صح نفى الغلول عنهم بكلام الله تعالى فوجب انتفاء تعمد الذنوب عنهم بصحة الاجماع علي انها سواء الغلول وقال عز وجل

أم حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون •

(قال ابو محمد) فلا يخلوا مخالفنا الذي يجيز ان يكون الانبياء عليهم السلام قد اجترحوا السيئات من أحد وجهين لا ثالث لهما أما ان يقول ان في سائر الناس من لم يعص ولا اجترح سيئة قيل له فمن هؤلاء الذين نفى الله عنهم ان يكون الذين اجترحوا السيئات مثلهم اذا كانوا غير موجودين في العالم فلا بد من أن يجعل كلام الله عز وجل هذا فارغا لا معنى له وهذا كفر من قائله او يقول هم الملائكة فان قال ذلك رد قوله هذا قول الله تعالى في الآية نفسها سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون . ولا نص ولا اجماع على ان الملائكة تموت ولو جاء بذلك نص لقلنا به بل البرهان موجب ان لا يموتوا لان الجنة دار لا موت فيها والملائكة سكان الجنان فيها خلقوا وفيها يخلدون أبداً وكذلك الحور العين وأيضا فان الموت انما هو فراق النفس للجسد المركب وقد نص رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان الملائكة خلقوا من نور فليس فيهم شيء يفارق شيأ فيسمى موتا فان اعترض معترض بقوله . كل نفس ذائقة الموت . لزمه ان حمل هذه الآية على عمومها ان الحور العين يمتن فيجعل الجنة دار موت وقد ابعدها الله تعالى عنه قال الله تعالى . وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون . فعلمنا بهذا النص ان قوله تعالى . كل نفس ذائقة الموت . انما عنى به من كان في غير الجنة من الجن والانس وسائر الحيوان المركب الذي يفارق روحه جسده وبالله تعالى التوفيق ويرد أيضا قوله ان قال بهذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد الا وقد الم أو كاد الا يحيى بن زكريا أو يقول ان في الناس من لم يجترح سيئة قط وان من اجترح السيئات لا يساويهم كما قال عز وجل فان قال ذلك فان الانبياء عليهم السلام عنده يجترحون السيئات وفي سائر الناس من لا يجترحها فوجب ان يكون في الناس من هو أفضل من الانبياء عليهم السلام وهذا كفر وما قدرنا ان أحدا ممن ينتمي الى اهل الاسلام ولا الى اهل الكتاب ينطلق لسانه بهذا حتى رأينا المعروف بابن الباقلاني فيما ذكر عنه صاحبه أبو جعفر السمناني قاضي الموصل انه قد يكون في الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم من هو أفضل من النبي صلى الله عليه وسلم من حين يبعث الى حين يموت (١) فاستعظمنا ذلك وهذا شرك مجرد وقدح في النبوة لا خفاء به وقد كنا نسمع عن قوم من الصوفية انهم يقولون ان الولي افضل من النبي وكنا لا نحقق هذا على احد يدين بدين الاسلام الى ان وجدنا هذا الكلام كما اوردنا فنعوذ بالله من الارتداد (قال أبو محمد) ولو ان هذا الضال المضل يدري ما معنى لفظة افضل ويدري فضيلة النبوة لما انطلق لسانه بهذا الكفر وهذا التكذيب للنبي صلى الله عليه وسلم اذ يقول اني لاتقاكم

من غير ان يدل على زمان وجود ذلك المعنى والكلمة لفظ مفرد يدل على معنى وعلى الزمان الذي فيه ذلك المعنى لموضوع ما غير معين والاداة لفظ مفرد انما يدل على معنى يصح ان يوضع او يحمل بعد ان يقرن باسم او كلمة واذا ركبت الالفاظ تركيبا يؤدي معنى فحينئذ يسمى قولا ووجوه التركيبات مختلفة وانما يحتاج المنطقي الى تركيب خاص وهو ان يكون بحيث يتطرق اليه التصديق او التكذيب فالقضية هي قول فيه نسبة بين (٢١) شيئين بحيث يتبعه حكم صدق او كذب والحملية منها كل قضية فيها النسبة المذكورة بين شيئين ليس في كل واحد منهما هذه النسبة الا بحيث يمكن ان يدل على كل واحد منهما بلفظ مفرد والشرطية منها كل قضية فيها هذه النسبة بين شيئين فيهما هذه النسبة من حيث هي منفصلة والمتصلة من الشرطية هي التي توجب او تسلب لزوم قضية لاخرى من القضايا الشرطية والمنفصلة منها ما توجب او تسلب عناد قضية لاخرى من القضايا الشرطية والايجاب هو ايقاع هذه النسبة وايجادها وفي الجملة هو الحكم بوجود محمول لموضوع والسلب هو رفع هذه النسبة الوجودية وبالجملة هو الحكم بلا وجود محمول لموضوع والمحمول هو المحكوم به والموضوع هو المحكوم عليه والمخصوصة قضية حملية موضوعها شيء جزئي والمهملة قضية حملية موضوعها كلي ولكن لم يبين ان الحكم في كله او في بعضه ولا بد انه في البعض وشك انه في الكل فحكمه حكم الجزئي والمحصورة هي التي حكمها كلي والحكم عليه مبين بانه في كله او بعضه وقد تكون موجبة أو سالبة والسور هو اللفظ الذي يدل على مقدار الحصر ككل ولا واحد وبعض ولا كل والقضيتان المتقابلتان هما اللتان تختلفان بالسلب والايجاب وموضوعهما ومحمولهما واحد في المعنى والاضافة والقوة والفعل والجزء والكل والزمان والمكان والشرط والتناقض هو التقابل بين قضيتين

---

(١) هذا غير معروف عن الباقلاني اصلا فلعل الناقل حرف الاسم او سهى المصنف اه مصححه

في الايجاب والسلب تقابلا يجب عنه لذاته أن يقتسما الصدق والكذب و يجب أن يراعى فيه الشرائط المذكورة القضية البسيطة هي التي موضوعها أو محمولها اسم محصل والمعدولة هي التي موضوعها أو محمولها غير محصل كقولنا زيد غير بصير العدمية هي التي محمولها أخس المتقابلين أي دل على عدم شيء من شأنه أن يكون للشيء أو لنوعه أو لجنسه مثل قولنا زيد جائر مادة القضايا (٢٢) هي حالة للمحمول بالقياس الى الموضوع يجب بها لامحالة أن يكون له دائما في كل وقت في ايجاب أوسلب أوغير دائم له في ايجاب ولا سلب وجهات القضايا ثلاث: واجب ويدل على دوام الوجود وممتنع ويدل على دوام العدم وممكن ويدل على لادوام وجود ولا عدم والفرق بين الجهة والمادة ان الجهة لفظ مصرح بها يدل على أحد هذه المعاني والمادة حالة للقضية بذاتها غير مصرح بها وربما تخالفا كقولك زيد يمكن أن يكون حيوانا فالمادة واجبة والجهة ممكنة والممكن يطلق على معنيين أحدهما ماليس بممتنع وعلى هذا الشيء اما ممكن واما ممتنع وهو الممكن الدامي والثاني ماليس بضروري في الحالين أعني الوجود والعدم وعلى هذا الشيء اما واجب وأما ممتنع وأما ممكن وهو الممكن الخاصي ثم الواجب والممتنع بينهما غاية الخلاف مع اتفاقهما في معنى الضرورية فان الواجب ضروري الوجود بحيث لوقدر عدمه لزم منه محال والممتنع ضروري العدم بحيث لوقدر وجوده لزم منه محال والممكن الخاصي هو ماليس ضروري الوجود والعدم والحمل الضروري على أوجه ستة تشترك كلها في الدوام. الاول أن يكون الحمل دائما لم يزل ولايزال والثاني أن يكون الحمل مادام ذات الموضوع موجودة لم تفسد وهذان هما المستعملان والمرادان اذا قيل ايجاب أو سلب ضروري. والثالث أن يكون الحمل مادام ذات الموضوع موصوفة

الله واني لست كهيئتكم واني لست مثلكم فاذ قد صح بالنص ان في الناس من لم يجترح السيئة وان من اجترح السيئات لايساويهم عند الله عز وجل فالانبياء عليهم السلام احق بهذه الدرجة وبكل فضيلة بلاخلاف من احد من أهل الاسلام بقول الله عز وجل * الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس * فأخبر تعالى ان الرسل صفوته من خلقه وقد اعترض علينا بعض المخالفين بان قال فما تقول فيمن بلغ فآمن وذكر الله مرات ومات أثر ذلك او في كافر اسلم وقاتل مجاهدا وقتل فجوابنا وبالله تعالى التوفيق ان نقول اما من كان كافرا ثم اسلم فقد اجترح من السيئات بكفره ماهو اعظم من السموات والارض وان كان قد غفر له بايمانه ولكن قد حصل بلاشك من جملة من قد اجترح السيئات واما من بلغ فآمن وذكر الله تعالى ثم مات فقد كان هذا ممكنا في طبيعة العالم وفي بنيته لولا قول الله عز وجل * أم حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء مايحكمون * فان الله تعالى قطع قطعا لايرده الا كافر بانه لايجعل من اجترح السيئات كمن لم يجترحها ونحن نوقن ان الصحابة رضي الله عنهم وهم افضل الناس بعد الانبياء عليهم السلام ليس منهم أحد الا وقد اجترح سيئة فكان يلزم على هذا ان يكون من اسلم أثر بلوغه ومات أفضل من الصحابة رضى الله عنهم وهذا خلاف قول النبي صلى الله عليه وسلم انه لو كان لاحدنا مثل احد ذهبا فانفقه لم يبلغ مد احدهم ولا نصيفه فاذا هذا كما قلنا فقول الله عز وجل وقول رسوله صلى الله عليه وسلم أحق بالتصديق لاسيما مع قوله عليه السلام مامن احد الا ألم بذنب او كاد الا يحيي بن زكريا فنحن نقطع قطعا بما ذكرنا انه لاسبيل الى ان يبلغ احد حد التكليف الاولا بد له من ان يجترح سيئات الله اعلم بها وبالله التوفيق

(قال ابو محمد) ومن البرهان على انه لم يكن البتة ان يعصى نبي قوله صلى الله عليه وسلم ما كان لنبي ان تكون له خائنة الاعين لما قال له الانصارى هلا اومات الى في قصة عبد الله بن سعد بن ابي سرح فنفى عليه السلام عن جميع الانبياء عليهم السلام ان تكون لهم خائنة الاعين وهو اخف مايكون من الذنوب ومن خلاف الباطن للظاهر فدخل في هذا جميع المعاصي صغيرها وكبيرها سرها وجهرها

(قال ابو محمد) وايضا فاننا مندوبون الى الاقتداء بالانبياء عليهم السلام والى الايتساء بهم في افعالهم كلها قال الله تعالى * لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر * وقال تعالى * اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده * فصح يقينا انه لو جاز ان يقع من احد من الانبياء عليهم السلام ذنب تعمدا صغيرا وكبيرا كان الله عز وجل قد حضنا على المعاصي وندبنا الى الذنوب وهذا كفر مجرد ممن اجازه فقد صح يقينا ان جميع افعال الانبياء التي يقصدونها خير وحق

قال

بالفصة التى جعلت موضوعة منها . والرابع ان يكون الحمل موجودا وليس ضرورة بلا هذا الشرط . والخامس أن يكون الضرورة وقتا ما معينا لابد منه. والسادس أن يكون الضرورة وقتاما غير معين ثم ان ذوات الجهة قد تتلازم طردا وعكساً وقد لاتتلازم فواجب ان يوجد يلزمه ممتنع ان لايوجد وليس يمكن بالمعنى العام ان لا يوجد وتقائض هذه متعاكسة وقس عليه سائر الطبقات وكل قضية فاما ضرورية واما ممكنة (٢٣) واما مطلقة فالضرورة مثل قولنا كل اب بالضرورة أي كل واحد واحد مما يوصف بانه اب دائما او غير دائم فذلك الشيء دائما مادامت عين ذاته موجودة يوصف بانه او الممكنة فهو الذي حكمه من ايجاب او سلب غير ضروري والمطلقة فيها رايان احدهما انها التى لم يذكر فيها جهة ضرورة للحكم ولا امكان بل اطلق اطلاقا والثاني ما كون الحكم فيها موجودا لا دائما بل وقتاما وذلك الوقت اما مادام الموضوع موصوفا بما يوصف به وما دام المحمول محكوما به اوفى وقت معين ضرورى اوفي وقت ضرورى غير معين اما عكسه وهو تصيير الموضوع محمولا والمحمول موضوعا مع بقاء السلب والايجاب بحالة والصدق والكذب بحالة والسالبة الكلية تنعكس مثل نفسها والسالبة الجزئية لاتنعكس والموجبة الكلية تنعكس موجبة جزئية والموجبة الجزئية تنعكس مثل نفسها فى القياس ومباديه واشكاله ونتائجه المقدمة قول توجب شيا الشيء او يسلب شيئا عن شيء جعلت جزء قياس والحد ما ينحل اليه المقدمة من جهة ماهى مقدمة والقياس هو قول مؤلف من اقوال اذا وضعت لزم عنها بذاتها قول آخر غيرها اضرارا واذا كان بينا لزومه يسمى قياسا كاملا واذ احتاج الى بيان فهو غير كامل والقياس ينقسم الى اقتراني والى استثنائى والاقترانى أن يكون مايلزمه ليس هو ولا نقيضه مقولا فيه بالفعل بوجه والاستثنائى أن يكون ما يلزمه هو أو نقيضه مقولا فيه بالفعل والاقتراني إنما يكون عن مقدمتين يشتركان فى حد ويفترقان فى

(قال ابو محمد) وايضا فقد صح عن النبى صلى الله عليه وسلم عظيم انكاره على ذى الخويصرة لعنه الله ولعن امثاله اذ قال الكافر اعدل يا محمد ان هذه لقسمة ما اريد بها وجه الله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك من يعدل اذا أنا لم اعدل تامننى الله ولا تامنوني اوقوله عليه السلام لام سلمة ام المؤمنين اذ سالته عن الذى قبل امرأته فى رمضان الا اخبرتها انى فعلت ذلك وغضب عليه السلام اذ قال له لست مثلنا قد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وماتاخر فانكر عليه السلام اذ جعل له ذنبا بعمد وان صغر وقال عليه السلام انى والله لاعلمكم بالله واتقاكم لله أو كلاما هذا معناه فان قال قائل فهلا نفيتم عنهم عليهم السلام السهو بدليل الندب الى الايتساء بهم عليهم السلام قلنا وبالله تعالى التوفيق انكار ماثبت كاجازة مالم يثبت سواء ولافرق والسهو منهم قد ثبت بيقين وايضا فان ندب الله تعالى لنا الى الايتساء بهم عليهم السلام لا يمنع من وقوع السهو منهم لان الايتساء بالسهو لا يمكن الا بسهو منا ومن المحال ان نندب الى السهو أو نتكلف السهو لانا لو قصدنا اليه لم يكن حينئذ سهوا ولا يجوز أيضا ان ننهى عن السهو لان الانتهاء عن السهو ليس فى بنيتنا ولا فى وسعنا وقد قال تعالى . لايكلف الله نفسا الا وسعها . ونقول أيضا اننا مامورون اذا سهونا ان نفعل كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ سها وأيضا فان الله تعالى لا يقر الانبياء عليهم السلام على السهو بل ينبههم فى الوقت ولو لم يفعل ذلك تعالى لكان لم يبين لنا مراده منا فى الدين وهذا تكذيب لله عز وجل اذ يقول تعالى تبيانا لكل شيء . واذ يقول . اليوم اكملت لكم دينكم . وقوله تعالى . وقد فصل لكم ما حرم عليكم :

(قال ابو محمد) فسقط قول من نسب الى الانبياء عليهم السلام شيا من الذنوب بالعمد صغيرها وكبيرها اذا لم يبق لهم شبهة يموهون بها أصلا واذ قد قامت البراهين على على بطلانها ولحقوا بذى الخويصرة

(قال ابو محمد) ولو جاز من الانبياء عليهم السلام شيء من المعاصى وقد ندبنا الى الايتساء بهم وبافعالهم لكنا قد ابيحت لنا المعاصى وكنا لاندرى لعل جميع ديننا ضلال وكفر ولعل كل ما عمله عليه السلام معاص ولقد قلت يوما لبعضهم ممن كان يجيز عليهم الصغائر بالعمد أليس من الصغائر تقبيل المرأة الاجنبية وقرصها فقال نعم قلت تجوز أنه يظن بالنبى صلى الله عليه وسلم انه يقبل امرأة غيره متعمدا فقال معاذ الله من هذا ورجع الى الحق من حينه والحمد لله رب العالمين

(قال أبو محمد) قال الله تعالى « انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما

حدين فتكون الحدود ثلاثة ومن شان المشترك فيه أن يزول عن الوسط ويربط مابين الحدين الاخرين فيكون ذلك هو اللازم ويسمى نتيجة فالمكرر يسمى حدا أوسط والباقيان طرفين والذي يريد أن يصير محمول اللازم يسمي الطرف الاكبر والذى يريد أن يكون موضوع اللازم يسمي الطرف الاصغر والمقدمة آلتى فيها الطرف الاكبر يسمى الكبرى والتى فيها الطرف الاصغر يسمى الصغرى (٢٤) وتاليف الصغرى والكبرى يسمى قرينة وهيئة الاقتران يسمي شكلا والقرينة التى يلزم عنها لذاتها قول آخر يسمى قياسا واللازم مادام لم يلزم بعد بل يساق اليه القياس يسمى مطلوبا واذا لم يلزم يسمى نتيجة والحد الاوسط ان كان محمولا فى مقدمة وموضوعا فى الاخرى يسمي ذلك الاقتران شكلا أولا وان كان محمولا فيهما يسمى شكلا ثانيا وان كان موضوعا فيهما يسمى شكلا ثالثا وشترك الاشكال كلها في انه لاقياس عن جزئيين ويشترك ماخلا الكائنة عن الممكنات فى انه لاقياس عن سالبتين ولا عن صغرى سالبة كبراها جزئية والنتيجة تتبع أخس المقدمتين فى الكم والكيف وشريطة الشكل الاول أن تكون كبراه كلية وصغراه موجبة وشريطة الشكل الثانى أن يكون الكبرى فيه كلية واحدى المقدمتين مخالفة للاخرى في الكيف ولا ينتج اذا كانت المقدمتان ممكنتين أو مطلقتين الاطلاق الذى لاينعكس على نفسه كليا وشريطة الشكل الثالث أن يكون فى الصغرى موجبة لابد من كلية كان في كل شكل وليرجع فى المختلطات الى تصانيفه وأما القياسات الشرطية وقضاياها أعلم ان الايجاب والسلب ليس يختص بالحمليات بل وفى الاتصال والانفصال فانه كما ان الدلالة على وجود الحمل ايجاد الحمل كذلك الدلالة على وجود الاتصال ايجاب فى المتصل والدلالة على وجوب الانفصال ايجاب فى المنفصل وكذلك السلب وكل سلب هو ابطال الايجاب

تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما *

(قال أبو محمد) ومن الباطل المحال ان يتم الله نعمته على عبد ويعصى الله بما كبر وما صغر اذ لو كان ذلك لما كانت نعمة الله تعالى عليه تامة بل ناقصة اذ خذله فيما عصي فيه وقال تعالى * انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه * وقال الله تعالى * قل ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن لاتعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم *

(قال ابو محمد) وما وقر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد بلغ الغاية القصوى فى الاستهزاء برسل الله صلى الله عليهم وسلم من جوز ان يكونوا سراقا زناة ولاطة وبغائين ووالله مانعلم كفرا اعظم من هذا ولا استهزاء بالله تعالى وبرسله وبالدين اعظم من كفر اهل هذه المقالة وليت شعرى ما الذى أمنهم من كذبهم فى التبليغ لانا لاندرى لعلهم بلغوا الينا الكذب عن الله تعالى

(قال ابو محمد) فنقول لهم ولعل افعاله التى ناتسى بها تبديل للدين ومعاص لله عز وجل ولا فرق

(قال ابو محمد) وما نعلم اهل قرية اشد سعيا فى افساد الاسلام وكيده من الرافضة واهل هذه المقالة فان كلتا الطائفتين الملعونتين اجازتا تبديل الدين وتحريفه وصرحت هذه الفئة مع ما اطلقت على الانبياء من المعاصي بان الله تعالى انما تعبدنا فى دينه بغالب ظنوننا وانه لا حكم لله الا ما غلب عليه ظن المرء منا وان كان مختلفا متناقضا وما نمترى فى انهم ساعون فى افساد اغمار المسلمين المحسنين بهم الظن نعوذ بالله من الضلال

(قال ابو محمد) فان قال قائل انكم تقولون ان الانبياء عليهم السلام مؤاخذون بما أتوا على سبيل السهو والقصد الى الخير اذا لم يوافق مراد الله تعالى فهلا اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهوه فى الصلاة اقلنا له وبالله تعالى التوفيق قد غفر الله له ماتقدم من ذنبه وماتاخر وهذه فضيلة مما فضل به على جميع النبيين عليهم السلام وهكذا نص عليه السلام فى حديث الشفاعة يوم القيامة ومصير الناس من نبي الى نبى فكل ذكر خطيئة اوسكت فلما ذكروا النبي صلى الله عليه وسلم قال قائلهم عبد غفر الله له ماتقدم من ذنبه وما تاخر فبطل ان يؤاخذ بما غفره الله وبالله تعالى التوفيق

قال ابو محمد) فان قال قائل ايجوز ان يكون نبي من الانبياء عليهم السلام ياتى معصية قبل ان يتنبا قلنا لايخلو من احد وجهين لاثالث لهما اما ان يكون متعبدا بشريعة نبي اتي قبله كما كان عيسى عليه السلام واما ان يكون قد نشا فى قوم قد درست شريعتهم ودثرت ونسيت كما فى بعثة محمد صلى الله عليه وسلم فى قوم قد نسوا شريعة اسماعيل وابراهيم عليهما السلام قال تعالى * ووجدك ضالا فهدى. وقال تعالي. لتنذر قوما ماانذر آباؤهم. فان

ورفعه وكذلك يجرى فيها الحصر والاهمال وقد تكون القضايا كثيرة والمقدمة واحدة والاقتران من المتصلات أن يجعل مقدم احدهما تالى الآخر فيشتركان فى التالى أو يشتركان فى المقدم وذلك على قياس الاشكال الحملية والشرائط فيها واحدة والنتيجة شرطية يحصل من اجتماع المقدم والتالى اللذين هما كالطرفين والاقترانيات من المنفصلات فلا يكون فى جزء تام بل يكون فى جزء غير تام وهو جزء تال او مقدم والاستثنائية مؤلفة من مقدمتين (٢٥) احداهما شرطية والاخرى وضع أو رفع لاحدى جزأيها ويجوز أن تكون حملية وشرطية ويسمى المستثناة والمستثناة من قياس شرطية متصل أما أن يكون من المقدم فيجب أن يكون عين المقدم لينتج عين التالى وان كان من التالى فيجب أن يكون نقيضه لينتج نقيض المقدم واستثناء نقيض المقدم وعين التالى لا ينتج شيئا واما اذا كانت الشرطية منفصلة فان كانت ذات جزئين فقط موجبتين فايهما استثنيت عينه أنتج نقيض الباقى وأيهما استثنيت نقيضه انتج عين الباقى وأما القياسات المركبة ما اذا حللت الى أفرادها كان ماينتج كل واحد منها شيئا آخر الا أن تتابع بعضها مقدمات لبعض وكل نتيجة فانها تستتبع عكسها وعكس نقيضها وجزئها وعكس جزأيها ان كان لها عكس والمقدمات الصادقة تنتج نتيجة صادقة ولا ينعكس فقد ينتج المقدمات الكاذبة نتيجة صادقة والدوران فاخذ النتيجة وعكس احدى المقدمتين فينتج المقدمة الثانية أنه يمكن اذا كانت الحدود فى المقدمات متعاكسة متساوية وعكس القياس هو أن تاخذ مقابلة النتيجة بالضد أو النقيض وتضيف الى احدى المقدمين فينتج مقابلة النتيجة الاخرى احتيالا فى الجدل وقياس الخلف هو الذى فيه المطلوب من جهة تكذيب نقيضه فيكون بالحقيقة مركبا من قياس اقترانى وقياس استثنائى والمصادرة على المطلوب الاول هو ان يجعل

كان النبى متعبدا بشريعة ما فقد أبطلنا آنفا ان يكون نبى يعصى ربه أصلا وان كان نشأ فى قوم دثرت شريعتهم فهو غير متعبد ولا مأمور بما لم يأته أمر الله تعالى به بعد فليس عاصيا لله تعالى فى شىء يفعله أو يتركه الا انا ندرى ان الله عز وجل قد طهر انبياءه وصانهم من كل ما يعابون به لان العيب أذى وقد حرم الله عز وجل ان يؤذى رسوله قال تعالى * ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة واعد لهم عذابا مهينا *

(قال ابو محمد) فبيقين ندرى ان الله تعالى صان انبياءه عن ان يكونوا لبغية أو من أولاد بغى أو من بغايا بل بعثهم الله تعالى فى حسب قومهم فاذ لاشك فى هذا فبيقين ندرى ان الله تعالى عصمهم قبل النبوة من كل ما يؤذون به بعد النبوة فدخل فى ذلك السرقة والعدوان والقسوة والزنا واللياطة والبغى وأذى الناس فى حريمهم وأموالهم وأنفسهم وكل ما يعاب به المرء ويتشكى منه ويؤذى بذكره وقد صح عن النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا ما حدثناه احمد بن محمد الطلمنكى انا ابن فرج انا ابراهيم بن احمد فراس انبانا احمد بن محمد بن سالم النيسابورى انا اسحاق بن راهويه انا وهب بن جرير بن حازم انا ابى انبانا محمد بن اسحاق حدثنى محمد بن عبد الله بن قيس بن مخرمة عن الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما هممت بقبيح مما كان أهل الجاهلية يهمون به الا مرتين من الدهر كلتاهما يعصمنى الله منها قلت لفتى كان معى من قريش باعلى مكة فى أغنام لها ترعى أبصر لى غنمى حتى اسمر هذه الليلة بمكة كما يسمر الفتيان قال نعم فخرجت فجئت ادنى دار من دور مكة سمعت غناء وصوت دفوف وزمير فقلت ما هذا قالوا فلان تزوج فلانة لرجل من قريش فلهوت بذلك الغناء وبذلك الصوت حتى غلبتنى عينى فما ايقظنى الا مس الشمس فرجعت الى صاحبي فقال لى ما فعلت فاخبرته ثم قلت له ليلة اخرى مثل ذلك ففعل فخرجت فسمعت مثل ذلك فقيل لى مثل ما قيل لى فلهوت بما سمعت حتى غلبتنى عينى فما ايقظنى الا مس الشمس فرجعت الى صاحبي فقال لى ما فعلت قلت ما فعلت شيأ فوالله ما هممت بعدها بسوء مما يعمل أهل الجاهلية حتى اكرمنى الله بنبوته

(قال ابو محمد) فصح انه عليه السلام لم يعص قط بكبيرة ولا بصغيرة لا قبل النبوة ولا بعدها ولا هم قط بمعصية صغرت أو كبرت لا قبل النبوة ولا بعدها الا مرتين بالسمر حيث ربما كان بعض ما لم يكن نهى عنه بعد والهم حينئذ بالسمر ليس هما بزنا ولكنه بما يحذو اليه طبع البرية من استحسان منظر حسن فقط وبالله تعالى التوفيق تم الكلام فى الانبياء عليهم السلام

(الكلام فى الملائكة عليهم السلام)

(قال ابو محمد) قد ذكرنا قبل أمر هاروت وماروت ونزيدها هنا بيانا فى ذلك وبالله تعالي التوفيق ان قوما نسبوا الى الله تعالى ما لم يأت به قط اثر يجب ان يشتغل به واعاهو

المطلوب نفسه مقدمة في قياس يراد فيه انتاجه وربما يكون في قياس واحد وربما يبين في قياسات وحيث ما كان ابعد كان من القبول أقرب والاستقراء هو حكم على كلي لوجود ذلك الحكم في جزئيات ذلك الكلي اما كلها وأما أكثرها واما التمثيل هو الحكم على الشيء المعين لوجود ذلك الحكم في شيء آخر غير معين أو أشياء على ان ذلك الحكم كلي على المتشابه فيكون محكوما عليه في المطلوب ومنقول منه (٢٦) الحكم وهو المثل ومعنى متشابه فيه هو الجامع وحكم الرأي مقدمة محمودة كلية في أن كذا كائن أو غير كائن صواب أم خطا الدليل قياس اضماري حده الوسط شيء اذو جد للاصغر تبعه وجود شيء آخر للاصغر دائما كيف كان ذلك التبع والقياس الفراسي شبه بالدليل من وجه وبالتمثيل من وجه في مقدمات القياس من جهة ذواتها وشرائط البرهان المحسوسات هي أمور وقع التصديق بها الحس المجربات هي أمور أوقع التصديق به الحس بشركة من القياس المقبولات آراء أوقع التصديق بها قول من يثق بصدقه فيما يقول اما لامر سماوي يختص به أو لرأي وفكر تميز به الوهميات آراء أوجب اعتقادها قوة الوهم التابعة للحس الزائعات آراء مشهورة محمودة أوجب التصديق بها شهادة الكل المظنونات آراء يقع التصديق بها لا على الثبات بل يخطر امكان نقيضها بالبال ولكن الذهن يكون اليها اميل المتخيلات هي مقدمات ليست تقال ليصدق بها بل ليخيل شيئا على انه شيء آخر على سبيل المحاكاة الاولية ينزل هي قضايا تحدث في الانسان من جهة قوته العقلية من غير سبب أوجب التصديق بها البرهان قياس مؤلف من يقينيات لانتاج يقيني واليقينيات اما اوليات وما جمع منها واما تجربيات وأما محسوسات وبرهان لمي هو الذي يعطيك علة اجتماع طرفي النتيجة في الوجود وفي الذهن جميعا وبرهان اني هو الذي يعطيك علة اجتماع طرفي النتيجة عند الذهن والتصديق به والمطالب هل مطلقا هو تعرف حال الشيء

كذب مفترى من انه تعالى أنزل الى الارض ملكين وهما هاروت وماروت وانهما عصيا الله تعالى وشربا الخمر وحكما بالزور وقتلا النفس وزنيا وعلما زانية اسم الله الاعظم فطارت به الى السماء فمسخت كوكبا وهي الزهرة وانهما عذبا في غار ببابل وانهما يعلمان الناس السحر وحجتهم على ما في هذا الباب خبر رويناه من طريق عمير بن سعيد وهو مجهول مرة يقال له النخعي ومرة يقال له الحنفي ما نعلم له رواية الا هذه الكذبة وليس أيضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه أوقفها عن علي بن ابي طالب رضى الله عنه وكذبة أخرى في ان حد الخمر ليس سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما هو شيء فعلوه وحاشاهم رضى الله عنهم من هذا

(قال ابو محمد) ومن البرهان على بطلان هذا كله قول الله تعالى * الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ما ننزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذا منظرين * فقطع الله عز وجل ان الملائكة لا تنزل الا بالحق وليس شرب الخمر ولا الزنا ولا قتل النفس المحرمة ولا تعليم العواهر اسماءه عز وجل التي يرتفع بها الى السماء ولا السحر من الحق بل كل ذلك من الباطل ونحن نشهد ان الملائكة ما نزلت قط بشيء من هذه الفواحش والباطل واذا لم تنزل به فقد بطل ان تفعله لانها لو فعلته في الارض لنزلت به وهذا باطل وشهد عز وجل انه لو انزل علينا الملائكة لما نظرنا فصح انه لم ينزل قط ملك ظاهر الا للنبي بالوحي فقط وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) وكذلك قوله تعالى * ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا * فابطل عز وجل انه يمكن ظهور ملك الى الناس وقال تعالى * ولو انزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون فكذب الله عز وجل كل من قال ان ملكا نزل قط من السماء ظاهرا الا الى الانبياء بالحق من عند الله عز وجل فقط وقال عز وجل * وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا انزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين . الآية فرفع الله تعالى الاشكال بهذا النص في هذه المسألة وقرن عز وجل نزول الملائكة في الدنيا برؤيته عز وجل فيها فصح ضرورة ان نزولهم في الدنيا الى غير الانبياء ممتنع البتة لا يجوز وان من قال ذلك فقد قال حجرا محجورا أي ممتنعا وظهر بها كذب من ادعى ان ملكين نزلا الى الناس فعلماهم السحر وقد استعظم الله عز وجل ذلك من رغبة من رغب نزول الملائكة الى الناس وسمى هذا الفعل استكبارا وعتوا وأخبر عز وجل أننا لا نرى الملائكة ابدا الى يوم القيامة فقط وانه لا بشرى يومئذ للمجرمين فاذ لا شك في هذا كله فقد علمنا ضرورة انه لا يخلو من أحد وجهين لا ثالث لهما كما قدمنا قبل اما ان هاروت وماروت لم يكونا ملكين وان ما في قوله . وما انزل على الملكين . نفي لان

فى الوجود أو العدم مطلقا وهل يقيد او هو تعرف وجود الشيء على حال ما أو ليس مايعرف التصور وهو اما بحسب الاسم أى ما المراد باسم كذا وهو يتقدم كل مطلب وأما بحسب الذات أى ما الشيء فى وجوده وهو يعرف حقيقة الذات ويتقدمه الهل المطلق لم يعرف العلة بجواب هل وهو أما علة التصديق فقط وأما علة نفس الوجود وأي فهو بالقوة داخل فى الهل المركب المقيد وانما يطلب التمييز اما بالصفات الذاتيه وأما بالخواص والامور التى يلتئم منها أمر (٢٧) البراهين ثلاثة موضوعات ومسائل ومقدمات فالموضوعات يبرهن فيها والمسائل يبرهن عليها والمقدمات يبرهن بها ويجب أن تكون صادقة يقينية فاتية وينتهى الى مقدمات أولية مقولة على الكل كلية وقد تكون ضرورية الاعلى الامور المتغيرة التى هى فى الأكثر على حكم ما فتكون اكثرية وتكون عللا لوجود النتيجة فتكون مناسبة الحكم الذاتي يقال على وجهين أحدهما أن يكون المحمول مأخوذا فى حد الموضوع والثاني أن يكون الموضوع ماخوذا فى حد المحمول المقدمة الاولية على وجهين أحدهما ان التصديق بها حاصل فى أول العقل والثانى من جهة ان الايجاب والسلب لايقال على ماهو أعم من الموضوع قولا كليا المناسب هو أن لاتكون المقدمات فيه من علم غريب الموضوعات هى التى توضع فى العلوم فيبرهن على اعراضها الذاتية المسائل هى القضايا الخاصة يعلم علم المشكوك فيها المطلوب برهانا والبرهان يعطى حكم اليقين الدائم وليس فى شيء من الفاسدات عقد دائم فلا برهان عليها ولا برهان أيضا على الحد بأنه لابد حينئذ من عقد وسط مساو للطرفين لان الحد والمحدود متساويان وذلك الاوسط لايخلو اما أن يكون حدا آخرا ورسما وخاصة فاما الحد الآخر فان السؤال فى اكتسابه ثابت فان اكتسب بحد ثالث فالامر ذاهب الى غير نهاية وان اكتسب بالحد الاول فذلك دور وان اكتسب بوجه آخر غير

ينزل على الملكين ويكون هاروت وماروت حينئذ بدلا من الشياطين كانه قال ولكن الشياطين هاروت وماروت ويكون هاروت وماروت قبيلتان من قبائل الجن كانتا يعلمان الناس السحر وقد روينا هذا القول عن خالد ابن أبي عمران وغيره وروى عن الحسن البصري أنه كان يقرأ على الملكين بكسر اللام وكان يقول ان هاروت وماروت علجان من أهل بابل الا ان الذى لاشك فيه على هذا القول انهما لم يكونا ملكين وقد اعترض بعض الجهال فقال لى أبلغ من رفق الشيطان ان يقول للذي يتعلم السحر لاتكفر فقلت له هذا الاعتراض يبطل من ثلاث جهات أحدها ان نقول لك وما المانع من ان يقول الشيطان ذلك اما سخريا وأما لماشاء الله فلاسبيل لك الى دليل مانع من هذا والثاني انه قد نص الله عز وجل على ان الشيطان قال انى أخاف الله فقال تعالى . واذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم الى قوله تعالى . انى أخاف الله والله شديد العقاب . وقال تعالى . كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك انى أخاف الله رب العالمين . فقد أمر الشيطان الانسان بالكفر ثم تبرأ منه وأخبره انه يخاف الله وغر الكفار ثم تبرأ منهم وقال اني اخاف الله فاى فرق بين ان يقول الشيطان للانسان اكفر ويغره ثم يتبرأ منه ويقول انى اخاف الله وبين ان يعلمه السحر ويقول له لا تكفر والثالث ان معلم السحر بنص الآية قد قال للذى يتعلم منه لا تكفر فسواء كان ملكا أو شيطانا قد علمه على قولك ما لايحل وقال له لاتكفر فلم تنكر هذا من الشيطان ولاتنكره بزعمك من الملك وأنت تنسب اليه انه يعلم السحر الذى عندك ضلال وكفر وأما ان يكون هاروت وماروت ملكين نزلا بشريعة حق يعلم ما على انبياء فعلماهم الدين وقالا لهم لاتكفروا نهيا عن الكفر بحق واخبراهم انهم فتنة يضل الله تعالى بهما وبما أتيا به من كفر به ويهدى بهما من آمن به قال تعالى عن موسى انه قال له * ان هى الافتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء . وكما قال تعالى . الم أحسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لايفتنون . ثم نسخ ذلك الذى أنزل على الملكين فصار كفرا بعد ان كان ايمانا كما نسخ تعالى شرائع التوراة والانجيل فتمادت الجن على تعليم ذلك المنسوخ وبالجملة فما فى الاية من نص ولادليل على ان الملكين علما السحر وانما هو اقتحام أقحم بالآية بالكذب والافك بل وفيها بيان انه لم يكن سحرا بقوله تعالي . ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل ولايجوز ان يجعل المعطوف والمعطوف عليه شيئا واحدا الا ببرهان من نص او اجماع اوضرورة والا فلا اصلا وايضا فان بابل هى الكوفة وهي بلد معروف بقربها محدودة معلومة ليس فيها غار فيه ملك فصح انه خرافة موضوعة اذلو كان ذلك لما خفى مكانهما على أهل الكوفة فبطل التعلق بهاروت وماروت والحمد لله رب العالمين

البرهان فلم لايكتسبه به هذا الحد وعلى أنه لايجوز أن يكون لشيء واحد حدان تامان على مايوضح به وان كانت الواسطة غير حد فكيف صار ماليس بحد أعرف وجودا للمحدود من الامر الذاتي المقوم له وهو الحد وأيضا فان الحد لا يكتسب بالقسمة فان القسمة تضع أقساما ولاتحمل من الاقسام شيئا بعينه الاأن يوضع وضعا من غير أن يكون للقسمة فيه مدخل وأما استثناء نقيض قسم ليبقى (٢٨) القسم الداخل في الحد فهو الحدفهو ابانة الشيء بما هو مثل له أو أخفى منه فانك اذا قلت لكن ليس الانسان غير ناطق فهو اذا ناطق لم يكن أحدث في الاستثناء شيئا أعرف من النتيجة وأيضا فان الحد لايكتسب من حد الضد فليس لكل محدود ضد ولا أيضا حد أحد الضدين أولى بذلك من حد الضد الآخر والاستقراء لايفيد علما كليا فكيف يفيد الحد لكن الحد يقتنص بالتركيب وذلك بان تعمد الى الاشخاص التى لاتنقسم وتنظر من أى جنس هى من العشرة فتاخذ جميع المحمولات المقومة لها التى فى ذلك الجنس وتجمع العدة منها بعد ان تعرف أيها الاول وأيها الثانى فاذا جمعناهذه المحمولات ووجدنامنهاشيئا مساويا للمحدود من وجهين أحدهما المساواة فى الحمل والثانى المساواة فى المعنى وهوأن يكون دالا على كمال حقيقة ذاته لايشذ منه شيء فان كثيرا ممايميز بالذات يكون قد أخل ببعض الاجناس أو ببعض الفصول فيكون مساويا فى الحمل ولا يكون مساويا فى المعنى قال

وبالعكس ولايلتفت فى الحد الى أن يكون وجيزا بل ينبغي أن يضع الجنس القريب باسمه أو بحده ثم ياتي بجميع الفصول الذاتية وانك اذا تركت بعض الفصول فقد تركت بعض الذات والحد عنوان الذات وبيان له فيجب أن يقوم في النفس صورة معقولة مساوية للصورة الموجودة بتمامها فحينئذ يعرض ان يتميز أيضا المحدود ولاحد بالحقيقة لما لا وجود له وانما

(قال ابو محمد) وقد ادعى قوم ان ابليس كان ملكا فعصى وحاشا لله من هذا لان الله تعالى قد كذب هذا القول بقوله تعالى . الا ابليس كان من الجن . وبقوله . افتتخذونه وذريته اولياء من دوني . ولاذرية للملائكة وبقوله تعالى . انه يراكم هو وقبيله من حيث لاترونهم . وباخباره انه خلق ابليس من نار السموم وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خلقت الملائكة من نور والنور غير النار بلاشك فصح ان الجن غير الملائكة والملائكة كلهم خيار مكرمون بنص القرآن والجن والانس فيهما مذموم ومحمود فان قال قائل ان الله عز وجل ذكر انهم قالوا . اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك . وهذا تزكية لانفسهم وقد قال تعالى . ولاتزكوا انفسكم . قلنا وبالله تعالى التوفيق مدح المرء نفسه ينقسم قسمين احدهما ماقصد به المرء افتخارا بغيا وانتقاصا لغيره فهذه هي التزكية وهو مذموم جدا والاخر ماخرج مخرج الاخبار بالحق كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر وفضلت على الانبياء وكقول يوسف عليه السلام اجعلني على خزائن الارض انى حفيظ عليم . ولايسمي هذا تزكية ومن هذا الباب قول الملائكة ههنا برهان هذا انه لوكان قولهم مذموما لأنكره الله عزوجل عليهم فاذا لم ينكره الله تعالى فهو صدق ومن هذا الباب قولنا نحن المسلمون ونحن خير أمة أخرجت للناس وكقول الحواريين نحن انصار الله فكل هذا اذا قصد به الحض على الخير لا الفخر فهو خير فان قال قائل ان الله تعالى قال لهم . انى أعلم مالا تعلمون ۞ قلنا نعم وماشك الملائكة قط أن الله تعالى يعلم مالا يعلمون وليس هذا انكارا واما الجن فقد قلنا انهم متعبدون بملة الاسلام وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الروث والعظام طعام اخواننا من الجن وهذا بخلاف حكمنا فقد يخصهم الله عزوجل باوامر خلاف اوامرنا كما للنساء شرائع ليست للرجال من الحيض وقطع الصلاة وغير ذلك وكما لقريش الامامة وليست لغيرهم وكل ذلك دين الاسلام وبالله تعالى التوفيق وحسبنا الله ونعم الوكيل

(هل يكون مؤمنا من اعتقد الاسلام دون استدلال)
(ام لايكون مؤمنا مسلما الامن استدل)

(قال أبو محمد) ذهب محمد بن جرير الطبرى والاشعرية كلها حاشا السمنانى الى انه لايكون مسلما الامن استدل والافليس مسلما وقال الطبرى من بلغ الاحتلام او الاشعار من الرجال والنساء او بلغ المحيض من النساء ولم يعرف الله عزوجل بجميع اسمائه وصفاته من طريق الاستدلال فهو كافر حلال الدم والمال وقال انه اذا بلغ الغلام او الجارية سبع سنين وجب تعليمهما وتدريبهما على الاستدلال على ذلك وقالت الاشعرية لايلزمهما الاستدلال على ذلك الابعد البلوغ

ذلك بشرح الاسم فالحد اذا قول دال على الماهية والقسمة معينة فى الحد خصوصا اذا كانت الذاتيات ولا يجوز تعريف الشىء بما هو أخفى منه ولا بما هو مثله فى الجلاء والخفاء ولا بما لا يعرف الشىء الا به فى الاجناس العشرة الجوهر هو كل ماوجود ذاته ليس فى موضوع أى فى محل قريب قد قام بنفسه دونه فى الفعل ولا بتقويمه الكم هو الذى يقبل لذاته المساواة واللامساواة والتجزىء وهو اما أن يكون متصلا اذ يوجد (٢٩) لاجزائه بالقوة حدمشترك يتلاقى عنده ويتحد به كالنقطة للخط واما أن يكون منفصلا لا يوجد لاجزائه ذلك لا بالقوة ولا بالفعل والمتصل قد يكون اذا وضع وقد يكون عديم الوضع وذو الوضع هو الذى يوجد لاجزائه اتصال وثبات وامكان أن يشار الى كل واحد منها انه أين هو من الاخر فمن ذلك مايقبل القسمة فى جهة واحدة وهو الخط ومنه مايقبل فى جهتين متقاطعتين على قوائم وهو السطح ومنه مايقبل فى ثلاث جهات قائم بعضها على بعض وهو الجسم والمكان أيضا ذو وضع بانه السطح الباطن من الحاوي وأما الزمان فهو مقدار للحركة الا انه ليس له وضع اذ لا توجد أجزاؤه معا وان كانت أجزاؤه متصلة اذ ماضية ومستقبلة يتحدان بطرف الان وأما العدد فهو بالحقيقة الكم المنفصل ومن المقولات العشر الاضافة وهو المعنى الذى وجوده بالقياس الى شيء آخر وليس له وجود غيره مثل الابوة بالقياس الى البنوة لا كالاب فان له وجودا يخصه كالانسانية واما الكيف فهو كل هيئة قارة فى جسم لا يوجب اعتبار وجوده فيه نسبة للجسم الى خارج ولا نسبة واقعة فى أجزائه ولا بالجملة يكون به ذا جزء مثل البياض والسواد وهو اما أن يكون مختصا بالكم من جهة ماهو كم كالتربيع للسطح والاستقامة بالخط والفردية بالعدد واما أن لا يكون مختصا به وغير المختص به اما ان يكون محسوسا ينفعل عنه الحواس ويوجد بانفعال

(قال أبو محمد) وقال سائر اهل الاسلام كل من اعتقد بقلبه اعتقادا لا يشك فيه وقال بلسانه لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وان كل ماجاء به حق وبرىء من كل دين سوى دين محمد صلى الله عليه وسلم فانه مسلم مؤمن ليس عليه غير ذلك

(قال ابو محمد) فاحتجت الطائفة الاولى بان قالت قد اتفق الجميع على ان التقليد مذموم ومالم يكن يعرف باستدلال فانما هو تقليد لا واسطة بينهما وذكروا قول الله عز وجل انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون. وقال تعالى قل اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم وقال تعالى ٠ أو لو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون. وقال تعالى وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا. وقالوا فذم الله تعالى اتباع الاباء والرؤساء قالوا وبيقين ندرى انه لا يعلم أحد أى الامرين اهدى ولا هل يعلم الاباء شيئا أو لا يعلمون الا بالدليل وقالوا كل مالم يكن يصح بدليل فهو دعوى ولا فرق بين الصادق والكاذب بنفس قولهما لكن بالدليل قال الله عزوجل. قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين قالوا فمن لا برهان له فليس صادقا في قوله وقالوا مالم يكن علما فهو شك وظن والعلم هو اعتقاد الشيء على ماهو به عن ضرورة او استدلال قالوا والديانات لا يعرف صحة الصحيح منها من بطلان الباطل منها بالحواس اصلا فصح انه لا يعلم ذلك الا من طريق الاستدلال فاذا لم يكن الاستدلال فليس المرء عالما بما لم يستدل عليه واذا لم يكن عالما فهو شاك ضال وذكروا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسالة الملك فى القبر ماتقول فى هذا الرجل فاما المؤمن أو الموقن فانه يقول هو محمد رسول الله قال وأما المنافق أو المرتاب فانه يقول لا ادرى سمعت الناس يقولون شيئا فقلته قالوا وقد ذكر الله عزوجل الاستدلال على الربوبية والنبوة فى غير موضع من كتابه وأمر به واوجب العلم به والعلم لا يكون الا عن دليل كما قلنا

﴿قال ابو محمد﴾ هذا كلما موهوا به قد تقصيناه لهم غاية التقصى وكل هذا لا حجة لهم فى شىء منه على مانبين بحول الله وقوته ان شاء الله تعالى لا اله الا هو بعد ان نقول قولا تصححه المشاهدة ان جمهور هذه الفرقة ابعد من كل من ينتمى الى البحث والاستدلال عن المعرفة بصحة الدلائل فاعجبوا لهذا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين

﴿قال ابو محمد﴾ اما قولهم قد اجمع الجميع على ان التقليد مذموم وان مالا يعرف باستدلال فانما هو اخذ تقليد اذ لا واسطة بينهما فانهم شغبوا فى هذا الامكان ولبسوا فتركوا التقسيم الصحيح ونعم ان التقليد لا يحل البتة وانما التقليد اخذ المرء قول من دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن لم يامرنا الله عزوجل باتباعه قط ولا باخذ قوله بل حرم علينا ذلك ونهانا عنه وأما اخذ المرء قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى افترض علينا طاعته والزمنا اتباعه وتصديقه وحذرنا عن مخالفة امره وتوعدنا على ذلك اشد الوعيد فليس تقليدا بل هو ايمان

المترجات فالراسخ منه مثل صفرة الذهب وحلاوة العسل يسمى كيفيات انفعاليات وسريع الزوال منه وان كان كيفية بالحقيقة فلا يسمى كيفية بل انفعالات لسرعة استبدالها مثل حمرة الخجل وصفرة الوجل ومنه مالا يكون محسوسا فاما ان يكون استعدادات انما يتصور فى النفس بالقياس الى كمالات فان كان استعداد المقاومة واباء الانفعال سمى قوة طبيعية كالمصحاحية والصلابة وان كان استعداد السرعة الاذعان والانفعال سمى لاقوة طبيعية مثل الممراضية واللين واما ان يكون فى أنفسها كمالات لايتصور انها استعدادات لكمالات أخرى وتكون مع ذلك غير محسوسة بذاتها فما كان منها ثابتا يسمى ملكة مثل العلم والصحة وماكان سريع الزوال سمى حالا مثل غضب الحليم ومرض المصحاح وفرق بين الصحة والمصحاحية فان المصحاح قد لا يكون صحيحا والمرض قد يكو صحيحا ومن جملة العشرة الاين وهو كون الجوهر فى مكانه الذى يكون فيه ككون زيد فى السوق ومتى وهو كون الجوهر فى الزمان الذى يكون فيه مثل كون هذا الامر أمس والوضع وهو كون الجسم بحيث يكون لاجزائه بعضها الى بعض نسبة فى الانحراف والموازاة والجهات وأجزاء المكان ان كان فى مكان مثل القيام والقعود وهو فى المعنى غير الوضع المذكور فى باب الكم والملك ولست أحصله ويشبه ان يكون كون الجوهر فى جوهر يشمله وينتقل بانتقاله مثل التلبس والتسلح والفعل وهو نسبة الجوهر الى أمر موجود فى غيره غير قار الذات بل لايزال يتجدد وينصرم كالتسخين والتبريد والانفعال وهو نسبة الجوهر الى حالة فيه بهذه الصفة مثل التقطع والتسخن والعلل أربعة يقال علة للفاعل ومبدأ الحركة مثل النجار للكرسي ويقال علة للمادة وما يحتاج ان يكون حتى يكون ماهية الشيء مثل الخشب ويقال علة للصورة فى كل شيء فانه مالم يقترن الصورة بالمادة لم يتكون ويقال علة للغاية

وتصديق واتباع للحق وطاعة لله عزوجل واداء للمفترض فهو هؤلاء القوم بان اطلقوا على الحق الذى هو اتباع الحق اسم التقليد الذى هو باطل وبرهان ماذكرنا ان امرءا لو اتبع احدا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قول قاله لان فلانا قاله فقط واعتقد انه لو لم يقل ذلك الفلان ذلك القول لم يقل به هو أيضا فان فاعل هذا القول مقلد مخطي عاص لله تعالى ولرسوله ظالم آثم سواء كان قد وافق قوله ذلك الحق الذي قاله الله ورسوله اوخالفه وأنما فسق لانه اتبع من لم يؤمر باتباعه وفعل غيرما أمره الله عزوجل ان يفعله ولوان امرءا اتبع قول الله عزوجل وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لكان مطيعا محسنا ماجورا غير مقلد وسواء وافق الحق أووهم فاخطا وانما ذكرنا هذا لنبين ان الذى أمرنا به وافترض علينا هو اتباع ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقط وان الذى حرم علينا هو اتباع من دونه او اختراع قول لم ياذن به الله تعالى فقط وقد صح أن التقليد باطل لايحل فمن الباطل الممتنع ان يكون الحق باطلا معا والمحسن مسيئا من وجه واحد معا فاذ ذلك كذلك فمتبع من امر الله تعالى باتباعه ليس مقلدا ولافعله تقليدا وانما المقلد من اتبع من لم يامره الله تعالى باتباعه فسقط تمويههم بذم التقليد وصح انهم وضعوه فى غير موضعه واوقعوا اسم التقليد على ماليس تقليدا وبالله تعالى التوفيق وأما احتجاجهم بذم الله تعالى اتباع الاباء والكبراء فهو مما قلنا آنفا سواء بسوء لان اتباع الاباء والكبراء وكل من دون رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو من التقليد المحرم المذموم فاعله فقط قال الله عزوجل * اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولاتتبعوا من دونه أولياء * فهذا نص ماقلنا ولله الحمد

﴿قال ابو محمد﴾ واما احتجاجهم انه لايعرف أى الامرين اهدى ولاهل يعلم الاباء شيئا أم لا الا بالدلايل وان كل مالم يصح به دليل فهو دعوى ولافرق بين الصادق والكاذب بنفس قولهما وذكرهم قول الله تعالى * قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين * فان هذا ينقسم قسمين فمن كان من الناس تنازعه نفسه الى البرهان ولاتستقر نفسه الى تصديق ماجاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يسمع الدلايل فهذا فرض عليه طلب الدلايل لانه ان مات شاكا اوجاحدا قبل أن يسمع من البرهان مايثلج صدره فقد مات كافرا وهو مخلد فى النار وهو بمنزلة من لم يؤمن ممن شاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى راى المعجزات فهذا أيضا لو مات مات كافرا بلاخلاف من أحد من أهل الاسلام وانما اوجبنا على من هذه صفته طلب البرهان لان فرضا عليه طلب مافيه نجاته من الكفر قال الله عزوجل * قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة * فقد افترض الله عز وجل على كل احد ان يقى نفسه النار فهؤلاء قسم وهم الاقل من الناس والقسم الثانى من استقرت نفسه الى تصديق ماجاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم وسكن قلبه الى الايمان ولم تنازعه نفسه الي طلب

وتصديق

والشىء الذى نحوه ولاجل الشىء مثل الكن للبيت وكل واحدة من هذه اما قريبة واما بعيدة واما بالقوة وأما بالفعل واما بالذات واما بالعرض واما خاصة وأما عامة والعلل الاربع قد تقع حدودا وسطى فى البراهين لانتاج قضايا محمولاتها اعراض ذاتية وأما العلة الفاعلية والقابلية فلا يجب من وضعهما وضع المعلول وانتاجه ما لم يقترن بذلك ما يدل على ضرورتهما علة بالفعل فى تفسير ألفاظ يحتاج اليها المنطقى الظن الحق هو رأى فى شىء انه كذا ويمكن (۳۱) أن لا يكون كذا العلم اعتقادا بان الشىء كذا وانه لا يكون كذا بواسطة توجبه والشىء كذلك فى ذاته وقد يقال علم لتصور الماهية بتحديد العقل اعتقاد بان الشىء كذا وانه لا يمكن ان لا يكون كذا طبعا بلا واسطة كاعتقاد المبادى الاول للبراهين وقد يقال عقل لتصور الماهية بذاته بلا تحديدها كتصور المبادي الاول للحد والذهن قوة للنفس معدة نحو اكتساب العلم والذكاء قوة استعداد للحدس والحدس حركة النفس الى اصابة الحد الاوسط اذا وضع المطلوب أو اصابة الحد الاكبر اذا أصيب الاوسط وبالجملة سرعة انتقال من معلوم الى مجهول والحس انما يدرك الجزئيات الشخصية والذكر والخيال يحفظان ما يؤديه الحس على شخصيته أما الخيال فيحفظ الصورة وأما الذكر فيحفظ المعنى الماخوذ واذا تكرر الحس كان ذكرا واذا تكرر الذكر كان تجربة والفكر حركة ذهن الانسان نحو المبادي ليصير منها الى المطالب والصناعة ملكة نفسانية تصدر عنها أفعال ارادية بغير روية والحكمة خروج نفس الانسان الى كماله الممكن فى جزؤى العلم والعمل اما فى جانب العلم فان يكون متصورا للموجودات كما هي ومصدقا للقضايا كما هى وأما في جانب العمل فان يكون قد حصل له الخلق الذى يسمى العدالة الملكة الفاضلة والفكر العقلى ينال الكليات مجردة والحس والخيال والذكر ينال الجزئيات

دليل توفيقا من الله عزوجل له وتيسيرا لما خلق له من الخير والحسنى فهؤلاء لا يحتاجون الى برهان ولا الى تكليف استدلال وهؤلاء هم جمهور الناس من العامة والنساء والتجار والصناع والاكرة والعباد وأصحاب الحديث الائمة الذين يذمون الكلام والجدل والمراء فى الدين (قال ابو محمد) هم الذين قال لهم الله فيهم * ولكن حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان اولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم * وقال تعالى * فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء *

(قال ابو محمد) قد سمى الله عزوجل راشدين القوم الذين زين الايمان فى قلوبهم وحببه اليهم وكره اليهم الكفر والمعاصى فضلا منه ونعمة وهذا هو خلق الله تعالى للايمان فى قلوبهم ابتداء وعلى السنتهم ولم يذكر الله تعالى فى ذلك استدلالا أصلا وبالله تعالى التوفيق وليس هؤلاء مقلدين لابائهم ولا لكبرائهم لان هؤلاء مقرون بالسنتهم محققون فى قلوبهم ان اباءهم ورؤساءهم لو كفروا لما كفروا هم بل كانوا يستحلون قتل ابائهم ورؤسائهم والبرأة منهم ويحسون من انفسهم النفار العظيم عن كل ما سمعوا منه ما يخالف الشريعة ويرون ان حرقهم بالنار أخف عليهم من مخالفة الاسلام وهذا امر قد عرفناه من أنفسنا حسا وشاهدناه فى ذواتنا يقينا فلقد بقينا سنين كثيرة ولا نعرف الاستدلال ولا وجوهه ونحن ولله الحمد فى غاية اليقين بدين الاسلام وكل ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم نجد انفسنا فى غاية السكون اليه وفى غاية النفار عن كل ما يعترض فيه بشك ولقد كانت تخطر فى قلوبنا خطرات سوء فى خلال ذلك ينبذها الشيطان فنكاد لشدة نفارنا عنها ان نسمع خفقان قلوبنا استبشاعا لها كما اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ سئل عن ذلك فقالوا له ان أحدنا ليحدث نفسه بالشىء ما انه يقدم فتضرب عنقه احب اليه ان يتكلم به فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان ذلك محض الايمان وأخبر انه من وسوسة الشيطان وأمر صلى الله عليه وسلم فى ذلك بما امر به من التعوذ والقراءة والتفل عن اليسار ثم تعلمنا طرق الاستدلال واحكمناها ولله تعالى الحمد فما زادنا يقينا على ما كنا بل عرفنا اننا كنا ميسرين للحق وصرنا كمن عرف وقد أيقن بان الفيل موجود سماعا ولم يره ثم رآه فلم يزدد يقينا بصحة انيته اصلا لكن ارانا صحيح الاستدلال رفض بعض الاراء الفاسدة التى نشانا عليها فقط كالقول فى الدين بالقياس وعلمنا انا كنا مقتدين بالخطا فى ذلك ولله تعالى الحمد وان المخالفين لنا ليعرفون من انفسهم ما ذكرنا الا أنهم يلزمهم ان يشهدوا على انفسهم بالكفر قبل استدلالهم ولا بد فصح بما قلنا ان كل من امحض اعتقاد الحق بقلبه وقاله بلسانه فهم مؤمنون محققون وليسوا مقلدين اصلا وانما كانوا مقلدين لو انهم قالوا واعتقدوا اننا انما نتبع فى الدين آباءنا وكبراءنا فقط ولو ان

فالحس يعرض على الخيال امورا مختلطة والخيال على العقل ثم العقل يفعل التمييز ولكل واحد من هذه المعانى معونة فى صواحبها فى قسمى التصور والتصديق فى الالهيات يجب ان تحصر المسائل التى تختص بهذا العلم فى عشر مسائل الاولى منها فى موضوع هذا العلم وجملة ما ينظر فيه والتنبيه على الوجود ان لكل علم موضوعا ينظر فيه فيبحث عن أحواله وموضوع العلم الالهى الوجود المطلق (٣٢) ولواحقه التى له لذاته ومباديه وينتهى فى التفصيل الى حيث يبتدىء منه سائر العلوم وفيه بيان مبادئها وجملة ما ينظر فيه هذا العلم هو أقسام الوجود وهو الواحد والكثير ولواحقها والعلة والمعلول والقديم والحادث والتام والناقص والفعل والقوة وتحقيق المقولات العشر ويشبه أن يكون انقسام الوجود الى المقولات انقساما بالفصول وانقسامه الى الوحدة والكثرة وأخواتها انقساما بالأعراض الوجود يشمل الكل شمولا بالتشكيك لا بالتواطىء ولهذا لا يصح أن يكون جنسا فانه فى بعضها أولى وأول وفى بعضها لا أولى ولا أول وهو أشهر من يحد أو يرسم ولا يمكن أن يشرح بغير الاسم لانه مبدء أول لكل شيء فلا شرح له بل صورته تقوم فى النفس بلا توسط شيء وينقسم نوعا من القسمة الى واجب بذاته وممكن بذاته والواجب بذاته ما اذا اعتبر ذاته لم يجب وجوده والممكن بذاته ما اذا اعتبر ذاته فقط وجب وجوده واذا فرض غير موجود لم يلزم منه محال ثم اذا عرض على القسمين عرضا حمليا الواحد والكثير كان الواحد أولى بالواجب والكثير أولى بالجائز وكذلك العلة والمعلول والقديم والحادث والتام والناقص والفعل والقوة وغناء والفقر كان أحسن الاسماء أولى بالواجب بذاته وان لم يطرق اليه الكثرة بوجه فلم يطرق اليه التقسيم بل يتوجه الى الممكن بذاته فانقسم الى جوهر وعرض وقد عرفناهما برسميهما واما نسبة أحدهما الى الآخر فهو ان الجوهر محل مستغن فى

ابا ءنا وكبراءنا تركوا دين محمد صلى الله عليه وسلم لتركناه فلو قالوا هذا واعتقدوه لكانوا مقلدين كفارا غير مؤمنين لانهم انما اتبعوا آباءهم وكبراءهم الذين نهوا عن اتباعهم ولم يتبعوا النبى صلى الله عليه وسلم الذين امروا باتباعه وبالله تعالى التوفيق وانما كلف الله تعالى الاتيان بالبرهان ان كانوا صادقين يعنى الكفار المخالفين لما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم هذا نص لآية ولم يكلف قط المسلمين الاتيان بالبراهين والا سقط اتباعهم حتى ياتوا بالبرهان والفرق بين الامرين واضح وهو ان كل من خالف النبى صلى الله عليه وسلم فلا برهان له اصلا فكلف المجىء بالبرهان تبكيتا وتعجيزا ان كانوا صادقين وليسوا صادقين بلا برهان لهم واما من اتبع ما جاءهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد اتبع الحق الذى قامت البراهين بصحته ودان بالصدق الذى قامت الحجة البالغة بوجوبه فسواء علم هو بذلك البرهان او لم يعلم حسبه انه على الحق الذي صح بالبرهان ولا برهان على ما سواه فهو محق والحمد لله رب العالمين واما قولهم ما لم يكن علما فهو شك وظن والعلم هو اعتقاد الشيء على ما هو به عن ضرورة او استدلال قالوا والديانات لا تعرف صحتها الا بالاستدلال فان لم يستدل المرء فليس عالما واذا لم يكن عالما فهو جاهل شاك او ظان واذا كان لا يعلم الدين فهو كافر

(قال ابو محمد) فهذا ليس كما قالوا لانهم قضوا اقضية باطلة فاسدة بنوا عليها هذا الاستدلال وهى اقحامهم فى حد العلم قولهم عن ضرورة أو استدلال فهذه زيادة فاسدة لا نوافقهم عليها ولا جاء بصحتها قرآن ولا سنة ولا اجماع ولا لغة ولا طبيعة ولا قول صاحب وحد العلم على الحقيقة انه اعتقاد الشيء على ما هو به فقط وكل من اعتقد شيئا على ما هو به ولم يتخالجه شك فيه فهو عالم به وسواء كان عن ضرورة حس او عن بديهة عقل أو عن برهان استدلال أو عن تيسير الله عز وجل له وخلقه لذلك المعتقد فى قلبه ولا مزيد ولا يجوز البتة ان يكون محقق فى اعتقاد شيء كما هو ذلك الشيء وهو غير عالم به وهذا تناقض وفساد وتعارض وبالله تعالى التوفيق وأما قولهم فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسألة الملك فلا حجة لهم فيه بل هو حجة عليهم كما هو لمجرده لان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما قال فيه فاما المؤمن أو الموقن فيقول هو رسول الله ولم يقل عليه الصلاة والسلام فاما المستدل فحسبنا فوز المؤمن الموقن كيف كان ايمانه ويقينه وقال عليه الصلاة والسلام واما المنافق او المرتاب ولم يقل غير المستدل فيقول سمعت الناس يقولون شيئا فقلته فنعم هذا قولنا لان المنافق والمرتاب ليسا موقنين ولا مؤمنين وهذه صفة من هو مقلد للناس لا محقق فظهر ان هذا الخبر حجة عليهم كافية وبالله تعالى التوفيق واما قولهم ان الله عز وجل قد ذكر الاستدلال فى غير موضع من كتابه وامر به وواجب العلم به والعلم لا يكون الا عن استدلال فهذه ايضا زيادة اقحموها وهى قولهم وامر به فهذا لا يجدونه ابدا ولكن الله تعالى ذكر

قوامه عن الحال فيه والعرض حال فيه غير مستغن في قوامه عنه فكل ذات لم يكن في موضوع ولا في قوامه به فهو جوهر وكل ذات قوامه في موضوع فهو عرض وقد يكون الشيء في المحل ويكون مع ذلك جوهرا لا في الموضوع اذا كان المحل القريب الذى هو فيه متقوما به ليس متقوما بذاته ثم مقوما له ونسميه صورة وهو الفرق بينهما وبين العرض وكل جوهر ليس في موضوع فلا يخلو اما ان لا يكون في محل أصلا (٣٣) أو يكون في محل لا يستغنى في القوام عنه ذلك المحل فان كان في محل بهذه الصفة فانا نسميه صورة مادية وان لم يكن في محل أصلا فاما أن يكون محلا بنفسه لا تركيب فيه أو لا يكون فان كان محلا بنفسه فانا نسميه الهيولى المطلقة وان لم يكن فاما أن يكون مركباً مثل أجسامنا المركبة من مادة وصورة جسمية وان لا يكون وما ليس بمركب فلا يخلو إما أن يكون له تعلق ما بالاجسام أو لم يكن له تعلق فما له تعلق نسميه نفسا وما ليس له تعلق فنسميه عقلا وأما أقسام العرض فقد ذكرناها وحصرها بالقسمة الضرورية متعذرة

(المسألة الثانية) في تحقيق الجوهر الجسماني وما يتركب منه وأن المادة الجسمانية لا تتعرى عن الصورة وان الصورة متقدمة علي المادة في مرتبة الوجود اعلم ان الجسم الموجود ليس جسما بان فيه ابعادا ثلاثة بالفعل فانه ليس يجب أن يكون في كل جسم فقط أو خطوط بالفعل وانت تعلم ان الكرة لا قطع فيها بالفعل والنقط والخطوط قطوع بل الجسم انما هو جسم لانه بحيث يصلح أن يعرض فيه ابعاد ثلاثة كل واحد منها قائم علي الآخر ولا يمكن أن يكون فوق ثلاثة فالذي يعرض فيه أولا هو الطول والقائم عليه العرض والقائم عليهما في الحد المشترك هو العمق وهذا المعنى منه صورة الجسمية وأما الابعاد المحدودة التى تقع فيه فليست صورة له بل هي من باب الكم

الاستدلال وحض عليه ونحن لا ننكر الاستدلال بل هو فعل حسن مندوب اليه محضوض عليه كل من اطاقه لانه تزود من الخير وهو فرض علي كل من لم تسكن نفسه الى التصديق نعوذ بالله عزوجل من البلا وانما تنكر كونه فرضاً على كل احد لا يصح اسلام احد دونه هذا هو الباطل المحض وأما قولهم ان الله تعالى أوجب العلم به فنعم وأما قولهم والعلم لا يكون الا عن استدلال فهذا هي الدعوى الكاذبة التى أبطلناها آنفا واول بطلانها انها دعوى بلا برهان وبالله تعالى العزيز الحكيم نتايد

(قال أبو محمد) هذا كلما شنعوا به قد نقضناه والحمد لله رب العالمين فسقط قولهم اذ تعرى من البرهان وكان دعوى منهم مفتراة لم يات بها نص قط ولا اجماع وبالله التوفيق

(قال ابو محمد) ونحن الآن ذاكرون بعون الله وتوفيقه وتاييده البراهين علي بطلان قولهم ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

(قال أبو محمد) يقال لمن قال لا يكون مسلما الا من استدل (١) أخبرنا متى يجب عليه فرض الاستدلال اقبل البلوغ ام بعده ؟ ولا بد من أحد الامرين فاما الطبرى فانه أجاب بان ذلك واجب قبل البلوغ

(قال أبو محمد) وهذا خطا لان من لم يبلغ ليس مكلفا ولا مخاطبا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع القلم عن ثلاثة فذكر الصغير حتى يحتلم فبطل جواب الطبرى رحمه الله وأما الاشعرية فانهم أتوا بما يملأ الفم وتقشعر منها جلود أهل الاسلام وتصطك منها المسامع ويقطع ما بين قائلها وما بين الله عز وجل وهى انهم قالوا لا يلزم طلب الادلة الا بعد البلوغ ولم يقنعوا بهذه الجملة حتى كفونا المؤنة وصرحوا بما كنا نريد أن نلزمهم فقالوا غير مساترين لا يصح اسلام احد حتى يكون بعد بلوغه شاكا غير مصدق

(قال ابو محمد) ما سمعنا قط في الكفر والانسلاخ من الاسلام باشنع من قول هؤلاء

---

(١) ذهب جمهور الأئمة ومنهم الشيخ الاشعرى الى أن أول ما يجب قبل كل شيء علي من بلغ النظر والاستدلال واعمال الفكرة فيما يوصله الى العلم بمعبوده من البراهين القاطعة والأدلة الساطعة واتفق كذلك جمهورهم ومحققوا اهل السنة خلافا لبعض اهل الظاهر علي أنه لا يصح الاكتفاء بالتقليد في العقائد وحاصل ماذكروه في المقلد ثلاثة اقوال الاول انه مؤمن غير عاص بترك النظر الثاني انه مؤمن عاص ان ترك النظر مع القدرة الثالث انه كافر هذا هو المشهور من مذهب الاشعرية ومن وافقهم وما نسبه اليهم ابن حزم من قولهم لا يصح اسلام احد حتى يكون بعد بلوغه شاكا غير مصدق هو لازم مذهبهم اه مصححه

وهى لواحق لامقدمات ولا يجب أن يثبت شيء منها اه بل مع كل تشكيل يتجدد عليه يبطل كل بعد متجدد كان فيه وربما اتفق فى بعض الاجسام أن تكون لازمة له لاتفارق ملازمة أشكالها وكما أن الشكل لاحق فكذلك ما يتجدد بالشكل وكما أن الشكل لا يدخل فى تحديد جسميته كذلك الابعاد المتجددة فالصورة الجسمية موضوعة لصناعة الطبيعيين أو داخلة فيها والابعاد المتجددة (٣٤) موضوعة لصناعة التعالمين أو داخلة فيهما ثم الصورة الجسمية طبيعية وراء الاتصال وهى بعينها قابلة للانفصال ومن المعلوم ان قابل الاتصال والانفصال أمر وراء الاتصال والانفصال فان القابل يبقى بطريان أحدهما والاتصال لا يبقى بعد طريان الانفصال وظاهر ان هاهنا جوهرا غير الصورة الجسمية هى الهيولى التى يعرض لها الانفصال والاتصال معاً وهى تقارن الصورة الجسمية فهي التى تقبل الاتحاد بالصورة الجسمية فتصير جسما واحداً بما يقومها وذلك هو الهيولى والمادة ولا يجوز أن تفارق الصورة الجسمية وتقوم موجودة بالفعل والدليل عليه من وجهين أحدهما انا لو قدرناها مجردة لا وضع لها ولا حيز ولا انها تقبل الانقسام فان هذه كلها صورة ثم قدرنا ان الصورة صادفتها فاما أن يكون صادفتها دفعة أعنى المقدار المحصل يحل فيها دفعة لا على تدرج أو تحرك اليها المقدار والاتصال على تدرج فان حل فيها دفعة ففى اتصال المقدار بها يكون قد صادفها حيث ان ضاف اليها قبل فيكون لامحالة صادفها وهو الحيز الذى هو فيه فيكون ذلك الجوهر متحيزا وقد فرض غير متحيز البتة وهذا خلف ولا يجوز أن يكون التحيز قد حصل له دفعة واحدة مع قبول المقدار لان المقدار يوافيه فى حيز مخصوص وان حل فيها المقدار والاتصال على انبساط وتدريج وكل ما من شأنه أن ينبسط فله جهات وكل ماله جهات فهو ذو وضع

القوم انه لايكون احد مسلما حتى يشك فى الله عزوجل وفى صحة النبوة وفى هل رسول الله صلى الله عليه وسلم صادق ام كاذب ولاسمع قط سامع فى الهوس والمناقضة والاستخفاف بالحقائق باقبح من قول هؤلاء انه لايصح الايمان الا بالكفر ولا يصح التصديق الا بالجحد ولايوصل الى رضاء الله عز وجل الا بالشك فيه وان من اعتقد موقنا بقلبه ولسانه ان الله تعالى ربه لااله الا هو وان محمدا رسول الله وان دين الاسلام دين الحق الذى لادين غيره فانه كافر مشرك اللهم انا نعوذ بك من الخذلان فوالله لولا خذلان الله تعالى الذى هو غالب على أمره ما انطلق لسان ذى مسكة بهذه العظيمة وهذا يكفى من تكلف النقض لهذه المقالة الملعونة ومن بلغ هذا المبلغ حسن السكوت عنه ونعوذ بالله من الضلال — ثم نقول لهم اخبرونا عن هذا الذى اوجبتم عليه الشك فى فرض او الشك فى صحة النبوة والرسالة كم تكون هذه المدة التى اوجبتم عليه فيه البقاء شاكا مستدلا طالبا للدلائل وكيف ان لم يجد فى قريته او مدينته ولا فى اقليمه محسنا للدلائل فرحل طالبا للدلائل فاعترضته أهوال ومخاوف وتعذر من بحر اومرض فانصل له ذلك ساعات واياما وجمعا وشهورا وسنين مقولكم فى ذلك فان حدوا فى المدة يوما اويومين اوثلاثة اواكثر من ذلك كانو متحكمين بلا دليل وقائلين بلاهدى من الله تعالى ولم يعجز احد عن أن يقول فى تحديد تلك المدة بزيادة او نقصان ومن بلغ هاهنا فقدظهر فساد قوله وان قالوا لانحد فى ذلك حداً قلنا لهم فان امتد كذلك حتى فنى عمره ومات فى مدة استدلاله التى حددتم له وهو شاك فى الله تعالى وفى النبوة ايموت مؤمنا ويجب له الجنة ام يموت كافراً وتجب له النار فان قالوا يموت مؤمنا تجب له الجنة اتو باعظم الطوام وجعلوا الشكاك فى الله الذين هم عندهم شكاك مؤمنين من اهل الجنة وهذا كفر محض وتناقض لاخفاء به وكانوا مع ذلك قدسمعوا فى ان يبقى المرء دهره كله شاكا فى الله عزوجل وفى النبوة والرسالة فان قالوا بل يموت كافرا تجب له النار قلنا لهم لقد امرتموه بما فيه هلاكه واوجبتم عليه مافيه دماره ومايفعل الشيطان الا هذا فى امره بما يؤدى الى الخلود فى النار وان قالوا بل هو فى حكم اهل الفترة قلنا لهم هذا باطل لان اهل الفترة لم تاتهم النذارة ولابلغهم خبر النبوة والنص انما جاء فى اهل الفترة ومن زاد فى الخبر ماليس فيه فقد كذب على الله عز وجل ثم نقول لهم وبالله تعالى التوفيق ماحد الاستدلال(١) الموجب لاسم الايمان عندكم وقد يسمع دليلا عليه اعتراض أيجزيه ذلك الدليل ام لا فان قالوا يجزيه قلنا لهم ومن اين وجب ان يجزيه وهو دليل معترض فيه وليس هذه الصفة من الدلائل المخرجة عن الجهل الى العلم بل هي مؤدية الى الجهل الذى كان عليه

---

(١) صرحوا بان الواجب على الاعيان معرفة الدليل الاجمالى وعلى الكفاية معرفة الدليل التفصيلى

وقد فرض غير ذي وضع البتة وهذا خلف فتعين أن المادة لن تتعرى عن الصورة فقط وان الفصل بينهما فصل بالعقل والدليل الثانى انا لو قدرنا للمادة وجوداً خاصا متقوما غير ذى كم ولا جزء باعتبار نفسه ثم يعرض عليه الكم فيكون ماهو متقوم بانه لا جزء له ولا كم يعرض أن يبطل عنه ما يتقوم به بالفعل لورود عارض عليه فيكون حينئذ للمادة صورة عارضة بها تكون واحدة بالقوة والفعل وصورة أخرى بها (٣٥) تكون غير واحدة بالفعل فيكون بين الامرين شيء مشترك هو القابل للامرين من شانه أن يصير مرة ليس في قوته أن ينقسم ومرة في قوته أن ينقسم ويفرض الآن هذا الجوهر قد صار بالفعل شيئين ثم صار شيئا واحدا بأن خلعا صورة الاثنينية فلايخلو اماان اتحدا وكل واحد منهماموجود فهما اثنان لا واحد وان اتحدا وأحدهمامعدوم والآخر موجود فالمعدوم كيف يتحد بالموجودوان عدما جميعا بالاتحاد وحدث شيء واحد ثالث فهما غير متحدين بل فاسدين وبينهما وبين الثالث مادة مشتركة وكلامنا فى نفس المادة لافى شيء ذى مادة فالمادة الجسمية لا توجد مفارقة للصورة وانها انما تقوم بالفعل بالصورة ولا يجوز أن يقال ان الصورة بنفسها موجودة بالقوة وانما تصير بالفعل بالمادةلان جوهر الصورة هو الفعل ومابالقوة محله والصورة وان كانت لا تفارق الهيولى فليست تتقوم بالهيولى بل بالعلة المفيدة لها الهيولى وكيف يتصور أن تقوم الصورة بالهيولى وقد ثبت أنها علتها والعلة لا تتقوم بالمعلول وفرق بين الذى يتقوم به الشيء وبين الذى لا يفارقه فان المعلول لا يفارق العلة وليس علة لها فما يقوم الصورة أمر مباين لها مفيد وما يقوم الهيولى أمر ملاق لها وهى الصورة فاول الموجودات فى استحقاق الوجود الجوهر المفارق الغير الجسم الذى يعطي صورة الجسم وصورة كل موجود ثم الصورة ثم الجسم ثم

قبل الاستدلال فان قالوا بل لايجزيه الاحتى يوقن انه قد وقع على دليل لايمكن الاعتراض فيه تكلفوا ماليس فى وسع اكثرهم وما لايبلغه الا قليل من الناس فى طويل من الدهر وكثير من البحث ولقد دري الله تعالى انهم اصفار من العلم بذلك يعنى اهل هذه المقالة الملعونة الخبيثة

(قال أبو محمد) ومن البرهان الموضح لبطلان هذه المقالة الخبيثة انه لايشك أحد ممن يدرى شيئاً من السير من المسلمين واليهود والنصارى والمجوس والمانية والدهرية فى ان رسول الله صلي الله عليه وسلم مذ بعث لم يزل يدعوا الناس الجماء الغفير الى الايمان بالله تعالى وبما أتى به ويقاتل من أهل الارض من يقاتله ممن عند ويستحل سفك دمائهم وسبي نسائهم واولادهم وأخذ أموالهم متقربا الى الله تعالى بذلك وأخذ الجزية واصفاره ويقبل ممن آمن به ويحرم ماله ودمه وأهله وولده ويحكم له بحكم الاسلام وفيهم المرءة البدوية والراعى والراعية والغلام الصحراوى والوحشى والزنجى والمسبيء والزنجية المجلوبة والرومى والرومية والاغثر (١) الجاهل والضعيف فى فهمه فما منهم احد ولا من غيرهم قال عليه السلام انى لا اقبل اسلامك ولا يصح لك دين الاحتى تستدل على صحة ما ادعوك اليه

(قال ابو محمد) لسنا نقول انه لم يبلغنا انه عليه السلام قال ذلك لاحد بل نقطع نحن وجميع اهل الارض قطعا كقطعنا على ما شهدناه انه عليه السلام لم يقل قط هذا لاحد ولا رد اسلام أحد حتى يستدل ثم جرى على هذه الطريقة جميع الصحابة رضى الله عنهم اولهم عن آخرهم ولا يختلف احد فى هذا الامر ثم جميع اهل الارض الى يومنا هذا ومن المحال الممتنع عند أهل الاسلام ان يكون عليه السلام يغفل ان يبين للناس ما لا يصح لاحد الاسلام الا به ثم يتفق على اغفال ذلك أو تعمد عدم ذكره جميع أهل الاسلام ويبينه لهم هؤلاء الاشقياء ومن ظن انه وقع من الدين على ما لا يقع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كافر بلا خلاف فصح ان هذه المقالة خلاف للاجماع وخلاف لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم وجميع أهل الاسلام قاطبة فان قالوا انما كانت حاجة الناس الى الآيات المعجزات والى احتجاج الله عز وجل عليهم بالقرآن واعجازه به وبدعاء اليهود الى تمنى الموت ودعاء النصاري الى المباهلة وشق القمر قلنا وبالله تعالى التوفيق ان الناس قسمان قسم لم تسكن قلوبهم الى الاسلام ولا دخلها التصديق فطلبوا منه عليه السلام البراهين فاراهم المعجزات فانقسموا قسمين طائفة آمنت وطائفة عندت وجاهرت فكفرت واهل هذه الصفة اليوم هم الذين يلزمهم طلب الاستدلال فرضا ولابد كما قلنا وقسم آخر وفقهم الله تعالى لتصديقه عليه السلام وخلق

---

(١) الاغثر يفسر بالاحمق والجاهل والساقط

الهيولى وهي وان كانت سببا للجسم فانها ليست بسبب يعطى الوجود بل بسبب يقبل الوجود بانه محل لنيل الوجود وللجسم وجودها وزيادة وجود الصورة فيه التى هى أكمل منها ثم العرض أولى بالوجود فان أولى الاشياء بالوجود هو الجوهر ثم الاعراض وفي الاعراض ترتيب فى الوجود أيضا * المسئلة الثالثة فى أقسام العلل وأحوالها وفى القوة والفعل واثبات الكيفيات فى الكمية (٣٦) وان الكيفيات اعراض لا جواهر وقد بينا فى المنطق ان العلل أربع فتحقيق وجودها ها هنا ان تقول المبدأ والعلة يقال لكل ما يكون قد استمر له وجوده فى نفسه ثم حصل منه وجود شىء آخر يقوم به ثم لايخلو ذلك اما أن يكون كالجزء لما هو معلول له وهذا على وجهين اما أن يكون جزءاً ليس يجب عن حصوله بالفعل ان يكون ما هو معلول له موجودا بالفعل وهذا هو العنصر ومثاله الخشب للسرير فانك تتوهم الخشب موجودا ولا يلزم من وجوده وحده أن يحصل السرير بالفعل بل المعلول موجود فيه بالقوة واما أن يكون جزءاً يجب عن حصوله بالفعل وجود المعلول له بالفعل وهذا هو الصورة ومثاله الشكل والتاليف للسرير وان لم يكن كالجزء لما هو معلول له فاما أن يكون مباينا أو ملاقيا لذات المعلول والملاقى فاما أن ينعت به المعلول واما أن ينعت بالمعلول وهذان هما فى حكم الصورة والهيولى وان كان مباينا فاما أن يكون الذى منه الوجود وليس الوجود لاجله وهو الفاعل ان
واما أن لايكون منه الوجود بل لأجله الوجود وهو الغاية والغاية تتاخر فى حصول الموجود وتتقدم سائر العلل في الشيئية والغاية بما هو شىء فانها تتقدم وهى علة العلل فى انها علل وبما هى موجودة فى الاعيان قد تتأخر واذا لم تكن العلة هى بعينها الغاية كان الفاعل متأخرا فى الشيئية عن الغاية ويشبه أن يكون الحاصل عند التميز هو

عز وجل فى نفوسهم الايمان كما قال تعالى * بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين * فهؤلاء آمنوا به عليه السلام بلا تكليف

(قال أبو محمد) ويلزم أهل هذه المقالة ان جميع أهل الارض كفار لا الاقل وقد قال بعضهم انهم مستدلون

(قال ابو محمد) وهذه مجاهرة هو يدري انه فيها كاذب وكل من سمعه يدرى انه فيها كاذب لان اكثر العامة من حاضرة وبادية لايدرى مامعنى الاستدلال فكيف ان يستعمله

(قال ابو محمد) ويلزم من قال بهذه المقالة ان لا يا كل من اللحم الا ماذبحه هو أو من يدرى انه مستدل وان لا يطا الا زوجة يدرى انها مستدلة ويلزم ان يشهد على نفسه بالكفر ضرورة قبل استدلاله ومدة استدلاله وأن يفارق امرأته التى تزوج فى تلك المدة وان لا يرث اخاه ولا اباه ولا امه الا ان يكونوا مستدلين وان يعمل عمل الخوارج الذين يقتلون غيلة وعمل المغيرية المنصورة فى ذبح كل من امكنهم وقتله وان يستحلوا اموال اهل الارض بل لايحل لهم الكف عن شىء من هذا كله لان جهاد الكفار فرض وهذا كله ان التزموا طرد أصولهم وكفروا انفسهم وان لم يقولوا بذلك تناقضوا فصح ان كل من اعتقد الاسلام بقلبه ونطق به لسانه فهو مؤمن عند الله عز وجل ومن اهل الجنة سواء كان ذلك عن قبول اونشاة أو عن استدلال وبالله تعالى التوفيق وأيضا فنقول لهم هل استدل من مخالفيكم في اقوالكم التى تدينون بها أحد أم لم يستدل قط احد غيركم فلابد من اقرارهم بان مخالفيهم أيضا قد استدلوا وهم عندكم مخطئون كمن لم يستدل وأنتم عندهم أيضا مخطئون فان قالوا ان الادلة أمنتنا من أن نكون مخطئين قلنا لهم وهذا نفسه هو قول خصومكم فانهم يدعون ان ادلتهم على صواب قولهم وخطا قولكم ولا فرق مازالوا على هذه الدعوى مذ كانوا الى يومنا هذا فما نراكم حصلتم من استدلالكم الا على ما حصل عليه من لم يستدل سواء بسواء ولا فرق فان قالوا لنا فعلى قولكم هذا يبطل الاستدلال جملة ويبطل الدليل كافة قلنا معاذ الله من هذا لكن اريناك انه قد يستدل من يخطىء وقد يستدل من يصيب بتوفيق الله تعالى فقط وقد لا يستدل من يخطىء وقد لا يستدل من يصيب بتوفيق الله تعالى وكل ميسر لما خلق له والبرهان والدلائل الصحاح غير المموهة فمن وافق الحق الذى قامت عند غيره البراهين الصحاح بصحته فهو مصيب محق مؤمن استدل اولم يستدل ومن يسر للباطل الذى قام البرهان عند غيره ببطلانه فهو مبطل مخطىء أو كافر سواء استدل أو لم يستدل وهذا هو الذى قام البرهان بصحته والحمد لله رب العالمين وبالله تعالى التوفيق

الكلام فى الوعد والوعيد

(قال ابو محمد) اختلف الناس فى الوعد والوعيد فذهبت كل طائفة لقول منهم من قال

ان الفاعل الاول والمحرك الاول فى كل شيء هو الغاية وان كانت العلة الفاعلية هى الغاية بعينها استغنى عن تحريك الغاية فكان نفس ما هو فاعل نفس ما هو محرك من غير توسط وأما سائر العلل فان الفاعل والقابل قد يتقدمان المعلول بالزمان وأما الصورة فلا تتقدم بالزمان البتة بل بالرتبة والشرف لان القابل أبداً مستفيد والفاعل مفيد وقد تكون العلة علة للشيء بالذات وقد تكون بالعرض وقد تكون علة قريبة (٣٧) وقد تكون علة بعيدة وقد تكون علة لوجود الشيء فقط وقد تكون علة لوجوده ولد وأم ووجوده فانه انما احتاج الى الفاعل لوجوده وفى حال وجوده لا لعدمه السابق وفى حال عدمه فيكون الموجد انما يكون موجداً للموجود والموجود هو الذى يوصف بانه موجد وكما أنه فى حال ما هو موجود يوصف بانه موجد كذلك الحال فى كل حال فكل موجد محتاج الى موجد مقيم لوجوده لولاه لعدم وأما القوة والفعل القوة تقال لمبدأ التغير فى آخر من حيث انه آخر وهو اما فى المنفصل وهي القوة الانفعالية وأما فى الفاعل وهى القوة الفعلية وقوة المنفعل قد تكون محدودة نحو شيء واحد كقوة الماء على قبول الشكل دون قوة الحفظ وفى الشمع قوة عليهما جميعا وفى الهيولى قوة الجميع ولكن بتوسط شيء دون شيء وقوة الفاعل قد تكون محدودة نحو شيء واحد كقوة النار على الاحراق فقط وقد يكون على أشياء كثيرة كقوة المختارين وقد يكون فى الشيء قوة على شيء ولكن بتوسط شيء دون شيء والقوة الفعلية المحدودة اذا لاقت القوة المنفصلة حصل منها الفعل ضرورة وليس كذلك فى غيرها مما يستوى فيه الاضداد وهذه القوة ليست هي القوة التى يقابلها بها الفعل فان هذه تبقى موجودة عند ما يفعل والثانية انما تكون موجودة مع عدم الفعل وكل جسم صدر عنه فعل ليس بالعرض ولا بالقسر فانه يفعل بقوة ما فيه

ان صاحب الكبيرة ليس مؤمنا ولا كافرا ولكنه فاسق (١) وان كل من مات مصرا على كبيرة من الكبائر فلم يمت مسلما واذا لم يمت مسلما فهو مخلد فى النار ابدا وان من مات ولا كبيرة له او تاب عن كبائره قبل موته فانه مؤمن من أهل الجنة لا يدخل النار اصلا ومنهم من قال بان كل ذنب صغير او كبير فهو مخرج عن الايمان والاسلام فان مات عليه فهو غير مسلم وغير المسلم مخلد فى النار وهذه مقالات الخوارج والمعتزلة الا ان ابن بكر ابن اخت عبد الواحد ابن زيد قال فى طلحة والزبير رضى الله عنهما انهما كافران من اهل الجنة لانهما من اهل بدر وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قال لاهل بدر اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم قال فاهل بدر ان كفر واغفور لهم لانهم بخلاف غيرهم وقال بعض المرجئة (٢) لا تضر مع الاسلام سيئة كما لا ينفع مع الكفر حسنة قالوا فكل مسلم ولو بلغ على معصية فهو من أهل الجنة لا يرى نارا وانما النار للكفار وكلتا هاتين الطائفتين تقر بان احدا لا يدخل النار ثم يخرج عنها بل من دخل النار فهو مخلد فيها أبدا ومن كان من أهل الجنة فهو لا يدخل النار

---

(١) هى أول كلمة اختلف فيها وأصل بن عطاء رأس المعتزلة مع شيخه الحسن البصرى واعتزل مجلسه وتبعه على ذلك سائر المعتزلة اذ وضعوا صاحب الكبيرة فى منزلة بين المنزلتين فقالوا انه لا مؤمن ولا كافر بل فاسق وأئمة المسلمين لا يثبتون له منزلة بين المؤمن والكافر بل يقولون انه مؤمن ولكنه فاسق أما الخوارج فيقولون انه كافر فاسق

(٢) المرجئة فرقة من كبار الفرق الاسلامية لقبوا بهذا اللقب لانهم يؤخرون العمل عن الايمان من أرجه اى أخره استنادا على قوله تعالى (وآخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم) ولانهم يقولون لا يضر مع الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة فهم يعطون الرجاء وعلى التأويل الاخير لا يهمز اسم المرجية وليتوضح مذهب الارجاء يجب النظر فى الخلاف الواقع بين الوعيدية وغيرهم فاهل السنة لا يأخذون بدلالة العام كالمعتزلة فى مثل قوله تعالى (ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها) وفى مثل قوله (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها) بل يحملون الخلود مشروطا بالكفر ويأخذون بدلالة الخاص فى مثل قوله تعالى اعدت للكافرين وقوله ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ويحملون ترتب الجزاء فيما دون الشرك مشروطا بعدم التوبة أو العفو لقوله تعالى الا من تاب وقوله ويعفو عن كثير والوعيدية يخالفون فى هذا أما المرجئة فيقولون ان عدم تخلف الوعيد شرطه الكفر ومع الايمان ترجا العقوبة وان لم يتب صاحب المعصية وقالوا عنى الله بآيات الوعيد الكفار دون بعض الفسقة أو عنى بها التخويف دون التحقيق اه لمصححه

ما الذى بالإرادة والاختيار فظاهر وأما الذي ليس بالاختيار فلا يخلو اما أن يصدر عن ذاته بما هو ذاته أوعن قوة في ذاته أو عن شيء مباين فان صدر عن ذاته بما هو جسم فيجب أن يشاركه سائر الاجسام واذا تميز عنها بصدور ذلك الفعل عنه فلمعنى فى ذاته زائد على الجسمية وان صدر عن شيء مباين فلا يخلو اما أن يكون جسما أو غير جسم فان كان جسما فالفعل منه بقسر لا محالة (٣٨) وقد فرض بلا قسر هذا خلف وان لم يكن جسما فتأثر الجسم عن ذلك المفارق اما أن يكون بكونه جسما أو لقوة فيه ولا يجوز أن يكون بكونه جسما فتعين أن يكون لقوة فيه هي مبدأ صدور ذلك الفعل عنه وذلك هو الذى نسميه القوة الطبيعية وهى التى يصدر عنها الافاعيل الجسمانية من التحيزات الى امكانها والتشكيلات الطبيعية واذا خليت وطباعها لم يجز أن يحدث منها زوايا مختلفة بل لا زاوية فيجب أن تكون كرة واذا صح وجود الكرة صح وجود الدائرة * المسئلة الرابعة في المتقدم والمتأخر والقديم والحادث واثبات المادة لكل متكون التقدم قد يقال بالطبع وهو أن يوجد الشيء وليس الآخر بموجود ولا يوجد الآخر الا وهو موجود كالواحد والاثنين ويقال فى الزمان كتقدم الاب على الابن ويقال فى المرتبة وهو الاقرب الى المبدأ الذى عين كالتقدم فى الصف الاول أن يكون أقرب الى الامام ويقال فى الكمال والشرف كتقدم العالم على الجاهل ويقال بالعلية لان للعلية استحقاقا لوجود قبل المعلول وهما بما هما ذاتان ليس يلزم فيهما خاصية التقدم والتأخر ولا خاصية المعى ولكن بما هما متضايفان وعلة ومعلول وان أحدهما لم يستفد الوجود من الآخر والآخر استفاد الوجود منه فلا محالة كان المفيد متقدما والمستفيد متأخرا بالذات واذا رفعت العلة ارتفع المعلول لا محالة وليس اذا ارتفع المعلول

وقال أهل السنة والحسين النجار وأصحابه وبشر ابن غياث المريسى وأبو بكر بن عبد الرحمن ابن كيسان الاصم البصرى وغيلان ابن مروان الدمشقى القدرى ومحمد بن شبيب ويونس بن عمران وأبو العباس الناشي والاشعرى وأصحابه ومحمد بن كرام واصحابه ان الكفار مخلدون فى النار وان المؤمنين كلهم فى الجنة وان كانوا اصحاب كبائر ماتوا مصرين عليها وانهم طائفتان طائفة يدخلون النار ثم يخرجون منها أى من النار الى الجنة. وطائفة لا تدخل النار الا ان كل من ذكرنا قالوا الله عز وجل ان يعذب من شاء من المؤمنين اصحاب الكبائر بالنار ثم يدخلهم الجنة وله أن يغفر لهم ويدخلهم الجنة بدون أن يعذبهم. ثم افترقوا فقالت طائفة منهم وهو محمد بن شبيب ويونس والناشي ان عذب الله تعالى واحدا من اصحاب الكبائر عذب جميعهم ولا بد ثم ادخلهم الجنة. وان غفر لواحد منهم غفر لجميعهم ولا بد. وقالت طائفة بل يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء وان كانت ذنوبهم كثيرة مستوية وقد يغفر لمن هو اعظم جرما ويعذب من هو اقل جرما. وقال ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم يغفر لمن يشاء من اصحاب الكبائر ويعذب من يشاء منهم الا القاتل عمدا فانه مخلد فى النار ابدا وقالت طائفة منهم من لقى الله عز وجل مسلما تائبا من كل كبيرة اولم يكن عمل كبيرة قط فسيئاته كلها مغفورة وهو من أهل الجنة لا يدخل النار ولو بلغت سيئاته ماشاء الله ان تبلغ ومن لقى الله عز وجل وله كبيرة لم يتب منها فاكثر فالحكم فى ذلك الموازنة فمن رجحت حسناته على كبائره وسيئاته فان كبائره كلها تسقط وهو من اهل الجنة لا يدخل النار وان استوت حسناته مع كبائره وسيئاته فهؤلاء اهل الاعراف ولهم وقفة ولا يدخلون النار ثم يدخلون الجنة ومن رجحت كبائره وسيئاته بحسناته فهؤلاء مجازون بقدر مارجح لهم من الذنوب فمن لفحة واحدة الى بقاء خمسين الف سنة فى النار ثم يخرجون منها الى الجنة بشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبرحمة الله تعالى وكل من ذكرنا يجازون فى الجنة بعد بما فضل لهم من الحسنات واما من لم يفضل له حسنة من اهل الاعراف فمن دونهم وكل من خرج النار بالشفاعة وبرحمة الله تعالى فهم كلهم سواء في الجنة ممن رجحت له حسنة فصاعدا

﴿قال ابو محمد﴾ فاما من قال صاحب الكبيرة يخلد وصاحب الذنب كذلك فان حجتهم قول الله عز وجل * ألا إن اولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون * وقوله تعالى * من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم فى النار * وقوله تعالى * والذين كسبوا السيات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة مالهم من الله من عاصم كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون * وقوله تعالى * ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها * وبقوله تعالى * ومن

يقتل

ارتفع بارتفاعه العلة بل ان صح فقد كانت العلة ارتفعت أولا لعلة أخرى حتى ارتفع المعلول واعلم ان الشيء كما يكون محدثا بحسب الزمان كذلك قد يكون محدثا بحسب الذات فان الشيء اذا كان له في ذاته أن لا يجب له وجوده بل هو باعتبار ذاته ممكن الوجود مستحق العدم لولا علته والذى بالذات يجب وجوده قبل الذى من غير الذات فيكون لكل معلول فى ذاته أولا انه ليس ثم عن العلة وثانيا انه ليس فيكون كل (٣٩) معلول محدثا أي مستفيد الوجود من غيره وان كان مثلا فى جميع الزمان موجودا مستفيدا لذلك الوجود عن موجد فهو محدث لانه وجوده من بعد لا وجوده بعدية بالذات وليس حدوثه انما هو فى آن من الزمان فقط بل هو محدث في الدهر كله ولايمكن أن يكون حادث بعد ما لم يكن فى زمان الاوقد تقدمته المادة فانه قبل وجوده ممكن الوجود وامكان الوجود اما أن يكون معنى معدوما أو معنى موجودا ومحال أن يكون معدوما فان المعدوم قبل والمعدوم مع واحد وهو قد سبقه الامكان والقبل المعدوم موجود مع وجوده فهو اذا معنى موجود وكل معنى موجود فاما قائم لا فى موضوع أو قام فى موضوع وكل ما هو قائم لا فى موضوع فله وجود خاص لا يجب أن يكون به مضافا وامكان الوجود انما هو ما هو بالاضافة الى ماهو امكان وجود له فهو اذا معنى فى موضوع وعارض لموضوع ونحن نسميه قوة الوجود ويسمى حامل قوة الوجود الذى فيه قوة وجود الشيء موضوعا وهيولى ومادة وغير ذلك فاذاً كل حادث فقد تقدمته المادة كما تقدمه الزمان * المسئلة الخامسة فى الكلى والواحد ولواحقهما قال المعنى الكلى بما هو طبيعة ومعنى كالانسان بما هو انسان شيء وبما هو واحداً واكثر خاص أو عام شيء بل هذه المعاني عوارض تلزمه لا من حيث هو انسان بل من حيث هو فى الذهن أو فى الخارج

يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعدله عذابا عظيما * وقوله * ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم القيمة ويخلد فيه مهانا الا من تاب وآمن * وقوله تعالى * ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا * وقوله تعالى * ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة * الآية وقوله تعالى * ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله وماواه جهنم وبئس المصير * وقوله * انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا * الى قوله تعالى * ولهم فى الآخرة عذاب عظيم * وقوله تعالى * الذين ياكلون الربا * الآية وذكروا احاديث صحت عن النبى صلى الله عليه وسلم في وعيد شارب الخمر وقاتل المرة ومن قتل نفسه بسم اوحديد او تردى من جبل فانه يفعل ذلك به فى جهنم خالدا ومن قتل نفسه حرم الله عليه الجنة واوجب له النار وذكروا ان الكبيرة تزيل اسم الايمان فبعضهم قال الى شرك وبعضهم قال الى كفر نعمة وبعضهم قال الى نفاق وبعضهم قال الى فسق قالوا فاذا ليس مؤمنا فلا يدخل الجنة لانه لا يدخل الجنة الا المؤمنون هذا كل ما احتجوا به ما نعلم لهم حجة اصلا غير ما ذكرنا واما من خص القاتل بالتخليد فانهم احتجوا بقوله تعالى * ومن يقتل مؤمنا متعمدا فقط واما من قطع باسقاط الوعيد عن كل مسلم فاحتجوا بقول الله تعالى * لا يصلاها الا الاشقى الذى كذب وتولى * قالوا وهذه الآية مثبتة ان كل من توعده الله عز وجل على قتل اوزنا اوربا اوغير ذلك فانما هم الكفار خاصة لا غيرهم واحتجوا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله مخلصا من قلبه دخل الجنة وان سرق وان شرب الخمر علي رغم انف أبي ذر وقول الله عز وجل * ان رحمة الله قريب من المحسنين * قالوا ومن قال لا اله الا الله محمد رسول الله فقد احسن فهو محسن فرحمة الله قريب منه ومن رحمه الله فلا يعذب وقالوا كما ان الكفر محبط لكل حسنة فان الايمان يكفر كل سيئة والرحمة والعفو اولى بالله عز وجل

(قال أبو محمد) هذا كل ما احتجوا به ما نعلم لهم حجة غير هذا اصلا او يدخل فيما ذكرنا ولا يخرج عنه وبالله تعالى التوفيق واما من قال ان الله تعالى يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وقد يعذب من هو اقل ذنوبا ممن يغفر له فانهم احتجوا بقول الله عز وجل * ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء * وبعموم قوله تعالى * يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء * وبقول رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس صلوات كتبهن الله على العبد من جاء بهن لم ينقص من حدودهن شيئا كان له عند الله عهد ان يدخله الجنة ومن لم يات بهن لم يكن له عند الله عهد ان شاء عذبه وان شاء غفر له وجعلوا الآيتين اللتين ذكرنا

واذا قدعرفت ذلك فقد يقال كلى للانسانية بلاشرط وهو بهذا الاعتبار موجود بالفعل في اشياء وهو المحمول على كل واحد لا على انه واحد بالذات ولا على انه كثير وقد يقال كلى للانسانية بشرط أنها مقولة على كثيرين وهو بهذا الاعتبار ليس موجودا بالفعل فى الاشياء فبين ظاهر ان الانسان الذى اكتنفته الاعراض المشخصة لم يكتنفه اعراض شخص آخر حتى يكون ذلك (٤٠) بعينه فى شخص زيد وعمرو فلا كلى عام في الوجود بل الكلى العام بالفعل انما هو فى العقل وهي الصورة التى فى العقل كنقش واحد ينطبق عليه صورة وصورة ثم الواحد يقال لما هو غير منقسم من الجهة التى قيل انه واحد ومنه مالا ينقسم فى الجنس ومنه ما لا ينقسم في النوع ومنه مالا ينقسم بالعرض العام كالغراب والقير في السواد ومنه ما لا ينقسم بالمناسبة كنسبة العقل الى النفس ومنه مالا ينقسم فى العدد ومنه مالا ينقسم فى الحد والواحد بالعدد اما أن يكون فيه كثرة بالفعل فيكون واحد بالتركيب والاجتماع واما أن لا يكون ولكن فيه كثرة بالقوة فيكون واحداً بالاتصال وان لم يكن فيه ذلك فهو الواحد بالعدد على الاطلاق وهو العدد الذي بأزاء الواحد كما ذكرنا والكثير بالاضافة هو الذى يترتب بأزائه القليل فاقل العدد اثنان وأما لواحق الواحد فالمشابهة هو اتحاد فى الكيفية والمساواة هو اتحاد فى الكمية والمجانسة اتحاد فى الجنس والمشاكلة اتحاد فى النوع والموازاة اتحاد فى الاجزاء والمطابقة اتحاد فى الاطراف والمو هو حال بين اثنين جعلا اثنين فى الوضع يصير بها بينهما اتحاد بنوع ما وتقابل كل منها من باب الكثير متقابل * المسئلة السادسة في تعريف واجب الوجود بذاته وانه لا يكون بذاته وبغيره معاً وانه لا كثرة فى ذاته بوجه وانه خير محض وحق وانه واحد من وجوه شتى ولا يجوز

قاضيتين على جميع الآيات التى تعلقت بها سائر الطوائف وقالوا الله الامر كله لامعقب لحكمه فهو يفعل مايشاء ماذا لهم حجة غير ماذكرنا

(قال ابو محمد) وانما من قال بمثل هذا الا انه قال الله تعالى ان عذب واحدا منهم عذب الجميع وان غفر لواحد منهم غفر للجميع فانهم قدرية جنحوا بهذا القول نحو العدل ورأوا ان المغفرة لواحد وتعذيب من له مثل ذنوبه جور ومحاباة ولا يوصف الله عزوجل بذلك وأما من قال بالموازنة فانهم احتجوا فقالوا ان آيات الوعيد واخبار الوعيد التى احتج بها من ذهب مذهب المعتزلة والخوارج فانها لا يجوز ان تخص بالتعلق بها دون آيات العفو واحاديث العفو التى احتج بها من اسقط الوعيد وهى لا يجوز التعلق بها دون الآيات التى حتج بها من اثبت الوعيد بل الواجب جمع جميع تلك الآيات وتلك الاخبار وكلها حق وكلها من عند الله وكلها مجمل تفسيرها بايات الموازنة واحاديث الشفاعة التى هى بيان لعموم تلك الآيات وتلك الاخبار وكلها من عند الله قالوا ووجدنا الله عز وجل قدقال * ياويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا * وقال تعالى * ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل * الاية وقال تعالى * فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره * وقال تعالى * وما كان الله ليضيع ايمانكم * وقال تعالى * فاذا هم جميع لدينا محضرون فاليوم لا تظلم نفس شيئا * الاية وقال تعالى * ليجزى الله كل نفس ما كسبت ان الله سريع الحساب * وقال تعالى * وتوفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون * وقال تعالى لتجزى كل نفس بما تسعى * وقال تعالى وان ليس للانسان الا ماسعى * الى قوله * الجزاء الاوفى * وقال تعالى * وان للذين ظلموا عذابا دون ذلك * وقال تعالى * ليجزى الذين أساؤا بما عملوا الاية وقال تعالى * هنالك تبلو كل نفس ما اسلفت * وقال تعالى * وان كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم * وقال تعالى * وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله * الاية وقال تعالى * ليس بامانيكم ولا امانى اهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له * الاية وقال تعالى * وما تفعلوا من خير فلن تكفروه * وقال تعالى * ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة تضاعفها ويؤتي من لدنه اجرا عظيما * وقال تعالى * انى لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى * وقال تعالى * وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد * الى قوله تعالى * قال قرينه ربنا ما اطغيته ولكن كان فى ضلال بعيد * الى قوله تعالى * وما انا بظلام للعبيد * وقال تعالى * فاما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضيه واما من خفت موازينه الى آخر السورة وقال تعالى * ان الحسنات يذهبن السيئات * وقال تعالى * ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت أعمالهم * وقال تعالى * من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة

فلا

أن يكون اثنان واجبي الوجود وفي اثبات واجب الوجود بذاته قال واجب الوجود معناه انه ضرورى الوجود وممكن الوجود معناه انه ليس فيه ضرورة لافى وجوده ولافى عدمه ثم ان واجب الوجود قد يكون بذاته وقد لا يكون بذاته والقسم الاول هو الذى وجوده لذاته لا لشيء آخر والثاني هو الذى وجوده لشيء آخر أى شيء كان ولو وضع ذلك الشيء صار واجب الوجود مثل الاربعة واجبة الوجود لا بذاتها ولكن عند وضع اثنين (٤١) اثنين ولا يجوز أن يكون شيء واحد واجب الوجود بذاته وبغيره معا فانه ان رفع ذلك الغير لم يخل اما أن يبقى وجوب وجوده أو لم يبق فان بقى فلا يكون واجبا بغيره وان لم يبق فلا يكون واجبا بذاته فكل ما هو واجب الوجود بغيره فهو ممكن الوجود بذاته فان وجوب وجوده تابع لنسبة ما وهى اعتبار غير اعتبار نفس ذات الشيء فاعتبار الذات وحدها أما أن يكون مقتضيا لوجوب الوجود وقد أبطلناه وأما أن يكون مقتضيا لامتناع الوجود وما امتنع بذاته لم يوجد بغيره وأما أن يكون مقتضيا لامكان الوجود وهو الباقى وذلك انما يجب وجوده بغيره لانه ان لم يجب كان بعد ممكن الوجود لم يترجح وجوده على عدمه ولا يكون بين هذه الحالة والاولى فرق وان قيل تجددت حالة فالسؤال عنها كذلك ثم واجب الوجود بذاته لا يجوز أن يكون لذاته مبادى تجتمع فيتقوم منها واجب الوجود لا أجزاء كمية ولا أجزاء حد سواء كانت كالمادة والصورة أو كانت على وجه آخر بان تكون أجزاء القول الشارح لمعنى اسمه يدل كل واحد منها على شيء هو فى الوجود غير الآخر بذاته وذلك لان كل ما هذا صفته فذات كل جزء منه ليس هو ذات الآخر ولا ذات المجتمع وقد وضح أن الاجزاء بالذات أقدم من الكل فتكون العلة الموجبة للوجود علة للاجزاء ثم للكل ولا يكون شيء منها بواجب الوجود وليس يمكننا أن

فلا يجزى الا مثلها * وقال تعالى * اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم * هذا نص كلامه يوم القيامة وهو القاضى على كل مجمل قالوا فنص الله عز وجل انه يضع الموازين القسط وانه لا يظلم احدا شيئا ولا مثقال حبة خردل ولا مثقال ذرة من خير ومن شر فصح ان السيئة لا تحبط الحسنة وان الايمان لا يسقط الكبائر ونص الله تعالى انه تجزى كل نفس بما كسبت وما عملت وما سعت وانه ليس لاحد الا ما سعى وانه سيجزى بذلك من أساء بما عمل ومن أحسن بالحسنى وانه تعالى يوفى الناس أعمالهم فدخل فى ذلك الخير والشر وانه تعالى يجازى بكل خير وبكل سوء وعمل وهذا كله يبطل قول من قال بالتخليد ضرورة وقول من قال باسقاط الوعيد جملة لان المعتزلة تقول ان الايمان يضيع ويحبط وهذا خلاف قول الله تعالى انه لا يضيع ايمانا ولا عمل عامل منا وقالوا هم ان الخير ساقط بسيئة واحدة وقال تعالى ان الحسنات يذهبن السيآت * فقالوا هم ان السيآت يذهبن الحسنات وقد نص تعالى أن الاعمال لا يحبطها الا الشرك والموت عليه وقال تعالى * من جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها * فلو كانت كل سيئة أو كبيرة توجب الخلود في جهنم وتحبط الاعمال الحسنة لكانت كل سيئة أو كل كبيرة كفرا ولتساوت السيئات كلها وهذا خلاف النصوص وعلمنا بما ذكرنا ان الذين قال الله تعالى فيهم * لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * هم الذين رجحت حسناتهم على سيئاتهم فسقط كل سيئة قدموها وصح ان قوله تعالى * ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم فى النار * هو فيمن رجحت كبائرهم حسناتهم وان السيئة الموجبة للخلود هى الكفر لان النصوص جاءت بتقسيم السيئات فقال تعالى * ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم فهذه سيئات مغفورة باجتناب الكبائر وقال تعالى * وجزاء سيئة سيئة . مثلها . وقال تعالى ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره . فاخبر تعالى ان من السيئات المجازى لها ما هو مقدار ذرة ومنها ما هو أكبر ولا شك ان الكفر أكبر السيئات فلو كانت كل كبيرة جزاؤها الخلود لكانت كلها كفرا ولكانت كلها سواء وليست كذلك بالنص واما وعيد الله بالخلود فى القاتل وغيره فلو لم يأت الا هذه النصوص لوجب الوقوف عندها لكنه قد قال تعالى . لا يصلاها الا الاشقى الذى كذب وتولى . وكلامه تعالى لا يختلف ولا يتناقض وقد صح ان القاتل ليس كافرا وان الزانى ليس كافرا وان أصحاب تلك الذنوب المتوعد عليها ليسوا كفارا بما ذكرنا قبل من انهم مباح لهم نكاح المسلمات وانهم مامورون بالصلاة وان زكاة أموالهم مقبوضة وانهم لا يقتلون وانه ان عفى عن القاتل فقاتله مسلم فانه يقتل به وانه يرث ويورث وتؤكل ذبيحته فاذ ليس كافرا فبيقين ندرى ان خلوده انما هو مقام مدة ما وان الصلى(١) الذى نفاه الله تعالى عن كل من لم يكذب ولا تولى انما هو صلى الخلود لا يجوز البتة غير هذا وبهذا تتألف

---

(١) يقال صلى بالنار كرضى وصليها صليا بضرب وصليا كجثيا وبكيا واصطلى بها وتصلاها قاسى حرها

نقول ان الكل اقدم بالذات من الاجزاء فهو أما متاخر واما معا فقد اتضح أن واجب الوجود ليس بجسم ولا مادة فى جسم ولا صورة فى جسم ولا مادة معقولة لقبول صورة معقولة ولا صورة معقولة فى مادة معقولة ولا قسمة له لا فى الكم ولا فى المبادىء ولا فى القول فهو واجب الوجود من جميع جهاته اذ هو واحد من كل وجه فلا جهة وجهه وأيضا فان قدر بان يكون واجبا من جهة ممكنا من جهة كان امكانه (٤٢) متعلقا بواجب فلم يكن واجب الوجود بذاته مطلقا فينبغى أن يتفطن من هذا ان واجب الوجود لا يتاخر عن وجوده وجود له منتظر بل كل ما هو ممكن له فهو واجب له فلا له ارادة منتظرة ولا علم منتظر ولا طبيعة ولا صفة من الصفات التى تكون بذاته منتظرة وهو خير محض وكمال محض والخير بالجملة هو ما يتشوقه كل شىء ويتم به وجود كل شىء والشر لا ذات له بل هو أما عدم جواهر أو عدم صلاح حال الجوهر فالوجود خيرية وكمال الوجود كمال الخيرية والوجود الذي لا يقارنه عدم لا عدم جوهر ولا عدم حال للجوهر بل هو دائما بالفعل فهو خير محض والممكن بذاته ليس خيرا محضا لان ذاته يحتمل العدم وواجب الوجود هو حق محض لان حقيقة كل شىء خصوصية وجوده الذى يثبت له فلا أحق اذا من واجب الوجود وقد يقال حق أيضا فيما يكون الاعتقاد به لوجوده صادقا فلا أحق بهذه الصفة مما يكون الاعتقاد لوجوده صادقا ومع صدقه دائما ومع دوامه لذاته لا لغيره وهو واحد محض لانه لا يجوز أن يكون نوع واجب الوجود لغير ذاته لان وجود نوعه له بعينه أما أن يقتضيه ذات نوعه او لا يقتضيه ذات نوعه بل يقتضيه علة فان كان وجود نوعه مقتضى ذات نوعه لم يوجد الا له وان كان لعلة فهو معلول فهو اذا تام في وحدانيته وواحد من جهة تمامية وجوده وواحد من جهة ان حده له وواحد من جهة انه لا ينقسم بالكم ولا بالمبادىء المقومة له ولا باجزاء الحد وواحد من

النصوص وتتفق ومن المعهود فى المخاطبة ان من وفد من بلد الى بلد فحبس فيه لامر أوجب احتباسه فيه مدة ما فانه ليس من أهل ذلك البلد الذى حبس فيه فمن دخل فى النار ثم أخرج منها فقد انقطع عنه صليها فليس من أهلها وانما أهلها وأهل صليها على الاطلاق والجملة هم الكفار المخلدون فيها أبدا فيها كذا جاء فى الحديث الصحيح فقد ذكر عليه السلام فيه من يدخل النار بذنوبه ثم يخرج منها ثم قال صلى الله عليه وسلم واما أهل النار الذين هم أهلها يعنى الكفار المخلدين فيها وقد قال عز وجل . وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا . فقد بين عليه السلام ذلك بقوله فى الخبر الصحيح ثم يضرب الصراط بين ظهرانى جهنم فبالقرآن وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم صح ان من الناس من يحشرهم الى الجنة أمامهم يخوضهم وسط جهنم وينجى الله أولياءه من حرها وهم الذين لا كبائر لهم أو لهم كبائر تابوا عنها او رجحت حسناتهم بكبائرهم او تساوت كبائرهم وسيئاتهم بحسناتهم وانه تعالى يمحص من رجحت كبائره وسيئاته بحسناته ثم يخرجهم عنها الى الجنة بايمانهم ويمحق الكفار بتخليدهم فى النار كما قال تعالى . وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين . وايضا فان كل آية وعيد وخبر وعيد تعلق به من قال بتخليد المذنبين فان المحتجين بتلك النصوص هم اول مخالف لها لانهم يقولون ان من ياتى بتلك الكبائر ثم تاب سقط عنه الوعيد فقد تركوا ظاهر تلك النصوص فان قالوا انما قلنا ذلك بنصوص أخر اوجبت ذلك قيل لهم نعم وكذلك فعلنا بنصوص آخر وهى آيات الموازنة وانه تعالى لا يضيع عمل عامل من خير او شر ولا فرق ويقال لمن اسقط آيات الوعيد جملة وقال انها كلها انما جاءت فى الكفار ان هذا باطل لان نص القرآن بالوعيد على الفار من الزحف ليس الا على المؤمن بيقين بنص الآية فى قوله تعالى . ومن يولهم يومئذ دبره . ولا يمكن ان يكون هذا فى كافر اصلا فسقط قول من قال بالتخليد وقول من قال باسقاط الوعيد ولم يبق الا قول من اجمل جواز المغفرة وجوز العقاب

﴿ قال أبو محمد ﴾ فوجدنا هذا القول مجملا قد فسرته آيات الموازنة وقوله تعالى الذى تعلقوا به * ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء * حق على ظاهرها وعلى عمومها وقد فسرتها باقرارهم آيات أخر لانه لا يختلف فى ان الله تعالى يغفر ان يشرك به لمن تاب من الشرك بلا شك وكذلك قوله تعالى * ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء . فهذا كله حق الا انه قد بين من هم الذين شاء ان يغفر لهم فان صرتم الى بيان الله تعالى فهو الحق وان ابيتم الا الثبات على الاجمال فاخبرونا عن قول الله تعالى . ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا . وقوله تعالى . بل انتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء . أترون ان هذا العموم تقولون به فتجيزون انه يغفر الكفر لانه

ذنب

جهة ان لكل شيء وحدة محضة وبها كمال حقيقته الذاتية وواحد من جهة ان مرتبته من الوجود وهو وجوب الوجود ليس الا له فلا يجوز اذا أن يكون اثنان كل واحد منهما واجب الوجود بذاته فيكون وجوب الوجود مشتركا فيه على أن يكون جنسا أو عارضا ويقع الفصل بشيء اخر اذ يلزم التركيب في ذات كل واحد منهما بل ولا نظن أنه موجود وله ماهية وراء الوجود كطبيعة الحيوان واللون مثلا الجنسين الذين يحتاجان الى فصل وفصل حتى يتقررا في وجودهما لان تلك الطبائع معلومة وانما يحتاجان لا في نفس الحيوانية واللونية المشتركة بل في الوجود وها هنا فوجوب الوجود هو الماهية وهو مكان الحيوانية التى لا يحتاج الى فصل في ان يكون موجودا ولا يظن ان يكون حيوانا بل في ان يكون موجودا ولا يظن ان واجبي الوجود لا يشتركان في شي ما كيف وهما مشتركان في وجوب الوجود ومشتركان في البراءة عن الموضوع فان كان واجب الوجود يقال عليهما بالاشتراك فكلامنا ليس في منع كثرة اللفظ والاسم بل في معنى واحد هي معاني ذلك الاسم وان كابالتواطؤ فقد حصل معنى عام عموم لازم أو عموم جنس وقد بينا استحالة هذا وكيف يكون عموم وجوب الوجود لشيئين على سبيل اللوازم التى تعرض من خارج واللوازم معلولة وأما اثبات واجب الوجود فليس يمكن الا لبرهان ان وهو الاستدلال بالممكن عن الواجب فنقول كل جملة من حيث انها جملة سواء كانت متناهية أو غير متناهية اذا كانت مركبة من ممكنات فانها لا تخلوا اما ان كانت واجبة بذاتها أو ممكنة بذاتها فان كانت واجبة الوجود بذاتها وكل واحد منها ممكن الوجود يكون واجب الوجود يتقوم بممكنات الوجود هذا خلف وان كانت ممكنة الوجود بذاتها فالجملة محتاجة في الوجود الى مفيد للوجود فاما ان يكون المفيد خارجا عنها أو داخلا فيها فان كان داخلا فيها

ذنب من الذنوب ام لا واخبرونا عن قول الله عز وجل حاكيا عن عيسى عليه السلام انه يقول له تعالى يوم القيامة . يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك . الى قوله . وانت على كل شيء شهيد . الى قوله تجري من تحتها الانهار أيدخل النصارى الذين اتخذوا عيسى وامه الهين من دون الله تعالى في جواز المغفرة لهم لصدق قول الله تعالى في هذا القول من التخيير بين المغفرة لهم او تعذيبهم واخبرونا عن قوله تعالى . قال عذابي اصيب به من اشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة . فمن قولهم ان المغفرة لاتكون البتة لمن كفر ومات كافرا وانهم خارجون من هذا العموم ومن هذه الجملة بقوله تعالى . ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء . قيل لهم ولم خصصتم هذه الجملة بهذا النص ولم تخصوا قوله تعالى . ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء . بقوله . فاما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية واما من خفت موازينه فامه هاوية . وبقوله تعالى . هل تجزون الا ما كنتم تعملون . وبقوله تعالى . اليوم تجزي كل نفس بما كسبت . وهذا خبر لانسخ فيه فان قالوا نعم الا ان يشاء ان يغفر لهم قيل لهم قد اخبر الله تعالى انه لا يشاء ذلك باخباره تعالى انه في ذلك اليوم يجزى كل نفس ما كسبت ولا فرق (قال أبو محمد) وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان الرجل ياتي يوم القيمة وله صدقة وصيام وصلاة فيوجد قد سفك دم هذا وشتم هذا فتؤخذ حسناته كلها فيقتص لهم منها فاذا لم يبق له حسنة قذف من سيآتهم عليه ورمي في النار وهكذا اخبر عليه السلام في قوم يخرجون من النار حتى اذا نقوا وهذبوا ادخلوا الجنة وقد بين عليه السلام ذلك بانه يخرج من النار من في قلبه مثقال حبة من شعير من خير ثم من في قلبه مثقال برة من خير ثم من في قلبه مثقال حبة من خردل ثم من في قلبه مثقال ذرة الى ادني ادني من ذلك ثم من لم يعمل خيرا قط الا شهادة الاسلام فوجب الوقوف عند هذه النصوص كلها المفسرة للنص المجمل ثم يقال اخبرونا عمن لم يعمل شرا قط الا اللمم ومن هم بالشر فلم يفعله فمن قول اهل الحق انه مغفور له جملة بقوله تعالى * الا اللمم * وبقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تجاوز لامتي عما حدثت به انفسها ما لم تخرجه بقول او عمل

(قال ابو محمد) وهذا ينقسم أقساما احدها من هم بسيئة اى شيء كانت من السيئات ثم تركها مختارا لله تعالى فهذا تكتب له حسنة فان تركها مغلوبا لا مختارا لم تكتب له حسنة ولا سيئة تفضلا من الله عز وجل ولو عملها كتبت له سيئة واحدة ولو هم بحسنة ولو يعملها كتبت له حسنة واحدة ان عملها كتبت له عشر حسنات وهذا كله نص رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ناظرت بعض المنكرين لهذا فذهب الى ان الهم بالسيئة اصرار عليها فقلت له

ويكون واحد منها واجب الوجود وكان كل واحد منها ممكن الوجود هذا خلف فتعين ان المفيد يجب ان يكون خارجا عنها وذلك هو المطلوب المسئلة السابعة فى ان واجب الوجود عقل وعاقل ومعقول وانه يعقل ذاته والاشياء وصفاته الايجابية والسلبية لا توجب كثرة فى ذاته وكيفية صدور الافعال عنه قال العقل يقال على كل مجرد من المادة واذا كان مجردا بذاته فهو عقل لذاته وواجب ٤٤ الوجود مجرد بذاته عن المادة فهو عقل لذاته وبما يعتبر له ان المجردة لذاته فهو معقول لذاته ربما يعتبر له أن ذاته له هوية مجردة فهو عاقل لذاته وكونه عاقلا ومعقولا لا يوجب ان يكون اثنين في الذات ولا اثنين فى الاعتبار فانه ليس تحصيل الامرين الا انه له ماهية مجردة وانه ماهية مجردة ذاته له وهاهنا تقديم وتأخير في ترتيب المعانى فى عقولنا والغرض المحصل هو شىء واحد وكذلك عقلنا لذاتنا هو نفس الذات واذا عقلنا شيئا فلسنا نعقل ان نعقل بعقل اخرى لان ذلك يؤدى الى التسلسل ثم لما لم يكن جمال وبهاء فوق ان يكون الماهية عقلية صرفة وخيرية محضة برية عن المواد وانحاء النقص واحدة من كل جهة ولم يسلم لذلك بكنهه الا واجب الوجود فهو الجمال المحض والبهاء المحض وكل جمال وبهاء وملائم وخير فهو محبوب معشوق وكل ما كان الادراك أشد اكتناها والمدرك أجمل ذاتا فحب القوة المدركة له وعشقه له والتذاذه به كان أشد وأكثر فهو أفضل مدرك لأفضل مدرك وهو عاشق لذاته ومعشوق لذاته عشق من غيره أو لم يعشق وأنت تعلم أن ادراك العقل للمعقول أقوى من ادرك الحس للمحسوس لان العقل انما يدرك الامر الباقى ويتحد به ويصير هو هو ويدركه بكنهه لا بظاهره ولا كذلك الحس واللذة التى لنا بان نعقل فوق الذى بان نحس لكنه قد يعرض ان يكون القوة الداركة لا تستلذ بالملائم

هذا خطأ لان الاصرار لا يكون الا على ما قد فعله المرء بعد تماد عليه ازمنه واما من هم بما لم يفعل بعد فليس اصرارا قال الله تعالى * ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون * ثم نسألهم عمن عمل بالسيئات حاشا الكبائر عددا عظيما ولم يأت كبيرة قط ومات على ذلك أيجوزون ان يعذبه الله تعالى على ما عمل من السيئات أم يقولون أنها مغفورة له ولا بد فان قالوا أنها مغفورة ولا بد صدقوا وكانوا قد خصوا قوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وتركوا حمل هذه الآية على عمومها فلا ينكروا ذلك على من خصها ايضا بنص آخر وان قالوا بل جائز ان يعذبهم الله تعالى على ذلك اكذبهم الله تعالى بقوله * ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما ونعوذ بالله من تكذيب الله عز وجل ثم نسألهم عمن عمل من الكبائر ومات عليها وعمل حسنات رجحت بكبائره عند الموازنة أيجوز ان يعذبه الله تعالى بما عمل من تلك الكبائر ام هى مغفورة له ساقطة عنه فان قالوا بل هى مغفورة وساقطة عنه صدقوا وكانوا قد خصوا عموم قوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وجعلوا هؤلاء ممن شاء ولا بد ان يغفر لهم وان قالوا بل جائز ان يعذبهم أكذبهم الله تعالى بقوله . فاما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية . وبقوله . ان الحسنات يذهبن السيئات .

(قال أبو محمد) وكذلك القول فيمن تساوت حسناته وكبائره وهم أهل الاعراف فلا يعذبون أصلا فقد صح يقينا ان هؤلاء الطبقات الاربع هم الذين شاء الله تعالى ان يغفر لهم بلا شك فبقي الذين لم يشاء الله تعالى ان يغفر لهم ولم يبق من الطبقات احد الا من رجحت كبائره فى الموازنة على حسناته فهو الذين يجازون بقدر ذنوبهم ثم يخرجون من النار بالشفاعة وبرحمة الله عز وجل فقالوا من هؤلاء من يغفر الله تعالى له ومنهم من يعذبه قلنا لهم اعندكم بهذا البيان نص وهم لا يجدونه ابدا فظهر تحكمهم بلا برهان وخلافهم لجميع الآيات التى تعلقوا بها فانهم مقرون على انها ليست على عمومها بل هى مخصوصة لان الله تعالى قال ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ولا خلاف فى انه تعالى يغفر الشرك لمن آمن فصح انها مجملة تفسرها ساير الايات والاخبار وكذلك حديث عبادة خمس صلوات كتبهن الله تعالى على العباد من جاء بهن لم ينقص من حدودهن شيئا كان له عند الله عهد ان يدخله الجنة ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد ان شاء غفر له وان شاء عذبه فانهم متفقون على ان من جاء بهن لم ينتقص من حدودهن شيئا الا أنه قتل وزني وسرق فانه قد يعذب ويقولون أن لم يأت بهن فانه لا يعذب على التابيد بل يعذب ثم يخرج عن النار

(قال ابو محمد) هذا ترك منهم ايضا لظاهر هذا الخبر

(قال ابو محمد) ولا فرق بين قول الله تعالى * فاما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية وبين قوله . واما من خفت موازينه فامه هاوية . كلاهما خبر ان جاز ابطال أحدهما جاز ابطال الآخر

الاخر ومعاذ الله من هذا القول وكذلك قد منع الله تعالى من هذا القول بقوله تعالى . لا تختصموا لدى وقد قدمت اليكم بالوعيد ما يبدل القول لدى وما انا بظلام للعبيد . ونحن نقول ان الله تعالى يعذب من يشاء ويرحم من يشاء وانه تعالى يغفر ما دون الشرك لمن يشاء وان كل احد فهو في مشيئة الله تعالى الا اننا نقول انه تعالى قد بين من يغفر له ومن يعذب وان الموازين حق . الموازنة حق والشفاعة حق وبالله تعالى التوفيق حدثنا محمد بن سعيد بن بيان حدثنا احمد بن عبد النصير حدثنا قاسم بن اصبغ حدثنا محمد بن عبد السلام الخشني حدثنا محمد بن المثنى حدثنا وكيع بن الجراح حدثنا سفيان الثوري عن خالد الحذاء عن مجاهد عن ابن عباس في قول الله تعالى . وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص . قال ما وعدوا فيه من خير وشر وهذا هو نص قولنا وقد ادعى قوم ان خلاف الوعيد حسن عند العرب وانشدوا

واني وان اوعدته او وعدته . لمخلف ايعادي ومنجز موعدي

(قال ابو محمد) وهذا الاشيء قد جعل فخر صبي احمق كافر حجة على الله تعالى والعرب تفتخر بالظلم قال الراجز

احيا اباه هاشم بن حرمله . ترى الملوك حوله مغربله
يقتل ذا الذنب ومن لا ذنب له

وقد جعلت العرب خلف الوعد كاذبا قال الشاعر أنشده أبو عبيدة معمر بن المثنى

اتوعدني وراء بني رباح . كذبت لتقصرن يداك دوني

فان قالوا اخصوا وعيد الشرك بالموازنة قلنا لا يجوز لان الله تعالى منع من ذلك قال تعالى . ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم . فمن حبط عمله فلا خير له

(قال ابو محمد) وأهل النار متفاضلون في عذاب النار فاقلهم عذابا ابو طالب فانه توضع جمرتان من نار في اخمصيه الى ان يبلغ الامر الى قوله تعالى . ادخلوا آل فرعون أشد العذاب . وقوله تعالى . ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار . ولا يكون الاشد الا الى جنب الادون وقال تعالى . ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر .

(قال ابو محمد) والكفار معذبون على المعاصي التى عملوا من غير الكفر برهان ذلك قول الله سبحانه وتعالى . ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى اتانا اليقين . فنص تعالى على ان الكفار يعذبون على ترك الصلاة وعلى ترك الطعام للمسكين

(قال أبو محمد) وأما من عمل منهم العتق والصدقة اونحو ذلك من اعمال البر فحابط كل ذلك لان الله عز وجل قال انه من مات وهو كافر حبط عمله لكن لا يعذب الله احدا الا على ما عمل لا على ما لم يعمل قال الله تعالى . هل تجزون الا ما كنتم تعملون . فلما كان من لا يطعم المسكين من الكفار يعذب على ذلك عذابا زائدا فالذى اطعم المسكين مع كفره لا

لعوارض كالمرور يستمر العسل لعارض واعلم ان واجب الوجود ليس يجوز ان يعقل الاشياء من الاشياء والا فذاته اما متقومة بما يعقل او عارض لها ان يعقل وذلك محال بل كما انه مبدء كل وجود فيعقل من ذاته ما هو مبدء له وهو مبدء للموجودات التامة باعيانها والموجودات الكائنة الفاسدة بانواعها أولا وبتوسط ذلك أشخاصها ولا يجوز ان يكون عاقلا لهذه المتغيرات مع تغيرها حتى يكون تارة يعقل منها انها موجودة غير معدومة وتارة لأى معدومة غير موجودة ولكل واحد من الامرين صورة عقلية على حدة لا واحد من الصورتين يبقى مع الثانية فيكون واجب الوجود متغير الذات بل واجب الوجود انما يعقل كل شيء على نحو كلي ومع ذلك فلا يعذب عنه شيء شخصي فلا يعذب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وأما كيفية ذلك فلانه اذا عقل ذاته وعقل انه مبدء كل موجود عقل أوائل الموجودات وما يتولد عنها ولا شيء من الاشياء يوجد الا وقد صار من جهة ما يكون واجبا بسببه فتكون الاسباب بمصادماتها تأدى الى أن يوجد عنها الامور الجزئية فالاول يعلم الاسباب ومطابقاتها فيعلم ضرورة ما تأدى اليه ومابينها من الازمنة ومالها من العودات فتكون مدركا للامور الجزئية من حيث هي كلية أعني من حيث لها صفات وان تخصصت بها شخصا فبالاضافة الى زمان متشخص او حال متشخصة ويعقل ذاته ونظام الخير الموجود في الكل ونفس مدركة من الكل هو سبب لوجود الكل ومبدأته وأبداع وايجاد ولا يستبعد هذا فان الصورة المعقولة التى تحدث فينا تصير سببا الصورة الموجودة الصناعية ولو كانت نفس وجودها كافية لان يتكون منها الصورة الصناعية دون آلات وأسباب لكان المعقول عندنا هو بعينه الارادة والقدرة وهو العقل المقتضى لوجوده فواجب الوجود ليس ارادته وقدرته مغايرة لعلمه لكن القدرة التي له هي كون ذاته عاقلة للكل عقلا هو مبدأ الكل

لاماخوذ عن الكل ومبدأ بذاته لامتوقفا على غرض وذلك هو ارادته وجواد بذاته وذلك هو بعينه قدرته وارادته وعلمه فالصفات منها ماهو بهذه الصفة انه موجود مع هذه الاضافة ومنها هذا الوجود مع سلب كمن لم يتحاش عن اطلاق لفظ الجوهر لم يعن به الا هذا الوجود مع سلب الكون فى موضوع وهو واحد أى مسلوب عنه القسمة بالكم أو القول والمسلوب عنه الشريك وهو عقل وعاقل (٤٦) ومعقول أى مسلوب عنه جواز مخالطة المادة وعلايقها مع اعتبار اضافة ماوهو أول أى مسلوب عنه الحدوث مع اضافة وجوده الى الكل وهو مريد أى واجب الوجود مع عقليته أى سلب المادة عنه مبدأ لنظام الخير كله وجواد أى هو بهذه الصفة بزيادة سلب أى لاينحوا غرضا لذاته فصفاته أما اضافية محضة واما مؤلفة من اضافة وسلب وأما سلبية محضة وذلك لايوجب تكثرا في ذاته قال واذا عرفت انه واجب الوجود وانه مبدأ لكل موجود فما يجوز أن يوجد عنه يجب أن يوجد وذلك لان الجائز ان يوجد وان لا يوجد اذا تخصص بالوجود احتياج الى مرجح لجانب الوجود والمرجح اذا كان على الحال الذى كان قبل الترجيح ولم يعرض البتة شيء فيه ولا مباين عنه يقتضى الترجيح فى هذا الوقت دون وقت قبله أو بعده وكان الامر على ماكان لم يكن مرجحا اذا كان التعطل عن الفعل والفعل عنده بمثابة واحدة فلا بد وان يعرض له شيء وذلك لايخلوا ما ان يعرض فى ذاته وذلك يوجب التغير وقد قدمنا أن واجب الوجود لايتغير ولا يتكثر وأما ان يعرض مباينا عن ذاته والكلام فى ذلك المباين كالكلام فى سائر الافعال قال والعقل الصريح الذى لم يكذب يشهد ان الذات الواحدة اذا كانت من جميع جهاتها واحدة وهى كما كانت وكان لايوجد عنها شيء فيما قبل وهى الآن كذلك فالآن لايوجد عنها شيء فاذا صار الان يوجد منها شيء فقد حدث أمر لامحالة من قصد أو ارادة أو طبع أو قدرة او تمكن

يعذب ذلك العذاب الزائد فهو أقل عذابا لانه لم يعمل من الشر ماعمل من هو أشد عذابا لانه عمل خيرا

(قال ابو محمد) وكل كافر عمل خيرا وشرا ثم اسلم فان كل ما عمل من خير مكتوب مجازى به فى الجنة وأما ما عمل من شر فان تاب عنه مع توبته من الكفر سقط عنه وان تمادي عليه أخذ بما عمل فى كفره وبما عمل في اسلامه برهان ذلك حديث حكيم بن حزام عن رسول الله صلي الله عليه وسلم انه قال يارسول الله اشياء كنت اتحنث بها فى الجاهلية من عتق وصدقة وصلة رحم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلمت على ماسلف لك من خير فاخبر انه خير وانه له اذا اسلم وقالت له عائشة رضي الله عنها يارسول الله ارأيت ابن جدعان فانه كان يصل الرحم ويقرى الضيف أينفع ذلك قال لا لانه لم يقل يوما . رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين. فاخبر عليه السلام انه لم ينتفع بذلك لانه لم يسلم فاتفقت الاخبار كلها علي انه لو اسلم لنفعه ذلك واما مؤاخذته بما عمل فحديث ابن مسعود رضى الله عنه بنص ما قلنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قلناه فان اعترض معترض بقول الله تعالى * لئن اشركت ليحبطن عملك . قلنا انما هذا لمن مات مشركا فقط برهان ذلك ان الله تعالى قال لئن اشركت ليحبطن عملك * ومن أسلم فليس من الخاسرين وقد بين ذلك بقوله * ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت أعمالهم * وان اعترضوا فيما قلنا من المؤاخذة بما عمل فى الكفر بقوله تعالي . قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ماقد سلف. قلنا لهم هذا حجة لنا لان من انتهى عن الكفر غفر له وان انتهى عن الزنا غفر له وان لم ينته عن الزنا لم يغفر له فانما يغفر له ما انتهى عنه ولم يغفر له مالم ينته عنه ولم يقل تعالى ان ينتهوا عن الكفر يغفر لهم سائر ذنوبهم والزيادة على الاية كذب على الله تعالى وهى اعمال متغايرة كما ترى ليست التوبة عن بعضها توبة عن سائرها فلكل واحد منها حكم فان ذكروا حديث عمرو بن العاص عن النبى صلى الله عليه وسلم الاسلام يجب ماقبله فقد قلنا ان الاسلام اسم لجميع الطاعات فمن اصر على المعصية فليس فعله فى المعصية التى يتمادى عليها اسلاما ولا ايمانا كما قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لايزني الزانى حين يزني وهو مؤمن فصح ان الاسلام والايمان هو جميع الطاعات فاذا أسلم من الكفر وتاب من جميع معاصيه فهو الاسلام الذى يجب ماقبله واذا لم يتب من معاصيه فلم يحسن فى الاسلام فهو ماخوذ بالاول والآخر كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وبهذا تتفق الاحاديث وكذلك قوله عليه السلام والهجرة تجب ما قبلها فقد صح عنه عليه السلام ان المهاجر من هجر مانهاه الله عنه فمن تاب من جميع المعاصى التى سلفت منه فقد هجر مانهاه الله عنه فهذه هى الهجرة التى تجب ماقبلها واما قوله عليه السلام والحج يجب ماقبله فقد جاء ان العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا

الجنة

او غرض ولان الممكن أن يوجد وان لا يوجد لا يخرج الى الفعل ولا يترجح له ان يوجد الا بسبب واذا كانت هذه الذات موجودة ولا ترجح ولا يجب عنها الترجيح ثم رجح فلابد من حادث موجب للترجيح فى هذه الذات والا كانت نسبتها الى ذلك الممكن على ما كان قبل ولم تحدث لها نسبة اخرى فيكون الامر بحاله ويكون المكان امكانا صرفا بحاله واذا حدثت لها نسبة فقد حدث أمر ولابد من أن يحدث فى ذاته أو مباين عن ذاته وقد (٤٧) بينا استحالة ذلك وبالجملة فانا نطلب النسبة الموقعة لوجود كل حادث في ذاته أو مباين عن ذاته ولا نسبة اصلا فيلزم ان لا يحدث شيء أصلا وقد حدث فيعلم انه انما حدث بايجاب من ذاته وانه يسبقه لا بزمان ووقت ولا تقدير زمان بل سبقا ذاتيا من حيث أنه هو الواجب لذاته وكل ممكن بذاته فهو محتاج الى الواجب لذاته فالممكن مسبوق بالواجب فقط والمبدع مسبوق بالمبدع فقط لا بالزمان ❊

المسئلة الثامنة فى ان الواحد لا يصدر عنه الا واحد وفى ترتيب وجود العقول والنفوس والأجرام العلوية وان المحرك القريب للسمويات نفس والمبدأ الابعد عقل وحال تكون الاستقصات عن العلل اذا صح ان واجب الوجود بذاته واحد من جميع جهاته فلا يجوز ان يصدر عنه الا واحد ولو لزم عنه شيئان متباينان بالذات والحقيقة لزوما معا فانما يلزمان عن جهتين مختلفتين في ذاته ولو كانت الجهتان لازمتين لذاته فالسؤال فى لزومهما ثابت حتى يكونا من ذاته فيكون ذاتها منقسما بالمعنى وقد منعناه وبينا فساده فتبين أن أول الموجودات عن الاول واحد بالعدد وذاته وماهيته واحدة لا فى مادة وقد بينا ان كل ذات لا فى مادة فهو عقل وانت تعلم ان فى الموجودات اجساما وكل جسم ممكن الوجود فى حيز نفسه وانه يجب بغيره وعلمت انه لا سبيل الى أن يكون عن الاول بغير واسطة وعلمت ان الواسطة واحدة فبالحرى أن يكون عنها المبدعات الثانية والثالثة

الجنة فهذا على الموازنة التى ربنا عز وجل عالم بمراتبها ومقاديرها وانما نقف حيث وقفنا الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) واستدركنا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قاتل نفسه حرم عليه الجنة واوجب له النار مع قوله من قال لا اله الا الله مخلصا من قلبه حرم عليه النار واوجب له الجنه

(قال ابو محمد) قال الله تعالى ❊ وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى ❊ فصح ان كلامه صلى الله عليه وسلم كله وحى من عند الله تعالى وقال عز وجل ❊ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ❊ فصح ان ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن عند الله تعالى وانه لا اختلاف فى شيء منه وانه كله متفق عليه فاذ ذلك كذلك فواجب ضم هذه الاخبار بعضها الى بعض فيلوح الحق حينئذ بحول الله وقوته فمعنى قوله صلى الله عليه وسلم فى القاتل حرم الله عليه الجنة وأوجب له النار مبنى على الموازنة فان رجحت كبيرة قتله نفسه على حسناته حرم الله عليه الجنة حتى يقتص منه بالنار التى اوجبها الله تعالى جزاء على فعله وبرهان هذا الحديث الذي اسلم وهاجر مع عمرو بن الحممة الدوسى ثم قتل نفسه لجراح جرح به فتألم به فقطع عروق يده فنزف حتى مات فرآه بعض اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فى حال حسنه الا يده وذكر انه قيل له لن يصلح منك ما افسدت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم وليديه فاغفر ومعنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله مخلصا من قلبه حرم الله عليه النار واوجب له الجنة فهذا لا يختلف فيه مسلمان انه ليس على ظاهره منفردا لكن يضمه الى غيره من الايمان لمحمد صلى الله عليه وسلم والبراءة من كل دين حاشا دين الاسلام ومعناه حينئذ ان الله عز وجل اوجب له الجنة ولابد اما بعد الاقتصاص واما دون الاقتصاص على ما توجبه الموازنة وحرم الله عليه ان يخلد فيها ويكون من اهلها القاطنين فيها على ما بينا قبل من قوله تعالى ❊ لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى ومن يعمل سوءا يجز به وما كان الله ليضيع ايمانكم وما تفعلوا من خير فلن تكفروه ❊ وقوله تعالى ❊ يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ❊ نص الاية انها فى الكفار هكذا فى نص الاية

(قال ابو محمد) وأما الكفارة فان الله تعالى قال ❊ ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم وندخلكم مدخلا كريما ❊

(قال ابو محمد) ومن المحال ان يحرم الله تعالى علينا امرا ويفرق بين احكامه ويجعل بعضه مغفورا باجتناب بعض ومؤاخذا به ان لم يجتنب البعض الآخر ثم لا يبين لنا المهلكات من غيرها فنظرنا فى ذلك فوجدنا قوما يقولون ان كل ذنب فهو كبيرة

(قال أبو محمد) وهذا خطأ لان نص القرآن مفرق كما قلنا بين الكبائر وغيرها وبالضرورة

وغيرها بسبب الثنينية فيها ضرورة فالمعلول الاول ممكن الوجود بذاته وواجب الوجود بالاول ووجوب وجوده بانه عقل وهو يعقل ذاته ويعقل الاول ضرورة وليست هذه الكثرة له من الاول فان امكان وجوده له بذاته لا بسبب الاول بل له من الاول وجوب وجوده ثم كثرة انه يعقل الاول ويعقل ذاته كثرة لازمة لوجوب وجوده عن الاول وهذه كثرة ضافية ليست فى أول وجوده وداخلة (٤٨) فى مبدأ قوامه ولولا هذه الكثرة لكان لايمكن أن يوجد منها الا واحدة ولكان يتسلسل الوجود من وحدات فقط فما كان يوجد جسم فالعقل الاول يلزم عنه بما يعقل الاول وجود عقل تحته وبما يعقل ذاته وجود صورة الفلك وكماله وهى النفس وطبيعة امكان الوجود الخاصية له المندرجة فيما عقله لذاته وجود جرمية الفلك الاعلى المندرجة فى جملة ذات الفلك الاعلى بنوعه وهو الامر المشارك للقوة فبما يعقل الاول يلزم عنه عقل وبما يختص بذاته على جهتيه الكثرة الاولى بجزئيها أعنى المادة والصورة والمادة بتوسط الصورة أو بمشاركتها كما ان امكان الوجود يخرج الى الفعل بالفعل الذى يحاذى صورة الفلك وكذلك الحال فى عقل عقل وفلك فلك الى أن ينتهى الى العقل الفعال الذى يدبر أنفسنا وليس يجب أن يذهب هذا المعنى الى غير النهاية حتى يكون تحت كل مفارق مفارق فانه ان لزم كثرة عن العقول فبسبب المعانى التى فيها من الكثرة وقولنا هذا ليس ينعكس حتى يكون كل عقل فيه هذه الكثرة فلزم كثرته هذه المعلولات ولا هذه العقول متفقة الانواع حتى يكون مقتضى معانيها متفقا ومن المعلوم ان الافلاك كثيرة فوق العدد الذى فى المعلول الاول فليس يجوز أن يكون مبدؤها واحدا هو المعلول الاول ولا أيضا يجوز أن يكون كل جرم متقدم منها علة للمتأخر لان الجرم بما هو جرم مركب من مادة وصورة فلو كان علة لجرم لكان بمشاركة المادة والمادة لها

ندرى انه لايقال كبيرة الا بالاضافة الى ماهو أصغر منها والكبائر ايضا تتفاضل فالشرك اكبر مما دونه والقتل اكبر من غيره وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انهما لايعذبان وما يعذبان فى كبير وانه لكبير اما احدهما فكان لايستبرىء من بوله واما الآخر فكان يمشى بالنميمة فاخبر عليه السلام انهما كبير وما هما بكبير وهذا بين لانهما كبيران بالاضافة الى الصغائر المغفورة باجتناب الكبائر وليسا بكبيرين بالاضافة الى الكفر والقتل

(قال ابو محمد) فبطل القول المذكور فنظرنا فى ذلك فوجدنا معرفة الكبير من الذنوب مما ليس بكبير منها لايعلم البتة الا بنص وارد فيها اذ هذا من احكام الله تعالى التى لاتعرف الا من عنده تعالى فبحثنا عن ذلك فوجدنا الله تعالى قد نص بالوعيد على ذنوب فى القرآن وعلى لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجدنا ذنوبا أخر لم ينص عليها بوعيد فعلمنا يقينا ان كل ماتوعد الله تعالى عليه بالنار اوتوعد عليه رسوله صلى الله عليه وسلم بالنار فهو كبير وكل مانص عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم باستعظامه فهو كبير كقوله عليه السلام اتقوا السبع الموبقات الشرك والسحر والقتل والزنا وذكر الحديث وكقوله عليه السلام عقوق الوالدين من الكبائر وكل مالم يات نص باستعظامه ولاجاء فيه وعيد بالنار فليس بكبير ولا يمكن ان يكون الوعيد بالنار على الصغائر على انفرادها لانها مغفورة باجتناب الكبائر فصح ماقلناه وبالله تعالى التوفيق

الموافاة

(قال أبو محمد) اختلف المتكلمون فى معنى عبروا عنه بلفظ الموافاة وهم انهم قالوا فى انسان مؤمن صالح مجتهد فى العبادة ثم مات مرتدا كافرا وآخر كافر متمرد أو فاسق ثم مات مسلما تائبا كيف كان حكم كل واحد منهما قبل ان ينتقل الى ما مات عليه عند الله تعالى فذهب هشام ابن عمرو الفوطى وجميع الاشعرية الى ان الله عز وجل لم يزل راضيا عن الذى مات مسلما تائبا ولم يزل ساخطا على الذى مات كافرا او فاسقا واحتجوا فى ذلك بان الله عز وجل لايتغير علمه ولا يرضى ما سخط ولا يسخط مارضى وقالت الاشعرية الرضا من الله عز وجل لايتغير منه تعالى صفات الذات لايزولان ولايتغيران ( ) وذهب سائر المسلمين الى ان الله عز وجل كان ساخطا على الكافر والفاسق ثم رضى الله عنهما اذا أسلم الكافر وتاب الفاسق وانه كان تعالى راضيا عن المسلم وعن الصالح ثم سخط عليهما اذا كفر المسلم وفسق الصالح

(قال ابو محمد) احتجاج الاشعرية هاهنا هو احتجاج اليهود فى ابطال النسخ ولا فرق ونحن نبين بطلان احتجاجهم وبطلان قولهم وبالله تعالى التوفيق فنقول وبالله عز وجل تتايد اما قولهم عن علم الله عز وجل لايتغير فصحيح ولكن معلوماته تتغير ولم نقل ان علمه يتغير ومعاذ الله من هذا ولم يزل علمه تعالى واحدا يعلم كل شىء على تصرفه فى جميع حالاته فلم

يزل

طبيعة عدمية والعدم ليس مبدأ للوجود فلا يجوز أن يكون جرم مبدأ للوجود فلا يجوز أن يكون جرم مبدأ الجرم ولا يجوز أن يكون مبدؤها قوة نفسانية هى صورة الجرم وكماله اذ كل نفس لكل فلك فهو كماله وصورته ليس جوهرا مفارقا والا كان عقلا وأنفس الأفلاك انما يصدر عنها أفعالها في أجسام اخرى بواسطة اجسامها في مشاركتها وقد بينا ان الجسم من حيث هو جسم لا يكون مبدا الجسم ولا يكون مطتوسطا بين نفس ونفس ولو أن نفسا مبدأ (٤٩) النفس بغير توسط الجسم فلها انفراد قوام من دون الجسم ولسيت النفس الفلكية كذلك فلا تفعل شيئا ولا تفعل جسما فان النفس متقدمة على الجسم فى المرتبة والكمال فتعين الافلاك مبادى غير جرمانية وغير صور للاجرام والجميع يشترك فى مبدأ واحد وهو الذى نسميه المعلول الاول والعقل المجرد ويختص كل فلك بمبدأ خاص فيه فيلزم دائما عقل عن عقل حتى يتكون الافلاك باجرامها ونفوسها وعقولها وينتهي بالفلك الاخير ويقف حيث يمكن أن تحدث الجواهر العقلية منقسمة متكثرة بالعدد تكثر الاسباب فكل عقل هو أعلى فى المرتبة فانه بمعنى فيه وهو انه بما يعقل الاول يجب عنه وجود عقل آخر دونه وبما يعقل ذاته يجب عنه فلك بنفسه فاما جرم الفلك فمن حيث انه يعقل بذاته الممكن لذاته وانما نفس الفلك فمن حيث انه يعقل ذاته الواجب بغيره ويستبقي الجرم بتوسط النفس الفلكية فان كل صورة هى علة لكون مادتها بالفعل والمادة بنفسها لا قوام لها كما أن الامكان نفسه لا وجود له واذا استوفت الكرات السموية عددها لزم بعدها وجود الاستقصات ولما كانت الاجرام الاستقصية كائنة فاسدة وجب أن تكون مباديها متغيرة فلا يكون ما هو عقل محض وحده سببا لوجودها ولما كانت لها مادة مشتركة وصور مختلفة فيها وجب أن يكون اختلاف صورها مما تعين فيه اختلاف فى أحول الافلاك وأبقا

يزل يعلم أن زيدا سيكون صغيرا ثم شابا ثم كهلا ثم شيخا ثم ميتا ثم مبعوثا ثم فى الجنة أو فى النار ولم يزل يعلم أنه سيؤمن ثم يكفر أو أنه يكفر ثم يؤمن أو أنه يكفر ولا يؤمن أو انه يؤمن ولا يكفر وكذلك القول فى الفسق والصلاح ومعلوماته تعالى فى ذلك متغيرة مختلفة ومن كابر هذا فقد كابر العيان والمشاهدات وأما قولهم أن الله تعالى لا يسخط ما رضى ولا يرضي ما سخط فباطل وكذب بل قد أمر الله تعالى اليهود بصيانة السبت وتحريم الشحوم ورضي لهم ذلك وسخط منهم خلافه وكذلك أحل لنا الخمر ولم يلزمنا الصلاة ولا الصوم برهة من زمن الاسلام ورضى لنا شرب الخمر واكل رمضان والبقاء بلا صلاة وسخط تعالى بلا شك المبادرة بتحريم ذلك كما قال تعالي * ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه ثم فرض علينا الصلاة والصوم وحرم علينا الخمر فسخط لنا ترك الصلاة واكل رمضان وشرب الخمر ورضى لنا خلاف ذلك وهذا لا ينكره مسلم ولم يزل الله تعالى عليما انه سيحل ما كان احل من ذلك مدة كذا وانه سيرضي منه ثم انه سيحرمه ويسخطه وانه سيحرم ما حرم من ذلك ويسخطه مدة ثم انه يحله ويرضاه كما علم عز وجل انه سيحيي من احياه مدة كذا وانه يعز من اعزه مدة ثم يذله وهكذا جميع ما فى العالم من آثار صنعته عز وجل لا يخفى ذلك على من له ادني حس وهكذا المؤمن يموت مرتدا والكافر يموت مسلما فان الله تعالي لم يزل يعلم انه سيسخطه فعل الكافر مادام كافرا ثم انه يرضى عنه اذا اسلم وان الله تعالى لم يزل يعلم انه يرضى عن افعال المسلم وافعال البر ثم انه يسخط افعاله اذا ارتد اوفسق ونص القرآن يشهد بذلك قال تعالى * ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم * فصح يقينا ان الله تعالى يرضى الشكر ممن شكره فيما شكره ولا يرضي الكفر ممن كفر اذا كفر متى كفر كيف كان انتقال هذه الاحوال من الانسان الواحد وقوله تعالى * ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم * فبالضرورة يدرى كل ذى حسن سليم ان لا يمكن ان يحبط عمل الا وقد كان غير حابط ومن المحال ان يحبط عمل لم يكن محسوبا قط فصح ان عمل المؤمن الذى ارتد ثم مات كافرا انه كان محسوبا ثم حبط اذا ارتد وكذلك قال الله تعالى * يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب * فصح انه لا يمحو الا ما كان قد كتبه ومن المحال ان يمحى ما لم يكن مكتوبا وهذا بطلان قولهم يقينا ولله الحمد وكذلك نص قوله تعالى * أولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات فهذا نص قولنا وبطلان قولهم لان الله تعالى سمى افعالهم الماضية سيئات والسيئات مذمومة عنده تعالى بلا شك ثم اخبر تعالى انه احالها وبدلها حسنات مرضية فمن انكر هذا فهو مكذب لله تعالى والله تعالى مكذب له وكذلك قال الله تعالى انه سخط اكل آدم من الشجرة وذهاب يونس مغاضبا ثم اخبر عز وجل انه تاب عليهما واجتبى يونس بعد ان لامه ولا يشك كل ذى عقل ان اللائمة غير الاجتباء

ومادتها مما تعين فيه اتفاق فى أحوال الافلاك فالافلاك لما اتفقت فى طبيعة اقتضى الحركة المستديرة كانتين كان مقتضاها وجود المادة ولما اختلفت فى أنواع الحركات كان مقتضاها تهيء المادة للصور المختلفة ثم العقول المفارقة بل آخرها الذى يلينا هو الذي يفيض عنه بمشاركة الحركات السموية شيء فيه رسم صور العالم الاسفل من جهة الانفعال كما ان فى ذلك العقل ارتسم الصور على جهة الفعل (٥٠) ثم يفيض منه الصور فيها بالتخصيص بمشاركة الاجرام السموية فيكون اذ خصص هذا الشيء تأثير من التأثيرات السموية بلا واسطة جسم عنصرى أو بواسطة تجعله على استعداد خاص به بعد العام الذى كان فى جوهره فاض عن هذا المفارق صورة خاصة وارتسمت فى تلك المادة وأنت تعلم أن الواحد لا يخصص الواحد من حيث كل واحد منهما واحد بامر دون أمر يكون له الا ان يكون هناك مخصصات مختلفة وهى معدات المادة والمعد هو الذي يحدث عنه فى المستعد أمر ما يصير مناسبته لشيء بعينه أولى من مناسبته لشيء بعينه أولى من مناسبته لشيء آخر ويكون هذا الاعداد مرجحا لوجود ما هو أولى منه من الاوائل الواهية للصور ولو كانت المادة على التهيء الاول تشابهت نسبتها الى الضدين فلا يجب أن تختص بصورة دون صورة قال والاشبه أن يقال ان المادة التى تحدث بالشركة يفيض اليها من الاجرام السموية أما عن أربعة أجرام أو عدة منحصرة فى أربع أو عن جرم واحد وله تكون نسب مختلفة انقساما من الاسباب

منحصرة في أربع فتحدث منها العناصر الاربع وانقسمت بالخفة والثقل فما هو الخفيف المطلق فيميله الى الفوق وما هو الثقيل المطلق فيميله الى الاسفل وما هو الخفيف والثقيل بالاضافة فبينهما وأما وجود المركبات من العناصر فبتوسط الحركات السموية وسنذكر أقسامها وتوابعها وأما وجود الانفس الانسانية التى تحدث مع حدوث الابدان ولا تفسد بفسادها

(قال ابو محمد) ثم نقول لهم اى الكافر كفر اذ كان كافرا قبل ان يؤمن وفى الفاسق فسق قبل ان يتوب وفى المؤمن ايمان قبل ان يرتدام لا فان قالوا لا كابروا واحالوا وان قالوا نعم قلنا لهم فهل يسخط الله الكفر والفسق او يرضى عنهما فان قالوا بل يسخطهما تركوا قولهم وان قالوا بل يرضى عن الكفر والفسق كفروا ونسالهم عن قتل وحشى حمزة رضي الله عنه ارضاء كان لله تعالى فان قالوا نعم كفروا وان قالوا بل ما كان الا اسخطا للنا ثم يؤاخذه الله تعالى به اذا اسلم فمن قولهم لا وهكذا فى كل حسنة وسيئة فظهر فساد قولهم وبالله تعالى التوفيق وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

﴿ الكلام فى من لم تبلغه الدعوة ومن تاب عن ذنب او كفر ثم رجع فيما تاب عنه ﴾

(قال ابو محمد) قال الله عز وجل * لانذركم به ومن بلغ * وقال تعالى * وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا * فنص تعالى ذلك على ان النذارة لا تلزم الا من بلغته لا من تبلغه وانه تعالى لا يعذب احدا حتى ياتيه رسول من عند الله عز وجل فصح بذلك ان من يبلغه الاسلام اصلا فانه لا عذاب عليه وهكذا جاء النص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يؤتى يوم القيامة بالشيخ الخرف والاصلح الاصم ومن كان فى الفترة والمجنون فيقول المجنون يارب أتاني الاسلام وانا لا أعقل ويقول الخرف والاصم والذى فى الفترة أشياء ذكرها فيوقد لهم نار ويقال لهم ادخلوها فمن دخلها وجدها بردا وسلاما وكذلك من لم يبلغه الباب من واجبات الدين فانه معذور لا ملامة عليه وقد كان جعفر بن ابى طالب واصحابه رضى الله عنهم بارض الحبشة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة والقرآن ينزل والشرائع تشرع فلا يبلغ الى جعفر واصحابه أصلا لانقطاع الطريق جملة من المدينة الى ارض الحبشة وبقوله كذلك ست سنين فما ضرهم ذلك في دينهم شيئا اذ عملوا بالمحرم وتركوا المفروض

(قال ابو محمد) ورأيت قوما يذهبون الى ان الشرائع لا تلزم من كان جاهلا بها ولا من لم تبلغه

(قال أبو محمد) وهذا باطل بل هي لازمه له لان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى الانس كلهم والى الجن كلهم والى كل من يولد اذ بلغ بعد الولادة

(قال ابو محمد) قال تعالى آمرا نبيه ان يقول * انى رسول الله اليكم جميعا * وهذا عموم لا يجوز ان يخص منه احدا وقال تعالى * أيحسب الانسان ان يترك سدى * فابطل سبحانه ان يكون احد سدى والسدى هو المهمل الذى لا يؤمر ولا ينهى فابطل عز وجل هذا الامر ولكنه معذور بجهله ومغيبه عن المعرفة فقط وان من بلغه ذكر النبى صلى الله عليه وسلم حيث ما كان من أقاصى الارض ففرض عليه البحث عنه فاذا بلغته عنه نذارته ففرض عليه التصديق به واتباعه وطلب الدين اللازم له والخروج عن وطنه لذلك والا فقد استحق الكفر والخلود في النار والعذاب بنص والقرآن وكل ما ذكرنا يبطل قول من قال من الخوارج ان فى حين بعث النبى

صلى

كثيرة مع وحدة النوع والمعلول الاول الواحد بالذات فيه معاني متكثرة بها تصدر عنه العقول والنفوس كما ذكرنا ولا يجوز ان تكون تلك المعاني متكثرة متفقة النوع والحقائق حتى يصدر عنها كثيرة متفقة النوع فانه يلزم أن تكون فيه مادة تشترك فيها صورة تخالف وتتكثر بل فيه معاني مختلفة الحقائق يقتضى كل معنى شيئا غير ما يقتضيه الآخر فى النوع فلم يلزم كل واحد منهما ما يلزم الآخر فالنفوس الارضية كائنة عن المعلول (٥١) الاول بتوسط علة أو علل اخري وأسباب من الامزجة والمواد وهى غاية ما ينتهى اليها الابداع ونبتدئ القول في الحركات واسبابها ولوازمها اعلم ان الحركة لا تكون طبيعية للجسم والجسم علي حالته الطبيعية وكل حالة بالطبع فالحالة مفارقة للطبع غير طبيعية اذ لو كان شيء من الحركات مقتضى طبيعة الشيء لما كان باطل الذات مع بقاء الطبيعة بل الحركة انما يقتضيها الطبيعة لوجود حال غير طبيعته أما فى الكيف وأما فى الكم واما فى المكان وأما فى الوضع وأما مقولة اخرى والعلة في تجدد حركة بعد حركة تجدد الحال الغير الطبيعية وتقدير البعد عن الغاية فاذا كان الامر كذلك لم يكن حركة مستديرة عن طبيعة والا كانت عن حال غير طبيعية اذا وصلت اليها سكنت ولم يجز أن يكون فيها بعينها قصد الى تلك الحالة الغير الطبيعية لان الطبيعية ليست تفعل باختيار بل علي سبيل تسخير وان كانت الطبيعية تحرك علي الاستدارة فهى تحرك لا محالة اما عن اين غير طبيعي او وضع غير طبيعي هربا طبيعيا عنه وكل هرب طبيعي عن شيء فمحال أن يكون هو بعينه قصدا طبيعيا اليه والحركة المستديرة ليست تهرب عن شيء الا وتقصده فليست اذاً طبيعية الا انها قد يكون بالطبع وان لم تكن قوة طبيعية كان شيئا بالطبع وانما تحرك بتوسط الميل الذى فيه ونقول ان الحركة معنى متجدد النسب وكل شطر منه مختص بنسبة وانه لا ثبات له ولا يجوز ان يكون عن معنى ثابت البتة وحده ولو كان فيجب أن يلحقه ضرب من مثل

صلى الله عليه وسلم يلزم من فى اقاصى الارض الايمان به ومعرفة شرائعه فان ماتوا فى ذلك الحال ماتوا كفارا الى النار ويبطل هذا قول الله عز وجل * لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت * وليس فى وسع احد علم الغيب فان قالوا فهذه حجة الطائفة القائلة انه لا يلزم احدا شيء من الشرائع حتى تبلغه قلنا لا حجة لهم فيها لان كل ما كلف الناس فهو فى وسعهم واحتمال بنيتهم الا أنهم معذورون بمغيب ذلك عنهم ولم يكلفوا ذلك تكليفا يعذبون به ان لم يفعلوه وانما كلفوه تكليف من لا يعذبون حتى يبلغهم ومن بلغه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان له امرا من الحكم مجملا ولم يبلغه نصه ففرض عليه اجتهاد نفسه فى طلب ذلك الامر والا فهو عاص لله عز وجل قال الله تعالى * فسالوا أهل الذكر ان كنتم تعلمون * وبقوله تعالى * فلولا نفر من كل فرقه منهم طائفه ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون * واما من تاب عن ذنب او كفر ثم رجع الى ما تاب عنه فانه ان كان توبته تلك وهو معتقد للعودة فهو عابث مستهزيء مخادع لله تعالى قال الله تعالى * يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا انفسهم * الى قوله * عذاب اليم بما كانوا يكذبون * واما من كانت توبته نصوحا ثابت العزيمة فى ان لا يعود فهى توبة صحيحة مقبولة بلا شك مسقطة لكل ما تاب عنه بالنص قال عز وجل * وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا * فان عاد بعد ذلك الى الذنب الذي تاب منه فلا يعود عليه ذنب قد غفره الله ابدا فان ارتد ومات كافرا فقد سقط عمله والتوبة عمل فقد حبطت فهذا يعود عليه ما عمل خاصة واما من راجع الاسلام ومات عليه فقد سقط عنه الكفر وغيره (قال ابو محمد) ولا تكون التوبة الا بالندم والاستغفار وترك المعاودة والعزيمة علي ذلك والخروج من مظلمة ان تاب عنها الى صاحبها بتحلل او انصاف ورايت لابى بكر احمد بن علي بن يفجور المعروف بابن الاخشيد وهو أحد أركان المعتزلة وكان أبوه من أبناء ملوك فرغانة من الاتراك وولي ابوه الثغور وكان هذا ابو بكر ابنه يتفقه للشافعى فرأيت له فى بعض كتبه يقول ان التوبة هى الندم فقط وان لم ينو مع ذلك ترك المراجعة لتلك الكبيرة (قال ابو محمد) هذا اشنع ما يكون من قول المراجعة لان كل معتقد للاسلام فبلا شك ندرى انه نادم علي كل ذنب يعمله طالما انه مسيء فيه مستغفر منه ومن كان بخلاف هذه الصفة وكان مستحسنا لما فعل غير نادم عليه فليس مسلما فكل صاحب كبيرة فهو علي قول ابن الاخشيد غير مؤاخذ بها لانه تائب منها وهذا خلاف الوعيد فان قال قائل فانكم تقطعون علي قبول ايمان المؤمن أفتقطعون علي قبول توبة التائب وعمل العامل للخيرات كل ذلك مقبول وهل تقطعون علي المكثر من السيئات انه في النار قلنا وبالله تعالى التوفيق ان الاعمال لها شروط من توفية النية حقها وتوفية العمل حقه فلو ايقنا ان العمل وقع كاملا كما امر الله

من تبدل الاحوال والثابت من جهة ماهو ثابت لايكون عنه الأثابت فان الارادة العقلية الواحدة لايوجب البتة حركة فانها مجردة عن جميع أصناف التغير والقوة العقلية حاصرة المعقول دائما ولايفرض فيها الانتقال من معقول الى معقول الا مشاركا الى التخيل والحس فلابد للحركة من مبدء قريب والحركة المستديرة مبدؤها القريب نفس فى الفلك يتجدد تصوراتها وارادتها وهى كمال جسم (٥٢) الفلك وصورته ولو كانت قائمة بنفسها من كل وجه لكانت عقلا محضا لايتغير ولا ينتقل ولا يخالط ما بالقوة بل نسبتها الى الفلك نسبة النفس الحيوانية التى لنا الينا الا أن لها ان تعقل بوجه ما تعقلا مشوبا بالمادة وبالجملة أوهامها أو مايشابه الاوهام صادقة وتخيلاتها حقيقة كالعقل العلمى فينا والمحرك الاول لها غير مادية أصلا وانما تحركت عن قوة غير متناهية والقوة التى للنفس متناهية لكنها بما يعقل الاول فيسبح عليه نوره دائما صارت قوتها غير متناهية وكانت الحركات المستديرة أيضا غير متناهية والاجرام السموية لما لم يبق فى جواهرها أمر ما بالقوة أعنى فى كمها وكيفها تركب صورتها فى مادتها على وجه ولا يقبل التحليل ولكن عرض لها فى وضعها واينها اما بالقوة اذ ليس شيء من أجزاء مدار الفلك أو كوكب أولى بان يكون ملاقيا له أو لجزئه من جزء آخر فمتى كان فى جزء الفعل فهو فى جزء آخر بالقوة والتشبه بالحيز الاقصى يوجب البقاء على أكمل كمال ولم يكن هذا ممكنا للجرم السماوى بالعدد فحفظ بالنوع والتعاقب فصارت الحركة حافظة لما يكون من هذا الكمال ومبدؤها الشوق الى التشبه بالخير الاقصى فى البقاء على الكمال ومبدء الشوق هو ما يعقل منه فنفس الشوق الى التشبه بالاول من حيث هو بالفعل تصدر عنه الحركة الفلكية صدور الشيء عن التصور الموجب له وان كان غير مقصود فهو ذاته بالقصد الاول لان ذلك تصور لما بالفعل فيحدث

تعالى لقطعنا قبول الله عز وجل له وأما التوبة فاذا وفت نصوحا فنحن نقطع بقبولها وأما القطع على مظهر الخير بانه في الجنة وعلى مظهر الشر والمعاصى بانه فى النار فهذا خطا لانا لا نعلم مافى النفوس ولعل المظهر للخير مبطن للكفر او مبطن على كبائر لا نعلمها فواجب ان لا نقطع من أجل ذلك عليه بشيء وكذلك المعلن بالكبائر فانه يمكن ان يبطن الكفر فى باطن أمره فاذا قرب من الموت آمن فاستحق الجنة او لعل له حسنات فى باطن امره تفىء على سيئاته فيكون من أهل الجنة فلهذا وجب ان لا نقطع على احد بعينه بجنة ولا نار حاشا من جاء النص فيه من الصحابة رضى الله عنهم بانهم فى الجنة وبان الله علم مافى قلوبهم فانزل السكينة عليهم واهل بدر واهل السوابق فانا نقطع على هؤلاء بالجنة لان الله تعالى اخبرنا بذلك على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وحاشا من مات معلنا الكفر فانا نقطع عليه بالنار ونقف فيمن عدا هؤلاء الا اننا نقطع على الصفات فنقول من مات معلنا للكفر او مبطنا له فهو فى النار خالدا فيها ومن لقى الله تعالى راجح الحسنات على السيئات والكبائر او متساويهما فهو فى الجنة لا يعذب بالنار ومن لقى الله تعالى راجح الكبائر على الحسنات ففى النار ويخرج منها بالشفاعة الى الجنة وبالله تعالى التوفيق

(قال أبو محمد) ورأيت بعض أصحابنا يذهب الى شيء يسميه شاهد الحال وهو ان من كان مظهر الشيء من الديانات متحملا للاذى فيه غير مستجلب بما يلقى من ذلك حالا فانه مقطوع على باطنه وظاهره قطعا لا شك فيه كعمر بن عبد العزيز وسعيد بن المسيب والحسن البصرى وابن سيرين ومن جرى مجراهم ممن قبلهم او معهم او بعدهم فان هؤلاء رضي الله عنهم رفضوا من الدنيا مالو استعملوه لما حط من وجاهتهم شيا واحتملوا من المضض مالو خففوه عن انفسهم لم يقدح ذلك فيهم عند أحد فهؤلاء مقطوع على اسلامهم عند الله عز وجل وعلى خيرهم وفضلهم وكذلك نقطع على ان عمر بن عبيد كان يدين بابطال القدر بلا شك فى باطن امره وان ابا حنيفة والشافعى رضى الله عنهما كانا فى باطن امرهما يدينان الله تعالى بالقياس وان داود بن على كان في باطن الامر يدين الله تعالى بابطال القياس بلا شك وان احمد بن حنبل رضى الله عنه كان يدين الله تعالى بالتدين بالحديث فى باطن امره بلا شك وبان القرآن غير مخلوق بلا شك وهكذا كل من تناصرت احواله وظهر جده فى معتقد ما وترك المسامحة فيه واحتمل الاذى والمضض من أجله

(قال ابو محمد) وهذا قول صحيح لا شك فيه اذ لا يمكن البتة فى بنية الطبائع ان يحتمل احد اذى ومشقة لغير فائدة يتعجلها او يتاجلها وبالله تعالى التوفيق ولابد لكل ذى عقد من ان يتبين عليه شاهد عقده بما يبدو منه من مسامحة فيه اوصبر عليه واما من كان بغير هذه الصفة فلا نقطع عقده وبالله تعالى التوفيق

الكلام

عنه طلب لما بالفعل ولا يمكن لما بالشخص فيكون بالتعاقب ثم يتبع ذلك التصور تصورات جزئية على سبيل الانبعاث لا المقصود الاول وتتبع تلك التصورات الحركات المنتقل بها فى الاوضاع وهى كانها عبادة ملكية أو فلكية وليس من شرط الحركة الارادية أن تكون مقصودة في نفسها بل اذا كانت القوة الشوقية يشتاق نحو أمر يسنح منها تأثير تحرك الاعضاء فتارة يتحرك على النحو الذى به يوصل الى الغرض وتارة على نحو آخر متشابه واذا بلغ (٥٣) الالتذاذ ينتقل للمبدء الاول ربما يدرك منه على نحو عقلي أو نفساني شغل ذلك عن كل شيء ولكن ينبعث منه ماهو أدون منه فى المرتبة وهو الشوق الى الاشبه به بقدر الامكان فقد عرفت ان الفلك متحرك بطبعه ومتحرك بالنفس ومتحرك بقوة عقلية غير متناهية وتميز عندك كل حركة عن صاحبتها وعرفت أن المحرك الاول بجملة السماء واحد ولكل كرة من كرات السماء محرك قريب يخصه ومتشوق معشوق يخصه فاول المفارقات الخاصة محرك الكرة الاولى وهى على قول من تقدم بطلميوس كرة الثوابت وعلى قول بطلميوس كرة خارجة عنها محيطة بها غير مكوكبة وبعد ذلك محرك الكرة التى يلى الاولى ولكل واحد مبدأ خاص وللكل مبدأ فلذلك تشترك الافلاك فى دوام الحركة وفى الاستدارة ولا يجوز أن يكون شيء منها لاجل الكائنات السالفة لا قصد حركة ولا قصد جهة حركة ولا تقدير سرعة وتطويل ولا قصد فعل العلة لاجلها وذلك أن كل قصد فيجوز أن يكون أنقص وجودا من المقصود لان كل مالاجله شيء آخر فهو أتم وجودا من الاخر ولا يجوز أن يستفاد الوجود الاكمل من الشيء الاخس فلا يجوز أن يكون البتة الى معلول قصد صادق والا كان القصد معطيا ومفيد الوجود ماهو أكمل وانما يقصد بالواجب شيء يكون القصد مولاه ومفيد وجوده شيء آخر وكل قصد ليس عبثا فانه يفيد كمالا ما للقاصد لو لم يقصد لم يكن ذلك الكمال ومحال أن

الكلام فى الشفاعة والميزان والحوض وعذاب القبر والـ[illegible]

﴿قال أبو محمد﴾ اختلف الناس في الشفاعة فانكرها قوم وهم المعتزلة والخوارج وكل من تبع ان لا يخرج أحد من النار بعد دخوله فيها وذهب أهل السنة والاشعرية والكرامية وبعض الرافضة الى القول بالشفاعة واحتج المانعون بقول الله عز وجل * فما تنفعهم شفاعة الشافعين * وبقوله عز وجل * يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله * وبقوله تعالى * قل انى لا أملك لكم ضرا ولا رشدا * وبقوله تعالى * واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة * وبقوله تعالى * من قبل أن ياتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة * وبقوله تعالى * فما لنا من شافعين ولا صديق حميم * وبقوله تعالى * ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون *

*(قال أبو محمد قول من يؤمن بالشفاعة انه لا يجوز الاقتصار على بعض القرآن دون بعض ولا على بعض السنن دون بعض ولا على القرآن دون بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى قال له ربه عز وجل * لتبين للناس مانزل اليهم * وقد نص الله تعالى على صحة الشفاعة فى القرآن فقال تعالى * لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا * فاوجب عز وجل الشفاعة الا من اتخذ عنده عهدا بالشفاعة وصحت بذلك الاخبار المتواترة المتناصرة بنقل الكواف لما قال تعالي * يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضى له قولا * وقال تعالى * ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له * فنص تعالي على ان الشفاعة يوم القيامة تنفع عنده عز وجل ممن أذن له فيها ورضى قوله ولا احد من الناس اولى بذلك من محمد صلى الله عليه وسلم لانه أفضل ولد آدم عليه السلام وقال تعالى * من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا الا من بعد أن ياذن الله لمن يشاء ويرضى * وقال تعالى * ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون * وقال تعالى مامن شفيع الا من بعد اذنه * فقد صحت الشفاعة بنص القرآن الذى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فصح يقينا ان الشفاعة التى ابطلها الله عز وجل هى غير الشفاعة التى اثبتها عز وجل واذ لا شك فى ذلك فالشفاعة التى ابطل عز وجل هى الشفاعة للكفار الذين هم مخلدون فى النار قال تعالى لا يخفف عنهم من عذابها ولا يقضي عليهم فيموتوا نعوذ بالله منها فاذ لا شك فيه فقد صح يقينا أن الشفاعة التى أوجب الله عز وجل لمن اذن له واتخذ عنده عهدا ورضى قوله فانما هى لمذنبى أهل الاسلام وهكذا جاء الخبر الثابت

(قال أبو محمد) وهما شفاعتان احداهما الموقف وهو المقام المحمود الذى جاء النص فى القرآن به فى قوله * عسي أن يبعثك ربك مقاما محمودا * وهكذا جاء الخبر الثابت نصا

يكون المستكمل وجوده بالعلة يفيد العلة كمالا لم يكن فالعالي اذا لا يريد امر الاجل السافل وانما هو يريد لما هو اعلى منه وهو التشبيه بالاول بقدر الامكان ولا يجوز ان يكون الفرض تشبها بجسم من الاجسام السموية وان كان تشبه السافل بالعالي اذ لو كان كذلك لكانت الحركة من نوع حركة ذلك الجسم ولم يكن مخالفا له واسرع في كثير من المواضع ولا يجوز أن يكون الغرض شيئا يوصل اليه (٥٤) بالحركة بل شيئا مباينا غير جواهر الافلاك من موادها وانفسها وبقى ان يكون لكل واحد من الافلاك شوق تشبه بجوهر عقلى مفارق يخصه ويختلف الحركات وافعالها واحوالها اختلافها الذي لها لاجل ذلك وان كنا لا نعرف كيفيتها وكميتها وتكون العلة الاولى متشوق الجميع الاشتراك وهذا معنى قول القدماء ان للكل محركا واحدا معشوقا ولكل كرة محركا يخصها ومعشوقا يخصها فيكون اذا لكل فلك نفس محركة تعقل الخير لها وبسبب الجسم تخيل أى تصور الجزئيات وارادة لها ثم يلزمها حركات ما دونها لزوما بالقصد الاول حتى ينتهى الى حركة الفلك الذى يلينا ومديرها العقل الفعال ويلزم الحركات السموية حركات العناصر على مثال تناسب حركات الافلاك وتعد تلك الحركات موادها لقبول الفيض من العقل الفعال فيعطيها صورها على قدر استعداداتها كما قررنا فقد تبين لك أسباب الحركات ولوازمها وستعلم بواقيها في الطبيعيات * المسئلة التاسعة في العناية الازلية وبيان دخول الشر في القضاء قال العناية هى كون الاول عالما لذاته بما عليه الوجود في نظام الخير وعلته لذاته بالخير والكمال بحسب الامكان وراضيا به على النحو المذكور فيعقل نظام الخير على الوجه الابلغ في الامكان فيفيض منه ما يعقله نظاما وخيرا على الوجه الابلغ الذى يعقله فيضانا على أتم تأدية الى النظام بحسب الامكان فهذا هو معنى العناية والخير يدخل في القضاء الالهى دخولا بالذات لا بالعرض والشر بالعكس منه

وليس

والشفاعة الثانية في اخراج اهل الكبائر من النار طبقة طبقة على ما صح في ذلك الخبر واما قول الله تعالى * قل لا املك لكم ضرا ولا رشدا ولا تملك نفس لنفس شيئا * فما خالفناه في هذا اصلا وليس هذا من الشفاعة في شيء فنعم لا يملك لاحد نفعا ولا ضرا ولا رشدا ولا هدى وانما الشفاعة رغبة الى الله تعالى وضراعة ودعاء وقال بعض منكري الشفاعة ان الشفاعة ليست الا في المحسنين فقط واحتجوا بقوله تعالى * ولا يشفعون الا لمن ارتضى *

(قال أبو محمد) وهذا لا حجة لهم فيه لان من اذن الله في اخراجه من النار وادخاله الجنة واذن للشافع في الشفاعة له في ذلك فقد ارتضاه وهذا حق وفضل الله تعالى على من قد غفر له ذنوبه بان رجحت حسناته على كبائره او بان لم تكن له كبيرة او بان تاب عنها فهو مغن له عن شفاعة كل شافع فقد حصلت له الرحمة والفوز من الله تعالى وأمر به الى الجنة ففيماذا يشفع له وانما الفقير الى الشفاعة من غلبت كبائره حسناته فادخل النار ولم ياذن تعالى باخراجه منها الا بالشفاعة وكذلك الخلق في كونهم في الموقف هم ايضا في مقام شنيع فهم ايضا محتاجون الى الشفاعة وبالله تعالى التوفيق وبما صحت الاخبار من ذلك نقول

(واما الميزان) فقد انكره قوم فخالفوا كلام الله تعالى جرأة واقداما وتقطع آخرون فقالوا هو ميزان بكفتين من ذهب وهذا اقدام آخر لا يحل قال الله عز وجل * وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم *

(قال ابو محمد) وأمور الاخرة لا تعلم الا بما جاء في القرآن او بما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يات عنه عليه السلام شيء يصح في صفة الميزان ولو صح عنه عليه السلام في ذلك شيء لقلنا به فاذ لا يصح عليه السلام في ذلك شيء فلا يحل لاحد ان يقول على الله عز وجل ما لم يخبرنا به لكن نقول كما قال الله عز وجل * ونضع الموازين القسط ليوم القيامة * الى قوله * وكفى بنا حاسبين * وقال تعالى * والوزن يومئذ الحق * وقال تعالى * فامامن ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية واما من خفت موازينه فامه هاوية * فنقطع على ان الموازين توضع يوم القيامة لوزن اعمال العباد قال تعالى عن الكفار * فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا * وليس هذا على ان لا توزن اعمالهم بل توزن لكن اعمالهم شائلة وموازينهم خفاف قد نص الله تعالى على ذلك اذ يقول * ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم في جهنم خالدون * الى قوله * فكنتم بها تكذبون * فاخبر عز وجل ان هؤلاء المكذبين بآياته خفت موازينهم والمكذبون بآيات الله عز وجل كفار بلا شك ونقطع على ان تلك الموازين اشياء يبين الله عز وجل بها لعباده مقادير اعمالهم من خير أو شر من مقدار الذرة التى لا تحس وزنها في موازيننا أصلا فما زاد ولا ندرى كيف تلك الموازين الا انا ندرى انها بخلاف موازين الدنيا وان ميزان من تصدق بدينار أو بلؤلؤة اثقل ممن تصدق بكذانة

وهو على وجوه فيقال شر لمثل النقص الذى هو الجهل والضعف والتشويه في الخلق ويقال شر لمثل الآلام والغم ويقال شر لمثل الشرك والظلم والزنا وبالجملة الشر بالذات هو العدم ولا كل عدم بل عدم مقتضي طباع الشيء من الكمالات الثابتة لنوعه وطبيعته والشر بالعرض هو المعدم والحابس للكمال عن مستحقه والشر بالذات ليس بامر حاصل الا ان يخبر عن لفظه ولو كان له حصول ما لكان الشر العام وهذا الشر يقابله الوجود على كماله الاقصى أن يكون (٥٥) بالفعل وليس فيه ما بالقوة أصلا فلا يلحقه شر وأما الشر بالعرض فله وجود ما وانما يلحق ما فى طباعه أمر بالقوة وذلك لاجل المادة فيلحقها لامر يعرض لها فى نفسها وأول وجودها هيئة من الهيئات المانعة لاستعدادها الخاص للكمال الذى توجهت اليه فتجعله أردى مزاجا وأعصى جوهرا لقبول التخطيط والتشكيل والتقويم فتشوهت الخلقة وانقضت البتة لا لان الفاعل قد حرم بل لان المنفعل لا يقبل وأما الامر الطارىء من خارج فاحد شيئين اما مانع للمكمل وأما مضاد ماحق الكمال مثال الاول وقوع سحب كثيرة وتراكمها واظلال جبال شاهقة يمنع تاثير الشمس فى الثمار على الكمال ومثال الثاني حسن البرد للنبات المصيب لكماله وفى وقته حتى يفسد الاستعداد الخاص ويقال شر للافعال المذمومة ويقال شر لمباديها من الاخلاق مثال الاول الظلم والزنا ومثال الثانى الحقد والحسد ويقال شر للالام والغموم ويقال شر لنقصان كل شيء عن كماله والضابط لكله أما عدم وجود واما عدم كمال فيقول الامور اذا توهمت موجودة فاما أن تمنع أن يكون الا خيرا على الاطلاق أوشرا على الاطلاق أوخيرا من وجه وهذا القسم اما أن يتساوى فيه الخير والشر أو الغالب فيه احدهما وأما الخير المطلق الذى لا شر فيه فقد وجد فى الطباع والخلقة وأما الشر المطلق الذى لا خير فيه أو الغالب فيه ان المساوى فلا وجود له أصلا فبقى ما فى الغالب وجوده الخير وليس يخلو عن شر فالاحرى به أن يوجد فان لا كونه

وليس هذا وزنا وندرى ان اثم القاتل اعظم من اثم اللاطم وان ميزان مصلى الفريضة أعظم من ميزان مصلى التطوع بل بعض الفرائض أعظم من بعض فقد صح عن النبى صلى الله عليه وسلم ان من صلى الصبح فى جماعة كمن قام ليلة ومن صلى العتمة فى جماعة فكانما قام نصف ليلة وكلاهما فرض وهكذا جميع الاعمال فانما يوزن عمل العبد خيره مع شره ولو نصح المعتزلة انفسهم لعلموا ان هذا عين العدل واما من قال بما لا يدرى ان ذلك الميزان ذو كفتين فانما قاله قياسا على موازين الدنيا وقد اخطا فى قياسه اذ فى موازين الدنيا ما لا كفة له كالقرسطون (١) واما نحن فانما تبعنا النصوص الواردة فى ذلك فقط ولا نقول الا بما جاء به قرآن أو سنة صحيحة عن النبى صلى الله عليه وسلم ولا ننكر الا ما لم يات فيهما ولا نكذب الا بما فيهما ابطاله وبالله تعالى التوفيق

(وأما الحوض) فقد صحت الاثار فيه وهو كرامة للنبى صلى الله عليه وسلم ولمن ورد عليه من امته ولا ندرى لمن انكره متعلقا ولا يجوز مخالفة ما صح عن النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا وغيره وبالله تعالى التوفيق

(واما الصراط) فقد ذكرناه فى الباب الاول الذى قبل هذا وانه كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوضع الصراط بين ظهرانى جهنم ويمر عليه الناس فمخدوش (٢) وناج ومكردس (٣) فى نار جهنم وان الناس يمرون عليه على قدر اعمالهم كمر الطرف فما دون ذلك الى من يقع فى النار وهو طريق اهل الجنة اليها من المحشر فى الارض الى السماء وهو معنى قول الله تعالى * وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا. واما كتاب الملائكة لاعمالنا فحق قال الله تعالى. وان عليكم لحافظين كراما كاتبين وقال تعالى. انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون. وقال تعالى. وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا اقرا كتابك. وقال تعالى. اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد

(قال ابو محمد) وكل هذا ما لا خلاف فيه بين أحد ممن ينتمى الى الاسلام الا انه لا يعلم أحد من الناس كيفية ذلك الكتاب

(عذاب القبر) قال ابو محمد ذهب ضرار بن عمرو الغطفانى أحد شيوخ المعتزلة الى انكار

---

(١) اراد بالقرسطون بفتحتين فسكون ميزانا ليس بذي كفتين ولم اعثر عليه بهذا المعنى وهو ليس بعربي ولعله عنى به القبان وهو ميزان معروف لا كفة له

(٢) (٣) المخدوش من الخدش وهو قشر الجلد بعود أو نحوه والمكردس الذى جمع يده ورجلاه وألقى فيها ولفظ الحديث عن ابى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى صفة القيامة وجواز الناس على الصراط فمنهم مسلم ومخدوش ومنهم مكردس فى نار جهنم اه ومسلم بالتشديد على صيغة اسم المفعول اى ناج لمصححه

اعظم شرا من كونه فواجب ان يفيض وجوده من حيث يفيض منه الوجود لئلا يفوت الخير الكلى لوجود الشر الجزءى وايضا لو امتنع وجود ذلك الخير من الشر امتنع وجود اسبابه التى تؤدى الى الشر بالعرض فكان فيه أعظم خلل فى نظام الخير الكلى بل وان لم يثبت الى ذلك وصيرنا التفاتنا الى ماينقسم اليه الامكان في الوجود من اصناف الموجودات المختلفة فى احوالها وكان الوجود المبراء من الشر (٥٦) من كل وجه قد حصل وبقى نمط من الوجود انما يكون على سبيل أن لا يوجد الا ويتبعه ضرر وشر مثل النار فان الكون انما يتم بان يكون فيه نار ولن يتصور حصولها الا على وجه يحرق ويسخن ولم يكن بد من المصادمات الحادثة أن تصادف النار ثوب فقير ناسك فيحترق والامر الدائم الاكثرى حصول الخير من النار فاما الدائم فلان أنواعا كثيرة لا يستحفظ على الدوام الا بوجود النار واما الاكثر فلان أكثر اشخاص الانواع فى كنف السلامة من الاحراق فما كان يحسن ان يترك المنافع الاكثرية والدائمة لاعراض شرية اقلية فاريدت الخيرات الكائنة عن مثل هذه الاشياء ارادة أولية على الوجه الذى يصلح ان يقال ان الله تعالى يريد الاشياء ويريد الشر ايضا على الوجه الذى بالعرض فالخير مقتضى بالذات والشر مقتضى بالعرض وكل بقدر فالحاصل ان الكل انما رتبت فيه القوى الفعالة والمنفعلة السموية والارضية الطبيعية والنفسانية بحيث تؤدى الى النظام الكلى مع استحا انه ان تكون هي على ماهى ولا يؤدى الى شرور فيلزم من احوال العالم بعضها بالقياس الى بعض ان يحدث فى نفس صورة اعتقاد رديء أو كفر اوشر آخر أو يحدث فى بدن صورة قبيحة مشوهه لولم يكن ذلك لم يكن النظام الكلى يثبت فلم يعبأ ولم يلتفت الى اللوازم الفاسدة التى تعرض بالضرورة وقيل خلقت هؤلاء للجنة ولا ابالى وخلقت هؤلاء للنار ولا ابالى وكل ميسر لما خلق له * المسئلة العاشرة فى المعاد واثبات سعادات

عذاب القبر وهو قول من لقينا من الخوارج وذهب اهل السنة وبشر بن المعتمر والجبائي وسائر المعتزلة الى القول به وبه نقول لصحة الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم به

(قال ابو محمد) وقد احتج من انكره بقول الله تعالى . ربنا امتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين * وبقوله تعالى * كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم الآية

(قال أبو محمد) وهذا حق لا يدفع عذاب القبر لان فتنة القبر وعذابه والمسألة انما هي للروح فقط بعد فراقه للجسد اثر ذلك قبر اولم يقبر برهان ذلك قول الله تعالى * ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم * الآيه وهذا قبل القيامة بلا شك وأثر الموت وهذا عذاب القبر وقال * انما توفون أجوركم يوم القيامة * وقال تعالى فى آل فرعون النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون اشد العذاب * فهذا العرض المذكور هو عذاب القبر وانما قيل عذاب القبر فاضيف الى القبر لان المعهود فى اكثر الموتي انهم يقبرون وقد علمنا ان فيهم اكيل السبع والغريق تاكله دواب البحر والمحرق والمصلوب والمعلق فلو كان على مايقدر من يظن انه لا عذاب الا فى القبر المعهود لما كان لهؤلاء فتنة ولا عذاب قبر ولا مسالة ونعوذ بالله من هذا بل كل ميت فلا بد له من فتنة وسؤال وبعد ذلك سرور أو نكد الى يوم القيامة فيوفون حينئذ أجورهم وينقلبون الى الجنة أو النار وأيضا فان جسد كل انسان فلا بد من العود الى التراب يوما ما كما قال الله تعالى * منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى * فكل من ذكرنا من مصلوب أو معلق او محرق او أكيل سبع أو دابة فانه يعود رمادا أو رجيعا أو يتقطع فيعود الى الارض ولا بد وكل مكان استقرت فيه النفس أثر خروجها من الجسد فهو قبر لها الى يوم القيامة وأما من ظن ان الميت يحيي في قبره فخطأ لان الآيات التى ذكرنا تمنع من ذلك ولو كان ذلك لكان تعالى قد أماتنا ثلاثا وأحيانا ثلاثا وهذا باطل وخلاف القرآن الا من أحياه الله تعالى آية لنبى من الانبياء * والذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم * و * الذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال انى يحيي هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم بعثه * وكذلك الله قوله تعالى * الله يتوفى الانفس حين موتها * الى قوله * الى أجل مسمى * فصح بنص القرآن ان روح من مات لا يرجع الى جسده الا الى أجل مسمى وهو يوم القيامة وكذلك أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رأى الارواح ليلة اسرى به عند سماء الدنيا عن يمين آدم عليه السلام ارواح اهل السعادة وعن شماله ارواح اهل الشقاء واخبر عليه السلام يوم بدر اذ خاطب القتلى واخبرهم انهم وجدوا ما توعدهم به حقا قبل ان يكون لهم قبور فقال المسلمون يا رسول الله اتخاطب قوما قد جيفوا فقال عليه السلام ما انتم باسمع لما اقول منهم فلم ينكر عليه السلام على المسلمين قولهم أنهم قد جيفوا واعلمهم انهم سامعون فصح ان ذلك لارواحهم فقط بلا شك واما الجسد فلا حس له

(قال

(قال ابو محمد) ولم يأت قط عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في خبر يصح ان ارواح الموتى ترد الى اجسادهم عند المسألة ولو صح ذلك عنه عليه السلام لقلنا به فاذ لا يصح فلا يحل لاحد ان يقوله وانما انفرد بهذه الزيادة من رد الارواح المنهال بن عمرو وحده وليس بالقوي تركه شعبة وغيره وسائر الاخبار الثابتة على خلاف ذلك وهذا الذي قلنا هو الذي صح ايضا عن الصحابة رضي الله عنهم لم يصح عن احد منهم غير ما قلنا كما حدثنا محمد بن سعيد بن بيان حدثنا اسماعيل بن اسحاق حدثنا عيسى بن حبيب حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن ابن محمد عبد الله بن يزيد المقرى عن جده محمد بن عبد الله عن سفيان بن عيينة عن منصور ابن صفية عن أمه صفية بنت شيبة قالت دخل ابن عمر المسجد فابصر ابن الزبير مطروحا قبل أن يصلب فقيل له هذه اسماء بنت ابى بكر الصديق فمال اليها فعزاها وقال ان هذه الجثث ليست بشيء وان الارواح عند الله فقالت اسماء وما يمنعني وقد اهدى رأس يحيى بن زكريا الى بغي من بغايا بني اسرائيل وحدثنا محمد بن بيان ثنا أحمد بن عون الله حدثنا قاسم بن اصبغ حدثنا محمد بن عبد السلام الحسيني ثنا ابو موسى محمد بن المثنى الزمن ثنا عبد الرحمن بن مهدى ثنا سفيان الثورى عن ابى اسحق السبيعي عن ابى الاحوص عن ابن مسعود في قول الله عز وجل * ربنا أمتنا اثنتين واحييتنا اثنتين. قال ابن مسعود هي التي في البقرة. وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم * فهذا ابن مسعود واسماء بنت أبي بكر الصديق وابن عمر رضي الله عنهم ولا مخالف من الصحابة رضي الله عنهم تقطع اسماء وابن عمر على ان الارواح باقية عند الله وان الجثث ليست بشيء ويقطع ابن مسعود بان الحياة مرتان والوفاة كذلك وهذا قولنا وبالله التوفيق

(قال أبو محمد) وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه رأى موسى عليه السلام قائما في قبره يصلي ليلة الاسراء واخبر انه رآه في السماء السادسة أو السابعة بلا شك انما رأى روحه واما جسده فموارى بالتراب بلا شك فعلى هذا ان موضع كل روح يسمى قبرا فتعذب الارواح حينئذ وتسأل حيث كانت وبالله تعالى التوفيق

(مستقر الارواح) قال ابو محمد اختلف الناس في مستقر الارواح وقد ذكرنا بطلان قول اصحاب التناسخ في صدر كتابنا هذا والحمد لله رب العالمين فذهب قوم من الروافض الى ان ارواح الكفار ببرهوت وهو بئر بحضرموت وان ارواح المؤمنين بموضع آخر أظنه الجابية وهذا قول فاسد لانه لا دليل عليه أصلا وما لا دليل عليه فهو ساقط ولا يعجز أحد عن ان يدعى للارواح مكانا آخر غير ما ادعاه هؤلاء وما كان هكذا فلا يدين به الا مخذول وبالله تعالى التوفيق وذهب عوام اصحاب الحديث الى ان الارواح على أفنية قبورها وهذا قول لا حجة له اصلا تصححه الا خبر ضعيف لا يحتج بمثله لانه في غاية السقوط لا يشتغل به أحد من علماء الحديث وما كان هكذا فهو ساقط ايضا وذهب ابو الهذيل العلاف والاشعرية

دائمة للنفوس واشارة الى النبوة وكيفية الوحي والالهام والتقدم على الخوض فيها أصولا ثلاثة الاصل الاول أن لكل قوة نفسانية لذة وخيرا يخصها وأذى وشرا يخصها وحيث ما كان المدرك اشد ادراكا وأفضل ذاتا والمدرك أكمل وجودا واشرف ذاتا وادوم ثباتا فاللذة أبلغ وأوفر * الاصل الثاني * انه قد يكون الخروج الى الفعل في كمال ما بحيث يعلم ان المدرك لذيذ ولكن لا يتصور كيفيته ولا يشعر به فلم يشتق اليه ولم ينزع نحوه فيكون حال المدرك حال الاصم والاعمى (٥٧) المتيقنين برطوبة الالحان وملاحة الوجوه من غير شعور بهما وادراك * الاصل الثالث * ان الكمال والامر الملائم قد يتيسر للقوة الداركة وهناك مانع أو شاغل للنفس فتكرهه وتؤثر ضده وتكون القوة المميزة بضده الذي هو كمالها فلا يحس به كالمريض والممرور فاذا زال العائق عاد الى واجبه في طبعه فصدقت شهوته واشتهت طبيعته وحصل له كمال اللذة فنقول بعد تمهيد الاصول ان النفس الناطقة كمالها الخاص بها ان يصير عالما عقليا مرتسما فيها صورة الكل والنظام المعقول في الكل والخير الفائض من واهب الصور على الكل مبتدأ من المبدأ أو سالكا الى الجواهر الشريفة الروحانية المطلقة ثم الروحانية المتعلقة نوعا ما بالابدان ثم الاجسام العلوية بهيئاتها وقواها كذلك حتى يستوفي في نفسها هيئة الوجود كله فيصير عالما معقولا موازيا للعالم الموجود كله مشاهدا لما هو الحسن المطلق والخير والبهاء الحق ومتحدا به ومنتقشا في سلكه ومنخرطا بمثاله وصائرا من جوهره فهذا الكمال لا يقاس بسائر الكمالات وجودا ودواما ولذة وسعادة بل هذه اللذة أعلى من اللذات الحسية وأعلى من الكمالات الجسمانية بل لا مناسبة بينهما في الشرف والكمال وهذه السعادة لا تتم له الا باصلاح الخير والعمل من النفس وتهذيب الاخلاق والخلق ملكة يصدر بها عن النفس افعال ما بسهولة من غير تقدم روية وذلك باستعمال المتوسط بين الخلقين المتضادين لا بان يفعل افعال

المتوسط بل بان يحصل ملكة التوسط فيحصل في القوة الحيوانية هيئة الاذعان وفي القوة الناطقة هيئة الاستعلا ومعلوم ان ملكة الافراط والتفريط مقتضيا للقوى الحيوانية فاذا قويت حدثت في النفس الناطقة هيئة اذعانية قد رسخت فيها من شانها ان تجعلها قوى العلاقة مع البدن والانصراف اليه وأما ملكة التوسط فهي من مقتضيات الناطقة واذا قويت قطعت العلاقة من البدن فسعدت السعادة الكبرى ٥٨ ثم للنفوس مراتب في اكتساب ما بين هاتين القوتين أعني العلمية والعملية والتقصير فيهما فلم ينبغي ان يحصل عند نفس الانسان من تصور المعقولات والتخلق بالاخلاق الحسنة حتى تجاوز الحد الذى في مثله يقع في الشقاوة الابدية وأي تصور وخلق يوجب له بالشقاء المؤبد واى تصور وخلق يوجب له الشقاء الموقت قال فليس يمكنني ان أنص عليه الا بالتقريب وليته سكت عنه وقيل

فدع عنك الكتابة لست منها ولو سودت وجهك بالمداد

قال وأظن ذلك أن يتصور نفس الانسان المبادى المفارقة بصورا حقيقيا وتصدق بها تصديقا يقينيا لوجودها عنده بالبرهان ويعرف العلل الغائية للامور الواقعة في الحركات الكلية دون الجزئية التى لاتتناهى ويتقرر عنده هيئة الكل ونسب أجزائه بعضها الى بعض والنظام الآخذ من المبدأ الاول الى اقصى الموجودات الواقعة في ترتيبه ويتصور العناية وكيفيتها ويتحقق ان الذات المتقدمة للكل أى وجود يخصها واية وحدة يخصها وانه كيف يعرف حتى لايلحقها تكثر وتغير بوجه وكيف ترتيب نسبة الموجودات اليها وكلما ازداد استبصار ازداد للسعادة استعدادا وكانه ليس يتبرأ والانسان عن هذا العالم وعلائقه الا ان يكون أكد العلاقة مع ذلك العالم فصار له شوق وعشق الى ما هناك يصده عن الالتفات الى ما خلفه جملة ثم ان النفوس والقوى الساذجة التى لم تكتسب هذا الشوق ولا تصورت هذه التصورات فان كانت

الى ان الارواح أعراض تفنى ولا تبقى وقتين فاذا مات الميت فلا روح هنالك أصلا ومن عجائب اصحاب هذه المقالة الفاسدة قولهم ان روح الانسان الان غير روحه قبل ذلك وانه لا ينفك تحدث له روح ثم تفنى ثم روح ثم تفنى وهكذا ابدا وان الانسان يبدل الف الف روح واكثر في مقدار اقل من ساعة زمانية وهذا يشبه تخليط من هاج به البرسام وزاد بعضهم فقال ان صحت الآثار في عذاب الارواح فان الحياة ترد الى أقل جزء لا يتجزأ من الجسم فهو يعذب وهذا أيضا حمق آخر ودعاوى في غاية الفساد وبلغني عن بعضهم انه يزعم أن الحياة ترد الي عجب الذنب فهو يعذب أو ينعم وتعلق بالحديث الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ابن آدم ياكله التراب الا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب

(قال ابو محمد) وهذا الخبر صحيح الا انه لا حجة فيه لانه ليس فيه ان عجب الذنب يحيا ولا انه يركب فيه حياة ولا انه يعذب ولا ينعم وهذا كله مقحم في كلام النبي صلى الله عليه وسلم وانما في الحديث ان عجب الذنب خاصة لا ياكله التراب فلا يحول ترابا وانه منه ابتداء خلق المرء ومنه يبتدأ انشاؤه ثانية فقط وهذا خارج احسن خروج علي ظاهره وان عجب الذنب خاصة تتبدد اجزاؤه وهي عظام تحسها لا تحول ترابا وان الله تعالى يبتدىء الانشاء الثاني بجمعها ثم يركب تمام الخلق للانسان عليه وانه اول ما خلق من جسم الانسان ثم ركب عليه سائره واذ هذا ممكن لو لم يات به نص فخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم احق بالتصديق من كل خبر لانه عن الله عز وجل قال تعالى * هو أعلم بكم اذ انشاكم من الارض واذ انتم اجنة في بطون أمهاتكم * وقال تعالى * ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم *

وقال أبو بكر بن كيسان الاصم لا ادرى ما الروح ولم يثبت شيء غير الجسد

(قال ابو محمد) وسنبين ان شاء الله تعالى فساد هاتين المقالتين في باب الكلام في الروح والنفس من كتابنا هذا بحول الله وقوته والذي نقول به في مستقر الارواح هو ما قاله الله تعالى ونبيه صلى الله عليه وسلم لا يتعداه فهو البرهان الواضح وهو ان الله تعالى قال * واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين * وقال تعالى * ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا * فصح ان الله عز وجل خلق الارواح جملة وهي الانفس وكذلك اخبر عليه السلام ان الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف

(قال ابو محمد) وهي العاقلة الحساسة واخذ عز وجل عهدها وشهادتها وهي مخلوقة مصورة عاقلة قبل أن يامر الملائكة بالسجود لآدم علي جميعهم السلام وقبل أن يدخلها في الاجساد والاجساد يومئذ تراب وماء ثم اقرها تعالى حيث شاء لان الله تعالي ذكر ذلك بلفظه ثم التي توجب التعقيب والمهلة ثم اقرها عز وجل حيث شاء وهو البرزخ الذى ترجع اليه عند

بقيت على ساذجيتها واستقرت فيها هيئات صحيحة اقناعية وملكات حسنة خلقية سعدت بحسب ما اكتسبت اما اذا كان الامر بالضد من ذلك او حصلت اوائل الملكة العملية وحصل لها شوق قد تبع رأيا مكتسبا الى كمال حالها فصدها عن ذلك عائق مضاد فقد شقى الشقاء الابدى وهؤلاء اما مقصورون فى السعي لتحصيل الكمال الانسانى واما معاندون متعصبون لآراء فاسدة مضادة للآراء الحقيقية والجاحدون اسوأ حالا والنفوس البله ادنى من الخلاص فى فطانة تبرا لكن ٥٩ النفوس اذا فارقت وقد رسخ فيها نحو من الاعتقاد فى العاقبة على مثل ما يخاطب به العامة ولم يكن لهم معنى جاذب الى الجهة التى فوقهم لا كمال فتسعد تلك السعادة ولا عدم كمال فتشقى تلك الشقاوة بل جميع هيآتهم النفسانية متوجهة نحو الاسفل منجذبة الى الاجسام ولا بد لها من تخيل ولا بد للتخيل من أجسام قال فلا بد لها من أجرام سماوية تقوم بها القوة المتخيلة فتشاهد ما قيل لها فى الدنيا من احوال القبر والبعث والخيرات الاخروية وتكون الانفس الرديئة أيضا تشاهد العقاب المصور لهم فى الدنيا وتقاسيه فان الصورة الخيالية ليست تضعف عن الحسية بل تزداد تأثيرا كما نشاهد فى المنام وهذه هى السعادة والشقاوة بالقياس الى الانفس الحسية واما الانفس المقدسة فانها تبعد عن مثل هذه الاحوال وتتصل عن كمالها بالذات وتنغمس فى اللذة الحقيقية ولو كان بقى فيها اثر من ذلك اعتقادى او خلقى تأذت به وتخلفت عن درجة عليين الى ان ينفسخ قال والدرجة الاعلى فيما ذكرناه لمن له النبوة اذ فى قواه النفسانية خصائص ثلاث نذكرها فى الطبيعيات فيها يسمع كلام الله ويرى ملائكته المقربين وقد تحولت على صورة يراها وكما ان الكائنات ابتدأت من الاشرف فالاشرف حتى ترقت فى الصعود الى العقل الاول ونزلت فى الانحطاط الى المادة وهى الاخس كذلك ابتدأت من الاخس حتى بلغت النفس الناطقة وترقت الى درجة النبوة ومن المعلوم

الموت لا تزال يبعث منها الجملة بعد الجملة فينفخها فى الاجساد المتولدة من المنى المنحدر من أصلاب الرجال وارحام النساء كما قال تعالى * الم يك نطفة من منى يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى * وقال عز وجل * ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما * الآية وكذلك أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يجمع خلق ابن آدم فى بطن أمه اربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح وهذا نص قولنا والحمد لله فيبلوهم الله عز وجل فى الدنيا كما شاء ثم يتوفاها فترجع الى البرزخ الذي رآها فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به عند سماء الدنيا ارواح أهل السعادة عن يمين آدم عليه الصلاة والسلام وارواح أهل الشقاوة عن يساره عليه السلام وذلك عند منقطع العناصر وتعجل أرواح الانبياء عليهم السلام وارواح الشهداء الى الجنة وقد ذكر محمد بن نصر المروزى عن اسحاق بن راهويه انه ذكر هذا القول الذي قلنا بعينه وقال على هذا أجمع أهل العلم

(قال ابو محمد) وهو قول جميع اهل الاسلام حتى خالف من ذكرنا وهذا هو قول الله عز وجل * واصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة والسابقون السابقون اولئك المقربون فى جنات النعيم * وقوله تعالى * فاما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين واما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم ان هذا لهو حق اليقين * ولا تزال الارواح هنالك حتى يتم عدد الارواح كلها بنفخها فى اجسادها ثم برجوعها الى البرزخ المذكور فتقوم الساعة ويعيد عز وجل الارواح ثانية الى الاجساد وهى الحياة الثانية ويحاسب الخلق فريق فى الجنة وفريق فى السعير خالدين ابدا

(قال ابو محمد) قول بعض الاشعرية معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم فى العهد المأخوذ فى قول الله عز وجل * واذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم * ان اذ هاهنا بمعنى اذا فقول فى غاية السقوط لوجوه خمسة اولها انه دعوى بلا دليل والثانية ان اذ بمعنى اذا لا يعرف فى اللغة وثالثها انه لو صح له تأويله هذا الفاسد وهو لا يصح لكان كلاما لا يعقل ولا يفهم وانما اورده عز وجل حجة علينا ولا يحتج الله عز وجل الا بما يفهم لا بما لا يفهم لان الله تعالى قد تطول علينا باسقاط الاصر عنا ولا اصر اعظم من تكليفنا فهم ما ليس فى بنيتنا فهمه ورابعها انه لو كان كما ادعى لما كان على ظهر الارض الا مؤمن والعيان يبطل هذا لاننا نشاهد كثيرا من الناس لم يقولوا قط ربنا الله ممن نشأ على الكفر وولدت عليه الى ان مات وممن يقول بان العالم لم يزل ولا محدث له من الاوائل والمتأخرين وخامسها ان الله عز وجل انما اخبر بهذه الآية عما فعل ودلنا بذلك على ان الذكر يعود بعد فراق الروح للجسد كما كان قبل حلوله فيه لانه تعالى اخبرنا انه اقام علينا الحجة بذلك الاشهاد

ضروريات حاجاته مكفيا فى آخر من نوعه يكون ذلك الاخر أيضا مكفيا به ولا يتم تلك الشركة الا بمعاملة ومعارضة تجري بينهما يفزع كل واحد منهما صاحبه عن مهم لو تولاه بنفسه لازدحم على الواحد كثير ولا بد فى المعاملة من سنة وعدل ولا بد من سان معدل ولا بد من ان يكون بحيث يخاطب الناس ويلزمهم السنة فلابد من ان يكون انسانا ولا يجوز ان يترك الناس وآراءهم فى ذلك فيختلفون ويرى كل واحد منهم ماله عدلا وما عليه جورا وظلما فالحاجة فى هذا الانسان فى أن يبقى نوع الانسان أشد من الحاجة الى انبات الشعر على الاشفار والحاجبين فلا يجوز أن تكون العناية الاولى تقتضى أمثال تلك المنافع ولا تقتضى هذه التى هى أثبتها ولا ان يكون المبدأ الاول والملائكة بعده تعلم تلك ولا تعلم هذا ولا ان يكون ما يعلمه فى نظام الامر الممكن وجوده الضرورى حصوله لتمهيد نظام الخير لا يوجد بل كيف يجوز أن لا يوجد وما هو متعلق بوجوده مبنى على وجوده فلابد اذا من نبى هو انسان متميز من بين سائر الناس بآيات تدل على انها من عند ربه يدعوهم الى التوحيد ويمنعهم من الشرك ويسن لهم الشرائع والاحكام ويحثهم على مكارم الاخلاق وينهاهم عن التباغض والتحاسد ويرغبهم فى الآخرة وثوابها ويضرب لهم للسعادة والشقاوة أمثالا تسكن اليها نفوسهم وأما الحق فلا يلوح لهم الا أمرا مجملا وهو ان ذلك شىء لا عين رأته ولا اذن سمعته ثم يكرر عليهم العبادات ليحصل لهم بعده تذكر المعبود بالتكرير والمذكرات اما حركات واما اعدام حركات يفضى الى حركات فالحركات كالصلوات وما فى معناها واعدام الحركات كالصيام ونحوه وان لم يكن لهم هذه المذكرات تناسوا جميع ما دعاهم اليه مع انقراض قرن وينفعهم ذلك أيضا فى المعاد منفعة عظيمة فان السعادة فى الآخرة بتبرية النفس عن الاخلاق الرديئة والملكات الفاسدة فيتقرر لها بذلك هيئة الانزعاج عن البدن وتحصل لها ملكة التسلط عليه فلا ينفعل عنه ويستفيد به ملكة الالتفات

دليلا كراهية ان تقول يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين اى عن ذلك الاشهاد المذكور فصح ان ذلك الاشهاد قبل هذه الدار التى نحن فيها التى اخبرنا الله عز وجل فيها بذلك الخبر وقبل يوم القيمة ايضا فبطل بذلك قول بعض الاشعرية وغيرها وصح ان قولنا هو نص الآية والحمد لله رب العالمين

(قال ابو محمد) وانما أتى المخالفون منهم انهم عقدوا على اقوال ثم راموا رد كلام الله تعالى وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم اليها وهذا هو الباطل الذى لا يحل ونحن ولله الحمد انما اتينا الى ما قاله الله عز وجل وما صح عن رسوله صلى الله عليه وسلم فقلنا به ولم نحكم فى ذلك بطرا ولا هوى ولا رددناهما الى قول أحد بل رددنا جميع الاقوال الى نصوص القرآن والسنن والحمد لله رب العالمين كثيرا وهذا هو الحق الذى لا يحل تعديه

(قال أبو محمد) وأما أرواح الانبياء عليهم السلام فهم الذين ذكر الله تعالى انهم المقربون فى جنات النعيم وانهم غير اصحاب اليمين وكذلك اخبر عليه السلام انه رآهم فى السموات ليلة أسرى به فى سماء سماء وكذلك الشهداء أيضا هم فى الجنة لقول الله عز وجل . ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون . وهذا الرزق للارواح بلا شك ولا يكون الا فى الجنة وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديث الذى روى نسمة المؤمن طائر يعلق من ثمار الجنة ثم تأوى الى قناديل تحت العرش وروينا هذا الحديث مبينا من طريق ابن مسعود رضى الله عنه وانهم الشهداء وبهذا تتالف الاحاديث والآيات والحمد لله رب العالمين فان قال قائل كيف تخرج الانبياء عليهم السلام والشهداء من الجنة الى حضور الموقف يوم القيامة قيل له وبالله تعالى التوفيق لسنا ننكر شهادة القرآن والحديث الصحيح بدخول الجنة والخروج عنها قبل يوم القيمة فقد خلق الله عز وجل فيها آدم عليه السلام وحواء ثم أخرجهما منها الى الدنيا والملائكة فى الجنة ويخرجون منها برسالات رب العالمين الى الرسل والانبياء الى الدنيا وكل ما جاء به نص قرآن أو سنة فلا ينكره الا جاهل أو مغفل او ردىء الدين واما الذى ينكر ولا يجوز ان يكون البتة فخروج روح من دخل الجنة الى النار فالمنع من هذا اجماع من جميع الامة متيقن مقطوع به وكذلك من دخلها يوم القيمة جزاء وتفضلا من الله عز وجل فلا سبيل الى خروجه منها ابدا بالنص وبالله تعالى التوفيق

الكلام على من مات من اطفال المسلمين والمشركين قبل البلوغ

(قال ابو محمد) اختلف الناس فى حكم من مات من اطفال المسلمين والمشركين ذكورهم واناثهم فقالت الازارقة من الخوارج اما اطفال المشركين ففى النار وذهبت طائفة الى انه يوقد لهم يوم القيمة نار ويؤمرون باقتحامها فمن دخلها منهم دخل الجنة ومن لم يدخلها منهم ادخل النار وذهب آخرون الى الوقوف فيهم وذهب جمهور الناس الى انهم فى الجنة وبه نقول

الى جهة الحق والاعراض عن الباطل ويصير شديد الاستعداد ليتخلص الى السعادة بعد المفارقة البدنية وهذه الافعال لو فعلها فاعل ولم يعتقد انها فريضة من عند الله تعالى وكان مع اعتقاده ذلك يلزمه فى كل فعل ان يتذكر الله ويعرض عن غيره لكان جديرا ان يفوز من هذه الزكا بحظ فكيف اذا استعملها من يعلم ان النبي من عند الله وبارسال الله وواجب الحكمة الالهية ارساله وان جميع ما سنه فانما هو وجب من عند الله ان سنه فانه متميز (٦١) عن سائر الناس بخصائص تألهه واجب الطاعة بآيات ومعجزات دلت على صدقه وسيأتى شرح ذلك فى الطبيعيات لكيلك تحدس مما سلف اذا ان الله كيف رتب النظام فى الموجودات وكيف سخر الهيولى مطيعة للنفوس الفلكية بل وللعقل الفعال بازالة صورة واثبات صورة وحيثما كانت النفس الانسانية أشد مناسبة للنفوس الفلكية بل وللعقل الفعال كان تأثيرها فى الهيولى أشد وأغرب وقد تصفو النفس صفاء شديد الاستعداد للاتصال بالعقول المفارقة فيفيض عليها من العلوم ما لا يصل اليه من هو فى نوعه بالفكر والقياس فبالقوة الاولى يتصرف فى الاجرام بالتقليب والاحالة من حال الى حال وبالقوة الثانية يخبر عن غيب ويكلمه ملك ويكون بالانبياء وحيا وبالاولياء الهاما ونحن نبتدئ القول فى الطبيعيات المنقولة عن أبى على بن سينا فى الطبيعيات قال ابو علي بن سينا ان للعلم الطبيعي موضوعا ينظر فيه وفى لواحقه كسائر العلوم، موضوعه الاجسام الموجودة بما هى واقعة فى التغير وبما هى موصوفة بانحاء الحركات والسكونات وأما مبادئه هذا العلم فمثل تركب الاجسام عن المادة والصورة والقول فى حقيقتهما ونسبة كل واحد منهما الى الثاني فقد ذكرناها فى العلم الالهي والذى يختص من ذلك التركب بالعلم الطبيعى هو أن تعلم ان الاجسام الطبيعية منها اجسام مركبة من أجسام اما متشابهة الصورة كالسرير وأما مختلفها كبدن الانسان ومنها اجسام مفردة والاجسام المركبة لها أجزاء موجودة

(قال ابو محمد) فاما الازارقة فاحتجوا بقول الله تعالى حاكيا عن نوح عليه السلام انه قال * رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا * ويقول روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان خديجة ام المؤمنين رضى الله عنها قالت يارسول الله اين اطفالى منك قال فى الجنة قالت فاطفالى من غيرك قال فى النار فاعادت عليه فقال لها ان شئت اسمعتك تضاغيهم وبحديث آخر فيه الوائدة والموؤدة فى النار وقالوا ان كانوا عندكم فى الجنة فهم مؤمنون لانه لا يدخل الجنة الا نفس مسلمة فان كانوا مومنين فيلزمكم ان تدفنوا اطفال المشركين مع المسلمين وان لا تتركوه يلتزم اذا بلغ دين ابيه فتكون ردة وخروجا عن الاسلام والكفر وينبغى لكم ان ترثوه وتورثوه من اقاربه من المسلمين

(قال ابو محمد) هذا كل ما احتجوا به ما يعلم لهم حجة غير هذا اصلا وكله لا حجة لهم فيه البتة اما قول نوح عليه السلام فلم يقل ذلك على كل كافر بل قال ذلك على كفار قومه خاصة لان الله تعالى قال له(١) * انه ان يؤمن من قومك الا من قد آمن * فايقن نوح عليه السلام بهذا الوحى انه لا يحدث فيهم مؤمن ابدا وان كل من ولدوه ان ولدوه لم يكن الا كافرا ولابد وهذا هو نص الاية لانه تعالى حكى انه قال * رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا * وانما اراد كفار وقته الذين كانوا على الارض حينئذ فقط ولو كان للازارقة ادنى علم وفقه لعلموا ان هذا من كلام نوح عليه السلام ليس على كل كافر لكن على قوم نوح خاصة لان ابراهيم ومحمدا صلى الله عليهما وسلم كان ابواهما كافرين مشركين وقد ولدا خير الانس والجن من المومنين واكمل الناس ايمانا ولكن الازارقة كانوا اعرابا جهالا كالانعام بل هم اضل سبيلا وهكذا صح عن النبي صلى الله عليه وسلم من طريق الاسود بن سريع التميمى انه عليه السلام قال اوليس خياركم اولاد المشركين

(قال ابو محمد) وهل كان افاضل الصحابة رضي الله عنهم الذين يتولاهم الازارقة كابن ابي قحافة وعمر بن الخطاب وخديجة ام المومنين وغيرهم رضى الله عنهم الا اولاد الكفار فهل ولدا اباؤهم كفارا وهل ولدوا الا اهل الايمان الصريح ثم آباء الازارقة انفسهم كو الدنافع ابن الازرق وغيرهم من شيوخهم هل كانوا الا اولاد المشركين ولكن من يضلل الله فلا هادى له واما حديث خديجة رضى الله عنها فساقط مطرح لم يروه قط من فيه خير وأما حديث الوائدة فانه جاء كما نذكره حدثنا يوسف بن عبد البر انا عبد الوارث بن سفيان حدثنا قاسم بن اصبغ حدثنا بكر بن حماد حدثنا مسدد عن المعتمر بن سليمان التميمى قال سمعت داود بن ابى هند يحدث عن عامر الشعبي عن علقمة بن قيس عن سلمة بن يزيد الجعفى قال

---

(١) اى فى قوله تعالى واوحى الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن

بالفعل متناهية وهى تلك الاجسام المفردة التى منها تركبت واما الاجسام المفردة فليس لها فى الحال جزؤ بالفعل وفى قوتها ان تتجزء اجزاء غير متناهية كل واحد منها أصغر من الاخر والتجزىء اما بتفريق الاتصال وأما باختصاص العرض ببعض منه وأما بالتوهم واذا لم يكن أحد هذه الثلاثة فالجسم المفرد لاجزء له بالفعل قال ومن أثبت الجسم مركبا من أجزاء لاتتجزأ بالفعل فبطلانه بان كل جزء مس جزء فقد (٦٢) شغله بجهة أولا يدع فان ترك فراغا فقد تجزأ الممسوس وان لم يترك فراغا فلا يتاتى أن يماسه آخر غير مماس الاول وقد ماسه آخر هذا خلف وكذلك فى جزء موضوع على جزء متصل وغيره من تركيب المربعات منها المساواة الاقطار والاضلاع ومن جهة مسامتات الظل والشمس دلائل على أن الجزء الذى لايتجزأ محال وجوده فنتكلم بعد هذه المقدمة فى مسائل هذا العلم ونحصرها فى مقالات *

المقالة الاولى في لواحق الاجسام الطبيعية مثل الحركة والسكون والزمان والمكان والخلاو التناهى والجهات والتماس والالتحام والاتصال والتتالى اما الحركة فيقال على تبدل حال قارة في الجسم يسيرا يسيرا على سبيل التجاه نحو شىء والوصول اليه هو بالقوة وبالفعل فيجب من هذا أن تكون الحركة مفارقة الحال ويجب أن يقبل الحال التنقص والتزيد ويكون باقيا غير متشابه الحال فى نفسه وذلك مثل السواد والبياض والحرارة والبرودة والطول والقصر والقرب والبعد وكبر الحجم وصغره

فالجسم اذا كان فى مكان فتحرك فقد حصل فيه كال وفعل أول به يتوصل به الى كال وفعل ثان هو الوصول فهو في المكان الاول بالفعل وفى المكان الثاني بالقوة فالحركة كمال أول لما بالقوة من جهة ما هو بالقوة ولايكون وجوده الا فى زمان بين القوة المحضة والفعل المحض وليست من الامور التى تحصل بالفعل حصولا قارا مستكملا وقد ظهر انها فى كل امر تقبل

اتيت انا واخى قال رسول الله صلى لله عليه وسلم فقلنا له ان أمنا ماتت فى الجاهلية وكانت تقرى الضيف وتصل الرحم فهل ينفعها من عملها ذلك شىء قال لا قلنا فان أمنا وادت اختالنا في الجاهلية لم تبلغ الحنث فقال رسول الله صلى لله عليه وسلم الموؤدة والوائدة فى النار الا ان تدرك الوائدة الاسلام فتسلم

(قال ابو محمد) وهذه اللفظة يعنى لم تبلغ الحنث ليست بلاشك من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنها من كلام سلمة بن يزيد الجعفى واخيه فلما اخبر عليه السلام بان تلك الموؤدة فى النار كان ذلك انكارا وابطالا لقولهما انها تبلغ الحنث وتصحيحا لانها قد كانت بلغت الحنث بخلاف ظنهما لايجوز الا هذا القول لان كلامه عليه السلام لايتناقض ولا يتكاذب ولا يخالف كلام ربه عز وجل بل كلامه عليه السلام يصدق بعضه بعضا ويوافق لما اخبر به عز وجل ومعاذ الله من غير ذلك وقد صح اخبار النبى صلى الله عليه وسلم بان اطفال المشركين فى الجنة قال الله تعالى * واذا الموؤدة سئلت باى ذنب قتلت * فنص تعالى على انه لاذنب للموؤدة فكان هذا مبين لان اخبار النبى صلى الله عليه وسلم بان تلك الموؤدة فى النار اخبار عن انها قد كانت بلغت الحنث بخلاف ظن اخويها وقد روى هذا الحديث عن داود بن ابى هند محمد بن عدى وليس هو دون المعتمر ولم يذكر فيه لم تبلغ الحنث ورواه ايضا عن داود بن ابى هند عبيدة بن حميد فلم يذكر هذه اللفظة التى ذكرها المعتمر فاما حديث عبيدة فحدثناه احمد بن محمد بن الجسور قال انا وهب بن ميسرة قال حدثنا محمد بن وضاح حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة حدثنا عبيدة ابن حميد عن داود بن ابى هند عن الشعبى عن علقمة بن قيس عن سلمة بن يزيد قال اتيت النبى صلى الله عليه وسلم انا واخى فقلنا يارسول الله ان امنا كانت تقرى الضيف وتصل الرحم فى الجاهلية فهل ينفعها ذلك شيئا قال لا قال فانها وأدت اختالنا فى الجاهلية فهل ينفع ذلك اختنا شيئا قال لا الوائدة والموؤدة فى النار الا ان تدرك الاسلام فيعفوا الله عنها واما حديث بن ابى عدى فحدثناه احمد ابن عمر بن انس العذرى حدثنا ابو بدر عبد بن احمد الهروى الانصارى حدثنا ابو سعيد الخليل بن احمد السجستانى حدثنا عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز حدثنا احمد بن محمد بن حنبل حدثنا محمد بن ابى عدى عن داود ابن ابى هند عن الشعبى عن علقمة عن سلمة ابن يزيد الجعفى قال انطلقت انا واخى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقلنا يارسول الله ان مليكة كانت تصل الرحم وتقرى الضيف وتفعل وتفعل هلكت فى الجاهلية فهل ذلك نافعها شيئا قال لا قال فانها وادت اختالها فى الجاهلية فهل ذلك ينفع اختها قال لا الوائدة والموؤدة فى النار الا ان تدرك الوائدة الاسلام فيعفو الله عنها

(قال ابو محمد) هكذا رويناه لها بالهاء على انها اخت الوائد

التنقص والتزيد وليس شيء من الجواهر كذلك فاذا لاشيء من الحركات في الجوهر وكون الجوهر وفساده ليس بحركة بل هو أمر يكون دفعه وأما الكمية فانها تقبل التزيد والتنقص فخليق أن يكون فيها حركة كالنمو والذبول والتخلخل والتكاثف وأما الكيفية فما يقبل منها التنقص والتزيد والاشتداد كالتبيض والتسود فيوجد فيه الحركة وأما المضاف فابدا عارض لمقولة من البواقي في قبول التنقص والتزيد فاذا أضيف (٦٣) اليه حركة فذلك بالحقيقة لتلك المقولة وأما الاين فان وجود الحركة فيه ظاهر وهو النقلة واما متى فان وجوده للجسم بتوسط الحركة فكيف يكون فيه الحركة ولو كان كذلك لكان لمتى متى وأما الوضع فان فيه حركة على رأينا خاصة كحركة الجسم المستدير على نفسه اذ لو توهم المكان المطيف به معدوما لما امتنع كونه متحركا ولو قدر ذلك في الحركة المكانية لامتنع ومثاله في الموجودات الجرم الاقصى الذي ليس وراءه جسم والوضع يقبل التنقص والاشتداد فيقال انصب وانكس وأما الملك فان ما تبدل الحال فيه تبدل اولا في الاين فاذا الحركة فيه بالعرض واما ان يفعل فتبدل الحال فيه بالقوة اوالعزيمة أو الالة فكانت الحركة في قوة الفاعل أو عزيمته اوآلته أولا وفي الفعل بالعرض على ان الحركة ان كانت خروجا عن هيئة فهي عن هيئة قارة وليس شيء من الافعال كذلك فاذا لا حركة بالذات الا في الكم والكيف والاين والوضع وهو كون الشيء بحيث لا يجوز أن يكون على ما هو عليه من اينه وكمه وكيفه ووضعه قبل ذلك ولا بعده والسكون هو عدم هذه الصورة في ما من شانه أن توجد فيه وهذا العدم له معنى ما ويمكن أن يرسم وفرق بين عدم القرنين في الانسان وهو السلب المطلق عقدا وقولا وبين عدم المشي له فهو حالة مقابلة للمشي عند ارتفاع علة المشي وله وجود ما بنحو من الانحاء وله علة

(قال ابو محمد) وهذا حديث قد رويناه مختصرا كما حدثناه عبد الله ابن ربيع التميمي حدثنا عمر ابن عبد الملك الخولاني حدثنا محمد ابن بكر الوراق البصري حدثنا ابو داود السجستاني حدثنا ابراهيم بن موسى حدثنا يحيى بن زكريا ابن ابي زائدة حدثني ابي عن عامر الشعبي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوائدة والموؤدة في النار قال يحيى بن زكريا ابن ابي زائدة قال ابي فحدثني ابو اسحق بن عامر حدثه بذلك عن علقمة عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم

(قال ابو محمد) وهذا مختصر وهو على ما ذكرنا انه عليه السلام انما عنى بذلك التي بلغت لا يجوز غير هذا لما ذكرنا وبالله تعالى التوفيق واما احتجاجهم بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم هم من آبائهم فانما قاله عليه السلام في الحكم لا في الدين ولله تعالى ان يفرق بين احكام عباده ويفعل ما يشاء لا معقب لحكمه وايضا فلا متعلق لهم بهذا اللفظ اصلا لانه انما فيه انهم من آبائهم وهذا لاشك فيه انهم توالدوا من آبائهم ولم يقل عليه السلام انهم على دين ابائهم واما قولهم ينبغي ان تصلوا على اطفال المشركين وتورثوهم وترثوهم وان لا تتركوهم يلتزموا دين آبائهم اذا بلغوا فانها ردة فليس لهم ان يعترضوا على الله تعالى فليس تركنا الصلاة عليهم يوجب انهم ليسوا مؤمنين فهؤلاء الشهداء وهم افاضل المؤمنين لا يصلى عليهم واما انقطاع المواريث بيننا وبينهم فلا حجة في ذلك على انهم ليسوا مؤمنين فان العبد مؤمن فاضل ولا يورث وقد ياخذ المسلم مال عبده الكافر اذا مات وكثير من الفقهاء يورثون الكافر مال العبد من عبيده يسلم ثم يموت قبل ان يباع عليه وكثير من الفقهاء يورثون المسلمين مال المرتد اذا مات كافرا مرتدا أو قتل على الردة وهذا معاذ بن جبل ومعاوية بن ابي سفيان ومسرق بن الاجدع وغيرهم من الائمة رضي الله عنهم يورثون المسلمين من اقاربهم الكفار اذا ماتوا ولله تعالى ان يفرق بين أحكام من شاء من عباده وانما نقف حيث اوقفنا النص ولا مزيد وكذلك دفنهم في مقابر ابائهم ايضا وكذلك تركهم يخرجون الى اديان آبائهم اذا بلغوا فان الله تعالى أوجب علينا ان نتركهم وذلك ولا نعترض على احكام الله عز وجل ولا يسال عما يفعل وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الملة حتى يكون ابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ويشركانه

(قال ابو محمد) فبطل ان يكون لهم في شيء مما ذكرنا متعلق وانما هو تشغيب موهوا به لان كل ما ذكرنا فانما هي احكام مجردة فقط وليس في شيء من هذه الاستدلالات نص على ان اطفال المشركين كفار ولا على انهم غير كفار وهذه النكتتان هما اللتان قصدنا بالكلام فقط وبالله تعالى التوفيق واما من قال فيهم بالوقف فانهم احتجوا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ سئل عن الاطفال يموتون فقال عليه السلام الله اعلم بما كانوا عاملين وبقوله صلى الله عليه وسلم لعائشة أم المومنين رضي الله عنها اذا مات صبي من ابناء الانصار فقالت

بنحو والمشي علة بالعرض لذلك العدم فالمعدوم معلول بالعرض فوجود بالعرض ثم اعلم ان كل حركة توجد في الجسم فانما توجد محركة اذ لو تحرك بذاته وبما هو جسم لكان كل جسم متحركا فيجب أن يكون المحرك معنى زائدا على هيولى الجسمية وصورتها ولا يخلو اما ان يكون ذلك المعنى في الجسم واما ان لا يكون فان كان المحرك مفارقا فلا بد ان يحركه من معنى في الاسم قابل لجهة التحريك والتغير ثم المتحرك لمعنى في ذاته يسمى متحركا لذاته وذلك اما ان تكون العلة الموجودة فيه يصح عنه ان يحرك تارة ولا يحرك أخرى فيسمى متحركا بالاختيار وأما ان لا يصح فيسمى محركا بالطبع والمتحرك بالطبع لا يجوز أن يتحرك وهو على حالته الطبيعية لان كل ما اقتضاه طبيعة الشيء لذاته ليس يمكن أن يفارقه الا والطبيعة قد فسدت وكل حركة يتعين في الجسم فانما يمكن أن يفارق والطبيعة لم تبطل لكن الطبيعية انما تقتضي الحركة للعود الى حالتها الطبيعية فاذا عادت ارتفع الموجب للحركة وامتنع ان يتحرك فيكون مقدار الحركة على مقدار البعد من الحالة الطبيعية وهذه الحركة ينبغي أن تكون مستقيمة ان كانت في المكان لانها لا تكون الا لميل طبيعي وكل ميل طبيعي على اقرب المسافه وكل ما هو على أقرب المسافة فهو على خط مستقيم فالحركة المكانية المستديرة ليست طبيعية ولا الحركة الوضعية فان كل حركة طبيعية فانما تهرب عن حالة غير طبيعية ولا يجوز ان يكون فيه قصد طبيعي بالعود الى ما فارقه بالهرب فلا اختيار لها وقد يحق العود فهي اذا غير طبيعية فهي اذا عن اختيار او ارادة ولو كانت عن قسر فلا بد أن ترجع الى طبع أو الاختيار وأما الحركات في نفسها فيتطرق اليها الشدة والضعف فيتطرق اليها السرعة والبطء لا يتخلل سكنات وهي قد تكون واحدة بالجنس اذا وقعت في مقولة واحدة او في جنس واحد من الاجناس التي تحت تلك المقولة وقد تكون واحدة بالنوع وذلك اذا كانت ذات جهة مفروضة عن جهة واحدة الى جهة واحدة في نوع واحد

عصفور من عصافير الجنة فقال لها عليه السلام وما يدريك يا عائشة ان الله خلق النار وهم في اصلاب آبائهم

(قال ابو محمد) وهذان الخبران لا حجة لهم في شيء منهما الا انهما انما قالهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يوحي اليه انهم في الجنة وقد قال تعالى آمرا لرسوله صلى الله عليه وسلم ان يقول * وما ادري ما يفعل بي ولا بكم * قبل ان يخبره الله عز وجل بانه قد غفر له الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عثمان بن مظعون رضي الله عنه وما ادري وانا رسول الله ما يفعل بي وكان هذا قبل ان يخبره الله عز وجل بانه لا يدخل النار من شهد بدرا وهو عليه السلام لا يقول الا ما جاء به الوحي كما امر الله عز وجل ان يقول * ان اتبع الا ما يوحى الي * فحكم كل شيء من الدين لم يأت به الوحي ان يتوقف فيه المرء فاذا جاء البيان فلا يحل التوقف عن القول بما جاء به النص وقد صح الاجماع على ان ما عملت الاطفال قبل بلوغهم من قتل او وطء اجنبية أو شرب خمر أو قذف أو تعطيل صلاة أو صوم فانهم غير مؤاخذين في الآخرة بشيء من ذلك ما لم يبلغوا وكذلك لا خلاف في انه لا يؤاخذ الله عز وجل احدا بما لم يفعله بل قد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من هم بسيئة لم يعملها لم تكتب عليه فمن المحال المنفي أن يكون الله عز وجل يؤاخذ الاطفال بما لم يعملوا مما لو عاشوا بعده لعملوه وهم لا يؤاخذهم بما عملوا ولا يختلف اثنان في ان انسانا بالغا مات ولو عاش لزنى انه لا يؤاخذ بالزنا الذي لم يعمله وقد أكذب الله عز وجل من ظن هذا بقوله الصادق * اليوم تجزى كل نفس ما عملت * وقوله تعالى هل تجزون الا ما كنتم تعملون * فصح أنه لا يجزى أحد بما لم يعمل ولا مما لم يسن فصح ان قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اعلم بما كانوا عاملين ليس فيه انهم كفار ولا انهم في النار ولا انهم يؤاخذون بما لو عاشوا لكانوا عاملين به مما لم يعملوه بعد وفي هذا احتجاجنا لا فيما عداه وانما فيه ان الله تعالى يعلم ما لم يكن ومما لا يكون لو كان كيف كان يكون فقط نعم هذا حق لا يشك فيه مسلم فبطل ان يكون لاهل التوقف حجة في شيء من هذين الخبرين اذ لم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه المسألة بيان وأما من قال انهم يعذبون بعذاب آبائهم فباطل لان الله تعالى يقول * ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى * وأما من قال انهم توقد لهم نار فباطل لان الاثر الذي فيه هذه القصة انما جاء في المجانين وفيمن لا يبلغه ذكر الاسلام من البالغين على ما نذكر بعد هذا ان شاء الله تعالى

(قال ابو محمد) فلما بطلت هذه الاقاويل كلها وجب النظر فيما صح من النصوص من حكم هذه المسألة ففعلنا فوجدنا الله تعالى قد قال * فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم * وقال عز وجل * قولوا آمنا بالله وما انزل

وفى زمن مساو مثل بيض بالتبيض وقد تكون واحدة بالشخص وذلك اذا كانت عن متحرك واحد بالشخص فى زمان واحد ووحدتها بوجود الاتصال فيها والحركات المتفقة فى النوع لاتتضاد واما تتطابق الحركات فيعنى بها التى لايجوز أن يقال لبعضها اسرع من بعض أو ابطاء أو مساو والاسرع هو الذى يقطع شيئا مساويا لما يقطعه الآخر فى زمان أقصر وضده الابطاء والمساوى معلوم وقد يكون التطابق في القوة وقد يكون بالفعل وقد يكون بالتخيل واما تضاد الحركات فان الضدين هما اللذان ووضوعهما واحد وهما ذاتان يستحيل أن يجتمعا فيه وبينهما غاية الخلاف فتضاد الحركات ليس لتضاد المتحركين ولا بالزمان ولا لتضاد مايتحرك فيه بل تضادهما هو بتضاد الاطراف والجهات فعلى هذا لا تضاد بين الحركة المستقيمة والحركة المستديرة المكانية لانهما لا يتضادان فى الجهات بل المستديرة لا جهة فيها بالفعل لانه متصل واحد فالتضاد فى الحركة المكانية المستقيمة يتصور فالهابطة ضد الصاعدة والمتيامنة ضد المتياسرة وأما التقابل بين الحركة والسكون فهو كتقابل العدم والملكة وقد بينا أن ليس كل عدم هو السكون بل هو عدم ما من شانه أن يتحرك ويختص ذلك بالمكان الذى يتاتي فيه الحركة والسكون فى المكان المقابل انما يقابل الحركة عنه لا الحركة اليه بل انما كان هذا السكون استكمالا لها واذا عرفت ماذكرناه سهل عليك معرفة الزمان بان تقول كل حركة تفرض في مسافة على مقدار من السرعة وأخرى معها على مقدارها وابتدأتا معا فانهما يقطعان المسافة معا وان ابتدأ أحدهما ولم يبتدأ الآخر ولكن تركا الحركة معا فان احدهما يقطع دون مايقطعه الاول وان ابتدأ معه بطئ واتفقا فى الاخذ والترك وجد البطئ قد قطع أقل والسريع اكثر

الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط * الى قوله * لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون * الى قوله * صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون * فنص عزوجل على ان فطر الناس على الايمان وان الايمان هو صبغة الله تعالى وقال عزوجل * واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى * فصح يقينا ان كل نفس خلقها الله تعالى من بنى آدم ومن الجن والملائكة فمؤمنون كلهم عقلا مميزون فاذ ذلك كذلك فقد استحقوا كلهم الجنة بايمانهم حاشا من بدل هذا العهد وهذه الفطرة وهذه الصبغة وخرج عنها الى غيرها ومات على التبديل وبيقين ندرى ان الاطفال لم يغيروا شيئا من ذلك فهم من أهل الجنة وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كل مولود يولد على الفطرة وروي عنه عليه السلام انه قال على الملة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ويشركانه كما تنتج البهيمة بهيمة جماء هل يحسون فيها من جدعاء حتى تكونوا انتم الذى تجدعونها وهذا تفسير الايات المذكورات حدثنا عبدالله بن ربيع حدثنا محمد بن اسحاق السكن حدثنا ابوسعيد بن الاعرابى حدثنا ابو داود سليمان بن الاشعث حدثنا الحسن بن علي حدثنا الحجاج بن المنهال قال سمعت حماد بن سلمة يفسر حديث كل مولود يولد على الفطرة فقال هذا عندنا حيث اخذ الله العهد عليهم في أصلاب آبائهم حيث قال * الست بربكم قالوا بلى * وقد صح أيضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من طريق عياض بن حمار المجاشعى قال عن الله تعالى انه قال خلقت عبادى حنفاء كلهم فاجتالهم الشياطين عن دينهم فصح يقينا انه كل من مات قبل ان تجتاله الشياطين عن دينه فقد مات حنيفا وهذا حديث تدخل فيه الملائكة والجن والانس عباد له عز وجل مخلوقين وأيضا فان الله عزوجل أخبر بقول ابليس له تعالى ان يغوى الناس فقال تعالى * ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين * فصح يقينا ان الغواية داخلة على الايمان وان الاصل من كل واحد فهو الايمان وكل مؤمن ففى الجنة وأيضا فان الله تعالى قال * فانذرتكم نارا تلظى لا يصلاها الا الاشقى الذى كذب وتولى . وليست هذه صفة الصبيان فصح انهم لايدخلون النار ولا دار الا الجنة أو النار فاذا لم يدخلوا النار فهم بلا شك فى الجنة وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الرؤيا الكبيرة التى رآها انه رأى ابراهيم عليه السلام فى روضة خضراء مفتخر وفيها من كل نور ونعيم وحواليه من احسن صبيان وأكثرهم فسال عليه السلام عنهم فاخبر انهم من مات من أولاد الناس قبل ان يبلغوا فقيل له يارسول الله واولاد المشركين قال واولاد المشركين فارتفع الاشكال وصح بالثابت من السنن وصحيحها ان جميع من لم يبلغ من اطفال المسلمين والمشركين ففى الجنة ولايحل لاحد تعدى ماصح بالقرآن والسنن وبالله تعالى التوفيق فان قال قائل اذا قلتم ان النار دار جزاء فالجنة كذلك ولاجزاء للصبيان قلنا

و بالله تعالى التوفيق انما نقف عندما جاءت به النصوص في الشريعة قد جاء النص بان النار دار جزاء فقط وان الجنة دار جزاء وتفضل فهي لاصحاب الاعمال دار جزاء بقدر اعمالهم ولمن لا عمل له دار تفضل من الله تعالى مجرد وقد قال قوم ان الصبيان هم خدم اهل الجنة وقد ذكر الله تعالى الولدان المخلدين في غير موضع من كتابه وانهم خدم اهل الجنة فلعلهم هؤلاء والله اعلم

(قال ابو محمد) واما المجانين الذين لا يعقلون حتى يموتوا فانهم كما ذكرنا يولدون على الملة حنفاء مؤمنين ولم يغيروا ولا بدلوا فماتوا مؤمنين فهم في الجنة حدثنا احمد بن محمد الطلمنكى بالثغرى قال حدثنا محمد بن احمد بن يحيى بن المفرج القاضى حدثنا محمد بن ايوب الصموط البرقى انبانا احمد بن عمر بن عبد الخالق البزاز حدثنا محمد بن المثنى ابو موسى الزمن حدثنا معاذ بن هشام الدستوائى حدثنا ابى عن قتادة عن الاسود بن سريع التميمي عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يعرض على الله الاصم الذى لا يسمع شيئا والاحمق والهرم ورجل مات فى الفترة فيقول الاصم رب جاء الاسلام وما اسمع شيئا و يقول الاحمق جاء الاسلام وما اعقل شيئا ويقول الذى مات فى الفترة ما اتانا لك من رسول قال البزاز وذهب عنى مقال الرابع قال فياخذ مواثيقهم ليطعنه فيرسل الله اليهم ادخلوا النار فوالذى نفسي بيده لو دخلوها لكانت عليهم بردا وسلاما

الكلام فى القيامة وتغيير الاجساد

اتفق جميع اهل القبلة على تنابذ فرقهم على القول بالبعث فى القيمة وعلى تكفير من انكر ذلك ومعنى هذا القول ان لمكث الناس وتناسلهم فى دار الابتلا التى هى الدنيا امدا يعلمه الله تعالى فاذا انتهى ذلك الامد مات كل من فى الارض ثم يحيي الله عز وجل كل من مات مذ خلق الله عز وجل الحيوان الى انقضاء الاجل المذكور ورد ارواحهم التى كانت باعيانها وجمعهم فى موقف واحد وحاسبهم عن جميع اعمالهم ووفاهم جزاءهم ففريق من الجن والانس فى الجنة وفريق فى السعير وبهذا جاء القرآن والسنن قال تعالى * من يحيي العظام وهى رميم قل يحييها الذى انشاها اول مرة وهو بكل خلق عليم * وقال تعالى * وان الله يبعث من فى القبور * وقال تعالى عن ابراهيم عليه السلام انه قال * رب ارنى كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى * الى آخر الآية وقال تعالى * الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم * وقال تعالى * فاماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام * الى قوله * وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما * الآية وقال تعالى عن المسيح عليه السلام * واحيي الموتى باذن الله * ولا يمكن البتة ان يكون الاحياء المذكور فى جميع هذه الآيات

وكان بين أخذ السريع الاول وتركه امكان قطع مسافة معينة بسرعة معينة وأقل منها ببطىء معين وبين أخذ السريع الثاني وتركه امكان أقل من ذلك بتلك السرعة المعينة يكون ذلك الامكان طابق جزأ من الاول ولم يطابق جزأ مقتضيا وكان من شان هذا الامكان التقضى لانه لو ثبتت الحركات بحال واحدة لكان يقطع المتفقات في السرعة أى وقت ابتدأت وتركت مسافة واحدة بعينها ولما كان قبل امكان أقل من امكان فوجد في هذا الامكان زيادة ونقصان يتعينان تركان ذا مقدار مطابق للحركة فاذا ههنا مقدار للحركات مطابق لها وكل ما طابق للحركات فهو متصل ويقتضى الاتصال متجدده وهو الذي نسميه الزمان ثم هو لا بد وان يكون في مادة ومادته الحركة فهو مقدار الحركة واذا قدرت وقوع حركتين مختلفتين في العدم وكان هناك امكانان مختلفان بل مقداران مختلفان وقد سبق ان الامكان والمقدار لا يتصور الا في موضع فليس الزمان محدثا حدوثا زمانيا بحيث يسبقه زمان لان كلامنا في ذلك الزمان بعينه وانما حدوثه بحدوث ابداع لا يسبقه الا مبدعه وكذلك ما يتعلق به الزمان ويطابقه فالزمان متصل يتهيأ أن ينقسم بالتوهم فاذا قسم ثبت منه انات وانقسم الي الماضى والمستقبل وكونه ا فيه ككون أقسام العدد في العدد وكون الآن فيه كالوحدة في العدد وكون المتحركات فيه ككون المعدودات في العدد والدهر هو المحيط بالزمان وأقسام الزمان ما فصل منه بالتوهم كالساعات والايام والشهور والاعوام وأما المكان فيقال مكان لشيء يكون محيطا بالجسم ويقال لشيء يعتمد عليه الجسم والاول هو الذي يتكلم فيه الطبيعي وهو حاو للمتمكن مفارق له عند الحركة ومساوله وليس في المتمكن وكل هيولي وصورة فهو في المتمكن فليس المكان اذا بهيولي وصورة وللابعاد التي يدعى انها مجردة عن المادة قائمة بمكان الجسم المتمكن لا مع امتناع خلوها كما يراه قوم ولا مع

الارد الروح الى الجسد ورجوع الحس والحركة الارادية التى بعد عدمها منه لم يكن غير هذه البتة الان ابا العاص حكم بن المنذر بن سعيد القاضى اخبرنى عن اسماعيل بن عبد الله الرعينى انه كان ينكر بعث الاجساد ويقول ان النفس حال فراقها الجسد تصير الى معادها في الجنة او النار ووقفت على هذا القول بعض العارفين باسماعيل فذكر لى ثقاة منهم انهم سمعوه يقول ان الله تعالى ياخذ من الاجساد جزء الحياة منها

(قال ابو محمد) وهذا تلبيس من القول لم يخرج به عما حكى لى عنه حكم بن المنذر لانه ليس في الاجساد جزء الحياة الا النفس وحدها

(قال أبو محمد) ولم القى اسماعيل الرعينى قط على انى قد ادركته وكان ساكنا معى فى مدينة من مداين الاندلس تسمى بجاية مدة ولكنه كان مختفيا وكان له اجتهاد عظيم ونسك وعبادة وصلاة وصيام والله أعلم وحكم بن المنذر ثقة فى قوله بعيد من الكذب وتبرأ منه حكم بن المنذر وكان قبل ذلك يجمعهما مذهب بن مسرة فى القدر وتبرأ منه أيضا ابراهيم بن سهل الاريونى وكان من رؤس المرية وتبرأ منه أيضا صهره احمد الطبيب وجماعة من المرية وتولته جماعة منهم وبلغنى عنه انه كان يحتج لقوله هذا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وقف على ميت فقال اما هذا فقد قامت قيامته وبانه عليه السلام كانت الاعراب تساله عن الساعة فينظر الى اصغرهم فيخبرهم انه استوفى عن يمت حتى تقوم قيامتهم أو ساعتهم

(قال ابو محمد) وانما عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا قيام الموت فقط بعد ذلك الى يوم البعث كما قال عز وجل * ثم انكم يوم القيامة تبعثون * فنص تعالى على ان البعث يوم القيامة بعد الموت بلفظة ثم التى هى للمهلة وهكذا اخبر عز وجل عن قولهم يوم القيامة * ياويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا * وانه يوم مقداره خمسون الف سنة وانه يحيي العظام ويبعث من فى القبور فى مواضع كثيرة من القرآن وبرهان ضرورى وهو ان الجنة والنار موضعان ومكانان وكل موضع ومكان ومساحة متناهية بحدوده بالبرهان الذى قدمناه على وجوب تناهى الاجسام وتناهى كل ماله عدد وبقول الله تعالى * جنة عرضها السموات والارض * فلولم يكن لتولد الخلق نهاية لكانوا ابدا يحدثون بلا آخر وقد علمنا ان مصيرهم الجنة أو النار ومحال ممتنع غير ممكن ان يسع مالا نهاية له فيما له نهاية من الاماكن فوجب ضرورة ان للخلق نهاية فاذ ذلك واجب فقد وجب تناهى عالم الذر والتناسل ضرورة وانما كلامنا هذا مع من يؤمن بالقرآن وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وادعي الاسلام واما من انكر الاسلام فكلامنا معه على ما رتبناه فى ديواننا هذا من النقض على اهل الالحاد حتى تثبت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وصحة ماجاء به فنرجع اليه بعد التنازع وبالله تعالى التوفيق وقد نص الله تعالى على ان العظام يعيدها ويحييها كما كانت أول مرة واما اللحم فانما هو كسوة كما قال * ولقد خلقنا الانسان

جواز خلوها كما يظنه مثبتوا الخلاء ونقول فى نفى الخلاء ان فرض خلاء خالى فليس هو لاشياء محضا بل هو ذات ماله كم لان كل خلاء يفرض فقد يوجد خلاء آخر أقل منه أو أكثر ويقبل التجزىء فى ذاته والمعدوم والاشىء ليس يوجد هكذا فليس الخلاء لاشىء فهو ذو كم وكل كم اما متصل واما منفصل والمنفصل لذاته عديم الحد المشترك بين أجزائه وقد تقرر فى الخلاء حد مشترك فهو اذا متصل الاجزاء منحازها فى جهات فهو اذا كم ذو وضع قابل للابعاد الثلاثة كالجسم الذى يطابقه وكانه جسم تعليمى مفارق المادة فتقول الخلاء المقدر اما ان يكون موضوعا لذلك المقدار او يكون الوضع والمقدار جزئين من الخلاء والاول باطل فانه اذا رفع المقدار فى التوهم كان الخلاء وحده بلا مقدار وقد فرض انه ذو مقدار فهو خلف وان بقى متقدرا بنفسه فهو مقدار بنفسه لا لمقدار حله وان كان الخلاء مجموع مادة ومقدار فالخلاء اذا جسم فهو ملأ وايضا فان الخلاء يقبل الاتصال والانفصال وكل شىء يقبل الاتصال والانفصال فهو ذو مادة ونقول ان التمانع فى محسوس بين الجسمين وليس التمانع هو من حيث المادة فان المادة من حيث انها مادة لا انحياز لها عن الآخر وانما ينحاز الجسم عن الجسم لاجل صورة البعد فطباع الابعاد ياتى التداخل ويوجب المقاومة أو التنحى وأيضا فان بعدا لو دخل بعدا فاما أن يكونا جميعا موجودين أو معدومين أو أحدهما موجودا والآخر معدوما فان وجدا جميعا فهما أزيد من الواحد وكل ما هو عظيم وهو أزيد فهو أعظم وان عدما جميعا أو وجد أحدهما وعدم الآخر فليس مداخلة فاذا قيل جسم فى خلاء فيكون بعدا فى بعد وذلك محال ويقول فى نفى النهاية عن الجسم ان كل موجود الذات ذا وضع وترتيب فهو متناه فاما أن يكون غير متناه من الاطراف كلها أو غير متناه من طرف فان كان غير متناه من طرف أمكن ان يفصل منه من الطرف المتناهي جزء بالتوهم فيوجد

من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين * الى قوله * فكسونا العظام لحما ثم أنشاناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين * فاخبر عز وجل ان عنصر الانسان انما هو العظام الذى انتقلت عن السلالة التى من طين الى النطفة الى العلقة الى المضغة الي العظام وان اللحم كسوة العظام وهذا أمر مشاهد لان اللحم يذهب بالمرض حتى لا يبقى منه مالا قدر له ثم يكثر عليه لحم آخر اذا خصب الجسم وكذلك اخبرنا عز وجل انه يبدل الخلق فى الآخرة فقال * كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب * وفى الآثار الثابتة ان جلود الكفار تغلظ حتى تكون نيفاً وسبعين ذراعا وان ضرسه فى النار كاحد وكذلك نجد اللحم الذى في جسد الانسان يتغذى به حيوان آخر فيستحيل لحما لذلك الحيوان اذ ينقلب دودا فصح بنص القرآن العظام هى التى تحيي يوم القيامة ومن انكر ماجاء به القرآن فلا حظ له فى الاسلام ونعوذ بالله من الخذلان

﴿الكلام فى خلق الجنة والنار﴾

ذهبت طائفة من المعتزلة والخوارج الى ان الجنة والنار لم يخلقا بعد وذهب جمهور المسلمين الى انهما قد خلقتا وما نعلم لمن قال انهما لم يخلقا بعد حجة أصلا اكثر من ان بعضهم قال قد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال وذكر اشياء من اعمال البر من عملها غرس له فى الجنة كذا وكذا شجرة وبقول الله تعالى حاكيا عن امرأة فرعون انها قالت * رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة * قالوا ولو كانت مخلوقة لم يكن فى الدعاء فى استئناف البناء والغرس معنى (قال أبو محمد) وانما قلنا انهما مخلوقتان على الجملة كما ان الارض مخلوقة ثم يحدث الله تعالى فيها مايشاء من البنيان

(قال ابو محمد) والبرهان على انهما مخلوقتان بعد اخبار النبى صلى الله عليه وسلم انه رأى الجنة ليلة الاسراء واخبر عليه السلام انه رأى سدرة المنتهي فى السماء السادسة وقال تعالى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى * فصح ان جنة المأوى هى السماء السادسة وقد اخبر الله عز وجل انها الجنة التى يدخلها المؤمنون يوم القيامة فقال تعالى * لهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون * فليس لاحد بعد هذا ان يقول انها جنة غير جنة الخلد واخبر عليه السلام انه رأى الانبياء عليهم السلام فى السموات سماء سماء ولا شك فى ان أرواح الانبياء عليهم الصلاة والسلام فى الجنة فصح ان الجنات هى السموات وكذلك اخبر عليه السلام ان الفردوس الاعلى من الجنة التى أمرنا الله تعالى ان نساله اياها فوقها عرش الرحمن والعرش مخلوق بعد الجنة فالجنة مخلوقة وكذلك اخبر عليه السلام ان النار اشتكت الى ربها فاذن لها بنفسين وان ذلك أشد مانجده من الحر والبرد وكان القاضى منذر بن سعيد يذهب الى ان الجنة والنار مخلوقتان الا انه كان يقول انها ليست التى كان فيها آدم عليه السلام وامرأته واحتج فى ذلك

ذلك المقدار مع ذلك الجزء شيئا على حدة وبانفراده شيئا على حدة ثم يطبق بين الطرفين المتناهيين فى التوهم فلا يخلو اما ان يكون بحيث يمتدان معا متطابقين فى الامتداد فيكون الزائد والناقص متساويين وهذا محال وأما أن لا يمتد بل يقصر عنه فيكون متناهيا والفضل ايضا كان متناهيا فيكون المجموع متناهيا فالاصل متناه واما اذا كان غير متناه من جميع الاطراف فلا يبعد ان يفرض ذا مقطع يتلاقى عليه الاجزاء ويكون طرفا ونهاية ويكون الكلام فى الاجزاء والجزئين كالكلام فى الاول وبهذا يتاتي البرهان على أن العدد المترتب لذات الوجود بالفعل متناه وان مالا يتناهي بهذا الوجه هو الذى اذا وجد وفرض انه يحتمل زيادة ونقصانا وجب أن يلزم ذلك محال وأما اذا كانت أجزاء لا تتناهى وليست معا وكانت فى الماضى والمستقبل فغير ممتنع وجودها واحدا قبل آخر أو بعده لا معا أو كانت ذات عدد غير مترتب فى الوضع ولا فى الطبع فلا مانع عن وجوده معا وذلك ان مالا ترتيب له فى الوضع أو الطبع فلن تحتمل الانطباق وما لا وجود له معا فقيه أبعد ويقول فى اثبات القوى الجسمانية ونفى التناهى عن القوى الغير الجسمانية قال الاشياء التى يمتنع فيها وجود الغير المتناهى بالفعل فليس يمتنع فيها من جميع الوجوه فان العدد لا يتناهى أى بالقوة وكذلك الحركات لا تتناهى بالقوة لا القوة التى تخرج الى الفعل بل بمعنى أن الاعداد يمكنها أن تتزايد فلا يقف عند نهاية أخيرة واعلم أن القوى تختلف فى الزيادة باشياء والنقصان بالاضافة الى شدة ظهور الفعل عنها أو الى عدة مايظهر عنها أو الى مدة بقاء الفعل وبينهما فرقان بعيد فان كل مايكون زائدا بنوع الشدة يكون ناقصا بنوع المدة وكل قوة حركتها أشد فمدة حركتها أقصر وعدة حركتها أقصر ولا يجوز ان يكون قوة غير متناهية بحسب اعتبار الشدة لان مايظهر من الاحوال القابلة لها لا يخلو اما أن يقبل الزيادة على ماظهر فيكون

متناهية عليه زيادة فيما أخذه وأما أن لا يقبل فهو النهاية فى الشدة فتلك قوة جسمانية متجزئة ومتناهية وأما الكلام فى الجهات فمن المعلوم انا لو فرضنا خلاء فقط أو ابعادا أو جسما غير متناه فلا يمكن أن يكون للجهات المختلفة بالنوع وجود البتة فلا يكون فوق وسفل ويمين ويسار وقدام وخلف فالجهات انما هى تتصور فى أجسام متناهية فتكون الجهات أيضا متناهية ولذلك يتحقق اليها الاشارة ولذاتها الاختصاص وانفراد عن جهة أخرى واذا كانت الاجسام كرية (٦٩) فيكون تحدد الجهات على سبيل المحيط والمحاط والتضاد فيها على سبيل المركز والمحيط واذا كان الجسم المحدد محيطا كفى لتحديد الطرفين لان الاحاطة تثبت المركز فثبتت غاية القرب منه وغاية البعد منه من غير حاجة الى جسم آخر واما ان فرض محاطا لم يتحدد به وحده الجهات لان القرب يتحدد به والبعد منه يتحدد بجسم آخر لاخلاء وذلك لا ينتهى لا محالة الى محيط ويجب ان يكون الاجسام المستقيمة الحركة لا يتاخر عنها وجود الجهات لامكنتها وحركاتها بل الجهات تحصل بحركاتها فيجب ان يكون الجسم الذى يتحدد الجهات اليه جسما متقدما عليها او يكون احدى الجهات بالطبع غاية القرب منه وهو الفوق ويقابله غاية البعد منه وهو السفل وهذان بالطبع وسائر الجهات لا تكون واجبة فى الاجسام بما هى أجسام بل بما هى حيوانات فيتميز فيها جهة القدام الذى اليه الحركة الاختيارية واليمين الذى منه مبدأ القوة والفوق اما بقياس فوق العالم واما الذى اليه اول حركة النشور ومقابلاتها الخلف واليسار والسفل والفوق والسفل محدودان بطرف البعد الذى الاولى ان يسمى طولا واليمين واليسار بما الاولى ان يسمى عرضا والقدام والخلف بما الاولى ان يسمى عمقا . المقابلة الثانية . فى الامور الطبيعية للاجسام وغير الطبيعية ومن المعلوم ان الاجسام تنقسم الى بسيطة ومركبة وان لكل جسم حيزا ما ضرورة فلا يخلو اما أن يكون كل حيز له طبيعيا أو منافيا لطبيعته

باشياء منها انه لو كانت جنة الخلد لما اكل من الشجرة رجاء ان يكون من الخالدين واحتج أيضا بان جنة الخلد لا كذب فيها وقد كذب فيها ابليس وقال من دخل الجنة لم يخرج منها وآدم وامرأته عليهما السلام قد خرجا منها

(قال أبو محمد) كل هذا لا دليل له فيه اما قوله ان آدم عليه السلام اكل من الشجرة رجاء ان يكون من الخالدين فقد علمنا ان اكله من الشجرة لم يكن ظنه فيه صوابا ولا اكله لها صوابا وانما كان ظنا ولا حجة فيما كان هذه صفته والله عز وجل لم يخبره بانه مخلد فى الجنة بل قد كان في علم الله تعالى انه سيخرجه منها فاكل عليه السلام من الشجرة رجاء الخلد الذى لم يضمن ولا تيقن به لنفسه وأما قوله ان الجنة لا كذب فيها وان من دخلها لم يخرج منها وقد كذب فيها ابليس وقد خرج منها آدم وامرأته فهذا لا حجة له فيه وانما تكون كذلك اذا كانت جزاء لاهلها كما اخبر عز وجل عنها حيث يقول * لا تسمع فيها لاغية * فانما هذا على المستانف لا على ما سلف ولا نص معه على ما ادعى ولا اجماع واحتج أيضا بقول الله عز وجل لآدم عليه السلام * ان لك ألا تجوع فيها ولا تعرى * قال وقد عرى فيها آدم عليه السلام

(قال ابو محمد) وهذا لا حجة فيه بل هو حجة عليه لان الله عز وجل وصف الجنة التى اسكن فيها آدم بانها لا يجاع فيها ولا يعرى ولا يظما فيها ولا يضحى وهذه صفة الجنة بلا شك وليس فى شىء مما دون السماء مكان هذه صفته بلا شك بل كل موضع دون السماء فانه لا بد ان يجاع فيه ويعرى ويظما ويضحى ولا بد من ذلك ضرورة فصح انه انما سكن المكان الذى هذه صفته وليس هذا غير الجنة البتة وانما عرى آدم حين اكل من الشجرة فاهبط عقوبة له وقال أيضا قال الله عز وجل * لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا * واخبر آدم انه لا يضحى

(قال ابو محمد) وهذا أعظم حجة عليه لانه لو كان فى المكان الذى هو فيه شمس لاضحى فيه ولا بد فصح ان الجنة التى اسكن فيها ادم كانت لا شمس فيها فهى جنة الخلد بلا شك وأيضا فان قوله عز وجل * اسكن انت وزوجك الجنة * اشارة بالالف واللام ولا يكون ذلك الا الى معهود ولا تنطلق الجنة هكذا الا على جنة الخلد ولا ينطلق هذا الاسم على غيرها الا بالاضافة وأيضا فلو اسكن آدم عليه السلام جنة فى الارض لما كان فى اخراجه منها الى غيرها من الارض عقوبة بل قد بين تعالى انها ليست فى الارض بقوله تعالى * اهبطوا منها جميعا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الارض مستقر ومتاع الى حين * فصح يقينا بالنص انه قد اهبط من الجنة الى الارض فصح انها لم تكن في الارض البتة وبالله تعالى التوفيق

﴿الكلام فى بقاء اهل الجنة والنار ابدا﴾

(قال ابو محمد) اتفقت فرق الامة كلها على أنه لا فناء للجنة ولا لنعيمها ولا للنار ولا لعذابها

اولاطبيعياولا منافيا اوبعضه طبيعياو بعضه منافياو يبطل ان يكون كل حيزله طبيعيا لانه يلزم منه ان يكون مفارقة كل مكان لهخارجاعن طبعه او التوجه الى كل مكان له ملائمالطبعه وليس الامر كذلك فهو خلف وبطل ان يكون كل حيزمنافيا لطبعه لانه يلزم منه ان لايسكن جسم البتة بالطبع ولايتحرك ايضاو كيف يسكن اويتحرك بالطبع وكل مكان منافى لطبعه وبطل ان يكون كل مكان لاطبيعيا ولامنافيا لانا اذا اعتبرنا الجسم على حالته وقد ارتفع عنه العوارض فحينئذ لابدله من حيز يختص به ويتحيزاليه وذلك هو حيزه الطبيعى فلايزول عنه الا بقسر قاسر ويتعين القسم الرابع ان بعض الاحيازله طبيعى وبعضه غيرطبيعى وكذلك يقول فى الشكل ان لكل جسم شكلا اما بالضرورة لتناهى حدوده وكل شكل فاما طبيعي له او بقسر قاسر واذا رفعت القواسر فى التوهم واعتبرت الجسم من حيث هو جسم وكان فى نفسه متشابه الاجزاء فلابد ان يكون شكله كرويا لان فعل الطبيعة فى المادة واحد متشابه فلا يمكن ان يفعل فى جزء زاوية وفى جزء خطا مستقيما او منحنيا فينبغى ان يتشابه الاجزاء فيجب ان يكون الشكل كرويا واما المركبات فقد يكون اشكالها غير كروية لاختلاف أجزائها فالاجسام السموية كلها كروية واذا تشابهت اجزاؤها وقواها كان حيزها الطبيعى وجهاتها واحدة فلايتصور ارضان فى وسطين فى عالمين ولاناران فى افقين بل لايتصور عالمان لانه قد ثبت ان العالم باسره كروى الشكل فلوقدرنا كرويان احدهما بجنب الآخر كان بينهما خلاء ولايتصلان الا بجزء واحد لاينقسم وقد تقدم استحالة الخلاء واما الحركة فمن المعلوم ان كل جسم اعتبر ذاته من غير عارض بل من حيث هو جسم فى حيز فهو اما ان يكون متحركا اواما ان يكون ساكنا وذلك مانعنيه بالحركة الطبيعية والسكون الطبيعي فيقول ان كان الجسم بسيطا كانت اجزاؤه متشابهة واجزاء مايلاقيه

الاجهم بن صفوان واباالهذيل العلاف وقوما من الروافض فاما جهم فقال ان الجنة والنار يفنيان ويفنى اهلهما وقال ابو الهذيل ان الجنة والنار لايفنيان ولا يفنى اهلهما الا ان حركاتهم تفنى ويبقون بمنزلة الجماد لايتحركون وهم فى ذلك احياء متلذذون أو معذبون وقالت تلك الطائفة من الروافض ان أهل الجنة يخرجون من الجنة وكذا أهل النار من النار الى حيث شاء الله (قال ابو محمد) أما هذه المقالة ففى غاية الغثاثة والتعرى من شيء يشغب به فكيف من اقناع أو برهان وما كان هكذا فهو ساقط واما قول ابي الهذيل فانه لاحجة له الا انه قال كلما احصاه العدد فهو ذو نهاية ولابد والحركات ذات عدد فهى متناهية

(قال ابو محمد) فظن أبو الهذيل لجهله بحدود الكلام وطبائع الموجودات أن مالم يخرج الى الفعل فانه يقع عليه العدد وهذا خطا فاحش لان مالم يخرج الى الفعل فليس شيئا ولا يجوز أن يقع العدد الاعلي شيء وانما يقع العدد علي ماخرج الى الفعل من حركات أهل النار والجنة متى ماخرج فهو محدود متناه وهكذا ابدا وقد احكمنا هذا المعنى فى أول هذا الكتاب فى باب ايجاب حدوث العالم وتناهي الموجودات فاغنى عن اعادته وبالله تعالى التوفيق فبطل ماموه به أبو الهذيل ولله الحمد ثم نقول ان قوله هذا خلاف الاجماع المتيقن وأيضا فان الذى فرمنه فى الحركات فانه لازم له فى مدد سكونهم وتنعمهم وتالمهم لانه مقر بانهم يبقون ساكنين متنعمين متالمين بالعذاب وبالضرورة ندرى ان للسكون والنعيم والعذاب مددا يعد كل ذلك كماتعد الحركة ومددها ولا فرق وأيضا فلوكان ماقاله ابو الهذيل صحيحا لكان أهل الجنة فى عذاب واصب وفى صفة المخدور والمفلوج ومن أخذه الكابوس ومن سقى البنج وهذا غاية النكد والشقاء ونعوذ بالله من هذا الحال وأما جهم بن صفوان فانه احتج بقول الله تعالى * واحصى كل شيء عددا * وبقوله تعالى * كل شيء هالك الا وجهه * وقال كما لا يجوز أن يوجد شيء لم يزل غير الله تعالى فكذلك لا يجوز أن يوجد شيء لايزال غير الله تعالى

(قال أبو محمد) مانعلم له حجة غير هذا أصلا وكل هذا لاحجة له فيه اما قوله تعالى * كل شيء هالك الا وجهه * فانما عنى تعالى الاستحالة من شيء الى شيء ومن حال الى حال وهذا عام لجميع المخلوقات دون الله تعالى وكذلك مدد النعيم فى الجنة والعذاب فى النار كلما فنيت مدة أحدث الله عزوجل اخرى وهكذا أبدا بلانهاية ولا آخر يدل علي هذا ماذكره بعد ان شاء الله تعالى من الدلائل علي خلود الجنة والنار وأهلها وأما قوله تعالى * واحصى كل شيء عددا * فان اسم الشيء لايقع الاعلي موجود والاحصاء لايقع علي ماذكرنا الاعلي ماخرج الى الفعل ووجد بعد واذا لم يخرج من الفعل فهو لاشيء بعد ولا يجوز ان يعد لاشيء وكل ماخرج الى الفعل من مدة بقاء الجنة والنار وأهلهما فمحصى بلاشك ثم يحدث الله تعالى لهم مددا آخر وهكذا ابدا بلانهاية ولا آخر وقالوا هل احاط الله تعالى علما بجميع مدة الجنة والنار أم لا فان قلتم لا جهلتم الله وان قلتم نعم جعلتم مدتها محاطا بها وهذا هو التناهي نفسه

واجزاء مكانه كذلك فلم يكن بعض الاجزاء اولى بان يختص ببعض اجزاء المكان من بعض فلم يجب ان يكون شيء منها له طبيعيا فلا يمتنع ان يكون على غير ذلك الطبع بل في طباعه ان يزول عن ذلك الوضع او الاين بالقوة وكل جسم لاميل له في طبعه فلا يقبل الحركة عن سبب خارج فبالضرورة في طباعه حركة ما اما لكله واما لاجزائه حتى يكون متحركا في الوضع بحركة الاجزاء واذا صح ان كل قابل تحريك ففيه مبدؤ ميل ثم لا يخلو اما ان يكون على الاستقامة (٧١) او على الاستدارة والاجسام السموية لاتقبل الحركة المستقيمة كما سبق فهي متحركة على الاستدارة وقد بينا استناد حركاتها الى مبادئها واما الكيف فيقول اولا ان الاجسام السموية ليست موادها مشتركة بل هي مختلفة بالطبع كما ان صورها مختلفة ومادة الواحدة منها لا يصلح ان يتصور بصورة الاخرى ولو امكن ذلك كذلك لقبلت الحركة المستقيمة وهو محال فلها طبيعة خامسة مختلفة بالنوع بخلاف طبائع العناصر فان مادتها مشتركة وصورها مختلفة وهي تنقسم الى حار يابس كالنار والى حار رطب كالهواء والى بارد رطب كالماء والى بارد يابس كالارض وهذه ارض فيها لاصور ويقبل الاستحالة بعضها الى بعض ويقبل النمو والذبول ويقبل الآثار من الاجسام السموية اما الكيفيات فالحرارة والبرودة فاعلتان فالحار هو الذى يغير جسما آخر بالتحليل والخلخلة بحيث يؤلم الحاس منه والبارد هو الذى يغير جسما بالتعقيد والتكثير بحيث يؤلم الحاس منه واما الرطوبة واليبوسة فمنفعلتان فالرطب هو سهل القبول للتفريق والجمع والتشكيل والدفع واليابس هو عسر القبول لذلك فبسائط الاجسام المركبة تختلف وتتمايز بهذه القوى الاربع ولا يوجد شيء منها عديما لواحدة من هذه وليست هذه صورا مقومة للاجسام لكنها اذا تركت طباعها ولم يمنعها مانع من خارج ظهر منها اما سكون او ميل او حركة فلذلك قيل قوة طبيعية وقيل النار حارة بالطبع

(قال ابو محمد) ان الله تعالى انما يعلم بالاشياء على ما هي عليه لان من علم الشيء على خلاف ما هو عليه فهو جاهل به مخطيء في اعتقاده ظان للباطل وليس علما ولا حقا ولا هو عالم به وهذا ما لا شك فيه وعلم الله عز وجل هو الحق اليقين على ما هي معلوماته عليه فكل ما كان ذا نهاية فهو في علم الله تعالى ذو نهاية ولا سبيل الى غير هذا البتة وليس للجنة والنار مدد غير متناهية محاط بها وانما لهما مدد كل ما خرج منها الى الفعل فهو محصى محاط بعدده وما لم يخرج الى الفعل فليس بمحصى لكن علم الله تعالى احاطانه لانهاية لهما واما قوله كما لا يجوز ان يوجد شيء غير الله تعالى لانهاية له لم يزل فان هذه قضية فاسدة وقياس فاسد لا يصح والفرق بينهما ان اشياء ذوات عدد لا اول لها ولم تزل لا يمكن ان تتوهم البتة ولا يشكك بل هي محال في الوجود كما ذكرنا في الرد على من قال بان العالم لم يزل فاغنى عن اعادته وليس كذلك قولنا لا يزال لان احداث الله تعالى شيئا بعد شيء ابدا بلا غاية متوهم ممكن لا حوالة فيه فقياس الممكن المتوهم على المتمنع المستحيل الذى لا يتوهم باطل عند القائلين بالقياس فكيف عند من لا يقول به فان قال قائل ان كل ما ماله اول فله آخر قلنا له هذه قضية فاسدة ودعوى مجردة وما وجب هذا قط لا بقضية عقل ولا بخبر لان كون الموجودات لها اوائل معلوم بالضرورة لان ما وجد بعد فقد حصره عدد زمان وجوده وكل ما حصره عدد فلذلك العدد اول ضرورة وهو قولنا واحد ثم يتمادى العدد ابدا فيمكن الزيادة بلا نهاية وتمادي الموجود بخلاف المبدأ لانه اذا أبقى وقتا جاز ان يبقى وقتين وهكذا ابدا بلا نهاية وكل ما خرج من مدد البقاء الى حد الفعل فذو نهاية بلا شك كذلك من العدد ايضا ولم نقل ان بقاء الناس في هذه الدنيا لانهاية الا من طريق النص ولو اخبر الله تعالى بذلك لامكن وجاز ان تبقى الدنيا ابدا بلا نهاية ولكن الله تعالى قادرا على ذلك ولكن النص لا يحل خلافه وكذلك لولا اخبار الله تعالى لحل احترامها وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) والبرهان على بقاء الجنة والنار بلا نهاية قول الله تعالى * خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ * وقوله تعالى في غير موضع من القرآن * خالدين فيها ابدا * وقوله تعالى * لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى * مع صحة الاجماع بذلك وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) وروينا عن عبد الله بن عمرو بن العاص لو اقام اهل النار في النار ما شاء الله ان يبقوا لكان لهم على ذلك يوم يخرجون فيه منها

(قال ابو محمد) وهذا انما هو في اهل الاسلام الداخلين في النار بكبائرهم ثم يخرجون منها بالشفاعة ويبقى ذلك المكان خاليا ولا يحل لاحد ان يظن في الصالحين الفاضلين خلاف القرآن وحاشا لهما من ذلك وبالله تعالى التوفيق ثم كتاب الايمان والوعيد وتوابعه بحمد الله وشكره على حسن تاييده وعونه وصلي الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

لا اله الا الله عدة للقائه

(الكلام فى الامامة والمفاضلة بين الصحابة)

قال الفقيه الامام الاوحد ابو محمد علي بن أحمد بن حزم رضى الله عنه اتفق جميع أهل السنة وجميع المرجئة وجميع الشيعة وجميع الخوارج على وجوب الامامة وان الامة واجب عليها الانقياد لامام عادل يقيم فيهم احكام الله ويسوسهم باحكام الشريعة التى اتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم حاشا النجدات من الخوارج فانهم قالوا لا يلزم الناس فرض الامامة وانما عليهم ان يتعاطوا الحق بينهم وهذه فرقة ما نرى بقى منهم احد وهم المنسوبون الى نجدة بن عمير الحنفى القائم باليمامة

(قال ابو محمد) وقول هذه الفرقة ساقط يكفى من الرد عليه وابطاله اجماع كل من ذكرنا على بطلانه والقرآن والسنة قد ورد بايجاب الامام من ذلك قول الله تعالى * أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم * مع أحاديث كثيرة صحاح فى طاعة الائمة وايجاب الامامة وأيضا فان الله عز وجل يقول * لا يكلف الله نفسا إلا وسعها * فوجب اليقين بان الله تعالى لا يكلف الناس ما ليس فى بنيتهم واحتمالهم وقد علمنا بضرورة العقل وبديهته ان قيام الناس بما أوجبه الله تعالى من الاحكام عليهم فى الاموال والجنايات والدماء والنكاح والطلاق وسائر الاحكام كلها ومنع الظالم وانصاف المظلوم وأخذ القصاص على تباعد اقطارهم وشواغلهم واختلاف آرائهم وامتناع من تحرى فى كل ذلك ممتنع غير ممكن اذ قد يريد واحد أو جماعة ان يحكم عليهم انسان ويريد آخر أو جماعة أخرى أن لا يحكم عليهم اما لانها ترى فى اجتهادها خلاف ما رأى هؤلاء واما خلافا مجردا عليهم وهذا الذى لا بد منه ضرورة وهذا مشاهد فى البلاد التى لا رئيس لها فانه لا يقام هناك حكم حق ولا حد حتى قد ذهب الدين فى اكثرها فلا تصح اقامة الدين الا بالاسناد الى واحد أو الى اكثر من واحد فاذ لا بد من احد هذين الوجهين فان الاثنين فصاعدا بينهما او بينهم ما ذكرنا فلا يتم امر البتة فلم يبق وجه تتم به الامور الا الاسناد الى واحد فاضل عالم حسن السياسة قوى على الانفاذ الا انه وان كان بخلاف ما ذكرنا فالظلم والاهمال معه اقل منه مع الاثنين فصاعدا واذ ذلك كذلك ففرض لازم لكل الناس ان يكفوا من الظلم ما امكنهم ان قدروا على كفه كله لزمهم ذلك

والسماء متحركة بالطبع فعرفت الاحياز الطبيعية والاشكال الطبيعية والحركات الطبيعية والكيفيات الطبيعية وعرفت ان اطلاق الطبيعية عليها باى وجه فيقول بعد ذلك ان العناصر قابلة للاستحالة والتغير وبينها مادة مشتركة والاعتبار فى ذلك بالمشاهدة فانا نرى الماء العذب انعقد حجرا جامدا والحجر يكلس فيعود رمادا وتذيبه الحيلة حتى تصير ماء فالمادة مشتركة بين الماء والارض ونشاهد هواء صحوا يغلظ دفعة فيستحيل اكثره أو كله ماء وبردا وثلجا وتضع الجمد فى كوز صفر وتجد من الندى المجتمع على سطحه كالقطر ولا يمكن أن يكون ذلك بالرشح لانه ربما كان ذلك حيث لا يماسه الجمد وكان فوق مكانه ثم لا تجد مثله اذا كان حارا او الكوز مملوءا ويجتمع مثل ذلك داخل الكوز حيث لا يماسه الجمد وقد يدفن القدح فى جمد محفور حفرا مهندما ويسد رأسه عليه فيجتمع فيه ماء كثير وان وضع فى الماء الحار الذي يغلى مدة واستد رأسه لم يجتمع شىء وليس ذلك الا لان الهواء الخارج أو الداخل قد استحال ماء فبين الماء والهواء مادة مشتركة وقد يستحيل الهواء نارا وهو ما نشاهد من آلات حاقنة مع تحريك شديد على صورة المنافخ فيكون ذلك الهواء بحيث يشتعل فى الخشب وغيره وليس ذلك على طريق الانجذاب لان النار لا تتحرك الا على الاستقامة الى العلو ولا على طريق الكمون اذ من المستحيل أن يكون فى ذلك الخشب من النار الكامنة ماله ذلك القدر الذى فى الجمرة ولا يحرق والكمون أجمع لها والا والمنتشر أضعف تاثيرا من المشتعل فتبين انه هواء اشتعل نارا فبين النار والهواء مادة مشتركة ويقول ان العناصر قابلة للكبر والصغر فلها مادة مشتركة اذ قد تحقق ان المقدار عرض فى الهيولى والكبر والصغر اعراض فى الكميات وقد نشاهد ذلك اذا اغلى الماء انتفخ وتخلخل والخمر ينتفخ في الدن حتى يتصدع عند الغليان وكذلك القمقمة الصياحة وهى اذا كانت مسدودة

والا فكيف ماقدروا على كفه منه ولو قضية واحدة لايجوز غير ذلك ثم اتفق من ذكرنا ممن يرى فرض الامامة على انه لايجوز كون امامين فى وقت واحد فى العالم ولا يجوز الامام واحد الا محمد بن كرام السجستانى وابا الصباح السمرقندى واصحابهما فانهم اجازوا كون امامين فى وقت واكثر فى وقت واحد واحتج هؤلاء بقول الانصار ومن قال منهم يوم السقيفة للمهاجرين منا امير ومنكم امير واحتجوا ايضا بامر على والحسن مع معاوية رضى الله عنهم

(قال أبو محمد) وكل هذا لاحجة لهم فيه لان قول الانصار رضى الله عنهم ماذكرنا لم يكن صوابا بل كان خطأ اذ اداهم اليه الاجتهاد وخالفهم فيه المهاجرون ولا بد اذا اختلف القائلان على قولين متنافيين من ان يكون احدهما حقا والآخر خطأ واذ ذلك كذلك فواجب رد ماتنازعوا فيه الى ما افترض الله عز وجل الرد اليه عند التنازع اذ يقول الله تعالى * فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر * فنظرنا فى ذلك فوجدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال اذا بويع لامامين فاقتلوا الاخر منهما وقال تعالى * ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا * وقال تعالى * ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم * فحرم الله عز وجل التفرق والتنازع واذا كان امامان فقد حصل التفرق المحرم فوجد التنازع ووقعت المعصية لله تعالى وقلنا مالا يحل لنا وامامن طريق النظر والمصلحة فلو جاز ان يكون فى العالم امامان لجاز ان يكون فيه ثلاثة واربعة واكثر فان منع من ذلك مانع كان متحكما بلا برهان ومدعيا بلا دليل وهذا الباطل الذى لا يعجز عنه احد وان جاز ذلك زاد الامر حتى يكون فى العالم امام اوفى كل مدينة امام اوفى كل قرية امام او يكون كل احد اماما وخليفة فى منزله وهذا هو الفساد المحض وهلاك الدين والدنيا فصح ان قول الانصار رضى الله عنهم وهلة وخطأ رجعوا عنه الى الحق وعصمهم الله تعالى من التمادى عليه واما أمر على والحسن ومعاوية فقد صح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه انذر بخارجة تخرج من طائفتين من امته يقتلها اولى الطائفتين بالحق فكان قاتل تلك الطائفة على رضى الله عنه فهو صاحب الحق بلا شك وكذلك انذر عليه السلام بان عمارا تقتله الفئة الباغية فصح ان عليا هو صاحب الحق وكان على السابق الى الامامة فصح بعد انه صاحبها وان من نازعه فيها فمخطىء فمعاوية رحمه الله مخطىء ماجور مرة لانه مجتهد ولا حجة فى خطأ المخطىء فبطل قول هذه الطائفة وأيضا فان قول الانصار رضى الله عنهم منا امير ومنكم امير يخرج على انهم انما ارادوا ان يلى وال منهم فاذا مات ولى من المهاجرين اخر وهكذا ابدا لا على ان يكون امامان فى وقت وهذا هو الاظهر من كلامهم واما على ومعاوية رضى الله عنهما فما سلم قط احدهما للاخر بل كل واحد منهما يزعم انه المحق وكذلك كان الحسن رضى الله عنه الى ان

الرأس مملوءة بالماء فاوقدت النار تحتها انكسرت وتصدعت ولا سبب له الا ان الماء صار اكبر مما كان ولا جائز ان يقال ان النار طلبت جهة الفوق وطعم الآنية كان ينبغى ان ترفع الاناء وتطيره لا ان تكسره اذا كان الاناء صلبا خفيفا كان رفعه أسهل من كسره فتعين ان السبب انبساط الماء فى جميع الجوانب ودفعه سطح الاناء الى الجوانب فينفس الموضع الذى كان اضعف وله امثلة اخرى تدل على ان المقدار يزيد و ينقص و يقول ان العناصر قابلة للتاثيرات السماوية اما (٧٣) الآثار المحسوسة فمثل نضج الفواكه ومد البحار واظهرها الضوء والحرارة بواسطة الضوء والتحريك الى فوق بتوسط الحراره والشمس ليست بحارة ولا متحركة الى فوق وانما تاثيراتها ممدات المادة فى قبول الصورة من واهب الصور وقد يكون للقوى الفلكية تاثيرات خارجة من العنصريات والا فكيف يبرد الافيون أقوى مما يبرد الماء والجزء البارد فيه مغلوب بالتركيب مع الاضداد وكيف يفعل ضوء الشمس فى عيون العشى والنباتات بادنى تسخين ما لا تفعله النار بالتسخين يكون فوقه فتبين ان العناصر كيف قبلت الاستحالة والتغير والتاثير وتبين ماهيات العنصر والجوهر * المقالة الثالثة فى المركبات اوالآثار العلوية * قال ابن سينا ان العناصر الاربعة عساها لا توجد كلياتها صرفة بل يكون فيها اختلاط و يشبه ان يكون النار ابسطها فى موضعها ثم الارض اما النار فلان ما يخالطها يستحيل اليها لقوتها واما الارض فلان نفوذ قوى ما يحيط بها فى كليتها باسرها كالقليل وعسى ان يكون باطنها القريب من المركز قريب من البساطة ثم الارض على طبقات الطبقة القريبة من المركز والثانية الطين والثالثة بعضها و بعضها طين جففته الشمس وهو البر والسبب فى ان الماء غير محيط بالارض ان الارض ينقلب ماء فتحصل وهدة والماء يستحيل ارضا فتحصل ربوة والارض صلب وليس بسيال كالماء والهواء حتى ينصب بعض اجزائه الى بعض

اسلم الامر الي معاوية فاذ هذا كذلك فقد صح الاجماع على بطلان قول ابن كرام وابي الصباح و بطل ان يكون لهم تعلق في شيء اصلا و بالله تعالى التوفيق ثم اختلف القائلون بوجوب الامامة على قريش فذهب اهل السنة وجميع الشيعة و بعض المعتزلة وجمهور المرجئة الى ان الامامة لاتجوز الا فى قريش خاصة من كان من ولد فهر بن مالك وانها لاتجوز فيمن كان ابوه من غير بنى فهر بن مالك وان كانت امه من قريش ولا في حليف ولا في مولى وذهبت الخوارج كلها وجمهور المعتزلة وبعض المرجئة الى انها جائزة فى كل من قام بالكتاب والسنة قرشيا كان او عربيا او ابن عبد وقال ضرار بن عمرو الغطفانى اذا اجتمع حبشي وقرشي كلاهما قائم بالكتاب والسنة فالواجب ان يقدم الحبشي لانه اسهل لخلعه اذا حاد عن الطريقة

(قال ابو محمد) و بوجوب الامامة فى ولد فهر ابن مالك خاصة نقول بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان الائمة من قريش وعلى ان الامامة فى قريش وهذه رواية جاءت مجيء التواتر ورواها انس ابن مالك وعبد الله ابن عمر بن الخطاب ومعاوية وروى جابر بن عبد الله وجابر بن سمرة وعبادة بن الصامت معناها ومما يدل على صحة ذلك اذعان الانصار رضى الله عنهم يوم السقيفة وهم اهل الدار والمنعة والعدد والسابقة فى الاسلام رضى الله عنهم ومن المحال ان يتركوا اجتهادهم لاجتهاد غيرهم لولا قيام الحجة عليهم بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان الحق لغيرهم فى ذلك فان قال قائل ان قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الائمة من قريش يدخل فى ذلك الحليف والمولى وابن الاخت لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم مولى القوم منهم ومن انفسهم وابن اخت القوم منهم فالجواب و بالله تعالى التوفيق ان الاجماع قد تيقن وصح على ان حكم الحليف والمولى وابن الاخت كحكم من ليس له حليف ولا مولى ولا ابن اخت فمن اجاز الامامة فى غير هؤلاء جوزها فى هؤلاء ومن منعها من غير قريش منعها من الحليف والمولي وابن الاخت فاذا صح البرهان بان لايكون الا فى قريش لا فيمن ليس قرشيا صح بالاجماع ان حليف قريش ومولاهم وابن اختهم كحكم من ليس قرشيا و بالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) وقال قوم ان اسم الامامة قد يقع على الفقيه العالم وعلى متولى الصلاة باهل مسجد ما قلنا نعم لا يقع على هؤلاء الا بالاضافة لا بالاطلاق فيقال فلان امام فى الدين وامام بنى فلان فلا يطلق لاحدهم اسم الامامة بلا خلاف من احد من الامة الا على المتولى لامور اهل الاسلام فان قال قائل بان اسم الامارة واقع بلا خلاف على من ولى جهة من جهات المسلمين وقد سمى بالامارة كل من ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم جهة من الجهات او سرية او جيشا وهؤلاء مؤمنون فما المانع من ان يوقع على كل واحد اسم أمير المؤمنين فجوابنا و بالله تعالى التوفيق ان الكذب محرم بلا خلاف وكل ما ذكرنا قائما هو امير لبعض

ويتشكل بالاستدارة واما الهواء فهو اربع طبقات طبقة تلي الارض فيها مائة من البخارات وحرارة لان الارض تقبل الضوء من الشمس فيتعدى الحرارة الى ما يجاورها وطبقة لا يخلو عن رطوبة بخارية ولكن أقل حرارة وطبقة هي هواء صرف صافي وطبقة دخانية لان الادخنة ترتفع الى الهواء وتقصد مركز النار فيكوون كالمنتشر فى السطح الاعلي من الهواء الى ان يتصعد (٧٤) فيحترق وأما النار فانها طبقة واحدة ولا ضوء لها بل هي كالهواء المشف الذى لا لون له وان رأى لون النار فهي بما يخالطها من الدخان صارت ذات لون ثم فوق النار الاجرام العالية الفلكية والعناصر بطبقاتها طوعها والكائنات الفاسدات تتولد من تاثيراتها والفلك وان لم يكن حارا ولا باردا فانه ينبعث منه فى الاجرام السفلية حرارة وبرودة بقوى تفيض منه اليها ونشاهد هذا من احراق شعاعه المنعكس عن المرآى ولو كان سبب الاحراق حرارة الشمس دون شعاعه لكان كل ما هو اقرب الى العلو أسخن بل سبب الاحراق التفات شعاع الشمس المسخن لما يلتفت به فيسخن الهواء فالفلك اذا هيج باسخانه للحرارة بخر من الاجسام المائية ودخن من الاجسام لارضية واثار شيئا بين الغبار والدخان من الاجسام المائية والارضية والبخار أقل مسافة صعود من الدخان لان الماء اذا سخن صار حارا رطبا والاجزاء الارضية اذا سخنت ولطفت كان حارة يابسة والحار الرطب اقرب الى طبيعة الهواء والحار اليابس أقرب الى طبيعة النار والبخار لا يجاوز مركز الهواء بل اذا وافى منقطع تاثير الشعاع برد وكثف والدخان فانه يتعدى حيز الهواء حتى يوافى تخوم النار واذا احتبسا فيهما حدثت كائنات أخر فالدخان اذا وافى حيز النار اشتعل واذا اشتعل فربما سعى فيه الاشتعال فرأى كانه كوكب يقذف به وربما احترق وثبت فيه الاحتراق فرأيت العلامات الهائلة الحمر والسود وربما كان غليظا ممتدا وثبت فيه الاشتعال ووقف تحت كوكب ودارت به النار بدوران الفلك

المؤمنين لا كلهم فلو سمي أمير المؤمنين لكان مسميه بذلك كاذبا لان هذه اللفظة تقتضي عموم جميع المؤمنين وهو ليس كذلك وانما هو أمير بعض المؤمنين فصح انه ليس يجوز البتة ان يوقع اسم الامامة مطلقا ولا اسم أمير المؤمنين الا على القرشي المتولي لجميع أمور المؤمنين كلهم او الواجب له ذلك وان عصاه كثير من المومنين وخرجوا عن الواجب عليهم من طاعته المفترض عليهم من بيعته فكانوا بذلك فئة باغية حلالا قتالهم وحربهم وكذلك اسم الخلافة باطلاق لا يجوز أيضا الا لمن هذه صفته وبالله التوفيق واختلف القائلون بان الامامة لا تجوز الا في صلبة قريش فقالت طائفة هي جائزة في جميع ولد فهر بن مالك فقط وهذا قول اهل السنة وجمهور المرجئة وبعض المعتزلة وقالت طائفة لا تجوز الخلافة الا في ولد العباس بن عبد المطلب وهو قول الراوندية وقالت طائفة لا تجوز الخلافة الا في ولد علي ابن ابي طالب ثم قصروها على عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن ابي طالب وبلغنا عن بعض بني الحارث بن عبد المطلب انه كان يقول لا تجوز الخلافة الا في بني عبد المطلب خاصة ويراها في جميع ولد عبد المطلب وهم ابو طالب وابو لهب والحارث والعباس وبلغنا عن رجل كان بالاردن يقول لا تجوز الخلافة الا في بني أمية بن عبد شمس وكان له في ذلك تاليف مجموع ورأينا كتابا مؤلفا لرجل من ولد عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحتج فيه بان الخلافة لا تجوز الا لولد ابي بكر وعمر رضي الله عنهما

(قال ابو محمد) فاما هذه الفرق الاربع فما وجدنا لهم شبهة يستحق ان يشتغل بها الا دعاوى كاذبة لا وجه لها وانما الكلام مع الذين يرون الامر لولد العباس او لولد علي فقط لكثرة عددهم

(قال ابو محمد) احتج من ذهب الى ان الخلافة لا تجوز الا في ولد العباس فقط على ان الخلفاء من ولده وكل من له حظ من علم من غير الخلفاء منهم لا يرضون بهذا ولا يقولون به لكن تلك الطائفة قالت كان العباس عصب رسول الله صلى الله عليه وسلم ووارثه فاذا كان ذلك كذلك فقد ورث مكانه

(قال ابو محمد) وهذا ليس بشيء لان ميراث العباس رضي الله عنه لو وجب له لكان ذلك في المال خاصة واما المرتبة فما جاء قط في الديانات انها تورث فبطل هذا التمويه جملة ولله الحمد ولو جاز ان تورث المراتب لكان من ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانا ما اذا مات وجب ان يرث تلك الولاية عاصبه ووارثه وهذا ما لا يقولونه فكيف وقد صح باجماع جميع اهل القبلة حاشا الروافض ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة فان اعترض معترض بقول الله عز وجل * وورث سليمان داود * وبقوله تعالى

وكان ذنبا له وربما كان عريضا فرأى كانه لحية كوكب وربما حميت الادخنة في برد الهواء للتعاقب المذكور فانضغطت مشتعلة وان بقي شيء من الدخان في تضاعيف الغيم وبرد صار ريحا وسط الغيم فتحرك عنه بشدة يحصل منه صوت يسمى الرعد وان قويت حركته وتحريكه اشتعل من حرارة الحركة والهواء والدخان فصار نارا مضيئة يسمى البرق وان كان المشتعل كثيفا ثقيلا محرقا اندفع بمصادمات الغيم الى جهة الارض فيسمى صاعقة ولكنه نار لطيفة تنفذ في الثياب والاشياء الرخوة وينصدم بالاشياء الصلبة كالذهب والحديد فتذيبه حتى يذيب الذهب في الكيس ولا يحرق الكيس ويذيب ذهب المراكب ولا يحرق السير ولا يخلو برق عن رعد لانهما يجبان عن الحركة ولكن البصر أحد فقد البرق ولا ينتهي الصوت الي السمع وقد يرى متقدما ويسمع متاخرا واما البخار الصاعد فمنه ما يلطف ويرتفع جدا ويتراكم ويكثر مادته في أقصى الهواء عند منقطع الشعاع فيبرد فيتكاثف فيقطر فيكون المتكاثف منه سحابا والقاطر مطرا ومنه ما يقصر لثقله عن الارتفاع بل يبرد سريعا وينزل كما يوافيه برد الليلة سريعا قبل ان يتراكم سحابا وهذا هو الطل وربما جمد البخار المتراكم في الاعالي أعني السحاب فنزل وكان ثلجا وربما جمد البخار الغير المتراكم في الاعالي أعني مادة الطل فنزل وكان صقيعا وربما جمد البخار بعد ما استحال قطرات ماء وكان بردا وانما يكون جموده في الشتاء وقد فارق السحاب وفي الربيع وهو داخل السحاب وذلك اذا سخن خارجه فبطنت البرودة الى داخله فتكاثف داخله واستحال ماء وأجمده شدة البرودة وربما تكاثف الهواء نفسه لشدة البرد فاستحال مطرا ثم ربما يقع على صقيل السحاب صور النيرات واضواؤها كما يقع في المرائي والجدران الصقيلة فيري ذلك على أحوال مختلفة بحسب اختلاف بعدها من النير وقربها وبعدها من الرائي وصفائها

حاكيا عن ذكريا عليه السلام انه قال * فهب لى من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا *

(قال ابو محمد) وهذا لا حجة فيه لان الرواة حملة الاخبار وجميع التواريخ القديمة كلها وتواف بنى اسرائيل ينقلون بلا خلاف نقلا يوجب العلم ان داود عليه السلام كان له بنون غير سليمان عليه السلام فصح انه ورث النبوة وبرهان ذلك انهم كلهم مجمعون على انه عليه السلام ولى مكان ابيه عليهما السلام وليس له الا اثنتى عشرة سنة ولداود اربعة وعشرون ابنا كبارا وصغارا وهكذا القول فى ميراث يحيى بن زكريا عليهما السلام وبرهان ذلك من نص الاية نفسها قوله عليه السلام يرثني ويرث من آل يعقوب * وهم مئوا الوف يرث عنه النبوة فقط وايضا فمن المحال ان يرغب زكريا عليه السلام فى ولد يحجب عصبته عن ميراث فانما يرغب فى هذه الخطة ذو الحرص على الدنيا وحطامها وقد نزه الله عز وجل مريم عليها السلام التى كانت فى كفالته من المعجزات قال تعالى * كلما دخل عليها ذكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب * الى قوله * انك سميع الدعاء * وعلى هذ المعنى دعا فقال * هب لى من لدنك وليا يرثني ويرث من ال يعقوب واجعله رب رضيا * واما من اغتر بقوله تعالى حاكيا عنه عليه السلام انه قال * واني خفت الموالى من ورائى * قيل له بطلان هذا الظن ان الله تعالى لم يعطه ولدا يكون له عقب فيتصل الميراث لهم بل اعطاه ولدا حصورا لا يقرب النساء قال تعالى * وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين فصح ضرورة انه عليه السلام انما طلب ولدا نبيا لا ولدا يرث المال وايضا فلم يكن العباس محيطا بميراث النبي صلى الله عليه وسلم وانما كان يكون له ثلاثة اثمانه فقط واما ميراث المكانة فقد كان العباس رضى الله عنه حيا قائما اذ مات النبى صلى الله عليه وسلم فما ادعي العباس لنفسه قط فى ذلك حقا لا حينئذ ولا بعد ذلك وجاءت الشورى فما ذكر فيها ولا انكر هو ولا غيره ترك ذكره فيها فصح انه رأى محدث فاسد لا وجه للاشتغال به والخلفاء من ولده والافاضل منهم من غير الخلفاء لا يرون لانفسهم بهذه الدعوة ترفعا عن سقوطها ووهيها وبالله تعالى التوفيق وأما القائلون بان الامامة لا تكون الا فى ولد على رضى الله عنه فانهم انقسموا قسمين فطائفة قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نص على على بن ابي طالب انه الخليفة بعده وان الصحابة بعده عليه السلام اتفقوا على ظلمه وعلى كتمان نص النبى صلى الله عليه وسلم وهؤلاء المسمون الروافض وطائفة قالت لم ينص النبى صلى الله عليه وسلم على على لكنه كان افضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم واحقهم بالامر وهؤلاء هم الزيدية نسبوا الى زيد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب ثم اختلف الزيدية فرقا فقالت طائفة ان الصحابة ظلموه وكفروا من خالفه

وكدورتها واستوائها ورعشها وكثرتها وقلتها فيرى هالة وقوس قزح وشموس وشهب فالهالة تحدث عن انعكاس البصر عن الرش المطيف بالنير الى النير حيث يكون الغمام المتوسط لا يخفى النير فيرى دائرة كانه منطقة محورها الخط الواصل بين الناظر وبين النير وما فى داخلها ينفذ عنه البصر الى النير ويريه غالبا على أجزاء الرش بجملها كأنها غير موجودة وكان الغالب هناك هؤلاء شفاف وأما القوس فان الغمام يكون فى خلاف جهة النير فينعكس الزوايا من الرش الى النير لا بين الناظر والنير بل الناظر أقرب الى النير منه الى المرآة فتقع الدائرة التى هى كالمنطقة أبعد من الناظر الى النير فان كانت الشمس على الافق كان الخط المار بالناظر على بسيط الافق وهو المحور فيجب أن يكون سطح الافق يقسم المنطقة بنصفين فترى القوس نصف دائرة فان ارتفعت الشمس انخفض الخط المذكور فصار الظاهر من المنطقة الموهومة أقل من نصف دائرة واما تحصيل الالوان على الجهة الشافية فان لم يستبن لى بعد والسحب ربما تفوقت وذابت وصارت ضبابا وربما اندفعت بعد التلطف الى أسفل فصارت رياحا وربما هاجت الرياح لاندفاع فيضها من جانب الى جهة وربما هاج الانبساط الهواء بالتخلخل عند جهة واندفاعه الى أخرى واكثر ما يهيج لبرد الدخان المتصاعد المجتمع الكثير ونزوله فان مبادي الرياح فوقانية وربما عطفها مقاومة الحركة الدورية التى تتبع الهواء العالى فانعطفت رياحا والسموم ما كان منها محترقا وأما الابخرة داخل الارض فتميل الى جهة فتبرد فتستحيل ماء فيصعد بالمد فيخرج عيونا وان لم يدعها السخونة تبرد وكثرت وغلظت فلم ينفذ فى مجارى مستحصفة فاجتمعت واندفعت مرة فزلزلت الارض فخسفت وقد تحدث الزلزلة من تساقط اعالى وهدة فى باطن الارض فيموج بها الهواء المحتقن واذا احتبست الابخرة فى باطن الجبال والكهوف فيتولد منها الجواهر اذا وصل اليها من سخونة الشمس وتأثير الكواكب حظ وذلك بحسب

من الصحابة وهم الجارودية وقالت اخرى ان الصحابة رضى الله عنهم لم يظلموه ولكنه طربت نفسه بتسليم حقه الى ابى بكر وعمر رضى الله عنهما وانه اماما وهدى ووقف بعضهم في عثمان رضي الله عنه وتولاه بعضهم وذكر طائفة ان هذا مذهب الفقيه الحسن ابن صالح بن حى الهمدانى

(قال ابو محمد) وهذا خطا وقد رأيت لهشام ابن الحكم الرافضى الكوفى في كتابه المعروف بالميزان وقد ذكر الحسن ابن حى وأن مذهبه كان ان الامامة فى جميع ولد فهر ابن مالك (قال ابو محمد) وهذا الذى لا يليق بالحسن بن حى غيره فانه كان احد أئمة الدين وهشام ابن الحكم اعلم به ممن نسب اليه غير ذلك لان هشاما كان جاره بالكوفة واعرف الناس به وأدركه وشاهده والحسن بن حى رحمه الله يحتج بمعاوية رضى الله عنه وبابن الزبير رضى الله عنهما وهذا مشهور عنه فى كتبه ورواياته من روى عنه وجميع الزيدية لا يختلفون فى ان الامامة فى جميع ولد علي بن ابى طالب من خرج منهم يدعو الى الكتاب والسنة وجب سل السيف معه وقالت الروافض الامامة في علي وحده بالنص عليه ثم في الحسن ثم في الحسين وادعوا نصا آخر من النبي صلى الله عليه وسلم عليهما بعد ابيهما ثم على ابن الحسين لقول الله عز وجل * واولو الارحام بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله * قالوا فولد الحسين احق من اخيه ثم محمد بن علي بن الحسين ثم جعفر بن محمد بن علي ابن الحسين وهذا مذهب جميع متكلميهم كهشام بن الحكم وهشام الجواليقي وداود الحوارى وداود الرقى وعلى بن منصور وعلى بن هيثم وابي على السكاك تلميذ هشام بن الحكم ومحمد بن جعفر بن النعمان شيطان الطاق وابى ملك الحضرمى وغيرهم ثم افترقت الرافضة بعد موت هؤلاء المذكورين وموت جعفر بن محمد فقالت طائفة بامامة بن اسماعيل بن جعفر وقالت طائفة بامامة ابنه محمد بن جعفر وهم قليل وقالت طائفة جعفر حي لم يمت وقال جمهور الرافضة بامامة ابنه موسي بن جعفر ثم على ابن موسى ثم محمد بن على بن موسى ثم على ابن محمد بن على بن موسى ثم الحسن بن علي ثم مات الحسن عن غير عقب فافترقوا فرقا وثبت جمهورهم على انه ولد للحسن بن على ولد فاخفاه وقيل بل ولد له بعد موته من جارية له اسمها صقيل وهو الاشهر وقال بعضهم بل من جارية له اسمها نرجس وقال بعضهم بل من جارية له اسمها سوسن والاظهر ان اسمها صقيل لان صقيل هذه ادعت الحمل بعد الحسن بن على سيدها فوقف ميراثه لذلك سبع سنين ونازعها فى ذلك اخوه جعفر ابن على وتعصب لها جماعة من ارباب الدولة وتعصب لجعفر آخرون ثم انفش ذلك الحمل وبطل واخذ الميراث جعفر اخوه وكان موت الحسن هذا سنة ستين ومائتين وزادت فتنة الروافض بصقيل هذه ودعواها الى ان حبسها المعتضد بعد نيف وعشرين سنة من موت سيدها وقد عيربها انها فى منزل الحسن بن جعفر النوبختى

اختلاف المواضع والازمان والمواد فمن الجواهر ماهو قابل للاذابة والطرق كالذهب والفضة ويكون قبل ان يصلب زئبقا ونفطا وانطراقها لجباة رطوبتها ولعصيانها الجمود التام ومنها مالا يقبل ذلك وقد يتكون من العناصر اكوان أيضا بسبب القوى الفلكية اذا امتزجت العناصر امتزاجا اكثر اعتدالا من المعادن فيحصل فى المركب قوة غاذية وقوة نامية وقوة مولدة وهذه القوى متمايزة بخصائصها *

المقالة الرابعة في النفوس وقواها *

اعلم ان النفس كجنس واحد ينقسم ثلاثة أقسام أحدها النباتية وهى الكمال الاول لجسم طبيعى آلى من جهة ما يتولد ويربو ويتغذى والغذاء جسم من شأنه ان يشتبه بطبيعة الجسم الذى قيل انه غذاؤه ويزيد فيه مقدرا ما يتحلل أو أكثر أو أقل والثاني النفس الحيوانية وهى الكمال الاول لجسم طبيعي آلى من جهة ما يدرك الجزئيات ويتحرك بالادارة والثالث النفس الانسانية وهى الكمال الاول لجسم طبيعى آلى من جهة ما يفعل الافعال الكائنة بالاختيار الفكرى والاستنباط لرأى من جهة ما يدرك الامور الكلية والنفس النباتية قوى ثلاث وهى الغاذية القوة لتى تحيل جسما آخر الى مشاكلة الجسم الذي فيه فيلصقه به مايدل ما يتحلل عنه والقوة المنمية وهى قوة تزيد فى الجسم الذى هى فيه بالجسم المشبه زيادة فى اقطاره طولا وعرضا وعمقا بقدر ليبلغ به كماله النشوء والقوة المولدة وهى لتى تأخذ من الجسم الذى هى فيه جزؤ وهو شبيه له بالقوة فيفعل فيه باستمداد اجسام اخر تشبه به من التخليق والتمزيق ما يصير شبيها به بالفعل فللنفس النباتية ثلاث قوى وللنفس الحيوانية قوتان محركة ومدركة والمحركة على قسمين اما محركة بانها باعثة واما محركة بانها فاعلة والباعثة هى القوة النزوعية الشوقية وهى القوة التى اذا ارتسمت فى التخييل بعد صورة مطلوبة او مهروب عنها حملت القوة التى تدركها على التحريك ولها شعبتان شعبة تسمى شهوانية وهى قوة تبعث على تحريك يقرب

الكاتب فوجدت فيه وحملت الى قصر المعتضد فبقيت هنالك الى ان ماتت في القصر في ايام المقتدر فهم الى اليوم ينتظرون ضالة منذ مائة عام وثمانين عاما وكانت طائفة قديمة قد بادت كان رئيسهم المختار بن ابي عبيد وكيسان ابا عمرة وغيرهما يذهبون الى ان الامام بعد الحسين محمد اخوه المعروف بابن الحنفية ومن هذه الطائفة كان السيد الحميري وكثير عزة الشاعران وكانوا يقولون ان محمدا ابن الحنفية حي بجبل رضوى ولهم من التخليط ما تضيق عنه الصحف

﴿قال ابو محمد﴾ وعمدة هذه الطوائف كلها في الاحتجاج احاديث موضوعة مكذوبة لا يعجز عن توليد مثلها من لا دين له ولا حياء

﴿قال ابو محمد﴾ لا معنى لاحتجاجنا عليهم برواياتنا فهم لا يصدقونا ولا معنى لاحتجاجهم علينا برواياتهم فنحن لا نصدقها وانما يجب ان يحتج الخصوم بعضهم على بعض بما يصدقه الذي تقام عليه الحجة به سواء صدقه المحتج او لم يصدقه لان من صدق بشيء لزمه القول به او بما يوجبه العلم الضروري فيصير الخصم يومئذ مكابرا منقطعا ان ثبت على ما كان عليه الا ان بعض ما يشغبون به احاديث صحاح نوافقهم على صحتها منها قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه انت مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي

﴿قال ابو محمد﴾ وهذا لا يوجب له فضلا على من سواه ولا استحقاق الامامة بعده عليه السلام لان هرون لم يل امر بني اسرائيل بعد موسى عليهما السلام وانما ولي الامر بعد موسى عليه السلام يوشع بن نون فتى موسى وصاحبه الذي سافر معه في طلب الخضر عليهما السلام كما ولي الامر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحبه في الغار الذي سافر معه الى المدينة واذا لم يكن علي نبيا كما كان هرون نبيا ولا كان هرون خليفة بعد موت موسى على بني اسرائيل فقد صح ان كونه رضي الله عنه من رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنزلة هارون من موسى انما هو في القرابة فقط وايضا فانما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا القول اذ استخلفه على المدينة في غزوة تبوك فقال المنافقون استقله فخلفه فلحق علي برسول الله صلى الله عليه وسلم فشكى ذلك اليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ انت مني بمنزلة هارون من موسى يريد عليه السلام انه استخلفه على المدينة مختار الاستخلافه كما استخلف موسى عليه السلام هارون عليه السلام ايضا مختار الاستخلافه ثم قد استخلف عليه السلام قبل تبوك وبعد تبوك على المدينة في اسفاره رجالا سوى علي رضي الله عنه فصح ان هذا الاستخلاف لا يوجب لعلي فضلا على غيره ولا ولاية الامر بعده كما لم يوجب ذلك لغيره من المستخلفين

(قال ابو محمد) * وعمدة ما احتجت به الامامية ان قالوا لا بد من ان يكون امام معصوم عنده جميع علم الشريعة ترجع الناس اليه في احكام الدين ليكونوا مما تعبدوا به على يقين

قال

به من الاشياء المتخيلة ضرورية او نافعة طلبا للذة وشعبة تسمى غضبية وهي قوة تبعث على تحريك تدفع به الشيء المتخيل ضارا او مفسدا طلبا للغلبة واما القوة على انها فاعلة فهي قوة تنبعث في الاعصاب والعضلات من شانها ان تشنج العضلات فتجذب الاوتاد والرباطات الى جهة المبدأ او ترخيها او تمددها طولا فتصير الاوتاد والرباطات الى خلاف المبدأ واما القدرة المدركة فتنقسم قسمين احدهما قوة تدرك من خارج وهي الحواس الخمس او الثمانية فمنها البصر وهي قوة مرتبة في العصبة المجوفة تدرك صورة ما ينطبع في الرطوبة الجلدية من اشباح الاجسام ذوات اللون المتادية في الاجسام الشافة بالفعل الى سطوح الاجسام الصقلية ومنها السمع وهي قوة مترتبة في العصب المتفرق في سطح الصماخ تدرك صورة ما يتادى اليه بتموج الهواء المنضغط بين قارع ومقروع مقاوم له انضغاطا بعنف يحصل منه تموج فاعل للصوت يتادى الى الهواء المحصور الراكد في تجويف الصماخ ويموجه بشكل نفسه وتماس امواج تلك الحركة العصبية فيسمع ومنها الشم وهي قوة مترتبة في زائدتي مقدم الدماغ الشبيهتين بحلمتي الثدي تدرك ما يؤدي اليه من الهواء المتنشق من الرائحة المخالطة البخار الريح والمنطبع فيه بالاستحالة من جرم ذي رائحة ومنها الذوق وهي قوة مترتبة في العصب المفروش على جرم اللسان تدرك الطعوم المتحللة من الاجسام المماسة المخالطة للرطوبة العذبة التي فيه فتخيله ومنها اللمس وهي قوة منبثة في جلد البدن كله ولحمه فاشية فيه والاعصاب تدرك ما تماسه وتؤثر فيه بالمضادة وتغيره في المزاج او الهيئة ويشبه ان تكون هذه القوة لا نوعا بل جنسا لاربع قوى منبثة معا في الجلد كله الواحدة حاكمة في التضاد الذي بين الحار والبارد والثانية حاكمة في التضاد الذي بين الخشن والاملس الا ان اجتماعها في آلة واحدة توهم اتحادها في الذات والمحسوسات كلها تتادى الى آلات الحس فتنطبع

(قال ابو محمد) هذا لاشك فيه وذلك معروف ببراهينه الواضحة واعلامه المعجزة وآياته الباهرة وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم الينا تبيان دينه الذى الزمنا اياه صلى الله عليه وسلم فكان كلامه وعهوده وما بلغ من كلام الله تعالى حجة نافذة معصومة من كل آفة الى من بحضرته والى من كان فى حياته غائبا عن حضرته والى كل من ياتى بعد موته صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة من جن وانس قال عز وجل * اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء * فهذ نص ماقلنا وابطال اتباع أحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما الحاجة الى فرض الامامة لتنفيذ الامام عهود الله تعالى الواردة الينا علي من عند فقط لالان ياتى الناس مالا يشاؤنه فى معرفته من الدين الذى اتاهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجدنا عليا رضي الله عنه اذ دعى الى التحاكم الى القرآن اجاب واخبر ان التحاكم الى القرآن حق فان كان على اصاب فى ذلك فهو قولنا وان كان اجاب الى الباطل فهذه غير صفته رضي الله عنه ولو كان التحاكم الى القرآن لايجوز بحضرة الامام لقال علي حينئذ كيف تطلبون تحكيم القرآن وانا الامام المبلغ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فان قالوا اذ مات رسول الله صلى الله عليه وسلم فلابد من امام يبلغ الدين قلنا هذا باطل ودعوى بلا برهان وقول لا دليل على صحته وانما الذى يحتاج اليه اهل الارض من رسول الله صلى الله عليه وسلم بيانه وتبليغه فقط سواء فى ذلك من كان بحضرته ومن غاب عنه ومن جاء بعده اذ ليس فى شخصه صلى الله عليه وسلم اذا لم يتكلم بيان عن شىء من الدين فالمراد منه عليه السلام كلام باق ابدا مبلغ الى كل من فى الارض وايضا فلو كان ماقالوا من الحاجة الى امام موجود ابدا لانتقض ذلك عليهم بمن كان غائبا عن حضرة الامام فى اقطار الارض اذ لا سبيل الى ان يشاهد الامام جميع أهل الارض الذين فى المشرق والمغرب من فقير وضعيف وامرأة ومريض ومشغول بمعاشه الذى يضيع ان اغفله فلابد من التبليغ عن الامام فالتبليغ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اولى بالاتباع من التبليغ عمن هو دونه وهذا مالا انفكاك لهم عنه

(قال ابو محمد) لاسيما وجميع ائمتهم الذين يدعون بعد على والحسن والحسين رضي الله عنهم ١٠ امروا قط في غير منازل سكناهم وما حكموا علي قرية فما فوقها بحكم فما الحاجة اليهم لاسيما مذ مائة عام وثمانين عاما فانهم يدعون اماما ضالا لم يخلق كعنقاء مغرب وهم اولو فحش وقحة وبهتان ودعوى كاذبة لم يعجز عن مثلها احد وايضا فان الامام المعصوم لا يعرف انه معصوم الا بمعجزة ظاهرة عليه او بنص تنقله العلماء عن النبى صلى الله عليه وسلم على كل امام بعينه واسمه ونسبه والا فهى دعوى لا يعجز عن مثلها احد لنفسه اولمن شاء ولقد يلزم كل ذى عقل سليم ان يرغب بنفسه عن اعتقاد هذا الجهل الغث البارد السخيف الذى ترتفع عقول الصبيان عنه وما توفيقنا الا بالله عز وجل وبرهان آخر ضرورى وهو ان رسول الله

فيها فتدركها القوة الحاسة والقسم الثاني قوى يدرك صور المحسوسات ومنها مايدرك معانى المحسوسات والفرق بين القسمين هو أن الصورة هو الشيء الذى تدركه النفس الناطقة والحس الظاهر معا ولكن الحس يدركه أولا ويؤديه الى النفس مثل ادراك الشاة صورة الذئب وأما المعنى فهو الذى تدركه من المحسوس من غير أن يدركه الحس أولا مثل ادراك الشاة المعنى المضاد فى الذئب الموجب لخوفها اياه وهربها عنه ومن المدركات الباطنة مايدرك ويفعل ٧٩ ومنها مالا يدرك ولا يفعل والفرق بين القسمين أن الفعل فيها هو ان تركب الصور والمعانى المدركة بعضها مع بعض ويفصل بعضها عن بعض فيكون ادراك وفعل أيضا فيما ادرك والادراك لامع الفعل هو أن تكون الصورة أو المعنى ترتسم فى القوة فقط من غير أن يكون لها فعل وتصرف فيه ومن المدركات الباطنة مايدرك أولا ومنها مايدرك ثانيا والفرق بين القسمين أن الادراك الاول هو ان يكون حصول الصورة على نحو ما من الحصول قد وقع للشيء من [illegible] الادراك الثانى هو ان يكون حصولها من جهة شيء آخر ادى اليها ثم من القوة الباطنة المدركة الحيوانية قوة بنطاسيا وهو الحس المشترك وهى قوة مترتبة فى التجويف الاول من مقدم الدماغ تقبل بذاتها جميع الصور المنطبعة فى الحواس الخمس متادية اليه ثم الخيال والمصورة وهى قوة مترتبة فى التجويف المقدم من الدماغ يحفظ ماقبله الحس المشترك من الحواس ويبقى فيها بعد غيبة المحسوسات والقوة التى تبقى متخيلة بالقياس الى النفس الحيوانية وتسمى مفكرة بالقياس الى النفس الانسانية فهو قوة مرتبة فى التجويف الاوسط من الدماغ عند الدودة من شانها ان تركب بعض مافى الخيال مع بعض وتفصل بعضه عن بعض بحسب الاختيار ثم القوة الوهمية وهى قوة مرتبة فى نهاية التجويف الاوسط من الدماغ تدرك المعانى الغير المحسوسة الموجودة فى المحسوسات الجزئية كالقوة الحاكمة

وان الولد معطوف عليه ثم القوة الحافظة الذاكرة وهي قوة مترتبة في التجويف الأخير من الدماغ تحفظ ما تدركه القوة الوهمية من المعاني الغير المحسوسة في المحسوسات ونسبة الحافظة الى الوهمية كنسبة الخيال الى الحس المشترك الا ان ذلك في المعاني وهذا في الصور فهذه خمس قوى الحيوانية واما النفس الناطقة للانسان فتنقسم قواها ايضا الى قوة عالمة وقوة عاملة وكل واحد من (٨٠) القوتين يسمى عقلا باشتراك الاسم فالعاملة قوة هي مبدأ محرك لبدن الانسان الى الافاعيل الجزئية الخاصة بالروية على مقتضى آراء تخصها اصطلاحية ولها اعتبار بالقياس الى القوة الحيوانية النزوعية واعتبار بالقياس الى القوة المتخيلة والمتوهمة واعتبار بالقياس الى نفسها وقياسها الى النزوعية ان يحدث عنها فيها هيئات تخص الانسان يتهيأ بها لسرعة فعل وانفعال مثل الخجل والحياء والضحك وقياسها الى المتخيلة والمتوهمة هو ان يستعملها في استنباط التدابير في الامور الكائنة الفاسدة واستنباط الصناعات الانسانية وقياسها الى نفسها ان فيما بينها وبين العقل النظري يتولد الآراء الذائعة المشهورة مثل ان الكذب قبيح والصدق حسن وهي هذه القوى هي التي يجب ان تتسلط على سائر قوى البدن على حسب ما توجبه احكام القوة العاقلة حتى لا ينفعل عنها البتة بل تنفعل عنه فلا يحدث فيها عن البدن هيئات انقيادية مستفادة من الامور الطبيعية وهي التي تسمى اخلاقا رذيلة بل تحدث في القوى البدنية هيئات انقيادية لها وتكون متسلطة عليها واما القوة العالمة النظرية فهي قوة من شانها ان تنطبع بالصور الكلية المجردة من المادة فان كانت مجردة بذاتها فذاك وان لم يكن فانها تصيرها مجردة بتجريدها اياها حتى لا يبقى فيها من علائق المادة شيء ثم لها الى هذه الصور نسب وذلك ان الشيء الذي من شانه ان يقبل شيئا قد يكون بالقوة قابلا له وقد يكون

صلى الله عليه وسلم مات وجمهور الصحابة رضي الله عنهم حاشا من كان منهم في النواحي يعلم الناس الدين فما منهم احد اشار الى علي بكلمة يذكر فيها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نص عليه ولا ادعى ذلك علي قط لا في ذلك الوقت ولا بعده ولا ادعاه له احد في ذلك الوقت ولا بعده ومن المحال الممتنع الذي لا يمكن البتة ولا يجوز اتفاق اكثر من عشرين الف انسان متنابذي الهمم والنيات والانساب اكثرهم موتور في صاحبه في الدماء من الجاهلية على طي عهد عاهده رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم وما وجدنا قط رواية عن احد بهذا النص المدعى الا رواية واحدة واهية عن مجهولين الى مجهول يكنى بابي الحمراء لا يعرف من هو في الخلق ووجدنا عليا رضي الله عنه تاخر عن البيعة ستة اشهر فما اكرهه ابو بكر على البيعة حتى بايع طائعا مراجعا غير مكره فكيف حل لعلي رضي الله عنه عند هؤلاء النوكى ان يبايع طائعا رجلا اما كافرا واما فاسقا جاحدا لنص رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعينه على امره ويجالسه في مجالسه ويواليه الى ان مات ثم يبايع بعده عمر بن الخطاب مبادرا غير متردد ساعة فما فوقها غير مكره بل طائعا وصحبه واعانه على امره وانكحه من ابنته فاطمة رضي الله عنها ثم قبل ادخاله في الشورى احد ستة رجال فكيف حل لعلي عند هؤلاء الجهال ان يشارك بنفسه في شورى ضلالة وكفر ويغر الامة هذا الغرور وهذا الامر ادى ابا كامل الى تكفير علي بن ابي طالب رضي الله عنه لانه في زعمه اعان الكفار على كفرهم وايدهم على كتمان الديانة وعلى ما لا يتم الدين الا به

(قال ابو محمد) ولا يجوز ان يظن بعلي رضي الله عنه انه أمسك عن ذكر النص عليه خوف الموت وهو الاسد شجاعة قد عرض نفسه للموت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم مرات ثم يوم الجمل وصفين فما الذي جبنه بين هاتين الحالتين وما الذي الف بين بصائر الناس على كتمان حق علي ومنعه ما هو احق به مذ مات رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان قتل عثمان رضي الله عنه ثم ما الذي حلى بصائرهم في عونه اذ دعا الى نفسه فقامت معه طوائف من المسلمين عظيمة وبذلوا دماءهم دونه ورأوه حينئذ صاحب الامر والاولى بالحق ممن نازعه فما الذي منعه ومنعهم من الكلام واظهار النص الذي يدعيه الكذابون اذ مات عمر رضي الله عنه وبقي الناس بلا رأس ثلاثة ايام او يوم السقيفة وظرف من هذا بقاؤه ممتنعا عن بيعة ابي بكر رضي الله عنه ستة اشهر فما سئلها ولا اجبر عليها ولا كلفها وهو ينصرف بينهم في اموره فلولا انه رأى الحق فيها واستدرك امره فبايع طالبا حظ نفسه في دينه راجعا الى الحق لما بايع فان قالت الروافض انه بعد ستة اشهر رأى الرجوع الى الباطل فهذا هو الباطل حقا لا ما فعل علي رضي الله عنه ثم ولي علي رضي الله عنه فما غير حكما من احكام ابي بكر وعمر وعثمان ولا ابطل عهدا من عهودهم ولو كان ذلك عنده باطلا لما كان في

سعة من أن يمضي الباطل وينفذه وقد ارتفعت التقية عنه وأيضا فقد نازع الانصار رضي الله عنهم أبا بكر رضي الله عنه ودعوا الى بيعة سعد بن عبادة رضي الله عنه ودعا المهاجرون الى بيعة ابي بكر رضي الله عن جميعهم وقعد علي رضي الله عنه في بيته لا الي هؤلاء ولا الى هؤلاء ليس معه أحد غير الزبير بن العوام ثم استبان الحق للزبير رضي الله عنه فبايع سريعا وبقي علي وحده لا يرقب عليه ولا يمنع من لقاء الناس ولا يمنع احد من لقائه فلا يخلو رجوع الانصار كلهم الى بيعة ابي بكر من ان يكون عن غلبة أو عن ظهور حقه اليهم فاوجب ذلك الانقياد لبيعته او فعلوا ذلك مطارفة لغير معنى ولا سبيل الى قسم رابع بوجه من الوجوه فان قالوا بايعوه بغلبة كذبوا لانه لم يكن هنالك قتال ولا تضارب ولا سباب ولا تهديد ولا وقت طويل ينفسح للوعيد ولا سلاح ماخوذ ومحال ان يترك أزيد من الفي فارس انجاد ابطال كلهم عشيرة واحدة قد ظهر من شجاعتهم ما لا مرمى وراءه وهو انهم بقوا ثمانية اعوام متصلة محاربين لجميع العرب في اقطار بلادهم موطنين على الموت متعرضين مع ذلك للحرب مع قيصر والروم بمؤتة وغيرها ولكسرى والفرس بيصري من يخاطبهم يدعوه الى اتباعه وان يكون كاحد من بين يديه هذه صفة الانصار التي لا ينكرها الا رقيع مجاهر بالكذب فمن المحال الممتنع أن يرهبوا ابا بكر ورجلين أتيا معه فقط لا يرجع الى عشيرة كثيرة ولا الى موال ولا الى عصبة ولا مال فرجعوا اليه وهو عندهم مبطل وبايعوه بلا تردد ولا تطويل وكذلك يبطل ان يرجعوا عن قولهم وما كانوا قد رأوه من أن الحق حقهم وعن بيعة ابن عمهم مطارفة بلا خوف ولا ظهور الحق اليهم فمن المحال اتفاق أهواء هذا العدد العظيم على ما يعرفون انه باطل دون خوف يضطرهم الى ذلك ودون طمع يتعجلونه من مال او جاه بل فيما فيه ترك العز والدنيا والرياسة وتسليم كل ذلك الى رجل لا عشيرة له ولا منعة ولا حاجب ولا حرس على بابه ولا قصر يمتنع فيه ولا موالي ولا مال فاين كان علي وهو الذي لا نظير له في الشجاعة ومعه جماعة من بني هاشم وبني المطلب من قتل هذا الشيخ الذي لا دافع دونه لو كان عنده ظالما وعن منعه وزجره بل قد علم والله علي رضي الله عنه أن ابا بكر رضي الله عنه على الحق وان من خالفه على الباطل فاذعن للحق بعد ان عرضت له فيه كبوة كذلك الانصار رضي الله عنهم واذ قد بطل كل هذا فلم يبق الا أن عليا والانصار رضي الله عنهم انما رجعوا الى بيعة ابي بكر رضي الله عنه لبرهان حق صح عندهم عن النبي صلى الله عليه لا لاجتهاد كاجتهادهم ولا لظن كظنونهم فاذ قد بطل أن يكون الامر في الانصار وزالت الرياسة عنهم فما الذي حملهم كلهم أولهم عن آخرهم على ان يتفقوا على جحد نص النبي صلى الله عليه وسلم على امامة علي ومن المحال ان تتفق آراؤهم كلهم على معونة من ظلمهم وغصبهم حقهم الا ان تدعي الروافض انهم كلهم اتفق لهم نسيان ذلك العهد. فهذه أعجوبة من المحال غير ممكنة ثم لو أمكنت لجاز لكل أحد أن يدعي فيما شاء من المحال انه قد كان وان الناس كلهم نسوه وفي هذا ابطال الحقائق كلها وأيضا فان كان جميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اتفقوا على جحد ذلك النص وكتمانه واتفقت طباعهم كلهم على نسيانه فمن أين وقع الروافض أمره ومن بلغه اليهم وكل هذا عن هوس ومحال فبطل أمر النص على علي رضي الله عنه بيقين لا اشكال فيه والحمد لله رب العالمين فان قال قائل ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه كان قد قتل الاقارب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فتولد له بذلك حقد في قلوب جماعة من الصحابة ولذلك انحرفوا عنه قيل له هذا تمويه

بالفعل والقوة على ثلاثة أوجه قوة مطلقة هيولانية وهو الاستعداد المطلق من غير فعل ما كقوة الطفل على الكتابة وقوة ممكنة وهو استعداد مع فعل ما كقوة الطفل بعد ما تعلم بسائط الحروف وقوة تسمى ملكة وهي قوة لهذا الاستعداد اذا تم بالآلة ويكون له ان يفعل متى شاء بلا حاجة الى اكتساب فالقوة النظرية قد تكون نسبتها الى الصور نسبة الاستعداد المطلق وتسمى عقلا هيولانيا واذا حصل فيها من المعقولات الاولى التي يتوصل بها الى المعقولات الثانية التي تسمى عقلا بالفعل واذا حصلت فيها المعقولات الثانية المكتسبة وصارت مخزونة له بالفعل متى شاء طالعها فان كانت حاضرة عنده بالفعل تسمى عقلا مستفادا وان كانت مخزونة تسمى بالملكة وهاهنا ينتهي النوع الانسانية ويتشبه بالمبادىء الاولى للوجود كله وللناس مراتب في هذا الاستعداد فقد يكون عقلا شديد الاستعداد حتى لا يحتاج في ان يتصل بالعقل الفعال الى كثير شيء من تجريح وتعليم حتى كأنه يعرف كل شيء من نفسه لا تقليدا بل بترتيب يشتمل على حدود وسطى فيه اما دفعة في زمان واحد واما دفعات في أزمنة شتى وهي القوة القدسية التي تناسب روح القدس فيفيض عليها من المعقولات وما يحتاج اليه في تكميل القوة العملية فالدرجة العليا منها النبوة وربما يفيض عليها وعلي

ضعيف كاذب لانه ان ساغ لكم ذلك في بنى عبد شمس وبنى مخزوم وبنى عبد الدار وبنى عامر لانه قتل من كل قبيلة من هذه القبائل رجلا أو رجالا فقتل من بنى عامر بن لؤى رجلا واحدا وهو عمرو بن ود وقتل من بنى مخزوم وبنى عبد الدار رجالا وقتل من بنى عبد شمس الوليد بن عقبة والعاص بن سهل بن العاص بلا شك وشارك فى قتل عتبة بن ربيعة وقيل قتل عقبة بن ابى معيط وقيل قتله غيره وهو عاصم بن ثابت الانصارى ولا مزيد فقد علم كل من له أقل علم بالاخبار انه لم يكن لهذه القبائل ولا لاحد منها يوم السقيفة حل ولا عقد ولا رأى ولا أمر اللهم الا ان ابا سفيان بن حرب بن امية كان مائلا الى علي فى ذلك الوقت عصبية للقرابة لا تدينا وكان ابنه يزيد وخالد بن سعيد بن العاص والحارث بن هشام ابن المغيرة المخزومى مائلين الى الانصار تدينا والانصار قتلوا أباجهل بن هشام أخاه وقد كان محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة شديد الميل الى على حين قصة عثمان وبعدها حتى قتله معاوية علي ذلك فعرفونا من قتل على من بنى تيم بن مرة أو من بنى عدى بن كعب حتى يظن أهل القحة انهما حقدا عليه ثم اخبرونا من قتل من الانصار أو من جرح منهم أو من اذى منهم ألم يكونوا معه فى تلك المشاهد كلها بعضهم متقدم وبعضهم مساوله وبعضهم متاخر عنه فاى حقد كان له فى قلوب الانصار حتى يتفقوا كلهم علي جحد النص عليه وعلى ابطال حقه وعلى ترك ذكر اسمه جملة وايثار سعد بن عبادة عليه ثم على ايثار ابى بكر وعمر عليه والمسارعة الى بيعته بالخلافة دونه وهو معهم وبين أظهرهم يرونه غدوا وعشيا لا يحول بينهم وبينه أحد ثم اخبرونا من قتل على من أقارب أولاد المهاجرين من العرب من مضر وربيعة واليمن وقضاعة حتى يصفقوا(١) كلهم على كراهية ولايته ويتفقوا كلهم على جحد النص عليه ان هذه لعجائب لا يمكن اتفاق مثلها فى العالم أصلا ولقد كان لطلحة والزبير وسعد بن ابي وقاص من القتل فى المشركين كالذي كان لعلى فما الذى خصه باعتقاد الاحقاد دونهم لو كان للروافض حياء أو عقل ولقد كان لابى بكر رحمه الله ورضى عنه فى مضادة قريش فى الدعاء الى الاسلام مالم يكن لعلى فما منعهم ذلك من بيعته وهو اسوأ الناس اثرا عند كفارهم ولقد كان لعمر بن الخطاب رضى الله عنه فى مغالبة كفار قريش واعلانه الاسلام على زعمهم مالم يكن لعلى رضى الله عنه فليت شعرى ما الذى أوجب أن ينسى آثار هؤلاء كلهم ويعادوا عليا من بينهم كلهم لولا قلة حياء الروافض وصفاقة وجوههم حتى بلغ الامر بهم الى ان عدوا على سعد بن ابى وقاص وابن عمر واسامة بن زيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورافع بن خديج الانصارى ومحمد بن مسلمة الانصارى وزيد بن ثابت الانصارى وابى هريرة وأبي الدرداء وجماعة غير هؤلاء من المهاجرين انهم لم يبايعوا عليا اذ ولى الخلافة ثم بايعوا معاوية ويزيد ابنه من ادركه وادعوا ان تلك الاحقاد حملتهم على ذلك

(قال ابو محمد) حمق الرافضة وشدة ظلمة جهلهم وقلة حيائهم هورهم فى الدمار والبوار والعار والنار وقلة المبالاة بالفضائح وليت شعرى أى حماسة وأى كلمة حسنة كانت بين على وبين هؤلاء أو واحد منهم وانما كان هؤلاء ومن جرى مجراهم لا يرون بيعة فى فرقة فلما اتفق المسلمون على ما اتفقوا عليه كائنا من كان دخلوا فى الجماعة وهكذا فعل من ادرك من هؤلاء ابن الزبير رضى الله عنه ومروان فانهم قعدوا عنهما فلما انفرد عبد الملك بن

---

(١) يصفقوا كلهم بضم حرف المضارعة من أصفق يصفق كاجمع اى يجمعوا عليه

المتخيلة من روح القدس معقول تحاكيه المتخيلة بامثلة محسوسة او كلمات مسموعة بامثلة فيعبر عن هذه الصورة بملك فى صورة رجل وعن الكلام بوحى فى صورة عبارة *

المقالة الخامسة فى ان النفس الانسانية جوهر ليس بجسم ولا قائم بجسم وان ادراكها قد يكون بالات وقد يكون بذاتها الا بالات وانها واحدة وقواها كثيرة وانها حادثة مع حدوث البدن وباقية بعد فناء البدن

اما البرهان على النفس ليست بجسم هو انا نحس من ذواتنا ادراكا معقولا مجردا عن المواد وعوارضها اعنى الكم والاين والموضع و ما الان المدرك لذاته كذلك كالعلم بالوحدة والعلم بالوجود مطلقا واما الان العقل جرد عن العوارض كالانسان مطلقا فيجب ان ينظر فى ذات هذه الصور المجردة كيف هي في تجردها اما بالقياس الى الشيء الماخوذ عنه واما بالقياس الى مجرد الاخذ ولا يشك انها بالقياس الى الماخوذ عنه ليست مجردة فبقى انها مجردة عن الوضع والاين عند وجودها فى العقل والجسم ذو وضع واين وما لا وضع له لا يحل ماله وضع واين وهذه الطريقة اقوى الطرق فان الشيء المعقول الواحد الذات المتجرد عن المادة لا يخلو اما ان يكون له نسبة الى بعض الاجزاء دون بعض فيحل فى جهة حتى يكون متيامنا او متياسرا بالنسبة الى المحل او تكون نسبته الى الكل نسبة

مروان بايعه من ادركه منهم لا رضا عنه ولا عداوة لابن الزبير ولا تفضيلا لعبد الملك على ابن الزبير لكن لما ذكرنا وهكذا كان امرهم فى علي ومعاوية فلاحت نوكة هؤلاء المجانين والحمد لله رب العالمين

(قال أبو محمد) وهذا زيد بن حارثة قتل يوم بدر حنظلة بن ابي سفيان وهذا الزبير بن العوام قتل يوم بدر أيضا عبيدة بن سعيد بن العاص وهذا عمر بن الخطاب قتل يومئذ العاص بن هشام بن المغيرة فهلا عاداهم اهل هؤلاء المقتولين وما الذى خص عليا اولياء من قتل دون سائر من قلنا لولا جنون الرافضة وعدم الحياء من وجوههم ثم لو كان ما ذكروه حقا فما الذى كان دعا عمر الى ادخاله فى الشورى مع من ادخله فيها ولو اخرجه منها كما أخرج سعيد بن زيد أو قصد الى رجل غيره فولاه ما اعترض عليه أحد فى ذلك بكلمة فصح ضرورة بكل ما ذكرنا ان القوم انزلوه منزلته غير غالين ولا مقصرين رضي الله عنهم اجمعين وانهم قدموا الاحق فالاحق والافضل فالافضل وساووه بنظرائه منهم ثم اوضح برهان وابين بيان فى بطلان اكاذيب الرافضة ان عليا رضي الله عنه لما دعى الى نفسه بعد قتل عثمان رضى الله عنه سارعت طوائف المهاجرين والانصار الى بيعته فهل ذكر احد من الناس ان احدا منهم اعتذر اليه مما سلف من بيعتهم لابى بكر وعمر وعثمان او هل تاب احد منهم من جحده للنص على امامته او قال احد منهم لقد ذكرت هذا النص الذى كنت انسيته فى امر هذا الرجل ان عقولا خفى عليها هذا الظاهر اللائح لعقول مخذولة لم يرد الله ان يهديها ثم مات عمر رضى الله عنه وترك الامر شورى بين ستة من الصحابة على احدهم ولم يكن فى تلك الايام الثلاثة سلطان يخاف ولا رئيس يتوقى ولا مخافة من احد ولا جند معد للتغلب أفترى لو كان لعلى رضى الله عنه حق ظاهر يختص به من نص عليه من رسول الله صلى الله عليه وسلم او من فضل بائن على من معه ينفرد به عنهم اما كان الواجب على على ان يقول ايها الناس كم هذا الظلم لى وكم هذا الكتمان بحقى وكم هذا الجحد لنص رسول الله صلى الله عليه وسلم وكم هذا الاعراض عن فضلي البائن على هؤلاء المقرونين بى فاذ لم يفعل لا يدرى لماذا اما كان فى بنى هاشم احد له دين يقول هذا الكلام أما العباس عمه وجميع العالمين على توقيره وتعظيمه حتى ان عمر توسل به الى الله تعالى بحضرة الناس فى الاستسقاء واما احد بنيه وأما عقيل اخوه واما احد بنى جعفر اخيه اوغيرهم فاذ لم يكن في بنى هاشم احد يتقى الله عز وجل ولا ياخذه فى قول الحق مداهنة اما كان فى جميع اهل الاسلام من المهاجرين والانصار وغيرهم واحد يقول يا معشر المسلمين قد زالت الرقبة وهذا على له حق واجب بالنص وله فضل بائن ظاهر لا يمتري فيه فبايعوه فامره وبين ان اتفاق جميع الامة اولها عن آخرها من برقة الى اول خراسان ومن الجزيرة الى اقصى اليمن اذ بلغهم الخبر على السكوت عن حق هذا الرجل واتفاقهم على ظلمه ومنعه من حقه وليس هنالك شيء يخافونه لاحدى عجائب المحال الممتنع وفيهم الذين بايعوه بعد ذلك اذ صار الحق حقه وقتلوا انفسهم دونه فاين كانوا عن اظهار ما تنبهت له الروافض الانذال ثم العجب اذ كان غيظهم عليه هذا الغيظ واتفاقهم على جحده حقه هذا الاتفاق كيف تورعوا عن قتله ليستريحوا منه ام كيف اكرموه وبروه وادخلوه فى الشورى وقال هشام بن الحكم كيف يحسن الظن بالصحابة ان لا يكتموا النص على على وهم قد اقتتلوا وقتل بعضهم بعضا فهل يحسن بهم الظن فى هذا

واحدة أو لا يكون لها نسبة اليه ولا اليه الى جميع الاجزاء فان ارتفعت النسبة من كل وجه ارتفع الحلول في جملة الجسم أو فى جزء من اجزائه وان تحققت النسبة صار الشىء المعقول ذا وضع وقد وضع غير ذى وضع هذا خلف وبه تبين ان الصور المنطبعة في المادة لا تكون الا أشباحا لامور جزؤية منقسمة ولكل جزء منها نسبة بالفعل أو بالقوة الي جزء منها وايضا فان الشيء المتكثر فى اجزاء الحد له من جهة التمام وحدة هو بها لا ينقسم فتلك الوحدة بما هى وحدة كيف ترتسم فى منقسم وايضا من شان القوة الناطقة ان تعقل بالفعل واحدا واحدا من المعقولات غير متناهية بالقوة ليس واحد اولى من الاخر وقد صح لنا ان الشىء الذى يقوى على امور غير متناهية بالقوة لا يجوز ان يكون محله جسما ولا قوة فى جسم ومن الدليل القاطع علي ان محل المعقولات ليس بجسم ان الجسم ينقسم بالقوة بالضرورة وما لا ينقسم لا يحل المنقسم والمعقول غير منقسم فلا يحل المنقسم اما ان الجسم منقسم فقد دللنا عليه واما ان المعقول المجرد لا ينقسم فقد فرغنا عنه واما ان ما لا ينقسم لا يحل منقسما فانا لو قسمنا المحل فلا يخلو اما ان يبطل الحال فيه وهذا كذب اولا يبطل ولا يخلو اما ان بقى حالا فى بعضه كما كان حالا فى كله وهذا محال فانه يجب ان يكون حكم البعض حكم الكل

(*قال ابو محمد)* لو علم الفاسق ان هذا القول اعظم حجة عليه لم ينطق بهذا السخف لان علي بن ابي طالب رضى الله عنه اول من قاتل حين افترق الناس فكل ما لحق المقتتلين منهم من حسن الظن بهم او من سوء الظن بهم فهو لاحق لعلى فى قتاله ولا فرق بينه و بين سائر الصحابة فى ذلك كله و بالله تعالى التوفيق فان خصه متحكم كان كمن خص غيره منهم متحكما ولا فرق وايضا فان اقتتالهم رضى الله عنهم اوكد برهان على انهم لم يغاروا على ما رأوه باطلا بل قاتل كل فريق منهم على ما رأوه حقا ورضى بالموت دون الصبر على خلاف ما عنده وطائفة منهم قعدت اذ لم تر الحق فى القتال فدل على بانه لو كان عندهم نص على على او عند واحد منهم لاظهروه او لاظهره كما اظهروا ما رأوا ان يبذلوا انفسهم للقتال والموت دونه فان قالوا قد اقررتم انه لابد من امام فباى شىء يعرف الامام لاسيما وانتم خاصة معشر اهل الظاهر لا تاخذون الا بنص قرآن او خبر صحيح وهذا ايضا مما سالناعنه اصحاب القياس والرأى

(قال ابو محمد) فجوابنا و بالله تعالى التوفيق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نص على وجوب الامامة وانه لا يحل بقاء ليلة دون بيعة وافترض علينا بنص قوله الطاعة للقرشى اماما واحدا لا ينازع اذا قادنا بكتاب الله عز وجل فصح من هذه النصوص النص على صفة الامام الواجب طاعته كما صح النص على صفة الشهود فى الاحكام وصفة المساكين والفقراء الواجب لهم الزكاة وصفة من يؤم فى الصلاة وصفة من يجوز نكاحها من النساء وكذلك سائر الشريعة كلها ولا يحتاج الى ذكر الاسماء اذ لم يكلفنا الله عز وجل ذلك فكل قرشى بالغ عاقل بادر اثر موت الامام الذى لم يعهد الى احد فبايعه واحد فصاعدا فهو الامام الواجب طاعته ما قادنا بكتاب الله تعالى و بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى امر الكتاب باتباعها فان زاغ عن شىء منهما منع من ذلك واقيم عليه الحد والحق فان لم يؤثر أذاه الا بخلعه خلع وولى غيره منهم فان قالوا قد اختلف الناس فى تاويل القرآن والسنة ومنع من تاويلهما بغير نص آخر قلنا ان التاويل الذى لم يقم عليه برهان تحريف الكلم عن مواضعه وقد جاء النص بالمنع من ذلك وليس الاختلاف حجة وانما الحجة فى نص القرآن والسنن وما اقتضاه لفظهما العربى الذى خوطبنا به و به ألزمتنا الشريعة

(قال ابو محمد) ثم نسالهم فنقول لهم ان عمدة احتجاجكم فى ايجاب امامتكم التى تدعيها جمع فرقكم انما هى وجهان فقط احدهما النص عليه باسمه والثانى شدة الفاقة اليه فى بيان الشريعة اذ علمها عنده لا عند غيره ولا مزيد فاخبرونى باى شىء صار محمد بن على بن الحسين اولى بالامامة من اخوته زيد وعمرو وعبدالله وعلى والحسين فان ادعوا نصا من ابيه عليه او من النبى صلى الله عليه وسلم أنه الباقر لم يكن ذلك ببدع من كذبهم ولم يكونوا اولى بتلك الدعوى من الكيسانية فى دعواهم النص على ابن الحنفية وان ادعوا انه كان افضل من اخوته كانت ايضا دعوى بلا برهان والفضل لا يقطع على ما عند الله عز وجل فيه بما يبدو من الانسان فقد يكون باطنه خلاف ظاهره وكذلك يسالون ايضا ما الذى جعل موسى بن جعفر اولى بالامامة من اخيه محمد واسحق او على فلا يجدون الى غير الدعوى سبيلا وكذلك أيضا يسالون ما الذى خص على بن موسى بالامامة دون اخوته وهم سبعة عشر ذكرا فلا يجدون شيئا غير الدعوى وكذلك يسالون ما الذى جعل محمد بن على بن موسي اولى بالامامة من اخيه على بن على وما الذى جعل على بن محمد اولى بالامامة من اخيه موسي بن محمد وما

واما ان ينقسم بانقسام محله وقد فرض غير منقسم ثم لو فرض انقسام الحال فيه فلا يخلو اما ان يكون اجزاؤه متشابهة كالشكل المعقول او العدد وليس كل صورة معقولة بشكل وتكون الصورة المعقولة خيالية لا عقلية صرفة واظهر من ذلك انه ليس يمكن ان يقال ان كل واحد من الجزوين هو بعينه الكل فى المعنى وان كانا غير متشابهين مثل اجزاء الحد من الجنس والفصل فيلزم منه محالات منها ان كل جزو من الجسم يقبل القسمة ايضا فيجب ان يكون الاجناس والفصول غير متناهية وهذا باطل وايضا فانه ان وقع الجنس فى جانب والفصل فى جانب ثم لو قسمنا الجسم لكان يجب ان يقع نصف الجنس فى جانب ونصف الفصل فى جانب وهو محال ثم ليس احد الجزوين اولى لقبول الجنس منه لقبول الفصل وايضا ليس كل معقول يمكن أن يقسم الى معقولات ابسط فان هاهنا معقولات هي ابسط المعقولات ومبادىء التركيبات فى سائر المعقولات ليس لها اجناس ولا فصول ولا انقسام فى الكم ولا فى المعنى فلا يتوهم فيها اجزاء متشابهة تتبين بهذه الجملة ان محل المعقولات ليس بجسم ولا قوة فى جسم فهو اذا جوهر معقول علاقته مع البدن لا علاقة حلول ولا علاقة انطباع بل علاقة التدبير والتصرف وعلاقته من جهة العلم

الحواس

الذى جعل الحسن بن على بن محمد بن علي بن موسى احق بالامامة من اخيه جعفر بن على فهل هاهنا شيء غير الدعوى الكاذبة التى لاحياء لصاحبها والتى لو ادعى مثلها مدع للحسن ابن الحسن اولعبد الله بن الحسن او لاخيه الحسن بن الحسن او لابن اخيه على بن الحسن أولمحمد بن عبدالله القائم بالمدينة اولاخيه ابراهيم اولرجل من ولد العباس اومن بنى أمية أومن اى قوم من الناس كان لساواهم فى الحماقة ومثل هذا لايشتغل به من له مسكة من عقل أومنحة من دين ولوقلت اورقعة من الحياء فبطل وجه النص واماوجه الحاجة اليه فى بيان الشريعة فماظهر قط من اكثر ائمتهم بيان لشيء مما اختلف فيه الناس ومابايديهم من ذلك شيء الادعاوى مفتعلة قداختلفوا ايضافيها كما اختلف غيرهم من الفرق بسواء سواء الاانهم اسوأ حالا من غيرهم لان كل من قلد انسانا كاصحاب ابى حنيفة لابى حنيفة واصحاب مالك لمالك واصحاب الشافعى للشافعى واصحاب احمد لاحمد فان لهؤلاء المذكورين اصحابا مشاهير نقلت عنهم اقوال صاحبهم ونقلوها هم عنه ولاسبيل الى اتصال خبر عندهم ظاهر مكشوف يضطر الخصم الى ان هذا قول موسى بن جعفر ولا انه قول على بن موسى ولا انه قول محمد بن موسى ولا انه قول على بن محمد ولا انه قول الحسن بن على واما من بعد الحسن بن على فعدم بالكلية وحماق ظاهرة واما من قبل موسى ابن جعفر فلو جمع كل ماروى فى الفقه عن الحسن والحسين رضى الله عنهما لما بلغ اوراق فما ترى المصلحة التى يدعونها فى امامهم ظهرت ولا نفع الله تعالى بها قط فى علم ولا عمل لا عندهم ولا عند غيرهم ولا ظهر منهم بعد الحسين رضى الله عنه من هؤلاء الذين سموا احدا ولا امر منهم احد قط بمعروف معلن وقد قرأنا صفة هؤلاء المخاذلين المنتمين الى الامامية القائلين بان الدين عند أئمتهم فما رأينا الادعاوى باردة وآراء فاسدة كاسخف مايكون من الاقوال ولايخلو هؤلاء الائمة الذين يذكرون من ان يكونوا مامورين بالسكوت اومفسوحا لهم فيه فان يكونوا مامورين بالسكوت فقد ابيح للناس البقاء فى الضلال وسقطت الحجة فى الديانة عن جميع الناس وبطل الدين ولم يلزم فرض الاسلام وهذا كفر مجرد وهم لايقولون بهذا أويكونوا مامورين بالكلام والبيان فقد عصوا الله اذ سكتوا وبطلت امامتهم وقد لجأ بعضهم اذ سئلوا عن صحة دعواهم فى الائمة الى ان ادعوا الالهام فى ذلك فاذ قد صاروا الى هذا الشغب فانه لايضيق عن احد من الناس ولا يعجز خصومهم عن ان يدعوا انهم الهموا بطلان دعواهم قال هشام بن الحكم لابد ان يكون فى اخوة الامام آفات يبين بها انهم لايستحقون الامامة

(قال ابو محمد) وهذه دعوى مردودة تزيد فى الحماقة ولاندرى فى زيد وعمرو وعبد الله والحسن وعلى بن على بن الحسين آفات تمنع الا ان الحسن اخا زيد ومحمد كان اعرج وما علمنا ان العرج عيب يمنع من الامامة انما هو عيب فى العبيد المتخذين للمشي وما يعجز خصومهم ان يدعوا فى محمد بن على وفى جعفر بن محمد وفى سائر أئمتهم تلك الآفات التى ادعاها هشام لاخوتهم ثم ان بعض أئمتهم المذكورين مات ابوه وهو ابن ثلاث سنين فنسألهم من اين علم هذا الصغير جميع علم الشريعة وقد عدم توقيف ابيه له عليها لصغره فلم يبق الا ان يدعوا له الوحى فهذه نبوة وكفر صريح وهم لايبلغون الى ان يدعوا له النبوة وان يدعوا له معجزة تصحح قوله فهذه دعوى باطلة ماظهر منها فى شيء اويدعوا له الالهام فما يعجز احد عن هذه الدعوى

الحواس الباطنة المذكورة وعلاقته من جهة العمل القوى الحيوانية المذكورة فيتصرف فى البدن وله فعل خاص يستغنى به عن البدن وقوة فان من شان هذا الجوهر أن يعقل ذاته ويعقل انه عقل ذاته وليس بينه وبين ذاته علاقة ولا بينه وبين آلته آلة فان ادراك الشيء لايكون الابحصول صورته فيه وبمايقدر آلة من قلب أودماغ لايخلو اماأن تكون صورته بعينها حاصلة للعقل حاضرة واما أن صورة غيرها بالعدد حاصلة وباطل أن يكون صورة الآلة حاضرة بعينها فانها فى نفسها حاصلة أبدا فيجب أن يكون ادراك العقل لها حاصل أبدا وليس الامر كذلك فانه تارة يعقل وتارة يعرض عن الادراك والاعراض عن الحاضر محال ويجب أن يكون الصورة غير الآلة بالعدد فانها اما أن تحل فى نفس القوة من غير مشاركة الجسم فيدل ذلك علي انها قائمة بنفسها وليس فى الجسم واما بمشاركة الجسم حتى لاتكون هذه الصورة المغايرة في نفس القوة العقلية وفى الجسم الذى هو الآلة فيؤدى الى اجتماع صورتين متماثلين فى جسم واحد وهو محال والمغايرة بين أشياء تدخل فى حدواحد اما الاختلاف المواد اولاختلاف مابين الكلي والجزئي وليس هذان الوجهان فثبت انه لايجوز أن يدرك المدرك آلة هى آلته فى الادراك ولايختص ذلك بالعقل فان الحس

لكل أمة عملها الا وجود من يعتقد هذه الاقوال السخيفة لكان اقوى حجة واوضح برهان والا فما خلق الله عقلا يسع فيه مثل هذه الحماقات والحمد لله على عظيم منه علينا وهو المسؤل منه دوامها بمنه آمين

(قال ابو محمد) وايضا فلو كان الامر في الامامة على ما يقول هؤلاء السخفاء لما كان الحسن رضى الله عنه في سعة من ان يسلمها لمعاوية رضى الله عنه فيعينه على الضلال وعلى ابطال الحق وهدم الدين فيكون شريكه في كل مظلمة ويبطل عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويوافقه على ذلك الحسين اخوه رضى الله عنهما فما نقض قط بيعة معاوية الى ان مات فكيف استحل الحسن والحسين رضى الله عنهما ابطال عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهما طائعين غير مكرهين فلما مات معاوية قام الحسين يطلب حقه اذ رأى انها بيعة ضلالة فلولا انه رأى بيعة معاوية حقا لما سلمها له ولفعل كما فعل بيزيد اذ ولى يزيد هذا ما لا يمترى فيه ذو انصاف هذا ومع الحسن أزيد من مائة ألف عنان يموتون دونه فتالله لولا ان الحسن رضي الله عنه علم انه في سعة من اسلامها الى معاوية وفي سعة من ان لا يسلمها لما جمع بين الامرين فامسكها ستة اشهر لنفسه وهى حقه وسلمها بعد ذلك لغير ضرورة وذلك له مباح بل هو الافضل بلا شك لان جده رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خطب بذلك على المنبر بحضرة المسلمين واراه الحسن معه على المنبر وقال ان ابنى هذا السيد ولعل الله ان يصلح به بين طائفتين عظيمتين من المسلمين رويناه من طريق البخارى حدثنا صدقة انبانا ابن عيينة نا موسى انا الحسن سمع ابا بكرة يقول انه سمع ذلك وشهده من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا من اعلامه صلى الله عليه وسلم وانذاره بالغيوب التي لا تعلم البتة الا بالوحى ولقد امتنع زياد وهو فقعة (1) القاع لا عشيرة ولا نسب ولا سابقة ولا قدم فما اطاقه معاوية الا بالمداراة حتى ارضاه وولاه فان ادعوا انه قد كان في ذلك عند الحسن عهد فقد كفروا لان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يامر احدا بالعون على اطفاء نور الاسلام بالكفر وعلى نقض عهود الله تعالى بالباطل عن غير ضرورة ولا اكراه وهذه صفة الحسن والحسين رضى الله عنهما عند الروافض واحتج بعض الامامية وجميع الزيدية بان عليا كان احق الناس بالامامة لبينونة فضله على جميعهم والكثرة فضائله دونهم

(قال ابو محمد) وهذا يقع الكلام فيه ان شاء الله تعالى في الكلام في المفاضلة بين اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وان الكلام هاهنا في الامامة فقط فنقول وبالله تعالى التوفيق هبكم انكم وجدتم لعلى رضي الله عنه فضائل معلومة كالسبق الى الاسلام والجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وسعة العلم والزهد فهل وجدتم مثل ذلك للحسن والحسين رضى الله عنهما حتى اوجبتم لهما بذلك فضلا في شيء مما ذكرنا على سعد بن ابي وقاص وسعيد بن زيد

---

(1) مثل يضرب للذليل والفقع بفتح اوله وكسره وسكون ثانيه الابيض الرخو من الكماة وهو أردؤها ويجمع على فقعة كقردة والقاع المطمئن المستوى من الارض مشبهه بالفقعة اى الكماة البيضاء الرخوة التي تطلع من الارض فتظهر بيضاء ضعيفة فتطؤها الدواب بارجلها وفي النهاية لابن الاثير (في حديث عائشة) قالت لابن جرموز يا ابن فقع القردد الفقع ضرب من أردأ الكماة والقردد ارض مرتفعة الى جنب وهدة اه وابن حزم يستعمل المفرد المذكور وجاء بالفقعة مفردة مؤنثة ليشاكل بينها وبين الكماة التي هي واحدة الكما ولم أرها فيما اطلعت عليه من كتب اللغة فقعة بالتاء الا جمعا كقردة وليس مراده هنا كتبه مصححه

انما يحس شيئا خارجا ولا يحس ذاته ولا آلته ولا احساسه وكذلك الخيال ولا يتخيل ذاته ولا فعله ولا آلته ولهذا أن القوى الداركة بانطباع الصور في الآلات يعرض لها الكلال من ادامة العمل والامور القوية الشاقة الادراك توهنها وربما تفسدها كالضوء الشديد للبصر والرعد القوى للسمع وكذلك عند ادراك القوى لا يقوى على ادراك الضعيف والامر بالقوة العقلية بالعكس فان ادامتها للفعل وتصورها الامور الاقوى يكسبها قوة وسهولة قبول وان عرض لها كلال وملال فلاستعانة العقل بالخيال على ان القوى الحيوانية ربما تعين النفس الناطقة في أشياء منها أن يورد عليها الحس جزئيات الامور فيحدث لها امور أربعة أحدها انتزاع النفس الكليات المفردة عن الجزئيات على سبيل تجريد لمعانيها عن المادة وعلائقها ولواحقها ومراعاة المشترك فيها والمتباين به والذاتي وجوده والعرضي فيحدث للنفس من ذلك مبادى التصور وذلك بمعاونة استعمال الخيال والوهم الثانى ايقاع النفس مناسبات بين هذه الكليات المفردة على مثل سلب وايجاب فما كان التاليف منها بسلب وايجاب ذاتيا بينا بنفسه أخذه وما كان ليس كذلك تركه الى ان يصادف الواسطة والثالث بتحصيل المقدمات التجريبية نيوجد بالحس محمول لازم الحكم لموضوع أو تالى لازم تقدم فيحصل له اعتقاد مستفاد من حس وقياس ما والرابع الاخبار وعبد

وعبد الله بن عمرو عبد الله بن العباس هذا ما لا يقدر احد على ان يدعي لهما فيه كلمة فما فوقها يعني مما يكونان به فوق من قد ذكرنا في شيء من هذه الفضائل فلم يبق الا دعوى النص عليهما وهذا ما لا يعجز عن مثله احد ولو استجازت الخوارج التوقح بالكذب في دعوى النص على عبد الله بن وهب الراسبي لما كانوا الا مثل الرافضة في ذلك سواء بسواء ولو استحلت الاموية ان تجاهر بالكذب في دعوى النص على معاوية لكان امرهم في ذلك اقوى من امر الرافضة لقوله تعالى * ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل انه كان منصورا * ولكن كل امة ما عدا الرافضة والنصارى فانها تستحي وتصون انفسها عما لا تصون النصارى والروافض انفسهم عنه من الكذب الفاضح البارد وقلة الحياء فيما يأتون به ونعوذ بالله من الخذلان

(قال ابو محمد) وكذلك لا يجدون لعلي بن الحسين بسوقا في علم ولا في عمل على سعيد بن المسيب والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله بن عمر وعروة بن الزبير ولا على ابي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ولا على ابن عمه الحسن بن الحسن وكذلك لا يجدون لمحمد بن علي بن الحسين بسوقا في علم ولا في عمل ولا ورع على عبد الرحمن بن القاسم بن محمد ولا على محمد بن عمر وبن ابي بكر بن المنكدر ولا على ابي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ولا على اخيه زيد بن علي ولا على عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي ولا على عمر بن عبد العزيز وكذلك لا يجدون لجعفر بن محمد بسوقا في علم ولا في دين ولا في عمل على محمد بن مسلم الزهري ولا على ابن ابي ذؤيب ولا على عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الله بن عمر ولا على عبيد الله بن عمر وبن حفص بن عاصم بن عمر ولا على ابني عمه محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن وعلي بن الحسن بن الحسن بن الحسن بل كل من ذكرنا فوقه في العلم والزهد وكلهم ارفع محلا في الفتيا والحديث لا يمنع احد منهم من شيء من ذلك وهذا ابن عباس رضي الله عنه قد جمع فقهه في عشرين كتابا ويبلغ حديثه نحو ذلك اذا تقصى ولا تبلغ فتيا الحسن والحسين ورقتين ويبلغ حديثهما ورقة او ورقتين وكذلك علي بن الحسين الا ان محمد بن علي يبلغ حديثه وفتياه جزأ صغيرا وكذلك جعفر بن محمد وهم يقولون ان الامام عنده جميع علم الشريعة فما بال من ذكرنا اظهروا بعض ذلك وهو الاقل الانقص وكتموا سائره وهو الاكثر الاعظم فان كان فرضهم الكتمان فقد خالفوا الحق اذ اعلنوا ما اعلنوا وان كان فرضهم البيان فقد خالفوا الحق اذ كتموا ما كتموا واما من بعد جعفر بن محمد فما عرفنا لهم علما اصلا لا من رواية ولا من فتيا على قرب عهدهم منا ولو كان عندهم من ذلك شيء لعرف كما عرف عن محمد بن علي وابنه جعفر وعن غيره منهم ممن حدث الناس عنه فبطلت دعواهم الظاهرة الكاذبة اللائحة السخيفة التي هي من خرافات السمر ومضاحك السخفاء فان رجعوا الى ادعاء المعجزات لهم قلنا لهم ان المعجزات لا تثبت الا بنقل التواتر لا بنقل الاحاد الثقات فكيف بولد الوقحاء الكذابين الذين لا يدرى من هم، وقد وجدنا من يروي لبشر الحافي وشيبان الراعي ورابعة العدوية اضعاف ما يدعونه من الكذب لائمتهم واظهر وافشى وكل ذلك حماقة لا يشتغل ذو دين ولا ذو عقل بها ونحمد الله على السلامة فاذ قد بطل كل ما يدعونه ولله تعالى الحمد فلنقل على الامامة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبرهان وبالله تعالى نتأيد

(قال ابو محمد) قد اختلف الناس في هذا فقالت طائفة ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يستخلف احدا ثم اختلفوا فقال بعضهم لكن لما استخلف ابا بكر رضي الله عنه على الصلاة كان ذلك

التي يتم بها التصديق لشلة التواتر فالنفس الانسانية تستعين بالبدن لتحصيل هذه المبادىء للتصور والتصديق وأما اذا كان استكملت النفس وقويت فانها تنفرد بفاعليها على الاطلاق وتكون القوى الحسية والخيالية وغيرها صارفة لها عن فعلها وربما يصير الوسائط والاسباب عوائق قال والدليل على أن النفس الانسانية حادثة مع حدوث البدن انها متفقة في النوع والمعنى فان وجدت قبل البدن فاما أن تكون متكثرة الذوات أو تكون ذاتا واحدة ومحال أن يكون متكثرة الذوات فان تكثرها اما ان يكون من جهة الماهية والصورة واما ان يكون من جهة النسبة الى العنصر والمادة وبطل الاول لان صورتها واحدة وهي متفقة في النوع والماهية لا تقبل اختلافا ذاتيا وبطل الثاني لان البدن والعنصر فرض غير موجود قال ومحال أن تكون واحدة الذات لانه اذا حصل بدنان حصلت فيهما نفسان فاما أن يكونا قسمي تلك النفس الواحدة وهو محال لان ما ليس له عظم وحجم لا يكون منقسما واما أن تكون النفس الواحدة بالعدد في بدنين وهذا لا يحتاج الى كثير تكلف في ابطاله فقد صح ان النفس تحدث كما حدث البدن الصالح لاستعماله اياه ويكون البدن الحادث مملكته وآلته ويكون في هيئة جوهر النفس الحادثة مع بدن ما ذلك البدن استحقة نزاع طبيعي

دليلا على انه اولاهم بالامامة والخلافة على الامور وقال بعضهم لا ولكن كان ابينهم فضلا فقدموه لذلك وقالت طائفة بل نص رسول الله صلى الله عليه وسلم على استخلاف ابي بكر بعده على امور الناس نصا جليا

(قال ابو محمد) وبهذا نقول لبراهين احدها اطباق الناس كلهم وهم الذين قال الله تعالى فيهم * للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون * فقد اصفق هؤلاء الذين شهد الله لهم بالصدق وجميع اخوانهم من الانصار رضى الله عنهم على ان سموه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنى الخليفة فى اللغة هو الذى يستخلفه لا الذى يخلفه دون ان يستخلفه هو لا يجوز غير هذا البتة فى اللغة بلا خلاف تقول استخلف فلان فلانا يستخلفه فهو خليفته ومستخلفه فان قام مكانه دون ان يستخلفه هو لم يقل الا خلف فلان فلانا يخلفه فهو خالف ومحال أن يعنوا بذلك الاستخلاف على الصلاة لوجهين ضروريين احدهما انه لا يستحق ابو بكر هذا الاسم على الاطلاق فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حينئذ خليفته على الصلاة فصح يقينا ان خلافته المسمى هو بها هى غير خلافته على الصلاة والثاني ان كل من استخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته كعلى فى غزوة تبوك وابن ام مكتوم فى غزوة الخندق وعثمان ابن عفان في غزوة ذات الرقاع وسائر من استخلفه على البلاد باليمن والبحرين والطائف وغيرها لم يستحق احد منهم قط بلا خلاف من احد من الامة ان يسمي خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاطلاق فصح يقينا بالضرورة التى لا محيد عنها انها للخلافة بعده على امته ومن الممتنع ان يجمعوا علي ذلك وهو عليه السلام لم يستخلفه نصا ولو لم يكن هاهنا الا استخلافه اياه على الصلاة ما كان ابو بكر اولى بهذه التسمية من غيره ممن ذكرنا وهذا برهان ضرورى نعارض به جميع الخصوم وايضا فان الرواية قد صحت بان امرأة قالت يا رسول الله أرأيت ان رجعت ولم اجدك كانها تريد الموت قال فأت ابا بكر وهذا نص جلى على استخلاف ابى بكر وايضا فان الخبر قد جاء من الطرق الثابتة ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال لعائشة رضى الله عنها فى مرضه الذى توفى فيه عليه السلام لقد هممت ان ابعث الى ابيك واخيك فاكتب كتابا واعهد عهدا لكيلا يقول قائل انا احق او يتمنى متمن ويابي الله والمؤمنون الا ابا بكر وروي ايضا ويابى الله والنبيون الا ابا بكر فهذا نص جلي علي استخلافه عليه الصلاة والسلام ابا بكر على ولاية الامة بعده

(قال ابو محمد) ولو اننا نستجيز التدليس والامر الذى لو ظفر به خصومنا طاروا به فرحا أو ابلسوا اسفا لاحتججنا بما روي اقتدوا باللذين من بعدى ابى بكر وعمر

(قال ابو محمد) ولكنه لم يصح ويعيذنا الله من الاحتجاج بما لا يصح

(قال ابو محمد) واحتج من قال لم يستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخبر المأثور عن عبد الله بن عمر عن ابيه انه قال ان استخلف فقد استخلف من هو خير منى يعنى ابا بكر وان لا استخلف فلم يستخلف من هو خير منى يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما روى عن عائشة رضي الله عنها اذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخلفا لو استخلف فمن المحال ان يعارض الاجماع من الصحابة الذي ذكرنا والاثران الصحيحان المسندان الي رسول الله صلى الله عليه وسلم من لفظه بمثل هذين الاثرين الموقوفين على عمر وعائشة رضي الله عنهما

الى الاشتغال به واستعماله والاهتمام باحواله والانجذاب اليه بخصة ويصرفه عن كل الاجسام غيره بالطبع اما بواسطة

واما بمفارقة البدن فان الانفس قد وجد كل واحد منها ذاتا منفردة باختلاف موادها التى كانت وباختلاف ازمنة حدوثها واختلاف هيئاتها التى هى بحسب ابدانها المختلفة لا محالة باحوالها ولانها لا تموت بموت البدن لان كل شىء يفسد بفساد شىء آخر فهو متعلق به نوعا من التعلق فاما ان يكون تعلقه به تعلق المكافىء فى الوجود وكل واحد منهما جوهر قائم بنفسه فلا يؤثر المكافاة فى الوجود فى فساد احدهما بفساد الثانى لانه امر اضافى وفساد احدهما يبطل الاضافة لا الذات واما ان يكون تعلقه به تعلق المتأخر فى الوجود فالبدن علة النفس والعلل اربع فلا يجوز ان يكون علة فاعلية فان الجسم بما هو جسم لا يفعل شيئا لا بقواه والقوى الجسمانية اما اعراض أو صور مادية فمحال ان يفيد امر قائم بالمادة وجود ذات قائمة بنفسها الا فى مادة ولا يجوز ان يكون علة قابلية فقد بينا ان النفس ليست منطبعة فى البدن ولا يجوز ان يكون علة صورية او كمالية فان الاولى أن يكون الامر بالعكس فاذا تعلق النفس بالبدن ليس تعلقا على انه علة ذاتية لها نعم البدن والمزاج علة بالعرض للنفس فانه اذا احدث بدن يصلح ان يكون آلة للنفس ومملكة

مما

مما لا يقوم به حجة مماله وجه ظاهر من أن هذا الاثر خفى على عمر رضي الله عنه كما خفى عليه كثير من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم كالاستئذان وغيره اوانه اراد استخلافا بعد مكتوب ونحن نقران استخلاف ابي بكر لم يكن بكتاب مكتوب وأما الخبر في ذلك عن عائشة فكذلك نصا وقد يخرج كلامها على سؤال سائل وانما الحجة في روايتها لا في قولها وأما من ادعى انه انما قدم قياسا على تقديمه الى الصلاة فباطل بيقين لانه ليس كل من استحق الامامة في الصلاة يستحق الامامة فى الخلافة اذ يستحق الامامة فى الصلاة اقرأ القوم وان كان اعجميا او عربيا ولا يستحق الخلافة الا قرشي فكيف والقياس كله باطل

﴿قال ابو محمد﴾ في نص القرآن دليل على صحة خلافة ابى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم وعلى وجوب الطاعة لهم وهو ان الله تعالى قال مخاطبا لنبيه صلى الله عليه وسلم في الاعراب * فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستاذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معى ابدا ولن تقاتلوا معى عدوا * وكان نزول سورة براءة التى فيها هذا الحكم بعد غزوة تبوك بلا شك التى تخلف فيها الثلاثة المعذورون الذين تاب الله عليهم فى سورة براءة ولم يغز عليه السلام بعد غزوة تبوك الى أن مات صلى الله عليه وسلم وقال تعالى ايضا * سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم لتاخذوها ذرونا نتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل * فبين ان العرب لا يغزون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد تبوك لهذا ثم عطف سبحانه وتعالى عليهم اثر منعه اياهم من الغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وغلق باب التوبة فقال تعالى * قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم اولي باس شديد تقاتلونهم او يسلمون فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا وان تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا اليما * فاخبر تعالى انهم سيدعوهم غير النبي صلى الله عليه وسلم الى قوم يقاتلونهم او يسلمون ووعدهم على طاعة من دعاهم الى ذلك بجزيل الاجر العظيم وتوعدهم على عصيان الداعى لهم الى ذلك العذاب الاليم

(قال ابو محمد) وما دعا اولئك الاعراب احد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قوم يقاتلونهم او يسلمون الا ابو بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم فان ابا بكر رضى الله عنه دعاهم الى قتال مرتدى العرب بنى حنيفة واصحاب الاسود وسجاح وطليحة والروم والفرس وغيرهم ودعاهم عمر الى قتال الروم والفرس وعثمان دعاهم الى قتال الروم والفرس والترك فوجب طاعة ابي بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم بنص القرآن الذى لا يحتمل تاويلا واذ قد وجبت طاعتهم فرضا فقد صحت امامتهم وخلافتهم رضى الله عنهم وليس هذا بموجب تقليدهم فى غير ماأمر الله تعالى بطاعتهم فيه لان الله تعالى لم يامر بذلك الا فى دعائهم الى قتال هؤلاء القوم وفيما يجب الطاعة فيه للائمة جملة وبالله تعالى التوفيق. واما ما افتوا به باجتهادهم فما اوجبوا قط اتباع اقوالهم فيه فكيف ان يوجب ذلك غيرهم وبالله تعالى التوفيق. وايضا فان هذا اجماع الامة كلها اذ ليس احد من اهل العلم الا وقد خالف بعض فتاوى هؤلاء الائمة الثلاثة رضى الله عنهم فصح ما ذكرنا والحمد لله رب العالمين

(فصل قال ابو محمد) وجميع فرق اهل القبلة ليس منهم احد يجيز امامة امرأة ولا امامة صبي لم يبلغ الا الرافضة فانها تجيز امامة الصغير الذى لم يبلغ والحمل فى بطن امه وهذا خطأ لان من لم يبلغ فهو غير مخاطب والامام مخاطب باقامة الدين وبالله تعالى التوفيق. قال الباقلانى واجب ان يكون الامام افضل الامة

لما احدثت العلل المفارقة النفس الجزوية فان احداثها بالاسبب يخصص احداث واحد دون واحد يمنع عن وقوع الكثرة فيها بالعدد ولان كل كائن بعد مالم يكن يستدعى ان يتقدمه مادة يكون فيها تهيؤ قبوله او تهيؤ نسبته اليه كما تبين ولانه لو كان يجوز ان يكون النفس الجزئية تحدث ولم تحدث لها آلة بها تستكمل وتفعل لكانت معطلة الوجود ولا شيء معطل فى الطبيعة ولكن اذا حدث التهيؤ والاستعداد فى الآلة حدث من العلل المفارقة شيء هو النفس وليس اذا وجب حدوث شيء من حدوث شيء وجب ان يبطل مع بطلانه واما القسم الثالث مما ذكرنا وهو ان تعلق النفس بالجسم تعلق التقدم ان كان بالزمان فيستحيل ان يتعلق وجوده به وقد تقدمه في الزمان وان كان بالذات فليس فرض عدم المتاخر يوجب عدم المتقدم على ان فساد البدن بامر يخصه من تغير المزاج والتركيب

(قال ابو محمد) وهذا خطا متيقن لبرهانين أحدهما انه لا يمكن ان يعرف الافضل الا بالظن في ظاهر امره وقد قال تعالى * ان الظن لا يغني من الحق شيئا * والثاني ان قريشا قد كثرت وطبقت الارض من اقصى المشرق الى اقصي المغرب ومن الجنوب الى الشمال ولا سبيل ان يعرف الافضل من قوم هذا مبلغ عددهم بوجه من الوجوه ولا يمكن ذلك اصلا ثم يكفي من بطلان هذا القول اجماع الامة علي بطلانه فان جميع من ادرك من الصحابة رضى الله عنه من جميع المسلمين في ذلك العصر قد اجمعوا علي صحة امامة الحسن اومعاوية وقد كان في الناس افضل منهم بلا شك كسعد بن ابي وقاص وسعيد بن زيد وابن عمر وغيرهم فلو كان ما قاله الباقلاني حقا لكانت امامة الحسن ومعاوية باطلة وحاشا الله عز وجل من ذلك. وايضا فان هذا القول الذى قاله هذا المذكور دعوى فاسدة ولا علي صحتها دليل لا من قرآن ولا من سنة صحيحة ولا سقيمة ولا من قول صاحب ولا من قياس والعجب كله ان يقول انه جائز ان يكون في هذه الامة من هو افضل من رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث بعث الى ان مات ثم لا يجيز ان يكون احد افضل من الامام

(قال ابو محمد) وهذا القول منه في النبي صلى الله عليه سلم كفر مجرد ولا خفاء به وفيه خلاف لاهل الاسلام وانما يجب ان يكون الامام قرشيا بالغا ذكرا مميزا بريئا من المعاصي الظاهرة حاكما بالقرآن والسنة فقط ولا يجوز خلعه ما دام يمكن منعه من الظلم فان لم يمكن الا بازالته ففرض ان يقام كل ما يوصل به الى دفع الظلم لقول الله تعالي * وتعاونوا علي البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان * وبالله تعالى التوفيق

الكلام في وجوه الفضل والمفاضلة بين الصحابة

(قال ابو محمد) اختلف المسلمون فيمن هو افضل الناس بعد الانبياء عليهم السلام فذهب بعض اهل السنه وبعض اهل المعتزلة وبعض المرجئة وجميع الشيعة الى ان افضل الامة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب وقد روينا هذا القول نصا عن بعض الصحابة رضى الله عنهم وعن جماعة من التابعين والفقهاء وذهبت الخوارج كلها وبعض اهل السنة وبعض المعتزلة وبعض المرجئة الى ان افضل الصحابة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو بكر وعمر وروينا عن ابي هريرة رضى الله عنه ان افضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم جعفر بن ابي طالب وبهذا قال عاصم النبيل وهو الضحاك بن مخلد وعيسي بن حاضر قال عيسي وبعد جعفر حمزة رضي الله عنه • وروينا عن نحو عشرين من الصحابة ان اكرم الناس علي رسول الله صلي الله عليه وسلم علي بن ابي طالب والزبير بن العوام وروينا عن ام المؤمنين عائشة رضى الله عنها مات رسول الله صلي الله عليه وسلم وثلاث رجال لا يعد احد عليهم بفضل سعد بن معاذ واسيد بن حضير وعباد بن بشر وروينا عن ام سلمة ام المؤمنين رضى الله عنها انها تذكرت الفضل ومن هو خير فقالت ومن هو خير من ابي سلمة اول بيت هاجر الى رسول الله صلي الله عليه وسلم وروينا عن مسروق بن الاجدع وتميم بن حذلم وابراهيم النخعي وغيرهم ان افضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن مسعود وقال تميم وهو من كبار التابعين رأيت ابا بكر وعمر فما رايت مثل عبد الله بن مسعود وروينا عن بعض من ادرك النبي صلى الله عليه وسلم ان افضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب وانه افضل من ابي بكر رضى الله عنهما وبلغني عن محمد بن

ليس ذلك مما يتعلق بالنفس فبطلان البدن لا يقتضي بطلان النفس ونقول ان شيئا آخر لا يفسد النفس ايضا بل هي في ذاتها لا تقبل الفساد لان كل شيء من شانه ان يفسد بامر ما ففيه قوة بان يفسد وقبل الفساد فيه فعل ان يبقي ومحال ان يكون من جهة واحدة في شيء واحد قوة ان يفسد وفعل ان يبقى فان تهيؤه للفساد شيء وفعله للبقاء شيء اخر فالاشياء المركبة يجوز ان يجتمع فيها الامران لوجهين اما البسيطة فلا يجوز ان يجتمع فيها ومن الدليل على ذلك ايضا ان كل شيء يبقي وله قوة ان يفسد فله قوة ان يبقى ايضا لان بقاءه ليس بواجب ضروري واذا لم يكن واجبا كان ممكنا والامكان هو طبيعة القوة فاذا يكون له في جوهره قوة ان يبقي وفعل ان يبقى فيكون فعل ان يبقى منه امرا يعرض للشيء الذى له قوة ان يبقى فذلك الشيء الذى له قوة على البقاء وفعل البقاء امر مشترك له فعل البقاء كالصورة

عبدالله الحاكم النيسابورى انه كان يذهب الى هذا القول. قال داود بن على الفقيه رضى الله عنه افضل الناس بعد الانبياء اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وافضل الصحابة الاولون من المهاجرين ثم الاولون من الانصار ثم من بعدهم منهم ولا نقطع على انسان منهم بعينه انه افضل من آخر من طبقته ولقد رأينا من متقدمى اهل العلم ممن يذهب الى هذا القول وقال لى يوسف بن عبد الله بن عبدالبر النميرى غير مامرة ان هذا هو قوله ومعتقده (قال ابو محمد) والذى نقول به وندين الله تعالى عليه ونقطع على انه الحق عند الله عز وجل ان افضل الناس بعد الانبياء عليهم السلام نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ابو بكر ولا خلاف بين احد من المسلمين فى ان امة محمد صلى الله عليه وسلم أفضل الامم لقول الله عز وجل * كنتم خير أمة اخرجت للناس * وان هذه قاضية على قوله تعالى لبنى اسرائيل * وفضلناكم على العالمين * وانها مبينة لان مراد الله تعالى من ذلك عالم الامم حاشا هذه الامة

(قال ابو محمد) ثم نقول وبالله تعالى التوفيق ان الكلام المهمل دون تحقيق المعنى المراد بذلك الكلام فانه طمس للمعاني وصد عن ادراك الصواب وتعريج عن الحق وابعاد عن الفهم وتخليط وعمى فلنبدأ بعون الله تعالى وتاييده بتقسيم وجوه الفضل التى بها يستحق التفاضل فاذا استبان معنى الفضل وعلى ماذا تقع هذه اللفظة فبالضرورة نعلم حينئذ ان من وجدت فيه هذه الصفات اكثر فهو افضل بلا شك فنقول ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ان الفضل ينقسم الى قسمين لا ثالث لهما فضل اختصاص من الله عز وجل بلا عمل وفضل مجازاة من الله تعالى بعمل فاما فضل الاختصاص دون عمل فانه يشترك فيه جميع المخلوقين من الحيوان الناطق والحيوان غير الناطق والجمادات كفضل الملائكة فى ابتداء خلقهم على سائر الخلق وكفضل الانبياء فى ابتداء خلقهم على سائر الجن والانس وكفضل ابراهيم ابن النبى صلى الله عليه وسلم على سائر الاطفال وكفضل ناقة صالح عليه السلام على سائر النوق وكفضل ذبيحة ابراهيم عليه السلام على سائر الذبائح وكفضل مكة على سائر البلاد وكفضل المدينة بعد مكة على غيرها من البلاد وكفضل المساجد على سائر البقاع وكفضل الحجر الاسود على سائر الحجارة وكفضل شهر رمضان على سائر الشهور وكفضل يوم الجمعة وعرفة وعاشوراء والعشر على سائر الايام وكفضل ليلة القدر على سائر الليالى وكفضل صلاة الفرض على النافلة وكفضل صلاة العصر وصلاة الصبح على سائر الصلوات وكفضل السجود على القعود وكفضل بعض الذكر على بعض فهذا هو فضل الاختصاص المجرد بلا عمل فاما فضل المجازاة بالعمل فلا يكون البتة الا للحي الناطق من الملائكة والانس والجن فقط وهذا هو القسم الذى تنازع الناس فيه فى هذا الباب الذى نتكلم فيه الان من أحق به فوجب ان ننظر أيضا فى اقسام هذا القسم التى بها يستحق الفضل فيه والتقدم فنحصرها ونذكرها بحول الله وقوته ثم ننظر حينئذ من هو أحق به واسعد بالسبوق فيه فيكون بلا شك افضل ممن هو أقل حظا فيها بلا شك وبالله تعالى التوفيق فنقول وبالله تعالى نستعين ان العامل يفضل العامل فى عمله بسبعة أوجه لا ثامن لها وهى المائية وهى عين العمل وذاته والكمية وهى العرض فى العمل والكيفية والكم والزمان والمكان والاضافة فاما المائية فهى ان تكون الفروض من أعمال احدهما موفاة كلها ويكون الاخر يضيع بعض فروضه وله نوافل او يكون كلاهما وفى جميع فروضه ويعملان نوافل زائدة الا ان نوافل احدهما أفضل من نوافل

وقوة البقاء كالمادة فيكون مركبا من مادة وصورة وقد فرضناه واحدا فردا فهو خلف فقد بان كل أمر بسيط فغير مركب فيه قوة ان يبقى وفعل ان يبقى بل ليس فيه قوة ان يعدم باعتبار ذاته والفساد لا يتطرق الا الى المركبات واذا تقرر ان البدن اذا تهيأ واستعد استحق من واهب الصور نفسا مدبرة ولا يختص هذا ببدن دون بدن بل كل بدن حكمه كذلك فاذا استحق النفس وقارنته فى الوجود فلا يجوز ان يتعلق به نفس أخرى لانه يودي الى ان يكون لبدن واحد نفسان وهو محال فالتناسخ اذا باطل *

المقالة السادسة * فى وجه خروج العقل النظرى من القوة الى الفعل وأحوال خاصة بالنفس الانسانية من الرؤيا الصادقة والكاذبة وادراكها علم الغيب ومشاهدتها صورا لا وجود لها من خارج من تلك الوجوه ومعنى النبوة والمعجزات وخصائصها التى التى تتميز بها عن المخاريق أما الاول قد بينا ان النفس الانسانية لها قوة هيولانية

الآخر كأن يكون احدهما يكثر الذكر في الصلاة والآخر يكثر الذكر في حال جلوسه وما أشبه هذا وكانسانين قاتل احدهما في المعركة والموضع المخوف وقاتل الآخر في الردة او جاهد احدهما واشتغل الآخر بصيام وصلاة تطوع او يجتهدان فيصادف احدهما ويحرمه الآخر فيفضل احدهما الآخر في هذه الوجوه بنفس عمله او بان ذات عمله افضل من ذات عمل الاخر فهذا هو التفاضل في المائية من العمل وأما الكمية وهي العرض فان يكون احدهما يقصد بعمله وجه الله تعالى لا يمزج به شيئا البتة ويكون الآخر يساويه في جميع عمله الا انه ربما مزج بعمله شيئا من حب البر في الدنيا وان يستدفع بذلك الاذى عن نفسه وربما مزجه بشيء من الرياء فيفضله الاول بعرضه في عمله وأما الكيفية فان يكون احدهما يوفي عمله جميع حقوقه ورتبه لا منتقصا ولا متزيدا ويكون الآخر ربما انتقص بعض رتب ذلك العمل وسننه وان لم يعطل منه فرضا او يكون احدهما يصفي عمله من الكبائر وربما أتى الآخر ببعض الكبائر فيفضله الاخر بكيفية عمله وأما الكم فان يستويا في أداء الفرض ويكون احدهما اكثر نوافل فيفضله هذا بكثرة عدد نوافله كما روي في رجلين اسلما وهاجرا ايام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استشهد احدهما وعاش الاخر بعده سنة ثم مات على فراشه فرأى بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحدهما في النوم وهو آخرهما موتا في افضل من حال الشهيد فسال عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام كلاما معناه فاين صلاته وصيامه بعده ففضل احدهما الآخر بالزيادة التي زادها عليه في عدد اعماله وأما الزمان فكمن عمل في صدر الاسلام او في عام المجاعة او في وقت نازلة بالمسلمين وعمل غيره بعد قوة الاسلام وفي زمن رخاء وأمن فان الكلمة في اول الاسلام والتمرة والصبر حينئذ وركعة في ذلك الوقت تعدل اجتهاد الأزمان الطوال وجهادها وبذل الاموال الجسام بعد ذلك ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوا لي أصحابي فلو كان لاحدكم مثل احد ذهبا فانفقه ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه فكان نصف مد شعيرا وتمر في ذلك الوقت افضل من جبل احد ذهبا ننفقه نحن في سبيل الله عز وجل بعد ذلك قال الله تعالى * لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى

(قال ابو محمد) هذا في الصحابة فيما بينهم فكيف بمن بعدهم معهم رضي الله عنهم أجمعين

(قال ابو محمد) وهذا يكذب قول أبي هاشم محمد بن علي الجبائي وقول محمد بن الطيب الباقلاني فان الجبائي قال جائز ان طال عمر امرىء ان يعمل ما يوازي عمل نبي من الانبياء وقال الباقلاني جائز ان يكون في الناس من هو أفضل من رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث بعث بالنبوة الى ان مات

(قال ابو محمد) وهذا كفر مجرد وردة وخروج عن دين الاسلام بلا مرية وتكذيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم في اخباره انا لا ندرك احدا من اصحابه وفي اخباره عليه السلام عن اصحابه رضي الله عنهم بانه ليس مثلهم وانه اتقاهم لله واعلمهم بما يأتي وما يذر وكذلك قالت الخوارج والشيعة فان الشيعة يفضلون أنفسهم وهم شر خلق الله عز وجل على ابي بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وعائشة وجميع الصحابة رضي الله عنهم حاشا عليا والحسن والحسين وعمار بن ياسر والخوارج يفضلون انفسهم وهم شر خلق الله تعالى وكلاب النار على عثمان

أي استعداد لقبول المعقولات فافهم وكل ماخرج من القوة الى الفعل لابد له من سبب يخرجه الى الفعل وذلك السبب يجب ان يكون موجودا بالفعل فانه لو كان موجودا بالقوة لاحتاج الى مخرج آخر فاما ان يتسلسل أو ينتهي الى مخرج هو موجود بالفعل لا قوة فيه فلا يجوز ان يكون ذلك جسما لان الجسم مركب من مادة وصورة والمادة أمر بالقوى فهو اذا جوهر مجرد عن المادة وهو الفعال وانما سمي فعالا لان كل العقول الهيولانية منفعلة وقد سبق اثباته في الالهيات من وجه آخر وليس يخص فعله بالقول والنفوس بل وكل صورة في العالم فانما هي من فيضه العام فيعطي كل قابل ما استعد له من الصور واعلم ان الجسم وقوة في جسم لا يوجد شيئا فان الجسم مركب من مادة وصورة والمادة طبيعتها عدمية فلو أثر الجسم لأثر بمشاركة المادة وهي عدم والعدم لا يؤثر في الوجود فالعقل الفعال

وعلى وطلحة والزبير ولقد خاب من خالف كلام الله تعالى وقضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم

(قال ابو محمد) وكذلك القليل من الجهاد والصدقة فى زمان الشدائد أفضل من كثيرهما فى وقت القوة والسعة وكذلك صدقة المرء بدرهم فى زمان فقره وصحته يرجو الحياة ويخاف الفقر أفضل من الكثير يتصدق به فى عرض غناه وفيه وصيته بعد موته وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق درهم مائة الف وهو انسان كان له درهمان تصدق باحدهما والآخر عمد الى عرض ماله تصدق منه بمائة الف وكذلك صبر المرء على اداء الفرائض فى حال خوفه ومرضه وقليل تنفله فى زمان مرضه وخوفه أفضل من عمله وكثير تنفله فى زمان صحته وامنه فافضل من ذكر ناغيرهم بزمان عملهم وكذلك من وفق لعمل الخير في زمان آخر اجله هو أفضل ممن خلط فى زمان آخر أجله، أما المكان فكصلاة فى المسجد الحرام او مسجد المدينة فهما افضل من الف صلاة فيما عداهما، تفضل الصلاة فى المسجد الحرام على الصلاة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمائة درجة وكصيام فى بلد العدو او فى الجهاد على صيام فى غير الجهاد فافضل من عمل فى المكان الفاضل غيره ممن عمل فى غير ذلك المكان بمكان عمله وان تساوى العملان واما الاضافة فركعة من نبى أو ركعة مع نبى أو صدقة من نبي او صدقة معه اوذكر منه اوذكر معه وسائر أعمال البر منه اومعه فقليل ذلك أفضل من كثير الاعمال بعده ويبين ذلك ماقد ذكرنا آنفا من قول الله عز وجل * لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل * واخباره عليه السلام ان احدنا لو انفق مثل احد ذهبا ما بلغ نصف مد من احد من الصحابة رضى الله عنهم

(قال ابو محمد) وبهذا قطعنا على ان كل عمل عملوه بانفسهم بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم لا يوازى شيئا من البر عمله ذلك الصاحب بنفسه مع النبى صلى الله عليه وسلم لا ما عمله غير ذلك الصاحب بعد النبى صلى الله عليه وسلم ولو كان غير ماتقول لجاز ان يكون انس وابو امامة الباهلى وعبد الله بن أبي اوفى وعبد الله بن بسر وعبد الله بن الحارث بن حزم وسهل بن سعد الساعدى رضى الله عنهم أفضل من أبي بكر وعمر وعثمان وابي عبيدة وزيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب ومصعب بن عمير وعبد الله بن جحش وسعد بن معاذ وعثمان بن مظعون وسائر السابقين من المهاجرين والانصار المتقدمين رضى الله عنهم اجمعين لان بعض اولئك عبدوا الله عز وجل بعد موت اولئك بعضهم بعد موت بعض بتسعين عاما فما بين ذلك الى خمسين عاما وهذا مالا يقوله احد يعتد به

(قال ابو محمد) وبهذا قطعنا على ان من كان من الصحابة حين موت رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من آخر منهم فان ذلك المفضول لا يلحق درجة الفاضل له حينئذ ابدا وان طال عمر المفضول وتعجل موت الفاضل وبهذا ايضا لم نقطع على فضل احد منهم رضى الله عنهم حاشا من ورد فيه النص من النبى صلى الله عليه وسلم ممن مات منهم فى حياة النبي صلى الله عليه وسلم بل نقف فى هؤلاء على ما نبينه بعد هذا ان شاء الله تعالى

(قال ابو محمد) فهذه وجوه الفضائل بالاعمال التى لا يفضل ذو عمل ذا عمل فيما سواها البتة ثم نتيجة هذه الوجوه كلها وثمرتها ونتيجة فضل الاختصاص المجرد دون عمل ايضا لا ثالث لهما البتة احدهما ايجاب الله تعالى تعظيم الفاضل فى الدنيا على المفضول فهذا الوجه يشترك فيه كل فاضل بعمل او اختصاص مجرد بلا عمل من عرض او جماد او حى ناطق او غير ناطق

هو المجرد عن المادة وعن كل قوة فهو بالفعل من كل وجه وأما الثانى من الاحوال الخاصة بالنفس النوم والرؤيا فالنوم غور القوة الظاهرة فى أعماق البدن وانحباس الارواح من الظاهر الى الباطن ونعنى بالارواح ههنا أجساما لطيفة مركبة من بخار الاخلاط التى منبعها القلب وهى مراكب القوى النفسانية والحيوانية ولهذا اذا وقعت سدة فى مجاريها من الاعصاب المؤدية للحس بطل الحس وحصل الصرع والسكتة فاذا ركدت الحواس ورقدت بسبب من الاسباب بقيت النفس فارغة عن شغل الحواس لانها لا تزال مشغولة بالتفكر فيما يورد الحواس عليها فاذا وجدت فرصة ورفع عنها المانع واستعدت الاتصال بالجواهر الروحانية الشريفة العقلية التى فيها نقش الموجودات كلها فانطبع فى النفس ما فى تلك الجواهر من صور الاشياء لاسيما ما يناسب أغراض الرأى ويكون انطباع تلك الصورة فى

وقد امرنا الله تعالى بتعظيم الكعبة والمساجد ويوم الجمعة والشهر الحرام وشهر رمضان وناقة صالح وابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الله والملائكة والنبيين على جميعهم صلوات الله وسلامه والصحابة اكثر من تعظيمنا وتوقيرنا غير ماذكرنا ومن ذكرنا من المواضع والايام والنوق والاطفال والكلام والناس هذا مالا شك فيه وهذا خاصة كل فاضل لا يخلو منها فاضل اصلا ولا يكون البتة الا الفاضل والوجه الثانى هو ايجاب الله تعالى للفاضل درجة فى الجنة أعلى من درجة المفضول اذلا يجوز عند احد من خلق الله تعالى ان يامر باجلال المفضول اكثر من اجلال الفاضل ولا ان يكون المفضول اعلى درجة فى الجنة من الفاضل ولو جاز ذلك لبطل معنى الفضل جملة ولكان لفظا لا حقيقة له ولا معنى تحته وهذا الوجه الثاني الذى هو علو الدرجة في الجنة هو خاصة لكل فاضل بعمل فقط من الملائكة والانس والجن وبالله تعالى التوفيق

﴿قال ابو محمد﴾ فكل مامور بتعظيمه فاضل وكل فاضل فمامور بتعظيمه وليس الاحسان والبر والتوقير والتذلل المفترض فى الابوين الكافرين من التعظيم فى شيء فقد يحسن المرء الى من لا يعظم ولا يهين كاحسان المرء الى جاره وغلامه واجيره ولا يكون ذلك تعظيما وقد يبر الانسان جاره والشيخ من أكرته (١) ولا يسمى ذلك تعظيما وقد يوفر الانسان من يخاف ضره ولا يسمى ذلك تعظيما وقد يتذلل الانسان للمتسلط الظالم ولا يسمى ذلك تعظيما وفرض على كل مسلم البراءة من ابويه الكافرين وعداوتهما فى الله عز وجل قال الله عز وجل * لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم اولئك كتب فى قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه * وقال عز وجل * قد كانت لكم اسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده * وقال عز وجل * وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرء منه ان ابراهيم لاواه حليم * فقد صح بيقين ان ما وجب للابوين الكافرين من بر واحسان وتذلل ليس هو التعظيم الواجب لمن فضله الله عز وجل لان التعظيم الواجب لمن فضله الله عز وجل هو مودة فى الله ومحبة فيه وولاية له وأما البر الواجب للابوين الكافرين والتذلل لهما والاحسان اليهما فكل ذلك مرتبط بالعداوة لله تعالى وللبراءة منه واسقاط المودة كما قال الله تعالى فى نص القرآن وبالله تعالى التوفيق

*(قال ابو محمد) * وقد يكون دخول الجنة اختصاصا مجردا دون عمل وذلك للاطفال كما ذكرنا قبل فاذ قد صح ماذكرنا قبل يقينا بلا خلاف من احد فى شيء منه فبيقين ندرى انه لا تعظيم يستحقه احد من الناس فى الدنيا بايجاب الله تعالى ذلك علينا بعد التعظيم الواجب علينا للانبياء عليهم السلام اوجب ولا أوكد مما الزمناه الله تعالى من التعظيم الواجب علينا لنساء النبى صلى الله عليه وسلم بقول الله تعالى * النبى أولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم * فاوجب الله لهن حكم الامومة على كل مسلم هذا سوى حق اعظامهن بالصحبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلهن رضى الله تعالى عنهن مع ذلك حق الصحبة له كسائر الصحابة الا ان لهن من الاختصاص فى الصحبة ووكيد الملازمة له عليه السلام ولطيف المنزلة عنده عليه السلام والقرب منه والحظوة لديه ماليس لاحد من الصحابة رضى الله عنهم فمن اعلي

النفس كانطباع صورة فى مرآة فان كانت الصور جزوية ووقعت من النفس فى المصورة وحفظها الحافظة على وجهها من غير تصرف المخيلة صدقت الرؤيا ولا يحتاج الى تعبير وان وقعت فى المتخيلة حاكت ما يناسبها من الصور المحسوسة وهذه تحتاج الى تعبير وتاويل ولما تكن تصرفات الخيال مضبوطة واختلفت باختلاف الاشخاص والاحوال اختلفت التعبير واذا تحركت المتخيلة منصرفة عن عالم العقل الى الى عالم الحس واختلطت تصرفاتها كانت الرؤيا أضغاث أحلام لا تعبير لها وكذلك لو غلبت على المزاج احدى الكيفيات الاربع رأى فى المنام أحوالا مختلطة وأما الثالث فى ادراك علم الغيب فى اليقظة ان بعض النفوس يقوى قوة لا تشغله الحواس ولا يتسع بالقوة للنظر الى عالم العقل والحس جميعا فيطلع الى عالم الغيب فيظهر له بعض الامور كالبرق الخاطف وبقي المتصور المدرك فى الحافظة بعينه وكان ذلك

---

(١) أكرته ثلاثى من باب نصر أى وقد يبر الشيخ امرأة أكرته أى أجرته للحراثة والزرع

درجة في الصحبة من جميع الصحابة ثم فضلن سائر الصحابة بحق زائد وهو حق الامومة الواجب لهن كلهن بنص القرآن فوجدنا الحق الذى به استحق الصحابة الفضل قد شاركنهم فيه وفضلنهم فيه ايضا ثم فضلنهم بحق زائد وهو حق الامومة ثم وجدناهن لا عمل من الصلاة والصدقة والصيام والحج وحضور الجهاد يسبق فيه صاحب من الصحابة الا كان فيهن فقد كن يجهدن انفسهن في ضيق عيشهن على الكد في العمل بالصدقة والعتق ويشهدن الجهاد معه عليه السلام وفى هذا كفاية بينة في انهن افضل من كل صاحب ثم لا شك عند كل مسلم وبشهادة نص القرآن اذ خيرهن الله عز وجل بين الدنيا وبين الدار الاخرة والله ورسوله فاخترن الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم والدار الاخرة فهن ازواجه فى الآخرة بيقين فاذهن كذلك فهن معه صلى الله عليه وسلم بلا شك في درجة واحدة في الجنة في قصوره وعلى سرره اذ لا يمكن البتة ان يحال بينه وبينهن في الجنة ولا ان ينحط عليه السلام الي درجة يسفل فيها عن احد من الصحابة هذا مالا يظنه مسلم فاذا لا شك في حصولهن علي هذه المنزلة فبالنص والاجماع علمنا انهن لم يؤتين ذلك اختصاصا مجردا دون عمل بل باستحقاقهن لذلك باختيارهن الله ورسوله والدار الآخرة اذ امره الله عز وجل ان يخيرهن فاخترن الله عز وجل ونبيه صلى الله عليه وسلم وهو افضل الناس ثم قد حصل لهن افضل الاعمال في جميع الوجوه السبعة التى قدمنا آنفا أنه لا يكون التفاضل الا بها في الاعمال خاصة ثم قد حصل لهن على ذلك أوكد التعظيم فى الدنيا ثم قد حصل لهن ارفع الدرجات فى الآخرة فلا وجه من وجوه الفضل الا ولهن فيه اعلى الحظوظ كلها بلا شك ومارية ام ابراهيم داخلة معهن في ذلك لانها معه عليه السلام فى الجنة ومع ابنها منه بلا شك فاذ قد ثبت كل ذلك على رغم الأبى فقد وجب ضرورة ان يشهد لهن كلهن بانهن افضل من جميع الخلق كلهن بعد الملائكة والنبيين عليهم السلام وكيف ومعنا نص النبي صلى الله عليه وسلم كما حدثنا احمد بن محمد بن عبد الله الطلمنكى ثنا محمد بن احمد بن مفرج ثنا محمد بن أيوب الرقى الصموت ثنا احمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار ثنا احمد بن عمر وحدثنا المعتمر بن سليمان التيمى ثنا حميد الطويل عن انس بن مالك قال قيل يارسول الله من احب الناس اليك قال عائشة قال من الرجال قال فابوها * حدثنا عبد الله بن يوسف بن نامى قال حدثنا احمد بن فتح حدثنا عبد الوهاب ابن قيس حدثنا احمد بن محمد الاشقر حدثنا احمد بن على القلانسى ثنا مسلم بن الحجاج ثنا يحيي بن يحيي بن خالد بن عبد الله هو الطلحان عن خالد الحذاء عن ابي عثمان النهدى قال اخبرنى عمرو بن العاص ان رسول ألله صلى الله عليه وسلم بعثه الى جيش ذات السلاسل قال فاتيته فقلت اي الناس احب اليك فقال عائشة قلت من الرجال قال ابوها قلت ثم من قال عمر فعد رجالا فهذان عدلان انس وعمرو يشهدان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبر بان عائشة احب الناس اليه ثم ابوها وقد قال عز وجل عنه عليه السلام * وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحي * فصح ان كلامه عليه السلام انها احب الناس اليه وحى اوحاه الله تعالى اليه ليكون كذلك ويخبر بذلك لا عن هوي له ومن ظن ذلك فقد كذب الله تعالى لكن لاستحقاقها لذلك الفضل في الدين والتقديم فيه على جميع الناس الموجب لان يحبها رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر من محبته لجميع الناس فقد فضلها رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابيها وعلى عمر وعلى وعلى فاطمة تفضيلا ظاهرا بلا شك فان قال قائل فقل ان ابراهيم ابن

وحيا صريحا وان وقع في المتخيلة واشتغلت بطبيعة المحاكاة كان ذلك مفتقرا الى التأويل وأما الرابع في مشاهدة النفس صورا محسوسة لا وجود لها وذلك ان النفس تدرك الامور الغائبة ادراكا قويا فيبقى عين ما أدركته في الحفظ وقد يقبله قبولا ضعيفا فيستولى عليه المتخيلة وتحاكيه بصورة محسوسة واستتبعت الحس المشترك وانطبعت الصورة فى الحس المشترك سراية اليه من المصورة المتخيلة والابصار هو وقوع صورة في الحس المشترك فسواء وقع فيه امر من خارج بواسطة البصر أو وقع فيه أمر من داخل بواسطة الخيال كان ذلك محسوسا فمنه ما يكون من قوة النفس وقوة آلات الادراك ومنه ما يكون من ضعف النفس والالات وأما الخامس فالمعجزات والكرامات قال خصائص المعجزات والكرامات ثلاث خاصية فى قوة النفس وجوهرها ليؤثر في هيولا العالم بازالة صورة وايجاد صورة وذلك

رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل من أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم لكونه مع ابيه عليه السلام في الجنة في درجة واحدة قلنا له وبالله تعالى التوفيق ان ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما استحق تلك المنزلة بعمل كان منه وانما هو اختصاص مجرد وانما تقع المفاضلة بين الفاضلين اذا كان فضلهما واحدا من وجه واحد فتفاضلا فيه واما ان كان الفضل من وجهين اثنين فلا سبيل الى المفاضلة بينهما لان معنى قول القائل أي هذين افضل انما هو اي هذين اكثر أوصافا في الباب الذي اشتركا فيه ألا ترى انه لا يقال ايهما افضل رمضان او ناقة صالح ولا ايهما افضل الكعبة او الصلاة بل نقول ايهما افضل مكة او المدينة وايهما افضل رمضان او ذو الحجة وايهما افضل الزكاة أم الصلاة وايهما افضل ناقة صالح أو ناقة غيره من الانبياء فقد صح أن التفاضل انما يكون في وجه اشترك فيه المسؤل عنهما فيسبق احدهما فيه فاستحق ان يكون افضل وفضل ابراهيم ليس على عمل اصلا وانما هو اختصاص مجرد واكرام لابيه صلى الله عليه وسلم وأما نساؤه عليه السلام فكونهن وكون سائر أصحابه عليهم السلام في الجنة انما هو جزاء لهن ولهم على أعمالهن وأعمالهم قال الله بعد ذكر الصحابة رضي الله عنهم * جزاء بما كانوا يعملون * وقال بعد ذكر الصحابة * وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما * وقال تعالى مخاطبا لنسائه عليه السلام * ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين * وهذا نص قولنا ولله الحمد وقال تعالى * وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون * وقال تعالى * غرف من فوقها غرف مبنية * وقال تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى * فان قال قائل فكيف تقولون في قوله عليه السلام لن يدخل الجنة احد بعمله قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمة منه وفضل قلنا نعم هذا حق موافق للآيات المذكورة وهكذا نقول انه لو عمل الانسان دهره كله ما استحق على الله تعالى شيئا لانه لا يجب على الله تعالى شيء اذ لا موجب للاشياء الواجبة غيره تعالى لانه المبتدي لكل ما في العالم والخالق له فلولا ان الله تعالى رحم عباده وحكم بان طاعتهم له يعطيهم بها الجنة لما وجب ذلك عليه فصح انه لا يدخل احد الجنة بعمله مجردا دون رحمة الله تعالى لكن يدخلها برحمة الله تعالى التي جعل بها الجنة جزاء على أعمالهم التي اطاعوه بها فاتفقت الآيات مع هذا الحديث والحمد لله رب العالمين

(قال ابو محمد) فاذ لا شك في هذا كله فقد امتنع يقينا ان يجازى بالافضل من كان انقص فضلا وان يجازى بالانقص من كان اتم فضلا وصح ضرورة انه لا يجزى احد من اهل الاعمال في الجنة الا بما استحقه برحمة الله تعالى جزاء على عمله ولله تعالى ان يتفضل على من شاء بما شاء وجائز ان يقدمه على ذوي الاعمال الرفيعة قال تعالى * يختص برحمته من يشاء * وقال تعالى * ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء * ولا يجوز خلاف هذه النصوص لاحد لان من خالفها كذب القرآن ولولا هذه النصوص لما ابعدنا ان يعذب الله تعالى على الطاعة وان ينعم على المعصية وان يجزى الافضل بالانقص والانقص بالافضل لان كل شيء ملكه وخلقه لا مالك لشيء سواه ولا معقب لحكمه ولا حق لاحد عليه لكن قد أمنا ذلك كله باخبار الله تعالى انه لا يجزي ذا عمل الا بعمله وانه يتفضل على من يشاء فلزم الاقرار بكل ذلك وبالله تعالى التوفيق فلو قال قائل انما فضل في الجنة وعلى عددا كان ابراهيم ابن رسول

ان الهيولى منقادة لتأثير النفوس الشريفة المفارقة مطيعة لقواها السارية في العالم وقد تبلغ نفس انسانية في الشرف الى حد يناسب تلك النفوس فيفعل فعلها وتقوى على ما قويت هي فتزيل جبلا عن مكانه وتذيب جوهرا فيستحيل ماء وتجمد جسما سائلا فيستحيل حجرا ونسبة هذه النفس الى تلك النفوس كنسبة السراج الى الشمس وكما ان الشمس تؤثر في الاشياء تسخينا بالاضاءة كذلك السراج يؤثر بقدره وأنت تعلم ان للنفس تأثيرات جزئية في البدن فانه اذا حدث في النفس صورة الغلبة والغضب حمي المزاج واحمر الوجه واذا حدثت صورة مشتهاة فيها حدث في اوعية المني حرارة منجرة مهيجة للريح حتى يملأ عروق آلة الوقاع فتستعد له والمؤثر ها هنا مجرد التصور لا غير والخاصية الثانية ان تصفو النفس صفاء يكون شديد الاستعداد للاتصال بالعقل الفعال حتى يفيض عليها العلوم فانا قد ذكرنا حال القوة القدسية التي

الله عليه وسلم أومكان ابى بكر وعمر وعثمان وعلي رضى الله عنهم قلنا مكان ابراهيم اعلى بلاشك ولكن ذلك المكان اختصاص مجرد لابراهيم المذكور لم يستحقه بعمل ولا استحق ايضا ان يقصر به عنه ومواضيع هؤلاء المذكورين جزآء لهم على قدر فضلهم وسوابقهم وكذلك نساؤه صلى الله عليه وسلم مكانهم جزاء لهن على قدر فضلهن وسوابقهن فلا يقال ان ابراهيم ابن رسول الله صلي الله عليه وسلم افضل من ابي بكر او عمر ولا يقال ايضا ان أبابكر وعمر افضل من ابراهيم والمفاضلة واقعة بين الصحابة وبين نساء رسول الله صلي الله عليه وسلم لان اعمالهم وسوابقهم لها مراتب متناسبة بلاشك فان قال قائل انهن لولا رسول الله صلى الله عليه وسلم ماحصلن تلك الدرجة وانما تلك الدرجة له عليه السلام قلنا وبالله تعالى التوفيق نعم ولاشك ايضا فى ان جميع الصحابة لولا رسول الله صلى الله عليه وسلم ماحصلوا ايضا علي الدرج التى لهم فيها فاعماهى اذا علي قولكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما قلتم ولا فرق وبقى الفضل والتقدم لهن كما كان فى كل ذلك ولا فرق

(قال ابو محمد) واما فضلهن على بنات النبى صلى الله عليه وسلم فبين بنص القرآن لاشك فيه قال الله عز وجل * يانسآء النبي لستن كاحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول * فهذا بيان قاطع لا يسع احدا جهله فان عارضنا معارض يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم خير نسائها فاطمة بنت محمد قلنا له وبالله تعالى التوفيق فى هذا الحديث بيان جلى لما قلنا وهو انه عليه السلام لم يقل خير النساء فاطمة وانما قال خير نسائها فخص ولم يعم وتفضيل الله عز وجل النساء النبي صلى الله عليه وسلم على النساء عموم لاخصوص لايجوز ان يستثنى منه احد الا من استثناه نص آخر فصح انه عليه السلام انما فضل فاطمة على نساء المؤمنين بعد نسائه صلى الله عليه وسلم فاتفقت الآية مع الحديث وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام فهذا ايضا عموم موفق الآية ووجب ان يستثنى ماخصه النبي صلي الله عليه وسلم بقوله نسائها من هذا العموم فصح ان نساءه عليه السلام افضل النساء جملة حاشا اللواتي خصهن الله تعالى بالنبوة كام اسحاق وام موسى وأم عيسى عليهم السلام وقد نص الله تعالى على هذا بقوله الصادق * يامريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين * ولاخلاف بين المسلمين فى ان جميع الانبياء كل نبي منهم افضل ممن ليس بنبي من سائر الناس ومن خالف هذا فقد كفر وكذلك أخبر عليه السلام فاطمة انها سيدة نساء المومنين ولم يدخل نفسه صلى الله عليه وسلم فى هذه الجملة بل اخبر عمن سواه وبرهان آخر وهو قول الله تعالي مخاطبا لهن * ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين *

(قال ابو محمد) فهذا فضل ظاهر وبيان لائح فى انهن افضل من جميع الصحابة رضى الله عنهم وبهذه الآية صحة متيقنة لا يمترى فيها مسلم فابو بكر وعمر وعثمان وعلى وفاطمة وسائر الصحابة رضي الله عنهم اذا عمل الواحد منهم عملا يستحق عليه مقدارا ما من الاجر وعملت امرأة من نساء النبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك العمل بعينه كان لها مثل ذلك المقدار من الاجر فاذا كان نصيف الصحابي وفاطمة رضى الله عنهم يفي باكثر من مثل جبل احد ذهبا ممن بعده كان للمرأة من نسائه عليه السلام فى نصيفها اكثر من ملئ جبلين اثنين مثل جبل احد ذهبا وهذه فضيلة ليست لاحد بعد الانبياء عليهم السلام الا لهن وقد صح عن النبي صلى

تحصل لبعض النفوس حتى تستغنى فى اكثر أحواله عن التفكر والتعلم والشريف البالغ منه يكاد زيتها تضئ ولو لم تمسسه نار نور على نور والخاصية الثالثه للقوة المتخيلة بان تقوى النفس وتتصل فى اليقظة بعالم الغيب كما سبق وتحاكى المتخيلة ما أدرك النفس بصورة جميلة وأصوات منظومة فيرى فى اليقظة ويسمع فتكون الصورة المحاكية للجوهر الشريف صورة عجيبة في غاية الحسن وهو الملك الذى يراه النبي وتكون المعارف التى تتصل بالنفس من اتصالها بالجواهر الشريفة تتمثل بالكلام الحسن المنظوم الواقع فى الحس المشترك فيكون مسموعا والنفوس وان اتفقت فى النوع الا انها اتتمايز بخواص تختلف افاعيلها

الله عليه وسلم انه يوعك كوعك رجلين من اصحابه لان له (١) على ذلك كفلين من الاجر

(قال أبو محمد) وليس بعد هذا بيان فى فضلهن على كل احد من الصحابة الا من أعمى الله قلبه من الحق ونعوذ بالله من الخذلان

(قال ابو محمد) وقد اعترض علينا بعض اصحابنا فى هذا المكان بقول الله تعالى عن أهل الكتاب اذ آمنوا * اولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا * قال فيلزم انهم أفضل منا فقلت له ان هذه الآية والخبر الذى فيه ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين فذكر مؤمن اهل الكتاب والعبد الناصح ومعتق امته ثم يتزوجها فيهما بيان الوجه الذى أجروا به مرتين وهو الايمان بالنبى صلى الله عليه وسلم و بالنبى الاول المبعوث بالكتاب الاول ونحن نؤمن بهذا كله كما آمنوا فنحن شركاء ذلك المؤمن منهم فى ذينك الايمانين وكذلك العبد الناصح يؤجر لطاعة سيده اجرا ولطاعة الله أجرا وكذلك معتق امته ثم يتزوجها يؤجر على عتقه اجرا ثم على نكاحه اذا اراد به وجه الله تعالى اجرا ثانيا فصح بالنص يقينا ان هؤلاء انما يؤتون اجرهم مرتين فى خاص من اعمالهم لا فى جميع اعمالهم وليس فى هذا ما يمنع من ان يؤجر غيرهم فى غير هذه الاعمال اكثر من اجور هؤلاء وايضا فانما يضاعف لهؤلاء على ما عمله اهل طبقتهم وليست المضاعفة لاجور نساء النبى صلى الله عليه وسلم مرتين من هذا فى ورد ولا صدر لان المضاعفة لهن انما هى فى كل عمل عملته بنص القرآن اذ يقول تعالى * ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين * فكل عمل عمله صاحب من الصحابة له فيه اجر فلكل امرأة منهن فى مثل ذلك العمل اجران والمضاعفة لهن انما تكون على ما عمله طبقتهن من الصحابة وقد علمنا ان بين عمل الصاحب وعمل غيره اعظم مما بين احد ذهبا ونصف مد شعير فيتم لكل واحدة منهن مثلا ذلك مرتين وهذا لا يخفى على ذى حس سليم فبطلت المعارضة التى ذكرناها والحمد لله رب العالمين

(قال ابو محمد) واعترض علينا ايضا بعض الناس فى الحديث الذى فيه ان عائشة احب الناس اليه ومن الرجال ابوها بان قال قد صح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لاسامة بن زيد ان اباه كان احب الناس الى وان هذا احب الناس الى بعده وصح انه عليه السلام قال للانصار انكم احب الناس الى

(قال ابو محمد) واما هذا اللفظ الذى فى حديث اسامة بن زيد انه احب الناس اليه عليه السلام فقد روى من طريق حماد بن سلمة عن موسى بن عقبة عن سالم عن ابيه واما الذى فيه ذكر اسامة وزيد رضى الله عنهما فانما رواه عمر بن حمزة عن سالم بن عبد الله عن ابيه وعمر بن حمزة هذا ضعيف والصحيح من هذا الخبر هو ما رواه عبد الله بن دينار عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم باسناد لا مغمز فيه فذكر فيه انه عليه السلام قال يعنى لزيد بن حارثة وايم الله ان كان لخليق بالامارة وان كان لمن احب الناس الى وان هذا من احب الناس الى بعده وهذا يقضى على حديث موسى بن عقبة عن سالم عن ابيه لانه مختصر من حديث عبد الله بن دينار وبهذا ينتفى التعارض بين الروايتين عن ابن عمر وعن انس وعمر والا فليس احدهما اولى من الآخر واما حديث الانصار فرووه كما ذكره هشام بن زيد عن انس ورواه عبد العزيز بن صهيب عن انس عن رسول الله صلى الله عليه

اختلافات عجيبة وفى الطبيعة أسرار والاتصالات العلويات بالسفليات عجائب وجل جناب الحق عن ان يكون شريعة لكل وارد وان يرد عليه الا واحد بعد واحد وبعد فما يشتمل عليه هذا الفن ضحكة للمغفل عبرة للمحصل فمن سمعه فاشمأز عنه فليتهم نفسه بانها لا تناسبه وكل ميسر لما خلق له تمت بحمد الله (آراء العرب فى الجاهلية) قد ذكرنا فى صدر هذا الكتاب ان العرب والهند يتقاربان على مذهب واحد وأجملنا القول فيه حيث كانت المقارنة بين الفريقين والمقاربة بين الامتين مقصورة على اعتبار خواص الاشياء والحكم باحكام الماهيات والغالب عليهم الفطرة والطبع وان الروم والعجم

---

(١) الوعك الحمى وقيل المها وقد وعكه المرض وعكا ووعك فهو موعوك والكفل بالكسر الحظ والنصيب

وسلم

وسلم انه قال انتم من احب الناس الي وهو حديث واحد وزيادة العدل مقبولة فصح بزيادة من في الحديث من طريق العدول ان الانصار وزيدا واسامة رضى الله عنهم من جملة قوم هم احب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا حق لا يشك فيه لانهم من اصحابه واصحابه احب الناس اليه بلا شك وليس هكذا جوابه في عائشة رضى الله عنها اذ سئل من احب الناس اليك فقال عائشة فقيل من الرجال قال ابوها الان هذا قطع على بيان ما سأل عنه السائل من معرفة من المنفرد البائن عن الناس بمحبته عليه السلام واعترض علينا بعض الاشعرية بان قال ان الله تعالى يقول * انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء * فصح ان محبته عليه السلام لمن أحب ليس فضلا لانه قد احب عمه وهو كافر

(قال ابو محمد) فقلنا ان هذه الآية ليست على ما ظن وانما مراد الله تعالى * انك لا تهدي من احببت * اى احببت هداه برهان ذلك قوله تعالى * ولكن الله يهدى من يشاء * اى من يشاء هداه وفرض على النبي صلى الله عليه وسلم وعلينا ان نحب الهدى لكل كافر لا ان نحب الكافر وايضا فلو صح ان معنى الآية من احببت كما ظن هذا المعترض لما كان علينا بذلك حجة لان هذه آية مكية نزلت في ابي طالب ثم انزل الله تعالى في المدينة لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم * وانزل الله تعالى في المدينة * لقد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده * وان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احب اباطالب فقد حرم الله تعالى عليه بعد ذلك ونهاه عن محبته وافترض عليه عداوته وبالضرورة يدرى كل ذى حس سليم ان العداوة والمحبة لا يجتمعان اصلا والودة هي المحبة في اللغة التى بها نزل القرآن بلا خلاف من أحد من اهل اللغة فقد بطل ان يحب النبي صلى الله عليه وسلم احدا غير مؤمن وقد صحت النصوص والاجماع على ان محبة رسول صلى الله عليه وسلم لمن احب فضيلة وذلك كقوله عليه السلام لعلى لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فاذ لا شك ولا خلاف في ان محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بخلاف ما قال اهل الجهل والكذب فقد صح يقينا ان كل من كان اتم حظا في الفضيلة فهو فضل ممن هو اقل حظا في تلك الفضيلة هذا شيء يعلم ضرورة فاذا كانت عائشة اتم حظا في المحبة التى هى اتم فضيلة فهى افضل ممن حظه في ذلك اقل من حظها ولذلك لما قيل له عليه السلام من الرجال قال ابوها ثم عمر فكان ذلك موجبا الفضل أبي بكر ثم عمر على سائر الصحابة رضي الله عنهم فالحكم بالباطل لا يجوز في ان يكون يقدم أبو بكر ثم عمر في الفضل من اجل تقدمهما في المحبة عليهما وما نعلم نصا في وجوب القول بتقديم ابى بكر ثم عمر على سائر الصحابة الا هذا الخبر وحده

(قال ابو محمد) وقد نص النبي صلى الله عليه وسلم على ما ينكح له من النساء فذكر الحسب والمال والجمال والدين ونهى صلى الله عليه وسلم عن كل ذلك بقوله فعليك بذات الدين تربت يداك فمن المحال الممتنع ان يكون يحض على نكاح النساء واختيارهن للدين فقط ثم يكون هو عليه السلام يخالف ذلك فيحب عائشة لغير الدين وكذلك قوله عليه السلام فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام لا يحل لمسلم ان يظن في ذلك شيئا غير الفضل عند الله تعالى في الدين فوصف الرجل امرأته للرجال لا يرضى به الا خسيس نذل ساقط ولا

يتقار بان على مذهب واحد حيث كانت المقاربة مقصورة على اعتبار كيفيات الاشياء والحكم باحكام الطبائع والغالب عليهما الاكتساب والجهد والآن نذكر أقاويل العرب في الجاهلية ونعقبها بذكر أقاويل الهند وقبل ان نشرع في مذاهبهم نريد ان نذكر حكم البيت العتيق ونصل بذلك حكم البيوت المبنية في العالم فان منها ما بنى على دين الحق قبلة للناس منها ما بنى على الرأي الباطل فتنة للناس وقد ورد في التنزيل ان * أول بيت وضع للناس الذى ببكة مباركا وهدى للعالمين وقد اختلفت الروايات في أول من بناه قيل ان آدم لما هبط الى الارض وقع الى سرنديب من ارض الهند وكان يتردد في

يحل لمن له ادني مسكة من عقل ان يمر هذا بباله عن فاضل من الناس فكيف عن المقدس المطهر البائن فضله علي جميع الناس صلى الله عليه وسلم

(قال ابو محمد) ولولا انه بلغنا عن بعض من تصدر لنشر العلم من زماننا وهو المهلب بن ابي صفرة التميمى صاحب عبدالله بن ابراهيم الاصيلي انه اشار الى هذا المعنى القبيح وصرح به ما انطلق لنا بالايماء اليه لسان ولكن المنكر اذا ظهر وجب علي المسلمين تغييره فرضا علي حسب طاقتهم وحسبنا الله ونعم الوكيل

(قال ابو محمد) وكذلك عرض الملك لها رضي الله عنها علي رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ولادتها في سرعة من حرير يقول له هذه زوجتك فيقول عليه السلام ان يكن من عندالله يمضيه فهل بعد هذا في الفضل غاية

(قال ابو محمد) واعترض علينا مكى بن ابي طالب المقرى بان قال يلزم على هذا ان تكون امرأة ابي بكر أفضل من علي لان امرأة ابي بكر مع ابى بكر في الجنة في درجة واحدة وهى اعلي من درجة على فمنزلة امرأة أبي بكر اعلى من منزلة على فهي افضل من على

(قال ابو محمد) فاجبناه بان قلناله وبالله تعالى نتايد أن هذا الاعتراض ليس بشيء لوجوه احدها ان ما بين درجة ابى بكر ودرجة على في الفضل الموجب لعلو درجته في الجنة على درجة على ليست من التباين بحيث هو ما بين درجة النبى صلى الله عليه وسلم وبين درجة ابى بكر في الفضل الموجب لعلو درجته عليه السلام على درجات سائر الصحابة رضى الله عنهم بل قد ايقنا ان درجة اقل رجل منا في الفضل أقرب نسبة من اعلى درجة لاعلى رجل من الصحابة من نسبة درجة افضل الصحابة الى درجة النبى صلى الله عليه وسلم وأيضا فليس بين ابى بكر وعلي في المباينة في الفضل ما يوجب ان تكون امرأة ابى بكر التابعة له افضل من علي بل منازل المهاجرين الاولين الذين اوذوا في سبيل الله عز وجل متقاربة وان تفاضلت ثم كذلك اهل السوابق مشهدا مشهدا درجهم في الفضل متقاربة وان تفاضلت ثم منازل الانصار الاولين متقاربة وان تفاضلت ثم كذلك اهل السابق بعد الهجرة مشهدا مشهدا درجهم متقاربة في الفضل ثم كذلك من اسلم بعد الفتح أيضا ويزداد الأفضل فالافضل من المشركين في المشاهد جزاء علي ذلك فنقول ان امرأة ابي بكر المستحقة بعملها الكون معه في درجته مثل ام رومان لسنا ندري اهي افضل ام علي لانا لا نص معنا في ذلك والتفضيل لا يعرف الا بنص وقد قال عليه السلام خيركم القرن الذى بعثت فيه ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم او كما قال عليه السلام فجعلهم طبقات في الخير والفضل فلا شك هم كذلك في الجزاء في الجنة والا فكان يكون الفضل لا معنى له وقال عز وجل * هل تجزون الا ما كنتم تعملون * وايضا فلسنا نشك ان المهاجرات الاوليات من نساء الصحابة رضى الله عنهم يشاركن الصحابة في الفضل ففاضلة ومفضولة وفاضل ومفضول ففيهن من يفضل كثيرا من الرجال وفي الرجال من يفضل كثيرا منهن وما ذكر الله تعالى منزلة من الفضل الا وقرن النساء مع الرجال فيها كقوله تعالى * ان المسلمين والمسلمات * الاية حاشا الجهاد فانه فرض على الرجال دون النساء ولسنا ننكر ان يكون لابي بكر رضى الله عنه قصور ومنازل مقدمة على جميع الصحابة ثم يكون لمن لم تستاهل من نسائه تلك المنزلة منازل في الجنة دون منازل من هو افضل منهن من الصحابة فقد نكح الصحابة رضى الله

عنهم

الارض متحيرا بين فقدان زوجته ووجدان توبته حتى وافى حواء بجبل الرحمة من عرفات وعرفها وصار الي ارض مكة ودعا وتضرع الى الله تعالى حتى ياذن له في بناء بيت يكون قبلة لصلاته ومطافا لعبادته كما كان قد عهد في السماء من البيت المعمور الذى هو مطاف الملائكة ومزار الروحانيين فانزل الله تعالى عليه مثال ذلك البيت على شكل سرادق من نور فوضعه مكان البيت وكان يتوجه اليه ويطوف به ثم لما توفى تولى وصيه شيث بناء البيت من الحجر والطين على الشكل المذكور حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل ثم لما خربت ذلك بطوفان نوح وامتد الزمان حتى غيض الماء وقضي الامر وانتهت النبوة الى

عنهم التابعات بعد الصاحبات وعليهن فتكون تلك المنازل زائدة فى فضل ازواجهن من الصحابة فينزلون اليهن ثم ينصرفون الى منازلهن العالية بل قد صح هذا عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال كلاما معناه واكثر نصه انه عليه السلام زعيم ببيت فى ربض الجنة وفى وسط الجنة وفي أعلى الجنة لمن فعل كذا امرا وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم فصح نص ما قلنا من ان لمن دونه عليه السلام منازل عالية واخر مسفلة عن تلك المنازل ينزلون اليها ثم يصعدون الى الاعالى وهذا مبعد عن النبى صلى الله عليه وسلم لو جهين احدهما ان جميع نسائه عليه السلام لهن حق الصحبة التى يشتركن فيها جميع الصحابة ويفضلنهم فيها بقرب الخاصة فليس فى نسائه عليه السلام ولا واحدة يفضلها بالصحبة التى هى فضيلتهم التى بها بانوا عمن سواهم فقط وقد كفينا الباب والوجه الثانى ان تاخر بعض الصحابة عن بعضهم فى بعض الاماكن موجود وان كان ذلك المتاخر فى بعض الاماكن متقدما فى مكان آخر فقد علمنا ان بلالا عذب فى الله عز وجل مالم يعذب علي وان عليا قاتل مالم يقاتل بلال وان عثمان انفق مالم ينفق بلال ولا علي فيكون المفضول منهم فى الجملة متقدما للذى فضله فى بعض فضائله ولا سبيل ان يوجد هذا فيما بينهم و بين النبى صلى الله عليه وسلم ولا يجوز ان يتقدمه احد من ولد آدم فى شىء من الفضائل اولها عن آخرها ولا الى ان يلحقه لاحق فى شىء من الفضائل من بنى آدم فلا سبيل الى ينسفل النبى صلى الله عليه وسلم الى درجة يوازيه فيها صاحب من الصحابة فكيف ان يعلو عليه الصاحب هذا أمر تقشعر منه جلود المؤمنين وقد استعظم ابو أيوب رضى الله عنه ان يسكن فى غرفة على بيت يسكنه النبى صلى الله عليه وسلم فكيف يظن بان هذا يكون فى دار الجزاء فاذا كان العالى من الصحابة فى اكثر منازله ينسفل أيضا فى بعضها عن صاحب آخر قد علاه فى منازل أخر على قدر تفاضلهم فى اعمالهم كما ذكرنا آنفا فقد اخبر النبى صلى الله عليه وسلم ان الصائمين يدعون من باب الريان وان المجاهدين يدعون من باب الجهاد وان المتصدقين يدعون من باب الصدقة وان ابا بكر يرجو له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدعى من جميع تلك الابواب وقد يجوز ان يفضل ابا بكر رضى الله عنه غيره من الصحابة فى بعض تلك الوجوه ممن انفرد بباب منها ولا يجوز ان يفضل احد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شىء من ابواب البر فبطل هذا الاعتراض جملة والحمد لله رب العالمين واعترض ايضا علينا مكى بن ابى طالب بان قال اذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل من موسى عليه السلام ومن كل واحد من الانبياء عليهم السلام وكان عليه السلام اعلى درجة فى الجنة من جميع الانبياء عليهم السلام وكان نساؤه عليه السلام معه فى درجته فى الجنة فدرجتهن فيها اعلى من درجة موسى عليه السلام ومن درج سائر الانبياء عليهم السلام فهن على هذا الحكم افضل من موسى وسائر الانبياء عليهم السلام

(قال ابو محمد) فاجبناه بان هذا الاعتراض ايضا لا يلزمنا ولله الحمد لان الجنة دار ملك وطاعة وعلو منزلة ورياسة واتباع من التابع للمتبوع كما قال عز وجل * واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا * وقال تعالى عن موسى عليه السلام * وكان عند الله وجيها * واخبر عز وجل عن جبريل صلى الله عليه وسلم * فقال ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم امين * فقد علمنا ان ملك الدنيا غرور وان ملك الآخرة هو الحقيقة وقد اخبر عليه السلام انه رأى الانبياء عليهم السلام مع اتباعهم فالنبى معه الواحد والاثنان والثلاثة والنفر والجماعة فاخبر عز وجل

الخليل ابراهيم وحمله هاجر الى الموضع المبارك وولادة اسماعيل هناك ونشوءة وتربيته ثمت وعود ابراهيم اليه واجتماعه به فى بناء البيت وذلك قوله تعالى * واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل * فرفعا قواعد البيت على مقتضى اشارة الوحى مرعيا فيه جميع المناسبات التى بينها وبين البيت المعمور وشرعا المناسك والمشاعر محفوظا فيها جميع المناسبات التى بينها وبين الشرع وتقبل الله ذلك منهما وبقى الشرف والتعظيم الى زماننا والى يوم القيامة دلالة على حسن القبول فاختلفت اراء العرب فى ذلك وأول من وضع فيه الاصنام عمرو ابن لحي لما ساد قومه بمكة وأستولى على امر

ان هنالك الملك الكبير والطاعة والوجاهة والاتباع والاستثمار وانما عرض الله تعالى علينا في الدنيا من الملك طرفا لنعلم به مقدار الملك الذى فى دار الجزاء كما عرض علينا من اللذات والحرير والديباج والخمر والذهب والفضة والمسك والجوارى والحلي واعلمنا ان هذا كله خالصة لنا هنالك وكما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان آخر من يدخل الجنة يزكو علي اعظم ملك عرفه فى الدنيا فيتمني مثل ملكه فيعطيه الله تعالى مثل الدنيا عشر مرات (قال ابو محمد) فلما صح ماذكرنا وكانت الملائكة طبقة واحدة الا انهم يتفاضلون فيها وكانت طبقة المرسلين النبيين طبقة واحدة والنبيون غير المرسلين طبقة واحدة لانهم ايضا يتفاضلون فيها وكل الصحابة طبقة واحدة الا انهم يتفاضلون فيها فوجب بلاشك ان لا يكون اتباع الرسل من النساء والاصحاب كالمتبوعين الذين هم الرسل لان بالضرورة نعلم ان تابع الاعلى ليس لاحقا نظير متبوعه فكيف ان يكون اعلى منه كما ان التابعيات من نساء الصحابة رضى الله عنهم لا يلحقن نظراء ازواجهن من الصحابة اذ ليس هن معهم فى طبقة وانما ينظر بين اهل كل طبقة ومن هو فى طبقته ونساء النبي صلي الله عليه وسلم طبقة واحدة مع الصحابة فصح التفاضل بينهم وليس واحدة منهن ولا منهم مع الانبياء في طبقة فلم يجز ان ينظر بينهم وقد اخبر عليه السلام انه رأى ليلة الاسراء الانبياء عليهم السلام فى السموات سماء سماء وبالضرورة ان نعلم ان منزلة النبي الذى هو متبوع فى سماء الدنيا امره هناك مطاع اعلى من منزلة التابع فى السماء السابعة للنبي الذى هنالك واذ قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان كل نبي يأتي مع أمته فنحن مع نبينا صلي الله عليه وسلم فان كان ما الزمناه مكى لازما لنا فيلزمه مثل ذلك فينا ايضا ان نكون افضل من الانبياء وهذا غير لازم لما ذكرنا من انه لا ينظر في الفضل الا بين من كان من اهل طبقة واحدة فمن كان منهم اعلي منزلة من الآخر كان افضل منه بلاشك وليس ذلك فى الطباق المختلفة الاترى ان كون مالك خازن النار في مكان غير مكان خازن الجنة وغير مكان جبرائيل لا تحط درجته عن درجة من فى الجنة من الناس الذين الملائكة جملة افضل منهم لان مالكا متبوع للنار ومقدم مطاع مفضل بذلك علي التابعين والخدمة فى الجنة بلاشك فبطل هذا الشغب ويجمع هذا الجواب باختصار وهو ان الرؤساء والمتبوعين في كل طبقة فى الجنة اعلى من التابعين لهم ونساء النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه كلهم اتباع له عليه السلام وجميع الانبياء متبوعون فانما ينظر بين المتبوعين ايهم افضل وينظر بين الاتباع ايهم افضل ويعلم الفضل بعلو درجة كل فاضل من دونه في الفضل ولا يجوز ان ينظر بين الاتباع والمتبوعين لان المتبوعين لا يكونون البتة احط درجة من التابعين وبالله الله تعالى التوفيق. فان قال قائل فكيف تقولون فى الحور العين أهن أفضل من الناس ومن الانبياء كما قلتم فى الملائكة . فجوابنا وبالله تعالى التوفيق ان الفضل لا يعرف الا ببرهان مسموع من الله تعالى في القرآن أو من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم ولم نجد الله تعالى نص على فضل الحور العين كما نص على فضل الملائكة وانما نص علي انهن مطهرات حسان عرب أتراب يجامعن ويشاركن أزواجهن في اللذات كلها وانهن خلقن ليلتذ بهن المؤمنون فاذ الامر هكذا فانما محل الحور العين محل من هن له فقط ان ذلك اختصاص لهن بلا عمل وتكليف فهن خلاف الملائكة فى ذلك وبالله الله تعالى التوفيق (قال أبو محمد) ومما يؤكد قولنا قول الله تعالى ان اصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون هم وأزواجهم فى ظلال علي الارائك متكئون وهذا النص اذ قد صح فقد وجب الاقرار به

البيت ثم صار الى مدينة البلقا بالشام فرأى قوما يعبدون الاصنام فسألهم عنها فقالوا هذه أرباب اتخذناها على شكل الهياكل العلوية والاشخاص البشرية نستنصر بها فننصر ونستسقى بها فنسقى فاعجبه ذلك فطلب منهم صنما من أصنامهم فدفعوا اليه هبل فسار به الي مكة ووضعه فى الكعبة وكان معه أسعاف ونائلة على زوجين فدعاء الناس الى تعظيمهما والتقرب اليهما والتوسل بهما الى الله تعالى وكان ذلك في أول ملك شابور ذى الاكتاف الى ان أظهر الله الاسلام وأخرجت وأبطلت وبهذا يعرف كذب من قال ان بيت الله الحرام انما هو بيت زحل بناه البانى الاول علي طوالع معلومه واتصالات مقبولة وسماه بيت زحل

فلو عجزنا عن تفضيل بعض أقسام هذه الاعتراضات لما الزمنا في ذلك نقصا اذ لا يجوز الاعتراض على هذا النص وكلما صح بيقين فلا يجوز ان يعارض بيقين آخر والبرهان لا يبطله برهان وقد أوضحنا ان الجنة دار جزاء على أعمال المكلفين فاعلاهم درجة أعلاهم فضلا ونساء النبي صلى الله عليه وسلم أعلا درجة في الجنة من جميع الصحابة فهن أفضل منهن فمن أبي هذا فليخبرنا ما معنى الفضل عنده اذ لا بد ان يكون لهذه الكلمة معنى فان قال لا معنى لها فقد كفانا مؤنته وان قال لها معنى سألناه ما هو فانه لا يجد غير ما قلناه وبالله تعالى التوفيق فكيف وقد اتينا بتاييد الله عز وجل لنا على كل ما اعترض علينا به في هذا الباب ولاح الوجه في ذلك بينا والحمد لله رب العالمين

(قال ابو محمد) واستدركنا بيانا زائدة في قول النبي صلى الله عليه وسلم في ان فاطمة سيدة نساء المؤمنين أو نساء هذه الامة فنقول وبالله تعالى التوفيق ان الواجب مراعاة الفاظ الحديث وانما ذكر عليه السلام في هذا الحديث السيادة ولم يذكر الفضل وذكر عليه السلام في حديث عائشة الفضل نصا بقوله عليه السلام وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام

(قال ابو محمد) والسيادة غير الفضل ولا شك ان فاطمة رضي الله عنها سيدة نساء العالمين بولادة النبي صلى الله عليه وسلم لها فالسيادة من باب الشرف لا من باب الفضل فلا تعارض بين الحديث البتة والحمد لله رب العالمين وقد قال ابن عمر رضي الله عنهما وهو حجة في اللغة العربية كان ابو بكر خيرا وافضل من معاوية وكان معاوية اسود من ابي بكر ففرق ابن عمر كما ترى بين السادة والفضل والخير وقد علمنا ان الفضل هو الخير نفسه لان الشيء اذا كان خيرا من شيء آخر فهو افضل منه بلا شك

(قال ابو محمد) وقد قال قائل ممن يخالفنا في هذا قال الله عز وجل * وليس الذكر كالانثى * فقلنا وبالله تعالى التوفيق فانت اذا عند نفسك افضل من مريم وعائشة وفاطمة لانك ذكر وهؤلاء أناث فان قال هذا الحق بالنوكى وكفر بان سئل عن معنى الآية قيل له الآية على ظاهرها ولا شك في ان الذكر ليس كالانثى لانه لو كان كالانثى لكان انثى والانثى ايضا ليست كالذكر لان هذه انثى وهذا ذكر وليس هذا من الفضل في شيء البتة وكذلك الحمرة غير الخضرة والخضرة ليست كالحمرة وليس هذا من باب الفضل فان اعترض معترض بقول الله تعالى * وللرجال عليهن درجة قيل له انما هذا في حقوق الازواج على الزوجات ومن اراد حمل هذه الآية على ظاهرها لزمه ان يكون كل يهودي وكل مجوسي وكل فاسق من الرجال افضل من أم موسى وأم عيسى وأم اسحاق عليهم السلام ومن نساء النبي صلى الله عليه وسلم وبناته وهذا كفر ممن قاله باجماع الامة وكذلك قوله تعالى * او من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين * انما ذلك في تقصيرهن في الاغلب عن المحاجة لقلة ذربتهن وليس في هذا ما يحط من الفضل عن ذوات الفضل منهن فان اعترض معترض فقال الذي امرنا بطاعتهم من خلفاء الصحابة رضي الله عنهم افضل من نساء النبي صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى * اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم * فالجواب وبالله تعالى التوفيق ان هذا خطا من جهات احداها ان نساء النبي صلى الله عليه وسلم من جملة اولي الامر منا الذين امرنا بطاعتهم فيما بلغن الينا عن النبي صلى الله عليه وسلم كالائمة من الصحابة سواء

ولهذا المعنى اقترن الدوام به بقاء والتعظيم له اتقاء لان زحل يدل على البقاء وطول العمر اكثر مما يدل عليه سائر الكواكب وهذا خطا لان البناء الاول كان مستند الى الوحي على يدي أصحاب الوحي ثم اعلم ان البيوت تنقسم الى بيوت الاصنام وبيوت النيران وقد ذكرنا مواضع التي كان بيوت النيران ثمة في مقالات المجوس فاما بيوت الاصنام التي كانت للعرب والهند فهي البيوت المعروفة المبنية على السبع الكواكب فمنها ما كانت فيها اصنام فحولت الى النيران ومنها ما لم تحول ولقد كان بين اصحاب الاصنام وبين اصحاب النيران مخالفات كثيرة والامر دول فيما بينهم وكان كل من استولى وقهر

ولافرق والوجه الثانى ان الخلافة ليست من قبل فضل الواحد فى دينه فقط وجبت ان وجبت له وكذلك الامارة لان الامارة قد تجوز ان غيره أفضل منه وقد كان عمر رضى الله عنه مامورا بطاعة عمرو بن العاص اذ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة ذات السلاسل فبطل ان تكون الطاعة انما تجب للافضل فالافضل وقد أمر النبى صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص وخالد بن الوليد كثيرا ولم يامر أبا ذر وأبو ذر افضل خير منهما بلا شك وأيضا فانما وجبت طاعة الخلفاء من الصحابة رضى الله عنهم فى أوامرهم مذ ولوا لا قبل ذلك ولا خلاف فى ان الولاية لم تزدهم فضلا على ما كانوا عليه وانما زادهم فضلا عدلهم فى الولاية لا الولاية نفسها وعدلهم داخل فى جملة اعمالهم التى يستحقون الفضل بها الاترى ان معاوية والحسن اذ وليا كانت طاعتهما واجبة على سعد بن ابى وقاص وسعد أفضل منهما بون بعيد جدا وهو حى معهما مامور بطاعتهما وكذلك القول فى جابر وأنس بن مالك وابن عمر رضى الله عنهم فى وجوب طاعة عبد الملك بن مروان والذى بين جابر وأنس وابن عمر وبين عبد الملك فى الفضل كالذى بين النور والظلمة فليس فى وجوب طاعة الولاة ما يوجب لهم فضلا فى الجنة فان اعترض معترض بقول الله تعالى * والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم وما التناهم من عملهم من شيء كل امرىء بما كسب رهين * فبيان اعتراضه ظاهر فى آخر الآية وهو ان الحاق الذرية بالآباء لا يقتضى كونهم معهم فى درجة ولا هذا مفهوم من نص الآية بل انما فيها الحاقهم بهم فيما ساووهم فيه بنص الآية ثم بين تعالى ذلك ولم يدعنا فى شك بقوله * كل امرىء بما كسب رهين * فصح ان كل واحد من الآباء والابناء يجازى حسب ما كسب فقط وليس حكم الازواج كذلك بل ازواج النبى صلى الله عليه وسلم معه فى قصوره وعلى سرره منعمات ومعهن جزاء لهن بما عملن من الخير وبصبرهن واختيارهن الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم والدار الآخرة وهذه منزلة لا يحلها احد بعد النبيين والمرسلين عليهم الصلاة والسلام فهن افضل من كل واحد دون الانبياء عليهم السلام فان شغب مشغب بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رايت من ناقصات عقل ودين اذهب للب الرجل الحازم من احداكن فمثاله وبالله تعالى التوفيق ان حملت هذا الحديث على ظاهره فيلزمك ان تقول انك اتم عقلا ودينا من مريم وأم موسى وام اسحاق ومن عائشة وفاطمة فان تمادى على هذا سقط الكلام معه ولم يبعد عن السخف وان قال لا سقط اعتراضه واعترض بان من الرجال من هو انقص دينا وعقلا من كثير من النساء فان سال عن معنى هذا الحديث . قيل له قد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وجه ذلك النقص وهو كون شهادة المرأة على النصف من شهادة الرجل وكونها اذا حاضت لا تصلى ولا تصوم وليس هذا بموجب نقصان الفضل ولا نقصان الدين والعقل فى غير هذين الوجهين فقط اذ بالضرورة ندرى ان فى النساء من هن افضل من كثير من الرجال واتم دينا وعقلا غير الوجوه التى ذكر النبى صلى الله عليه وسلم وهو عليه السلام لا يقول الا حقا فصح يقينا انه انما عبر عليه السلام بما قد بينه فى الحديث نفسه من الشهادة والحيض فقط وليس ذلك مما ينقص الفضل فقد علمنا ان ابا بكر وعمر وعليا لو شهدوا فى زنا لم يحكم بشهادتهم ولو شهد به اربعة منا عدول فى الظاهر حكم بشهادتهم وليس ذلك بموجب اننا افضل من هؤلاء المذكورين وكذلك القول فى شهادة النساء فليست الشهادة

غير البيت الى مشاعر
مذهبه ودينه ومنها بيت
فارس على رأس جبل
باصفهان على ثلاث فراسخ
كانت فيه اصنام الى ان
أخرجها كستاشف الملك
لما تمجس وجعلها بيت نار
ومنها البيت الذي بمولتان
من أرض الهند فيه أصنام
لم تغير ولم تبدل ومنها
بيت سدوسان من أرض
الهند أيضا وفيه أصنام
كبيرة كثيرة العجب
والهند ياتون البيتين فى
أوقات من السنة حجا
وقصدا اليها ومنها النور
بهار الذى بناه منوجهر
بمدينة بلخ على اسم القمر
فلما ظهر الاسلام خربه
أهل بلخ ومنها بيت عمدان
الذى بمدينة صنعاء اليمن
بناه الضحاك على اسم
الزهرة وخربه عثمان ذو
النورين ومنها بيت
كاووسان بناه كاووس
الملك بناء عجيبا على

من

من باب التفاضل في ورد ولا صدر لكن نقف فيها عندما حده النص فقط ولا شك عند كل مسلم في ان صواحبه من نسائه وبناته عليهم السلام كخديجة وعائشة وفاطمة وأم سلمة افضل دينا ومنزلة عند الله تعالى من كل تابع اتى بعدهن ومن كل رجل ياتي في هذه الامة الى يوم القيامة فبطل الاعتراض بالحديث المذكور وصح انه على ما فسرناه وبيناه والحمد لله رب العالمين وايضا فقول الله تعالى * يا نساء النبي لستن كاحد من النساء مخرج لهن عن سائر النساء في كل ما اعترض به معترض مما ذكرناه وشبهه

(قال ابو محمد) فان اعترض معترض بقول النبي صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا مريم بنت عمران وامرأة فرعون فان هذا الكمال انما هو الرسالة والنبوة التي انفرد بها الرجال وشاركهم بعض النساء في النبوة وقد يتفاضلون أيضا فيها فيكون بعض الانبياء اكمل بعض ويكون بعض الرسل اكمل من بعض قال الله عز وجل * تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات * فانما ذكر في هذا الخبر من بلغ غاية الكمال في طبقته ولم يتقدمه منهم احد وبالله تعالى التوفيق فان اعترض معترض بقوله عليه السلام لا يفلح قوم اسندوا امرهم الى امرأة فلا حاجة له في ذلك لانه ليس امتناع الولاية فيهن بموجب لهن نقص الفضل فقد علمنا ان ابن مسعود وبلالا وزيد ابن حارثة رضي الله عنهم لم يكن لهم حظ في الخلافة وليس بموجب ان يكون الحسن وابن الزبير ومعاوية أفضل منهم والخلافة جائزة لهؤلاء غير جائزة لاولئك ومنهم في الفضل ما لا يجهله المسلم

(قال ابو محمد) وأما أفضل نسائه فعائشة وخديجة رضي الله عنهما لعظم فضائلهما واخباره عليه السلام ان عائشة أحب الناس اليه وان فضلها على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وقد ذكر عليه السلام خديجة بنت خويلد فقال أفضل نسائها مريم بنت عمران وافضل نسائها خديجة بنت خويلد مع سابقة خديجة في الاسلام وثباتها رضي الله عنها ولام سلمة وسودة وزينب بنت جحش وزينب بنت خزيمة وحفصة سوابق في الاسلام عظيمة واحمال للمشقات في الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم والهجرة والغربة عن الوطن والدعاء الى الاسلام والبلاء في الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم ولكنهن بعد ذلك الفضل المبين رضوان الله عليهن أجمعين

(قال ابو محمد) وهذه مسالة نقطع فيها على اننا المحققون عند الله عز وجل وان من خالفنا فيها مخطىء عند الله عز وجل بلا شك وليست مما يسع الشك فيه أصلا

(قال ابو محمد) فان قال قائل هل قال هذا أحد قبلكم قلنا له وبالله تعالى التوفيق وهل قال غير هذا أحد قبل من يخالفنا الآن وقد علمنا ضرورة ان لنساء النبي صلى الله عليه وسلم منزلة من الفضل بلا شك فلا بد من البحث عنها فليقل مخالفنا في اي منزلة نضعهن ابعد جميع الصحابة كلهم فهذا ما لا يقوله احد ام بعد طائفة منهم فعليه الدليل وهذا ما لا سبيل له الى وجوده واذ قد بطل هذان القولان احدهما بالاجماع على انه باطل والثاني لانه دعوى لا دليل عليها ولا برهان فلم يبق الا قولنا والحمد لله رب العالمين الموفق للصواب بفضله ثم نقول وبالله تعالى نستعين قد صح ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه خطب الناس حين ولي بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيها الناس اني وليتكم ولست بخيركم فقد صح

ادهم الشى بمدينة فرغانة وخربه المعتصم واعلم ان العرب اصناف شتى فنهم معطلة العرب وهى اصناف فصنف منهم أنكروا الخالق والبعث والاعادة وقالوا بالطبع المحيي الدهر المفنى وهم الذين أخبر عنهم القرآن المجيد وقالوا ماهى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر اشارة الى الطبائع المحسوسة وقصر الحياة والموت على تركبها وتحللها فالجامع هو الطبع والمهلك هو الدهر وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون فاستدل عليهم بضروريات فكرية وآيات قرآنية فطرية في كم آية وكم سورة فقال تعالى. اولم يتفكرو ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير مبين اولم ينظروا في ملكوت

عنه رضى الله عنه انه اعلن بحضرة جميع الصحابة رضي الله عنهم انه ليس بخيرهم ولم ينكر هذا القول منهم أحد فدل على متابعتهم له ولا خلاف انه ليس فى احد من الحاضرين لخطبته انسان يقول فيه احد من الناس انه خير من ابى بكر الا على وابن مسعود وعمر و اما جمهور الحاضرين من مخالفينا فى هذه المسالة من أهل السنة والمرجئة والمعتزلة والخوارج فانهم لا يختلفون فى ان ابا بكر افضل من على وعمر وابن مسعود وخير منهم فصح انه لم يبق الا ازواج النبى صلى الله عليه وسلم فان قال قائل انما قال ابو بكر هذا تواضعا قلنا له هذا هو الباطل المتيقن لان الصديق الذى سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الاسم لا يجوز ان يكذب وحاشاه من ذلك ولا يقول الا الحق والصدق فصح ان الصحابة متفقون فى الاغلب على تصديقه فى ذلك فاذ ذلك كذلك وسقط بالبرهان الواضح ان يكون احد من الصحابة رضى الله عنهم خيرا من ابى بكر لم يبق الا ازواج النبى صلى الله عليه وسلم ونساؤه ووضح اننا لو قلنا انه اجماع من جمهور الصحابة لم يبعد من الصدق

(قال ابو محمد) وأيضا فان يوسف ابن عبد الله النمرى حدثنا قال حدثنا خلف بن قاسم ثنا أبو العباس احمد بن ابراهيم بن على الكندى حدثنا محمد بن العباس البغدادي ثنا ابراهيم ابن محمد البصرى ثنا أبو ايوب سليمان ابن داود الشاذ كوني قال كان عمار بن ياسر والحسن ابن على يفضلان على بن ابي طالب على ابى بكر الصديق وعمر حدثنا أحمد بن محمد الخوزي ثنا احمد بن الفضل الدينورى ثنا محمد بن جرير الطبرى ان علي بن ابى طالب بعث عمار بن ياسر والحسن بن على الى الكوفة اذ خرجت أم المؤمنين الى البصرة فلما اتياها اجتمع اليهما الناس فى المسجد فخطبهم عمار وذكر لهم خروج عائشة أم المؤمنين الى البصرة ثم قال لهم انى اقول لكم ووالله اني لاعلم انها زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجنة كما هي زوجته فى الدنيا ولكن الله ابتلاكم بها لتطيعوها اولتطيعوه فقال له مسروق او ابو الاسود يا ابا اليقظان فنحن مع من شهدت له بالجنة دون من لم تشهد له فسكت عمار وقال له الحسن اعن نفسك عنا فهذا عمار والحسن وكل من حضر من الصحابة رضى الله عنهم والتابعين والكوفة يومئذ مملوءة منهم يسمعون تفضيل عائشة علي على وهو عند عمار والحسن افضل من ابى بكر وعمر فلا ينكرون ذلك ولا يعترضونه احوج ما كانوا الى انكاره فصح انهم متفقون على انها وازواجه عليه السلام أفضل من كل الناس بعد الانبياء عليهم السلام ومما يبين ان ابا بكر رضي الله عنه لم يقل وليتكم ولست بخيركم الا محقا صادقا لا تواضعا يقول فيه الباطل وحاشاه من ذلك ما حدثناه احمد بن محمد الطلمنكى قال حدثنا احمد بن محمد بن مفرج ثا محمد بن ايوب الصموت الرقى انا أحمد بن عمر بن عبد الخالق البزار ثنا عبد الملك ابن سعد ثنا عقبة بن خالد ثنا شعبة بن الحجاج ثنا الحريرى عن ابى بصرة عن ابى سعيد الخدرى قال قال ابو بكر الصديق رضى الله عنه ألست حق الناس بها اولست اول من اسلم ألست صاحب كداء

(قال ابو محمد) فهذا ابو بكر رضى الله عنه يذكر فضائل نفسه اذا كان صادقا فيها فلو كان افضلهم لصرح به وما كتمه وقد نزهه الله تعالى عن الكذب فصح قولنا نصا والحمد لله رب العالمين

(قال ابو محمد) ثم وجب القول فمين هو افضل الصحابة بعد نساء النبى صلى الله عليه وسلم

فلم

السموات والارض: وقال: أولم ينظر الى ما خلق الله. وقال يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم فثبت الدلالة الضورية من الخلق على الخالق فانه قادر على الكمال ابداء واعادة وصنف منهم أقروا بالخلق وابتداء الخلق والابداع وانكروا البعث والاعادة وهم الذين اخبر عنهم القرآن وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم فاستدل عليهم بالنشاة الاولى اذا اعترفوا بالخلق الاول فقال: قل يحييها الذى انشاها اول مرة: وقال: أفعيينا بالخلق بل هم فى لبس من خلق جديد. وصنف منهم أقروا بالخالق وابتداء الخلق ونوع من الاعادة وانكروا الرسل وعبدوا

فلم نجد لمن فضل ابن مسعود او عمر او جعفر بن ابي طالب او ابا سلمة والثلاثة الاسهليين على جميع الصحابة حجة يعتمد عليها ووجدنا من يوقف لم يزد على انه لم يلح له البرهان انهم افضل ولو لاح له لقال به ووجدنا المدد والمعارضة في القائلين بان عليا افضل اكثر فوجب ان آتي بما شغبوا به ليلوح الحق في ذلك وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) وجدناهم يحتجون بان عليا كان اكثر الصحابة جهادا وطعنا في الكفار وضربا والجهاد افضل الاعمال

(قال ابو محمد) هذا خطا لان الجهاد ينقسم اقساما ثلاثة احدها الدعاء الى الله عز وجل باللسان والثاني الجهاد عند الحرب بالرأى والتدبير والثالث الجهاد باليد في الطعن والضرب فوجدنا الجهاد في اللسان لا يلحق فيه احد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعمر أما ابو بكر فان اكابر الصحابة رضى الله عنهم اسلموا على يديه فهذا افضل عمل وليس لعلي من هذا كثير حظ. وأما عمر فانه من يوم أسلم عز الاسلام وعبد الله تعالى بمكة جهرا وجاهد المشركين بمكة بيديه فضرب وضرب حتى ملوه فتركوه فعبد الله تعالى علانية وهذا اعظم الجهاد فقد انفرد هذان الرجلان بهذين الجهادين الذين لا نظير لهما ولا حظ لعلي في هذا اصلا وبقي القسم الثاني وهو الرأى والمشورة فوجدناه خالصا لابي بكر ثم لعمر وبقي القسم الثالث وهو الطعن والضرب والمبارزة فوجدناه اقل مراتب الجهاد ببرهان ضروري وهو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا شك عند كل مسلم انه المخصوص بكل فضيلة فوجدنا جهاده عليه السلام انما كان في اكثر اعماله واحواله القسمين الاولين من الدعاء الى الله عز وجل والتدبير والارادة وكان اقل عمله صلى الله عليه وسلم الطعن والضرب والمبارزة لا عن جبن بل كان عليه السلام اشجع اهل الارض قاطبة نفسا ويدا واتمهم نجدة ولكنه كان يؤثر الافضل فالافضل من الافعال فيقدمه عليه السلام ويشتغل به ووجدناه عليه السلام يوم بدر وغيره كان ابو بكر رضى الله عنه معه لا يفارقه ايثارا من رسول الله صلى الله عليه وسلم له بذلك واستظهارا برأيه في الحرب وأنسا بمكانه ثم كان عمر ربما شورك في ذلك ايضا وقد انفرد بهذا المحل دون علي ودون سائر الصحابة الا في الندرة ثم نظرنا مع ذلك في هذا القسم من الجهاد الذي هو الطعن والضرب والمبارزة فوجدنا عليا رضى الله عنه لم ينفرد بالسبوق فيه بل قد شاركه في ذلك غيره شركة العنان كطلحة والزبير وسعد وممن قتل في صدر الاسلام كحمزة وعبيدة بن الحارث بن المطلب ومصعب بن عمير ومن الانصار سعد بن معاذ وسماك ابن خرسة وغيرهما ووجدنا ابا بكر وعمر قد شاركاه في ذلك بحظ حسن وان لم يلحقا بحظوظ هؤلاء وانما ذلك لشغلهما بالافضل من ملازمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وموازنة في حين الحرب وقد بعثهما رسول الله صلى الله عليه وسلم على البعوث اكثر مما بعث عليا وقد بعث أبا بكر الى بني فزارة وغيرهم وبعث عمر الى بني فلان وما نعلم لعلي بعثا الا الى بعض حصون خيبر ففتحه وقد بعث قبله ابا بكر وعمر فلم يفتحاه فحصل اربع انواع الجهاد لابي بكر وعمر وقد شاركا عليا في اقل انواع الجهاد مع جماعة غيرهم

(قال ابو محمد) واحتج ايضا من قال بان عليا كان اكثرهم علما

(قال ابو محمد) كذب هذا القائل وانما يعرف علم الصحابي لاحد وجهين لا ثالث لهما احدهما كثرة روايته وفتاويه والثاني كثرة استعمال النبي صلى الله عليه وسلم له فمن المحال

الاصنام وزعموا انهم شفعاؤهم عند الله في الآخرة وحجوا اليها ونحروا لها الهدايا وقربوا القرابين وتقربوا اليها بالمناسك والمشاعر وحللوا وحرموا وهم الدهماء من العرب الا شرذمة منهم نذكرهم وهم الذين اخبر عنهم التنزيل وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق الى قوله تعالى ان تتبعون الا رجلا مسحورا فاستدل عليهم بان المرسلين كانوا كذلك قال الله تعالى وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق وشبهات العرب كانت مقصورة على هاتين الشبهتين احداهما انكار البعث بعث الاجساد والثانية جحد البعث بعث الرسل فعلى الاولى قالوا * ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أو آباؤنا الاولون * الى امثالها من الايات

الباطل ان يستعمل النبي صلى الله عليه وسلم من لا علم له وهذا اكبر شهادات على العلم وسعته فنظرنا في ذلك فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم قد ولى ابا بكر الصلاة بحضرته طول علته وجميع اكابر الصحابة حضور كعلي وعمر وابن مسعود وابي وغيرهم فآثره بذلك على جميعهم وهذا بخلاف استخلافه عليه السلام اذا غزا لان المستخلف في الغزوة لم يستخلف الا على النساء وذوى الاعذار فقط فوجب ضرورة ان نعلم ان ابا بكر اعلم الناس بالصلاة وشرائعها واعلم المذكورين بها وهي عمود الدين ووجدناه صلى الله عليه وسلم قد استعمله على الصدقات فوجب ضرورة ان عنده من علم الصدقات كالذي عند غيره من علماء الصحابة لا اقل وربما كان اكثر اذ قد استعمل عليه السلام ايضا عليها غيره وهو عليه السلام لا يستعمل الا عالما بما استعمله عليه والزكاة ركن من اركان الدين بعد الصلاة وبرهان ما قلنا من تمام علم ابي بكر رضي الله عنه بالصدقات ان الاخبار الواردة في الزكاة اصحها والذي يلزم العلم به ولا يجوز خلافه فهو حديث ابي بكر ثم الذي من طريق عمر واما من طريق علي فمضطرب وفيه ما قد ترك كه الفقهاء جملة وهو ان في خمس وعشرين من الابل خمس شياه ووجدناه عليه السلام قد استعمل ابا بكر على الحج فصح ضرورة انه اعلم من جميع الصحابة بالحج وهذه دعائم الاسلام ثم وجدناه عليه السلام قد استعمله على البعوث فصح ان عنده من احكام الجهاد مثل ما عند سائر من استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على البعوث في الجهاد اذ لا يستعمل عليه السلام على العمل الا عالما به فعند ابي بكر من الجهاد من العلم به كالذي عند علي وسائر امراء البعوث لا اكثر ولا اقل فاذ قد صح التقدم لابي بكر على علي وغيره في علم الصلاة والزكاة والحج وساواه في علم الجهاد فهذه عمدة العلم ثم وجدناه عليه السلام قد الزم نفسه في جلوسه ومرآته وظعنه واقامته ابا بكر مشاهد احكامه عليه السلام وفتاويه اكثر من مشاهدة علي لها فصح ضرورة انه اعلم بها فهل بقيت من العلم بقية الا وابو بكر المتقدم فيها الذي لا يلحق او المشارك الذي لا يسبق فبطلت دعواهم في العلم والحمد لله رب العالمين واما الرواية والفتوى فان ابا بكر رضي الله عنه لم يعش بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا سنتين وستة اشهر ولم يفارق المدينة الا حاجا او معتمرا ولم يحتج الناس الى ما عنده من الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لان كل من حواليه ادركوا النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ذلك كله فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم مائة حديث واثنان واربعون حديثا مستندة ولم يرو عن علي الا خمس مائة وست وثمانون حديثا مسندة يصح منها نحو خمسين وقد عاش بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ازيد من ثلاثين سنة وكثر لقاء الناس اياه وحاجتهم الى ما عنده لذهاب جمهور الصحابة رضي الله عنهم وكثر سماع اهل الآفاق منه مرة بصفين واعواما بالكوفة ومرة بالبصرة والمدينة فاذا نسبنا مدة ابي بكر من حياته واضفنا تقرى (١) على البلاد بلدا بلدا وكثرة سماع الناس منه الى لزوم ابي بكر موطنه وانه لم تكثر حاجة من حواليه الى الرواية عنه ثم نسبنا عدد حديث من عدد حديث وفتاوى من فتاوى علم كل ذي حظ من العلم ان الذي كان عند ابي بكر من العلم اضعاف ما كان عند علي منه وبرهان على ذلك ان من عمر من

---

(١) مصدر مضاف الى علي كرم الله وجهه من تقرى البلاد كتزكى يتقراها تقريا كاستقراها تتبعها ارضا ارضا وبلدا بلدا وسار فيها ينظر حالها وامرها

وعبروا عن ذلك في اشعارهم فقال بعضهم

حياة ثم موت ثم نشر
حديث خرافة يا ام عمرو

ولبعضهم في مرثية أهل بيت المشركين

فماذا بالقليب قليب بدر
من الشيزى تكلل بالسنام
يخبرنا الرسول بان سنحيى
وكيف حياة اصداء وهام

ومن العرب من يعتقد التناسخ فيقول اذا مات الانسان او قتل اجتمع دم الدماغ واجزاء بنيته فانتصب طيرا هامة فيرجع الى رأس القبر كل مائة سنة ولهذا غلبهم الرسول فقال لا هامة ولا عدوى ولا صفر واما على الشبهة

اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرا قايلا قل النقل عنهم ومن طال عمره منهم كثر النقل عنهم الا اليسير من اكتفا بنيابة غيره عنه في تعليم الناس وقد عاش علي بعد عمر بن الخطاب سبعة عشر عاما غير اشهر ومسند عمر خمسمائة حديث وسبعة وثلاثون حديثا يصح منها نحو خمسين كالذي عن علي سواء بسواء فكل مازاد حديث علي على حديث عمر تسعة واربعين حديثا في هذه المدة الطويلة ولم يزد عليه في الصحيح الا حديثا أو حديثين وفتاوى عمر موازنة لفتاوى علي في ابواب الفقه فاذا نسبنا مدة من مدة وضربنا في البلاد من ضرب فيها واضفنا حديث الى حديث وفتاوى الى فتاوى علم كل ذي حس علما ضروريا ان الذي كان عند عمر من العلم اضعاف ما كان عند علي من العلم ثم وجدنا الامر كل ما طال كثرت الحاجة الى الصحابة فيما عندهم من العلم فوجدنا حديث عائشة رضي الله عنها الفي مسند ومائتي مسند وعشرة مسانيد وحديث أبي هريرة خمسة آلاف مسند وثلثمائة مسند واربع وسبعين مسندا ووجدنا مسند ابن عمر وانس قريبا من مسند عائشة لكل واحد منهما ووجدنا مسند جابر ابن عبدالله وعبدالله ابن عباس لكل واحد منهما أزيد من الف وخمسمائة ووجدنا لابن مسعود ثمانماية مسند ونيف ولكل من ذكرنا حاشا ابا هريرة وانس بن مالك من الفتاوي أكثر من فتاوى علي او نحوها فبطل قول هذه الطائفة الوقاح الجهال فان عاندنا معاند في هذا الباب جاهل او قليل الحياء لاح كذبه وجهله فانا غير متهمين على حط احد من الصحابة رضي الله عنهم عن مرتبته ولا على رفعه فوق مرتبته لاننا لو انحرفنا عن علي رضي الله عنه ونعوذ بالله من ذلك لذهبنا فيه مذهب الخوارج وقد نزهنا الله عزوجل عن هذا الضلال في التعصب ولو غلونا فيه لذهبنا فيه مذهب الشيعة وقد اعاذنا الله تعالى من هذا الافك في التعصب فصار غيرنا من المنحرفين عنه او الغالين فيه هم المتهمون فيه اما له واما عليه وبعد هذا كله ليس يقدر من ينتمي الى الاسلام أن يعاند في الاستدلال على كثرة العلم باستعمال النبي صلى الله عليه وسلم من استعمله منهم على ما استعمله عليه من امور الدين فان قالوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استعمل عليا على الاخماس وعلى القضاء باليمين قلنا لهم نعم ولكن مشاهدة أبي بكر لاقضية رسول الله صلى الله عليه وسلم أقوى في العلم واثبت مما عنده علي وهو باليمين وقد استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر على بعوث فيها الاخماس فقد ساوى علمه علم علي في حكمها بلا شك اذ لا يستعمل عليه السلام الا عالما بما يستعمله عليه وقد صح ان أبا بكر وعمر كانا يفتيان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عليه السلام يعلم ذلك ومحال ذلك أن يبيح لهما ذلك الا وهما اعلم ممن دونهما وقد استعمل عليه السلام أيضا على القضاء باليمين مع علي معاذ ابن جبل وابا موسى الاشعري فلعلي في هذا شركاء كثير منهم ابو بكر وعمر ثم قد انفرد ابو بكر بالجمهور الاغلب من العلم على ما ذكرنا . وقال هذا القائل ان عليا كان اقرأ الصحابة

(قال ابو محمد) وهذه القصة المتجردة في البهتان لوجوه اولها انه رد على رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه عليه السلام قال يؤم القوم اقرؤهم فان استووا فافقههم فان استووا فاقدمهم هجرة ثم وجدنا عليه السلام قد قدم ابا بكر على الصلاة مدة الايام التي مرض فيها وعلى بالحضرة يراه النبي صلى الله عليه وسلم غدوة وعشية فما رأى لها عليه السلام احدا احق من ابي بكر بها فصح انه كان اقرأهم وافقههم واقدمهم هجرة وقد يكون من لم يجمع حفظ

الثانية كان انكارهم البعث الرسول في الصور البشرية اشد واصرارهم على ذلك ابلغ واخبر عنهم التنزيل * وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا أبعث الله بشرا رسولا ! أبشر يهدوننا * فمن كان يعترف بالملائكة كان يريد ان ياتي ملك عن السماء وقالوا لولا انزل عليه ملك ومن كان لا يعترف بهم كان يقول الشفيع والوسيلة منا الى الله تعالى هم الاصنام المنصوبة أما الامر والشريعة من الله الينا فهو المنكر فيعبدون الاصنام التي هي الوسائل ودا وسواعا ويغوث ويعوق ونسرا وكان ود لكلب وهو بدومة الجندل وسواع لهذيل وكانوا يحجون اليه وينحرون له ويغوث لمذحج ولقبائل من اليمن ويعوق لهمدان ونسر لذي الكلاع

القرآن كله على ظهر قلب اقرأ ممن جمعه كله عن ظهر قلب فيكون ألفظ به واحسنهم ترتيلا هذا على أن ابابكر وعمر وعلى لم يستكمل احد منهم حفظ سور القرآن كله ظاهرا الا انه قد وجب يقينا بتقديم النبي صلي الله عليه وسلم لابي بكر علي الصلاة وعلي حاضر ان ابابكر اقرأ من علي وما كان النبي صلى الله عليه وسلم ليقدم الى الامامة الاقل علما بالقراءة على الاقرأ او الاقل فقها على الافقه فبطل ايضا شغبهم في هذا الباب والحمد لله رب العالمين وقال قائلهم ان عليا كان اتقاهم

(قال ابو محمد) كذب هذا الافاك ولقد كان على رضي الله عنه تقيا الا ان الفضائل يتفاضل فيها اهلها وما كان اتقاهم لله الا ابو بكر والبرهان على ذلك أنه لم يسوء قط ابو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كلمة ولا خالف ارادته عليه السلام فى شيء قط ولا تاخر عن تصديقه ولا تردد عن الائتمار له يوم الحديبية اذ تردد من تردد وقد تظلم رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر اذ اراد على نكاح ابنة أبي جهل بما قد عرف وما وجد قط لابى بكر توقفا عن شيء أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الا مرة واحدة عذره فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم واجازله فعله وهى اذ اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبا فوجده يصلى بالناس فلما رآه ابو بكر تاخر فاشار اليه النبى صلى الله عليه وسلم ان أقم مكانك فحمد الله تعالى ابو بكر على ذلك ثم تاخر فصار في الصف وتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلي بالناس فلما سلم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منعك ان تثبت حين امرتك فقال ابو بكر ما كان لابن ابى قحافة ان يتقدم بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم

(قال ابو محمد) فهذا غاية التعظيم والطاعة والخضوع لرسول الله صلى الله عليه وسلم وما انكر عليه السلام ذلك عليه واذ قد صح بالبرهان الضرورى الذى ذكرنا ان ابا بكر اعلم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد وجب انه اخشاهم لله عز وجل قال الله عز وجل * انما يخشى الله من عباده العلماء * والتقى هو الخشية لله عز وجل وقال قائلون على كان ازهدهم

(قال ابو محمد) كذب هو الجاهل وبرهان ذلك ان الزاهد انما هو عزوب (١) النفس عن حب الصوت وعن المال وعن اللذات وعن الميل الى الولد والحاشية ليس الزاهد معنى يقع عليه اسم الزهد الا هذا المعنى فاما عزوب النفس عن المال فقد علم كل من له ادنى بصر بشيء من الاخبار الخالية ان ابابكر أسلم وله مال عظيم قيل أربعين الف درهم فانفقها كلها في ذات الله تعالى وأعتق المستضعفين من العبيد المؤمنين المعذبين فى ذات الله عز وجل ولم يعتق عبيدا جلدا يمنعونه (٢) لكن كل معذب ومعذبة فى الله عز وجل حتى هاجر مع رسول الله صلي الله عليه وسلم ولم يبق لابى بكر من جميع ماله الا ستة الف درهم حملها كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبق لبنيه منها درهم ثم انفقها كلها فى سبيل الله عز وجل حتى لم يبق له شيء سوى عباءة له قد خللها بعود اذا نزل افترشها واذا ركب لبسها إذ تمول غيره من الصحابة رضى الله عن جميعهم واقتنوا الرباع (٣) الواسعة والضياع العظيمة من حلها وحقها الا ان من آثر بذلك

بارض حمير واما اللات فكانت لثقيف بالطائف والعزى لقريش وجميع بنى كنانة وقوم من بنى سليم ومناة للاوس والخزرج وغسان وهبل أعظم أصنامها عندهم وكان على ظهر الكعبة وأساف ونائلة على الصفا والمروة وضعهما عمرو بن لحي وكان يذبح عليهما تجاه الكعبة وزعموا انهما كانا من جرهم أساف بن عمرو ونائلة بن سهل ففجرا في الكعبة فمسخا حجرين وقيل لا بل كانا صنمين جاء بهما عمرو بن لحي فوضعهما على الصفا وكان لبنى ملكان من كنانة صنم يقال له سعد وهو الذى يقول فيه قائله

أتينا الى سعد ليجمع شملنا
فشتتنا سعد فلا نحن من سعد
وهل سعد الا صخرة بتنوفة

---

(١) عزوب النفس اى بعدها عن حب الصوت هو لغة فى الصيت وهو الذكر الحسن الذى يشتهر وينتشر بين الناس

(٢) جلدا كحمر اى اقوياء جمع جلد بفتح فسكون

(٣) الرباع المنازل والدور جمع ربع والضياع جمع ضيعة وهى مال الرجل من النخل والكرم والارض

سبيل الله عز وجل أزهد ممن أنفق وأمسك ثم ولى الخلافة فما اتخذ جارية ولا توسع فى مال وعد عند موته ما انفق على نفسه وولده من مال الله عز وجل الذى لم يستوف منه الا بعض حقه وامر بصرفه الى بيت المال من صلب ماله الذى حصل له من شهامة فى المغازى والمقاسم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا هو الزهد في اللذات والمال الذى لا يدانيه فيه احد من الصحابة لا علي ولا غيره الا ان يكون ابا ذر وابا عبيدة من المهاجرين الاولين فانهما جريا على هذه الطريقة التي فارقا عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوسع من سواهم من الصحابة رضى الله عنهم فى المباح الذي احله الله عز وجل لهم الا من آثر سبيل الله على نفسه أفضل ولولا ان اباذر لم يكن له سابقة غيره لما تقدمه الا من كان مثله فهذا هو الزهد في المال واللذات ولقد تلا ابا بكر عمر رضى الله عنهما فى هذا الزهد فكان فوق على فى ذلك يعنى فى اعراضه عن المال واللذات واما علي رضى الله عنه فتوسع فى هذا الباب من حله ومات عن اربع زوجات وتسع عشرة ام ولد سوى الخدم والعبيد وتوفى عن اربعة وعشرين ولدا من ذكر وانثى وترك لهم من العقار والضياع ما كانوا به من اغنياء قومهم ومياسيرهم هذا امر مشهور لا يقدر على انكاره من له اقل علم بالاخبار والآثار ومن جملة عقاره التى تصدق بها ضيعة كانت تغل الف وسق تمرا سوى زرعها فاين هذا من هذا واما حب الولد والميل اليهم والى الحاشية فالامر فى هذا ابين من ان يخفى على احد له اقل علم بالاخبار فقد كان لابى بكر رضى الله عنه من القرابة والولد مثل طلحة بن عبيد الله من المهاجرين الاولين والسابقين من ذوى الفضائل العظيمة فى كل باب من ابواب الفضل فى الاسلام ومثل ابنه عبد الرحمن بن ابي بكر وله مع النبي صلي الله عليه وسلم صحبة قديمة وهجرة سابقة وفضل ظاهر فما استعمل ابو بكر رضى الله عنه منهم احدا على شىء من الجهات وهى بلاد اليمن كلها على سعتها وكثرة اعمالها وعمان وحضرموت والبحرين واليمامة والطائف ومكة وخيبر وسائر اعمال الحجاز ولو استعملهم لكانوا لذلك اهلا ولكن خشى المحاباة وتوقع ان يميله اليهم شىء من الهوى ثم جرى عمر على مجراه في ذلك فلم يستعمل من بنى عدى بن كعب احدا على سعة البلاد وكثرتها وقد فتح الشام ومصر وجميع مملكة الفرس الى خراسان الا النعمان بن عدى وحده على ميسان ثم أسرع الى عزله وفيهم من الهجرة ما ليس فى شيء من افخاذ قريش لان بني عدى لم يبق احد منهم بمكة الا هاجر وكان فيهم مثل سعيد بن زيد احد المهاجرين الاولين ذوي السوابق وابي الجهم ابن حذيفة وخارجة بن حذافة ومعمر بن عبد الله وابنه عبد الله بن عمر ثم لم يستخلف ابو بكر ابنه عبد الرحمن وهو صاحب من الصحابة ولا استعمل عمر ابنه عبد الله على الخلافة وهو من فضلاء الصحابة وخيارهم وقد رضى به الناس وكان لذلك اهلا ولو استخلفه لما اختلف عليه احد فما فعل ووجدنا عليا رضى الله عنه اذ ولى قد استعمل اقاربه عبد الملك بن عباس على البصرة وعبد الله بن عباس على اليمن ومعبد ابنى العباس على مكة والمدينة وجعدة بن هبيرة وهو ابن اخته ام هانى بنت ابى طالب على خراسان ومحمد بن ابي بكر وهو ابن امرأة وأخو ولده على مصر ورضى ببيعة الناس للحسن ابنه بالخلافة ولسنا ننكر استحقاق الحسن للخلافة ولا استحقاق عبد الله بن العباس للخلافة فكيف امارة البصرة لكننا نقول ان من زهد فى الخلافة لولده مثل عبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن ابى بكر والناس متفقون عليه وفى تامير مثل طلحة بن عبد الله وسعيد بن زيد فلا شك فى انه أتم زهدا وأعرب (١) عن جميع

من الارض لا يدعو لغى ولا رشد وكانت العرب اذا لبت وهلت قالت لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملكه ومن العرب من كان يميل الى اليهودية ومنهم من كان يميل الى النصرانية ومنهم من يصبو الى الصابئة ويعتقد فى الانواء اعتقاد المنجمين فى السيارات حتى لا يتحرك ولا يسكن ولا يسافر ولا يقيم الا بنوء من الانواء ويقول مطرنا بنوء كذا ومنهم من يصبوا الى الملائكة فعبدهم بل كانوا يعبدون الجن ويعتقدون فيهم انهم بنات الله المحصلة من العرب اعلم ان العرب فى الجاهلية كانت على ثلاثة انواع من العلوم * احدها علم الانساب والتواريخ والاديان

---

(١) واعرب أى ابعد نفسا

معاني الدنيا فسامهن أخذ منها ما أبيح له أخذه فصح بالبرهان الضروري ان ابابكر أزهد من جميع الصحابة ثم عمر بن الخطاب بعده وقال هذا القائل وكان علي أكثرهم صدقة

(قال ابو محمد) وهذه مجاهرة بالباطل لانه لم يحفظ لعلي مشاركة ظاهرة بالمال واما امر ابي بكر رضي الله عنه في انفاق ماله في سبيل الله عز وجل فاشهر من أن تخفي علي اليهود والنصارى فكيف علي المسلمين ثم لعثمان بن عفان رضي الله عنه في هذا المعنى من تجهيز جيش العسرة ماليس لغيره فصح ان ابا بكر اعظم صدقة واكثر مشاركة وغناء (٢) في الاسلام بماله من علي رضى الله عنه وقالوا علي هو السابق الى الاسلام ولم يعبد قط وثنا

(قال ابو محمد) اما السابقة فلم يقل قط احد يعتد به ان عليا مات وله اكثر من ثلاث وستين سنة ومات بلاشك سنة اربعين من الهجرة فصح انه كان حين هاجر النبي صلى الله علية وسلم ابن ثلاث وعشرين سنة وكانت مدة النبي صلى الله عليه وسلم بمكة في النبوة ثلاث عشرة سنة فبعث علية السلام ولعلي عشرة اعوام فاسلام ابن عشرة اعوام ودعاؤه اليه انما هو كتدريب المرء ولده الصغير علي الدين لا ان عنده غناء ولا ان عليه اثما ان ابى فان اخذ الامر علي قول من قال ان عليا مات وله ثمان وخمسون سنة فانه كان اذ بعث النبي صلى الله عليه وسلم ابن خمسة أعوام وكان اسلام ابي بكر ابن ثمان وثلاثين سنة وهو الاسلام المامور به من عند الله عز وجل وأما من لم يبلغ الحلم فغير مكلف ولا مخاطب فسابقة ابي بكر وعمر بلاشك أسبق من سابقة علي . وأما عمر فانه كان اسلامه تاخر بعد البعث بستة أعوام فان غنآءه كان أكثر من غنآء أكثر من اسلم قبله ولم يبلغ علي حد التكليف الا بعد أعوام من مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وبعد أن اسلم كثير من الصحابة رجال ونساء وبعد ان عذبوا في الله تعالى ولقوا فيه الالاقي (٣) وأما كونه لم يعبد وثنا فنحن وكل مولود في الاسلام لم يعبد قط وثنا وعمار والمقداد وسلمان وابوذر وحمزة وجعفر رضى الله عنهم قد عبدوا الاوثان أفترانا أفضل منهم من أجل ذلك معاذ الله من هذا فانه لا يقوله مسلم فبطل ان يكون هذا يوجب لعلى فضلا زائدا والا لكانت عائشة سابقة لعلى رضى الله عنهما في هذا الفضل لانها كانت اذ هاجر النبي صلى الله عليه وسلم بنت ثماني سنين واشهر ولم تولد الا بعد اسلام ابيها بسنين وعلي ولد وأبوه عابد وثن قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بسنين وعبد الله بن عمر ايضا أسلم ابوه وله أربع سنين لم يعبد قط وثنا فهو شريك لعلى في هذه الفضيلة . وقال بعضهم على كان اسوسهم

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا باطل لاخفاء به علي مؤمن ولا كافر فقد درى القريب والبعيد والعالم والجاهل والمؤمن والكافر من سائر الاسلام اذ كفر من كفر من اهل الارض بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم واذعن الجميع للبقية وقبول مادعت اليه العرب حاشا ابابكر فهل ثبت أحد ثبات ابي بكر علي كلب العدو وشدة الخوف حتى دخلو في الاسلام افواجا كاخرجوا منه أفواجا وأعطوا الزكاة طائعين وكارهين ولم تهله جموعهم ولا تضافرهم ولا قلة اهل الاسلام حتى انار الله الاسلام واظهره ثم هل ناطح كسرى وقيصر علي أسرة

---

(٢) الغناء بالفتح النفع

(٣) الالاقي بتشديد الياء هي الشدائد جمع القيه بضم فسكون فتشديد الياء

ويعدونه نوعا شريفا خصوصا معرفة انساب اجداد النبي علية الصلاة والسلام والاطلاع على ذلك النور الوارد من صلب ابراهيم الى اسماعيل وتواصله في ذريته الى ان ظهر بعض الظهور في اسارير عبد المطلب سيد الوادى سني المجد وسجدله الفيل الاعظم وعليه قصة اصحاب الفيل وببركة ذلك النور دفع الله تعالى شرابرهت وارسل عليهم طير أبابيل وببركة ذلك النور رأى تلك الرؤيا في تعريف موضع زمزم ووجدان الغزالة والسيوف التى دفنها جرهم وببركة ذلك النور ألهم عبد المطلب النذر الذى نذر في ذبح العاشر من أولاده وبه افتخر النبي عليه الصلاة والسلام حين قال أنا ابن الذبيحين أراد بالذبيح الاول

ملكها حتى أخضع حدود فارس والروم وصرع جنودهم ونكس راياتهم وظهر الاسلام في اقطار الارض وذل الكفر واهله وشبع جائع المسلمين وعز ذليلهم واستغنى فقيرهم وصاروا اخوة لا اختلاف بينهم وقرؤا القرآن وتفقهوا في الدين الا ابو بكر ثم ثنى عمر ثم ثلث عثمان ثم قد رأي الناس خلاف ذلك كله وافتراق كلمة المؤمنين وضرب المسلمين بعضهم وجوه بعض بالسيوف وشكت بعضهم قلوب بعض بالرماح وقتل بعضهم من بعض عشرات الالوف وشغلهم بذلك عن ان يفتح من بلاد الكفر قرية او يذعر لهم سرب او يجاهد منهم أحد حتى ارتجع أهل الكفر كثيرا مما صار بايدى المسلمين من بلادهم فلم يجتمع المسلمون الى يوم القيامة فاين سياسة من سياسة

(قال ابو محمد) فاذ قد بطل كل ما ادعاه هؤلاء الجهال ولم يحصلوا الا على دعاوى ظاهرة الكذب لا دليل على صحة شيء منها وصح بالبرهان كما أوردنا ان ابا بكر هو الذى فاز بالقدح المعلى والسبق المبرز والحظ الاسنى في العلم والقرآن والجهاد والزهد والتقوى والخشية والصدقة والعتق والمشاركة والطاعة والسياسة فهذه وجوه الفضل كلها فهو بلا شك أفضل من جميع الصحابة كلهم بعد نساء النبي صلى الله عليه وسلم

﴿قال ابو محمد﴾ ولم يحتج عليهم بالاحاديث لانهم لا يصدقون أحاديثنا ولا نصدق احاديثهم انما اقتصرنا على البراهين الضرورية بنقل الكواف فان كانت الامامة تستحق بالتقدم في الفضل فابو بكر أحق الناس بها بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم يقينا فكيف والنص على خلافته صحيح واذ قد صحت أمامة أبي بكر رضى الله عنه فطاعته فرض في استخلافه عمر رضى الله عنه فوجبت أمامة عمر فرضا بما ذكرنا وباجماع أهل الاسلام عليهما دون خلاف من أحد قطعا ثم أجمعت الامة كلها أيضا بلا خلاف من احد منهم على صحة أمامة عثمان والديونة بها وأما خلافة على فحق لا بنص ولا باجماع لكن ببرهان سنذكره ان شاء الله في الكلام في حروبه

(قال ابو محمد) ومن فضائل ابا بكر المشهورة قوله عز وجل * اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذهما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا * فهذه فضيلة منقولة بنقل الكافة لا خلاف بين أحد في انه ابو بكر فاوجب الله تعالى له فضيلة المشاركة في اخراجه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في انه خصه باسم الصحبة له وبانه ثانيه في الغار واعظم من ذلك كله ان الله معهما وهذا ما لا يلحقه فيه أحد

(قال ابو محمد) فاعترض في هذا بعض أهل القحة فقال قد قال الله عز وجل * اذ قال لصاحبه وهو يحاوره انا أكثر منك مالا * قال وقد حزن ابو بكر فنهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فلو كان حزنه رضا لله عز وجل لما نهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿قال ابو محمد﴾ وهذه مجاهرة بالباطل أما قوله تعالى في الآية لصاحبه وهو يحاوره فقد أخبر الله تعالى بان أحدهما مؤمن والآخر كافر وبانهما مختلفان فانما سماه صاحبه في المحاورة والمجالسة فقط كما قال تعالى والي مدين أخاهم شعيبا فلم يجعله أخاهم في الدين لكن في الدار والنسب فليس هكذا قوله تعالى اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا بل جعله صاحبه في الدين والهجرة وفي الاخراج وفي الغار وفي نصرة الله تعالى لهما اخافة الكفار لهما وفي كونه تعالى معهما فهذه الصحبة غاية الفضل وتلك الاخرى غاية النقص بنص القرآن. وأما حزن ابي

اسماعيل وهو اول من انحدر اليه النور فاختفى وبالذبيح الثانى عبد الله ابن عبد المطلب وهو آخر من انحدر اليه النور فظهر كل الظهور وببركة ذلك النور كان عبد المطلب يامر اولاده بترك الظلم والبغى ويحثهم على مكارم الاخلاق وينهاهم عن دنيات الامور وببركة ذلك النور قد سلم اليه النظر في حكومات العرب والحكم في خصومات المتخاصمين فكان يوضع له وسادة عند الملتزم فيستند الى الكعبة وينظر في حكومات القوم وببركة ذلك النور قال لابرهة ان لهذا البيت ربا يذب عنه ويحفظه وفيه قال وقد صعد جبل ابي قبيس

لاهم ان المرء
نع حله فامنع حلالك

بكر رضى الله عنه فانه قبل ان ينهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم كان غاية الرضا لله لانه كان اشفاقا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك كان الله معه وهو تعالى لا يكون مع العصاة بل عليهم وماحزن ابو بكر قط بعد ان نهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحزن ولو كان لهؤلاء الارذال حياء اوعلم لم ياتوا بمثل هذا اذ لو كان حزن ابي بكر عيبا عليه لكان ذلك على محمد وموسى رسول الله صلى الله عليه وسلم عيبا لان الله عز وجل قال لموسى عليه السلام * سنشد عضدك باخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما بآياتنا انتما ومن اتبعكما الغالبون * ثم قال تعالى عن السحرة انهم قالوا لموسي اما ان تلقى واما ان نكون اول من القى قال بل القوا فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى فاوجس فى نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف انك انت الاعلى * فهذا رسول الله صلي الله عليه وسلم وكليمه قد كان اخبره الله عز وجل بان فرعون وملاه لا يصلون اليه وان موسى ومن اتبعه هو الغالب ثم اوجس فى نفسه خيفة بعد ذلك اذ رآى امر السحرة حتى اوحي الله عز وجل اليه لا تخف فهذا امر اشد من امر ابى بكر واذا لزم مايقول هؤلاء الفساق ابابكر وحاشا لله ان يلزمه من ان حزنه لوكان رضا لما نهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم لزم اشد منه لموسى عليه السلام وان ايجاسه الخيفة فى نفسه لوكان رضا لله تعالى مانهاه الله تعالى عنه ومعاذ الله من هذا بل ايجاس موسى الخيفة في نفسه لم يكن الا نسيان الوعد المتقدم وحزن ابي بكر رضي الله عنه رضا لله تعالى قبل ان ينهى عنه ولم يكن تقدم اليه نهى عن الحزن واما محمد صلى الله عليه وسلم فان الله عز وجل * قال ومن كفر فلا يحزنك كفره وقال تعالى * ولا تحزن عليهم ولاتك في ضيق * وقال تعالى * ولا يحزنك قولهم ان العزة لله جميعا * وقال تعالى ولا تذهب نفسك عليهم حسرات * وقال تعالى * فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا * ووجدناه عزوجل قد قال * واقد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون * وقاله أيضا فى الانعام فهذا الله تعالى اخبرنا انه يعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزنه الذى يقولون ونهاه الله عز وجل عن ذلك نصا فيلزمهم فى حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى نهاه الله تعالي عنه كالذى أرادوا فى حزن ابى بكر سواء بسواء ونعم ان حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كانوا يقولون من الكفر كان طاعة لله تعالى قبل ان ينهاه الله عز وجل وماحزن عليه السلام بعد ان نهاه ربه تعالى عن الحزن كما كان حزن ابي بكر طاعة لله عز وجل قبل ان ينهاه الله عز وجل عن الحزن وماحزن ابو بكر قط بعد ان نهاه عليه السلام عن الحزن فكيف وقد يمكن ان يكون ابو بكر لم يحزن يومئذ لكن نهاه عليه السلام عن ان يكون منه حزن كما قال تعالى لنبيه عليه السلام * ولا تطع منهم آثما او كفورا * فنهاه عن ان يطيعهم ولم تكن منه طاعة لهم وهذا انما يعترض به اهل الجهل والسخافة ونعوذ بالله من الضلال

(قال ابو محمد) واعترض علينا بعض الجهال ببعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابى طالب خلف ابى بكر رضى الله عنهما فى الحجة التى حجها ابو بكر واخذ براءة من ابي بكر وتولي علي تبليغها الى اهل الموسم وقرائتها عليهم

(قال ابو محمد) وهذا من اعظم فضائل ابى بكر لانه كان اميرا على على بن ابي طالب وغيره من اهل الموسم لا يدفعون الا بدفعه ولا يقفون الا بوقوفه ولا يصلون الا بصلاته

لا يغلبن صليبهم
ومحالهم عدوا محالك
ان كنت تاركهم وكه
بتنا فامر ما بدالك
ببركة ذلك النور كان يقول
فى وصاياه ان لن يخرج من
الدنيا ظلوم حتى ينتقم الله
منه وتصيبه عقوبة الى
أن هلك رجل ظلوم
حتف أنفه لم تصبه عقوبة
فقيل لعبد المطلب فى ذلك
ففكر فقال والله ان وراء
هذه الدار دار يجزى فيها
المحسن باحسانه والمسىء
يعاقب باساءته ومما يدل على
اثباته المبدأ والمعاد انه كان
يضرب بالقداح على ابنه
عبد الله و يقول
يارب أنت الملك المحمود
وأنت ربى المبدء والمعيد
من عندك الطارف والتليد

وينصتون

وينصتون اذاخطب وطي في الجملة كذلك وسورة براءة وقع فيها فضل ابي بكر رضى الله عنه وذكره في امر الغار وخروجه مع النبي صلى الله عليه وسلم وكون الله تعالى معهما فقرآة علي لها أبلغ في اعلان فضل ابي بكر على على وعلي سواه وحجة لابي بكر قاطعة وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) الاان ترجع الروافض الى انكار القرآن والنقص منه والزيادة فيه فهذا امر يظهر فيه قحتهم وجهلهم وسخفهم الى كل عالم وجاهل فانه لايمترى كافر ولامؤمن في ان هذا الذى بين اللوحين من الكتاب هو الذى اتى به محمد صلى الله عليه وسلم واخبرنا بانه اوحاه الله تعالى اليه فمن تعرض هذا فقد اقر ببين عدوه

(قال ابو محمد) وبمايعترض امامة ابي بكر الازار (١) على رسول الله صلى الله عليه وسلم رادلامره فى تقديمه أبا بكر الى الصلاة باهل الاسلام مريد لازالته عن مقام اقامه فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم

(قال ابو محمد) ولسنا من كذبهم في تاويلهم* ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا* وان المراد بذلك على رضى الله عنه بل هذا لايصح بل الآية على عمومها وظاهرها لكل من فعل ذلك

(قال ابو محمد) فصح بما ذكرنا فضل ابي بكر على جميع الصحابة رضى الله عنهم بعد نساء النبي صلى الله عليه وسلم بالبراهين المذكورة واما الاحاديث فى ذلك فكثيرة كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في ابي بكر دعوا الى صاحبي فان الناس قالوا كذبت وقال ابو بكر صدقت وقوله صلى الله عليه وسلم لوكنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن اخى وصاحبي وهذا الذى لايصح غيره واما اخوة على فلاتصح الامع سهل بن حنيف ومنها امره صلى الله عليه وسلم بسد كل باب وخوخة فى المسجد حاشا خوخة ابي بكر وهذا هو الذى لايصح غيره ومنها غضبه صلى الله عليه وسلم على من خارج ابا بكر وعلى من اشار عليه بغير ابي بكر للصلاة ومنها قوله صلى الله عليه وسلم ان امن الناس على فى ماله ابوا بكر وعمدتنا فى تفضيل ابى بكر ثم عمر على جميع الصحابة بعد نساء النبى صلى على عليه وسلم هو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اسئل من احب الناس اليك يارسول الله قال عائشة قيل فمن الرجال قال ابوها قيل ثم من يارسول قال عمر

(قال ابوا محمد) فقطعنا بهذا ثم وقفنا ولوزادنا رسول الله صلي الله عليه وسلم بيانا لزدنا لكنا لانقول في شيء من الدين الابما جاء به النص

(قال ابو محمد) واختلف الناس فيمن افضل أعثمان ام على رضى الله عنهما

(قال أبوامحمد) والذى يقع فى نفوسنا دون ان نقطع به ولا نخطيء من خالفنا فى ذلك فهو ان عثمان افضل من على والله اعلم لان فضائلهما تتقاوم فى الاكثر فكان عثمان أقرأ وكان على أكثر فتيا ورواية ولعلى ايضا حظ قوى فى القراءة ولعثمان ايضا حظ قوى فى الفتيا والرواية ولعلى مقامات عظيمة فى الجهاد بنفسه ولعثمان مثل ذلك بماله ثم انفرد عثمان بان رسول الله صلى الله عليه وسلم بايع ليساره المقدسة عن يمين عثمان في بيعة الرضوان وله هجرتان وسابقة قديمة وصهر مكرم محمود ولم يحضر بدرا فالحقه الله عزوجل فيهم باجره التام وسهمه فالحقه

---

(١) أسم فاعل من الزراية وهى العيب

ومما يدل على معرفته بجلال الرسالة وشرف النبوة ان أهل مكة لما اصابهم ذلك الجدب العظيم وامسك السحاب عنهم سنتين أمر أبا طالب ابنه ان يحضر المصطفى عليه الصلاة والسلام وهو رضيع فى قماط فوضعه على يده واستقبل الكعبة ورماه الى السماء وقال يارب بحق هذا الغلام ورماه ثانيا وثالثا وكان يقول بحق هذا الغلام اسقنا غيثا مغيثا دائما هاطلا فلم يلبث ساعة ان طبق السحاب وجه السماء وامطر حتى خافوا على المسجد وانشد ابوا طالب ذلك الشعر اللامي الذى منه

وابيض يستسقى الغمام بوجهه
ثمال اليتامى عصمة للارامل
يطيف به الهلال من اهل هاشم
فهم عنده فى نعمة وفواضل

بمن حضرها فهو معدود فيهم ثم كانت له فتوحات فى الاسلام عظيمة لم تكن لعلي وسيرة فى الاسلام هادية ولم يتسبب بسفك دم مسلم وجاءت فيه آثار صحاح وان الملائكة تستحي منه وانه ومن اتبعه على الحق والذى صح من فضائل علي فهو قول النبي صلى الله عليه وسلم انت مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي وقوله عليه السلام لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله وهذه صفة واجبة لكل مؤمن وفاضل وعهده عليه السلام ان عليا لا يحبه الا مؤمن ولا يبغضه الا منافق وقد صح مثل هذه فى الانصار رضي الله عنهم انه لا يبغضهم من يؤمن بالله واليوم الاخر واما من كنت مولاه فعلي مولاه فلا يصح من طريق الثقات اصلا واما سائر الاحاديث التى تتعلق بها الرافضة فموضوعة يعرف ذلك من له ادني علم بالاخبار ونقلتها

(قال ابو محمد) ونقول بفضل المهاجرين الاولين بعد عمر بن الخطاب قطعا الا اننا لا نقطع بفضل احد منهم على صاحبه كعثمان ابن عفان وعثمان ابن مظعون وعلي وجعفر وحمزة وطلحة والزبير ومصعب بن عمير وعبد الرحمن ابن عوف وعبد الله ابن مسعود وسعد وزيد ابن حارثة وابي عبيدة وبلال وسعيد ابن زيد وعمار ابن ياسر وابي سلمة وعبد الله ابن جحش وغيرهم من نظرائهم ثم بعد هؤلاء اهل العقبة ثم اهل بدر ثم اهل المشاهد كلها مشهدا مشهدا فاهل كل مشهد افضل من اهل المشهد الذى بعده حتى بلغ الامر الى الحديبية فكل من تقدم ذكره من المهاجرين والانصار رضى الله عنهم الى تمام بيعة الرضوان فاننا نقطع على غيب قلوبهم وانهم كلهم مؤمنون صالحون ماتوا على الايمان والهدى والبر كلهم من اهل الجنة لا يلج احد منهم النار البتة لقول الله تعالى * والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم * وكقوله عز وجل * لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فانزل السكينة عليهم *

(قال ابو محمد) فمن اخبرنا الله عز وجل انه علم ما في قلوبهم رضى الله عنهم وانزل السكينة عليهم فلا يحل لاحد التوقف فى امرهم ولا الشك فيهم البتة ولقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل النار احد بايع تحت الشجرة الا صاحب الجمل الاحمر ولاخباره عليه السلام انه لا يدخل النار احد شهد بدرا ثم نقطع على ان كل من صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بنية صادقة ولو ساعة فانه من اهل الجنة لا يدخل النار لتعذيب الا انهم لا يلحقون بمن اسلم قبل الفتح وذلك لقول الله عز وجل * لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل أولئك اعظم درجة من الذين انفقوا وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى * وقال تعالى * وعد الله لا يخلف الله وعده * وقال تعالى * ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون لا يحزنهم الفزع الاكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون * فصح بالضرورة ان كل من انفق قبل الفتح وقاتل فهو مقطوع على غيبه لتفضيل الله تعالى اياهم والله تعالى لا يفضل الا مؤمنا فاضلا واما من انفق بعد الفتح وقاتل فقد كان فيهم منافقون لم يعلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف نحن قال الله تعالى * وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم

(قال ابو محمد) فلهذا لم نقطع على كل امرىء منهم بعينه لكن نقول كل من لم يكن منهم

كذبتم وبيت الله يبزى محمدا
ولما نطاعن دونه ونناضل
ولا نسلمه حتى نصرع حوله
ونذهل عن ابنائنا والحلائل

وقال العباس بن عبد المطلب فى النبي عليه الصلاة والسلام قصيدة منها

من قبلها طبت فى الظلال وفى
مستودع حين يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر
انت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد
ألجم نسرا وأهله الغرق
تنقل من صالب الى رحم
اذا مضى عالم بدا طبق
حتى احتوى بيتك المهيمن في
خندق عليا تحتها النطق
وأنت لما ظهرت أشرف الارض
وضاءت بنورك الافق

من المنافقين فهو من أهل الجنة يقينا لانه قد وعدهم الله تعالى الحسنى كلهم واخبر انه لا يخلف وعده وان من سبقت له الحسنى فهو مبعد من النار لا يسمع حسيسها ولا يحزنه الفزع الاكبر وهو فيما اشتهى خالد وهذا نص قولنا والحمد لله رب العالمين

(قال ابو محمد) لقد خاب وخسر من رد قول ربه عز وجل انه رضى عن المبايعين تحت الشجرة وعلم ما في قلوبهم فانزل السكينة عليهم وقد علم كل احد له ادني علم ان ابا بكر وعمر وعثمان وعليا وطلحة والزبير وعمار والمغيرة بن شعبة رضى الله عنهم من اهل هذه الصفة والخوارج والروافض قد انتظمت الطائفتان الملعونتان البريئة منهم خلافا لله عز وجل وعنادا له ونعوذ بالله من الخذلان

(قال ابو محمد) فهذا قولنا في الصحابة رضى الله عنهم فاما التابعون ومن بعدهم فلا نقطع على غيرهم واحدا واحدا الا من بان منه احتمال المشقة في الصبر للدين ورفض الدنيا لغير غرض استعجله الا اننا لا ندرى على ماذا مات وان بلغنا الغاية في تعظيمهم وتوقيرهم والدعاء بالمغفرة والرحمة والرضوان لهم لكن نتولاهم جملة قطعا ونتولى كل انسان منهم بظاهره ولا نقطع على احد منهم بجنة ولا نار لكن نرجو لهم ونخاف عليهم اذ لا نص في انسان منهم بعينه ولا يحل الاخبار عن الله عز وجل الا بنص من عنده لكن نقول كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيركم القرن الذي بعثت فيهم ثم الذى يلونهم ثم الذى يلونهم ومعنى هذا الحديث انما هو كل قرن من هذه القرون التى ذكر عليه السلام اكثر فضلا بالجملة من القرن الذى بعده لا يجوز غير هذا البتة وبرهان ذلك انه قد كان في عصر التابعين من هو افسق الفاسقين كمسلم بن عقبة المرى وحبيش بن دلجة القينى والحجاج بن يوسف الثقفى وقتلة عثمان وقتلة ابن الزبير وقتلة الحسين رضى الله عنهم ولعن قتلتهم ومن بعثهم فمن خالف قولنا في هذا الخبر لزمه ان يقول ان هؤلاء الفساق الاخابث افضل من كل فاضل في القرن الثالث ومن بعده كسفيان الثوري والفضيل بن عياض ومسعر بن كدام وشعبة ومنصور بن المعتمر ومالك والاوزاعى والليث وسفيان بن عيينة ووكيع وابن المبارك والشافعى واحمد بن حنبل واسحاق ابن راهوية وداود بن على رضى الله عنهم وهذا ما لا يقوله احد وما يبعد ان يكون في زماننا او فيمن ياتى بعدنا من هو افضل رجل من التابعين عند الله عز وجل اذ لم يات في المنع من ذلك نص ولا دليل اصلا والحديث المأثور في اويس القرني لا يصح لان مداره على اسيد بن جابر وليس بالقوى وقد ذكر شعبة انه سال عمرو بن مرة وهو كوفى قرنى مرادى من اشرف مراد واعلمهم بهم عن اويس القرنى فلم يعرفه في قومه واما الصحابة رضى الله عنهم فبخلاف هذا ولا سبيل الى ان يلحق اقلهم درجة احد من اهل الارض وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) وذهب بعض الروافض الى ان لذوى قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلا بالقرابة فقط واحتج بقوله تعالى * ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض * وبقوله عز وجل * قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى * وبقوله تعالى * وابعث فيهم رسولا منهم *

(قال ابو محمد) وهذا كله لا حجة فيه اما اخباره تعالى بانه اصطفى آل ابراهيم وآل عمران على العالمين فانه لا يخلو من احد وجهين لا ثالث لهما اما ان يعنى كل مؤمن فقد قال ذلك بعض العلماء او يعنى مؤمنى اهل بيت ابراهيم وعمران لا يجوز غير هذا لان آزر والد ابراهيم

فنحن في ذلك الضياء وفي الـ
ـنور وسبل الرشاد نخترق

وأما النوع الثانى من العلوم فهو الرؤيا وكان أبو بكر ممن يعبر الرؤيا في الجاهلية ويصيب فيرجعون اليه ويستخبرون عنه والثالث علم الانواء وذلك مما يتولاه الكهنة والقافة منهم وعن هذا قال عليه الصلاة والسلام من قال مطرنا بنوء كذا فقد كفر بما أنزل الله على محمد ومن العرب من كان يؤمن بالله واليوم الاخر وينتظر النبوة وكانت لهم سنن وشرائع قد ذكرناها لانها نوع تحصيل فمن كان يعرف النور الظاهر والنسب الطاهر ويعتقد الدين الحنيفى وينتظر المقدم النبوى زيد بن عمر ابن نفيل كان يسند

عليه السلام كان كافرا عدوا لله لم يصطفه الله تعالى الا لدخول النار فان اراد الوجه الذى ذكرنا لم نمانعه ولا تنازعه في ان موسى وهارون من آل عمران وآل اسماعيل واسحاق ويوسف و يعقوب من آل ابراهيم مصطفون على العالمين * فاى حجة هاهنا لبنى هاشم * فان ذكروا الدعاء المامور به وهو اللهم صل على محمد وعلى آل محمد و بارك على محمد وعلى آل محمد فالقول فى هذا كما قلنا ولا فرق وهذا دعاء لكل مؤمن وقد قال تعالى * خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل ابى اوفى فهذا هو الدعاء لهم بالصلاة على كل مؤمن ومؤمنة بلا خلاف وكذلك الدعاء فى التشهد المفترض فى كل صلاة من قول المصطفى السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فهذا السلام على كل مؤمن ومؤمنة فاستوى بنو هاشم وغيرهم فى اطلاق الدعاء بالصلاة عليهم و بالسلام عليهم ولا فرق وقال تعالى * وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون فوجبت صلوات الله تعالى على كل مؤمن صابر فاستوى كله بنو هاشم وقريش والعرب والعجم ومن كان جميعهم بهذه الصفة وايضا فيلزم من احتج بقوله تعالى * ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين * أن يقول ان من اسلم من الهارونيين من اليهود افضل من بنى هاشم واشرف واولى بالتقديم لانه من آل عمران ومن آل ابراهيم وفيهم ورد النص

(قال ابو محمد) فصح يقينا ان الله عز وجل انما اراد بذلك الانبياء عليهم السلام فقط وبين هذا بيانا جليا قول الله عز وجل حاكيا عن ابراهيم عليه السلام انه قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين * من ذرية ابراهيم عليه السلام الظالمين من ذرية غيره وقال عز وجل ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا فخص الله تعالى بولاية ابراهيم عليه السلام من اتبع ابراهيم كائنا من كان فدخل فى هذا كل مؤمن ومؤمنة ولا فضل واما قول الله عز وجل * قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة فى القربى * فهذا حق على ظاهره وانما اراد عليه السلام من قريش ان يودوه لقرابته منهم ولا يختلف احد من الامة فى انه عليه السلام لم يرد قط من المسلمين ان يودوا ابا لهب وهو عمه ولا شك فى انه عليه السلام اراد من المسلمين مودة بلال وعمار وصهيب وسلمان وسالم مولى ابى حذيفة واما قوله عز وجل عن ابراهيم عليه السلام * وابعث فيهم رسولا منهم * فقد قال عز وجل * وان من امة الا خلا فيها نذير * وقال تعالى * وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فاستوت الامم كلها فى هذه الدعوة بان يبعث فيهم رسولا منهم ممن هم قومه فان احتج محتج بالحديث الثابت الذى فيه ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم فمعناه ظاهر وهو انه تعالى اختار كونه عليه الصلاة والسلام من بنى هاشم وكون بنى هاشم من قريش وكون قريش من كنانة وكون كنانة من بنى اسماعيل كما اصطفى ان يكون موسى من بنى لاوى وان يكون بنو لاوى من بنى اسحاق عليه السلام وكل نبى من عشيرته التى هو منها ولا يجوز غير هذا البتة ونسأل من اراد حمل هذا الحديث على غير هذا المعنى ايدخل احد من بنى هاشم او من قريش او من كنانة او من اسماعيل النار ام لا فان انكروا هذا

ظهره الى الكعبة ويقول ايها الناس هلموا الى فانه لم يبق على دين ابراهيم احد غيرى وسمع أمية بن أبي الصلت يوما ينشد

كل دين يوم القيامة عند الله الا دين الحنيفة زور

فقال له صدقت وقال زيد ايضا

فلن تكون لنفسى منك واقية
يوم الحساب اذا ما يجمع البشر

ومن كان يعتقد التوحيد و يؤمن بيوم الحساب قس بن ساعدة الايادى قال فى مواعظه كلا ورب الكعبة ليعودن ما باد ولان ذهب ليعودن يوما وقال ايضا

كلا بل هو الله اله واحد
ليس بمولود ولا والد
أعادى وابدى
واليه المآب غدا

كفروا وخالفوا الاجماع والقرآن والسنن وقد قال عليه السلام ابى وابوك فى النار وان ابا طالب فى النار وجاء القرآن بان ابا لهب فى النار وسائر كفار قريش فى النار كذلك قال الله تعالى * تبت يدا أبى لهب وتب ما اغنى عنه ماله وما كسب سيصلى نارا ذات لهب * فاذا اقر بانه قد يدخل النار منهم من يستحق ان يدخلها صحت المساواة بينهم وبين سائر الناس

(قال ابو محمد) ويكذب هذا الظن الفاسد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يا فاطمة بنت محمد لا اغنى عنك من الله شيئا يا صفية عمة رسول الله لا اغنى عنك من الله شيئا يا عباس بن عبد المطلب لا اغنى عنك من الله شيئا يا بنى عبد المطلب لا أغنى عنكم من الله شيئا وابين من هذا كله قول الله تعالى * يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم * وقوله تعالى * لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم يوم القيامة يفصل بينكم * وقوله تعالى * واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا * وقال تعالى وذكر عادا وثمودا وقوم نوح وقوم لوط ثم قال * اكفاركم خير من أولئكم ام لكم براءة فى الزبر * فصح ضرورة انه لا ينتفع احد بقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا من نبى من الانبياء والرسل عليهم السلام ولو ان النبى ابنه او ابوه وامه نبية وقد نص الله تعالى فى ابن نوح ووالد ابراهيم وعم محمد على رسل الله الصلاة والسلام ما فيه الكفاية وقد نص الله تعالى على ان من انفق من قبل الفتح وقاتل اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا فصح ضرورة ان بلالا وصهيبا والمقداد وعمارا وسالما وسلمان افضل من العباس وبنيه عبد الله والفضل وقثم ومعبد وعبيد الله وعقيل بن ابى طالب والحسن والحسين رضى الله عن جميعهم بشهادة الله تعالى فاذ هذا لا شك فيه ولا جزاء فى الآخرة الا على عمل ولا ينتفع عند الله تعالى بالارحام ولا بالولادات وليست الدنيا دار جزاء فلا فرق بين هاشمى وقرشى وعربى وعجمى وحبشى وابن زنجية والكرم والفوز لمن اتقى الله عز وجل حدثنا محمد بن سعيد بن بيان انبأنا احمد بن عبد الله البصير حدثنا قاسم بن اصبغ حدثنا عبد السلام ابن الخشنى حدثنا محمد بن المثنى حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا سفيان الثورى عن ابى اسحاق السبيعي عن حسان بن فايد العبسى قال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه كرم الرجل دينه وحسبه خلقه وان كان فارسيا او نبطيا

الكلام فى حرب على ومن حاربه من الصحابة رضى الله عنهم

(قال ابو محمد) اختلف الناس فى تلك الحرب على ثلاث فرق فقال جميع الشيعة وبعض المرجئة وجمهور المعتزلة وبعض أهل السنة ان عليا كان المصيب فى حربه وكل من خالفه على خطا وقال واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد وابو الهذيل وطوائف من المعتزلة ان عليا مصيب فى قتاله معاوية واهل النهر ووقفوا فى قتاله مع اهل الجمل وقالوا احدى الطائفتين مخطئة ولا نعرف ايهما هى وقالت الخوارج على المصيب فى قتاله اهل الجمل واهل صفين وهو مخطىء فى قتاله اهل النهر وذهب سعد بن ابى وقاص وعبد الله بن عمر وجمهور الصحابة الى الوقوف فى على واهل الجمل واهل صفين وبه يقول جمهور اهل السنة وابو بكر بن كيسان وذهب جماعة من الصحابة وخيار التابعين وطوائف ممن بعدهم الى تصويب محاربى على من اصحاب الجمل واصحاب صفين وهم الحاضرون لقتاله فى اليومين المذكورين وقد اشار الى هذا ايضا ابو بكر بن كيسان

وأنشا فى معنى الاعادة

يا باكى الموت والاموات فى جدث
عليهم من بقايا بزهم خرق
دعهم فان لهم يوما يصاح بهم
كما ينبه من نوماته الصعق
حتى يجيئوا بحال غير حالهم
خلق مضى ثم هذا بعد ذا خلقوا
منهم عراة وموتى فى ثيابهم
منها الجديد ومنها الازرق الخلق

ومنهم عامر بن الظرب العدواني كان من حكماء العرب وخطبائهم وله وصية طويلة يقول فى آخرها انى ما رأيت شيئا قط خلق نفسه ولا رأيت موضوعا الا مصنوعا ولا جائيا الا ذاهبا ولو كان يميت الناس الداء لاحياهم الدواء ثم قال انى أرى أمورا شتى وحتى قيل له وما حتى قال حتى يرجع الميت

(قال ابو محمد) اما الخوارج فقد اوضحنا خطاءهم وخطأ أسلافهم فيما سلف من كتابنا هذا حاشا احتجاجهم بانكار تحكيم على الحكمين فسنتكلم فى ذلك ان شاء الله تعالى كما تكلمنا فى سائر أحكامهم والحمد لله رب العالمين واما من وقف فلا حجة له اكثر من انه لم يتبين له الحق ومن لم يتبين له الحق فلا سبيل الى مناظرته باكثر من ان نبين له وجه الحق حتى يراه وذكروا ايضا احاديث فى ترك القتال فى الاختلاف سنذكر لكم جماعتها ان شاء الله تعالى فلم يبق الا الطائفة المصوبة لعلى فى جميع حروبه والطائفة المصوبة لمن حاربه من اهل الجمل واهل صفين

(قال ابو محمد) احتج من ذهب الى تصويب محاربي علي يوم الجمل ويوم صفين بان قال ان عثمان رضي الله عنه قتل مظلوما فالطلب باخذ القود من قاتليه فرض قال عز وجل. ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا . وقال تعالى . وتعاونوا علي البر والتقوى ولا تعاونوا علي الاثم والعدوان . قالوا ومن آوى الظالمين فهو اما مشارك لهم واما ضعيف عن اخذ الحق منهم قالوا وكلا الامرين حجة فى اسقاط امامته علي من فعل ذلك ووجوب حربه قالوا وما انكروا علي عثمان الاقل من هذا من جواز انفاذ اشياء بغير علمه فقد ينفذ مثلها سرا ولا يعلمها احد الا بعد ظهورها قالوا وحق لو ان كل ما أنكر على عثمان يصح ما حل بذلك قتله بلا خلاف من احد من اهل الاسلام لانهم انما أنكروا عليه استئثارا بشيء يسير من فضلات الاموال لم يجب لاحد بعينه فمنعها وتولية اقاربه فلما شكوا اليه عزلهم واقام الحد علي من استحقه وانه صرف الحكم بن ابي العاص الى المدينة ونفي رسول الله صلى الله عليه وسلم للحكم لم يكن حدا واجبا ولا شريعة علي التابيد وانما كان عقوبة علي ذنب استحق به النفى والتوبة مبسوطة فاذا تاب سقطت عنه تلك العقوبة بلا خلاف من احد من اهل الاسلام وصارت الارض كلها مباحة وانه ضرب عمارا خمسة اسواط ونفى اباذر الى الربذة وهذا كله لا يبيح الدم قالوا وايواء على المحدثين اعظم الاحداث من سفك الدم الحرام فى حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم لاسيما دم الامام وصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظم والمنع من انفاذ الحق عليهم أشد من كل ما ذكرنا بلاشك قالوا وامتناع معاوية من بيعة علي كامتناع علي من بيعة ابى بكر فما حاربه ابو بكر ولا اكرهه وابو بكر اقدر على علي من علي علي معاوية ومعاوية فى تاخيره عن بيعة على اعذر وافسح مقالا من على فى تاخيره عن بيعة ابى بكر لان عليا لم يمتنع من بيعة ابى بكر احد من المسلمين غيره بعد ان بايعه الانصار والزبير واما بيعة علي فان جمهور الصحابة تاخروا عنها اما عليه واما لا له ولا عليه وما تابعه فيهم الا الاقل سوى أزيد من مائة الف مسلم بالشام والعراق ومصر والحجاز كلهم امتنع من بيعته فهل معاوية الا كواحد من هؤلاء فى ذلك وايضا فان بيعة علي لم تكن على عهد من النبى صلى الله عليه وسلم كما كانت بيعة ابى بكر ولا عن اجماع من الامة كما كانت بيعة عثمان ولا عن عهد من خليفة واجب الطاعة كما كانت بيعة عمر ولا بسوق بائن (١) فى الفضل على غيره لا يختلف فيه أحد ولا عن شورى فالقاعدون عنها بلاشك ومعاوية من جملتهم اعذر من على فى قعوده عن بيعة ابى بكر ستة اشهر حتى رأى البصيرة وراجع الحق عليه فى ذلك قالوا فان قلتم خفى على علي نص رسول الله صلى الله عليه وسلم علي ابي بكر قلنا لكم لم يخف عليه بلاشك تقديم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر الى الصلاة وامره عليا بان يصلى وراءه في جماعة المسلمين فتاخر عن بيعة

حيا ويعود اللاشى شيئا ولذلك خلقت السموات والارض فتولوا عنه ذاهبين وقال ويل أمها نصيحة لو كان من يقبلها وكان قد حرم الخمر على نفسه فيمن حرمه وقال فيه شعرا

ان اشرب الخمر اشربها للذتها
وان أدعها فاني ماقت قالى
لولا اللذاذة والقيان لم أرها
أو لا رأتنى الامن مدى العالى
سالت الفتى ماليس فى يده
ذهابة بعقول القوم والمال
مورث القوم اضغانا بلا احن
ومرزيا بالمفتى ذى النجدة الحالى
قسمت بالله أسقيها وأشربها
حتى تمزق ترب الارض اوصالى

وممن كان قد حرم الخمر فى الجاهلية قيس بن عاصم التميمى

---

(١) بسوق بائن اى تفوق ظاهر

ابي بكر سعي منه في حطه عن مكان جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم حقاً لابي بكر وسعي منه في فسخ نص رسول الله صلى الله عليه وسلم على تقديمه الى الصلاة وهذا اشد من رد انسان نفاه رسول الله صلي الله عليه وسلم لذنب ثم تاب منه وايضاً فان علياً قد تاب واعترف بالخطاء لانه اذا بايع ابا بكر بعد ستة اشهر تاخر فيها عن بيعته لا يخلو ضرورة من احد وجهين اما ان يكون مصيباً في تاخره فقد اخطا اذ بايع او يكون مصيباً في بيعته فقد اخطا اذ تاخر عنها قالوا والمتاخرون من بيعة على لم يعترفوا قط بالخطا على انفسهم في تاخرهم عن بيعته قالوا فان كان فعلهم خطا فهو أخف من الخطا في تاخر علي عن بيعة ابي بكر وان كان فعلهم صوابا فقد برئوا من الخطا جملة قالوا والبون بين طلحة والزبير وسعد بن ابي وقاص وعلي خفي جدا فقد كانوا في الشورى معه لا يبدو له فضل تفوق عليهم ولا علي واحد منهم وأما البون بين علي وابي بكر فابين واظهر فهم من امتناعهم عن بيعته اعذر لخفاء التفاضل قالوا وهلا فعل علي في قتلة عثمان كما فعل بقتله عبد الله ابن خباب بن الارت فان القصتين استويا في التحريم فالمصيبة في قتل عثمان في الاسلام وعند الله عز وجل وعلي المسلمين اعظم جرما واوسع خرقا واشنع اثما واهول فتقاً من المصيبة في قتل عبد الله بن خباب قالوا وفعله في طلب دم عبد الله بن خباب يقطع حجة من تاول علي علي انه يمكن ان يكون لا يرى قتل الجماعة بالواحد

(قال ابو محمد) هذا كل ما يمكن ان تحتج به هذه الطائفة قد تقصيناه ونحن ان شاء الله تعالى متكلمون علي ما ذهبت اليه كل طائفة من هذه الطوائف حتى يلوح الحق في ذلك بعون الله تعالى وتاييده

(قال ابو محمد) نبدأ بعون الله عز وجل بانكار الخوارج التحكيم

(قال ابو محمد) قالوا حكم على الرجال في دين الله تعالى والله عز وجل قد حرم ذلك بقوله * ان الحكم الا لله * وبقوله تعالى * وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله *

(قال ابو محمد) ما حكم علي رضى الله عنه قط رجلا في دين الله وحاشاه من ذلك وانما حكم كلام الله عز وجل كما افترض الله تعالى عليه وانما اتفق القوم كلهم اذ رفعت المصاحف على الرماح وتداعوا الى ما فيها على الحكم بما انزل الله عز وجل في القرآن وهذا هو الحق الذي لا يحل لاحد غيره لان الله تعالى يقول * فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر * فانما حكم علي رضى الله عنه ابا موسى وعمرو رضى الله عنهما ليكون كل واحد منهما مدلياً بحجة من قدمه وليكونا متخاصمين عن الطائفتين ثم حاكمين لمن اوجب القرآن الحكم له واذ من المحال الممتنع الذي لا يمكن الذي لا يفهم لغط العسكرين او ان يتكلم جميع اهل العسكر بحجتهم فصح يقيناً لا محيد عنه صواب علي في تحكيم الحكمين والرجوع الى ما اوجبه القرآن وهذا الذي لا يجوز غيره ولكن اسلاف الخوارج كانوا اعراباً قرؤا القرآن قبل ان يتفقهوا في السنن الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن فيهم احد من الفقهاء لا من اصحاب ابن مسعود ولا اصحاب عمر ولا اصحاب علي ولا اصحاب عائشة ولا اصحاب ابي موسى ولا اصحاب معاذ بن جبل ولا اصحاب ابي الدرداء ولا اصحاب سلمان ولا اصحاب زيد وابن عباس وابن عمر ولهذا تجدهم يكفر بعضهم بعضاً عند اقل نازلة تنزل بهم من دقائق الفتيا وصغارها فظهر ضعف القوم وقوة جهلهم وانهم انكروا

وصفوان بن أمية بن محرب الكناني وعفيف بن معدي كرب الكندي وقالوا فيها وقال الاسلوم اليالي وقد حرم الزنا والخمر شعرا

سالمت قومي بعد طول مضاضة
والسلم أبقى في الامور واعرف
وتركت شرب الراح وهي أميرة
والمومسات وترك ذلك أشرف
وعففت عنه يا أميم تكرماً
وكذاك يفعل ذو الحجى المتعفف

وممن كان يؤمن بالخالق تعالى وبخلق آدم عبد الطابخة بن ثعلب ابن وبرة من قضاعة قال فيه

أدعوك يا ربي بما أنت اهله
دعاء غريق قد تشبث بالعصم
لانك أهل الحمد والخير كله
وذا الطول لم تعجل بسخط ولم تلم
وأنت الذي لم يحيه الدهر ثانياً
ولم ير عبد منك في صالح وجم

ما قام البرهان الذى أورثنا بانه حق ولو لم يكن من جهلهم لاقرب عهدهم بخبر الانصار يوم السقيفة واذعانهم رضى الله عنهم مع جميع المهاجرين لوجب الامر فى قريش دون الانصار وغيرهم وان عهدهم بذلك قريب منذ خمسة وعشرين عاما أو اشهر وجمهورهم ادرك ذلك بسنة وثبت عند جميعهم كثبات أمر النبى صلى الله عليه وسلم ولا فرق لان الذين نقلوا اليهم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقلوا اليهم القرآن والشرائع فدانوا بكل ذلك هم باعيانهم لا زيادة فيهم ولا نقص نقلوا اليهم خبر السقيفة ورجوع الانصار الى ان الامر لا يكون الا فى قريش وهم يقرون ويقرؤن قوله تعالى * لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل أولئك اعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى * وقوله تعالى * محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً * الآية وقوله تعالى * لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فانزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً * ثم اعماهم الشيطان واضلهم الله تعالى على علم * فخلعوا بيعة مثل على واعرضوا عن مثل سعيد بن زيد وسعد وابن عمر وغيرهم ممن انفق من قبل الفتح وقاتل واعرضوا عن سائر الصحابة الذين انفقوا بعد الفتح وقاتلوا ووعدهم الله الحسنى وتركوا من يقرون بان الله تعالى عز وجل علم ما فى قلوبهم فانزل السكينة عليهم ورضي عنهم وبايعوا الله وتركوا جميع الصحابة وهم الاشداء على الكفار الرحماء بينهم الركع السجد المبتغون فضلا من الله ورضواناً سيماهم فى وجوههم من اثر السجود المثنى عليهم فى التوراة والانجيل من عند الله عز وجل الذين غاظ الله بهم الكفار المقطوع على ان باطنهم فى الخير كظاهرهم لان الله عز وجل شهد بذلك فلم يبايعوا احدا منهم وبايعوا شبث بن ربعى مؤذن سجاح ايام ادعت النبوة بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم حتى تداركه الله عز وجل ففر عنهم وتبين لهم ضلالتهم فلم يتم اختيارهم الا على عبد الله بن وهب الراسبي اعرابي والطى عقبيه لا سابقة له ولا صحبة ولا فقه ولا شهد الله له بخير قط فمن اضل ممن هذه سيرته واختياره ولكن حق لمن كان احدا يمينه ذو خويصرة الذى بلغ ضعف عقله وقلة دينه الى تجويره رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حكمه والاستدراك ورأى نفسه اورع من رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا وهو يقر انه رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه وبه اهتدى وبه عرف الدين ولولاه لكان حمارا او اضل ونعوذ بالله من الخذلان واما الطائفة المنسوبة للقاعدين فان من لم يلح له الحق منهم فانما يكلم حتى يبين له الحق فيلزمه المصير اليه فنقول وبالله تعالى التوفيق انه قد صح ووجب فرض الامامة بما ذكرنا قبل فى ايجاب الامامة واذ هي فرض فلا يجوز تضييع الفرض واذ ذلك كذلك فالمبادرة الى تقديم امام عند موت الامام فرض واجب وقد ذكرنا وجوب الائتمام بالامام فاذ هذا كله كما ذكرنا فاذ مات عثمان رضى الله عنه وهو الامام ففرض اقامة امام يأتم به الناس لئلا يبقوا بلا امام فاذ بادر على فبايعه واحد من المسلمين فصاعدا فهو امام قائم ففرض طاعته لا سيما لم يتقدم ببيعته بيعة ولم ينازعه الامامة احد فهذا اوضح وواجب فى وجوب امامته وصحة بيعته ولزوم امرته للمؤمنين فهو الامام بحقه وما ظهر منه قط الى ان مات رضي الله عنه شيء يوجب نقض بيعته وما ظهر منه قط الا العدل والجد والبر والتقوى كما لو سبقت بيعة طلحة او الزبير او سعد او سعيد او من يستحق الامامة لكانت ايضا بيعة حق لازمة لعلي ولغيره ولا فرق فعلي مصيب فى الدعاء الى نفسه والى

الدخول

وأنت القديم الاول الماجد الذى
تبدات خلق الناس فى اكتم العدم
فانت الذى أحللتنى غيب ظلمة
الى ظلمة من صلب آدم في ظلم

ومن هؤلاء زهير بن أبي سلمى كان يمر بالعضاة وقد اورقت بعد يبس فيقول لولا ان تسبنى العرب لآمنت بمن احياك بعد يبس سيحيي العظام وهي رميم ثم آمن بعد ذلك وقال فى قصيدته التى اولها امن أم أوفى

يؤخر فيوضع فى كتاب فيدخر
ليوم الحساب او يعجل فينتقم

ومنهم علاف بن شهاب التميمى كان يؤمن بالله ويوم الحساب وفيه قال

لقد شهدت الخصم يوم رفاعة
فاخذت منه خطة المقتال

الدخول تحت أمامته وهذا برهان لا محيد عنه واما ام المؤمنين والزبير وطلحة رضى الله عنهم ومن كان معهم فما أبطلوا قط امامة علي ولا طعنوا فيها ولا ذكروا فيه جرحة تحطه عن الامامة ولا أحدثوا امامة اخرى ولا جددوا بيعة لغيره هذا مالا يقدر ان يدعيه أحد بوجه من الوجوه بل يقطع كل ذى علم على ان كل ذلك لم يكن فاذ لا شك فى كل هذا فقد صح صحة ضرورية لا اشكال فيها انهم لم يمضوا الي البصرة لحرب على ولا خلافا عليه ولا نقضا لبيعته ولو أرادوا ذلك لاحدثوا بيعة غير بيعته هذا مالا يشك فيه أحد ولا ينكره أحد فصح انهم انما نهضوا الى البصرة لسد الفتق الحادث فى الاسلام من قتل امير المؤمنين عثمان رضي الله عنه ظلما وبرهان ذلك انهم اجتمعوا ولم يقتتلوا ولا تحاربوا فلما كان الليل عرف قتلة عثمان ان الاراغة والتدبير عليهم فبيتوا عسكر طلحة والزبير وبذلوا السيف فيهم فدفع القوم عن انفسهم فى دعوى حتى خالطوا عسكر على فدفع اهله عن انفسهم وكل طائفة تظن ولا شك ان الاخرى بدأ بها بالقتال واختلط الامر اختلاطا لم يقدر أحد على اكثر من الدفاع عن نفسه والفسقة من قتلة عثمان لا يفترون من شن الحرب واضرامه فكلتا الطائفتين مصيبة فى غرضها ومقصدها مدافعة عن نفسها ورجع الزبير وترك الحرب بحالها واتى طلحة سهم غاير وهو قائم لا يدرى حقيقة ذلك الاختلاط فصادف جرحا فى ساقه كان أصابه يوم احد بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانصرف ومات من وقته رضى الله عنه وقتل الزبير رضى الله عنه بوادى السباع على اقل من يوم من البصرة فهكذا كان الامر وكذلك كان قتل عثمان رضى الله عنه انما حاصره المصريون ومن لف لفهم يديرونه على اسلام مروان اليهم وهو رضى الله عنه يابى من ذلك ويعلم انه ان اسلمه قتل دون تثبت فهو على ذلك وجماعات من الصحابة فيهم الحسن والحسين ابنا على وعبد الله بن الزبير ومحمد بن طلحة وابو هريرة وعبد الله بن عمر وغيرهم فى نحو سبعماية من الصحابة وغيرهم معه في الدار يحمونه وينفلتون الى القتال فيردعهم تثبتا الى ان تسوروا عليه من خوخة فى دار ابن حزم الانصارى جاره غيلة فقتلوه ولا خبر من ذلك عند احد لعن الله من قتله والراضين بقتله فما رضى احد منهم قط بقتله ولا علموا انه يراد قتله لانه لم يات منه شيء يبيح الدم الحرام واما قوله من قال انه رضي الله عنه اقام مطروحا على مزبلة ثلاثة ايام فكذب بحت وافك موضوع وتوليد من لا حياء فى وجهه بل قتل عشية ودفن من ليلته رضي الله عنه شهد دفنه طائفة من الصحابة وهم جبير بن مطعم وابو الجهم بن حذيفة وعبد الله بن الزبير ومكرم بن نيار وجماعة غيرهم هذا مما لا يتمادى فيه احد ممن له علم بالاخبار ولقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم برمى اجساد قتلى الكفار من قريش يوم بدر فى القليب والقى التراب عليهم وهم شر خلق الله تعالى وامر عليه السلام ان يحفر اخاديد لقتلى يهود قريظة وهم شر من وارته الارض فمواراة المؤمن والكافر فرض على المسلمين فكيف يجوز لذى حياء فى وجهه ان ينسب الى على وهو الامام ومن بالمدينة من الصحابة انهم تركوا رجلا ميتا ملقى بين اظهرهم على مزبلة لا يوارونه ولا نبالى مؤمنا كان او كافرا ولكن الله يابي الا ان يفضح الكذابين بالسنتهم ولو فعل هذا على لكانت جرحة لانه لا يخلو ان يكون عثمان كافرا او فاسقا أو مؤمنا فان كان كافرا او فاسقا عنده فقد كان فرضا على على ان يفسخ احكامه فى المسلمين فاذا لم يفعل فقد صح انه كان مؤمنا عنده فكيف يجوز ان ينسب ذو حياء الى على أنه ترك مؤمنا مطروحا ميتا على مزبلة لا يامر بمواراته

وعلمت أن الله جاز عبيده
يوم الحساب باحسن الاعمال
كان بعض العرب اذا حضره
الموت يقول لولده ادفنوا
معى راحلتى أحشر عليها
فان لم تفعلوا حشرت على
رجلى قال جريبة بن
الاشيم الاسدى فى الجاهلية
وحضره الموت يوصى
ابنه سعدا

ياسعد اما اهلكن فاننى
أوصيك ان أخا الوصاة
الاقرب
لا تتركن أباك يعثر راجلا
فى الحشر يصرع لليدين
وينكب
وأحمل اباك على بعير صالح
وتقي الخطية انه هو أقرب
ولعلى مما تركت مطية
فى القبر أركبها اذا قيل
اركبوا

وقال عمرو بن زيد
ابن المتمنى يوصى

ام كيف يجوز ان يظن به انه انفذ احكام كافر أو فاسق على اهل الاسلام ما احد أسوأ ثناء على علي من هؤلاء الكذبة الفجرة

﴿ قال ابو محمد ﴾ ومن البرهان على صحة ما قلناه ان من الجهل الفاضح ان يظن ظان ان عليا رضى الله عنه بلغ من التناقض فى احكامه واتباع الهوى في دينه والجهل ان يترك سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر واسامة بن زيد وزيد بن ثابت وحسان بن ثابت ورافع بن خديج ومحمد بن مسلمة وكعب بن مالك وسائر الصحابة الذين لم يبايعوه فلا يجبرهم عليها وهم معه فى المدينة وغيرها نعم والخوارج وهم يصيحون فى نواحى المسجد باعلى أصواتهم بحضرته وهو على المنبر فى مسجد الكوفة لا حكم الا الله لا حكم الا الله فيقول لهم رضى الله عنه لكم علينا ثلاث لا نمنعكم المساجد ولا نمنعكم حقكم من الفيء ولا نبدؤكم بقتال ولم يبدأهم بحرب حتى قتلوا عبد الله بن خباب ثم لم يقاتلهم بعد ذلك حتى دعاهم الى ان يسلموا اليه قتلة عبد الله بن خباب فلما قالوا كلنا قتله قاتلهم حينئذ ثم يظن به مع هذا كله انه يقاتل اهل الجهل لامتناعهم من بيعته هذا افك ظاهر وجنون مختلق وكذب بحت بلا شك

﴿ قال ابو محمد ﴾ واما امر معاوية رضى الله عنه فبخلاف ذلك ولم يقاتله علي رضى الله عنه لامتناعه من بيعته لانه كان يسعه فى ذلك ما وسع ابن عمر وغيره لكن قاتله لامتناعه من انفاذ اوامره فى جميع ارض الشام وهو الامام الواجبة طاعته فعلي المصيب فى هذا ولم ينكر معاوية قط فضل علي واستحقاقه الخلافة لكن اجتهاده اداه الى ان رأى تقديم اخذ القود من قتلة عثمان رضى الله عنه على البيعة ورأى نفسه أحق بطلب دم عثمان والكلام فيه عن ولد عثمان وولد الحكم ابن ابي العاص لسنه ولقوته على الطلب بذلك كما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن سهل اخا عبد الله بن سهل المقتول بخيبر بالسكوت وهو اخو المقتول وقال له كبر كبر وروى الكبر الكبر فسكت عبد الرحمن وتكلم محيصة وحويصة ابناء مسعود وهما ابنا عم المقتول لانهما كانا أسن من اخيه فلم يطلب معاوية من ذلك الا ما كان له من الحق ان يطلبه واصاب فى ذلك الاثر الذي ذكرنا وانما اخطأ فى تقديمه ذلك على البيعة فقط فله اجر الاجتهاد فى ذلك ولا اثم عليه فيما حرم من الاصابة كسائر المخطئين فى اجتهادهم الذين اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لهم اجرا واحدا وللمصيب اجرين ولا عجب اعجب ممن يجيز الاجتهاد فى الدماء وفي الفروج والانساب والاموال والشرائع التى يدان الله بها من تحريم وتحليل وايجاب ويعذر المخطئين فى ذلك ويرى ذلك مباحا لليث والبتى وابي حنيفة والثورى ومالك والشافعى واحمد وداود واسحاق وابي ثور وغيرهم كزفر وابي يوسف ومحمد بن الحسن والحسن بن زياد وابن القاسم واشهب وابن الماجشون والمزني وغيرهم فواحد من هؤلاء يبيح دم هذا الانسان وآخر منهم يحرمه كمن حارب ولم يقتل او عمل عمل قوم لوط وغير هذا كثير وواحد منهم يبيح هذا الفرج وآخر منهم يحرمه كبكر انكحها أبوها وهى بالغة عاقلة بغير اذنها ولا رضاها وغير هذا كثير وكذلك فى الشرائع والاوامر والانساب وهكذا فعلت المعتزلة بشيوخهم كواصل وعمرو وسائر شيوخهم وفقهائهم وهكذا فعلت الخوارج بفقهائهم ومفتيهم ثم يضيقون ذلك على من له الصحبة والفضل والعلم والتقدم والاجتهاد كمعاوية وعمرو ومن معهما من الصحابة رضى الله عنه وانما اجتهدوا فى مسائل دماء كالتى اجتهد فيها المفتون وفى المفتين من يرى قتل الساحر وفيهم من لا يراه وفيهم من يرى

قتل

ابنه عند موته شعرا
أبنى زودني اذا فارقتني
فى القبر راحلة برحل قاتر
للبعث أركبها اذا قيل اظعنوا
مستوثقين معا لحشر الحاشر
من لا يوافيه على عثراته
فالخلق بين مدفع أو عاثر

وكانوا يربطون الناقة معكوسة الرأس الى مؤخرها مما يلي ظهرها أو مما يلي كلكلها وبطنها ويأخذون ولية فيشدون وسطها ويقلدونها عنق الناقة ويتركونها كذلك حتى تموت عند القبر ويسمون الناقة بلية وقال بعضهم يشبه رجالا فى بلية كالبلايا فى أعناقها الولايا قال محمد ابن السائب الكلبى كانت العرب فى جاهليتها تحرم أشياء نزل القرآن بتحريمها كانوا لا ينكحون الامهات

قتل الحر بالعبد وفيهم من لا يراه وفيهم من يرى قتل المؤمن بالكافر وفيهم من لا يراه فاى فرق بين هذه الاجتهادات واجتهاد معاوية وعمرو وغيرهما لولا الجهل والعمى والتخليط بغير علم وقد علمنا ان من لزمه حق واجب وامتنع من أدائه وقاتل دونه فانه يجب على الامام ان يقاتله وان كان منا وليس ذلك بمؤثر فى عدالته وفضله ولا بموجب له فسقا بل هو ماجور لاجتهاده ونيته فى طلب الخير فبهذا قطعنا على صواب علي رضى الله عنه وصحة امامته وانه صاحب الحق وان له اجرين اجر الاجتهاد واجر الاصابة وقطعنا ان معاوية رضى الله عنه ومن معه مخطئون مجتهدون ماجورون اجرا واحدا وايضا فى الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اخبر عن مارقة تمرق بين طائفتين من امته يقتلها اولى الطائفتين بالحق فمرقت تلك المارقة وهم الخوارج من اصحاب علي واصحاب معاوية فقتلهم علي واصحابه فصح انهم اولى الطائفتين بالحق وايضا الخبر الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تقتل عمارا الفئة الباغية

(قال ابو محمد) المجتهد المخطئ اذا قاتل على ما يرى انه الحق قاصدا الى الله تعالى بنيته غير عالم بانه مخطئ فهو فئة باغية وان كان ماجورا ولا حد عليه اذا ترك القتال ولا قود واما اذا قاتل وهو يدرى انه مخطئ فهذا محارب تلزمه المحاربة والقود وهذا يفسق ويخرج لا المجتهد المخطئ وبيان ذلك قول الله تعالى * وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفئ الى أمر الله الى قوله انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم * فهذا نص قولنا دون تكلف تاويل ولا زوال عن موجب ظاهر الآية وقد سماهم الله عز وجل مؤمنين باغين بعضهم اخوة بعض فى حين تقاتلهم واهل العدل المبغى عليهم والمامورين بالاصلاح بينهم وبينهم ولم يصفهم عز وجل بفسق من اجل ذلك التقاتل ولا بنقص ايمان وانما هم مخطئون باغون ولا يريد واحد منهم قتل آخر وعمار رضى الله عنه قتله ابو الغادية يسار ابن سبع السلمى شهد بيعة الرضوان فهو من شهداء الله بانه علم ما فى قلبه وانزل السكينة عليه ورضى عنه فابو الغادية رضى الله عنه متاول مجتهد مخطئ فيه باغ عليه ماجور اجرا واحدا وليس هذا كقتلة عثمان رضى الله عنه لانهم لا مجال للاجتهاد فى قتله لانه لم يقتل احدا ولا حارب ولا قاتل ولا دافع ولا زنى بعد احصان ولا ارتد فيسوغ المحاربة تاويل بل هم فساق محاربون سافكون دما حراما عمدا بلا تاويل على سبيل الظلم والعدوان فهم فساق ملعونون

(قال ابو محمد) فاذ قد بطل هذا الامر وصح ان عليا هو صاحب الحق فالاحاديث التى فيها التزام البيوت وترك القتال انما هو بالاشك فيمن لم يلح له يقين الحق اين هو وهكذا نقول فاذا تبين الحق فقتال الفئة الباغية فرض بنص القرآن وكذلك ان كانتا معا باغيتين فقتالهما واجب لان كلام الله عز وجل لا يعارض كلام نبيه صلى الله عليه وسلم لانه كله من عند الله عز وجل قال الله عز وجل * وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى * وقال عز وجل * ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا * فصح يقينا ان كل ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو وحى من عند الله عز وجل واذ هو كذلك فليس شىء مما عند الله تعالى مختلفا والحمد لله رب العالمين

(قال ابو محمد) فلم يبق الا الكلام على الوجوه التى اعترض بها من رأى قتال علي رضى الله عنه

ولا البنات ولا الخالات ولا العمات وكان أقبح ما يصنعون ان يجمع الرجل بين الاختين أو يخلف على امرأة أبيه وكانوا يسمون من فعل ذلك الضيزن قال أوس بن حجر التميمى يعير قوما من بنى قيس بن ثعلبة تناوبوا على امرأة أبيهم ثلاثة واحدا بعد واحد

ينكحونها فكيهة وامشوا حول قبتها
مكا كلكم لابيه ضيزن سلف

وكان أول من جمع بين الاختين من قريش أبو احيحة سعيد بن العاص جمع بين هند وصفية ابنتى المغيرة ابن عبد الله بن عمرو بن مخزوم قال وكان الرجل من العرب اذا مات عن المرأة أو طلقها قام أكبر بنيه فان كان له فيها حاجة طرح ثوبه عليها وان لم يكن له حاجة

(*قال ابو محمد)* فنقول و بالله تعالى التوفيق اما قولهم ان أخذ القود واجب من قتلة عثمان رضي الله عنه المحار بين لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم الساعين في الارض بالفساد والهاتكين حرمة الاسلام والحرم والامامة والهجرة والخلافة والصحبة والسابقة فنعم وما خالفهم قط على فى ذلك ولا فى البرآءة منهم ولكنهم كانوا عددا ضخما جما لا طاقة له عليهم فقد سقط عن علي رضى الله عنه ما لا يستطيع عليه كما سقط عنه وعن كل مسلم ما عجز عنه من قيام بالصلاة والصوم والحج ولا فرق قال الله تعالى * لا يكلف الله نفسا الا وسعها * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم ولو ان معاوية بايع عليا لقوى به على اخذ الحق من قتلة عثمان فصح ان الاختلاف هو الذى اضعف يد على عن انفاذ الحق عليهم ولولا ذلك لانفذ الحق عليهم كما انفذه على قتلة عبد الله بن خباب اذ قدر على مطالبة قتلته واما تأسي معاوية في امتناعه من بيعة علي بتاخر علي عن بيعة أبي بكر فليس فى الخطأ أسوة وعلي استقال ورجع وبايع بعد يسير فلو فعل معاوية مثل ذلك لاصاب ولبايع حينئذ بلاشك كل من امتنع من الصحابة من البيعة من اجل الفرقة واما تقارب ما بين علي وطلحة والزبير وسعد فنعم ولكن من سبقت بيعته وهو من أهل الاستحقاق والخلافة فهو الامام الواجبة طاعته فيما امر به من طاعة الله عز وجل سواء كان هنالك من هو مثله او افضل كما سبقت بيعة عثمان فوجبت طاعته وامامته علي غيره ولو بويع هنالك حينئذ وقت الشورى علي او طلحة اوالزبير اوعبد الرحمن اوسعد لكان الامام وللزمت عثمان طاعته ولا فرق فصح ان عليا هو صاحب الحق والامام المفترضة طاعته ومعاوية مخطىء ماجور مجتهد وقد يخفى الصواب على الصاحب العالم فيما هو ابين واوضح من هذا الامر من احكام الدين فربما رجع اذا استبان له وربما لم يستبن له حتى يموت عليه وما توفيقنا الا بالله عز وجل وهو المسئول العصمة والهداية لا اله الا هو

(قال ابو محمد) فطالب على حقه فقاتل عليه وقد كان تركه ليجمع كلمة المسلمين كما فعل الحسن ابنه رضى الله عنهما فكان له بذلك فضل عظيم قد تقدم به انذار رسول الله صلي الله عليه وسلم اذ قال ابنى هذا سيد ولعل الله ان يصلح به بين طائفتين عظيمين من امتى فغبطه رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ومن ترك حقه رغبة فى حقن دماء المسلمين فقد أتى من الفضل بما لا وراء ولا لوم عليه بل هو مصيب في ذلك و بالله تعالى التوفيق

(الكلام فى امامة المفضول)

*(قال ابو محمد) ذهبت طوائف من الخوارج وطوائف من المعتزلة وطوائف من المرجئة منهم محمد بن الطيب الباقلانى ومن اتبعه وجميع الرافضة من الشيعة الى انه لا يجوز امامة من يوجد فى الناس افضل منه وذهبت طائفة من الخوارج وطائفة من المعتزلة وطائفة من المرجئة وجميع الزيدية من الشيعة وجميع اهل السنة الى ان الامامة جائزة لمن غيره افضل منه

(قال ابو محمد) واما الرافضة فقالوا ان الامام واحد معروف بعينه فى العالم على ما ذكرنا من اقوالهم الذي قد تقدم افسادنا لها والحمد لله رب العالمين وما نعلم لمن قال ان الامامة لا تجوز الا لافضل من يوجد حجة اصلا لا من قرآن ولا من سنة ولا من اجماع ولا من صحة عقل ولا من قياس ولا قول صاحب وما كان هكذا فهو احق قول بالاطراح وقد قال ابو بكر رضى الله عنه يوم السقيفة قد رضيت لكم احد هذين الرجلين يعنى اباعبيدة وعمر وابو

تزوجها بعض اخوته بمهر جديد قال كانوا يخطبون المرأة الى ابيها والى اخيها أو عمها أو بعض بنى عمها وكان يخطب الكفوء الى الكفوء فان كان احدهما اشرف من الآخر فى النسب رغب له فى المال وان كان هجينا خطب الى هجين فزوجه هجينة مثله ويقول الخاطب اذا اتاهم انعموا صباحا ثم يقول نحن اكفاؤكم ونظراؤكم فان زوجتمونا فقد اصبنا رغبة واصبتمونا وكنا لصهركم حامدين وان رددتمونا لعلة نعرفها رجعنا عاذرين فان كان قريب القرابة من قومه قال لها ابوها أو اخوها اذا حملت اليه وايسرت أذكرت ولا انثت جعل الله منك عددا وعزا وخلدا احسني خلقك واكرمي زوجك وليكن

بكر افضل منهما بلاشك فما قال احد من المسلمين انه قال من ذلك بما لايحل فى الدين ودعت الانصار الى بيعة سعد بن عبادة وفى المسلمين عدد كثير كلهم افضل منه بلا شك فصح بماذكرنا اجماع جميع الصحابة رضى الله عنهم على جواز امامة المفضول ثم عبدهم عمر رضى الله عنه الى ستة رجال ولابدان لبعضهم على بعض فضلا وقد اجمع اهل الاسلام حينئذ على انه ان بويع احدهم فهو الامام الواجبة طاعته وفى هذا اطباق منهم على جواز امامة المفضول ثم مات على رضى الله عنه فبويع الحسن ثم سلم الامر الى معاوية وفى بقايا الصحابة من هو افضل منهما بلاخلاف ممن انفق قبل الفتح وقاتل فكلهم اولهم عن آخرهم بايع معاوية ورأى امامته وهذا اجماع متيقن بعد اجماع على جواز امامة من غيره افضل بيقين لاشك فيه الى ان حدث من لاوزن له عند الله تعالى فخرقوا الاجماع بآرائهم الفاسدة بلادليل ونعوذ بالله من الخذلان

(قال ابو محمد) والعجب كله كيف يجتمع قول الباقلاني انه لاتجوز الامامة لمن غيره من الناس افضل منه وهو قد جوز النبوة والرسالة لمن غيره من الناس افضل منه فانه صرح فيما ذكره عنه صاحبه ابو جعفر السمنانى الاعمى قاضى الموصل بانه جائز ان يكون فى الامامة من هو افضل من رسول الله صلى الله عليه وسلم من حين بعث الى ان مات

﴿قال ابو محمد﴾ مافى خذلان الله عز وجل احق من هاتين القضيتين لاسيما اذا اقترنتا والحمد لله على الاسلام فان قال قائل كيف تحتجون هنا بقول الانصار رضى الله عنهم فى دعائهم الى سعد بن عبادة وهو عندكم خطأ وخلاف للنص من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكيف تحتجون فى هذا أيضا بقول ابى بكر رضيت لكم احد هذين وخلافة ابى بكر عندكم نص من رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن اين له ان يترك مانص عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قلنا وبالله تعالى التوفيق ان فعل الانصار رضى الله عنهم انتظم حكمين احدهما تقديم من ليس قرشيا وهذا خطأ وقد خالفهم فيه المهاجرون فسقطت هذه القضية والثانى جواز تقديم من غيره افضل منه وهذا صواب وافقهم عليه ابو بكر وغيره فصار اجماعا فقامت به الحجة وليس خطأ من اخطأ فى قول وخالفه فيه من اصاب الحق بموجب ان لايحتج بصوابه الذى وافقه فيه اهل الحق وهذا مالاخلاف فيه وبالله تعالى التوفيق واما امر ابى بكر فان الحق كان له بالنص وللمرء ان يترك حقه اذا رأى فى تركه اصلاح ذات بين المسلمين ولافرق بين عطية اعطاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين منزلة صيرها رسول الله صلى الله عليه وسلم لانسان فكان له ان يتجافى عنها لغيره اذ لم يمنعه من ذلك نص ولا اجماع وبالله تعالى التوفيق

﴿قال ابو محمد﴾ وبرهان صحة قول من قال بان الامامة جائزة لمن غيره افضل منه وبطلان قول من خالف ذلك انه لاسبيل الى ان يعرف الافضل الا بنص أو اجماع او معجزة تظهر فالمعجزة ممتنعة هاهنا بلاخلاف وكذلك الاجماع وكذلك النص وبرهان آخر وهو ان الذى كلفوا به من معرفة الافضل ممتنع محال لان قريشا مفترقون فى البلاد من اقصى السند الى اقصى الاندلس الى اقصى اليمن وصحارى البربر الى اقصى ارمينية واذربيجان وخراسان فما بين ذلك من البلاد فمعرفة اسمائهم ممتنع فكيف معرفة احوالهم فكيف معرفة افضلهم وبرهان آخر وهو انا بالحس والمشاهدة ندري انه لايدرى احد فضل انسان على غيره ممن

طيبك الماء واذا زوجت فى غربة قال لها الأيسرت ولاأذكرت فانك تدنين البعداء او تلدين الاعداء احسنى خلقك وتحبى الى احمائك فان لهم عينا ناظرة عليك وأذنا سامعة وليكن طيبك الماء وكانوا يطلقون ثلاثا على التفرقة قال عبدالله بن عباس أول من طلق ثلاثا اسماعيل بن ابراهيم بثلاث كرات وكانت العرب تفعل ذلك فيطلقها واحدة وهو أحق الناس بها حتى اذا استوفى الثلاث انقطع السبيل عنها ومنه قول الاعشى حين تزوج امرأة فرغب بها عنه فاتاه قومها فهددوه بالضرب أو يطلقها شعرا

يا جارتى بينى فانك طالقة
كذاك أمور الناس غاد وطارقة

بعد الصحابة رضى الله عنهم الا بالظن والحكم بالظن لايحل قال الله تعالى ذاما لقوم * ان نظن الاظنا ومانحن بمستيقنين * وقال تعالى * مالهم بذلك من علم ان هم الايخرصون وقال تعالى * قتل الخراصون * وقال تعالى * ان يتبعون الاالظن وماتهوي الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى ام للانسان ماتمنى * وقال تعالى ان يتبعون الاالظن وان الظن لا يغنى من الحق شيئا * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث وأيضا فاننا وجدنا الناس يتباينون فى الفضائل فيكون الواحد ازهد ويكون الواحد اورع ويكون الآخر اسوس ويكون الرابع أشجع ويكون الخامس اعلم وقد يكونون متقاربين فى التفاضل لايبين التفاوت بينهم فبطل معرفة الافضل وصح ان هذا القول فاسد وتكليف مالا يطاق والزام مالا يستطاع وهذا باطل لايحل والحمد لله رب العالمين ثم قد وجدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قلد النواحى وصرف تنفيذ جميع الاحكام التى تنفذها الائمة الى قوم كان غيرهم بلاشك افضل منهم فاستعمل على اعمال اليمن معاذ بن جبل وابا موسى وخالد بن الوليد وعلى عمان عمرو بن العاص وعلى نجران ابا سفيان وعلى مكة عتاب ابن اسيد وعلى الطائف عثمان بن ابي العاص وعلى البحرين العلاء بن الحضرمى ولاخلاف في ان ابابكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وعمار بن ياسر وسعد بن ابي وقاص وعبد الرحمن بن عوف واباعبيدة وابن مسعود وبلال واباذر افضل ممن ذكرنا فصح يقينا ان الصفات التى يستحق بها الامامة والخلافة ليس منها التقدم فى الفضل وايضا فان الفضائل كثيرة جدا منها الورع والزهد والعلم والشجاعة والسخاء والحلم والعفة والصبر والصرامة وغير ذلك ولايوجد احد يبين في جميعها بل يكون بائنا في بعضها ومتاخرا فى بعضها ففى ايها يراعى الفضل من لايجيز امامة المفضول فان اقتصر على بعضها كان مدعيا بلادليل وان عم جميعها كلف من لاسبيل الى وجوده ابدا في احد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذ لاشك فى ذلك فقد صح القول في امامة المفضول وبطل قول من قال غير ذلك وبالله تعالي التوفيق

(قال ابو محمد) وذكر الباقلاني فى شروط الامامة انها احد عشر شرطا وهذا ايضا دعوى بلابرهان وما كان هكذا فهو باطل فوجب ان ينظر فى شروط الامامة التى لاتجوز الامامة لغير من هن فيه فوجدناها ان يكون صليبة من قريش لاخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الامامة فيهم وان يكون بالغا مميزا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع القلم عن ثلاثة فذكر الصبي حتى يحتلم والمجنون حتى يفيق وان يكون رجلا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لايفلح قوم اسندوا امرهم الى امرأة وان يكون مسلما لان الله تعالى يقول * ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا * والخلافة اعظم السبيل ولامره تعالى باصغار اهل الكتاب واخذهم باداء الجزية وقتل من لم يكن من اهل الكتاب حتى يسلموا وان يكون متقدما لامره عالما بما يلزمه من فرائض الدين متقيا لله تعالى بالجملة غير معلن بالفساد فى الارض لقول الله تعالى * وتعاونوا علي البر والتقوى ولاتعاونوا على الاثم والعدوان * لان من قدم من لا يتقى الله عز وجل ولا فى شيء من الاشياء او معلنا بالفساد فى الارض غير مامون او من لاينفذ امرا او من لايدرى شيئا من دينه فقد اعان على الاثم والعدوان ولم يعن على البر والتقوى وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد وقال عليه السلام ياباذر انك ضعيف لاتامرن على اثنين ولاتولين مال يتيم وقال تعالى * فان

كان

قالوا ثانية قال
ويبنى فان البين خير من العصا
وان لاترانى فوق رأسك بارقة قالوا ثالثة قال
ويبنى حصان الفرج غير ذميمة
وموموقة قد كنت فينا وامقة
قال وكان أمر الجاهلية فى نكاح النساء على أربع يخطب فيزوج وامرأة يكون لها خليل يختلف اليها فان ولدت قالت هو لفلان فيتزوجها بعد هذا وامرأة ذات راية يختلف اليها النفر وكلهم يواقعها فى طهر واحد فاذا ولدت الزمت الولد أحدهم وهذه تدعى المقسمة قال وكانوا يحجون البيت ويعتمرون ويحرمون قال زهير
وكم بالقنان من محل ومحرم
قال ويطوف بالبيت أسبوعا

كان الذى عليه الحق سفيها او ضعيفا) الآية فصح ان السفيه والضعيف ومن لا يقدر على شيء فلا بد له من ولى ومن لا بد له من ولى فلا يجوز ان يكون وليا للمسلمين فصح ان ولاية من لم يستكمل هذه الشروط الثمانية باطل لا يجوز ولا ينعقد اصلا ثم يستحب ان يكون عالما بما يخصه من امور الدين من العبادات والسياسة والاحكام مؤديا للفرائض كلها لا يخل بشيء منها مجتنبا لجميع الكبائر سرا وجهرا مستترا بالصغائر ان كانت منه فهذه اربع صفات يكره ان يلي الامة من لم ينتظمها فان ولى فولايته صحيحة ونكرهها وطاعته فيما اطاع الله فيه واجبة ومنعه مما لم يطع الله فيه واجب والغاية المأمولة فيه ان يكون رفيقا بالناس في غير ضعف شديدا في انكار المنكر من غير عنف ولا تجاوز للواجب مستيقظا غير غافل شجاع النفس غير مانع للمال في حقه ولا مبذر له في غير حقه ويجمع هذا كله ان يكون الامام قائما باحكام القرآن وسنن رسول الله صلى عليه وسلم فهذا يجمع كل فضيلة

(قال ابو محمد) ولا يضر الامام ان يكون فى خلقه عيب كالاعمي والاصم والاجدع والاجذم والاحدب والذى لا يدان له ولا رجلان ومن بلغ الهرم مادام يعقل ولو انه ابن مائة عام ومن يعرض له الصرع ثم يفيق ومن بويع اثر بلوغه الحلم وهو مستوف لشروط الامامة فكل هؤلاء امامتهم جائزة اذ لم يمنع منها نص قرآن ولا سنة ولا اجماع ولا نظر ولا دليل اصلا بل قال تعالى * كونوا قوامين بالقسط * فمن قام بالقسط فقد ادى ما امر به ولا خلاف بين احد من اهل الاسلام فى انه لا يجوز التوارث فيها ولا في انها لا تجوز لمن لم يبلغ حاشا الروافض فانهم اجازوا كلا الامرين ولا خلاف بين احد فى انها لا تجوز لامراة وبالله تعالى نتأيد

الكلام في عقد الامامة بماذا تصح

(قال ابو محمد) ذهب قوم الى ان الامامة لا تصح الا باجماع فضلاء الامة فى اقطار البلاد وذهب آخرون الى ان الامامة انما تصح بعقد اهل حضرة الامام والموضع الذى فيه قرار الائمة وذهب أبو على محمد بن عبد الوهاب الجبائى الى ان الامامة لا تصح باقل من عقد خمس رجال ولم يختلفوا فى ان عقد الامامة تصح بعهد من الامام الميت اذا قصد فيه حسن الاختيار للامة عند موته ولم يقصد بذلك هوى وقد ذكر فى فساد قول الروافض وقول الكيسانية ومن ادعى امامة رجل بعينه وأنبا ان كل ذلك دعاو لا يعجز عنها ذو لسان اذا لم يتق الله ولا استحياء من الناس اذ لا دليل علي شيء منها

(قال ابو محمد) اما من قال ان الامامة لا تصح الا بعقد فضلاء الامة فى اقطار البلاد فباطل لانه تكليف ما لا يطاق وما ليس فى الوسع وما هو أعظم الحرج والله تعالى لا يكلف نفسا وقال تعالى * وما جعل عليكم فى الدين من حرج *

(قال ابو محمد) ولا حرج ولا تعجيز اكثر من تعرف اجماع فضلاء من فى المولتان والمنصورة الى بلاد مهرة الى عدن الى اقاصى المصامدة بل طنجة الى الاشبونة الى جزائر البحر الى سواحل الشام الى ارمينية وجبل القبج الى اسبيجاب وفرغانة واسروسنة الى اقاصي خراسان الى الجوزجان الى كابل المولتان فما بين ذلك من المدن والقرى ولا بد من ضياع امور المسلمين قبل ان يجمع جزء من مائة جزء من فضلاء اهل هذه البلاد فبطل هذا القول الفاسد مع انه لو كان ممكنا لما لزم لانه دعوى بلا برهان وانما قال تعالى * تعاونوا على البر

ويمسحون الحجر ويسعون بين الصفا والمروة قال ابو طالب

وأشواط بين المروتين الى الصفا
وما فيهما من صورة وتخايل

وكانوا يلبون الا ان بعضهم كان يشترك فى تلبيته فى قوله الا شريك هو لك تملكه وما ملك ويقفون المواقف كلها قال العدوى

وأقسم بالبيت الذى حجت له
قريش وموقف ذى الحجج على الآل

وكانوا يهدون الهدايا ويرمون الجمار ويحرمون الاشهر الحرم فلا يغزون ولا يقاتلون فيها الا طى وخثعم وبعض بنى الحارث بن كعب فانهم كانوا لا يحجون ولا يعتمرو ولا يحرمون الاشهر الحرم ولا البلد الحرام وانما سميت قريش الحرب

والتقوى وكونوا قوامين بالقسط * فهذان الامران متوجهان احدهما الى كل انسان فى ذاته ولا يسقط عنه وجوب القيام بالقسط انتظار غيره فى ذلك واما التعاون على البر والتقوى فمتوجه الى كل اثنين فصعدا لان التعاون فعل من فاعلين وليس فعل واحد ولا يسقط عن الاثنين فرض تعاونهما على البر والتقوى انتظار ثالث اذ لو كان ذلك لما لزم احدا قيام بقسط ولا تعاون على بر وتقوى اذ لا سبيل الى اجتماع اهل الارض على ذلك ابدا لتباعد اقطارهم واتخلف من تخلف عن ذلك لعذر او على وجه المعصية ولو كان هذا لكان امر الله تعالى بالقيام بالقسط وبالتعاون على البر والتقوى باطلا فارغا وهذا خروج عن الاسلام فسقط القول المذكور وبالله تعالى التوفيق واما قول من قال أن عقد الامامة لا يصح الا بعقد اهل حضرة الامام واهل الموضع الذى فيه قرار الائمة فان اهل الشام كانوا قد ادعوا ذلك لانفسهم حتى حملهم ذلك على بيعة مروان وابنه عبد الملك واستحلوا بذلك دماء اهل الاسلام (قال ابو محمد) وهو قول فاسد لا حجة لاهله وكل قول فى الدين عرى عن ذلك من القرآن او من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم او من اجماع الامة المتيقن فهو باطل بيقين قال الله تعالى * قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين * فصح أن من لا برهان له على صحة قوله فليس صادقا فيه فسقط هذا القول ايضا واما قول الجبائى فانه تعلق فيه بفعل عمر رضى الله عنه فى الشورى اذ قلدها ستة رجال وامرهم ان يختاروا واحدا منهم فصار الاختيار منهم بخمسة فقط

(قال ابو محمد) وهذا ليس بشىء لوجوه اولها ان عمر لم يقل أن تقليد الاختيار اقل من خمسة لا يجوز بل قد جاء عنه انه قال ان مال ثلاثة منهم الى واحد وثلاثة الى واحد فاتبعوا الثلاثة الذين فيهم عبد الرحمن ابن عوف فقد اجاز عقد ثلاثة ووجه ثان وهو ان فعل عمر رضى الله عنه لا يلزم الامة حتى يوافق نص قرآن او سنة وعمر كسائر الصحابة رضى الله عنهم لا يجوز ان يخصه بوجوب اتباعه دون غيره من الصحابة رضى الله عنهم والثالث ان اولئك الخمسة رضى الله عنهم قد تبرؤا من الاختيار وجعلوه الى واحد منهم يختار لهم وللمسلمين من راه اهلا للامامة وهو عبد الرحمن بن عوف وما انكر ذلك احد من الصحابة الحاضرين ولا الغائبين اذ بلغهم ذلك فقد صح اجماعهم على ان الامامة تنعقد بواحد فان قال قائل انما جاز ذلك لان خمسة من فضلاء المسلمين قلدوه قيل له ان كان هذا عندك اعتراضا فالتزم مثله سواء بسواء ممن قال لك انما صح عقد اولئك الخمسة لان الامام الميت قلدهم ذلك ولولا ذلك لم يجز عقدهم وبرهان ذلك انهم انما عقد لهم الاختيار منهم لا من غيرهم فلو اختاروا من غيرهم لما لزم الانقياد لهم فلا يجوز عقد خمسة او اكثر الا اذا قلدهم الامام ذلك او ممن قال لك انما صح عقد اولئك الخمسة لاجماع فضلاء اهل ذلك العصر على الرضا بمن اختاروه ولو لم يجمعوا على الرضا به لما جاز عقدهم وهذا مما لا مخلص منه اصلا فبطل هذا القول بيقين لا اشكال فيه والحمد لله رب العالمين فاذ قد بطلت هذه الاقوال كلها فالواجب النظر فى ذلك على ما أوجبه الله تعالى فى القرآن والسنة واجماع المسلمين كما افترض علينا عز وجل اذ يقول * واطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر * فوجدنا عقد الامامة يصح بوجوه اولها وافضلها واصحها ان يعهد الامام الميت الى انسان يختاره اماما بعد موته

التى كانت بينها وبين غيرها عام الفجار وكانوا يكرهون الظلم فى الحرم وقالت امرأة منهم تنهى ابنها من الظلم

ابني لا تظلم بمكـ
ـة لا الصغير ولا الكبير
ابني من يظلم بمكـ
ـة يلق أطراف الشرور

وكان منهم من ينسى الشهور وكانوا يكبسون فى كل عامين شهرا وفى كل ثلاثة أعوام شهرا وكانوا اذا حجوا فى شهر من هذه السنة لم يخطبوا ان يحلوا يوم التروية ويوم عرفة ويوم النحر كهيئة ذلك في شهر ذى الحجة حتى يكون يوم النحر يوم العاشر من ذلك الشهر ويقيمون بمنى فلا يتبعون فى يوم عرفة ولا فى أيام منى وفيهم أنزلت * انما النسىء زيادة فى الكفر *

وسواء فعل ذلك فى صحته او فى مرضه وعند موته اذ لانص ولااجماع علي المنع من احد هذه الوجوه كمافعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بابى بكر وكما فعل ابو بكر بعمر وكما فعل سليمان بن عبدالملك بعمر بن عبدالعزيز وهذا هو الوجه الذى نختاره ونكره غيره لما فى هذا الوجه من اتصال الامامة وانتظام امر الاسلام واهله ورفع مايتخوف من الاختلاف والشغب مما يتوقع فى غيره من بقاء الامة فوضى ومن انتشار الامر وارتفاع النفوس وحدوث الاطماع

﴿قال ابو محمد﴾ انما انكر من انكر من الصحابة رضى الله عنهم ومن التابعين بيعة يزيد بن معاوية والوليد وسليمان لانهم كانوا غير مرضيين لالان الامام عهد اليهم فى حياته والوجه الثانى ان مات الامام ولم يعهد الى احد ان يبادر رجل مستحق للامامة فيدعو لى نفسه ولا منازع له ففرض اتباعه والانقياد لبيعته والتزام امامته وطاعته كما فعل علي اذ قتل عثمان رضى الله عنهما وكما فعل ابن الزبير رضى الله عنهما وقد فعل ذلك خالد بن الوليد اذ قتل الامراء زيد بن حارثة وجعفر بن ابي طالب وعبدالله بن رواحة فاخذ خالد الراية عن غير امره وصوب ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ بلغه فعله وساعد خالدا جميع المسلمين رضى الله عنهم او ان يقوم كذلك عند ظهور منكر يراه فتلزم معاونته على البر والتقوى ولايجوز التاخر عنه لان ذلك معاونة على الاثم والعدوان وقد قال عز وجل * وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان * كما فعل يزيد بن الوليد ومحمد بن هارون المهدى رحمهم الله والوجه الثالث ان يصير الامام عند وفاته اختيار خليفة المسلمين الى رجل ثقة او الى اكثر من واحد كما فعل عمر رضي الله عنه عند موته وليس عندنا فى هذا الوجه الا التسليم لما اجمع عليه المسلمون حينئذ ولايجوز التردد فى الاختيار اكثر من ثلاث ليال للثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله من بات ليلة ليس فى عنقه بيعة ولان المسلمين لم يجتمعوا علي ذلك اكثر من ذلك والزيادة علي ذلك باطل لايحل على ان المسلمين يومئذ من حين موت عمر رضى الله عنه قد اعتقدوا بيعة لازمة فى اعناقهم لازمة لاحد اولئك الستة بلاشك فهم وان لم يعرفوه بعينه فهو بلاشك واحد من اولئك الستة فبواحد هذه الوجوه تصح الامامة ولا تصح بغير هذه الوجوه البتة

﴿قال ابو محمد﴾ فان مات الامام ولم يعهد الى انسان بعينه فوثب رجل يصلح للامامة فبايعه واحد فاكثر ثم قام آخر ينازعه ولو بطرفة عين بعده فالحق حق الاول وسواء كان الثانى افضل منه او مثله او دونه لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فوا بيعة الاول فالاول من جاء ينازعه فاضربوا عنقه كائنا من كان فلو قام اثنان فصاعدا معا فى وقت واحد ويئس من معرفة ايهما سبقت بيعته نظر افضلهما وأسوسهما فالحق له ووجب نزع الآخر لقول الله تعالى * وتعاونوا على البر والتقوى ولاتعاونوا على الاثم والعدوان * ومن البر تقليد الاسوس وليس هذا بيعة متقدمة يجب الوفاء بها او محاربة من نازع صاحبها فان استويا فى الفضل قدم الاسوس نعم وان كان اقل فضلا اذا كان مؤديا للفرائض والسنن مجتنبا للكبائر مستترا بالصغائر لان الغرض من الامامة حسن السياسة والقوة علي القيام بالامور فان استويا فى الفضل والسياسة اقرع بينهما او نظر فى غيرهما والله عز وجل لايضيق على عباده هذا الضيق ولايوقفهم على هذا الحرج لقوله تعالى * وماجعل عليكم فى الدين من حرج * وهذا اعظم الحرج وبالله تعالى التوفيق

وكانوا اذا ذبحوا اللاصنام لطخوها بدم الهدايا يلتمسون بذلك الزيادة في أموالهم وكان قصى ابن كلاب ينهى عن عبادة غير الله من الاصنام وهو القائل

أربا واحدا أم ألف رب
أدين اذا تقسمت الامور
تركت اللات والعزي جميعا
كذلك يفعل الرجل البصير

وقيل هى لزيد بن عمر بن نفيل وقيل للملتمس بن أمية الكناني يخطب العرب بفناء مكة أطيعوني ترشدوا قالوا وماذاك قال انكم قد تفرقتم بآلهة شتى وانى لاعلم ماالله راض به وان الله رب هذه الآلهة وانه ليحب ان يعبد وحده قال فتفرقت عنه العرب حين قال ذلك وتجنبت عنه طائفة وزعمت انه على دين بنى تميم قال

الامر بالمعروف والنهى عن المنكر

﴿قال ابو محمد﴾ اتفقت الامة كلها على وجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر بلا خلاف من احد منهم لقول الله تعالى * ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر * ثم اختلفوا فى كيفيته فذهب بعض اهل السنة من القدماء من الصحابة رضي الله عنهم فمن بعدهم وهو قول احمد بن حنبل وغيره وهو قول سعد بن ابى وقاص واسامة ابن زيد وابن عمر ومحمد بن مسلمة وغيرهم الى ان الفرض من ذلك انما هو بالقلب فقط ولا بد أو باللسان ان قدر على ذلك ولا يكون باليد ولا بسل السيوف ووضع السلاح اصلا وهو قول ابي بكر ابن كيسان الاصم وبه قالت الروافض كلهم ولو قتلوا كلهم الا انها لم تر ذلك الا ما لم يخرج الناطق فاذا خرج وجب سل السيوف حينئذ معه والا فلا واقتدى أهل السنة فى هذا بعثمان رضى الله عنه وممن ذكرنا من الصحابة رضى الله عنهم وبمن رأى القعود منهم الا ان جميع القائلين بهذه المقالة من اهل السنة انما رأوا ذلك ما لم يكن عدلا فان كان عدلا وقام عليه فاسق وجب عندهم بلا خلاف سل السيوف مع الامام العدل وقد روينا عن ابن عمر انه قال لا ادرى من هي الفئة الباغية ولو علمنا ما سبقتنى انت ولا غيرك الى قتالها

﴿قال ابو محمد﴾ وهذا الذى لا يظن باولئك الصحابة رضي الله عنهم غيره وذهبت طوائف من اهل السنة وجميع المعتزلة وجميع الخوارج والزيدية الى ان سل السيوف فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب اذا لم يمكن دفع المنكر الا بذلك قالوا فاذا كان اهل الحق فى عصابة يمكنهم الدفع ولا ييأسون من الظفر ففرض عليهم ذلك وان كانوا فى عدد لا يرجون لقلتهم وضعفهم بظفر كانوا فى سعة من ترك التغيير باليد وهذا قول على بن ابى طالب رضى الله عنه وكل من معه من الصحابة وقول ام المؤمنين عائشة رضى الله عنها وطلحة والزبير وكل من كان معهم من الصحابة وقول معاوية وعمرو والنعمان بن بشير وغيرهم ممن معهم من الصحابة رضى الله عنهم اجمعين وهو قول عبد الله بن الزبير ومحمد والحسن بن على وبقية الصحابة من المهاجرين والانصار القائمين يوم الحرة رضى الله عن جميعهم اجمعين وقول كل من اقام على الفاسق الحجاج ومن والاه من الصحابة رضي الله عن جميعهم كانس بن مالك وكل من كان ممن ذكرنا من افاضل التابعين كعبد الرحمن ابن ابى ليلى وسعيد بن جبير وابن البحترى الطائى وعطاء السلمى الازدى والحسن البصرى ومالك بن دينار ومسلم بن بشار وابى الحوراء والشعبي وعبد الله بن غالب وعقبة بن عبد الغافر وعقبة بن صهبان وماهان والمطرف بن المغيرة ابن شعبة وابي المعدو حنظلة بن عبد الله وابى سح الهنائى وطلق بن حبيب والمطرف بن عبد الله ابن الشخير والنصر بن انس وعطاء بن السائب وابراهيم بن يزيد التيمى وابي الحوسا وجبلة بن زحر وغيرهم ثم من بعد هؤلاء من تابعى التابعين ومن بعدهم كعبد الله بن عبد العزيز ابن عبد الله بن عمر وكعبد الله بن عمر ومحمد بن عجلان ومن خرج مع محمد بن عبد الله بن الحسن وهاشم بن بشر ومطر الوراق ومن خرج مع ابراهيم بن عبد الله وهو الذى تدل عليه اقوال الفقهاء كابى حنيفة والحسن بن حي وشريك ومالك والشافعى وداود واصحابهم فان كل من ذكرنا من قديم وحديث اما ناطق بذلك في فتواه واما فاعل لذلك بسل سيفه فى انكار ما رآه منكرا

﴿قال ابو محمد﴾ احتجت الطائفة المذكورة اولا باحاديث فيها انقاتلهم يا رسول الله قال لا ما صلوا وفى بعضها الا ان تروا كفرا بواحا عندكم فيه من الله برهان وفى بعضها وجوب

وكانوا يغتسلون من الجنابة ويغسلون موتاهم قال الافوه الازدى

ألا علاني واعلما انني غرر
فما قلت ينجيني الشقاق ولا الحذر
وما فاتت يجدبني ثوابي اذا بدت
مفاصل أوصالي وقد شخص البصر
وجاؤا بماء بارد يغسلوني
فيالك من غسل سيتبعه غبر

قال وكانوا يكفنون موتاهم ويصلون عليهم وكانت صلاتهم اذا مات الرجل وحمل على سريره يقوم وليه فيذكر محاسنه كلها ويثنى عليه ثم يدفن ثم يقول عليك رحمة الله وقال رجل من كلب فى الجاهلية لابن ابن له شعرا

أعمرو ان هلكت وكنت حيا
فاني مكثر لك فى صلاتي
وأجعل نصف مالي لابن سام
حياتي ان حييت وفي مماتي

الضرب وان ضرب ظهر احدنا واخذ ماله وفي بعضها فان خشيت ان يبهرك شعاع السيف فاطرح ثوبك على وجهك وقل انى اريد ان تبوء باثمى واثمك فتكون من اصحاب النار وفي بعضها كن عبدالله المقتول ولاتكن عبد الله القاتل و بقوله تعالى * واتل عليهم نبا ابنى آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الاخر * الاية

﴿ قال ابو محمد ﴾ كل هذا لاحجة لهم فيه لماقد تقصيناه غاية التقصى خبرا خبرا باسانيدها ومعانيها فى كتابنا الموسوم بالاتصال الى فهم معرفة الخصال ونذكر منه ان شاء الله هاهنا جملا كافية وبالله تعالى نتايد اما امره صلى الله عليه وسلم بالصبر على اخذ المال وضرب الظهر فانما ذلك بلا شك اذا تولى الامام ذلك بحق وهذا مالا شك فيه انه فرض علينا الصبر له وان امتنع من ذلك بل من ضرب رقبته ان وجب عليه فهو فاسق عاص لله تعالى واما ان كان ذلك بباطل فمعاذ الله ان يامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصبر على ذلك برهان هذا قول الله عز وجل * وتعاونوا على البر والتقوى ولاتعاونوا على الاثم والعدوان * وقد علمنا ان كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لايخالف كلام ربه تعالى قال الله عز وجل * وماينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى * وقال تعالى * ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيرا * فصح ان كل ماقاله رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو وحى من عند الله عز وجل لااختلاف فيه ولا تعارض ولا تناقض * فاذا كان هذا كذلك فيقين لاشك فيه يدرى كل مسلم أن اخذ مال مسلم او ذمي بغير حق وضرب ظهره بغير حق اثم وعدوان وحرام قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ان دماءكم واموالكم واعراضكم حرام عليكم فاذ لاشك فى هذا ولا اختلاف من احد من المسلمين فالمسلم ماله للاخذ ظلما وظهره للضرب ظلما وهو يقدر على الامتناع من ذلك باى وجه امكنه معاون لظالمه على الاثم والعدوان وهذا حرام بنص القرآن * واما سائر الاحاديث التى ذكرنا وقصة ابنى آدم فلاحجة فى شيء منها اما قصة ابنى آدم فتلك شريعة اخرى غير شريعتنا قال الله عز وجل * لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا * واما الاحاديث فقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ان استطاع فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان ليس وراء ذلك من الايمان شيء وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاطاعة فى معصية انما الطاعة فى الطاعة وعلى احدكم السمع والطاعة مالم يؤمر بمعصية فان امر بمعصية فلاسمع ولا طاعة وانه عليه السلام قال من قتل دون ماله فهو شهيد والمقتول دون دينه شهيد والمقتول دون مظلمة شهيد وقال عليه السلام لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر اوليعمنكم الله بعذاب من عنده فكان ظاهر هذه الاخبار معارضا للاخر فصح ان احدى هاتين الجملتين ناسخة للاخرى لايمكن غير ذلك فوجب النظر فى ايهما هو الناسخ فوجدنا تلك الاحاديث التى منها النهى عن القتال موافقة لمعهود الاصل ولما كانت الحال عليه فى اول الاسلام بلاشك وكانت هذه الاحاديث الاخر واردة بشريعة زائدة وهى القتال هذا مالاشك فيه فقد صح نسخ معنى تلك الاحاديث ورفع حكمها حين نطقه عليه السلام بهذه الاخر بلاشك فمن المحال المحرم ان يؤخذ بالمنسوخ ويترك الناسخ وان يؤخذ الشك ويترك اليقين ومن ادعى ان هذه الاخبار بعد ان كانت هى الناسخة فعادت منسوخة فقد ادعى الباطل وقفا(١) مالاعلم له به فقال على الله مالم يعلم وهذا

قال وكانوا يداومون على طهارات الفطرة التى ابتلى بها ابراهيم وهي الكلمات العشر فانهن خمس فى الرأس وخمس فى الجسد فاما اللواتى فى الرأس فالمضمضة والاستنشاق وقص الشارب والفرق والسواك واما اللواتى فى الجسد فالاستنجاء وتقليم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة والختان فلما جاء الاسلام قررها سنة من السنن وكانوا يقطعون يد السارق اليمين اذا سرق وكانت ملوك اليمن وملوك الحيرة يصلبون الرجل اذا قطع الطريق وكانوا يوفون بالعهود ويكرمون الجار والضيف قال حاتم الطائى

الهم ربى وربى الهم
فاقسمت لاأرسو ولااتعذر
لقد كان لى اكثر ما للناس اسوة

---

(١) وقفا اى تبع من قوله تعالى ولاتقف ماليس لك به علم

لايحل ولو كان هذا لما اخلا الله عز وجل هذا الحكم عن دليل و برهان يبين به رجوع المنسوخ ناسخا لقوله تعالى فى القرآن تبيانا لكل شيء و برهان آخر وهو ان الله عز وجل قال * وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفيء * لم يختلف مسلمان فى ان هذه الآية التى فيها فرض قتال الفئة الباغية محكمة غير منسوخة فصح انها الحاكمة فى تلك الاحاديث فما كان موافقا لهذه الآية فهو الناسخ الثابت وما كان مخالفا لها فهو المنسوخ المرفوع وقد ادعى قوم ان هذه الآية وهذه الاحاديث في اللصوص دون السلطان

(قال ابو محمد) وهذا باطل متيقن لانه قول بلا برهان وما يعجز مدع ان يدعى فى تلك الاحاديث انها فى قوم دون قوم وفى زمان دون زمان والدعوى دون برهان لا تصح وتخصيص النصوص بالدعوى لا يجوز لانه قول على الله تعالى بلا علم وقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان سائلا ساله عن من طلب ماله بغير حق فقال عليه السلام لا تعطه قال فان قاتلنى قال قاتله قال فان قتلته قال الى النار قال فان قتلنى قال فانت في الجنة او كلاما هذا معناه وصح عنه عليه السلام انه قال المسلم اخو المسلم لا يسلمه ولا يظلمه وقد صح انه عليه السلام قال في الزكاة من سالها على وجهها فليعطها ومن سالها على غير وجهها فلا يعطها وهذا خبر ثابت رويناه من طريق الثقات عن أنس بن مالك عن أبى بكر الصديق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا يبطل تاويل من تاويل أحاديث القتال عن المال على اللصوص لا يطلبون الزكاة وانما يطلبها السلطان فاقتصر عليه السلام معها اذا سالها على غير ما امر به عليه السلام ولو اجتمع اهل الحق ما قاواهم اهل الباطل نسال الله المعونة والتوفيق

(قال ابو محمد) وما اعترضوا به من فعل عثمان فما علم قط انه يقتل وانما كان يراهم يحاصرون فقط وهم لا يرون هذا اليوم للامام العدل بل يرون القتال معه ودونه فرضا فلا حجة لهم فى امر عثمان رضى الله عنه وقال بعضهم ان فى القيام اباحة الحريم وسفك الدماء واخذ الاموال وهتك الاستار وانتشار الامر فقال لهم الاخرون كلا لانه لا يحل لمن أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ان يهتك حريما ولا ان ياخذ مالا بغير حق ولا ان يتعرض لمن لا يقاتله فان فعل شيئا من هذا فهو الذى فعل ما ينبغى ان يغير عليه واما قتله اهل المنكر قالوا او كثروا فهذا فرض عليه واما قتل اهل المنكر الناس واخذهم اموالهم وهتكهم حريمهم فهذا كله من المنكر الذى يلزم الناس تغييره وايضا فلو كان خوف ما ذكروا مانعا من تغيير المنكر ومن الامر بالمعروف لكان هذا بعينه مانعا من جهاد اهل الحرب وهذا ما لا يقوله مسلم وان ادعى ذلك الى سبى النصارى نساء المسلمين واولادهم واخذ اموالهم وسفك دمائهم وهتك حريمهم ولا خلاف بين المسلمين فى ان الجهاد واجب مع وجود هذا كله ولا فرق بين الامرين وكل ذلك جهاد ودعاء الى القرآن والسنة

(قال ابو محمد) ويقال لهم ما تقولون فى سلطان جعل اليهود اصحاب امره والنصارى جنده والزم المسلمين الجزية وحمل السيف على اطفال المسلمين واباح المسلمات للزنا وحمل السيف على كل من وجد من المسلمين وملك نساءهم واطفالهم واعلن العبث بهم وهو فى كل ذلك مقر بالاسلام معلن به لا يدع الصلاة فان قالوا لا يجوز القيام عليه قيل لهم انه لا يدع مسلما الا قتله جملة وهذا ان ترك اوجب ضرورة الا يبقى الا هو وحده واهل الكفر معه فان اجازوا الصبر

على

كان لم يسبق حبش بعير ولا حمر

وكانوا اناسا موقنين بربهم بكل مكان فيهم عابد بكر

اراء الهند

قد ذكرنا أن الهند امة كبيرة وملة عظيمة وآراؤهم مختلفة فمنهم البراهمة وهم المنكرون للنبوات أصلا ومنهم من يميل الى الدهر ومنهم من يميل الى الثنوية ويقول بملة ابراهيم عليه السلام واكثرهم على مذهب الصابئية ومناهجها فمن قائل بالروحانيات ومن قائل بالهياكل ومن قائل بالاصنام الا انهم مختلفون فى شكل المسالك التى ابتدعوها وكيفية أشكال وضعوها ومنهم حكماء على طريقة اليونانيين علما وعملا فمن كانت طريقته على مناهج الدهرية والثنوية والصابئية فقد أغنانا حكاية مذاهبهم قبل عن حكاية مذهبه ومن انفرد منهم بمقاله

على هذا خالفوا الاسلام جملة وانسلخوا منه وان قالوا بل يقام عليه ويقاتل وهو قولهم قلنا لهم فان قتل تسعة اعشار المسلمين او جميعهم الا واحداً منهم وسبى من نسائهم كذلك واخذ من اموالهم كذلك فان منعوا من القيام عليه تناقضوا وان اوجبوا سألناهم عن أقل من ذلك ولا نزال نحيطهم الى أن نقف بهم على قتل مسلم واحداً او على امرأة واحدة او على اخذ مال او على انتهاك بشرة بظلم فان فرقوا بين شيء من ذلك تناقضوا وتحكموا بلا دليل وهذا ما لا يجوز وان أوجبوا انكار كل ذلك رجعوا الى الحق ونسألهم عمن غصب سلطانه الجائر الفاجر زوجته وابنته وابنه ليفسق بهم أو ليفسق به بنفسه أهو في سعة من اسلام نفسه وامرأته وولده وابنته للفاحشة ام فرض عليه ان يدفع من اراد ذلك منهم فان قالوا فرض عليه اسلام نفسه واهله اتوا بعظيمة لا يقولها مسلم وان قالوا بل فرض عليه ان يمتنع من ذلك ويقاتل رجعوا الى الحق ولزم ذلك كل مسلم فى كل مسلم وفى المال كذلك

(قال ابو محمد) والواجب ان وقع شيء من الجور وان قل ان يكلم الامام فى ذلك ويمنع منه فان امتنع وراجع الحق واذعن للقود من البشرة او من الاعضاء ولاقامة حد الزنا والقذف والخمر عليه فلا سبيل الى خلعه وهو امام كما كان لا يحل خلعه فان امتنع من انفاذ شيء من هذه الواجبات عليه ولم يراجع وجب خلعه واقامة غيره ممن يقوم بالحق لقوله تعالى * وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان * ولا يجوز تضييع شيء من واجبات الشرائع وبالله تعالى التوفيق

(الكلام في الصلاة خلف الفاسق)

(والجهاد معه والحج ودفع الزكاة اليه ونفاذ احكامه من الاقضية والحدود وغير ذلك)

(قال ابو محمد) ذهبت طائفة الى انه لا يجوز الصلاة الا خلف الفاضل وهو قول الخوارج والزيدية والروافض وجمهور المعتزلة وبعض اهل السنة وقال آخرون الا الجمعة والعيدين وهو قول بعض اهل السنة وذهب طائفة الصحابة كلهم دون خلاف من احد منهم وجميع فقهاء التابعين كلهم دون خلاف من احد منهم واكثر من بعدهم وجمهور اصحاب الحديث وهو قول احمد والشافعى وابى حنيفة وداود وغيرهم الى جواز الصلاة خلف الفاسق الجمعة وغيرها وبهذا نقول وخلاف هذا القول بدعة محدثة فما تأخر قط احد من الصحابة الذين ادركوا المختار بن عبيد والحجاج وعبيد الله بن زياد وحبيش بن دلجة وغيرهم عن الصلاة خلفهم وهؤلاء افسق الفساق واما المختار فكان متهما فى دينه مظنوناً به الكفر

(قال ابو محمد) احتج من يقول بمنع الصلاة خلفهم بقول الله تعالى * انما يتقبل الله من المتقين *

(قال ابو محمد) فيقال لهم كل فاسق اذا نوى بصلاته رحمه الله تعالى فهو في ذلك من المتقين فصلاته متقبلة ولو لم يكن من المتقين الا من لا ذنب له ما استحق احد هذا الاسم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل * ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة * ولا يجوز القطع على الفاسق بانه لم يرد بصلاته وجه الله تعالى ومن قطع بهذا فقد قفا ما لا علم له به وقال ما لا يعلم وهذا حرام وقال تعالى * ولا تقف ما ليس لك به علم * وقال عز وجل * وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم * وقال بعضهم ان صلاة المأموم مرتبطة بصلاة الامام

(قال ابو محمد) وهذا غاية الفساد لانه قول بلا دليل بل البرهان يبطله لقوله تعالى * ولا

ورأى فيهم خمس فرق البراهمة واصحاب الروحانيات واصحاب الهياكل وعبدة الاصنام والحكماء ونحن نذكر مقالات هؤلاء كما وجدنا فى كتبهم المشهورة البراهمة من الناس من يظن انهم سموا براهمة لانتسابهم الى ابراهيم عليه السلام وذلك خطأ فان هؤلاء القوم هم المخصوصون بنفى النبوات أصلاً ورأساً فكيف يقولون بابراهيم والقوم الذين اعتقدوا نبوة ابراهيم من اهل الهند فهم الثنوية منهم القائلون بالنور والظلام على مذهب أصحاب الاثنين وقد ذكرنا مذاهبهم الا ان هؤلاء البراهمة انتسبوا الى رجل منهم يقال له براهام قد مهد لهم نفى النبوات أصلا وقرر استحالة ذلك فى العقول بوجوه منها ان قال ان الذى يأتى

تكسب كل نفس الا عليها * وقوله تعالى * ولا تزر وازرة وزر اخرى * ودعوى الارتباط هاهنا قول بلا برهان لا من قرآن ولا من سنة ولا من اجماع ولا من معقول وهم قد اجمعوا على ان طهارة الامام لا تنوب عن طهارة المأموم ولا قيامه عن قيامه ولا قعوده عن قعوده ولا سجوده عن سجوده ولا ركوعه عن ركوعه ولا نيته عن نيته فما معنى هذا الارتباط الذى تدعونه اذا وايضا فان القطع عن سريرة الذى ظاهره الفضل لا يجوز وانما هو ظن فاستوى الامر فى ذلك فى الفاضل والفاسق وصح انه لا يصلى احد عن احد وان كان احد يصلى عن نفسه وقال تعالى * اجيبوا داعى الله * فوجب بذلك ضرورة ان كل داع دعا الى خير من صلاة او حج او جهاد او تعاون على بر وتقوى ففرض اجابته وعمل ذلك الخير معه لقول الله تعالى * تعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان * وان كل داع دعى الى شر فلا يجوز اجابته بل فرض دفاعه ومنعه وبالله تعالى تتايد

﴿قال ابو محمد﴾ وايضا فان الفسق منزلة نقص عمن هو افضل منه والذى لا شك فيه ان النسبة بين افجر فاجر من المسلمين وبين افضل الصحابة رضى الله عنهم اقرب من النسبة بين افضل الصحابة رضى الله عنهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وما عرى احد من تعمد ذنب وتقصير بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما تفاضل المسلمون فى كثرة الذنوب وقلتها وفى اجتناب الكبائر ومواقعتها واما الصغائر فما نجا احد بعد الانبياء عليهم السلام وقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف ابى بكر وعبد الرحمن بن عوف وبهذا صح ان امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يؤم القوم اقرؤهم لكتاب الله فان استووا فافقههم ندب لا فرض فليس لفاضل بعد هذا ان يمتنع من الصلاة خلف من هو دونه فى القصوى من الغايات

(قال ابو محمد) واما دفع الزكاة الى الامام فان كان الامام القرشى الفاضل او الفاسق لم ينازعه فاضل فهى جارية لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ارضوا مصدقيكم ولا يكون مصدقا كل من سمى نفسه مصدقا لكن من قام البرهان بانه مصدق بارسال الامام الواجبة طاعته له واما من سالها من هو غير الامام المذكور او غير مصدقه فهو عابر سبيل لا حق فى قبضها فلا يجزى دفعها اليه لانه دفعها الى غير من امر بدفعها اليه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد وهكذا القول فى الاحكام كلها من الحدود وغيرها ان اقامها الامام الواجبة طاعته والذى لا بد منه فان وافقت القرآن والسنة نفذت والا فهى مردودة لما ذكرنا وان اقامها غير الامام او واليه فهى كلها مردودة ولا يحتسب بها لانه اقامها من لم يؤمر باقامتها فان لم يقدر عليها الامام فكل من قام بشئ من الحق حينئذ نفذ لامر الله تعالى لنا بان نكون قوامين بالقسط ولا خلاف بين احد من الامة اذا كان الامام حاضرا متمكنا او اميره او واليه فان من بادر الى تنفيذ حكم هو الى الامام فانه اما مظلمة ترد واما عزل لا ينفذ على هذا جرى عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وجميع عماله فى البلاد بنقل جميع المسلمين عصرا بعد عصر ثم عمل جميع الصحابة رضى الله عنهم واما الجهاد فهو واجب مع كل امام وكل متغلب وكل باغ وكل محارب من المسلمين لانه تعاون على البر والتقوى وفرض على كل أحد دعا الى الله تعالى والى دين الاسلام ومنع المسلمين ممن ارادهم قال تعالى * فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد *

الآية

به الرسول لم يخل من أحد أمرين اما ان يكون معقولا واما ان لا يكون معقولا فان كان معقولا فقد كفانا العقل التام بادراكه والوصول اليه فاى حاجة لنا الى الرسول وان لم يكن معقولا فلا يكون مقبولا اذ قبول ما ليس بمعقول خروج عن حد الانسانية ودخول فى حد البهيمية ومنها ان قال قد دل العقل على ان الله تعالى حكيم والحكيم لا يتعبد الخلق الا بما يدل عليه عقولهم وقد دلت الدلائل العقلية على ان للعالم صانعا عالما قادرا حكيما وانه أنعم على عباده نعما توجب الشكر فننظر فى آيات خلقه بعقولنا ونشكره بآلائه علينا واذا عرفناه وشكرناه له استوجبنا ثوابه واذا انكرناه وكفرنا به استوجبنا عقابه

الآية فهذا عموم لكل مسلم بنص الآية فى كل مكان وكل زمان وبالله تعالى التوفيق تم كتاب الامامة والمفاضلة بحمد الله تعالى وشكره

﴿ ذكر العظائم المخرجة الي الكفر ﴾ (والمحال من أقوال أهل البدع المعتزلة والخوارج والمرجئة والشيعة)

(قال ابو محمد) قد كتبنا فى ديواننا هذا من فضائح الملل المخالفة لدين الاسلام الذى فى كتبهم من اليهود والنصارى والمجوس مالابقية لهم بعدها ولا يمترى أحد وقف عليها انهم فى ضلال وباطل ونكتب ان شاء الله تعالى على هذه الفرق الاربع من فواحش أقوالهم ما لا يخفى على أحد قرأه انهم فى ضلال وباطل ليكون ذلك زاجرا لمن أراد الله توفيقه عن مضامتهم واما التمادى فيهم ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وليعلم من قرأ كتابنا هذا اننا لانستحل مايستحله من لا خير فيه من تقويل أحد مالم يقله نصا وان آل قوله اليه اذ قد لا يلزم ماينتجه قوله فيتناقض فاعلموا ان تقويل القائل كافرا كان أو مبتدعا أو مخطئا مالا يقوله نصا كذب عليه ولا يحل الكذب على أحد لكن ربما دلسوا المعنى الفاحش بلفظ ملتبس ليسهلوه علي اهل الجهل ويحسن الظن بهم من أتباعهم وليبعد فهم تلك العظيمة على العامة من مخالفتهم كقول طوائف من أهل البدعة والضلالة لا يوصف الله تعالى بالقدرة على المحال ولا علي الظلم ولا على الكذب ولا على غير ما علم انه يكون فاخفوا أعظم الكفر في هذه القضية لما ذكرنا من تانيس الاغمار من اتباعهم وتسكين الدهماء من مخالفيهم فرارا عن كشف معتقدهم صراحا الذى هو انه تعالى لا يقدر على الظلم ولا له قوة على الكذب ولا به طاقة على المحال ولا بد لنا من ايضاح ما موهوه هكذا وايراده باظهر عباراته كشفا لتمويههم وتقربا الى الله تعالى بهتك أستارهم كشف أسرارهم وحسبنا الله ونعم الوكيل

﴿ ذكر شنع الشيعة ﴾

(قال ابو محمد) اهل الشنع من هذه الفرقة ثلاث طوائف أولها الجارودية من الزيدية ثم الامامية من الرافضة ثم الغالية فاما الجارودية فان طائفة منهم قالت ان محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين ابن علي بن ابي طالب القائم بالمدينة على ابي جعفر المنصور فوجه اليه المنصور عيسى بن موسى بن محمد ابن علي بن عبد الله بن العباس فقتل محمد بن عبد الله بن الحسن رحمه الله فقالت هذه الطائفة ان محمدا المذكور حى لم يقتل ولا مات ولا يموت حتى يملا الارض عدلا كما ملئت جورا وقالت طائفة اخري منهم انه يحيي بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب القائم بالكوفة ايام المستعين فوجه اليه محمد بن عبد الله بن طاهر ابن الحسين بامر المستعين ابن عمه الحسن بن اسماعيل ابن الحسين وهو ابن اخى طاهر بن الحسين فقتل يحيي بن عمر رحمه الله فقالت الطائفة المذكورة ان يحيى بن عمر هذا حى لم يقتل ولا مات ولا يموت حتى يملا الارض عدلا كما ملئت جورا وقالت طائفة منهم ان محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب القائم بالطالقان ايام المعتصم حى لم يمت ولا قتل ولا يموت حتى يملا الارض عدلا كما ملئت جورا وقالت الكيسانية وهم اصحاب المختار بن أبي عبيد وهم عندنا شبه من الزيدية في سبيلهم ان محمد بن علي بن ابي طالب وهو ابن الحنفية حى بجبال رضوى عن يمينه اسد وعن يساره نمر تحدثه الملائكة ياتيه رزقه غدوا وعشيا لم يمت ولا يموت حتى يملا

فما بالنا نتبع بشرا مثلنا فانه ان كان يامرنا بما ذكرناه من المعرفة والشكر فقد استغنينا عنه بعقولنا وان كان يامرنا بما يخالف ذلك كان قوله دليلا ظاهرا على كذبه ومنها ان قال قد دل العقل علي ان للعالم صانعا حكيما والحكيم لا يتعبد الخلق بما يقبح فى عقولهم وقد وردت أصحاب الشرائع بمستقبحات من حيث العقل من التوجه الى بيت مخصوص فى العبادة والطواف حوله والسعى ورمى الجمار والاحرام والتلبية وتقبيل الحجر الاصم وكذلك ذبح الحيوان وتحريم ما يمكن ان يكون غذاء للانسان وتحليل ما ينقص من بنيته وغير ذلك كل هذه الامور مخالفة لقضايا العقول ومنها ان قال انا اكبر الكبائر فى الرسالة اتباع رجل

الارض عدلا كما ملئت جورا وقال بعض الروافض الامامية وهى الفرقة التى تدعى الممطورة ان موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ابن علي بن ابى طالب حى لم يمت ولا يموت حتى يملا الارض عدلا كما ملئت جورا وقالت طائفة منهم وهم الناووسية اصحاب ناوس المصرى مثل ذلك فى ابيه جعفر بن محمد وقالت طائفة منهم مثل ذلك فى اخيه اسماعيل بن جعفر وقالت السبائية اصحاب عبد الله بن سبا الحميرى اليهودى مثل ذلك فى على بن ابى طالب رضى الله عنه وزادوا انه في السحاب فليت شعرى في اى سحابة هو من السحاب والسحاب كثير فى اقطار الهواء مسخر بين السماء والارض كما قال الله تعالى وقال عبد الله ابن سباذ لما قتل على رضى الله عنه لو اتيتمونا بدماغه سبعين مرة ما صدقنا موته ولا يموت حتى يملا الارض عدلا كما ملئت جورا وقال بعض الكيسانية بان ابا مسلم السراج حى لم يمت وسيظهر ولا بد وقال بعض الكيسانية بانه عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن ابي طالب حى بجبال اصبهان الى اليوم ولا بد له من ان يظهر وعبد الله هذا هو القائم بفارس ايام مروان بن محمد وقتله ابو مسلم بعد ان سجنه دهرا وكان عبد الله هذا ردى الدين معطلا مستصحبا للدهرية

﴿قال ابو محمد﴾ وصار هؤلاء فى سبيل اليهود القائلين بان ملكيصدق بن عامر بن ارفخشد بن سام ابن نوح والعبد الذى وجهه ابراهيم عليه السلام ليخطب ربقا بنت بؤال بن ناخور بن تارخ شى اسحاق ابنه عليه السلام والياس عليه السلام وفنحاس بن العازار بن هارون عليه السلام احياء الى اليوم وسلك هذا السبيل بعض تركى الصوفية فزعموا ان الخضر والياس عليهما السلام حيان الى اليوم وادعى بعضهم انه يلقى الياس فى الفلوات والخضر فى المروج والرياض وانه متى ذكر حضر على ذكراه

(قال ابو محمد) وان ذكر فى شرق الارض وغربها وشمالها وجنوبها وفى الف موضع فى دقيقة واحدة كيف يصنع ولقد لقينا من يذهب الى هذا خلقا وكلمنا منهم المعروف بابن شق الليل المحدث بطلبيره وهو مع ذلك من اهل العناية وسعة الرواية ومنهم محمد بن عبد الله الكاتب واخبرنى انه جالس الخضر وكلمه مرارا او غيره كثير هذا مع سماعهم قول الله تعالى *ولكن رسول الله وخاتم النبيين* وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نبى بعدى فكيف يستجيز مسلم ان يثبت بعده عليه السلام نبيا فى الارض حاشا ما استثناه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الآثار المسندة الثابتة فى نزول عيسى بن مريم عليه السلام فى آخر الزمان وكفار برغواطه الى اليوم ينتظرون صالح بن طريف الذى شرع لهم دينهم وقالت القطعية من الامامية الرافضة كلهم وهم جمهور الشيعة ومنهم المتكلمون والنظارون والعدد العظيم بان محمد بن الحسن بن على بن محمد بن على ابن موسى بن جعفر بن على بن الحسين بن على ابن ابى طالب حى لم يمت ولا يموت حتى يخرج فيملا الارض عدلا كما ملئت جورا وهو عندهم المهدى المنتظر ويقول طائفة منهم ان مولد هذا الذى لم يخلق قط فى سنة ستين ومائتين سنة موت ابيه وقالت طائفة منهم بل بعد موت ابيه بمدة وقالت طائفة منهم بل في حياة ابيه ورووا ذلك عن حكيمة بنت محمد بن على بن موسى وانها شهدت ولادته وسمعته يتكلم حين سقط من بطن امه يقرأ القرآن وان امه نرجس وانها كانت هى القابلة وقال جمهورهم بل امه صقيل وقالت طائفة منهم بل امه سوسن وكل هذا هوس ولم يعقب الحسن المذكور لا ذكرا

ولا

هو مثلك في الصورة والنفس والعقل يأكل مما تأكل ويشرب مما تشرب حتى تكون بالنسبة اليه كجماد يتصرف فيك رفعا ووضعا او كحيوان يصرفك اماما وخلفا او كعبد يتقدم اليك امره ونهيه فباي تمييز له عليك وأية فضيلة اوجبت استخدامك وما دليله على صدق دعواه فان اغتررتم بمجرد قوله فلا تمييز لقول على قول وان انحسرتم بحجته ومعجزته فعندنا من خصائص الجواهر والاجسام ما لا يحصى كثرة ومن المخبرين عن مغيبات الامور من لا يساوى خبره قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده * فاذا اعترفتم بان للعالم صانعا خالقا حكيما فاعترفوا بانه آمر ناه حاكم

ولا أنثى فهذا اول نوك الشيعة ومفتاح عظيمتهم واخفها وان كانت مهلكة ثم قالوا كلهم اذ سئلوا عن الحجة فيما يقولون حجتنا الالهام وان من خالفنا ليس لرشدة فكان هذا طريفاً جدا ليت شعري ما الفرق بينهم وبين عيار مثلهم يدعي فى ابطال قولهم الالهام وان الشيعة ليسوا لرشدة او انهم نوكة او انهم جملة ذوو شعبة من جنون فى رؤسهم وما قولهم فيمن كان منهم ثم صار فى غيرهم او من كان فى غيرهم فصار فيهم اتراه ينتقل من ولادة لغية الى ولادة الرشدة ومن ولادة الرشدة الى ولادة الغية فان قالوا احكمه ما يموت عليه قيل لهم فلعلكم اولاد غية اذ لا يؤمن رجوع الواحد فالواحد منكم الى خلاف ما هو عليه اليوم والقوم بالجملة ذوو اديان فاسدة وعقول مدخولة وعديمو حياء ونعوذ بالله من الضلال وذكر عمرو ابن خولة الجاحظ وهو وان كان احد المجان ومن غلب عليه الهزل واحد الضلال المضلين فانا ما رأينا له فى كتبه تعمد كذبة يوردها مثبتا لها وان كان كثيرا الايراد لكذب غيره قال اخبرني ابو اسحاق ابراهيم النظام وبشر بن خالد انهما قالا لمحمد بن جعفر الرافضى المعروف بشيطان الطاق ويحك اما استحييت من الله ان تقول فى كتابك فى الامامة ان الله تعالى لم يقل قط فى القرآن * ثاني اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا * قالا فضحك والله شيطان الطاق ضحكاً طويلا حتى كانا نحن الذين أذنبنا قال النظام وكنا نكلم على ابن ميثم الصابوني وكل من شيوخ الرافضة ومتكلميهم فنسأله أرأى أم سماع عن الائمة فينكران يقوله برأى فنخبره بقوله فيها قبل ذلك قال فوالله ما رايته خجل من ذلك ولا استحيا لفعله هذا قط ومن قول الامامية كلها قديماً وحديثاً أن القرآن مبدل زيد فيه ما ليس منه ونقص منه كثير وبدل منه كثير حاشا على ابن الحسن ابن موسى بن محمد بن ابراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسن ابن على بن ابى طالب وكان أمامياً يظاهر بالاعتزال مع ذلك فانه كان ينكر هذا القول ويكفر من قاله وكذلك صاحباه ابو يعلى ميلاد الطوس وابو القاسم الرازى

(قال ابو محمد) القول بان بين اللوحين تبديلا كفر صحيح وتكذيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت طائفة من الكيسانية بتناسخ الارواح وبهذا يقول السيد الحميرى الشاعر لعنه الله ويبلغ الامر بمن يذهب الى هذا الى ان ياخذ أحدهم البغل او الحمار فيعذبه ويضربه ويعطشه ويجيعه على ان روح ابى بكر وعمر رضي الله عنهما فيه فاعجبوا لهذا الحمق الذى لا نظير له وما الذى خص هذا البغل الشقي او الحمار المسكين بنقله الروح اليه سائر البغال والحمير وكذلك يفعلون بالعنز على ان روح ام المؤمنين رضى الله عنها فيها وجمهور متكلميهم كهشام ابن الحكم الكوفى وتلميذه ابى على السكاك وغيرهما يقول ان علم الله تعالى محدث وانه لم يكن يعلم شيئا حتى احدث لنفسه علما وهذا كفر صحيح وقد قال هشام فى حين مناظرته لابى الهذيل العلاف ان ربه سبعة اشبار بشبر نفسه وهذا كفر صحيح وكان داود الجوازى من كبار متكلميهم يزعم ان ربه لحم ودم على صورة الانسان ولا يختلفون فى ان الشمس ردت على على بن ابي طالب مرتين أفيكون فى صفاقة الوجه وصلابة الخد وعدم الحياء والجراة على الكذب اكثر من هذا على قرب العهد وكثرة الخلق وطائفة منهم تقول ان الله تعالى يريد الشيء ويعزم عليه ثم يبدو له فلا يفعله وهذا مشهور للكيسانية ومن الامامية من يجيز نكاح تسع نسوة ومنهم من يحرم الكرنب لانه انما نبت على دم الحسين ولم يكن قبل ذلك وهذا فى قلة الحياء قريب مما قبله وكما يزعم كثير منهم أن عليا لم يكن له سمى قبله

على خلقه وله فى جميع ما نأتى ونذر ونعلم ونفكر حكم وأمر وليس كل عقل انسانى على استعداد ما يقبل عنه أمره ولا كل نفس بشرى بمثابة من يقبل عنه حكمه بل اوجبت منته ترتيباً فى العقول والنفوس واقتضت قسمته أن يرفع * بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون * فرحمة الله الكبرى هى النبوة والرسالة وذلك خير مما يجمعون بعقولهم المختالة ثم ان البراهمة تفرقوا أصنافا فمنهم اصحاب البددة ومنهم اصحاب الفكرة ومنهم أصحاب التناسخ أصحاب البددة ومعنى البد عندهم شخص فى هذا العالم لم يولد ولا ينكح لا يطعم ولا يشرب ولا يهرم ولا يموت واول بد ظهر فى

وهذا جهل عظيم بل كان فى العرب كثير يسمون هذا الاسم كعلى بن بكر بن وائل اليه يرجع كل بكرى فى العالم فى نسبه وفى الازد على وفى بجيله على وغيرها كل ذلك فى الجاهلية مشهور واقرب من ذلك عامر بن الطفيل يكنى اباعلى ومجاهراتهم اكثر مما ذكرنا ومنهم طائفة تقول بفناء الجنة والنار وفى الكيسانية من يقول ان الدنيا لاتفنى ابدا ومنهم طائفة تسمى النحلية نسبوا الى الحسن بن على بن ورصند النحلى كان من اهل نفطة من عمل قنصة وقسطيلية من كور افريقية ثم نهض هذا الكافر الى السوس فى اقاصى بلاد المصامدة فاضلهم واضل امير السوس احمد بن ادريس بن يحيى بن ادريس ابن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن ابى طالب فهم هنالك كثير سكان فى ربض مدينة السوس معلنون بكفرهم وصلاتهم خلاف صلاة المسلمين لاياكلون شيئا من الثمار زبل اصله ويقولون ان الامامة فى ولد الحسن دون ولد الحسين ومنهم اصحاب ابى كامل ومن قولهم ان جميع الصحابة رضى الله عنهم كفروا بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم اذ جحدوا امامة على وان عليا كفر اذ اسلم الامر الى ابى بكر ثم عمر ثم عثمان ثم قال جمهورهم ان عليا ومن اتبعه رجعوا الى الاسلام اذ دعى الى نفسه بعد قتل عثمان واذ كشف وجهه وسل سيفه وانه واياهم كانوا قبل ذلك مرتدين عن الاسلام كفارا مشركين ومنهم من يرد الذنب فى ذلك الى النبى صلى الله عليه وسلم اذ لم يبين الامر بيانا رافعا للاشكال

﴿قال ابو محمد﴾ وكل هذا كفر صريح لاخفاء به فهذه مذاهب الامامية وهى المتوسطة فى الغلو من فرق الشيعة واما الغالية من الشيعة فهم قسمان قسم اوجبت النبوة بعد النبى صلى الله عليه وسلم لغيره والقسم الثانى اوجبوا الالهية لغير الله عز وجل فلحقوا بالنصارى واليهود وكفروا اشنع الكفر فالطائفة التى اوجبت النبوة بعد النبى صلى الله عليه وسلم فرق فمنهم الغرابية وقولهم ان محمدا صلى الله عليه وسلم كان اشبه بعلى من الغراب بالغراب وان الله عز وجل بعث جبريل عليه السلام بالوحى الى على فغلط جبريل بمحمد ولالوم على جبريل فى ذلك لانه غلط وقالت طائفة منهم بل تعمد ذلك جبريل وكفروه ولعنوه لعنهم الله

﴿قال ابو محمد﴾ فهل سمع باضعف عقولا واتم رقاعة من قوم يقولون ان محمدا صلى الله عليه وسلم كان يشبه على بن ابى طالب فيا للناس اين يقع شبه ابن اربعين سنة من صبى ابن احدى عشرة سنة حتى يغلط به جبريل عليه السلام ثم محمد عليه السلام فوق الربعة الى الطول قويم القناة كث اللحية ادعج العينين ممتلىء الساقين صلى الله عليه وسلم قليل شعر الجسد افرع وعلى دون الربعة الى القصر منكب شديد الانكباب كانه كسر ثم جبر عظيم اللحية قد ملئت صدره من منكب الى منكب اذا التحى ثقيل العينين دقيق الساقين اصلع عظيم الصلع ليس فى رأسه شعر الا فى مؤخره يسير كثير شعر اللحية فاعجبوا لحمق هذه الطبقة ثم لو جاز ان يغلط جبريل وحاشا الروح القدس الامين كيف غفل الله عز وجل عن تقويمه وتنبيهه وتركه على غلطه ثلاثا وعشرين سنة ثم اظرف من هذا كله من اخبرهم بهذا الخبر ومن خرفهم بهذه الخرافة وهذا لايعرفه الا من شاهد امر الله تعالى لجبريل عليه السلام ثم شاهد خلافه فعلى هؤلاء لعنة الله ولعنة اللاعنين ولعنة الناس أجمعين مادام لله فى عالمه خلق وفرقة قالت بنبوة على وفرقة قالت بان على بن ابى طالب والحسن والحسين رضى الله عنهم وعلى بن الحسين ومحمد ابن على وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلى بن

موسى

العالم اسمه شاكين وتفسيره السيد الشريف ومن وقت ظهوره الى وقت الهجرة خمسة آلاف سنة قالوا ودون مرتبة البد مرتبة البرد يسعية ومعناه الانسان الطالب سبيل الحق وانما يصل الى تلك المرتبة بالصبر والعطية وبالرغبة فيما يجب ان يرغب فيه وبالامتناع والتخلى عن الدنيا والعروض عن شهواتها ولذاتها والعفة عن محارمها والرحمة على جميع الخلق والاجتناب عن الذنوب العشرة قتل كل ذى روح واستحلال أموال الناس والزنا والكذب والنميمة والبذاء والشتم وشناعة الالقاب والسفه والجحد لجزاء الآخرة وباستكمال عشر خصال * احدها الجود والكرم * الثانى العفو عن المسىء ودفع الغضب بالحلم * الثالثة

موسى ومحمد بن علي والحسن بن محمد والمنتظر ابن الحسن انبياء كلهم وفرقة قالت بنبوة محمد بن اسماعيل بن جعفر فقط وهم طائفة من القرامطة وفرقة قالت بنبوة علي و بنيه الثلاثة الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية فقط وهم طائفة من الكيسانية وقد حام المختار حول ان يدعى النبوة لنفسه وسجع اسجاعا وانذر بالغيوب من الله واتبعه على ذلك طوائف من الشيعة الملعونة وقال بامامة محمد بن الحنفية وفرقة قالت بنبوة المغيرة بن سعيد مولى بجيلة بالكوفة وهو الذى احرقه خالد بن عبد الله القسرى بالنار وكان لعنه الله يقول ان معبوده صورة رجل على رأسه تاج وان أعضاؤه على عدد حرف الهجا الالف للساقين ونحو ذلك مما لا ينطق لسان ذى شيعة من دين به تعالى الله عما يقول الكافرون علوا كبيرا وكان لعنه الله يقول ان معبوده لما اراد ان يخلق الخلق تكلم باسمه الاكبر فوقع على تاجه ثم كتب باصبعه أعمال العباد من المعاصى والطاعات فلما رأى المعاصى ارفض بعرقا فاجتمع من عرقه بحران احدهما ملح مظلم والثانى نير عذب ثم اطلع فى البحر فرأى ظلة فذهب ليأخذه فطار فاخذه فقلع عينى ذلك الظل ومحقه فخلق من عينيه الشمس وشمسا اخرى وخلق الكفار من البحر المالح وخلق المؤمنين من البحر العذب فى تخاليط لهم كثير وكان مما يقول ان الانبياء لم يختلفوا قط في شيء من الشرائع وقد قيل ان جابر بن يزيد الجعفى الذى يروى عن الشعبي كان خليفة المغيرة بن سعيد اذ حرقه خالد بن عبد الله القسرى فلما مات جابر خلفه بكر الاعور الهجرى فلما مات فوضوا أمرهم الى عبد الله بن المغيرة رئيسهم المذكور وكان لهم عدد ضخم بالكوفة وآخر ما وقف عليه المغيرة ابن سعيد القول بامامة محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين وتحريم ماء الفرات وكل ماء نهر او عين او بئر وقعت فيه نجاسة فبرئت منه عند ذلك القائلون بالامامة في ولد الحسين وفرقة قالت بنبوة بيان بن سمعان التميمى صلبه واحرقه خالد بن عبد الله القسرى مع المغيرة بن سعيد في يوم واحد وجبن المغيرة بن سعيد عن اعتناق حزمة الحطب جبنا شديدا حتى ضم اليها قهرا و بادر بيان بن سمعان الى الحزمة فاعتنقها من غير اكراه ولم يظهر منه جزع فقال خالد لاصحابهما فى كل شيء انتم مجانين هذا كان ينبغى ان يكون رئيسكم لا هذا الفسل وكان بيان لعنه الله يقول ان الله تعالى يفنى كله حاشا وجهه فقط وظن المجنون انه تعلق فى كفره هذا بقول الله تعالى * كل من عليها فان ويبقى وجه ربك * ولو كان له ادنى عقل او فهم لعلم ان الله تعالى انما اخبر بالفناء عما على الارض فقط بنص قوله الصادق * كل من عليها فان * ولم يصف عز وجل بالفناء غير ما على الارض ووجه الله تعالى هو الله وليس هو شيئا غيره وحاشا الله من ان يوصف بالتبعيض والتجزى هذه صفة المخلوقين المحدودين لا صفة من لا يحد ولا له مثل وكان لعنه الله يقول انه المعنى بقول الله تعالى * هذا بيان للناس * وكان يذهب الى ان الامام هو هاشم عبد الله بن محمد ابن الحنيفة ثم هى فى سائر ولد علي كلهم وقالت فرقة منهم بنبوة منصور المستير العجلى وهو الملقب بالكسف وكان يقال انه المراد بقول الله عز وجل * وان يروا كسفا من السماء ساقطا * وصلبه يوسف بن عمر بالكوفة وكان لعنه الله يقول انه عرج به الى السماء وان الله تعالى مسح رأسه بيده وقال له ابنى اذهب فبلغ عنى وكان يمين اصحابه لا والكلة وكان لعنه الله يقول بان اول من خلق الله تعالى عيسى بن مريم ثم علي بن ابي طالب وكان يقول بتواتر الرسل واباح المحرمات من الزنا والخمر والميتة والخنزير والدم وقال انما هم اسماء رجال وجمهور

التعفف عن الشهوات الدنيوية * الرابعة الفكرة فى التخلص الى ذلك العالم الدائم الوجود من هذا العالم الفانى * الخامسة رياضة العقل بالعلم والادب وكثرة النظر الى عواقب الامور * السادسة القوة على تصريف لنفس فى طلب العلياء * السابعة لين القلب وطيب الكلام مع كل واحد * الثامنة حسن المعاشرة مع الاخوان بايثار اختيارهم على اختيار نفسه * التاسعة الاعراض عن الخلق بالكلية والتوجه الى الحق بالكلية * العاشر بذل الروح شوقا الى الحق ووصولا الى جناب الحق وزعموا ان البددة اتوم على عند نهر الكيل وأعطوهم العلوم وظهروا لهم فى أجناس وأشخاص شتى ولم يكونوا يظهرون الافى

الرافضة اليوم على هذا واسقط الصلاة والزكاة والصيام والحج واصحابه كلهم خناقون رضاخون وكذلك اصحاب المغيرة بن سعيد ومعنام فى ذلك انهم لا يستحلون حمل السلاح حتى يخرج الذى ينتظرونه فهم يقتلون الناس بالخنق وبالحجارة والخشبية بالخشب فقط وذكر هشام بن الحكم الرافضى فى كتابه المعروف بالميزان وهو اعلم الناس بهم لانه جارهم بالكوفة وجارهم فى المذهب ان الكسفية خاصة يقتلون من كان منهم ومن خالفهم ويقولون نعجل المؤمن الى الجنة والكافر الى النار وكانوا بعد موت ابى منصور يؤدون الخمس مما ياخذون ممن خنقوه الى الحسن بن ابي المنصور واصحابه فرقتان فرقة قالت ان الامام بعد محمد بن على بن الحسن صارت الى محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين وفرقة قالت بل الى ابى المنصور الكسف ولا تعود فى ولد على ابدا وقالت فرقة بنبوة بزيغ الحائك بالكوفة وان وقع هذه الدعوة لهم في حائك لظريفة وفرقة قالت بنبوة معمر بائع الحنطة بالكوفة وقالت فرقة بنبوة عمير التبان بالكوفة وكان لعنه الله يقول لاصحابه لو شئت ان اعيد هذا التبن تبرا لفعلت وقدم الى خالد بن عبد الله القسرى بالكوفة فتجلد وسب خالدا فامر خالد بضرب عنقه فقتل الى لعنة الله وهذه الفرق الخمس كلها من فرق الخطابية وقالت فرقة من اولئك شيعة بنى العباس بنبوة عمار الملقب بخداش فظفر به اسد بن عبد الله اخو خالد بن عبد الله القسرى فقتله الى لعنة الله والقسم الثانى من فرق الغالية الذين يقولون بالالهية لغير الله عز وجل فاولهم قوم من اصحاب عبد الله بن سبا الحميرى لعنه الله اتوا الى على بن ابي طالب فقالوا مشافهة انت هو فقال لهم ومن هو قالوا انت الله فاستعظم الامر وامر بنار فاججت واحرقهم بالنار فجعلوا يقولون وهم يرمون فى النار الان صح عندنا انه الله لانه لا يعذب بالنار الا الله وفى ذلك يقول رضى الله عنه

لما رأيت الامر أمرا منكرا * اججت نارا ودعوت قنبرا

يريد قنبرا مولاه وهو الذى تولى طرحهم فى النار نعوذ بالله من ان نفتتن بمخلوق او يفتتن بنا مخلوق فيما جل اودق فان محنة ابي الحسن رضي الله عنه من بين اصحابه رضي الله عنهم كمحنة عيسى صلى الله عليه وسلم بين اصحابه من الرسل عليهم السلام وهذه الفرقة باقية الى اليوم فاشية عظيمة العدد يسمون العليانية منهم كان اسحاق بن محمد النخعى الاحمر الكوفى وكان من متكلميهم وله فى ذلك كتاب سماه الصراط نقض عليه البهنكى والفياض لما ذكرنا ويقولون ان محمدا رسول على وقالت طائفة من الشيعة يعرفون بالمحمدية ان محمدا عليه السلام هو الله تعالى الله عن كفرهم ومن هؤلاء كان البهنكى والفياض بن على وله فى هذا المعنى كتاب سماه القسطاس وابوه الكاتب المشهور الذى كتب لاسحاق بن كنداج ايام ولايته ثم لامير المؤمنين المعتضد وفيه يقول البحترى القصيدة المشهورة التى اولها

شط من ساكن الغرير مزاره * وطوته البلاد والله جاره

والفياض هذا لعنه الله قتله القاسم بن عبد الله بن سليمان بن وهب لكونه من جملة من سعى به ايام المعتضد والقصة مشهورة وفرقة قالت بالالهية آدم عليه السلام والنبيين بعده نبيا نبيا الى محمد عليه السلام ثم بالالهية على ثم بالالهية الحسن ثم الحسين ثم محمد بن على ثم جعفر بن محمد ووقفوا هاهنا واعلنت الخطابية بذلك نهارا بالكوفة فى ولاية عيسى بن موسى بن محمد ابن على بن عبد الله بن العباس فخرجوا صدر النهار في جموع [illegible] في أزر وأردية محرمين

بيوت الملوك لشرف جواهرهم قالوا ولم يكن بينهم اختلاف فيما ذكر عنهم من أزلية العالم وقولهم فى الجزاء على ماذكرنا وانما اختص ظهور البدد بارض الهند لكثرة مافيها من خصائص البرية والاقاليم ومن فيها من أهل الرياضة والاجتهاد وليس يشبه البد على ماوصفوه ان صدقوا فى ذلك الا بالخضر الذى يثبته أهل الاسلام أصحاب الفكرة والوهم وهم العلماء منهم بالفلك والنجوم وأحكامها المنسوبة اليهم وللهند طريقة تخالف طريقة منجمي الروم وذلك انهم يحكمون اكثر الاحكام باتصالات الثوابت دون السيارات وينشؤون الاحكام عن خصائص الكواكب دون طبائعها ويعدون زحل السعد الاكبر لرفعة

ينادون باعلى اصواتهم لبيك جعفر قال ابن عياش وغيره كاني انظر اليهم يومئذ فخرج اليهم عيسى بن موسى فقاتلوه فقتلهم واصطلمهم ثم زادت فرقة على ما ذكرنا فقالت بالاهية محمد بن اسماعيل بن جعفر بن محمد وهم القرامطة وفيهم من قال بالاهية ابي سعيد الحسن بن بهرام الجبائي وأبنائه بعده ومنهم من قال بالاهية ابي القاسم النجار القائم باليمن في بلاد همدان المسمى بالمنصور وقالت طائفة منهم بالاهية عبيد الله ثم الولاة من ولده الى يومنا هذا وقالت طائفة بالاهية ابي الخطاب محمد بن ابي زينب مولي بني اسد بالكوفة وكثر عددهم بها حتى تجاوزوا الالوف وقالوا هو اله وجعفر بن محمد اله الا ان ابا الخطاب اكبر منه وكانوا يقولون جميع اولاد الحسن ابناء الله واحباؤه وكانوا يقولون انهم لا يموتون ولكنهم يرفعون الى السماء واشبه على الناس بهذا الشيخ الذي ترون ثم قالت طائفة منهم بالاهية معمر بائع الحنطة بالكوفة وعبدوه وكان من اصحاب ابي الخطاب لعنهم الله اجمعين وقالت طائفة بالاهية الحسن بن منصور حلاج القطن المصلوب ببغداد بسعي الوزير ابن حامد بن العباس رحمه الله ايام المقتدر وقالت طائفة بالاهية محمد بن على ابن السلمعان الكاتب المقتول ببغداد ايام الراضي وكان امر اصحابه ان يفسق الارفع قدراً منهم به ليولج فيه النور وكل هذه الفرق ترى الاشتراك في النساء وقالت طائفة منهم بالاهية شباس الغيمي في وقتنا هذا حيا بالبصرة وقالت طائفة منهم بالاهية ابي مسلم السراج ثم قالت طائفة من هؤلاء بالاهية المقنع الاعور القصار القائم بثار ابي مسلم واسم هذا القصار هاشم وقتل لعنه الله ايام المنصور واعلنوا بذلك فخرج المنصور فقتلهم وافناهم الى لعنة الله وقالت الرنودية بالاهية ابي جعفر المنصور وقالت طائفة منهم بالاهية عبد الله بن الخرب الكندي الكوفي وعبده وكان يقول بتناسخ الارواح وفرض عليهم تسعة عشرة صلاة في اليوم والليلة في كل صلاة خمسة عشرة ركعة الى ان ناظره رجل من متكلمي الصفرية واوضح له براهين الدين فاسلم وصح اسلامه وتبرأ من كل ما كان عليه واعلم اصحابه بذلك واظهر التوبة فتبرأ منه جميع اصحابه الذين كانوا يعبدونه ويقولون بالاهيته واعنوه وفارقوه ورجعوا كلهم الى القول بامامة عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ابن ابي طالب وبقي عبد الله بن الخرب على الاسلام وعلى مذهب الصفرية الى ان مات وطائفته الى اليوم تعرف بالحزبية وهي من السبائية القائلين بالاهية على وطائفة تدعي النصرية غلبوا في وقتنا هذا على جند الاردن بالشام وعلى مدينة طبرية خاصة ومن قولهم لعن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعن الحسن والحسين ابني على رضي الله عنهم وسبهم باقذع السب وقذفهم بكل بلية والقطع بانها وابنيها رضي الله عنهم ولعن مبغضيهم شياطين تصوروا في صورة الانسان وقولهم في عبد الرحمن بن ملجم المرادي قاتل على رضي الله عنه على على لعنة الله ورضي الله عن ابن ماجم فيقول هؤلاء ان عبد الرحمن بن ملجم المرادي افضل اهل الارض واكرمهم في الآخرة لانه خلص روح اللاهوت مما كان يتشبث فيه من ظلمة الجسد وكدره فاعجبوا لهذا الجنون واسالوا الله العافية من بلاء الدنيا والاخرة فهي بيده لا بيد احد سواه جعل الله حظنا منها الاوفى واعلموا ان كل من كفر هذه الكفرات الفاحشة ممن ينتمي الى الاسلام فانما عنصرهم الشيعة والصوفية فان من الصوفية من يقول ان من عرف الله تعالى سقطت عنه الشرائع وزاد بعضهم واتصل بالله تعالى وبلغنا ان بنيسابور اليوم في عصرنا

مكانه وعظم جرمه وهو الذي يعطي العطايا الكلية من السعادة والجزئية من النحوسة وكذلك سائر الكواكب لها طبائع وخواص فالروم يحكمون من الخواص وكذلك طبهم فانهم يعتبرون خواص الادوية دون طبائعها والروم يخالفهم في ذلك وهؤلاء اصحاب الفكرة يعظمون امر الفكر ويقولون هو المتوسط بين المحسوس والمعقول فالصور من المحسوسات ترد عليه والحقائق من المعقولات ترد عليه ايضا فهو مورد المعلمين من العالمين فيجتهدون كل الجهد حتى يصرفوا الوهم والفكر عن المحسوسات بالرياضة البليغة والاجتهادات المجهدة حتى اذا تجرد الفكر عن

هذا رجلا يكنى اباسعيد ابا الخير هكذا معا من الصوفية مرة يلبس الصوف ومرة يلبس الحرير المحرم على الرجال ومرة يصلي في اليوم الف ركعة ومرة لا يصلي لا فريضة ولا نافلة وهذا كفر محض ونعوذ بالله من الضلال

ذكر شنع الخوارج

ذكر بعض من جمع مقالات المنتمين الى الاسلام ان فرقة من الاباضية رئيسهم رجل يدعى زيد بن ابي ابيسه وهو غير المحدث المشهور كان يقول ان في هذه الامة شاهدين عليها هو احدهما والآخر لا يدرى من هو ولا متى هو ولا يدرى لعله قد كان قبله وان من كان من اليهود والنصارى يقول لا اله الا الله محمد رسول الله الى العرب لا الينا كما تقول العيسوية من اليهود قال فانهم مؤمنون اولياء الله تعالى وان ماتوا على هذا العقد وعلى التزام شرائع اليهود والنصارى وان دين الاسلام سينسخ بنبي من العجم ياتي بدين الصابئين وبقرآن آخر ينزل عليه جملة واحدة

(قال ابو محمد) الآن جميع الاباضية يكفرون من قال بشيء من هذه المقالات ويبرؤن منه ويستحلون دمه وماله وقالت طائفة من اصحاب الحرث الاباضي ان من زنا او سرق او قذف فانه يقام عليه الحد ثم يستتاب مما فعل فان تاب ترك وان ابى التوبة قتل على الردة

(قال ابو محمد) رشاهدنا الاباضية عندنا بالاندلس يحرمون طعام اهل الكتب ويحرمون اكل قضيب التيس والثور والكبش ويوجبون القضاء على من نام نهارا في رمضان فاحتلم ويتيممون وهم على الابار التي يشربون منها الا قليلا منهم وقال ابو اسماعيل البطيحي واصحابه وهم من الخوارج ان لا صلاة واجبة الا ركعة واحدة بالغداة وركعة اخرى بالعشي فقط ويرون الحج في جميع شهور السنة ويحرمون اكل السمك حتى يذبح ولا يرون اخذ الجزية من المجوس ويكفرون من خطب في الفطرة والاضحى ويقولون ان اهل النار في النار في لذة ونعيم واهل الجنة كذلك

(قال ابو محمد) واصل ابي اسماعيل هذا من الازارقة الا انه غلا عن سائر الازارقة وزاد عليهم وقالت سائر الازارقة وهم اصحاب نافع بن الازرق بابطال رجم من زنى وهو محصن وقطعوا يد السارق من المنكب واوجبوا على الحائض الصلاة والصيام في حيضها وقال بعضهم لا ولكن تقضي الصلاة اذا طهرت كما تقضي الصيام واباحوا دم الاطفال ممن لم يكن في عسكرهم وقتل النساء ايضا ممن ليس في عسكرهم وبرئت الازارقة ممن قعد عن الخروج لضعف او غيره وكفروا من خالف هذا القول بعد موت اول من قال به منهم ولم يكفروا من خالفه فيه في حياته وقالوا باستعراض كل من لقوه من غير اهل عسكرهم ويقتلونه اذا قال انا مسلم ويحرمون قتل من انتمى الى اليهود او الى النصارى او الى المجوس وبهذا شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمروق من الدين كما يمرق السهم من الرمية اذ قال عليه السلام انهم يقتلون اهل الاسلام ويتركون اهل الاوثان وهذا من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم اذ انذر بذلك وهو من جزئيات الغيب فخرج نصا كما قال

(قال ابو محمد) وقد بادت الازارقة انما كانوا أهل عسكر واحد اولهم نافع بن الازرق وآخرهم عبدة بن هلال العسكري واتصل امرهم بضعا وعشرين سنة الا اني اشك في صبيح مولى سوار بن الاسعر المازني من بني تميم اخرج برأى الازارقة ايام هشام بن عبد الملك ام

هذا العالم تجلى له ذلك العالم فربما يخبر عن مغيبات الاحوال وربما يقوى على حبس الامطار وربما يوقع الوهم على رجل حي فيقتله في الحال ولا يستبعد ذلك فان للوهم اثرا عجيبا في تصريف الاجسام والتصرف في النفوس أليس الاحتلام في النوم تصرف الوهم في الجسم أليس اصابة العين تصرف الوهم في الشخص أليس الرجل يمشي على جدار مرتفع فيسقط في الحال ولا ياخذ من عرض المسافة في خطواته سوى ما اخذه على الارض المستوية والوهم اذا تجرد عمل اعمالا عجيبة ولهذا كانت الهند تغمض عينها اياما لئلا يشتغل الفكر والوهم بالمحسوسات ومع التجرد اذا اقترن به وهم آخر

برأي الصفرية لان أمره لم يطل اسرائر خروجه وقتل وقالت النجدات وهم اصحاب نجدة بن عويم الحنفي ليس على الناس ان يتخذوا اماما انما عليهم ان يتعاطوا الحق بينهم وقالوا من ضعف عن الهجرة الى عسكرهم فهو منافق واستحلوا دم القعدة واموالهم وقالوا من كذب كذبة صغيرة او عمل عملا صغيرا فاصر على ذلك فهو كافر مشرك وكذلك ايضا فى الكبائر وان من عمل من الكبائر غير مصر عليها فهو مسلم وقال جائز ان يعذب الله المؤمنين بذنوبهم لكن فى غير النار واما النار فلا وقالوا اصحاب الكبائر منهم ليسوا كفارا واصحاب الكبائر من غيرهم كفار وقد بادت النجدات وقالت طائفة من الصفرية بوجوب قتل كل من أمكن قتله من مؤمن عندهم او كافر وكانوا يؤلون الحق بالباطل وقد بادت هذه الطائفة وقالت الميمونية وهم فرقة من العجاردة والعجاردة فرقة من الصفرية باجازة نكاح بنات البنات وبنات البنين وبنات بنى الاخوة والاخوات وذكر ذلك عنهم الحسين ابن علي الكراسى وهو احد الائمة فى الدين والحديث ولم يبق اليوم من فرق الخوارج الا الاباضية والصفرية فقط وقالت طائفة من اصحاب البيهسية وهم اصحاب ابى بيهس وهم من فرق الصفرية ان كان صاحب كبيرة فيها حد فانه لا يكفر حتى يرفع الى الامام فاذا اقام عليه الحد فحينئذ يكفر وقالت الرشيدية وهم من فرق الثعالبة والثعالبة من فرق الصفرية ان الواجب فى الزكاة نصف العشر مما سقى بالانهار والعيون وقالت العونية وهم طائفة من البيهسية التى ذكرنا آنفا أن الامام اذا قضى قضية جور وهو بخراسان او بغيرها حيث كان من البلاد ففى ذلك الحين نفسه يكفر هو وجميع رعيته حيث كانوا من شرق الارض وغربها ولو بالاندلس واليمن فما بين ذلك من البلاد وقالوا ايضا لو وقعت قطرة خمر فى جب ماء بفلاة من الارض فان كل من خطر على ذلك الجب فشرب منه وهو لا يدرى ما وقع فيه كافر بالله تعالى قالوا الا ان الله تعالى يوفق المؤمن لاجتنابه وقالت الفضيلية من الصفرية من قال لا اله الا الله محمد رسول الله بلسانه ولم يعتقد ذلك بقلبه بل اعتقد الكفر او الدهرية او اليهودية او النصرانية فهو مسلم عند الله مؤمن ولا يضره اذا قال الحق بلسانه ما اعتقد بقلبه وقالت طائفة من الصفرية ان النبى صلى الله عليه وسلم اذا بعث ففى حين بعثه في ذلك الوقت من ذلك اليوم لزم جميع اهل المشرق والمغرب الايمان به وان لم يعرفوا جميع ما جاء به من الشرائع فمن مات منهم قبل ان يبلغه شيء من ذلك مات كافرا وقالت العجاردة اصحاب عبد الكريم بن عجرد من الصفرية ان من بلغ الحلم من اولادهم وبناتهم فهم برآء منه ومن دينه حتى يقر بالاسلام فيتولوه حينئذ

(قال ابو محمد) فعلى هذا ان قتله قاتل قبل ان يلفظ بالاسلام فلا قود ولا دية وان مات لم يرث ولم يورث وقالت طائفة من العجاردة لا نتولى الاطفال قبل البلوغ ولا نبرأ منهم لكن نقف فيهم حتى يلفظوا بالاسلام بعد البلوغ

(قال ابو محمد) والعجاردة هم الغالبون على خوارج خرسان كما ان النكار من الاباضية هم الغالبون على خوارج الاندلس وقالت المكرومية وهم اصحاب ابي مكرم وهم من الثعالبة اصحاب ثعلبة وهو من الصفرية والى قول الثعالبة رجع عبد الله بن باض فبرىء منه اصحابه فهم لا يعرفونه اليوم ولقد سالنا من هو مقدمهم في علمهم ومذهبهم عنهم فما عرفه احد منهم وكان من قول المكرمية هؤلاء ان من اتى كبيرة فقد جهل الله تعالى فهو كافر ليس من اجل الكبيرة كفر لكن لانه جهل الله عز وجل فهو كافر بجهله بالله تعالى وقالت طائفة من الخوارج

اشتركا فى العمل خصوصا اذا كانا متفقين غاية الاتفاق ولهذا كانت عادتهم اذ دهمهم أمر ان يجتمع أربعون رجلا من المهذبين المخلصين المتفقين على رأى واحد فى الاصابة فيتجلى لهم المهم الذى يهضمهم حمله ويندفع عنهم البلاء الملم الذى يكادهم ثقله البكرنتينية يعنى المصفدين بالحديد وسنتهم حلق الرؤس واللحى وتعرية الاجساد ماخلا العورة وتصفيد البدن من أوساطهم الى صدورهم لئلا تنشق بطونهم من كثرة العلم وشدة الوهم وغلبة الفكر ولعلهم رأوا فى الحديد خاصية تناسب الاوهام والا فالحديد كيف يمنع انشقاق البطن وكثرة العلم كيف يوجب ذلك

(أصحاب التناسخ) قد ذكرنا مذاهب التناسخية

ماكان من المعاصى فيه حد كالزنا والسرقة والقذف فليس فاعله كافرا ولا مؤمنا ولا منافقا واما ماكان من المعاصى لاحد فيه فهو كفر وفاعله كافر وقالت الحفصية وهم اصحاب حفص بن ابى المقدام من الاباضية من عرف الله تعالى وكفر بالنبى صلى الله عليه وسلم فهو كافر وليس بمشرك وان جهل الله تعالى او جحده فهو حينئذ مشرك وقال بعض اصحاب الحرث الاباضى المنافقون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انما كانوا موحدين لله تعالى اصحاب كبائر ومن حماقاتهم قول بكر بن اخت عبد الواحد بن زيد فانه كان يقول كل ذنب صغير او كبير ولو كان اخذ حبة خردل بغير حق او كذبة خفيفة على سبيل المزاح فهى شرك بالله وفاعلها كافر مشرك مخلد فى النار الا ان يكون من اهل بدر فهو كافر مشرك من اهل الجنة وهذا حكم طلحة والزبير رضي الله عنهما عندهم ومن حماقاتهم قول عبد الله بن عيسي تلميذ بكر بن اخت عبد الواحد بن زيد المذكور فانه كان يقول ان المجانين والبهايم والاطفال مالم يبلغوا الحلم فانهم لايالمون البتة لشىء مما ينزل بهم من العلل وحجته فى ذلك ان الله تعالى لايظلم احدا

(قال ابو محمد) لعمرى لقد طرد أصل المعتزلة وان من خالفه فى هذه المتلوث في الحماقة متلسع فى التناقض

(ذكر شنع المعتزلة)

(قال ابو محمد) قالت المعتزلة باسرها حاشا ضرار بن عبد الله الغطفاني الكوفى ومن وافقه كحفص الفرد وكلثوم واصحابه ان جميع افعال العباد من حركاتهم وسكونهم فى أقوالهم وأفعالهم واعمالهم وعقودهم لم يخلقها الله عزوجل ثم اختلفوا فقالت طائفة خلقها فاعلوها دون الله تعالى وقالت طائفة هى افعال موجودة لاخالق لها أصلا وقالت طائفة هي افعال الطبيعة وهذا قول أهل الدهر بلا تكلف وقالت المعتزلة كلها حاشا ضرار بن عمرو المذكور وحاشا أبا سهل بشر بن المعير البغدادى النخاس بالرقيق ان الله عزوجل لايقدر البتة على لطف يلطف به الكافر حتى يؤمن ايمانا يستحق به الجنة والله عزوجل ليس فى قوته احسن مما فعل بنا وان هذا الذى فعل هو منتهى طاقته وآخر قدرته التى لا يمكنه ولا يقدر على اكثر

(قال ابو محمد) هذا تعجيز مجرد للبارى تعالى ووصف له بالنقص وكلهم لايحاشى أحدا يقول انه لايقدر على المحال ولا على ان يجعل الجسم ساكنا متحركا معا فى حال واحدة ولا على ان يجعل انسانا واحدا في مكانين معا

(قال ابو محمد) وهذا تعجيز مجرد لله تعالى وايجاب النهاية والانقضاء لقدرته تعالى الله عن ذلك وقال ابو الهذيل بن مكحول العلاف مولى عبد القيس بصرى احد رؤساء المعتزلة ومتقدميهم ان لما يقدر الله تعالى عليه آخرا ولقدرته نهاية لو خرج الى الفعل لم يقدر الله تعالى بعد ذلك على شىء اصلا ولا على خلق ذرة فما فوقها ولا احياء بعوضة ميتة ولا على تحريك ورقة فما فوقها ولا على ان يفعل شيئا اصلا

(قال ابو محمد) وهذه حالة من الضعف والمهانة والعجز قد ارتفعت البق والبراغيث والدود مدة حياتها عنها وعن ان توصف بها وهذا كفر مجرد لاخفاء به وزعم ابو الهذيل ايضا ان اهل الجنة واهل النار تفنى حركاتهم حتى يصيروا جمادا لايقدرون على تحريك شىء من اعضائهم ولا على البراح من مواضعهم وهم فى تلك الحال متلذذون ومتالمون الا انهم

لاياكلون

ومامن ملة من الملل الا وللتناسخ فيها قدم راسخ وانما تختلف طرقهم فى تقرير ذلك فاما تناسخية الهند فاشد اعتقادا فى ذلك لما عاينوا من طير يظهر فى وقت معلوم فيقع على شجرة وهو أبدا كذلك فيبيض ويفرخ ثم اذا تم نوعه بفراخه حك بمنقاره ومخالبه فتبرق منه نار تلتهب فيحترق الطير ويسيل دمه منه دهن فيجتمع فى أصل الشجرة فى مغارة ثم اذا حال الحول وحان وقت ظهوره انخلق من هذا الدهن مثله طير فيطير ويقع على الشجرة وهو أبدا كذلك قالوا فما مثل الدنيا وأهلها فى الادوار والاكوار الا كذلك قالوا واذا كانت حركات

لاياكلون ولايشربون ولايطئون بعد هذا أبدا وكان يزعم أيضا لما يعلمه عز وجل اخرا ونهاية وكلا لا يعلم الله شيئا سواه وادعى قوم من المعتزلة انه تاب من هذه الطوام الثلاث

﴿قال ابو محمد﴾ وهذا لا يصح وانما ادعوا ذلك حياء من هذه الكفرات الصلع لامامهم امام الضلالة وذكر عن ابي الهذيل ايضا انه قال ان الله عز وجل ليس خلافا لخلقه والعجب انه مع هذا الاقدام العظيم ينكر التشبيه وهذا عين التشبيه لانه ليس الا خلاف او مثل او ضد فاذا بطل ان يكون خلافا وضدا فهو مثل ولا بد تعالى الله عن هذا علوا كبيرا وكان ابو الهذيل يقول ان الله لم يزل عليما وكان ينكر ان يقال ان الله لم يزل سميعا بصيرا

﴿قال ابو محمد﴾ وهذا خلاف القرآن لان الله عز وجل قال * وكان الله سميعا بصيرا * كما قال * وكان الله عليما حكيما * وكلهم قال ان الله تعالى لم يزل يعلم ان من مات كافرا فانه لا يؤمن ابدا وانه تعالى حكم وقال ان ابالهب وامرأته سيصليان النار كافرين ثم قطعوا كلهم بان ابالهب وامرأته كانا قادرين على الايمان على ان لا تمسهما النار وانهما كان ممكنا لهما تكذيب الله عز وجل وانهما كانا قادرين على ابطال علم الله عز وجل وعلى ان يجعلاه كاذبا في قوله هذا نص قولهم بلا تاويل قال وكان ابراهيم بن سيار النظام ابو اسحاق البصري مولى بني بحير بن الحارث بن عباد الضبعي اكبر شيوخ المعتزلة ومقدمة علمائهم يقول ان الله تعالى لا يقدر على ظلم احد اصلا ولا على شيء من الشر وان الناس يقدرون على كل ذلك وانه تعالى لو كان قادرا على ذلك لكنا لا نامن ان يفعله او انه قد فعله فكان الناس عنده اتم قدرة من الله تعالى وكان يصرح بان الله تعالى لا يقدر على اخراج أحد من جهنم ولا اخراج احد من اهل الجنة عنها ولا على طرح طفل من جهنم وان الناس وكل واحد من الجن والملائكة يقدرون على ذلك فكان الله عز وجل عنده اعجز من كل ضعيف من خلقه وكان كل احد من الخلق اتم قدرة من الله تعالى وهذا الكفر المجرد الذي نعوذ بالله منه ومن العجب اتفاق النظام والعلاف شيخي المعتزلة على انه ليس يقدر الله تعالى من الخير على اصلح مما عمل فاتفقا على ان قدرته على الخير متناهية ثم قال النظام انه تعالى لا يقدر على الشر جملة فجعله عديم قدرة على الشر عاجزا عنه وقال العلاف بل هو قادر على الشر جملة فجعل ربه متناهي القدرة على الخير وغير متناهي القدرة على الشر فهل سمع باخبث صفة من الصفة التي وصف بها العلاف ربه وهل في الموصوفين اخبث طبيعة من الموصوف الذي ادعى العلاف انه ربه ونعوذ بالله مما ابتلاهم به واما ابو المعتمر معمر بن عمرو العطار البصري مولي بني سليم احد شيوخهم وائمتهم فكان يقول بان في العالم اشياء موجودة لا نهاية لها ولا يحصيها الباري تعالى ولا احد ايضا غيره ولا لها عنده مقدار ولا عدد وذلك انه كان يقول ان الاشياء تختلف بمعان فيها وان تلك المعاني تختلف بمعان اخر فيها وتلك المعاني تختلف بمعان اخر فيها وهكذا بلا نهاية ايضا تكذيب واضح لله تعالى في قوله * وكل شيء عنده بمقدار * وفي قوله تعالى * واحصى كل شيء عددا . ووافقه الدهرية في قولهم بوجود اشياء لا نهاية لها وعلى هذا طلبته المعتزلة بالبصرة عند السلطان حتى فر الى بغداد ومات بها مختفيا عند ابراهيم بن السيد بن شاهك وكان معمر ايضا يزعم ان الله عز وجل لم يخلق شيئا من الالوان ولا طولا ولا عرضا ولا طعما ولا رائحة ولا خشونة ولا املاسا ولا حسنا ولا قبيحا ولا صوتا ولا قوة ولا ضعفا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ولا مرضا ولا صحة ولا عافية ولا سقما ولا عمى ولا بكما ولا بصرا

الافلاك دورية ولا محالة
يصل رأس الفرجار الى
ما بدا ودار دورة ثانية على
الخط الاول أفاد لا محالة
ما أفاد الدور الاول اذ لم
يكن اختلاف بين الدورين
حتى يتصور اختلاف
بين الامرين فان المؤثرات
عادت كما بدأت والنجوم
والافلاك دارت على
المركز الاول وما اختلفت
أبعادها واتصالاتها
ومناظراتها ومناسباتها
بوجه فيجب ان لا يختلف
المتأثرات الباديات منها
بوجه وهذا هو تناسخ
الادوار والاكوار ولهم
اختلاف في الدورة الكبرى
كم هي من السنين واكثرهم
على ثلاثين الف سنة
وبعضهم على ثلاثة الف
سنة وستين الف سنة وانما

ولاسمعا ولافصاحة ولافسادا للثمار ولا صلاحها وان كل ذلك فعل الاجسام التى وجدت فيها هذه الاعراض بطباعها فاعلموا ان هذا الفاسق قد اخرج نصف العالم عن خلق الله تعالى لانه ليس للعالم شيء الا الجواهر الحاملة والاعراض المحمولة فقط فالنصف الواحد عنده غير مخلوق لعنه الله من مكذب لله تعالى فى نص قوله تعالى * خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا * وقد عورض معمر بهذه الاية فقال انما اراد انه خلق الاماتة والاحياء وذكر عنه انه كان ينكر ان يكون الله عز وجل عالما بنفسه وذلك لان العالم انما يعلم غيره ولا يعلم نفسه وكان يزعم ان النفس ليست جسما ولا عرضا ولا هي فى مكان اصلا ولا تماس شيئا ولا تباينه ولا تتحرك ولا تسكن

(قال ابو محمد) وهذا قول اهل الالحاد محضا بلا تاويل يعنى القائلين منهم بقدم النفس وانها الخالقة للانسان نعوذ بالله من الضلال وكان يقول ان الله تعالى لا يعلم نفسه ولا يجهلها لان العالم غير المعلوم ومحال ان يقدر على الموجودات او ان يعلمها وان يجهلها وقال ابو العباس عبدالله بن محمد الانبارى المعروف بالناشى ولقبه شرسير فى كتابه فى المقالات ان الله تعالى عن كفره لا يقدر على ان يسوى بنان الانسان بعد ان سبق فى علمه انه لا يسويها

(قال ابو محمد) وهذا تكذيب محض لله تعالى فى قوله * ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه بلى قادرين على ان نسوى بنانه * ورأيت للجاحظ فى كتابه البرهان لو ان سائلا ساله وقال ايقدر الله على ان يخلق قبل الدنيا دنيا أخرى فجوابه نعم يعنى انه يخلق تلك الدنيا حين خلق هذه فتكون مثل هذه

(قال ابو محمد) هذا تعجيز منه للبارى تعالى كما قدمنا اذ لم تحصل له تعالى قدرة على خلق دنيا قبل هذه الا على الوجه الذى ذكره واما على غيره فلا فان قيل كيف تجيبون قلنا اجوابنا نعم على الاطلاق فان قيل لنا كيف يصح هذا السؤال وانتم تقولون انه لا يجوز ان يقال ان قبل العالم شيئا لان قبل وبعد من الزمان ولا زمان هنالك قلنا معنى قولنا نعم اى انه تعالى لم يزل قادرا على ان يخلق عالما لو خلقه لكان له زمان قبل زمان هذا العالم وهكذا ابدا وبالله تعالى التوفيق واما ضرار بن عمرو فانه كان يقول ان ممكنا ان يكون جميع من فى الارض ممن يظهر الاسلام كفارا كلهم فى باطن امرهم لان كل ذلك جائز على كل واحد منهم فى ذاته ومن حماقات ضرار انه كان يقول ان الاجسام انما هى اعراض مجتمعة وان النار ليس فيها حر ولا فى الثلج برد ولا فى العسل حلاوة ولا فى الصبر مرارة ولا فى العنب عصير ولا فى الزيتون زيت ولا فى العروق دم وان كان ذلك انما يخلقه الله عز وجل عند القطع والذوق والعصر واللمس فقط واما ابو عثمان عمرو بن الجاحظ البصرى الكنانى صليبة وقيل بل مولى وهو تلميذ النظام واحد شيوخ المعتزلة فانه كان يقول ان الله تعالى لا يقدر على افناء الاجسام البتة الا ان يرققها ويفرق اجزائها فقط واما اعدامها فلا يقدر على ذلك اصلا وأما ابو معمر وثمامة بن اشرس النميرى صليبة بصرى احد شيوخ المعتزلة وعلمائهم فذكر عنه انه كان يقول ان العالم فعل الله عز وجل بطباعه تعالى الله عن هذا الكفر الشنيع علوا كبيرا وكان يزعم ان المقلدين من اليهود والنصارى والمجوس وعباد الاوثان لا يدخلون النار يوم القيامة لكن يصيرون ترابا وان كل من مات من اهل الاسلام والايمان المحض والاجتهاد فى العبادة مصرا على كبيرة من الكبائر كشرب الخمر ونحوها وان كان لم يواقع ذلك الامرة

يعتبرون فى تلك الادوار سير الثوابت لا السيارات وعند الهند أكثرهم ان الفلك مركب من الماء والنار والريح وان الكواكب فيه نارية هوائية فلم يعدم الموجودات العلوية الا العنصر الارضي فقط

أصحاب الروحانيات)

ومن اهل الهند جماعة اثبتوا متوسطات روحانية ياتونهم بالرسالة من عندالله عز وجل فى صورة البشري من غير كتاب فيامرهم باشياء وينهاهم عن أشياء ويسن لهم الشرائع ويبين لهم الحدود وانما يعرفون صدقه بتنزهه عن طعام الدنيا واستغنائه عن الاكل والشرب والبعال وغيرها

(الباسوية)

زعموا ان رسولهم

في الدهر فانه خالد بين أطباق النيران ابدا مع فرعون وابي لهب وابي جهل
(قال أبو محمد) فاي كفر أعجب من قول من يقول أن كثيراً من الكفار لايدخلون النار وان كثيرا من المسلمين لايدخلون الجنة وكان ثمامة يقول ان ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجميع اولاد المسلمين الذين يموتون قبل الحلم وجميع مجانين الاسلام لايدخلون الجنة ابدا لكن يصيرون ترابا واما هشام بن عمرو الفوطي احد شيوخ المعتزلة فكان يقول اذا خلق الله تعالى شيئا فانه لايقدر على ان يخلق مثل ذلك الشيء ابدا لكن يقدر على ان يخلق غيره والغيران عنده لايكونان مثلين وكان لايجيز لاحد أن يقول حسبنا الله ونعم الوكيل ولا ان الله يعذب الكفار بالنار ولا انه يحيي الارض بالمطر ويروي هذا القول والقول بان الله تعالى يضل من يشاء ويهدي من يشاء ضلالا والحادا

(قال ابو محمد) وهذا رد على الله جهارا وكان يقول لايحل القول بشيء من هذا الا عند قراءة القرآن فقط وكان يقول قولوا حسبنا الله ونعم المتوكل عليه وكان يقول قولوا ان الله يعذب الكفار في النار ويحيي الارض عند نزول المطر وكان لايجيز القول بان الله الف بين قلوب المؤمنين ولا ان القرآن عما على الكافرين وكان يقول ان من هو الآن مؤمن عابد الان في علم الله انه يموت كافرا فانه الآن عند الله كافر وان من كان الان كافرا مجوسيا او نصرانيا او دهريا او زنديقا الان في علم الله عز وجل انه يموت مؤمنا فانه الان عند الله مؤمن واما عباد بن سليمان تلميذ هشام الفوطي المذكور فكان يزعم ان الله تعالى لايقدر على غير ما فعل من الصلاح ولايجوز ان يقال ان الله خلق المؤمنين ولا انه خلق الكافرين ولكن يقال خلق الناس وذلك زعم لان المؤمن عنده انسان وايمان والكافر انسان وكفر وان الله تعالى انما خلق عنده الانسان فقط ولم يخلق الايمان ولا الكفر وكان يقول ان الله تعالى لا يقدر على ان يخلق غير ما خلق وانه تعالى لم يخلق المجاعة ولا القحط وكلهم يزعم ان الله تعالى لم يامر الكفار قط بان يؤمنوا في حال كفرهم ولا نهى المؤمنين قط عن الكفر في حال ايمانهم لانه لايقدر احد قط على الجمع بين الفعلين المتضادين

(قال ابو محمد) وهم مقرون ان الله تعالى لم يزل يعلم ان من يؤمن بعد كفره فانه لايزال في كفره الى ان يؤمن وان من يكفر بعد ايمانه فانه لايزال في ايمانه حتى يكفر وان من لا يؤمن من الكفار ابدا فانه لايزال في كفره الى ان يموت وان من لا يكفر من المؤمنين فانه لايزال في ايمانه الى ان يموت وليس احد من المامورين يخرج عن احد هذه الوجوه الاربعة ضرورة فاذا كان عندهم لم يؤمر قط كافر بالايمان في حال كفره ولا نهي مؤمن عن الكفر في حال ايمانه فان من لم يزل مؤمنا الى ان مات لم ينهه الله عز وجل عن الكفر قط وان من لم يزل كافرا الى ان مات فان الله لم يامره قط بالايمان وان الله تعالى لم يامر قط بالايمان من آمن بعد كفره الا حين آمن ولا نهى قط عن الكفر من كفر بعد ايمانه الا حين كفر وهذا تكذيب مجرد لله تعالى في امره الكفار واهل الكتاب بالايمان ونهيه المؤمنين عن الكفر وكان بشر بن المعتمر ايضا يقول ان الله تعالى لم يخلق قط لونا ولا طعما ولا رائحة ولا مجسة ولا شدة ولا ضعفا ولا عما ولا بصرا ولا سمعا ولا صمما ولا جبنا ولا شجاعة ولا كشفا ولا عجزا ولا صحة ولا مرضا وان الناس يفعلون كل ذلك فقط واما جعفر القصي

ملك روحاني نزل من السماء على صورة بشر فامرهم بتعظيم النار وان يتقربوا اليها بالعطر والطيب والادهان والذبائح ونهاهم عن القتل والذبح الا ما كان للنار وسن لهم ان يتوشحوا بخيط يعقدونه من مناكبهم الايامن الى تحت شمائلهم ونهاهم أيضا عن الكذب وشرب الخمر وان لا ياكلوا من أطعمة غير ملتهم ولا من ذبائحهم وأباح لهم الزنا لئلا ينقطع النسل وأمرهم ان يتخذوا على مثاله صنما يتقربون اليه ويعبدونه ويطوفون حوله كل يوم ثلاث مرات بالمعازف والتبخير والغنا والرقص وأمرهم بتعظيم البقر والسجود لها حيث رأوها ويفزعوا في التوبة الى

بايع القصب والاشج وهما من رؤسائهم فكانا يقولان ان القرآن ليس هو فى المصاحف انما فى المصاحف شيء آخر وهو حكاية القرآن

(قال ابو محمد) وهذا كفر مجرد وخلاف جميع اهل الاسلام قديما وحديثا وكان علي الاسوارى البصرى أحد شيوخ المعتزلة يقول ان الله عز وجل لا يقدر على غير ما فعل وان من علم الله تعالى انه يموت ابن ثمانين سنة فان الله لا يقدر على ان يميته قبل ذلك ولا ان يبقيه طرفة عين بعد ذلك وان من علم الله تعالى من مرضه يوم الخميس مع الزوال مثلا فان الله تعالى لا يقدر على ان يبريه قبل ذلك لا بما قرب ولا بما بعد ولا على ان يزيد فى مرضه طرفة عين فما فوقها وان الناس يقدرون كل حين على اماتة من علم الله ان لا يموت الا وقت كذا وان الله لا يقدر على ذلك وهذا كفر ما سمع قط بافظع منه واما ابو غفار أحد شيوخ المعتزلة فكان يزعم ان شحم الخنزير ودماغه حلال

(قال أبو محمد) وهذا كفر صريح لاخفاء به وكان يزعم ان تفخيذ الرجال الذكور حلال وقد ذكر هذا عن ثمامة أيضا وكل هذا كفر محض واما أحمد ابن خابط والفضل الحربي البصريان وكانا تلميذين لابراهيم النظام فكانا يزعمان ان للعالم خالقين احدهما قديم وهو الله تعالى والآخر حادث وهو كلمة الله عز وجل المسيح عيسى بن مريم التى بها خلق العالم وكانا لعنهما الله يطعنان على النبي صلى الله عليه وسلم بالتزويج وان اباذر كان ازهد منه وكان أحمد بن خابط يزعم ان الذى يجيء به يوم القيامة مع الملائكة صفا صفا فى ظلل من الغمام انما هو المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وان الذى خلق آدم على صورته انما هو المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وان المسيح هو الذى يحاسب الناس يوم القيامة وكان احمد بن خابط لعنه الله يقول ان فى كل نوع من انواع الطير والسمك وسائر حيوان البر حتى البق والبراغيث والقمل والقرود والكلاب والفيران والتيوس والحمير والدود والوزغ والجعلان انبياء لله تعالى رسالة الى انواعهم مما ذكرنا من سائر الانواع وكان لعنه الله يقول بالتناسخ والكرور وان الله تعالى ابتدأ جميع الخلق فخلقهم كلهم جملة واحدة بصفة واحدة ثم امرهم ونهاهم فمن عصى منهم نسخ روحه فى جسد بهيمة فالقتال يبتلى بالذبح كالغنم والابل والبقر والدجاج وغير ذلك من البراغيث وكل ما يقتل فى الاغلب وان من كان منهم فى فسقه وقتله للناس عنيفا كوفى بالقوة على السفاد كالتيس والعصفور والكبش وغير ذلك ومن كان زانيا او زانية كوفيا بالمنع من الجماع كالبغال والبغلات ومن كان جبارا كوفى بالمهانة كالدود والقمل ولا يزالون كذلك حتى يقتص منهم ثم يردون فمن عصى منهم كور ايضا كذلك هكذا ابدا حتى يطيع طاعة لا معصية معها فينتقل الى الجنة من وقته او يعصى معصية لا طاعة معها فينتقل الى جهنم من وقته وانما حمله على القول بكل هذا لزومه اصل المعتزلة فى العدل وطرده اياه ومشيه معه واعلموا ان كل من لم يقل من المعتزلة بهذا القول فانه متناقض تارك لاصلهم فى العدل وكان لعنه الله يقول ان للثواب دارين احداهما لا اكل فيها ولا شرب وهى ارفع قدرا من الثانية والثانية فيها اكل وشرب وهى انقص قدرا

(قال ابو محمد) هذا كله كفر محض وكان لهذا الكافر احمد بن خابط تلميذ على مذهبه يقال له أحمد بن سابوس كان يقول بقول معلمه فى التناسخ ثم ادعى النبوة وقال انه المراد بقول الله عز وجل ومبشرا برسول ياتى من بعدى اسمه احمد وكان محمد بن عبد الله بن مرة

التمسيح بها وامرهم ان لا يجوزوا نهر الكنك (الباهودية) زعموا ان رسولهم ملك روحانى على صورة بشر واسمه باهودية اتاهم وهو راكب على ثور على رأسه اكليل مكلل بعظام الموتى من عظام الرؤس ومتقلد من ذلك بقلادة باحدى يديه قحف انسان وبالاخرى مزراق ذو ثلاث شعب يامرهم بعبادة الخالق عز وجل وبعبادته معه وان يتخذوا على مثاله صنما يعبدونه وان يعافوا اشياء وان تكون الاشياء كلها فى الربقة واحدة لانها جميعا صنع الخالق وان يتخذوا من عظام الناس قلائد يتقلدونها واكاليل يضعونها على رؤسهم وان يمسحوا

بن بجيح الاندلسي يوافق المعتزلة في القدر وكان يقول ان علم الله وقدرته صفتان محدثتان مخلوقتان وان لله تعالى علمين احدهما احدثه جملة وهو علم الكتاب وهو علم الغيب كعلمه انه سيكون كفار ومؤمنون والقيامة والجزا ونحو ذلك والثاني علم الجزئيات وهو علم الشهادة وهو ككفر زيد وايمان عمر ونحو ذلك فانه لا يعلم الله تعالى من ذلك شيئا حتى يكون وذكر قول الله تعالى * عالم الغيب والشهادة *

(قال ابو محمد) وهذا ليس كما ظن بل على ظاهره انه يعلم ماتفعلون وان اخفيتم ويعلم ما غاب عنكم مما كان او يكون او هو كائن

﴿قال ابو محمد﴾ وانما حمله علي هذا القول طرده لاصول المعتزلة حقا فان من قال منهم ان الله تعالى لم يزل يعلم ان فلانا لا يؤمن ابدا وان فلانا لا يكفر ابدا ثم جعل الناس قادرين علي تكذيب كلام ربهم وعلي ابطال مالم يزل وهذا تناقض فاحش لاخفاء به ونعوذ بالله من الخذلان وكان من اصحابه جماعة يكفرون من قال انه عز وجل لم يزل يعلم كل مايكون قبل ان يكون وكان من اصحاب مذهبه رجل يقال له اسماعيل ابن عبد الله الرعيني متاخر الوقت وكان من المجتهدين في العبادة المنقطعين فى الزهد وادركته الا انى لم القه ثم احدث اقوالا سبعة فبرئ منه سائر المرية وكفروه الامن اتبعه منهم فمما احدث قوله ان الاجساد لاتبعث ابدا وانما تبعث الارواح صح هذا عندنا عنه وذكر عنه أنه كان يقول انه حين موت الانسان وفراق روحه لجسده تلقى روحه الحساب ويصير اما الى الجنة او الى النار وانه كان لا يقر بالبعث الا علي هذا الوجه وانه كان يقول ان العالم لا يفنى ابدا بل هكذا يكون الامر بلانهاية وحدثنى الفقيه ابو احمد المعار فى الطليطلي صاحبنا احسن الله ذكره قال اخبرني يحيي بن احمد الطبيب وهو ابن ابنة اسماعيل الرعينى المذكور قال ان جدى كان يقول ان العرش هو المدبر للعالم وان الله تعالى اجل من ان يوصف بفعل شيء اصلا وكان ينسب هذا القول الي محمد بن عبد الله بن مسرة ويحتج بالفاظ فى كتبه ليس فيها لعمرى دليل علي هذا القول وكان يقول لسائر المرية انكم لن تفهموا عن الشيخ فبرئت منه المرية ايضا علي هذا القول وكان احمد الطبيب صهره ممن برئ منه وتبعت ابنته على هذه الاقوال متبعة لابيها مخالفة لزوجها وابنها وكانت متكلمة ناسكة مجتهدة ووافقت اباها رون بن اسماعيل الرعينى علي هذا القول فانكره وبرئ من قائله وكذب ابن اخيه فيما ذكر عن ابيه وكان مخالفوه من المرية وكثير من موافقيه ينسبون اليه القول باكتساب النبوة وان من بلغ الغاية من الصلاح وطهارة النفس ادرك النبوة وانها ليست اختصاصا اصلا وقد رأينا منهم من ينسب هذا القول الى ابن مرة ويستدل على ذلك بالفاظ كثيرة فى كتبه هى لعمرى لتشير الى ذلك ورأينا سائرهم ينكر هذا فالله اعلم ورأيت انا من اصحاب اسماعيل الرعينى المذكور من يصفه بفهم منطق الطير وبانه كان ينذر باشياء قبل ان تكون فتكون وأما الذى لاشك فيه فانه كان عند فرقته اماما واجبة طاعته يؤدون اليه زكاة اموالهم وكان يذهب الى ان الحرام قد عم الارض وانه لافرق بين مايكتسبه المرء من صناعة او تجارة او ميراث أو بين مايكتسبه من الرفاق وان الذى يحل للمسلم من كل ذلك قوته كيف ما اخذه هذا امر صحيح عندنا عنه يقينا واخبرنا عنه بعض من عرف باطن امورهم انه كان يرى الدار دار كفر مباحة دماؤهم واموالهم الا اصحابه فقط وصح عندنا عنه كان يقول بنكاح المتعة وهذا لا يقدح فى ايمانه ولا فى عدالته لو قاله مجتهدا

اجسادهم ورؤسهم بالرماد
وحرم عليهم الذبائح
وجمع الاموال وامرهم
برفض الدنيا ولا معاش
لهم فيها الا من الصدقة
الكابليه زعموا ان
رسولهم ملك روحانى
يقال له شب أتاهم فى
صورة بشر متمسح
بالرماد على رأسه قلنسوة
من لبود أحمر طولها ثلاثة
اشبار محيط عليه صفائح
من قحف الناس متقلد
قلادة من اعظم مايكون
متمنطق من ذلك بمنطقه
متسور منها بسوار متخيل
منها بخلخال وهو عريان
فامرهم أن يتزينوا بزينته
وان يتزيوا بزيه وسن لهم
شرائع وحدود (البهادونية)
قالوا ان بهادون كان ملكا
عظيما اتانا فى صورة انسان
عظيم وكان له اخوان فقتلاه

ولم تقم عليه الحجة بنسخة لو سلم من الكفرات الصلع التي ذكرنا وانما ذكرنا عنه ما جرى انا من ذكره ولغرابة هذا القول اليوم وقلة القائلين به من الناس ورأيت لابي هاشم عبد السلام بن محمد عبد الوهاب الجبائى كبير المعتزلة وابن كبيرهم القطع بان لله تعالى أحوالا مختصة به وهذه عظيمة جدا اذ جعله حاملا للاعراض تعالى الله عن هذا الافك ورأيت له القطع في كتبه كثيرا يردد القول بانه يجب على الله ان يزيح علل العباد في كل ما أمرهم به ولا يزال يقول في كتبه ان امر كذا لم يزل واجبا على الله

(قال ابو محمد) وهذا كلام تقشعر منه ذوائب المؤمن ليت شعري من الموجب ذلك على الله تعالى والحاكم عليه بذلك والملزم له ما ذكر هذا النذل لزومه للباري تعالى ووجوبه عليه فيالله لمن قال ان الفعل أوجب ذلك على الله تعالى أو ذكر شيئا دونه تعالى ليصرحن بان الله تعالى متعبد للذي اوجب عليه ما اوجب محكوم عليه مدبر وانه للكفر الصراح ولئن قال انه تعالى هو الذي أوجب ذلك على نفسه فالايجاب فعل فاعل لا شك فان كان الله لم يزل موجبا ذلك على نفسه فلم يزل فاعلا فالافعال قديمة ولابد لم تزل وهذه دهرية محضة وان كان تعالى أوجب ذلك على نفسه بعد ان لم يكن موجبا له فقد بطل انتفاعه بهذا القول في اصله الفاسد لانه قد كان تعالى غير واجب عليه ما ذكر ورأيت لبعض المعتزلة سؤالا سائل عنه أبا هاشم المذكور يقول فيه ما بال كل من بعثه النبي صلى الله عليه وسلم داعيا الى الاسلام الى اليمن والبحرين وعمان والملوك وسائر البلاد وكل من يدعو الى مثل ذلك الى يوم البعث لا يسمى رسول الله كما سمي محمد عليه السلام اذ أمره الملك عن الله عز وجل بالدعاء الى الاسلام والامر واحد والعمل سواء

(قال ابو محمد) فاعجبوا لتلاعب ابليس بهذه الفرقة الملعونة وسلوا الله العافية من ان يكلكم الى أنفسكم فحق لمن دينه ان ربه لا يقدر على ان يهديه ولا على ان يضله ان يتمكن الشيطان منه هذا التمكن ولعمري ان هذا السؤال لقد لزم اصل المعتزلة المضل لهم ولمن التزمه والمورد لجميعهم نار جهنم وهو قولهم ان التسمية موكولة الينا لا الى الله عز وجل ورأيت لهذا الكافر ابي هاشم كلاما رد فيه بزعمه على من يقول انه ليس لاحد ان يسمى الله عز وجل الا بما سمى به نفسه فقال هذا النذل لو كان هذا ولم يجز لاحد ان يسمى الله تعالى عز وجل الا بما سمى به نفسه لكان غير جائز لله أن يسمى به نفسه باسم حتى يسميه به غيره

(قال ابو محمد) فهل يأتي الممرور باقبح من هذا الاستدلال وهل في التسمية اكثر من هذا ولكن من يضلل الله فلا هادي له ونعوذ بالله من ان يكلنا الى انفسنا طرفة عين فنهلك وكان ابو هاشم ايضا يقول انه لو طال عمر المسلم المحسن لجاز ان يعمل من الحسنات والخير اكثر مما عمل النبي صلى الله عليه وسلم

(قال ابو محمد) لا والله ولا كرامة ولو عمر أحدنا الدهر كله في طاعات متصلة ما وازى عمل امرئ صحب النبي صلى الله عليه وسلم من غير المنافقين والكفار المجاهرين ساعة واحدة فما فوقها مع قوله صلى الله عليه وسلم انه لو كان لاحدنا مثل احد ذهبا فانفقه ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه فمتى يطمع ذو عقل ان يدرك احدا من الصحابة مع هذا القول الممتنع ادراكه قطعا وكان ابو هاشم المذكور يقول انه لا يقبل توبة احد من ذنب عمله اي ذنب كان حتى يتوب من جميع الذنوب

قال

وعملا من جلدته لارض ومن عظامه الجبال ومن دمه البحار وقيل هذا رمز والا فمحال صورة البشر لا تبلغ الى هذه الدرجة وصورة بهادرون راكب على دابة كثير الشعر قد أسبله على وجهه وقد قسم الشعر على جوانب رأسه قسمة مستوية وأسبلها كذلك على نواحي الرأس قفا ووجها وامرهم ان يغلوا كذلك وسن لهم ان لا يشربوا الخمر واذا رأوا امرأة هربوا منها وان يحجوا الى جبل يدعى جورعن وعليه بيت عظيم فيه صورة بهادرون وبذلك البيت سدنة لا يكون المفتاح الا بايديهم فلا يدخلون الا باذنهم فاذا فتحوا الباب سدوا افواههم

(قال ابو محمد) وحقا اقول لقد طرد اصل المعتزلة الذى اطبقوا عليه من اخراج المرء عن الاسلام جملة بذنب واحد عمله يصر عليه وايجابهم الخلود فى النار عليه بذلك الذنب وحده فلو كان هذا لكان ابو هاشم صادقا اذ لا منفعة له عندهم فى تركه كل ذنب وهو بذنب واحد يصر عليه خارج عن الايمان مخلد بين اطباق النيران وما ينكر هذا عليه من المعتزلة الا جاهل باصولهم او عامد للتناقض وكان يقول ان تارك الصلاة وتارك الزكاة عامدا لكل ذلك لم يفعل شيئا ولا اذنب ولا عصي وانه مخلد بين اطباق النيران ابدا على غير فعل فعله ولا على شيء ارتكبه

(قال ابو محمد) فهل فى التجوير لله على اصولهم وهل فى مخالفة الاسلام جهارا اكثر من هذا القول السخيف وكان الذى حمله على قوله هذا قوله انه ترك الفعل ليس فعلا وجميع المعتزلة الا هشام بن عمرو الفوطى يزعمون ان المعدومات اشياء على الحقيقة وانها لم تزل وانها لا نهاية لها

(قال ابو محمد) وهذه دهرية بلا مطل واشياء لا نهاية لها لم تزل غير مخلوقة وكان عبد الرحيم بن محمد بن عثمان الخياط من اكابر المعتزلة ببغداد ممن يقول ان الاجسام المعدومة لم تزل اجساما بلا نهاية لها الا فى عدد ولا فى زمان غير مخلوقة وقال ابو محمد عبد الله الاسكافى احد رؤساء المعتزلة ان الله تعالى لم يخلق الطنابير ولا المزامير ولا المعازف

(قال ابو محمد) كان من تمام هذا الكفر ان يقول ان الله لم يخلق الخمر ولا الخنازير ولا المردة الشياطين وقالت المعتزلة باسرها حاشا بشر بن المعتمر وضرار ابن عمرو وانه لا يحل لاحد تمنى الشهادة ولا ان يريدها ولا ان يرضاها لانها تغليب كافر على مسلم وانما يجب على المسلم ان يحب الصبر على الم الجراح فقط اذا اصابته

(قال ابو محمد) وهذا خلاف دين الاسلام والقران والسنن والاجماع المتيقن وقالوا كلهم حاشا ضرارا وبشرا ان الله لم يمت رسولا ولا نبيا ولا صاحب نبي ولا امهات المؤمنين وهو يدري انهم لو عاشوا فعلوا خيرا لكن امات كل من امات منهم اذ علم انه لو ابقاه طرفة عين لكفروا او فسق ولا بد هذا قولهم فى ابى بكر وعمر وعلي وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة وخديجة نعم وفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وموسى وعيسى وابراهيم عليهم السلام فاعجبوا لهذه الضلالات الوحشية وكان الجعد وهو من شيوخهم يقول اذا كان الجماع يتولد منه الولد فانا صانع ولدى ومدبره وفاعله لا فاعل له غيرى وانما يقال ان الله خلقه مجاز الا حقيقة فاخذ ابو على محمد بن عبد الوهاب الجبائى الطرف الثانى من الكفر فقال ان تعالى خلق الحبل والموت وكل من فعل شيا فهو منسوب اليه فان الله تعالى هو محبل النساء وهو احبل مريم بنت عمران

(قال ابو محمد) يلزم ولا بد اذا كان اولادنا خلقا لله عز وجل ان يضيفهم اليه فيقول هم ابناء الله والمسيح ابن الله ولا بد وقال ابو عمرو احمد بن موسى بن احدير صاحب السكة وهو من شيوخ المعتزلة فى بعض رسائله التى جرت بينه وبين القاضى منذر بن سعيد رحمه الله ان الله عاقل واطلق عليه هذا الاسم وقال بعض شيوخ المعتزلة ان العبد اذا عصى الله عز وجل طبع على قلبه فيصير غير مامور ولا منهى واما حماقاتهم فان ابا الهذيل العلاف قال

حتى لا تصل انفاسهم الى الصنم ويذبحون له الذبائح ويقربون له القرابين ويهدون له الهدايا واذا انصرفوا من حجهم لم يدخلوا العمران فى طريقهم ولم ينظروا الى محرم ولم يصلوا الى احد بسوء وضرر من قول وفعل

(عبدة الكواكب) ولم ينقل للهند مذهب فى عبادة الكواكب الا فرقتان توجهتا الى النيرين الشمس والقمر ومذهبهم فى ذلك مذهب الصبائية فى توجههم الى الهياكل السموية دون قصر الربوبية والالهية عليها

عبدة الشمس زعموا ان الشمس ملك من الملائكة ولها نفس وعقل ومنها نور الكواكب وضياء العالم وتكون الموجودات

من سرق خمسة دراهم او قيمتها فهو فاسق منسلخ من الاسلام مخلد أبدا في النيران الا ان يتوب وقال بشر بن المعتمر ان من سرق عشرة دراهم غير حبة فلا اثم عليه ولا وعيد فان سرق عشرة دراهم خرج عن الاسلام ووجب عليه الخلود الا ان يتوب وقال النظام ان سرق ماتي درهم غير حبة فلا اثم عليه ولا وعيد وان سرق ماتي درهم خرج عن الاسلام ولزمه الخلود الا ان يتوب وقال أبو بكر احمد بن علي بن أحور بن الاخشيد وهو أحد رؤسائهم الثلاثه الذين انتهت رياستهم اليهم وافترقت المعتزلة على مذاهبهم والثاني منهم أبو هاشم الجبائي والثالث عبدالله بن محمد بن محمود البلخي المعروف بالكعبي وكان والد أحمد بن علي المذكور احد قواد الفراعنة وولي الثغور للمعتضد وللمكتفي فكان من قول احمد المذكور ان من ارتكب كل ذنب في الدنيا وهكذا ابدا متى عاد لذلك الذنب أو لغيره من القتل فما دونه الا انه ندم أثر فعله له فقد صحت توبته وسقط عنه ذلك الذنب ابدا وهكذا أبدا متى عاد لذلك الذنب او لغيره

(قال أبو محمد) هذا قول لم يبلغه جماهير المرجئة وهو مع ذلك يدعي القول بانفاذ الوعد والوعيد وما على اديم الارض مسلم لا يندم على ذنبه وقال عبد الرحمن تلميذ ابي الهذيل ان الحجة لا تقوم في الاخبار الا بنقل خمسة يكون فيهم ولي لله لا أعرفه بعينه وعن كل واحد من أولئك الخمسة خمسة مثلهم وهكذا أبدا وقال صالح تلميذ النظام ان من رأى رؤيا انه بالهند او انه قتل او انه اى شيء رأى فانه حق يقين كما رأى كما لو كان ذلك في اليقظة وقال عباد بن سليمان الحواس سبع وقال النظام الالوان جسم وقد يكون جسمان في مكان واحد وكان النظام يقول لا نعرف الاجسام بالاخبار اصلا لكن كل من رأى جسما سواء كان المرئى انسانا او غير انسان فان الناظر اليه اقتطع منه قطعة اختلطت بجسم الرائي ثم كل من أخبره ذلك الرائي عن ذلك الجسم فان المخبر ايضا اخذ من تلك القطعة قطعة وهكذا ابدا

(قال ابو محمد) وهذه قصة لولا اننا وجدناها عنه من طريق تلامذته المعظمين له ذكروها في كتبهم عنه ما عرفناها على ذي مسكة من عقل فالزمه خصومه على هذا ان قطعا من جبريل وميكائيل ومن النبي صلى الله عليه وسلم ومن موسى وعيسى وابراهيم عليهم السلام في نار جهنم وان قطعا من فرعون وابليس وابي لهب وابي جهل في الجنة وكان يزعم انه لا سكون في شيء من العالم اصلا وان كل سكون يعلم بتوسط البصر فهو حركة بلاشك وكان معمر يزعم انه لا حركة في شيء من العالم وان كل ما يسميه الناس حركة فهو سكون وكان عباد بن سليمان يقول ان الامة اذا اجتمعت وصلحت ولم تتظالم احتاجت حينئذ الى امام يسوسها ويدبرها وان عصت وفجرت وظلمت استغنت عن الامام وكان ابو الهذيل يقول ان الانسان لا يفعل شيئا في حال استطاعته وانما يفعل بالاستطاعة بعد ذهابها فلزمه خصومه ان الانسان انما يفعل اذا لم يكن مستطيعا واما اذا كان مستطيعا فلا وان الميت يفعل كل فعل في العالم

(قال ابو محمد) وحماقاتهم اكثر من ذلك ونعوذ بالله من الخذلان

شنع المرجئة

(قال ابو محمد) غلاة المرجئة طائفتان احداهما الطائفة القائلة بان الايمان قول باللسان وان

عقد

السفلية وهي ملك الفلك يستحق التعظيم والسجود والتبخير والدعاء وهؤلاء يسمون الدينكيتية أي عباد الشمس ومن سنتهم ان اتخذوا لها صنما بيده جوهر على لون النار وله بيت خاص بنوه باسمه ووقفوا عليه ضياعا وقرايا وله سدنة وقوام فيأتون البيت ويصلون ثلاث كرات ويأتيه اصحاب العلل والامراض فيصومون له ويصلون ويدعون ويستشفعون به (عبدة القمر) زعموا أن القمر ملك من الملائكة يستحق التعظيم والعبادة واليه تدبير هذا العالم السفلى والامور الجزئية فيه ومنه نضج الأشياء المتكونة واتصالها الى كمالها وزيادته

اعتقد الكفر بقلبه فهو مؤمن عند الله عز وجل ولي له عز وجل من اهل الجنة وهذا قول محمد ابن كرام السجستاني واصحابه وهو بخراسان وبيت المقدس والثانية الطائفة القائلة ان الايمان عقد بالقلب وان اعلن الكفر بلسانه بلا تقية وعبد الاوثان اولزم اليهودية او النصرانية في دار الاسلام وعبد الصليب واعلن التثليث في دار الاسلام ومات على ذلك فهو مؤمن كامل الايمان عند الله عز وجل ولي لله عز وجل من اهل الجنة وهذا قول ابي محرز جهم بن صفوان السمرقندي مولى بني راسب كاتب الحارث بن سريج التميمي ايام قيامه على نصر بن سيار بخراسان وقول ابي الحسن علي ابن اسماعيل بن ابي اليسر الاشعري البصري واصحابهما فاما الجهمية فبخراسان واما الاشعرية فكانوا ببغداد والبصرة ثم قامت لهم سوق بصقلية والقيروان وبالاندلس ثم رق امرهم والحمد لله رب العالمين فمن فضائح الجهمية وشنعهم قولهم بان علم الله محدث مخلوق وانه تعالى لم يكن يعلم شيئا حتى احدث لنفسه علما علم به وكذلك قولهم في القدرة وقال ايضا ان الجنة والنار يفنيان ويفني كل من فيهما وهذا خلاف القرآن والثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلاف اجماع اهل الاسلام المتيقن وقال بعض الكرامية المنافقون مؤمنون من اهل الجنة وقد اطلق ذلك بالمرية محمد بن عيسى الصوفي الالبيري وكانت الفاظه تدل على انه يذهب مذهبهم في التجسيم وغيره وكان ناسكا متقللا من الدنيا واعظا مفوها مهذارا قليل الصواب كثير الخطأ رأيته مرة وسمعته يقول ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يلزمه زكاة مال لانه اختار ان يكون نبيا عبدا والعبد لا زكاة عليه ولذلك لم يورث ولا ورث فامسكت عن معارضته لان العامة كانت تحضره فخشيت لغطهم وتشنيعهم بالباطل ولم يكن معي احد الا يحيى بن عبد الكثير بن وافد كنت اتيت انا وهو معي متنكرين لنسمع كلامه وبلغني عنه شنع منها القول بحلول الله فيما شاء من خلقه اخبرني عنه بهذا ابو احمد الفقيه المعافري عن ابي علي المقري وكان على بنت محمد بن عيسى المذكور وغير هذا ايضا ونعوذ بالله من الضلال وقالت طائفة الكرامية المنافقون مؤمنون مشركون من اهل النار وقالت طائفة منهم ايضا من آمن بالله وكفر بالنبي صلى الله عليه وسلم فهو مؤمن كافر معا ليس مؤمنا على الاطلاق ولا كافرا على الاطلاق وقال مقاتل ابن سليمان وكان من كبار المرجئة لا يضر مع الايمان سيئة جلت او قلت اصلا ولا ينفع مع الشرك حسنة اصلا وكان مقاتل هذا مع جهم بخراسان في وقت واحد وكان يخالفه في التجسيم كان جهم يقول ليس الله تعالى شيئا ولا هو ايضا لا شيء لانه تعالى خالق كل شيء فلا شيء الا مخلوق وكان مقاتل يقول ان الله جسم ولحم ودم على صورة الانسان وقالت الكرامية الانبياء يجوز منهم كبائر المعاصي كلها حاشا الكذب في البلاغ فقط فانهم معصومون منه وذكر لي سليمان بن خلف الباجي وهو من رؤس الاشعرية ان فيهم من يقول ايضا ان الكذب في البلاغ ايضا جائز من الانبياء والرسل عليهم السلام

(قال ابو محمد) وكل هذا كفر محض وذكر عنهم محمد بن الحسن بن فورك الاشعري انهم يقولون ان الله تعالى يفعل كلما يفعل في ذاته وانه لا يقدر على افناء خلقه كله حتى يبقى وحده كما كان قبل ان يخلق وقالوا ايضا ان كلام الله تعالى اصوات وحروف هجاء مجتمعة كلها ابدا لم تزل ولا تزال وقالوا ايضا لا يقدر الله على غير ما فعل وقالوا ايضا انه متحرك

ونقصانه وهؤلاء يسمون الجندريكينية اي عباد القمر ومن سنتهم ان تخذوا صنما على صورة جوهر وبيد الصنم جوهر ومن دينهم ان يسجدوا له ويعبدوه وان يصوموا النصف من كل شهر ولا يفطروا حتى يطلع القمر ثم ياتون صنمه بالطعام والشراب واللبن ثم يرغبون وينظرون الى القمر ويسالونه عن حوائجهم فاذا استهل الشهر علوا السطح واوقدوا الدخن ودعوا عند رايته ورغبوا اليه ثم نزلوا عن السطوح الى الطعام والشراب والفرح والسرور ولم ينظروا اليه الا على وجوه حسنة وفي نصف الشهر اذا فرغوا من الافطار اخذوا في الرقص واللعب

ابيض اللون وذكر عنهم انهم يقولون انه تعالى لا يقدر على اعادة الاجسام بعد بلائها لكن يقدر على ان يخلق مثلها ومن حماقاتهم انهم يجيزون كون امامين واكثر في وقت واحد وأما الاشعرية فقالوا ان شتم من أظهر الاسلام الله تعالى ولرسوله بافحش ما يكون من الشتم واعلان التكذيب بهما باللسان بلا تقية ولا حكاية والاقرار بانه يدين بذلك ليس شيء من ذلك كفرا ثم خشوا مبادرة جميع اهل الاسلام لهم فقالوا لكنه دليل على أن في قلبه كفرا فقلنا لهم وتقطعون بصحة ما دل عليه هذا الدليل فقالوا لا وقالت الاشعرية ان ابليس قد كفر ثم اعلن بعصيان الله تعالى في السجود لآدم عليه السلام فان ابليس من حينئذ لم يعرف ان الله تعالى حقا ولا انه خلقه من نار ولا انه خلق آدم من تراب وطين ولا عرف ان الله امره بالسجود لآدم بعدها قط ولا عرف بعد هذا قط ان الله كرم آدم ومن قولهم باجمعهم ان ابليس لم يسال الله قط ان ينظره الى يوم البعث فقلنا لهم ويلكم ان هذا تكذيب لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم ورد للقرآن قالوا لنا ان ابليس انما قال كل ذلك هازئا مستهزئا بلا معرفة ولا اعتقاد كان هذا اشنع كفروا برده بعد كفر الغالية من الرافضة وقالوا ان ابليس لم يكفر بمعصيته الله في ترك السجود لآدم ولا بقوله عن آدم انا خير منه وانما كفر بجحد الله تعالى كان في قلبه

﴿قال ابو محمد﴾ هذا خلاف للقرآن وتكهن لا يعرف صحته الا من حدثه بها ابليس عن نفسه على ان الشيخ غير ثقة فيما يحدث به وقالت الاشعرية ايضا ان فرعون لم يعرف قط ان موسى انما جاء بتلك الآيات من عند الله حقا وان اليهود والنصارى الذين كانوا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم لم يعرفوا قط ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم حقا ولا عرفوا انه مكتوب في التوراة والانجيل وان من عرف ذلك منهم وكتمه وتمادى على اعلان الكفر ومحاربة النبي صلى الله عليه وسلم بخيبر ومن بني قريظة وغيرهم فانهم كانوا مؤمنين عند الله عز وجل اولياء لله من اهل الجنة فقلنا لهم ويلكم هذا تكذيب لله عز وجل اذ يقول *يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل*و*يعرفونه كما يعرفون ابناءهم*و*فانهم لا يكذبونك* فقالوا انما معنى انهم وجدوا خطا مكتوبا عندهم لم يفهموا معناه ولا دروا ما هو ونعم عرفوا صورته فقط ودروا ان محمد بن عبد الله بن عبد المطلب كما يعرف الانسان جاره فقط فكان هذا كفرا باردا او تحريفا لكلام الله تعالى عن مواضعه ومكابرة سمجة وحماقة ودفعا للضرورة وقد تقصينا الرد على اهل هذه المقالة الملعونة في كتاب لنا رسمه كتاب اليقين في النقض على الملحدين المحتجين عن ابليس اللعين وسائر الكافرين تقصينا فيه كلام رجل من كبارهم من اهل القيروان اسمه عطاف بن دوتاس في كتاب الفه في نصر هذه المقالة وكان لشيخهم الاشعري في اعجاز القرآن قولان احدهما كما يقول المسلمون انه معجز النظم والآخر انما المعجز الذي لم يفارق الله عز وجل قط والذي لم يزل غير مخلوق ولا نزل الينا ولا سمعناه قط ولا سمعه جبريل ولا محمد عليهما السلام قط واما الذي يقرأ في المصاحف ونسمعه فليس معجزا بل مقدور على مثله وهذا كفر صحيح وخلاف لله تعالى ولجميع اهل الاسلام وقال كبيرهم وهو محمد بن الطيب الباقلاني ان لله تعالى خمسة عشر صفة كلها قديمة لم تزل مع الله تعالى وكلها غير الله وخلاف الله تعالى وكل واحدة منهن غير الاخرى منهن وخلاف لسائرها وان الله تعالى غيرهن وخلافهن

والمعازف بين يدي الصنم والقمر (عبدة الاصنام) اعلم ان الاصناف التي ذكرنا مذاهبهم انما يرجعون آخر الامر الى عبادة الاصنام اذا كان لا يستمر لهم طريقة الا بشخص حاضر ينظرون اليه ويعكفون عليه ومن هذا اتخذت أصحاب الروحانيات والكواكب أصناما زعموا أنها على صورتها وبالجملة وضع الاصنام حيثما قدر انما هو على معبود عليه الحيا غائب حتى يكون الصنم المعمول على صورته وشكله وهيئته نائبا منابه وقائما مقامه والا فنعلم قطعا ان عاقلا ما لا ينحت بيده خشبا صورة ثم يعتقد انه الهه وخالقه وخالق الكل اذ كان وجوده

(قال ابو محمد) هذا والله اعظم من قول النصارى وادخل فى الكفر والشرك لان النصارى لم يجعلوا مع الله تعالى الا اثنين هو ثالثهما وهؤلاء جعلوا معه تعالى خمسة عشر هو السادس عشر لهم وقد صرح الاشعرى فى كتابه المعروف بالمجالس بان مع الله تعالى اشياء سواه لم تزل كما يزل

(قال ابو محمد) وهذا ابطال التوحيد علانية وانما حملهم على هذا الضلال ظنهم ان اثبات علم الله تعالى وقدرته وعزته وكلامه لا يثبت الا بهذه الطريقة الملعونة ومعاذ الله من هذا بل كل ذلك حق لم يزل غير مخلوق ليس شىء من ذلك غير الله تعالى ولا يقال فى شىء من ذلك هو الله تعالى لان هذه تسمية له عز وجل وتسميته لا تجوز الا بنص وقد تقصينا الكلام فى هذا فى صدر ديواننا هذا والحمد لله رب العالمين وانما جعلنا هاهنا شنع اهل البدع تنفيرا عنهم وايحاشا للاغمار من المسلمين من الانس بهم ومن حسن الظن بكلامهم الفاسد ولقد قلت لبعضهم اذا قلتم ان مع الله تعالى خمسة عشر صفة كلها غيره وكلها لم تزل فما الذى انكرتم على النصارى اذ قالوا ان الله ثالث ثلاثة فقال لى انما انكرنا عليهم اذ جعلوا معه شيئين فقط ولم يجعلوا معه اكثر ولقد قال لى بعضهم اسم الله تعالى وهو قولنا الله عبارة تقع على ذات البارى وجميع صفاته لا على ذاته دون صفاته فقلت له اتعبد الله ام لا فقال لى نعم فقلت له فانما تعبد اذا باقرارك الخالق وغيره معه فيكفيك فنفر نفرة وقال معاذ الله من هذا ما اعبد الا الخالق وحده فقلت له فانما تعبد اذا باقرارك بعض ما يسمى به الله فنفر اخرى وقال معاذ الله من هذا وانا واقف فى هذه المسئلة وقال شيخ لهم قديم وهو عبد الله بن سعيد بن كلاب البصرى ان صفات الله تعالى ليست باقية ولا فانية ولا قديمة ولا حديثة لكنها لم تزل غير مخلوقة هذا مع تصريحه بان الله قديم باق ومن حماقات الاشعرية قولهم ان للناس احوالا ومعانى لا معدومة ولا موجودة ولا معلومة ولا مجهولة ولا مخلوقة ولا غير مخلوقة ولا ازلية ولا محدثة ولا حق ولا باطل وهى علم العالم بان له علما ووجود الواجد لوجوده كلما يجد هذا امر سمعناه منهم نصا ورأيناه فى كتبهم فهل فى الرعونة اكثر من هذا وهل يمكن الموسوس والمبرسم ان ياتى باكثر من هذا ولقد حاورنى سليمان بن خلف الباجى كبيرهم هذه المسالة فى مجلس حافل فقلت له هذا كما تقول العامة عندنا عنب لا من كرم ولا من دالية ومن هوسهم قولهم ان الحق غير الحقيقة ولا ندرى فى اى لغة وجدوا هذا ام فى اى شرع وارد ام فى اى طبيعة ظفروا به فقالوا ان الكفر حقيقة وليس بحق وقلنا كلا بل وجوده عن حقيقة ومعناه باطل لا حق ولا حقيقة وقالوا كلهم ان الله حامل لصفاته فى ذاته هذا نص قول ابى جعفر السمنانى المكفوف قاضى الموصل وهو اكبر اصحاب الباقلانى ومقدم الاشعرية فى وقتنا هذا وقال هذا السمنانى أيضا ان من سمى الله تعالى جسما من اجل انه حامل لصفاته فى ذاته فقد اصاب المعنى واخطأ فى التسمية فقط وقال هذا السمنانى ان الله تعالى مشارك للعالم فى الوجود وفى قيامه بنفسه كقيام الجواهر والاجسام وفى انه ذو صفات قائمة به موجودة بذاته كما ثبت ذلك فيما هو موصوف بهذه الصفات من جملة اجسام العالم وجواهر هذا نص كلام السمنانى حرفا حرفا

(قال ابو محمد) ما اعلم احد من غلاة المشبهة اقدم على ان يطلق ما اطلق هذا المبتدع

مسبوقا بوجود صانعه وشكله محدث بصنعة ناحته لكن القوم لما عكفوا على التوجه اليها وربطوا حوائجهم بها من غير اذن وحجة وبرهان وسلطان من الله تعالى كان عكوفهم ذلك عبادة وطلبهم الحوائج منها اثبات الهية لها وعن هذا كانوا يقولون * ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفا * فلو كانوا مقتصرين على صورها فى اعتقاد الربوبية والالهية لما تعدوا عنها الى رب الارباب (الهاكالية) لهم صنم يدعى مهاكال له اربع أيد كثير شعر الرأس سبطها وباحدى يديه ثعبان عظيم فاغر فاه وباخرى عصا وبالثالثة رأس انسان وبالرابعة كانه يدفعها وفى اذنيه حيتان كالقرطين وعلى جسده ثعبانان عظيمان قد التفا عليه وعلى

الجاهل الملحد المتهور من ان الله تعالى مشارك للعالم حاشا الله من هذا وقال السمناني عن شيوخه من الاشعرية ان معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته انما هو على صفة الرحمن من الحياة والعلم والاقتدار واجتماع صفات الكمال فيه واسجد له ملائكته كما اسجدهم لنفسه وجعل له الامر والنهي على ذريته كما كان لله تعالى كل ذلك

(قال ابو محمد) هذا نص كلامه حرفا حرفا وهذا كفر صريح وشرك بواح اذ صرح بان آدم على صفة الرحمن من اجتماع صفات الكمال فيهما فالله تعالى وآدم عنده مثلان مشتبهان في اجتماع صفات الكمال فيهما ثم لم يقنع بهذه السوءة حتى صرح بان سجود الملائكة لآدم كسجودهم لله عز وجل وحاشا لله من هذا لان سجود الملائكة لله تعالى سجود عبادة وديانة لخالقهم وسجودهم لادم سجود سلام وتحية وتشريف منهم لآدم واكرام له بذلك كسجود يعقوب لابنه يوسف عليهما السلام فقط ثم زاد اللعين كفرا على كفر بنصه أن الله تعالى جعل له الامر والنهي على ذريته كما كان لله تعالى ذلك وهذا شرك لا خفاء به كشرك النصارى في المسيح ولا فرق ونسال الله تعالى العافية وقال هذا السمناني أن مذهب شيوخه انهم لا يقولون أن الامر بالشيء دال على كونه مرادا للآمر قديما كان أو محدثا ولا يدل النهي على كونه مكروها هذا نص كلامه وهذا خلاف الاسلام والاجماع والمعقول وتصريح ان الله تعالى اذا أمر بالصلاة والزكاة والحج والصيام والجهاد وشهادة الاسلام فليس في ذلك دليل على انه يريد شيئا من ذلك واذ نهى عن الكفر والزنا والبغي والسرقة وقتل النفس ظلما فليس ذلك دليلا على انه يكره شيئا من ذلك وما في الاقوال اشنع من هذا القول وقال السمناني انه لا يصح القول بان علم الله تعالى مخالف للعلوم كلها ولا ان قدرته مخالفة للقدر كلها لانها كلها داخلة تحت قولنا ووصفنا للقدر والعلوم هذا نص كلامه وهذا بيان بان دينهم ان علم الله تعالى وقدرته من نوع علمنا وقدرتنا واذا الامر كذلك عنده فعلمنا وقدرتنا عرضان فينا مخلوقان فوجب ضرورة ان علم الله تعالى وقدرته عرضان في الله مخلوقان اذ من الممتنع وقوع ما لم يزل مع المحدث المخلوق تحت حد واحد ونوع واحد ونص هذا السمناني ومحمد بن الحسن بن فورك في صدر كلامه في كتاب الاصول ان الحدود لا تختلف في قديم ولا محدث قالوا ذلك في كلامهم في علم الله تعالى في تحديدهم لمعنى العلم بصفة يقع تحتها علم الله تعالى وعلوم الناس وهذا نص منهم على ان الله تعالى محدود واقع منه تحت الحدود وهو علمه وقدرته وهو شر من قول جهم شيخهم في الحقيقة وأبين من قول كل مشبه في الارض ونص هذا السمناني على ان العالم والقادر والمريد من الله تعالى ومن خلقه انما كان محتاجا الي هذه الصفات لكونه موصوفا بها لا لجوازها عليه هذا نص كلامه وهذا تصريح منهم بلا تكلف ولا تاويل بان الله تعالى عن كفرهم هذا الارعن محتاج الى الصفات وهذا كفر ما يدري ان احدا بلغه ونص هذا السمناني ايضا على ان الله تعالى لما كان حيا عالما كان موصوفا بالحياة والعلم والقدرة والارادة حتى لا يختلف الحال في ذلك في الشاهد والغائب هذا نص كلامه وهذا تصريح منه على ان الله تعالى حالا لم يخالفه فيها خلقه بل هو وهم فيها سواء ونص هذا السمناني على انه اذا كانت الصفات الواجبة لله تعالى في كونه عالما قادرا لا يغني وجوبها له عن ما هو مصحح لها من الحياة فيه كما لا يوجب غناه

رأسه اكاليل من عظام القحف وعليه من ذلك قلادة يزعمون انه عفريت يستحق العبادة لعظيم قدره واستحقاقه لها لما فيه من الخصال المحمودة المحبوبة والمذمومة من الاعطاء والمنع والاحسان والاساءة وانه مفزع لهم في حاجاتهم وله بيوت عظام بارض الهند ياتون اليها أهل ملته في كل يوم ثلاث مرات يسجدون له ويطوفون به ولهم موضع يقال له اختر فيه صنم عظيم على صورة هذا الصنم ياتونه من كل موضع ويسجدون له هناك ويطلبون حاجات الدنيا حتى ان الرجل يقول له فيما يسال زوجني فلانة واعطني كذا ومنهم من ياتيه ويقيم عنده الايام لا يذوق شيئا يتضرع اليه ويساله الحاجة حتى ربما يتفق

عما يوجب كونه عالما قادرا عن القدرة والعلم

﴿ قال ابو محمد ﴾ هذا نص جلي على ان الله تعالى غير غني عن شيء هو غيره لان الصفات عندهم هي غيره تعالى والله تعالى عندهم غير غني عنها تعالى الله واذا لم يكن غنيا عنها فهو فقير اليها هكذا قالت اليهود ان الله فقير تعالى الله عن هذا بل هو الغني جملة عما سواه وكل من دونه فقير اليه تعالى وقال السمناني ان قال قائل لم انكرتم ان يكون الله مريدا لنفسه حسب ما قاله النجار والجاحظ قيل له انكرنا ذلك لما قدمنا ذكره من ان الواحد من الخلق مريد بارادة ولا يخلو ان يكون حقيقة المريد من له الارادة أو كونه مريد اوجود الارادة له وأي الامرين كان وجبت مساواة الغائب الشاهد في هذا الباب

(قال ابو محمد) وهذا نص جلي على مساواة الله تعالى لخلقه عند هذا الجاهل وهذا أعظم في الكفر من قول كل مجسم لان جميع المجسمين لم يقدم احد منهم قط على القول بان الله تعالى مساو لخلقه قبل هذه الفرقة الملعونة ثم العجب قطعهم بان الله عز وجل غايب غير شاهد وحاشا الله عن هذا بل هو معنا وهو اقرب الينا من حبل الوريد كما قال عز وجل انه حاضر في العقول غير غائب وقال الباقلاني ما وجد في الله تعالى من التسميات فانه يجوز اطلاقها عليه وان لم يسم بذلك نفسه ما لم يرد شرع يمنع من ذلك

(قال ابو محمد) هذا نص منه على ان هاهنا معاني توجد في الله تعالى مع الالحاد في اسمائه اذ جاز تسميته بما لم يسم به عز وجل نفسه تعالى الله عن هذا علوا كبيرا وقالوا كلهم ان الله تعالى ليس له الا كلام واحد وليس له كلمات كثيرة

﴿ قال ابو محمد ﴾ هذا كفر مجرد لخلافه القرآن وتكذيب لله عز وجل في قوله * قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا * واذ يقول تعالى * ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله * مع ان قولهم ليس لله تعالى الا كلام واحد قول احمق لا يعقل ولا يقوم به برهان شرعي ولا تشكل في هاجس ولا يوجبه عقل انما هو هذيان محض ويقال لهم لا يخلو القرآن عندهم من انه كلام الله تعالى أو ليس هو كلام الله تعالى فان قالوا ليس هو كلام الله تعالى كفروا من قرب وكفى الله تعالى مؤنتهم وان قالوا هو كلام الله تعالى فالقرآن مائة سورة واربعة عشر سورة فيها ستة آلاف اية ونيف كل سورة منها عند اهل الاسلام غير الاخرى وكل آية غير الاخرى فكيف يقول هؤلاء النوكى انه ليس لله تعالى الا كلام واحد اما هذا من الكفر البارد والقحة السمجة ونعوذ بالله من الضلال وقالوا كلهم ان القرآن لم ينزل به قط جبريل على قلب محمد عليه الصلاة والسلام وانما نزل عليه بشيء آخر هو العبارة عن كلام الله وان القرآن ليس عندنا البتة الا على هذا المجاز وان نرى في المصاحف ونسمع من القراء ونقرأ في الصلاة ونحفظ في الصدور ليس هو القرآن البتة ولا شيء منه كلام الله البتة بل شيء آخر وان كلام الله تعالى لا يفارق ذات الله عز وجل

(قال ابو محمد) وهذا من اعظم الكفر لان الله تعال قال * بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ * وقال تعالى . نزل به الروح الامين على قلبك * وقال تعالى * فاجره حتى يسمع كلام الله . وقال تعالى ، بل آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم . وقال رسول الله

(البركسهكية) من سنتهم ان يتخذوا لانفسهم صنما يعبدونه ويقربون له الهدايا وموضع تعبدهم له ان ينظرو الى باسق الشجر وملتفه مثل الشجر الذي يكون في الجبال فيلتمسون منها أحسنها وأطولها فيجعلون ذلك الموضع موضع تعبدهم ثم ياخذون ذلك الصنم فياتون شجرة عظيمة من تلك الشجرة فينقبون فيها موضعا يركبونه فيها فيكون سجودهم وطوافهم نحو تلك الشجرة (الدهكينية) من سنتهم أن ياخذوا صنما على صورة امرأة وفوق رأسه تاج وله أيدي كثيرة ولهم عيد في يوم من السنة عند استواء الليل والنهار والشمس والقمر ودخول الشمس في الميزان فتخذون في ذلك اليوم عريشا

صلى الله عليه وسلم اني احب ان أسمعه من غيري يعني القرآن وقال عليه السلام الذي يقرأ القرآن مع السفرة الكرام البررة ونهيه صلى الله عليه وسلم ان يسافر بالقرآن الى ارض العدو والى اجماع عامة المسلمين وخاصتهم وجاهلهم وعالمهم على القول حفظ فلان القرآن وقرأ فلان القرآن وكتب فلان القرآن في المصحف وسمعنا القرآن من فلان وكلام الله تعالى ما في المصحف من أول ام القرآن الى آخر قل أعوذ برب الناس وقال السمناني ايضا ان الباقلاني وشيوخه قالوا ان النبي صلى الله عليه وسلم انما اطلق القول بان ما انزل الله هو القرآن وهو كلام الله تعالى انما هو على معنى انه عبارة عن كلام الله تعالى وانه يفهم منه امره ونهيه فقط

(قال ابو محمد) ويقال لهم اخبرونا عن قولكم ان الكتاب هو المصحف والقراءة المسموعة في المحارب كل ذلك عبارة عن القرآن فماذا تعنون بذلك وهل هذا منكم الا تمويه ضعيف وهل كل ما في المصحف الا عبارة عن معانيه التي اراده الله تعالى في شرع دينه من الصلاة والصيام والايمان وغير ذلك واخبار الامم السالفة وصفة الجنة والنار والبعث وغير ذلك مما لا يختلف من اهل الاسلام احد في ان المعبر عنه بذلك الكلام ليس هو كلام الله اصلا لان ذات الجنة وذات النار وحركات المصلي وعمل الحاج وعمل الصائم واجسام عاد واشخاص ثمود ليس شيء من ذلك كلام الله تعالى ولا قرآنا فثبت ان ليس هو القرآن ولا هو كلام الله الا العبارة المسموعة فقط والكلام المقروء والخط المكتوب في المصحف بلا شك اذ لم يبق غير ذلك او الكفر وتكذيب الله تعالى وتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم في ان القرآن أنزل عليه واننا نسمع كلام الله وهمتم الضعفاء ان الذي هو كلام الله والقرآن عند جميع اهل الاسلام ليس هو القرآن ولا هو كلام الله ثم اوهمتموهم باستخفافكم ان حركات المتحركين وذات الجنة وذات النار هي كلام الله تعالى وهي القرآن تهالكا في الضلال والسخرية بضعفة المسلمين والهزء بآيات الله تعالى اكثر من هذا ولقد اخبرني علي بن حمزة المراوي الصقلي الصوفي انه رأى بعض الاشعرية يبطح المصحف برجله قال فاكبرت ذلك وقلت له ويحك هكذا تصنع بالمصحف وفيه كلام الله تعالى فقال لي ويلك والله ما فيه الا السخام والسواد وأما كلام الله فلا ونحو هذا من القول الذي هذا معناه وكتب الي ابو المرجى بن رزوار المصري ان بعض ثقات اهل مصر اخبره من طلاب السنن ان رجلا من الاشعرية قال له مشافهة على من يقول ان الله قال قل هو الله احد الله الصمد الف لعنة

(قال ابو محمد) بل على من يقول ان الله عز وجل لم يقلها الف الف لعنة تترى وعلى من ينكر أننا نسمع كلام الله ونقرأ كلام الله ونحفظ كلام الله ونكتب كلام الله الف الف لعنة تترى من الله عز وجل فان قول هذه الفرقة في هذه المسألة نهاية الكفر بالله عز وجل ومخالفة للقرآن والنبي صلى الله عليه وسلم ومخالفة جميع اهل الاسلام قبل حدوث هذه الطائفة الملعونة

(قال ابو محمد) وقالت الاشعرية كلها ان الله عز وجل لم يزل قائلا لكل ما خلق او يخلق في المستأنف كن الا ان الاشياء لم تكن الا حين كونها وهذا تكذيب منهم مكشوف لله عز وجل اذ يقول * انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون * فبين الله تعالى انه لا يقول لشيء كن الا اذا اراد تكوينه وانه اذا قال له كن كان الشيء في الوقت بلا مهلة لان هذا هو مقتضى الفاء في لغة العرب التي بها نزل القرآن فجمعوا الى تكذيب الله عز وجل في

بها

عظيما بين يدي ذلك الصنم ويقربون اليه القرابين من الغنم وغيرها ولا يذبحونها ولكن يضربون اعناقها بين يديه بالسيوف ويقتلون من اصابوا من الناس قربانا بالغيلة حتى ينقضي عيدهم وهم مسيئون عند عامة أهل الهند بسبب الغيلة (الجلهكية) أي عباد الماء يزعمون أن الماء ملك ومعه ملائكة وانه اصل كل شيء وبه ولادة كل شيء ونمو ونشو وبقاء وطهارة وعمارة وما من عمل في الدنيا الا ويحتاج الى الماء فاذا أراد الرجل عبادته تجرد وستر عورته ثم دخل الماء حتى وصل الى حلقه فيقيم ساعة أو ساعتين أو اكثر وياخذ ما امكنه من الرياحين فيقطعها صغارا يلقي فيه بعضه بعد بعض وهو يسبح ويقرأ فاذا اراد

خبريه جميعا ايجاب ازلية العالم لان الله تعالى اذا كان لم يزل قائلا لما يكون كن فان التكوين لم يزل وهذه دهرية محضة ثم قال السمناني بعد اسطر لانه لو وجب وجود ما وجد فى الوقت الذى وجد فيه لاجل قول الله تعالى كن لوجب ان يوجد لاجل قول غيره له كن لان صفة الاقتضاء لا تختلف فى ذلك بين القديم والمحدث

(قال ابو محمد) هذا نص كلام هذا الفاسق الملحد حرفا حرفا وهذا كفر محض وحماقة لا خفاء بها اما الكفر فابطاله ان وجود الاشياء فى الاوقات التى وجدت فيها انما وجدت لاجل قول الله تعالى لها كن وايجابه ان الاشياء لم توجد فى احيان وجودها لقول الله تعالى لها كن وهذا تكذيب لله تعالى صرف وخروج عن اجماع اهل الاسلام وكل من يصلى الى القبلة قبلهم ومن الكفر الصريح ايضا فى هذا الكلام الملعون قوله ان صفة الاقتضاء فى ذلك لا تختلف بين القديم والمحدث فسوى بين الله تعالى وخلقه واما الحماقة فقوله لو وجدت الاشياء من اجل قول الله تعالى لها كن لوجب ان يوجد لاجل قول غيره لها كن فيا المسلمين هل سمع فى الحمق والرعونة وقلة الحياء اكثر من قول من سوى بين قول الله عز وجل كن للشىء اذا اراد تكوينه وبين قول غيره من الناس كن وهذا اخبث من قول الدهرية ونعوذ بالله من الضلال فلولا الخذلان ما انطلق بهذا النوك لسان من لا يقذف بالحجارة فى الشوارع وما شبهت بهذا الكلام الا كلام النذل ابى هاشم الجبائى لو لم يجز لنا ان نسمى الله تعالى باسم حتى أذن لنا فى ذلك لوجب ان لا يجوز لله ان يسمى نفسه حتى ياذن له غيره فى ذلك

(قال ابو محمد) وهذه اقوال لو قالها صبيان يسيل مخاطهم لايس من فلاحهم وتالله لقد لعب الشيطان بهم كما شاء فانا لله وانا اليه راجعون وقالت الاشعرية كلها ان الله لا يقدر على ظلم احد البتة ولا يقدر على الكذب ولا على قول ان المسيح ابن الله حتى يقول قبل ذلك وقالت النصارى وانه لا يقدر على ان يقول عزير ابن الله حتى يقول قبل ذلك وقالت اليهود وانه لا يقدر على ان يتخذ ولدا وانه لا يقدر البتة على اظهار معجزة على يدى كذاب يدعى النبوة فان ادعى الالهية كان الله تعالى قادرا على اظهار المعجزات على يديه وانه تعالى لا يقدر على شىء من المحال ولا على احالة الامور عن حقائقها ولا على قلب الاجناس عن ماهيتها وانه تعالى لا يقدر البتة على ان يقسم الجزء الذى لا يتجزأ ولا على ان يدعو احدا الى غير التوحيد هذا نص كلامهم وحقيقة معتقدهم جعلوه تعالى عاجزا متناهى القوة محدود القدرة يقدر مرة ولا يقدر اخرى ويقدر على شىء ولا يقدر على آخر وهذه صفة النقص وهم مع هذا يقولون ان الساحر يقدر على قلب الاعيان وعلى ان يمسخ انسانا فيجعله حمارا على الحقيقة وعلى المشى فى الهواء وعلى الماء فكان الساحر عندهم أقوى من الله تعالى

(قال ابو محمد) وخشوا مبادرة اهل الاسلام لهم بالاصطلام فخنسوا عن ان يصرحوا بان الله تعالى لا يقدر فقالوا لا يوصف الله بالقدرة على شىء مما ذكرنا

(قال ابو محمد) ولا راحة لهم فى هذا لاننا نقول لهم ولم لا نصفه بالقدرة على ذلك الا انه يقدر على شىء من ذلك ولا له قدرة على كل ذلك ام لانه لا يقدر على كل ذلك ولا له قدرة على شىء من ذلك ولا بد من احدهما بضرورة العقل ومناضلت جبلتهم الضعيفة ولا بد لهم من القطع بانه لا يقدر وبانه لا قدرة له على ذلك واذ قد صرحوا بهذا بالضرورة

توفى قلانوس تراس برهمن على الهند كلهم فرغب الناس فى تلطيف الابدان وتهذيب الانفس وكان يقول اى امرء هذب نفسه واسرع فى الخروج من هذا العالم الدنس وطهر بدنه من اوساخه ظهر له كل شىء وعاين كل غائب وقدر على كل متعذر وكان محبورا مسرورا ملتذا ما اشتغل لا يمل ولا يكل ولا يمسه نصب ولا لغوب فلما نهج لهم الطريق واحتج عليهم بالحجج المقنعة اجتهدوا اجتهادا شديدا وكان يقول أيضا

فاول العقل ومسموع اللغه كلاهما يوجبان أن من لا يقدر على شىء فهو عاجز عنه وان من لا قدرة له على شىء فصفه العجز والضعف لاحقة به فلا بد لهم ضرورة من اطلاق اسم العجز على الله تعالى ووصفه بانه عاجز وهذا حقيقة مذهبهم يقينا الا انهم يخافون البوار ان اظهروه وقال هذا البلاقلانى لا فرق بين النبي والسحر الكذاب المتنبي فيما ياتينا به الا التحدى فقط وقول النبي لمن بحضرته هات من يعمل كعملى وهذا ابطال للنبوة مجرد وقال الباقلاني وابن فورك واشياعهما من اهل الضلالة والجهالة ليس لله تعالى اسماء البتة وانما له تعالى اسم واحد فقط ليس له اسم غيره وان قول الله تعالى * ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى اسمائه * انما اراد ان يقول لله التسميات الحسنى فذروا الذين يلحدون فى تسمياته فقال لله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى اسمائه قالوا وكذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسماء مائة غير واحد انما اراد ان يقول تسعا وتسعين تسميه فقال تسعة وتسعين اسما

(قال ابو محمد) ما في البرهان على قلة الحياء وفساد الدين واستسهال الكذب اكثر من هذا وليت شعرى من اخبرهم عن الله تعالى وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الافك ثم ليت شعري اذ زعموا ان الله تعالى اراد ان يقول التسميات الحسنى فقال الاسماء الحسنى لاى شىء فعل ذلك اللكنة أم غفلة أم تعمد لاضلال عباده ولا سبيل والله الى رابع فاعجبوا لعظيم ما حل بهؤلاء القوم من الدمار والتبار والكذب على الله عز وجل جهارا وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا رهبة ونعوذ بالله من الضلال مع ان هذا قول ما سبقهم اليه أحد وقالوا كلهم ان محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ليس هو رسول الله اليوم لكنه كان رسول الله

(قال ابو محمد) فكذبوا القرآن في قول الله عز وجل * محمد رسول الله * وكذبوا الاذان وكذبوا الاقامة التى افترضها الله تعالى خمس مرات كل يوم وليلة على كل جماعة من المسلمين وكذبوا دعوت جميع المسلمين التى اتفقوا على دعاء الكفار اليها وعلى انه لا نجاة من النار الا بها واكذبوا جميع اعصار المسلمين من الصحابة فمن بعدهم في اطباق جميعهم برهم وفاجرهم على الاعلان بلا اله الا الله محمد رسول الله ووجب على قولهم هذا الملعون انه يكذب المؤذنون والمقيمون ودعاة الاسلام فى قولهم محمد رسول الله وان الواجب ان تقولوا محمد كان رسول الله وعلى هذه المسالة قتل الامير محمود بن سبكتكين مولى امير المؤمنين وصاحب خراسان رحمه الله ابن فورك شيخ الاشعرية فاحسن الله جزاء محمود على ذلك ولعن ابن فورك واشياعه واتباعه

(قال ابو محمد) انما حملهم على هذا الكفر الفاحش قولهم آخر فى نهاية الضلال والانسلاخ من الاسلام وهى قولهم ان الارواح اعراض تفنى ولا تبقى وقتين وان روح كل واحد منا الان هو غير روحه الذى كان له قبل ذلك بطرفة عين وان كل واحد منا يبدل ازيد من الف الف روح فى كل ساعة زمانية وان النفس انما هو هذا الهواء الخارج بالتنفس حارا بعد دخوله باردا وان الانسان اذا مات فنى روحه وبطل وانه ليس لمحمد ولا لاحد من الانبياء عند الله تعالى روح ثابتة تنعم ولا نفس قائمة تكرم وهذا خروج عن اجماع الاسلام فما قال

ان ترك لذات هذا العالم هو الذى يلحقكم بذلك العالم حتى تتصلوا به وتنخرطوا فى سلكه وتخلدوا فى لذاته ونعيمه فدرس أهل الهند هذا القول ورسخ فى عقولهم ثم توفى عنهم برهن وقد تجسم القول فى عقولهم لشدة الحرص والالتحاق بذلك العالم افترقوا فرقتين ففرقة قالت ان التناسل فى هذا العالم هو الخطا الذى لا خطا أبين منه اذ هو نتيجة اللذه الجسمانية وثمرة النطفة الشهوانية فهو حرام وما يؤدى اليه

بهذا أحد ممن ينتمى الى الاسلام قبل أبى الهذيل العلاف ثم تلاه هؤلاء وهذا خلاف مجرد للقرآن وتكذيب لله عز وجل اذ يقول * أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون * واذ يقول عز وجل * ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون * وقال عز وجل * ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون * ولقوله تعالى * الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى * وخلاف للسنن الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم المنقولة نقل التواتر من رؤيته صلى الله عليه وسلم الانبياء عليهم السلام ليلة أسرى به فى السماء وماجرى له مع موسى عليه السلام فى عدد الصلوات المفروضات وأن أرواح الشهداء نسمة تعلق فى ثمار الجنة وما يلقى الروح عند خروجه من الفتنة والمسائلة وأخباره عليه السلام أنه رأى عن يمين آدم اسودة نسم بنيه من أهل الجنة وعن يساره اسودة نسم بنيه من أهل النار وسائر السنن المأثورة

﴿ قال ابو محمد ﴾ ثم خجلوا من هذه العظيمة وتبرأ منهم إبليس الذى ورطهم فيها فشلوا فقالوا فى كتبهم فان لم يكن هذا فان الروح تنتقل عند خروجها من الجسم الى جسم آخر هكذا نص الباقلاني فى أحد كتبه وأظنه الرسالة المعروفة بالحرة وهذا مذهب التناسخ بلا كلفة وقال السمناني فى كتابه أن الباقلانى وأصحابه قالوا ان كل ماجاء فى الخبر من نقل أرواح الشهداء الى حواصل طير خضر وأن روح الميت ترد اليه فى قبره وماجرى مجرى ذلك من وصف الروح بالقرب والبعد والحركة والانتقال والسكون والعذاب فكل ذلك محمول على أقل جزء من أجزاء الميت والشهيد أو الكافر واعادة الحياة فى ذلك الجزء

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا طريق من الهوس جدا وتطايب بالدين ولقد أخبرنى ثقة من أصحابى انه سمع بعض مقدميهم يقول ان الروح انما تبقى فى عجب الذنب لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ابن آدم ياكله التراب الا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب

(قال ابو محمد) وهذا التاويل أقرب الى الهزل منه الى أقوال أهل الاسلام ونعوذ بالله من الخذلان فانما هذه ستائر دون مذهبهم الخبيث الذى ذكرنا آنفا وقالوا كلهم ان النظر فى دلائل الاسلام فرض وأنه لا يكون مسلما حتى ينظر فيها وان من شرط الناظر فيها أن يكون ولا بد شاكا فى الله عز وجل وفى صحة النبوة ولا يصح النظر فى دلائل النبوة ودلائل التوحيد لمن يعتقد صحتها

(قال ابو محمد) والله ما سمع سامع قط بادخل فى الكفر من قول من أوجب الشك فى الله تعالى وفى صحة النبوة فرضا على كل متعلم لا نجاة له الا به ولا دين لاحد دونه وان اعتقاد صحة التوحيد لله تعالى وصحة النبوة باطل لا يحل فحصل من كلامهم ان من لم يشك فى الله تعالى ولا فى صحة النبوة فهو كافر ومن شك فيهما فهو محسن مؤد ما وجب عليه وهذه فضيحة وحماقة اللهم انا نبرأ اليك من هذا القول ومن كل قائل به ثم لم يحدوا فى امد الاستدلال حدا فليت شعرى على هذا القول الملعون هو ومعتقده والداعى اليه كيف يكون حال من قبل وصيتهم هذه التى هى وصية الشيطان الرجيم فتبين بالشك فى الله تعالى وفى النبوة وامتد به أمد الاستدلال أياما وأشهرا وساعات مات فيها أين مستقره ومصيره الى النار والله خالدا

من الطعام اللذيذ والشراب الصافي وكل مايهيج الشهوة واللذة الحيوانية النطفة الشهوانية فهو حرام وما يؤدى اليه من الطعام اللذيذ والشراب الصافى وكل مايهيج الشهوة واللذة الحيوانية وينشط النفوس البهيمية فحرام أيضا فاكتفوا بالقليل من الغذاء قدر مايثبت به أبدانهم ومنهم من كان لايرى ذلك القليل إ أيضا ليكون لحاقه بالعالم

مخلدا أبدا وبيقين ندرى أن قائل هذه الأقوال مطالب للاسلام كائد له مرصد لاهله داعية الى الكفر ونعوذ بالله من الضلال وقالوا كلهم أن اطعام رسول الله صلى الله عليه وسلم المئين والعشرات من صاع شعير مرة بعد مرة وسقيه الالف والالوف من ماء يسير ينبع من بين أصابعه وحنين الجذع ومجىء الشجرة وتكلم الذراع وشكوى البعير ومجىء الذئب ليس شىء من ذلك دلالة على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في نبوته لانه عليه السلام لم يتحد الناس بذلك ولا يكون عندهم آية الا ما تحدى به الكفار فقط وهذا تكذيب منهم للنبي صلى الله عليه وسلم في قوله اذ فعل ذلك أشهد أني رسول الله وهذا أيضا قول افتروه خالفوا فيه جميع أهل الاسلام وقالوا كلهم ليس لشىء من الاشياء نصف ولا ثلث ولا ربع ولا سدس ولا ثمن ولا عشر ولا بعض وانه لا يجوز أن يقال الفرد عشر العشرة ولا انه بعض الخمسة وحجتهم فى ذلك أنه لو جاز أن يقال ذلك لكان عشرا لنفسه وبعض نفسه

(قال ابو محمد) وهذا جهل شديد لانه انما هو بعض من جملة يكون سائرها غيره وعشر جملة يكون سائرها غيره ونسوا انفسهم فقالوا بالجزء لا يتجزء ونسوا الزام انفسهم ان يكون جزءا لنفسه وهذا تكذيب لله عز وجل اذ يقول فى القرآن فلها النصف فلامه الثلث فلامه السدس ولكم الربع ولهن الثمن بعضهم اولياء بعض وهذا عن النبي صلى الله عليه وسلم كثير مع مخالفتهم فى ذلك جميع اهل الارض مؤمنهم وكافرهم ومخالفة كل لغة والمعقول والطبائع وقالوا كلهم من قال ان النار تحرق او تلفح او ان الارض تهتز وتنبت شيئا او ان الخمر يسكر أو أن الخبز يشبع أو أن الماء يروى أو أن الله تعالى ينبت الزرع والشجر بالماء فقد ألحد وافترى وقال الباقلانى من آخر السفر الرابع من كتابه المعروف بالانتصار فى القرآن نحن ننكر فعل النار للتسخين والاحراق وننكر فعل الثلج للتبريد وفعل الطعام والشراب للشبع والرى والخمر للاسكار كل هذا عندنا باطل محال ننكره أشد الانكار وكذلك فعل الحجر لجذب شىء أو رده أو حبسه أو إطلاقه من حديد أو غيره هذا نص كلامه

(قال ابو محمد) وهذا تكذيب منهم لله عز وجل اذ يقول * تلفح وجوههم النار * ولقوله تعالى * وأنزلنا من السماء ماء مباركا فانبتنا به جنات وحب الحصيد * وقوله تعالى * انا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وانفسهم * الآية وقوله تعالى * فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج * وقد صككت بهذا وجه بعض مقدميهم فى المناظرة فدهش وبلد وهو أيضا تكذيب لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ يقول كل مسكر حرام وكل شراب أسكر حرام مع مخالفتهم لكل لغة ولكل ذى حس من مسلم وكافر ومكابرة العيان وابطال المشاهدة ثم اظرف شىء احتجاجهم فى هذه الطامة بان الله عز وجل هو الذى خلق ذلك كله فقلنا لهم اوليس فعل كل حى مختار واختياره خلقا لله عز وجل فلا بد من قولهم نعم فيقال لهم فمن اين نسبتم الفعل الى الاحياء وهى خلق الله تعالى ومنعتم من نسبة الفعل الى الجمادات لانه خلق الله تعالى ولا فرق ولكنهم قوم لا يعقلون

(قال ابو محمد) وسمعت بعض مقدميهم يقول ان من كان على معاصى خمسة من زنا وسرقة وترك صلاة وتضييع زكاة وغير ذلك ثم تاب عن بعضها دون بعض فان توبته تلك لا تقبل وقد نص السمنانى على أن هذا قول الباقلانى وهو قول أبي هاشم الجبائى ثم قال السمنانى

الاعلى اسرع ومنهم من اذا رأى عمره قد تدنس القى نفسه فى النار تزكية لنفسه وتطهيرا لبدنه وتخليصا لروحه ومنهم من يجمع ملاذ الدنيا من الطعام والشراب والكسوة فيمثلها نصب عينيه لكي يراها البصر ويتحرك نفسه البهيمية اليها فتشتاقها ويشتهيها فيمنع نفسه عنها بقوة النفس المنطقية حتى يذبل البدن وتضعف النفس وتفارق لضعف الرباط الذى كان يربطها به واما الفريق الاخر فانهم كانوا يرون التناسل والطعام والشراب وسائر اللذات بقدر الذى هو طريق الحق

هذا قول خارق للاجماع جملة وخلاف لدين الامة هذا نص قول السمنانى فى شيخه وشهدوا على أنفسهم وأقبل بعضهم على بعض يتلاومون

(قال ابو محمد) هذا القول مخالف للقرآن والسنن لان الله تعالى يقول * فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره * وقال تعالى * ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا * الآية وقال تعالى * انى لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى * وبالضرورة يدرى كل ذى مسكة من عقل ان التوبة من الزنا خير كثير فهذا الجاهل يقول انه لا يراه صاحبه وانه عمل ضائع عند الله عز وجل من مسلم مؤمن ومعاذ الله من هذا وسر هذا القول الملعون وحقيقته التى لا بد لقائله منه انه لا معنى لمن اصر على الزنا او شرب الخمر فى ان يصلى ولا ان يزكى فقد صار يامر بترك الصلاة الخمس والزكاة وصوم رمضان والحج فعلى هذا القول وقائله لعائن الله تترى ما دار الليل والنهار ونص السمنانى عن الباقلانى شيخه انه كان يقول ان الله تعالى لا يغفر الصغائر باجتناب الكبائر

(قال ابو محمد) وانا سمعت بعض مقدميهم ينكر ان يكون فى الذنوب صغائر وناظرته بقول الله تعالى * ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم * وقلت بالضرورة يدرى كل ذى فهم انه لا كبائر الا بالاضافة الى ما هو اصغر منها وهى السيئات المغفورة باجتناب الكبائر بنص كلام الله تعالى فقولك هذا خلاف للقرآن مجرد فخلط ولجا الى الحرد وهذا منهم تكذيب لله عز وجل ورد لحكمه بلا كلفة ومن شنعهم الممزوجة بالهوس وصفاقة الوجه قولهم انه لا حر فى النار ولا فى الثلج برد ولا فى العسل حلاوة ولا فى الصبر مرارة وانما خلق الله تعالى ذلك عند اللمس والذوق وهذا حمق عتيق قادهم اليه انكارهم الطبائع وقد ناظرناهم على ذلك هذا مع قول شيخهم الباقلانى ان لقشور الفستق رائحة وللزجاج والحصا طعما ورائحة وزادوا حتى بلغوا الى ان قالوا ان للفلاحيط طعما ورائحة فليت شعرى متى ذاقوه او شموه او من اخبرهم بهذا وهذا لا يعرفه الا الله ثم الملائكة الذين هنالك ولكن من ذاق طعم الزجاج وشم رائحته فغير منكر ان يدعى مشاهدة الفلاحيط ولمسه وشمه وذوقه ومن شنعهم قولهم ان من كان الآن على دين الاسلام مخلصا بقلبه ولسانه مجتهدا فى العبادة الا ان الله عز وجل يعلم انه لا يموت الا كافرا فهو الآن عند الله كافر وان من كان الآن كافرا يسجد للنار وللصليب او يهوديا او زنديقا مصرحين بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان فى علم الله تعالى انه لا يموت الا مسلما فانه الآن عند الله مسلم

(قال ابو محمد) ما قال هذا مسلم قط قبل هشام الفوطى وهذه مكابرة للعيان وتكذيب لله عز وجل مجرد كانهم ما سمعوا قط قول الله تعالى * ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا * فسماهم مؤمنين ثم اخبر تعالى بانهم كفروا وقوله تعالى * ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر * فجعل الاسلام دينا لما كان عليه اذ كان عليه وان ارتد معه ومات كافرا وقوله تعالى مخاطبا للمسلمين من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم * ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا * ويلزمهم ان الذى يسلم ابوه ولا يسلم هو لانه كان بالغا ثم مات ابوه فلم يرثه لكفره ثم اسلم ان يفسخوا حكمهم ويورثوه من ابيه لانه عندهم كان اذ مات ابوه مؤمنا عند الله تعالى ويلزمهم

حلالا وقليل منهم من يتعدى عن الطريق ويطلب الزيادة وكان قوم من الفريقين سلكوا مذهب فيثاغورس من الحكم والعلم فتلطفوا حتى صاروا يظهرون على ما فى أنفس أصحابهم من الخير والشر ويخبرون بذلك فيزيدهم بذلك حرصا على رياضة الفكر وقهر النفس الامارة بالسوء واللحوق بما لحق به أصحابهم ومذهبهم فى البارى تعالى انه نور محض الا انه لابس جسدا ما يستتر لئلا يراه الا من استاهل رؤيته

ان من كان صبيا ثم عاش حتى شاخ انه لم يكن عند الله قط الا شيخا ولو جمع ما يدخل عليهم لقام منه سفر ضخم وقالوا كلهم انه ليس على ظهر الارض يهودي ولا نصراني يقر بقلبه ان الله حق

(قال ابو محمد) هذا تكذيب للقرآن على ما بينا قبل ومكابرة للعيان لانا لا نحصى كم دخل في الاسلام منهم وصلح ايمانه وصار عدلا وكلهم لا يختلف في انه كان قبل اسلامه مقرا بالله عز وجل عالما به كما هو بعد اسلامه لم يزد في توحيده شيء فكابروا العيان وكذبوا القرآن بحمق وقلة حياء لا نظير له وقال الباقلاني في كتابه المعروف بالانتصار في القرآن معنى قول الله تعالى * لا يرضى لعباده الكفر * وقوله تعالى * لا يحب الفساد * انما معناه لا يحب الفساد لاهل الصلاح ولا يرضى لعباده المؤمنين ان يكفروا ولم يرد انه لا يرضاه لاحد من خلقه ولا يحبه لاحد منهم ثم قال وان كان قد احب ذلك ورضيه لاهل الكفر والفساد

(قال ابو محمد) وهذا تكذيب لله تعالى مجرد ثم ايضا اخبر بان الكفار فعلوا من الكفر امرا رضيه الله تعالى منهم واحبه منهم فكيف يدخل هذا في عقل مسلم مع قوله تعالى * اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه فاحبط اعمالهم * واعجبوا لظلمة جهله اذ لم يفرق بين ارادة الكفر والمشيئة والخلق له وبين الرضا والمحبة وقال ايضا فيه ان اقل من سورة من القرآن ليس بمعجز اصلا بل هو مقدور على مثله وقال ايضا في السفر الخامس من الديوان المذكور ان قيل كيف تقولون اكان يجوز من الله ان يؤلف القرآن تاليفا آخر غير هذا يعجز الخلق عن مقابلته قلنا نعم هو تعالى قادر على ذلك وعلى ما لا غاية له من هذا الباب وعلى اقدار كثيرة واعداد لا يحصيها غيره الا ان كان تاليف الكلام ونظم الالفاظ لا بد ان يبلغ الى غاية وحد لا يحتمل الكلام اكثر منه ولا اوسع ولا يبقى وراء تلك الاعداد نص والاوزان شيء تتناوله القدرة قال ولنا في هذه المسألة نظر في تاليف الكلام ونظم الاجسام وتصوير الاشخاص هل يجب ان يكون نهاية لا يحتمل المؤلف والمنظوم فوقها ولا ما هو اكثر منها ام لا

(قال ابو محمد) هنا صرح بالشك في قدرة الله تعالى الها نهاية كما يقول ابو الهذيل اخوه في الضلال والكفر ام لا نهاية لها كما يقول اهل الاسلام ونعوذ بالله من الضلال

(قال ابو محمد) ولقد اخبرني بعض من كان يداخلهم وكان له فيهم سبب قوي وكان من اهل الفهم والذكاء وكان يزري في باطن امره عليهم انهم يقولون ان الله تعالى مذ خلق الارض فانه خلق جسما عظيما يمسكها عن ان تهوى هابطة فلما خلق ذلك الجسم افناه في الوقت بلا زمان وخلق آخر مثله يمسكها أيضا فلما خلقه افناه اثر خلقه بلا زمان ايضا وخلق آخر وهكذا ابدا ابدا بلا نهاية قال لي وحجتهم في هذا الوسواس والكذب على الله تعالى فيه مما لم يقله احد قبلهم مما يكذبه الحس والمشاهدة أنه لا بد للارض من جسم ممسك والا هوت فلو كان ذلك الممسك يبقى وقتين او مقدار طرفة عين لسقط هو ايضا معها فهو اذا خلق ثم افنى اثر خلقه ولم يتم لان الجسم عندهم في ابتداء خلقه لا ساكن ولا متحرك

(قال ابو محمد) وهذا احتجاج للحمق بالحمق وما عقل احد قط جسما لا ساكنا ولا متحركا بل الجسم في ابتداء خلق الله تعالى له في مكان محيط به في جهاته ولا شك ساكن في مكانه ثم تحرك وكانهم لم يسمعوا لقول الله تعالى * ان الله يمسك السموات والارض ان

تزول

واستحقها كالذي يلبس في هذا العالم جلد حيوان فاذا خلعه نظر اليه من وقع بصره عليه واذا لم يلبسه لم يقدر أحد من النظر اليه ويزعمون انهم كالسبايا في هذا العالم فان من حارب النفس الشهوية حتى منعها عن ملاذها فهو الناجي من دنيات العالم السفلي ومن لم يمنعها بقي أسيرا في يدها والذي يريد يحارب هذا أجمع فانما يقدر على محاربتها بنفي التحيز والعجب وتسكين الشهوة والحرص بالبدن

تزولا * فاخبر تعالى انه يمسكها كما شاء دون تكلف مالم يخبرنا الله تعالى به ولا جعل فى العقول دليلا عليه ولو ان قائل هذا الحمق وقف على الحق وطالع شيئا من براهين الهيئة لخجل مما اتى به من الهوس ومن شنعهم قول هذا الباقلانى فى كتابه المعروف بالانتصار فى القرآن ان تقسيم آيات القرآن وترتيب مواضع سوره شىء فعله الناس وليس هو من عند الله ولا من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿قال ابو محمد﴾ فقد كذب هذا الجاهل وافك اتراه ما سمع قول الله تعالى * ما ننسخ من آية أو ننسها نات بخير منها او مثلها * وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آية الكرسى وآية الكلالة والخبر انه عليه السلام كان يامر اذا نزلت الاية ان تجعل فى سورة كذا وموضع كذا ولو ان الناس رتبوا سوره لما تعدوا احد وجوه ثلاثة اما ان يرتبوها على الاول فالاول نزولا او الاطول فما دونه او الاقصر فما فوقه فاذ ليس ذلك كذلك فقد صح انه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى لا يعارض عن الله عز وجل لا يجوز غير ذلك اصلا ومن شنعهم قول الباقلانى فى كتابه فى مذاهب القرامطة قرب اخر الكتاب فى باب ترجمته ذكر جمل مقالات الدهرية والفلاسفة والثنوية قال الباقلانى فاما ما يستحيل بقاؤه من اجناس الحوادث وهى الاعراض فانما يجب عدمها فى الثاني من حال حدوثها من غير معدم ولا شىء يفنيها هذا نص كلامه وقال متصلا بهذا الفصل واما نحن فنقول انها تفنى الجواهر نعنى بقطع الاكوان عنها من حيث لا يصح لها وجود لا فى مكان ولا فيما يقدر تقدير المكان واذا لم يلحق فيها شىء من الاكوان فعدم ما كان يخلق فيها منها اوجب عدمها هذا نص كلامه وهذا قول بافناء الجواهر والاعراض وهو فناء واعدام لا فاعل لهما وان الله تعالى لم يفن الفانى ونعوذ بالله من الضلال والحاد المحض وقالوا باجمعهم ليس لله تعالى على الكفار نعمة دينية اصلا وقال الاشعرى شيخهم ولا له على الكفار نعمة دنيوية اصلا وهذا تكذيب منه ومن اتباعه الضلال لله عز وجل اذ يقول * بدلوا نعمة الله كفرا واحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار واذ يقول * عز وجل يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم وانى فضلتكم على العالمين . وانما خاطب تعالى بهذا كفارا جحدوا نعمة الله تعالى تبكيتا لهم واما الدنيوية فكثير قال تعالى * قتل الانسان ما اكفره من أى شىء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره * الى قوله * فلينظر الانسان الى طعامه * الآية ومثله من القرآن كثير وقال الباقلانى فى كتابه المعروف بالانتصار فى القرآن فى باب مترجم بباب الدلالة على ان القرآن معجز للنبى صلى الله عليه وسلم وذكروا سؤال الملحدين عن الدليل على صحة ما ادعاه المسلمون من ان القرآن معجز فقال الباقلانى يقال لهم ما معنى وصف القران وغيره من ايات الرسول صلى الله عليه وسلم بانه معجز فانما معناه انه مما لا يقدر العباد عليه وان يكونوا عاجزين على الحقيقة وانما وصف القران وغيره من ايات الرسل عليهم الصلاة والسلام كعصى موسى وخروج الناقة من الصخرة وابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى بانه معجز وان لم يتعلق به عجز عاجز عنه على وجه التسمية بما يعجز عنه العاجز من الامور التى صح عجزهم عنها وقدرتهم عليها لانهم لم يقدروا على معارضات ايات الرسل غير عن عدم قدرتهم على ذلك فالعجز عنه تشبيها له بالمعجوز عنه قال الباقلانى ومما يدل على ان العرب لا

عما يدل عليها ويوصل اليها ولما وصل الاسكندر الى تلك الديار وأراد محاربتهم صعب عليه افتتاح مدينة أحد الفريقين وهم الذين كانوا يرون استعمال اللذات فى هذا العالم بقدر القصد الذى لا يخرج الى فساد البدن فجهد حتى افتتحها وقتل منهم جماعة من اهل الحكمة فكانوا يرون جثث قتلاهم مطروحة كانها جثث السمك الصافية النقية التى في الماء الصافى فلما رأوا ذلك ندموا على فعلهم وأمسكوا

يجوز ان تعجز عن مثل القرآن لانه قد صح وثبت ان العجز لا يكون عجزا الا عن موجود فلو كانوا على هذا الاصل عاجزين عن مثل القران وعصى موسى واحياء الموتى وخلق الاجسام والاسماع والابصار وكشف البلوى والعاهات لوجب ان يكون ذلك المثل موجودا فيهم ومنهم كما انهم لو كانوا قادرين على ذلك لوجب ان يكون ذلك منهم ولما لم يكن ذلك كذلك ثبت انه لا يجوز عجز العباد على الحقيقة عن مثل القران مع عدمه منهم وكونه غير موجود لهم ولا عن قلب عصى موسى حية ولا عن مثل ذلك

(قال ابو محمد) اينتظر كفر بعد هذا الكفر فى تصريحه ان العباد والعرب لا يجوز ان يعجزوا عن مثل القران ولا عن قلب العصا حية ولا يغتر ضعيف بقوله انهم غير قادرين على ذلك فانما هو على قوله المعروف من ان الله لا يقدر على غير ما فعل وظهر منه فقط ومن عظيم المحال قوله فى هذا الفصل انه لا يجوز ان يعجز العاجز الا عما يقدر عليه مع ان هذا الكلام منه موجب انهم ان عجزوا عن مثل القران قدروا عليه وما يمترى فى انه كان كائدا للاسلام ملحدا لا شك فيه فهذه الاقوال لا ينطلق بها لسان مسلم ومن اعظم البراهين على كفر الباقلانى وكيده للدين قوله فى فصل اخر من الباب المذكور فى الكتاب المذكور انه لا يجب على من سمع القران من محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صلى الله عليه وسلم أن يبادر الى القطع على أنه له آية أو انه على يده ظهر ومن قبله نجم حتى يسال أهل النواحى والاطراف ونقلة الاخبار ويتعرف حال المتكلمين بتلك الالسن فى الافاق فاذا علم بعد التثبت والنظر انه لم يسبقه الى ذلك أحد لزمه حينئذ اعتقاد نبوته

(قال ابو محمد) وهذا انسان خاف معاجلة الامة له بالرجم كما يرجم الكلب ان صرح بان نبوة محمد صلى الله عليه وسلم باطل فصرح لهم بما يودى الى ذلك من قرب اذا وجب بان لا يقر احد بنبوة محمد بن عبد الله بن عبد المطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بانه اتى بالقران ولا بانه آية من اياته على صحة نبوته الا حتى يسال اهل النواحى والاطراف وينتظر الاخبار ويتعرف حال المتكلم بالعربية فى الافاق

(قال ابو محمد) فاحال والله على عمل لا نهاية له ولو عمر الانسان عمر نوح عليه الصلاة والسلام لان سؤال اهل النواحى والاطراف لا ينقضى فى الف عام وانتظار الاخبار ليس له حد وليت شعرى متى تصل المخدرة وطالب المعاش الى طرف من هذا المحال لان اهل النواحى هم من بين صدر الصين الى اخر الاندلس الى بلاد الزنج الى بلاد الصقالبة وما بين ذلك فلاح كفر هذا الجاهل الملحد وكيده للاسلام لكل من له ادنى حس مع ضعف كيده فى ذلك قال الله تعالى * ان كيد الشيطان كان ضعيفا * ويكفى من كل ما زرانى به فى هذا الفصل الملعون قائله ان من له علم ودرى بالعربية ولا خبر فيه يتيقن عجز العرب عن معارضته ومن بعدهم الى اليوم وانه من عنده ضرورة لانه لم ينزل القران جملة فيمكن فيه الدعوى من احد وانما انزل مقطعا فى كل قصة تنزل فينزل فيها قران وهذه ضرورة موجبة انه عنده عليه الصلاة والسلام ظهر بوحى الله تعالى اليه وبما فيه من الغيوب التى قد ظهر انذاره بها واما من لا علم له باللغة والاخبار فيكفيه اخبار من يقع له العلم بخبره بان العرب عجزت عن مثله وانه اتى به مفصلا عند حلول القصص التى انزل الله تعالى فيها الآية والآيتين والكلمة والكلمتين من القران والتوراة

حق

عن الباقين وأما الفريق الثانى الذين زعموا ان لا خير فى اتخاذ النساء والرغبة فى النسل ولا فى شئ من الشهوات الجسدانية كتبوا الى الاسكندر كتابا مدحوه فيه على حب الحكمة وملابسته العلم وتعظيم أهل الرأى والعقل والتمسوا منه حكيما يناظرهم فنفذ اليهم واحدا من الحكماء وفضلوه بالنظر بالعمل فانصرف الاسكندر عنهم ووصلهم بجزائل سنية وهدايا كريمة فقالوا اذا كانت

حتى تم كما هو فهذا الحق وذلك الالحاد المحض والكلام الغث السخيف ومن كفراتهم الصلع قول السمناني اذ نص على ان الباقلاني كان يقول ان جميع المعاصي كلها الا نحاشي شيئا منها مما يجب ان يستغفر الله منه جايز وقوعها من النبي صلى الله عليه وسلم حاشا الكذب فى البلاغ فقط وقال الباقلاني واذا نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء ثم فعله فليس ذلك دليلا علي انه منسوخ اذ قد يفعله عاصيا لله عز وجل قال الباقلاني وليس علي اصحابه فرضا ان ينكروا ذلك عليه وقال السمناني فى كتاب الامامة لولا دلالة العقل علي وجوب كون النبي صلى الله عليه وسلم معصوما في البلاغ عن الله عز وجل لما وجب كونه معصوما فى البلاغ كما لا يجب فيما سواه من افعاله واقواله وقال ايضا فى مكان اخر منه وكذلك يجوز ان يكفر النبي صلي الله عليه وسلم بعد اداء الرسالة

(قال ابو محمد) بالله الذى لا إله إلا هو ان كان قال هذا القول ناصرا له وداعيا اليه مسلم قط وما كان قائله إلا كافرا ملحدا فاعلموا ايها الناس انه قد جوز على النبي صلى الله عليه وسلم الكفر والزنا واللياطة والبغاء والسرقة وجميع المعاصي واي كيد الاسلام بالناس اعظم من هذا وأما صاحبه ابن فورك فانه منع من هذا وانكره واجاز على النبي صلى الله عليه وسلم صغار المعاصي كقتل النساء وتمريضهن وتفخيذ الصبيان ونحو ذلك واما شيخهما ابن مجاهد البصرى ليس بالمقري فانه منع من كل ذلك وحاشا لله ان يجوز النبي صلى الله عليه وسلم ذنب بعمد لا صغير ولا كبير لقول الله تعالى ❋ لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة ❋ ومن المحال ان يامرنا الله تعالى ان نتاسي بعاص فى معصيته صغرت او كبرت واعجبوا لاستخفاف هذا الملحد بالدين وبالمسلمين اذ يقول هاهنا انه ليس فرضا على اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ان ينكروا عليه عصيان ربه ومخالفة امره الذى امرهم به وهو يقول فى نصره للقياس ان قياس من قاس من الصحابة وسكوت من سكت منهم عن انكاره دليل علي وجوب الحكم بالقياس لانهم لا يقرون علي منكر فاوجب اقرارهم على المنكر من النبي صلى الله عليه وسلم حاشا لله من هذا وانكر اقرارهم على القياس لو كان منكرا فجمع بين هذا المناقضة والكذب فى دعوى القياس علي الصحابة ودعوى معرفة جميعهم بقياس من قاس منهم ودعوى انهم لم ينكروه وهذه صفات الكذابين المتلاعبين بالدين ومن طوامهم ما حكاه السمناني عن الباقلاني انه قال واختلفوا فى وجوب كون النبي صلى الله عليه وسلم افضل اهل وقته فى حال الرسالة وما بعدها الى حين موته فاوجب ذلك قائلون واسقطه آخرون وقال الباقلاني وهذا هو الصحيح وبه نقول

(قال ابو محمد) وهذا والله الكفر الذى لا خفاء به اذ جوز ان يكون أحد ممن فى عصر النبي صلي الله عليه وسلم فما بعده افضل من رسول الله صلى الله عليه وسلم وما انكرنا علي احمد ابن خابط الادون هذا اذ قال ان اباذر كان ازهد من النبي صلى الله عليه وسلم هذا مع قول هذا المستخف الباقلاني الذى ذكره عند السمناني في كتابه الكبير في كتاب الامامة منه ان من شرط الامامة ان يكون الامام افضل اهل زمانه

(قال ابو محمد) يا للعيارة بالدين يجوز عند هذا الكافر ان يكون فى الناس غير الرسل افضل من رسول الله صلي الله عليه وسلم ولا يجوز عنده ان يلي الامامة احد يوجد فى الناس

الحكمة تفعل بالملوك هذا الفعل فى هذا العالم فكيف اذا البسناها علي ما يجب لباسها واتصلت بنا غاية الاتصال ومناظراتهم مذكورة فى كتب ارسطوطاليس ومن سنتهم اذا نظروا للشمس قد أشرقت سجدوا لها وقالوا ما أحسنك من نور وما ابهاك وما انورك لا تقدر الابصار ان تلتذ بالنظر اليك فان كنت انت النور الاول الذي لا نور فوقك فلك الحمد والتسبيح وإياك نطلب واليك

افضل منه ثم حمقه أيضا فهذا حمق عتيق لانه تكليف مالا يطاق ولا سبيل الى القطع بافضل أحد على احد الا بنص من الله عز وجل وكيف يحاط بالافضل من قريش وهم مبثوثون من اقصى السند وكابل ومكران الى الاشونة الى سواحل البحر المحيط ومن سواحل بحر اليمن الى ثغور أرمينية واذربيجان فما بين ذلك اللهم العن من لا يستحي ومن العجب ان هذا النذل الباقلاني قطع بخلاف الاجماع على ابي حنيفة باجازته القراءة الفارسية وصرح بان ترتيب الآيات في القرآن اجماع وقد اجاز مالك ان قرأ عند غروب الشمس وطلوعها فجاءته آية سجدة ان يصل التي قبلها بالتي بعدها فمالك عنده مخالف للاجماع وقطع بان الشافعي مخالف للاجماع في قوله * بسم الله الرحمن الرحيم * اية من أم القرآن وان داود خالف الاجماع في قوله بابطال القياس أفلا يستحي هذا الجاهل من ان يصف العلماء بصفته هو من عظيم جهله بان عاصما وابن كثير وغيرهما من القراء وطائفة من الصحابة تقول بقول الشافعي الذي جعله خلافا للاجماع وانه لم يات قط عن احد من الصحابة ايجاب الحكم بالقياس من طريق تثبت وانه قد قال بانكاره ابن مسعود ومسروق والشعبي وغيرهم ولكن من يضلل الله فلا هادي له ومن عجائبه قوله ان العامي اذا نزلت به النازلة ففرضه ان يسال افقه اهل بلده فاذا افتاه فهو فرضه فان نزلت به تلك النازلة ثانية لم يجز له ان يعمل بتلك الفتيا لكن يسال ثانية اما ذلك الفقيه واما غيره ففرضه ان يعمل بالفتيا الثانية وهكذا ابدا

(قال ابو محمد) هذا تكليف مالا يطاق اذا وجب على كل احد من العامة أن يسال ابدا عن كل ما ينوبه في صلاته وصيامه وزكاته ونكاحه وبيوعه ويكرر السؤال عن كل ذلك كل يوم بل كل ساعة فهل في الحماقة اكثر من هذا ونعوذ بالله من الخذلان

ذكر شنع لقوم لا تعرف فرقهم

(قال ابو محمد) ادعت طائفة من الصوفية ان في اولياء الله تعالى من هو افضل من جميع الانبياء والرسل وقالوا من بلغ الغاية القصوى من الولاية سقطت عنه الشرائع كلها من الصلاة والصيام والزكاة وغير ذلك وحلت له المحرمات كلها من الزنا والخمر وغير ذلك واستباحوا بهذا نساء غيرهم وقالوا اننا نرى الله ونكلمه وكل ما قذف في نفوسنا فهو حق ورأيت لرجل منهم يعرف بابن شمعون كلاما نصه ان لله تعالى مائة اسم وان الموفي مائة هو ستة وثلاثون حرفا ليس منها في حروف الهجاء شيء الا واحد فقط وبذلك الواحد يصل اهل المقامات الى الحق وقال ايضا اخبرني بعض من يرسم لمجالسة الحق انه مد رجله يوما فنودي ما هكذا مجالس الملوك فلم يمد رجله بعدها يعني انه كان مديما لمجالسة الله تعالى وقال ابو حاضر النصيبي من اهل نصيبين وابو الصياح السمرقندي واصحابهما ان الخلق لم يزل مع الله تعالى وقال ابو الصياح لا تحل ذبائح اهل الكتاب وخطأ فعل ابي بكر الصديق رضي الله عنه في قتال أهل الردة وصوب قول الصحابة الذين رجعوا عنه في حربهم وقال ابو شعيب القلال ان ربه جسم في صورة انسان لحم ودم ويفرح ويحزن ويمرض ويفيق وقال بعض الصوفية ان ربه يمشي في الازقة حتى انه يمشي في صورة مجنون يتبعه الصبيان بالحجارة حتى تدموا عقبيه فاعلموا رحمكم الله ان هذه كلها كفريات صلع واقوال قوم يكيدون الاسلام وصدق القائل

شهدت بان ابن المعلم هازل * باصحابه والباقلاني اهزل

تسعى لندرك السكنى بقربك
وتنظر الى ابداعك الاعلى
وان كان فوقك واعلى منك
نورا آخر انت معلول له
فهذا التسبيح وهذا الحمد
له وانما سعينا وتركنا
جميع لذات هذا
العالم الحقير مثلك ونلحق
بعالمك ونتصل بمساكنك
اذا كان المعلول بهذا البهاء
والجلال فكيف بالعلة يكون
بهاؤها وجلالها ومجدها وكمالها
فحق لكل طالب ان يهجر
جميع اللذات فيظفر بالجوار
بقربه ويدخل في
غمار جنده وحزبه هذا

وما الجعل المامون في ذاك دونه * وكلهم في الافك والكفر منزل

والله ما هم من المغرورين بهم في قبولهم عنهم وحسن الظن بهم الا كما قال الاخر

وساع مع السلطان يسعى عليهم * ومحترس من مثله وهو حارس

واعلموا رحمكم الله ان جميع فرق الضلالة لم يجر الله على ايديهم خيرا ولا فتح بهم من بلاد الكفر قرية ولا رفع للاسلام راية وما زالوا يسعون في قلب نظام المسلمين ويفرقون كلمة المؤمنين ويسلون السيف على اهل الدين ويسعون في الارض مفسدين اما الخوارج والشيعة فامرهم في هذا اشهر من أن يتكلف ذكره وما توصلت الباطنية الى كيد الاسلام واخراج الضعفاء منه الى الكفر الا على السنة الشيعة واما المرجئة فكذلك الان الحارث بن سريج خرج بزعمه منكرا للجور ثم لحق بالترك فقادهم الى ارض الاسلام فانهب الديار وهتك الاستار والمعتزلة في سبيل ذلك الا انه ابتلى بتقليد بعضهم المعتصم والواثق جهلا وظنا انهم على شيء وكانت للمعتصم فتوحات محمودة كبابل والمازيار وغيرهم فالله الله ايها المسلمون تحفظوا بدينكم ونحن نجمع لكم بعون الله الكلام في ذلك الزموا القرآن وسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم وما مضى عليه الصحابة رضى الله عنهم والتابعون واصحاب الحديث عصرا عصرا الذين طلبوا الاثر فلزموا الاثر ودعوا كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار وبالله تعالى التوفيق تم الكلام

في شنع المبتدعة أهل الاهواء
والنحل المضلة
والحمد رب
العالمين

ما وجدته من مقالات اهل
العالم ونقلته على ما وجدته
فمن صادف فية خللا في
النقل فاصلحه اصلح الله
عز وجل حاله وسدد اقواله
وافعاله والحمد لله رب العالمين
وصلى الله على محمد وآله
وصحبه اجمعين

تم

فهرست الجزء الرابع من كتاب الفصل فى الملل والنحل لابن حزم

صحيفة

٢ هل تعصى الانبياء عليهم الصلاة والسلام
٣ الكلام فى آدم عليه السلام
٤ الكلام فى نوح عليه السلام
٥ الكلام فى ابراهيم عليه السلام
٧ الكلام فى لوط عليه السلام
٧ الكلام فى اخوة يوسف عليهم السلام
٨ الكلام فى يوسف عليه السلام
١١ الكلام فى موسى عليه السلام وأمه
١٣ الكلام في يونس عليه السلام
١٤ الكلام فى داود عليه السلام
١٥ الكلام فى سليمان عليه السلام
١٧ الكلام فى محمد صلى الله عليه وسلم
٢٥ الكلام فى الملائكة عليهم السلام
٢٨ هل يكون مؤمنا من اعتقد الاسلام دون استدلال
٣٦ الكلام فى الوعد والوعيد
٤٨ الموافاة
٥٠ الكلام فى من لم تبلغه الدعوة ومن تاب الخ
٥٣ الكلام فى الشفاعة والميزان الخ
٦٠ الكلام على من مات من أطفال المسلمين والمشركين قبل البلوغ
٦٦ الكلام فى القيامة وتغيير الاجساد
٦٨ « « خلق الجنة والنار
٦٩ « « بقاء اهل الجنة والنار ابدا
٧٢ « « الامامة والمفاضلة
٩٠ « « وجوه الفضل والمفاضلة بين الصحابة
١١٩ « « حرب علي ومن حاربه من الصحابة
١٢٦ « « امامة المفضول
١٢٩ « « عقد الامامة بماذا تصح
١٣٢ الامر بالمعروف والنهى عن المنكر
١٣٥ الكلام في الصلاة خلف الفاسق
١٣٧ ذكر العظائم المخرجة الى الكفر او الى المحال الخ
١٣٧ ذكر شنع الشيعة
١٤٤ ذكر شنع الخوارج
١٤٦ ذكر شنع المعتزلة
١٥٤ ذكر شنع المرجئية
١٧٠ ذكر شنع لقوم لا تعرف فرقهم

الى هنا تم بحمد الله تعالى كتاب الملل والنحل للامام الشهرستاني المتوفي سنة ٥٤٨ هـ

٢

319

الفصل

في الملل والأهواء والنحل

للإمام ابن حزم الظاهري الأندلسي المتوفى ٤٥٦ه

وبهامشه

الملل والنحل للشهرستاني المتوفى سنة ٥٤٨ه

صححه وذيله بهوامش مفيدة

عبد الرحمن خليفة

المدرس بمدرسة ماهر باشا ومن علماء الأزهر

الجزء الخامس — الطبعة الاولى سنة ١٣٤٨ه

(حقوق الطبع بالتعليقات محفوظة للملتزم — مصدر بمقدمة بقلم مصححه)

(تنبيه) — قد تم كتاب الملل والنحل الى آخر الجزء الرابع

يطلب من مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده
بميدان الأزهر بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ المعاني التى يسميها اهل الكلام اللطائف والكلام فى السحر ﴾
(وفى المعجزات التى فيها احالة الطبائع يجوز واحدها لغير الانبياء أم لا)

﴿ قال ابو محمد) ذهب قوم الى ان السحر قلب للاعيان واحالة للطبائع وانهم يرون (١) اعين الناس مالا يرى واجازوا للصالحين على سبيل كرامة الله عزوجل لهم اختراع الاجسام وقلب الاعيان وجميع احالة الطبائع وكل معجز للانبياء عليهم السلام ورأيت لمحمد ابن الطيب الباقلانى ان الساحر يمشى على الماء على الحقيقه وفى الهواء ويقلب الانسان حمارا على الحقيقة وان كل هذا موجود من الصالحين على سبيل الكرامة وانه لافرق بين آيات الانبياء وبين مايظهر من الانسان الفاضل ومن الساحر أصلا الابالتحدى (٢) فان النبي يتحدى الناس بان يأتوا بمثل ماجاء هو به فلا يقدر أحد على ذلك فقط وان كل مالم يتحد به النبي صلى الله عليه وسلم الناس فليست آية له وقطع بان الله تعالى لايقدر على اظهار آية على لسان متنبىء كاذب وذهب اهل الحق الى انه لايقلب احد عينا ولايحيل طبيعة الا الله عز وجل لانبيائه فقط سواء تحدوا بذلك أولم يتحدوا وكل ذلك آيات لهم عليهم الصلاة والسلام تحدوا بذلك ام لا والتحدى لامعنى له وانه لايمكن وجود شىء من ذلك لصالح ولا لساحر ولا لاحد غير الانبياء عليهم الصلاة والسلام والله تعالى قادر على اظهار الآيات على ايدى الكذابين المدعين للنبوة لكنه تعالى لايفعل كما لايفعل مالايريد ان يفعله من سائر ماهو قادر عليه

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا هو الحق الذي لايجوز غيره برهان ذلك قوله عزوجل * وتمت كلمت ربك صدقا وعدلا لامبدل لكلماته * وقال عزوجل . وعلم آدم الاسماء كلها . وقال تعالى . انما أمره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون : فصح ان كل مافى العالم مما قد رتبه الله عز وجل الترتيب الذى لايتبدل وصح ان الله عزوجل اوقع كل اسم على مسماه فلايجوز ان يوقع اسم من تلك الاسماء على غير مسماه الذى اوقعه الله تعالى عليه لانه كان يكون تبديلا لكلمات الله تعالى التى ابطل عزوجل ان تبدل ومنع من ان يكون لها مبدل ولوجاز ان تحال صفات مسمى منها التى بوجودها فيه استحق وقوع ذلك الاسم عليه لوجب ان يسقط عنه ذلك الاسم الذى أوقعه الله تعالى عليه فاذ ذلك كذلك فقد وجب ان كل مافي العالم مما قد رتبه

---

(١) يرون بضم أوله فثانيه اى يشبهون على اعين الناس فيرونهم من الاشياء المتخيلة ماليس بمرئى على الحقيقة

(٢) التحدى طلب المعارضه وأصله من تمارى الحادين فى الحداء ومعارضة كل منهما الآخر فيه ويقال تحديت فلانا اذا باريته ونازعته الغلبة وهو فى عرف المتكلمين عبارة عن قول النبي اية صدقى كذا اه مصححه

الله على ماهو عليه من فصوله الذاتية وانواعه واجناسه فلا يتبدل شيء منه قطعا الاحيث قام البرهان على تبدله وليس ذلك الاعلى احد وجهين اما استحالة معهودة جارية على رتبة واحدة وعلى مابنى الله تعالى عليه العالم من استحالة المني حيوانا والنوي والبزور شجرة ونباتا وسائر الاستحالات المعهودات واما استحالة لم تعهد قط ولا بنى الله تعالى العالم عليها ولذلك قد صح للانبياء عليهم السلام شواهد لهم على صحة نبوتهم وجود ذلك بالمشاهدة ممن شهدهم ونقله الى من لم يشاهدهم بالتواتر الموجب للعلم الضروري فوجب الاقرار بذلك وبقى ماعدا أمر الانبياء عليهم السلام على الامتناع فلا يجوز البتة وجود ذلك لامن ساحر ولامن صالح بوجه من الوجوه لانه لم يقم برهان بوجود ذلك ولاصح به نقل وهو ممتنع في العقل كما قدمنا ولوكان ذلك ممكنا لاستوى الممتنع والممكن والواجب وبطلت الحقائق كلها وامكن كل ممتنع ومن لحق هاهنا لحق بالسوفسطائية على الحقيقة ونسال من جوز ذلك للساحر والفاضل هل يجوز لكل احد غير هذين ام لايجوز الا لهذين فقط فان قال ان ذلك للساحر والفاضل فقط وهذا هو قولهم سالناهم عن الفرق بين هذين وبين سائر الناس ولاسبيل لهم الى الفرق بين هؤلاء وبين غيرهم الابالدعوى التى لايعجز عنها احد وان قالوا ان ذلك جائز ايضا لغير الساحر والفاضل لحقوا بالسوفسطائية حقا ولم يثبتوا حقيقة وجاز تصديق من يدعى أنه يصعد الى السماء ويرى الملائكة وانه يكلم الطير ويجتني من شجر الخروب التمر والعناب وان رجالا حملوا وولدوا وسائر التخليط الذى من صار اليه وجب ان يعامل بماهو اهله ان امكن اوان يعرض عنه لجنونه وقلة حيائه

﴿قال ابو محمد﴾ لافرق بين من ادعى شيئا مماذكرنا لفاضل وبين دعوى الرافضة رد الشمس على علي بن ابي طالب مرتين حتى ادعى بعضهم ان حبيب بن اوس قال

فردت علينا الشمس والليل راغم * بشمس لهم من جانب الخدر تطلع
نضاضوءها صبغ الدجنة وانطوي * لبهجتهافوق السماءالمرجع
فوالله ماادرى على بدالنا * فردت له ام كان فى القوم يوشع

وكذلك دعوى النصارى لرهبانهم وقدمائهم فانهم يدعون لهم من قلب الاعيان اضعافامايدعيه هؤلاء وكذلك دعوى اليهودى لاحبارهم ورؤس المثايب عندهم ان رجلا منهم رحل من بغداد الى قرطبة فى يوم واحد وانه اثبت قرنين فى رأس رجل مسلم من بنى الاسكندرانى كان يسكن بقرطبة عندباب اليهود وهذا كله باطل موضوع وبنو الاسكندرانى كانوا اقواما اشرافا معروفين لم يعرف لاحد منهم شيء من هذا والحماقة لاحد لها وهذا برهان كاف لمن نصح نفسه

﴿قال ابو محمد﴾ واما السحر فانه ضروب منه ماهو من قبل الكواكب كالطابع المنقوش فيه صورة عقرب فى وقت كون القمر في العقرب فينفع امساكه من لدغة العقرب ومن هذا الباب كانت الطلسمات وليست احالة طبيعة ولاقلب عين ولكنها قوى ركبها الله عزوجل مدافعة لقوى اخر كدفع الحر للبرد ودفع البرد للحر وكقتل القمر للدابة الدبرة اذا لاقى الدبرة ضوءه اذا كانت دبرتها(١) مكشوفة للقمر ولايمكن دفع الطلسمات لانا قد شاهدنا أنفسنا آثارها ظاهرة الى الآن من قرى لاتدخلها جرادة ولايقع فيه برد وكسرى قسطه التى لايدخلها جيش الاان يدخل كرها وغير ذلك كثير جدا لاينكره الامعاند وهى اعمال قد ذهب من كان يحسنها جملة وانقطع من العالم ولم يبق الا آثار صناعاتهم فقط ومن هذا الباب كان ماتذكره الاوائل فى كتبهم فى الموسيقا وانه كان يؤلف به بين الطبائع وينافر به ايضا بينها ونوع آخر

---

(١) الدبرة بالتحريك قرحة الدابة والبعير من دبر البعير يدبر كفرح فهو دبر وأدبر والانثى دبرة كفرحه دبراء كشواء

من السحر يكون بالرقى (١) وهو كلام مجموع من حروف مقطعة فى طوالع معروفة ايضا يحدث لذلك التركيب قوة تستثار بها الطبائع وتدافع قوى أخر وقد شاهدنا وجربنا من كان يرقى الدمل الحاد القوى الظهور فى أول ظهوره فييبس يبدأ من يومه ذلك بالذبول ويتم يبسه فى اليوم الثالث ويقلع كما تقلع قشرة القرحة اذا تم يبسها جربنا من ذلك مالا نحصيه وكانت هذه المرأة ترقى احد دملين قد دفعا على انسان واحد ولا ترقى الثاني فييبس الذى رقت ويتم ظهور الذى لم ترق ويلقى حامله منه الاذى الشديد وشاهدنا من كان يرقى الورم المعروف بالخنازير فيندمل ما يفتح منها ويذبل مالم ينفتح ويبرأ كل ذلك البرء التام كان لا يزال يفعل ذلك فى الناس والدواب ومثل هذا كثير جدا وقد اخبرنا من خبره عندنا كمشاهدتنا لثقته وتجريبنا لصدقه وفضله انه شاهد مالا يحصى نساء يتكلمن على الذين يمخضون (٢) الزبد من اللبن بكلام فلا يخرج من ذلك اللبن زبد ولا فرق بين هذين الوجهين و بين ملاقاة فضلة الصفراء بالسقمونيا وملاقاة ضعف القلب بالكندر وكل هذه المعاني جارية على رتبة واحدة من طلب علم ذلك أدركه ومنه ما يكون بالخاصة كالحجر الجاذب للحديد وما اشبه ذلك ومنه ما يكون لطف يد كحيل ابي العجائب التى شاهدها الناس وهى اعمال لطيفة لا تحيل طبعا اصلا

(قال ابو محمد) وكل هذه الوجوه التى ذكرناها ليست من باب معجزات الانبياء عليهم السلام ولا من باب ما يدعيه اهل الكذب للسحرة والصالحين لان معجز الانبياء هو خارج عن الرتب وعن طبائع كل ما فى العالم وعن بنية العالم لا يجرى شيء من ذلك على قانون ولا على سنن معلوم لكن قلب عين واحالة صفات ذاتية كشق القمر وفلق البحر واختراع طعام وماء وقلب العصا حية واحياء ميت قد أرم وأخراج ناقة من صخرة ومنع الناس من يتكلموا بكلام مذكور أو من ان يأتوا بمثله وما اشبه هذا من احالة الصفات الذاتية التى بوجودها تستحق الاسماء * ومنها تقوم الحدود وهذا بعينه هو الذى يدعيه المبطلون للساحر والفاضل

(قال ابو محمد) وانما يلوح الفرق جدا بين هذين السبيلين لاهل العلم بحدود الاسماء والمسميات و بطبائع العالم وانقسامه من مبدئه من اجناس اجناسه الى انواعه الى اشخاصه وما هو من اعراضه ذاتى وما هو منها غيرى وما يسرع الاستحالة والزوال من الغيرى منها وما يبطىء زواله منها وما يثبت منها ثبات الذاتى وان لم يكن ذاتيا والفرق بين البرهان و بين ما نظن انه برهان وليس برهانا والحمد لله على ما وهب وانعم به علينا لا اله الا هو حدثنا محمد بن سعيد بن نباتى ثنا احمد بن عبد البصير قال ثنا قاسم بن أصبغ ثنا محمد بن عبد السلام الخشني ثنا محمد بن المثنى ثنا عبد الرحمن ابن مهدى ثنا سفيان الثورى عن ابي اسحاق الشيباني عن بشير بن عمرو قال ذكر الغيلانى عند عمر بن الخطاب فقالوا انهم يتحولون فقال عمر انه ليس أحد يتحول عن خلقه الذى خلق له ولكن لهم سحرة كسحرتكم فاذا خشيتم شيئا من ذلك فاذنوا فهذا

---

(١) الرقى بضم ففتح جمع رقية بضم فسكون وهى العوذة التى يرقى بها المحموم أو المصروع اونحوهما من ارباب الافات وقد جاء فى بعض الاحاديث جوازها وفي بعضها النهى عنها ومن الجواز قوله استرقوا لها فان بها النظرة اي ظابو العامن رقيها ومن النهى عنها قوله لا يسترقون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون ووجه الجمع بين الاحاديث ان الرقى يكره منها ما كان بغير اللسان وبغير اسماء الله تعالى وكلامه وان يعتمد أنها نافعة فيتكل عليها ولا يكره منها ما كان بالرقى المروية من غير أن يعتقد فيها تاثيرا أو نفعا اه مصححه

(٢) يمخضون بفتح عين الفعل وكسرها وضمها ثلاث لغات من مخض اللبن يمخضون مخضا فهو ممخوض ومخيض أخذ زبده

عمر رضى الله عنه يبطل احالة الطبائع وهذا نص قولنا والحمد لله رب العالمين كثيرا وقد نص الله عز وجل على ماقلنا فقال تعالى * فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى * فاخبر تعالى ان عمل أولئك السحرة انما كان تخييلا لا حقيقة له وقال تعالى * انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى * فاخبر تعالى انه كيد لا حقيقة له فان قيل قد قال الله عز وجل * سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم * قلنا نعم انها حيل عظيمة واثم عظيم اذ قصدوا بها معارضة معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم وانهم كادوا عيون الناس اذ أوهموهم ان تلك الحبال والعصى تسعى فاتفقت الايات كلها والحمد لله رب العالمين وكان الذى قدر ممن لايدرى حيلهم من أنها تسعي ظنا أصله اليقين وذلك انهم رأوا صفة حيات رقط (١) طوال تضطرب فسارعوا الى الظن وقدروا انها ذوات حيات ولوا منعوا الظن وفتشوها لوقفوا على الحيلة فيها وانها ملئت زئبقا ولذا فيها تلك الحركات كما يفعل العجائبي الذى يضرب بسكينة فى جسم انسان فيظن من رآه ممن لايدرى حيلته ان السكين غاصت فى جسد المضروب وليس كذلك بل كان نصاب السكين مثقوبا فقط فغاصت السكين فى النصاب وكادخاله خيطا فى حلقة خاتم يمسك انسان منهم طرفى الخيط بيديه ثم ياخذ العجائبي (٢) الخاتم الذى فيه الخيط بفيه وفى ذلك المقام ادخله تحت يده وكان فى فيه خاتم اخرى يري من حضر حلقة الخاتم الذى فى فيه يوهمهم انه قد أخرجه من الخيط ثم يرد فمه الى الخيط ويرفع يديه وفمه فينظر الخاتم الذى كان فيه الخيط وكذلك سائر حيلهم وقد وقفنا على جميعها فهذا هو معنى قوله تعالى سحروا اعين الناس أواسترهبوهم أى انهم أوهموا الناس فيما رأوا ظنونا متوهمة لا حقيقة لها ولو فتشوها الاح لهم الحق وكذلك قوله تعالي * فيتعلمون منهما مايفرقون به بين المرء و زوجه * فهذا أمر ممكن يفعله النمام وكذلك ماروى ان النبى صلى الله عليه وسلم سحره لبيد بن الاعصم فولد ذلك عليه مرضا حتى كان يظن انه فعل الشيء وهو لم يفعله فليس فى هذا أيضا احالة طبيعية ولا قلب عين وانما هو تاثير بقوة لتلك الصناعة كما قلنا فى الطلسمات والرقى فلا فرق ونحن نجد الانسان يسب أو يقابل بحركة يغضب منها فيستحيل من الحلم الى الطيش وعن السكون الى الحركة والنزق حتى يقارب حال المجانين أو ربما أمرضه ذلك وقد قال عليه السلام ان من البيان لسحرا لان من البيان مايؤثر فى النفس فيثيرها او يسكنها عن ثورانها او يحيلها عن عزماتها وعلى هذا المعنى استعملت الشعراء ذكر سحر العيون لاستمالتها للنفوس فقط

(قال ابو محمد) * ويقال لمن قال ان السحر يحيل الاعيان ويقلب الطبائع اخبرونا اذا جاز هذا فاى فرق بين النبى صلى الله عليه وسلم والساحر واول جميع الانبياء كانوا سحرة كما قال فرعون عن موسي عليه السلام * انه لكبيركم الذى علمكم السحر. وان هذا المكر مكرتموه فى المدينة لتخراجو منها اهلها. واذا جاز ان يقلب سحرة موسى عليه السلام عصيهم واحبالهم حيات وقلب موسى عليه السلام عصاه حية وكان كلا الامرين حقيقة فقد صدق فرعون بلاشك فى انه ساحر مثلهم الا انه أعلم منهم به فقط وحاشا لله من هذا بل ما كان فعل السحرة الا من حيل ابى العجائب فقط فان لجؤا الى ماذكره الباقلاني من التحدى قيل لهم هذا باطل من وجوه احدها ان اشتراط التحدى فى كون آية النبي آية دعوى كاذبة سخيفة لادليل علي صحتها الا من قران ولا من سنة صحيحة ولا سقيمة ولا من اجماع ولا من قول صاحب ولا من حجة عقل ولا قال بهذا احد قط قبل هذه الفرقة الضعيفة وما كان هكذا فهو فى غاية السقوط والمجنة قال الله عز وجل . قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين . فوجب

---

(١) رقط جمع رقطاء كحمر وحمراء والرقطة كالحمرة سواد يشوبه نقط بياض

(٢) العجائبي مايسمى فى عرف اهل مصر بالحاوى

ضرورة ان من لا برهان له على صحة قوله فهو كاذب فيها غير صادق وثانيها . انه لو كان ماقالوا لسقطت اكثر آيات رسول الله صلى الله عليه وسلم كنبع الماء من بين اصابعه واطعامه المئين والعشرات من صاع شعير وعناق (١) ومرة اخرى من كسر ملفوفة فى خمار وكتفله فى العين فجاشت بماء غزير الى اليوم وحنين الجذع وتكليم الذراع وشكوى البعير والذئب والاخبار بالغيوب وتمر جابر وسائر معجزاته العظام لانه عليه الصلاة والسلام لم يتحد بذلك كله احد ولا عمله الا بحضرة اهل اليقين من اصحابه رضى الله عنهم ولم يبق له آية حاشا القران ودعاء اليهود الى تمنى الموت (٢) وشق القمر فقط. وكفى نحسا بقول أدى الى مثل هذا فان ادعوا انه عليه السلام تحدى بها من حضر وغاب كذبوا واخترعوا هذه الدعوى لانه لم يات فى شىء من تلك الاخبار انه تحدى بها احدا وان تمادوا على ان كل هذه ليست معجزات ولا ايات اكذبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله اذ فعل ذلك اشهد انى رسول الله والثالث وهو البرهان الدافع وهو قول الله تعالى . واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما الايات عند الله ومايشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون . وقوله . وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون . فسمى الله تعالي تلك المعجزات المطلوبة من الانبياء عليهم السلام آيات ولم يشترط عز وجل في ذلك تحديا من غيره فصح ان اشتراط التحدى باطل محض وصح انها اذا ظهرت فهى آية كان هنالك تحد أو لم يكن وقد صح اجماع الامة (٣) المتيقن على ان الآيات لا ياتى بها ساحر ولا غير نبى فصح ان المعجزات اذا هى ايات لا تكون لساحر ولا لاحد ليس نبيا والرابع انه لو صح حكم التحدى لكان حجة عليه لان التحدي عندهم يوجب ان لا يقدر على مثل ذلك احد اذ لو امكن ان يوجد مثل ذلك من احد لكان قد بطل تحديه وقيل له قد وجد من يعمل مثل عملك هذا اما صالح واما ساحر والخامس انه لو كان ماقالوا وجاز ظهور معجزة من ساحر لا يتحدى بها او فاضل لا يتحدى بها لامكن ان يتحدى لهما بها بعد موتهما من ضل فيهما كما فعلت الغلاة بعلى رضى الله عنه فعلى كل حال قولهم ساقط والحمد لله رب العالمين

(قال ابو محمد) واما من ادعى انه يشبه الساحر على العيون فيريهم ما لا يرى فان هذه الطائفة لم تكتف بالكفر بابطال النبوات اذ لعل ما اتى به النبى صلى الله عليه وسلم كان تشبيها على العيون لا حقيقة له حتى رامت ابطال الحقائق كلها اولها عن اخرها ولحقت بالسوفسطائية لحاقا صحيحا بلا تكلف ويقال لهم اذا جاز ان يشبه على العيون حتى يرى المشبه عليها ما لا حقيقة له ولا تراه فما يدريكم لعلكم كلكم الآن مشبه على عيونكم ولعل بعض السحرة قد شبه عليكم فاراكم انكم تتوضؤن وتصلون وانتم لا تعقلون شيئا من ذلك ولعلكم تظنون انكم تزوجتم وانما فى بيوتكم ضان ولا معز ولعلكم الآن على ظهر البحر ولعل

---

(١) العناق الانثى من اولاد المعز وهو بفتح العين المهملة

(٢) أى فى قوله تعالى فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولن يتمنوه ابدا بما قدمت أيديهم فقد تحداهم النبى صلى الله عليه وسلم بطلب الموت ودعاهم الى تمنيه فلم يقع منهم ذلك لانهم لو تمنوه لنقل الينا ذلك كما غيره من الحوادث ولكان ناقلوه من أهل الكتاب اكثر من غيرهم وهذا من المعجزات لانه اخبار بالغيب اه مصححه

(٣) مذهب المتكلمين أن المعجزة أمر خارق للعادة أى ليس وقوعه من المعتاد كالسحر وما يوجد فى بعض الاشياء من القوى المؤثرة وفي بعض الاجسام من الخواص يفعله الله سبحانه وتعالى مقارنا لدعوى الرسالة متحدى به من الرسول كاحياء الموتى وقلب العصا حية وابراء الاكمه والابرص فان ذلك وامثاله مما يفعله الله سبحانه عند دعوى الرسالة مقرونا بالتحدى ومن أئمة المتكلمين من ذهب الى جواز وقوع الامر الخارق على يد الولى لكن لا عن قصد منه واختيار لوقوعه ومنهم من ذهب الى ان كل ما وقع من الخوارق لنبى لا يقع كرامة لولى ومنهم من صرح بمنع وقوع الخوارق مطلقا سواء كانت معجزة لنبى ام لا على يد ولى وهذا ماذهب اليه ابن حزم من أن احالة الطبائع (قال وتبديل الاعيان لا يقع على يد ساحر ولا على يد عبد صالح اه مصححه

كل ماتعتقدون من الدين تشبيه عليكم وهذا كله لاتخلص لهم منه وقد عاب الله عز وجل من ذهب الى هذا فقال * ولوفتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون * فلو جاز ان يكون للسحر حقيقة ويشبه مايأتي به الانبياء عليهم السلام وامكن ان يشبه على البصر ماذمهم الله عز وجل بان قالوا شيئا يمكن كونه لـكنهم لماقالوا مالا يمكن البتة وتعلقوا بذلك فى دفع الحقائق عابهم الله تعالى بذلك وانكره عليهم

(قال ابو محمد) وليس غلط الحواس فى بعض الاوقات من باب التشبيه عليها فى شيء لان احدنا قد يرى شخصا على بعد لايشك فيه الا انه سارع فقطع انه انسان اوانه فلان فقطع بظنه ولو انه لم يعمل ظنه ولا قطع به لـكان باقيا على ماادرك من الحقيقة وهكذا فى كل ماحكم فيه المرء بظنه واما ذو الافة كمن فيه ابتداء نزول الماء فيرى خيالات لاحقيقة لها فهو ايضا كما ذكرنا وانما الماء المطل على حدقته يوهمه انه رأى شيا وقطع بذلك فاذا تثبت فى كل ذلك لاح له الحق من الظن وكذلك من فسد مكان التخيل من دماغه فان نفسه تظن مايتوهمه فتقطع به ولوقوى تميزها لفرقت بين الحق والباطل وهكذا القول فى ادراك السمع والذوق وهذا كله يجري على رتب مختلفة بمن اعمل ظنه وعلى رتب غير مختلفة فى جمل هذه الاوقات بل هي ثابتة عند اهل التحقيق والمعرفة معروفة العلاج حتى يعود منها الى صلاحه مالم يتستحكم فساده ولايظن ظان انه ممكن ان تكون فى مثل حال هؤلاء اذلوكان هذا لم نعرف شيئا من العلوم على رتبه واحكامه الجارية علي سنن واحد وبالله تعالى التوفيق ثم نسالهم باى شيء يعرفون انه لم يشبه على عيونكم فقدعرفنا كم نحن بماذا نعرف ان حواسنا سليمة وان عقولنا سليمة مادامت سالمة وبماذا نعرف الحواس المدخولة والعقول المدخولة وغير المدخولة وهو أجراء ماأدرك بالحواس السليمة والعقول السليمة علي رتب محدودة معلومة لاتبدل عن حدودها ابدا واجراء ماادرك بالحواس الفاسده والعقول المدخولة على غير رتب محدودة فانهم لايقدرون على فرق اصلا وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) وكذلك ماذكر عمن ليس نبيا من قاب عين او احالة طبيعة فهو كذب الا ما وجد من ذلك فى عصر نبي فانه آية كذلك لذلك الشيء وذلك الذى ظهرت عليه آية بمنزلة الجذع الذى ظهرت فيه الحنين والذراع الذى ظهر فيه النطق والعصا التى ظهرت فيها الحياة وسواء كان الذى ظهرت فيه الآية صالحا او فاسقا وذلك كنحو النور الذى ظهر فى سوط عمر بن حممه الدوسى و برهان ذلك انه لم يظهر فيه بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم

(قال ابو محمد) فان قيل اذا اجزتم ان تظهر المعجزة فى غير نبي لـكن في عصر نبي لتكون آية لذلك النبي فهلا اجزتموه كذلك بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم لتـكون آية له ايضا ولا فرق بين الامرين . قلنا انما اجزنا ذلك الشيء فى الجماد وسائر الحيوان وفيمن شاء الله تعالى اظهار ذلك فيه من الناس لانخص بذلك فاضلا لفضله ولا نمنع ذلك فى فاسق لفسقه اوكافر وانما تنكر على من خص بذلك الفاضل فجعلها كرامة له فلو جاز ذلك بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم لاشكل الامر ولم تكن فى أمن من دعوى من ادعى انها آية لذلك الفاضل ولذلك الفاسق والانسان من الناس يدعيها آية له ولوكان ذلك لـكان اشكالا فى الدين وتلبيسا من الله تعالى على جميع عباده اولهم عن آخرهم وهذا خلاف وعد الله تعالى لنا واخباره بانه قد بين علينا الرشد من الغى وليس كذلك ماكان فى عصر النبى صلي الله عليه وسلم لانه لايكون الا من قبل النبي صلى الله عليه وسلم وباخباره وانذاره فبدت بذلك انها له لا للذى ظهرت منه وهذا فى غاية البيان والحمدلله رب العالمين

(قال ابو محمد) واما لذى روى في ذلك عن الثلاثة اصحاب الغار وانفراج الصخرة ثلثا ثلثا عند ما ذكروا اعمالهم فلا تعلق لهم به لان تكسير الصخرة ممن فى كل وقت ولكل احد بلا اعجاز وما كان هكذا فجائز وقوعه بالدعاء و بغير الدعاء لكن وقع وفاقا لتمنيه كمن دعا فى موت عدوه او تفريج همه او بلوغ امنيته فى دنياه ولقد حدثنى حكم بن منذر بن سعيد ان اباه رحمه الله كان فى جماعة فى سفرة فى صحراء فعطشوا وأيقنوا بالهلكة ونزلوا فى ظل جبل ينتظرون الموت قال فاسندت رأسى الى حجر ناتئ فتاذيت به فقلعته فاندفع الماء العذب من تحته فشربنا وتزودنا ومثل هذا كثير مما يفرج وحتى لو كانت معجزة لوجب بلاشك ان يكونوا انبياء اوانبى ممن فى زمن نبى لابد مما قدمناه

(قال ابو محمد) ولاعجب اعجب عن قول من يجيز قلب الاعيان للساحر وهو عندهم فاسق أو كافر ويجيز مثل ذلك للصالح وللنبى فقد جاز عندهم قلب الاعيان للنبى وللصالح والفاسق والكافر فوجب ان قلب الاعيان جائز من كل احد و بؤسا لقول ادى الى مثل هذا وهم يجيزون للمغيرة بن سعيد وبيان ومنصور الكشف وقلب الاعيان على سبيل السحر وقد جاء بعدهم من يدعى لهم النبوة بها فاستوى عند هؤلاء المخذولين النبى والساحر نعوذ بالله من الضلال المبين

(قال ابو محمد) فان اعترضوا بقول الله تعالى * وقال ربكم ادعونى استجب لكم * و بقوله تعالى * أجيب دعوة الداع اذا دعان * فهذا حق وانما هو بلاشك انه فى الممكنات التى علم الله تعالى انها تكون لا فيما فى علم الله تعالى انها لاتكون ولا فى المحال ونسألهم عمن دعا الى الله تعالى فى أن يجعله نبيا او فى ان ينسخ دين الاسلام او بان يجعل القيامة قبل وقتها او يمسخ الناس كلهم قردة او بان يجعل له عينا ثالثة او بان يدخل الكفار الجنة او المؤمنين النار وما اشبه هذا فان اجازوا كل هذا كفروا ولحقوا مع كفرهم بالمجانين وان منعوا من كل هذا تركوا استدلالهم بالايات المذكورة وصح ان الاجابة انما تكون فى خاص من الدعاء لا فى العموم و بالله تعالى التوفيق

﴿ قال ابو محمد ﴾ وصح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاسامة وخالد هلا شققت عن قلبه لتعلم أقالها متعوذا أم لا

﴿ قال ابو محمد ﴾ فلو جاز ظهور المعجزة على غير نبى على سبيل الكرامة لوجب القطع على ما فى قلبه وانه ولى الله تعالى وهذا لا يعلم من أحد بعد الصحابة رضى الله عنهم الذين ورد فيهم النص وأما قول الباقلاني ان الله تعالى لا يقدر على اظهار آية على يد كذاب فهو داخل فى جملة تعجيزه البارى تعالى وهو ايضا تعجيزه سخيف داخل فى جملة المحال وذلك انه جعل الله تعالى قادرا على اظهار الايات على كل ساحر (١) فان علم انه يقول انه نبى لم يقدر على أن يظهرها عليه وهذا قول فى غاية الفساد لان من قدر على شىء لم يجز أن يبطل قوته عليه علمه بان ذلك الذى يظهر فيه الفعل يقول أنا نبى ولا يتوهم هذا ولا يتشكل فى العقل ولا يمكن البتة وانهم قوم اهملوا حكم الله تعالى عليهم وأطلقوا حكمهم عليه تعالى وما فى الكفر اسمج من هذا ولا اطم ولا ابرد

﴿ قال ابو محمد ﴾ ورأيت للباقلانى فى فصل من كلامه ان الناس ليسوا عاجزين عن مثل هذا القران ولا قادرين عليه ولاهم عاجزون عن الصعود الى السماء ولا عن احياء الموتى ولا عن خلق الاجسام ولا اختراعها ولا قادرين على ذلك هذا نص كلامه دون تاويل منا عليه ثم قال ان القدرة لاتقع الا حيث يقع العجز

(قال ابو محمد) وكل هذا هوس لاياتى به الا الممرور (٢) وأطم من ذلك احتجاجه بان العجز لا يقع الا

---

(١) اى ان الله تعالى فيما ذهب اليه الباقلانى قادر على اظهار الخوارق على يد ساحر او فاضل مالم يدع النبوة فان ادعاها كان كاذبا والله تعالى لا يقدر على تاديب كذاب باظهار الاية على يده

(٢) الممرور الذى غلبت عليه المرة وهى مزاج من أمزجة البدن اذا انحرف سبب لصاحبه اختلاطا وهذيانا

حيث تقع القدرة ولا ندرى فى أى لغة وجد هذا الكذب أم فى أى عقل وجد هذا السخف وماشك ذو علم بالاغة من الخاصة والعامة فى بطلان قوله وفى أن العجز ضد القدرة وان ماقدر الانسان عليه فلم يعجز عنه فى حين قدرته عليه وأن ماعجز عنه فلم يقدر عليه فى حين عجزه عنه وأن نفى القدرة اثبات للعجز وان نفى العجز اثبات للقدرة مايجهل هذا عامى ولا خاصى اصلا وهو ايضا معروف باول العقل والعجب أن ياتي بمثل هذه الدعاوى السخيفة بغير دليل اصلا لكن حماقات وضلالات يطلقها هذا الجاهل وامثاله من الفساق فى دين الله تعالى فيلتقفها عنهم من اضله الله تعالى ونعوذ بالله من الخذلان وقد قال الله تعالى * واعلموا أنكم غير معجزى الله * فاقتضى هذا انهم مقدور عليهم لله تعالى وقال تعالى * ليس بمعجز فى الارض * فوجب انه مقدور عليه وقال تعالى * والله على كل شىء قدير * فصح انه غير عاجز وبالله تعالى التوفيق وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين

الكلام فى الجن ووسوسة الشيطان وفعله فى المصروع

﴿ قال ابو محمد ﴾ لم ندرك بالحواس ولا علمنا وجوب كونهم ولا وجوب امتناع كونهم فى العالم بضرورة العقل لكن علمنا بضرورة العقل امكان كونهم لان قدرة الله تعالى لا نهاية لها وهو عز وجل يخلق مايشاء ولا فرق بين ان يخلق خلقا عنصرهم التراب والماء فيسكنهم الارض والهواء والماء وبين أن يخلق خلقا عنصرهم النار والهواء فيسكنهم الهواء والنار والارض بل كل ذلك سواء وممكن فى قدرته لكن لما أخبرت الرسل الذين شهد الله عز وجل بصدقهم بما ابدى على ايديهم من المعجزات المحيلة للطبائع بنص الله عز وجل على وجود الجن فى العالم وجب ضرورة العلم بخلقهم ووجودهم وقد جاء النص بذلك وبانهم أمة عاقلة مميزة متعبدة موعودة متوعدة متناسلة يموتون وأجمع المسلمون كلهم على ذلك نعم والنصارى والمجوس والصابئون واكثر اليهود حاشا السامرة فقط فمن انكر الجن او تاول فيهم تاويلا يخرجهم به عن هذا الظاهر فهو كافر مشرك حلال الدم والمال قال تعالى * افتتخذونه وذريته أولياء من دوني *

(قال ابو محمد) وهم يروننا ولا نراهم قال الله تعالى * انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم * فصح ان الجن قبيل ابليس قال الله عز وجل * الا ابليس كان من الجن *

(قال ابو محمد) واذ أخبرنا الله عز وجل اننا لا نراهم فمن ادعى انه يراهم أو رآهم فهو كاذب الا ان يكون من الانبياء عليهم السلام فذلك معجزة لهم كما نص رسول الله صلى الله عليه وسلم انه تفلت عليه الشيطان ليقطع عليه صلاته قال فاخذته فذكرت دعوة أخى سليمان ولولا ذلك لاصبح موثقا يراه أهل المدينة أو كما قال عليه السلام وكذلك في رواية عن أبي هريرة الذى رأى انما هى معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا سبيل الى وجود خبر يصح برؤية جنى بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما هى منقطعات أو عمن لا خير فيه

(قال ابو محمد) وهم أجسام رقاق صافية هوائية لا ألوان لهم وعنصرهم النار كما ان عنصرنا التراب وبذلك جاء القرآن قال الله عز وجل (والجان خلقناه من قبل من نار السموم) والنار والهواء عنصران لا ألوان لهما وانما حدث اللون فى النار المشتعلة عندنا لامتزاجها برطوبات ماتشتعل فيه من الحطب والكتان والادهان وغير ذلك ولو كانت لهم الوان لرأيناهم بحاسة البصر ولو لم يكونوا أجساما صافية رقاقا هوائية لادركناهم بحاسة اللمس وصح النص بانهم يوسوسون فى صدور الناس وان الشيطان يجرى من ابن ادم مجرى الدم فوجب التصديق بكل ذلك حقيقة وعلمنا أن الله عز وجل جعل لهم قوة يتوصلون بها الى قذف مايوسوسون به فى النفوس برهان ذلك قول الله تعالى * من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس * ونحن نشاهد الانسان يرى من له عنده ثار فيضطرب وتتبدل أعراضه وصورته واخلاقه وتثور ناريته ويرى من يحب فيثور له حال أخرى ويبتهج وينبسط ويرى من يخاف فتحدث له حال أخرى

من صفرة ورعشة وضعف نفس ويشير الى انسان آخر باشارات يحيل بها طبائعه فيغضبه مرة ويحجله اخرى ويفزعه ثالثة ويرضيه رابعة وكذلك يحيله ايضا بالكلام الى جميع هذه الاحوال فعلمنا ان الله عز وجل جعل للجن قوى يتوصلون بها الى تغيير النفوس والقذف فيها بما يستدعونها اليه نعوذ بالله من الشيطان الرجيم ووسوسته ومن شرار الناس وهذا هو جريه من ابن آدم مجرى الدم كما قال الشاعر

وقد كنت اجرى فى حشاهن مرة   كجرى معين الماء فى قصب الآس

(قال ابو محمد) واما الصرع فان الله عز وجل قال * كالذى يتخبطه الشيطان من المس . فذكر عز وجل تاثير الشيطان فى المصروع انما هو بالمماسة فلا يجوز لاحد ان يزيد على ذلك شيئا ومن زاد على هذا شيئا فقد قال ما لا علم له به وهذا حرام لا يحل قال عز وجل . ولا تقف ما ليس لك به علم . وهذه الامور لا يمكن ان يعرف البتة الا بخبر صحيح عنه صلى الله عليه وسلم ولا خبر عنه عليه السلام بغير ما ذكرنا وبالله تعالى التوفيق فصح أن الشيطان يمس الانسان الذى يسلطه الله عليه مسا كما جاء فى القرآن يثير به من طبائعه السوداء والابخرة المتصاعدة الى الدماغ كما يخبر به عن نفسه كل مصروع بلا خلاف منهم فيحدث الله عز وجل له الصرع والتخبط حينئذ كما نشاهده وهذا هو نص القرآن وما توجبه المشاهدة وما زاد على هذا فخرافات من توليد العزامين والكذابين وبالله تعالى نتايد وأما قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان (١) فاذا ارتفعت فارقها فاذا استوت قارنها فاذا زالت فارقها فاذا جنحت للغروب قارنها فاذا غربت فارقها ونهى عن الصلاة فى هذه الاوقات او كما قال عليه السلام مما هذا معناه بلا شك فقد قلنا انه عليه السلام لا يقول الا الحق وان كلامه كله على ظاهره الا ان يأتى نص بان هذا النص ليس على ظاهره فنسمع ونطيع او يقوم بذلك برهان من ضرورة حس او اول عقل فنعلم أنه عليه السلام انما اراد ما قد قام بصحته البرهان لا يجوز غير ذلك وقد علمنا يقينا ان الشمس فى كل دقيقة طالعة على افق من الآفاق مرتفعة على آخر مستوية على ثالث زائلة عن رابع جانحة للغروب على خامس غاربة على سادس هذا ما لا شك فيه عند كل ذي علم بالهيئة فاذ ذلك كذلك فقد صح يقينا انه عليه السلام انما عنى بذلك افقا ما دون سائر الآفاق لا يجوز غير ذلك اذ لو اراد كل افق لكان الاخبار بانه يفارقها كذبا وحاشاه من ذلك فاذ لا شك فى هذا كله فلا مرية انه عليه الصلاة والسلام انما عنى به افق المدينة اذ هو الافق الذى اخبر اهله بهذا الخبر فانبأهم بما يقارن الشمس فى تلك الاحوال وما يفارقها من الشيطان والله اعلم بذلك القرآن ما هو ولا نزيد على هذا اذ لا بيان عندنا فيما بينه

---

(١) ومعها قرن الشطان الرواية المشهورة ان الشمس تطلع من بين قرن الشطان فلا تصلوا لطلوعها والمراد بقرن الشيطان رأسه لان القرن يطلق على حرف الراس من الانسان وللرأس حرفان اى جانبان وهذا من باب تسمية الشيء باسم موضعه والحديث للنهى عن الصلاة مع طلوع الشمس لانه الوقت الذى كان عبدة الشمس يسجدون فيه للشمس وقد درج كثير من الامم السابقة على عبادتها والسجود لها وفي القرآن فى نبا ملكة سبا ان الهدهد قال لسليمان عليه السلام انى وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة فى وقت طلوعها لانه الوقت الذى يسجد فيه عبدة الشمس لها وأعلمنا ان ابليس يطلع رأسه مقارنا لطلوع الشمس فهم يسجدون له بسجودهم للشمس ويؤمونه وكذلك فى وقتى الاستواء والغروب الملابسة وانه يفارقها فى غير هذه الاوقات وليس المعنى ان للشيطان قرونا على نحو ما فى الحيوان من البقر والشاه وان الشمس تجرى من بين قرنيه على الحقيقة بل تاويل ذلك ما ذكرنا آنفا من ان الشيطان يطلع لهم فى هذه الاوقات ليؤموه ويسجدوا له مع سجودهم للشمس اه باختصار من كتاب تاويل مختلف الحديث

الا انه ليس شيء من ذلك بممتنع أصلا فصح بما ذكرنا ان اول الخبر خاص كما وصفنا وان نهيه عن الصلاة فى الاوقات قصة اخرى وقضية ثانية وحكم غير الاول فهو على عمومه فى كل زمان وكل مكان الا ماقام البرهان على تخصيصه من هذا الحكم بنص آخر كما بينا فى غير هذا الكتاب فى كتب الصلاة من تاليفنا والحمد لله رب العالمين كثيرا

الكلام في الطبائع

(قال ابو محمد) ذهبت الاشعرية الي انكار الطبائع جملة وقالوا ليس فى النار حر ولا فى الثلج برد ولا فى العالم طبيعة أصلا وقالوا انما احدث حر النار جملة وبرد الثلج عند الملامسة قالو ولا فى الخمر طبيعة اسكار ولا فى المنى قوة يحدث بها حيوان ولكن الله عز وجل يخلق منه ماشاء وقد كان ممكنا ان يحدث من منى الرجال جملا ومن منى الحمار انسانا ومن زريعة الكزبر نخلا

(قال ابو محمد) مانعلم لهم حجة شغبوا بها فى هذا الهوس اصلا وقد ناظرت بعضهم فى ذلك فقلت له ان اللغة التى نزل بها القرآن تبطل قولكم لان من لغة العرب القديمة ذكر الطبيعة والخليقة والسليقة والنحيزة والغريزة والسجية والسيمة والجبلة بالجيم ولا يشك ذو علم فى ان هذه الالفاظ استعملت في الجاهلية وسمعها النبي صلى الله عليه وسلم فلم ينكرها قط ولا انكرها احد من الصحابة رضى الله عنهم ولا احد ممن بعدهم حتى حدث من لا يعتد به وقد قال امرؤ القيس

وان كنت قد ساءتك مني خليقة * فسلى ثيابي من ثيابك تنسل

وقال حميد بن ثور الهلالى الكندى

لكل امرىء يا ام عمرو طبيعة * وتفرق ما بين الرجال الطبائع

وقال النابغة

لهم سيمة لم يعطها الله غيرهم * من الجود والاحلام غير عوازب

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للجارود اذا أخبره ان فيه الحلم والاناة فقال له الجارود الله جبلني عليهما يارسول الله ام هما كسب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل الله جبلك عليهما ومثل هذا كثير وكل هذه الالفاظ اسماء مترادفة بمعنى واحد عندهم وهو قوة فى الشيء يوجد بها على ماهو عليه فاضطرب والجا الى ان قال اقول بهذا فى الناس خاصة فقلت له وأنى لك بالتخصيص وهذا موجود بالحس وبديهة العقل فى كل مخلوق فى العالم فلم يكن عنده تمويه

﴿قال ابو محمد﴾ وهذا المذهب الفاسد حداهم على ان سموا ماتاتي به الانبياء عليهم الصلاة والسلام من الآيات المعجزات خرق العادة لانهم جعلوا امتناع شق القمر وشق البحر وامتناع احياء الموتى واخراج ناقة من صخرة وسائر معجزاتهم انما هى عادات فقط

﴿قال ابو محمد﴾ معاذ الله من هذا ولو كان ذلك عادة لما كان فيها اعجاز اصلا لان العادة فى لغة العرب والدأب والدين والديدن والهجيرى (١) الفاظ مترادفة على معني واحد وهى فيما كثر استعمال الانسان لها مما لا يؤمن تركه اياه ولا ينكر زواله عنه بل هو ممكن وجود غيره ومثله بخلاف الطبيعة التى الخروج عنها ممتنع فالعادة فى استعمال العرب العامة التلحى وتحمل القناة وتحمل بعض الناس القلنسوة وكاستعمال بعضهم حلق الشعر وبعضهم توفيره

---

(١) يقال مازال ذلك هجيراه بكسر أوله وتشديد ثانية أي دأبه وعادته ومنه قول الشاعر

رمي فاخطا والاقدار غالبة * فانصمن والويل هجيراه والحرب

قال الشاعر

تقول وقد درأت لها وضيني * أهذا دينه أبدا وديني (١)

وقال آخر * ومن عاداته الخلق الكريم

وقال آخر

قد عود الطير عادات وثقن بها * فهن يصحبنه في كل مرتحل

وقا آخر

* عودت كندة عادات فصبر لها *

وقال آخر

* وشديد عادة منتزعة *

فذكر أن انتزاع العادة يشتد الا انه ممكن غير ممتنع بخلاف ازالة الطبيعة التى لا سبيل اليها وربما وضعت العرب لفظة العادة مكان لفظة الطبيعة كما قال حميد بن ثور الهلالى

سلى الربع ان يممت يا أم سالم * وهل عادة للربع أن يتكلما

(قال ابو محمد) وكل هذه الطبائع والعادات مخلوقة خلقها الله عز وجل فرتب الطبيعة على انها لا تستحيل ابدا ولا يمكن تبدلها عند كل ذى عقل كطبيعة الانسان بان يكون ممكنا له التصرف في العلوم والصناعات ان لم يعترضه آفة وطبيعة الحمير والبغال بانه غير ممكن منها ذلك وكطبيعة البران لا ينبت شعيرا ولا جوزا وهكذا كل ما فى العالم والقوم مقرون بالصفات وهى الطبيعة نفسها لان من الصفات المحمولة فى الموصوف ما هو ذاتى به لا يتوهم زواله الا بفساد حامله وسقوط الاسم عنه كصفات الخمر التى ان زالت عنها صارت خلا وبطل اسم الخمر عنها وكصفات الخبز واللحم التى اذا زالت عنها صارت زبلا وسقط اسم الخبز واللحم عنهما وهكذا كل شىء له صفة ذاتية فهذه هى الطبيعة ومن الصفات المحمولة فى الموصوف ما لو توهم زواله عنه لم يبطل حامله ولا فارقه اسمه وهذا القسم ينقسم اقساما ثلاثة فاحدها ممتنع الزوال كالفطس والقصر والزرق وسواد الزنجى ونحو ذلك الا أنه لو توهم زائلا لبقى الانسان انسانا بحاله وثانيها بطى الزوال كالمردوة وسواد الشعر وما أشبه ذلك وثالثها سريع الزوال كحمرة الخجل وصفرة الوجل وكمدة الهم ونحو ذلك فهذه هى حقيقة الكلام في الصفات وما عدا ذلك فطريق السوفسطائية الذين لا يحققون حقيقة ونعوذ بالله من الخذلان

﴿ نبوة النساء ﴾

﴿ قال ابو محمد ﴾ هذا فصل لا نعلمه حدث التنازع العظيم فيه الا عندنا بقرطبة وفى زماننا فان طائفة ذهبت الى ابطال كون النبوة فى النساء جملة وبدعت من قال ذلك وذهب طائفة الى القول بانه قد كانت فى النساء نبوة وذهبت طائفة الى التوقف فى ذلك

﴿ قال ابو محمد ﴾ ما نعلم للمانعين من ذلك حجة اصلا الا ان بعضهم نازع فى ذلك بقول الله تعالى . وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم .

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا امر لا ينازعون فيه ولم يدع احد ان الله تعالى ارسل أمرأة وانما الكلام فى النبوة دون الرسالة فوجب طلب الحق فى ذلك بان ينظر فى معنى لفظة النبوة فى اللغة التى خاطبنا الله بها عز وجل فوجدنا هذه اللفظة ماخوذة من الانبياء وهو الاعلام فمن اعلمه الله عز وجل بما يكون قبل ان يكون او اوحى اليه منبئا له بامر ما فهو نبى بلا شك وليس هذا من باب الالهام الذى هو طبيعة كقول الله تعالي . واوحى ربك الى النحل . ولا من باب الظن والتوهم الذى لا يقطع بحقيقته الا مجنون ولا من باب الكهانة التى هى من

---

(١) درأت أى بسطت لها الوضين على الارض والوضين بطان من جلد منسوج بعضه على بعض يشد به الرحل على الناقة بمنزلة الحزام للسرج

استراق الشياطين السمع من السماء فيرمون بالشهب الثواقب وفيه يقول الله عزوجل . شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا . وقد انقطعت الكهانة بمجىء رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا من باب النجوم التى هي تجارب تتعلم ولا من باب الرؤيا التى لايدرى اصدقت ام كذبت بل الوحى الذى هو النبوة قصد من الله تعالى الى اعلام من يوحى اليه بما يعلمه به ويكون عند الوحى به اليه حقيقة خارجة عن الوجوه المذكورة يحدث الله عز وجل لمن اوحى به اليه علما ضروريا بصحة ما اوحى به كعلمه بما ادرك بحواسه وبديهة عقله سواء لامجال للشك فى شىء منه اما بمجىء الملك به اليه واما بخطاب يخاطب به في نفسه وهو تعليم من الله تعالى لمن يعلمه دون وساطة معلم فان انكروا ان يكون هذا هو معني النبوة فليعرفونا ما معناها فانهم لاياتون بشىء اصلا فاذ ذلك كذلك فقد جاء القرآن بان الله عز وجل ارسل ملائكة الى نساء فاخبروهن بوحى حق من الله تعالى فبشروا ام اسحاق باسحاق عن الله تعالى قال عزوجل * وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب قالت ياويلتا أألد وانا عجوز وهذا بعلى شيخا ان هذا لشىء عجيب قالوا أتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت * فهذا خطاب الملائكة لام اسحاق عن الله عز وجل بالبشارة لها باسحاق ثم يعقوب ثم بقولهم لها أتعجبين من امر الله ولا يمكن البتة ان يكون هذا الخطاب من ملك لغير نبي بوجه من الوجوه ووجدناه تعالى قد ارسل جبريل الى مريم ام عيسى عليهما السلام بخاطبها وقال لها * انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا * فهذه نبوة صحيحة بوحى صحيح ورسالة من الله تعالى اليها وكان زكريا عليه السلام يجد عندها من الله تعالى رزقا واردا تمنى من اجله ولدا فاضلا ووجدنا ام موسي عليهما الصلاة والسلام قد اوحى الله اليها بالقاء ولدها فى اليم واعلمها انه سيرده اليها ويجعله نبيا مرسلا فهذه نبوة لاشك فيها وبضرورة العقل يدرى كل ذى تمييز صحيح انها لولم تكن واثقة بنبوة الله عز وجل لها لكانت بالقائها ولدها في اليم برؤيا تراها او بما يقع فى نفسها او قام فى هاجستها فى غاية الجنون والمرار الهائج ولو فعل ذلك احدنا لكان فى غاية الفسق او فى غاية الجنون مستحقا لمعاناة دماغه فى البيمارستان لايشك فى هذا احد فصح يقينا ان الوحى الذى ورد لها فى القاء ولدها فى اليم كالوحي الوارد علي ابراهيم فى الرؤيا فى ذبح ولده فان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لولم يكن نبيا واثقا بصحة الوحى والنبوة الوارد عليه من ذبح ولده لكنه ذبح ولده لرؤيا رآها او ظن وقع فى نفسه لكان بلاشك فاعل ذلك من غير الانبياء فاسقا فى نهاية الفسق او مجنونا فى غاية الجنون هذا ما لايشك فيه احد من الناس فصحت نبوتهن بيقين ووجدنا الله تعالى قد قال وقد ذكر من الانبياء عليهم السلام في سورة كهيعص ذكر مريم فى جملتهم ثم قال عز وجل * اؤلئك الذين انعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح * وهذا هو عموم لها معهم لايجوز تخصيصها من جملتهم وليس قوله عز وجل وامه صديقة بمانع من ان تكون نبية فقد قال تعالى * يوسف ايها الصديق * وهو مع ذلك نبي رسول وهذا ظاهر وبالله تعالى التوفيق ويلحق بهن عليهن السلام فى ذلك امرأة فرعون بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون او كما قال عليه السلام والكمال فى الرجال لايكون الا لبعض المرسلين عليهم الصلاة والسلام لان من دونهم ناقص عنهم بلاشك وكان تخصيصه صلى الله عليه وسلم مريم وامرأة فرعون تفضيلا لهما علي سائر من اوتيت النبوة من النساء بلا شك اذ من نقص عن منزلة اخر ولو بدقيقة فلم يكمل فصح بهذا الخبر ان هاتين المرأتين كملتا كمالا لم يلحقهما فيه امرأة غيرهما اصلا وان كن بنصوص القران نبيات وقد قال تعالى * تلك الرسل فضلنا بعضهم علي بعض * فالكامل فى نوعه هو الذى لايلحقه احد من اهل نوعه فهم من الرجال الرسل الذين فضلهم الله تعالى علي سائر الرسل ومنهم نبينا وابراهيم عليهما

الصلاة والسلام بلاشك للنصوص الواردة بذلك فى فضلهما على غيرهما وكمل من النساء من ذكر عليه الصلاة والسلام

(الكلام فى الرؤيا)

(قال ابو محمد) ذهب صالح تلميذ النظام الى ان الذى يرى احدنا فى الرؤيا حق كما هو وانه من رأى انه بالصين وهو بالاندلس فان الله عز وجل اخترعه فى ذلك الوقت بالصين

(قال ابو محمد) وهذا القول فى غاية الفساد لان العيان والعقل يضطران الى كذب هذا القول و بطلانه اما العيان فلاننا نشاهد حينئذ هذا النائم عندنا وهو يرى نفسه فى ذلك الوقت بالصين واما من طريق العقل فهو معرفتنا بما يرى الحالم من المحالات من كونه مقطوع الرأس حيا وما اشبه ذلك وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا قص عليه رؤيا فقال لا تخبر بتلعب الشيطان بك

(قال ابو محمد) والقول الصحيح فى الرؤيا هو انواع فمنها مايكون من قبل الشيطان وهو ما كان من الاضغاث والتخليط الذى لا ينضبط ومنها مايكون من حديث النفس وهو مايشتغل به المرء فى اليقظة فيراه في النوم من خوف عدو أو لقاء حبيب او خلاص من خوف او نحو ذلك ومنها مايكون من غلبة الطبع كرؤية من غلب عليه الدم للانوار والزهر والحمرة والسرور ورؤية من غلب عليه الصفراء للنيران ورؤية صاحب البلغم للثلوج والمياه وكرؤية من غلب عليه السوداء الكهوف والظلم والمخاوف ومنها مايريه الله عز وجل نفس الحالم اذا صفت من اكدار الجسد وتخلصت من الافكار الفاسدة فيشرف الله تعالى به على كثير من المغيبات التى لم تات بعد وعلى قدر تفاضل النفس فى النقاء والصفاء يكون تفاضل مايراه فى الصدق وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لم يبق بعده من النبوة الا المبشرات وهى الرؤيا الصالحة يراها الرجل او ترى له وانها جزء من ستة وعشرين جزأ من النبوة الى جزء من ستة وار بعين جزأ من النبوة الى جزء من سبعين جزأ من النبوة وهذا نص جلى ماذكرنا من تفاضلها فى الصدق والوضوح والصفاء من كل تخليط وقد تخرج هذه النسب والاقسام على انه عليه السلام انما أراد بذلك رؤيا الانبياء عليهم السلام فمنهم من رؤياه جزء من ستة وعشرين جزء من أجزاء نبوته وخصائصه وفضائله ومنهم من رؤياه جزء من ستة وار بعين جزأ من نبوته وخصايصه وفضايله ومنهم من رؤياه جزء من سبعين جزأ من نبوته وخصائصه وفضائله وهذا هو الاظهر والله أعلم ويكون خارجا على مقتضى الفاظ الحديث بلا تاويل بتكلف وأما رؤيا غير الانبياء فقد تكذب وقد تصدق الا أنه لا يقطع على صحة شيء منه الا بعد ظهور صحته حاشا رؤيا الانبياء فانها كلها وحى مقطوع على صحته كرؤيا ابرهيم عليه السلام ولو رأى ذلك غير نبى فى الرؤيا فانفذه فى اليقظة لكان فاسقا عابثا او مجنونا ذاهب التميز بلاشك وقد تصدق رؤيا الكافر ولا تكون حينئذ جزأ من النبوة ولا مبشرات ولكن انذارا له أو لغيره ووعظا وبالله تعالى التوفيق

(الكلام فى أى الخلق افضل)

(قال ابو محمد) ذهب قوم الا ان الانبياء عليهم السلام افضل من الملائكة وذهبت طائفة تنتسب الي الاسلام ان الصالحين غير النبيين افضل من الملائكة وذهب بعضهم الى ان الولى افضل من النبى وانه يكون فى هذه الامة من هو افضل من عيسي بن مريم ورأيت الباقلاني يقول جائز ان يكون فى هذه الامة من هو افضل من رسول الله صلى الله عليه وسلم من حين بعث الى أن مات ورأيت لأبى هاشم الجبائى انه لو طال عمر انسان من المسلمين فى الاعمال الصالحة لامكن أن يوازى عمل النبى صلى الله عليه وسلم كذب لعنه الله

(قال ابو محمد) ولولا انه استحيا قليلا مما لم يستحي من نظيره الباقلانى لقال مايوجبه هذا القول من انه

كان

كان يزيد فضلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم

(قال ابو محمد) وهذه الاقوال كفر مجرد لا تردد فيه وحاشا لله تعالى من ان يكون احد ولو عمر عمر الدهر يلحق فضل صاحب فكيف فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم اونبي من الانبياء عليهم السلام فكيف ان يكون أفضل من رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ما لا تقبله نفس مسلم كانهم ما سمعوا قول الله عزوجل . لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا . وقول النبي صلى الله عليه وسلم دعوا لى اصحابى فلو كان لاحدكم مثل أحد ذهبا فانفقه في سبيل الله ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه

(قال ابو محمد) فكيف يلحق ابدا من ان تصدق هو بمثل جبل احد ذهبا وتصدق الصاحب بنصف مد من شعير كان نصف مد الشعير لا يلحقه فى الفضل جبل الذهب فكيف برسول الله صلى الله عليه وسلم قال أهل الحق ان الملائكة أفضل من كل خلق خلقه الله تعالى ثم بعدهم الرسل من النبيين عليهم السلام ثم بعدهم الانبياء غير الرسل عليهم السلام ثم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما رتبنا قبل

(قال ابو محمد) ومن صحب رسول الله صل الله عليه وسلم من الجن له من الفضل ما لسائر الصحابة بعموم قوله صلى الله عليهم وسلم دعوا لى أصحابي وافضل الرسل محمد صلى الله عليه وسلم اما افضل الملائكة على الرسل من غير الملائكه فلبراهين منها قول الله عزوجل امر الرسول صلى الله عليه وسلم ان يقول . قل لا اقول لكم عندى خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول انى ملك ان اتبع الا ما يوحى الى . فلو كان الرسول أرفع من الملك او مثله ما امر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ان يقول لهم هذا القول الذى انما قاله منحطا عن الترفع بان يظن انه عنده خزائن الله او انه يعلم الغيب أو انه ملك منزل لنفسه المقدسة فى مرتبته التى هى دون هذه المراتب بلا شك إذ لا يمكن البتة أن يقول هذا عن مراتب هو ارفع منها وأيضا فان الله عزوجل ذكر محمدا الذى هو افضل الرسل بعد الملائكة وذكر جبريل عليهما السلام وكان التباين من الله عزوجل بينهما تباينا بعيدا وهو انه عزوجل قال . انه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم امين . فهذه صفة جبريل عليهم السلام ثم ذكر محمدا صلى الله عليه وسلم فقال * وما صاحبكم بمجنون * ثم زاد تعالى بيانا رافعا للاشكال جملة فقال * ولقد رآه بالافق المبين . فعظم الله تعالى من شان اكرم الانبياء والرسل بان رأى جبريل عليه السلام ثم قال * ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى اذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى . فامتن الله تعالى كما ترى على محمد صلى الله عليه وسلم بان أراه جبريل مرتين وانما يتفاضل الناس كما قدمنا بوجهين فقط أحدهما الاختصاص المجرد واعظم الاختصاص الرسالة والتعظيم فقد حصل ذلك للملائكة قال تعالى * جاعل الملائكة رسلا * فهم كلهم رسل الله ثم اختصهم تعالى بان ابتدأهم فى الجنة وحوالى عرشه فى المكان الذى وعد رسله ومن اتبعهم بان نهاية كرامتهم مصيرهم اليه وهو موضع خلق الملائكة ومحلهم بلا نهاية مذ خلقوا وذكرهم عز وجل في غير موضع من كتابه فاثنى على جميعهم ووصفهم بانهم لا يفترون ولا يسأمون ولا يعصون الله فنفى عنهم الزلل والفترة والسآمة والسهو وهذا امر لم ينفه عزوجل عن الرسل صلوات الله عليهم بل السهو جائز عليهم وبالضرورة نعلم من عصم من السهو افضل ممن لم يعصم منه وان من عصم من العمد كالانبياء عليهم السلام افضل ممن لم يعصم ممن سواهم فان اعترض معترض بقول الله عز وجل * الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس * قيل له ليس هذا معارضا لقوله تعالى جاعل الملائكة رسلا فان كل آية فانها تحمل على مقتضاها وموجب لفظها ففي هذه الآية ان بعض الملائكة رسل وهذا حق لا شك فيه وليس اخبارا عن سائرهم بشيء لا بانهم رسل ولا بانهم ليسوا رسلا فلا يحل لاحد ان يزيد فى الآية ما ليس فيها ثم فى الاية الاخرى زيادة على ما فى هذه الاية والاخبار بان جميع الملائكة

رسل ففي تلك الآية بعض ما في هذه الآية وفي هذه الاية كل ما في تلك وزيادة ففرض قبول كل ذلك كما ان الله عزوجل اذ ذكر في كهيعص من ذكر من النبيين فقال * أولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين * وقد قال تعالى ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك * افترى الرسل الذين لم يقصصهم الله تعالى عليه جملة او في هذه السورة خاصة لم ينعم عليهم معاذ الله من هذا فما يقوله مسلم والوجه الثاني من اوجه الفضل هو تفاضل العاملين بتفاضل منازلهم في اعمال الطاعة والعصمة من المعاصي والدنيات وقد نص الله تعالى على ان الملائكة لا يفترون من الطاعة ولا يسامون منها ولا يعصون البتة في شيء امروا به فقد صح ان الله عز وجل عصمهم من الطبائع الناقصة الداعية الى الفتور والكسل كالطعام والتغوط وشهوة الجماع والنوم فصح يقينا انهم افضل من الرسل الذين لم يعصموا من الفتور والكسل ودواعيهما

(قال ابو محمد) واحتج بعض المخالفين في هذا بان قال قال الله عز وجل * ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين * قالوا فدخل في العالمين الملائكة وغيرهم

(قال ابو محمد) وهذه الآية قد صح البرهان بانها ليست على عمومها لانه تعالى لم يذكر فيها محمدا صلى الله عليه وسلم ولا خلاف في انه افضل الناس قال الله تعالى * كنتم خير امة اخرجت للناس * فان قال ان آل ابراهيم هم آل محمد قيل له فنحن اذا افضل من جميع الانبياء حاشا آل عمران وآدم ونوحا فقط وهذا لا يقوله مسلم فصح يقينا ان هذه الآية ليست على عمومها فاذ لا شك في ذلك فقد صح ان الله عزوجل انما اراد بها عالمي زمانهم من الناس لا من الرسل ولا من النبيين نعم ولا من عالمي غير زمانهم لاننا بلا شك افضل من آل عمران فبطل تعلقهم بهذه الآية جملة وبالله تعالى التوفيق وصح انها مثل قوله تعالى * يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين * ولا شك في انهم لم يفضلوا على الرسل ولا على النبيين ولا على امتنا ولا على الصالحين من غيرهم فكيف على الملائكة ونحن لا ننكر ازالة النص عن ظاهره وعمومه ببرهان من نص آخر او اجماع متيقن او ضرورة حس وانما ننكر ونمنع من ازالة النص عن ظاهره وعمومه بالدعوى فهذا هو الباطل الذي لا يحل في دين ولا يصح في امكان العقل وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) وذكر بعضهم قول الله عز وجل * الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية *

(قال ابو محمد) وهذا مما لا حجة لهم فيه اصلا لان هذه الصفة تعم كل مؤمن صالح من الانس ومن الجن نعم وجميع الملائكة عموما مستويا فانما هذه لاية تفضيل الملائكة والصالحين من الانس والجن على سائر البرية وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) واحتجوا بامر الله عزوجل الملائكة بالسجود لآدم على جميعهم السلام

(قال ابو محمد) وهذا اعظم حجة عليهم لان السجود المأمور به لا يخلو من ان يكون سجود عبادة وهذا كفر ممن قاله ولا يجوز ان يكون الله عزوجل يامر احدا من خلقه بعبادة غيره واما ان يكون سجود تحية وكرامة وهو كذلك بلا خلاف من احد من الناس فاذ هو كذلك فلا دليل ادل على فضل الملائكة على ادم من ان يكون الله تعالى بلغ الغاية في اعظامه وكرامته بان تحييه الملائكة لانهم لو كانوا دونه لم يكن له كرامة ولا مزية في تحيتهم له وقد أخبر الله عز وجل عن يوسف عليه السلام فقال * ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا * وكانت رؤياه هي التي ذكر الله عزوجل عنه اذ يقول * اني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين

(قال ابو محمد) وليس في سجود يعقوب عليه السلام ليوسف ما يوجب ان يوسف افضل من يعقوب واحتجوا

ايضا بان الملائكة لم يعلموا اسماء الاشياء حتى انباهم بها آدم على جميعهم السلام بتعليم الله عز وجل آدم اياها

﴿قال ابو محمد﴾ وهذا لاحجة لهم فيه لان الله عز وجل يعلم من هو انقص فضلا وعلما فى الجملة أشياء لا يعلمها من هو افضل منه واعلم منه بعامدا تلك الاشياء فعلم الملائكة ما لا يعلمه آدم وعلم آدم اسماء الاشياء ثم امره بان يعلمها الملائكة كما خص الخضر عليه السلام بعلم لم يعلمه موسى عليه السلام حتى اتبعه موسى عليه السلام ليتعلم منه وعلم أيضا موسى عليه السلام علوما لم يعلمها الخضر وهكذا صح عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الخضر قال لموسى عليه السلام انى على علم من علم الله لا تعلمه انت وانت على علم من علم الله لا أعلمه أنا

* (قال ابو محمد) * وليس فى هذا أن الخضر أفضل من موسى عليه السلام

﴿قال ابو محمد﴾ وقد قال بعض الجهال ان الله تعالى جعل الملائكة خدام أهل الجنة يأتونهم بالتحف من عند ربهم عز وجل قال تعالى * وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون * وقال تعالى * والملائكه يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم *

﴿قال ابو محمد﴾ أما خدمة الملائكة لاهل الجنة واقبالهم اليهم بالتحف فشئ ما علمناه قط ولا سمعناه الا من القصاص بالخرافات والتكاذيب وانما الحق من ذلك ما ذكره الله عز وجل فى النص الذى اوردناه وهو ولله الحمد من اقوى الحجج فى فضل الملائكة على من سواهم ويلزم هذا المحتج اذا كان اقبال الملائكة بالبشارات الى اهل الجنة دليلا على فضل أهل الجنة عليهم أن يكون اقبال الرسل الينا مبشرين ومنذرين بالبشارات من عند الله عز وجل دليلا على أننا افضل منهم وهذا كفر مجرد ولكن الحقيقة هي أن الفضل اذا كان للانبياء عليهم السلام على الناس بانهم رسل الله اليهم ووسائط بين ربهم تعالى وبينهم فالفضل واجب للملائكة على الانبياء والرسل لكونهم رسل الله تعالى اليهم ووسائط بينهم وبين ربهم تعالى واما تفضل الله تعالى على أهل الجنة بالاكل والشرب والجماع واللباس والالات والقصور فانما فضلهم الله عز وجل من ذلك بما يوافق طباعهم وقد نزه الله سبحانه الملائكة عن هذه الطبائع المستدعية لهذه اللذات بل ابانهم وفضلهم بل جعل طبائعهم لا تلتذ بشىء من ذلك الا بذكر الله عز وجل وعبادته وطاعته فى تنفيذ اوامره تعالى فلا منزلة أعلى من هذه وعجل لهم سكنى المحل الرفيع الذي جعله تعالى غاية اكرامنا الوصول اليه بعد لقاء الامرين فى التعب فى عمارة هذه الدنيا النكدة وفى كلف الاعمال ففى ذلك المكان خلق الله عز وجل الملائكة منذ ابتدأهم وفيه خلدهم وبالله تعالى التوفيق

* (قال ابو محمد) * وقال بعض السخفاء ان الملائكة بمنزلة الهواء والرياح

(قال ابو محمد) وهذا كذب وقحة وجنون لان الملائكة بنص القرآن والسنن واجماع جميع من يقر بالملائكة من أهل الاديان المختلفة عقلاء متعبدون منهيون ماموروں وليس كذلك الهواء والرياح لكنها لا تعقل ولا هى متكلفة متعبدة بل هى مسخرة مصرفة لا اختيار لها قال تعالى * والسحاب المسخر بين السماء والارض * وقال تعالى * سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام * وذكر تعالى الملائكة فقال * بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون * وقال تعالى * ويستغفرون لمن فى الارض * وقال تعالى * وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا لقد استكبروا فى انفسهم وعتوا عتوا كبيرا يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين * فقرن تعالى نزول الملائكة برؤيته تعالى وقرن تعالى اتيانه باتيان الملائكة فقال عز وجل * هل ينظرون الا ان ياتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة * واعلم ان اعراب الملائكة ههنا بالرفع عطفا على الله عز وجل لا على الغمام ونص تعالى على ان آدم عليه الصلاة والسلام انما اكل من الشجرة ليكون ملكا او ليخلد كما نص تعالى علينا اذ يقول عز وجل * ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين *

﴿قال ابو محمد﴾ فبيقين ندرى ان آدم عليه السلام لولا يقينه بان الملائكة افضل منه وطمعه بان يصير ملكا لما قبل

من ابليس ماغره به من أكل الشجرة التى نهاه الله عز وجل عنها ولو علم آدم ان الملك مثله اودونه لما حمل نفسه على مخالفة امر الله تعالى لينحط عن منزلته الرفيعة الى الدون هذا مالا يظنه ذو عقل اصلا

(قال ابو محمد) وقال الله عز وجل * ان يستنكف المسيح ان يكون عبد لله ولا الملائكة المقربون * فقوله عز وجل بعد ذكر المسيح ولا الملائكة المقربون بلوغ الغاية فى علو درجتهم على المسيح عليه السلام لان بنية الكلام ورتبته انما هي اذا اراد القائل نفى صفة ما عن متواضع عنها ان يبدأ بالادنى ثم بالاعلى واذا اراد نفى صفة ما عن مترفع عنها ان يبدأ بالاعلى ثم بالادنى فنقول فى القسم الاول مايطمع في الجلوس بين يدى الخليفة خازنه ولا وزيره ولا اخوه ونقول فى القسم الثاني ما ينحط الى الاكل فى السوق وال ولا ذو مرتبة ولا متهاون من التجار او الصناع لا يجوز البتة غير هذا وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) وايضا فان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبر بان الله سبحانه وتعالى خلق الملائكة من نور وخلق الانسان من طين وخلق الجن من نار

(قال ابو محمد) ولا يجهل فضل النور على الطين وعلى النار احد الا من لم يجعل الله له نورا ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور وقد صح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا ربه فى ان يجعل فى قلبه نورا فالملائكة من جوهر دعا افضل البشر ربه فى ان يجعل فى قلبه منه وبالله تعالى التوفيق وفى هذا كفاية لمن عقل

(قال ابو محمد) وقال عز وجل * ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر * الى قوله * وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا * فانما فضل الله تعالى بنص كلامه عز وجل بنى آدم على كثير ممن خلق لا على كل من خلق وبلا شك ان بنى آدم يفضلون على الجن وعلى جميع الحيوان الصامت وعلى ما ليس حيوانا فلم يبق خلق يستثنى من تفضيل الله تعالى بنى آدم عليه الا الملائكة فقط

(قال ابو محمد) واما فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل رسول قبله فالثابت عنه عليه السلام انه قال فضلت على الانبياء بست وروى بخمس وروى باربع وروى بثلاث رواه جابر بن عبد الله وانس بن مالك وحذيفة بن اليمان وابو هريرة وبقوله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر وانه عليه السلام بعث الى الاحمر والاسود وانه عليه السلام اكثر الانبياء اتباعا وانه ذو الشفاعة التى يحتاج اليه يوم القيامة فيها النبيون فمن دونهم اماتنا الله على ملته ولا خالف بنا عنه وهو ايضا عليه السلام خليل الله وكليمه

الكلام فى الفقر والغنى

(قال ابو محمد) اختلف قوم فى اى الامرين افضل الفقر ام الغنى

(قال ابو محمد) وهذا سؤال فاسد لان تفاضل العمل والجزاء فى الجنة انما هو للعامل لا لحالة محمولة فيه الا ان ياتى نص بتفضيل الله عز وجل حالا على حال وليس هاهنا نص فى فضل احدى هاتين الحالتين على الاخرى

(قال ابو محمد) وانما الصواب ان يقال ايما افضل الغنى ام الفقير والجواب هاهنا هو ما قاله الله تعالى اذ يقول * هل تجزون الا ما كنتم تعملون * فان كان الغنى افضل عملا من الفقير فالغني افضل وان كان الفقير افضل عملا من الغنى فالفقير افضل وان كان عملهما متساويا فهما سواء قال * عز وجل ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره * وقد استعاذ النبى صلى الله عليه من فتنة الفقر وفتنة الغنى وجعل الله عز وجل الشكر بازاء الغنى والصبر بازاء الفقر فمن اتقى الله عز وجل فهو الفاضل غنيا كان او فقيرا وقد اعترض بعضهم هاهنا بالحديث الوارد ان فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل اغنيائهم بكذا وكذا خريفا ونزع الاخرون بقول الله عز وجل * ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فاغنى *

(قال ابو محمد) والغنى نعمة اذا قام بها حاملها بالواجب عليه فيها واما فقراء المهاجرين فهم كانوا اكثر وكان الغنى فيهم قليلا والامر كله منهم وفي غيرهم راجع الى العمل بالنص والاجماع على انه تعالى لا يجزى بالجنة على فقر ليس معه عمل خير ولا على غني ليس معه عمل خير وبالله التوفيق

الكلام فى الاسم والمسمى

(قال ابو محمد) ذهب قوم الى ان الاسم هو المسمى وقال آخرون الاسم غير المسمى واحتج من قال ان الاسم هو المسمى بقول الله تعالى * تبارك اسم ربك ذو الجلال والاكرام * ويقرأ ايضا ذو الجلال والاكرام قالوا ولا يجوز ان يقال تبارك غير الله فلو كان الاسم غير المسمى ما جاز أن يقال تبارك اسم ربك وبقوله تعالى * سبح اسم ربك الاعلى * قالوا ومن الممتنع ان يامر الله عز وجل بان يسبح غيره وبقوله عز وجل * ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم * وقالوا الاسم مشتق من السمو وانكروا على من قال انه مشتق من الوسم وهو العلامة وذكروا قول لبيد

الى الحول ثم اسم السلام عليكما   ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

وقالوا قال سيبويه الافعال امثلة اخذت من لفظ احداث الاسماء قالوا وانما اراد المسميات هذا كل ما احتجوا به قد تقصيناه لهم ولا حجة لهم في شيء منه اما قول الله عز وجل تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام وذو الجلال فحق ومعنى تبارك تفاعل من البركة والبركة واجبة لاسم الله عز وجل الذى هو كلمة مؤلفة من حروف الهجاء ونحن نتبرك بالذكر له وبتعظيمه ونجله ونكرمه فله التبارك وله الاجلال منا ومن الله تعالى وله الاكرام من الله تعالى ومنا حيثما كان من قرطاس او فى شيء منقوش فيه او مذكور بالالسنة ومن لم يجل اسم الله عز وجل كذلك ولا اكرمه فهو كافر بلا شك فالآية على ظاهرها دون تاويل فبطل تعلقهم بها جملة ولله تعالى الحمد وكل شيء نص الله تعالى عليه انه تبارك فذلك حق ولو نص تعالى بذلك على أي شيء كان من خلقه كان ذلك واجبا لذلك الشيء واما قوله تعالى * سبح اسم ربك الاعلى * فهو على ظاهره دون تاويل لان التسبيح فى اللغة التى بها نزل القرآن وبها خاطبنا الله عز وجل هو تنزيه الشيء عن السوء وبلا شك ان الله تعالى امرنا ان ننزه اسمه الذى هو كلمة مجموعة من حروف الهجاء عن كل سوء حيث كان من كتاب او منطوقا به ووجه آخر وهو ان معنى قوله تعالى * سبح اسم ربك الاعلى * ومعنى قوله تعالى. ان هذا لهو حق اليقين فسبح باسم ربك العظيم. معنى واحد وهو ان يسبح الله تعالى باسمه ولا سبيل الى تسبيحه تعالى ولا الى دعائه ولا الى ذكره الا بتوسط اسمه فكلا الوجهين صحيح حق وتسبيح الله تعالى وتسبيح اسمه كل ذلك واجب بالنص ولا فرق بين قوله تعالى. فسبح باسم ربك العظيم. وبين قوله. فسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وادبار النجوم. والحمد بلا شك هو غير الله وهو تعالى نسبح بحمده كما نسبح باسمه ولا فرق فبطل تعلقهم بهذه الآية والحمد لله رب العالمين

(قال ابو محمد) اما قوله تعالى. ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم. فقول الله عز وجل حق على ظاهره ولهذه الاية وجهان كلاهما صحيح احدهما ان معنى قوله عز وجل. ما تعبدون من دونه الا اسماء برهان هذا قوله تعالى اثر ذلك متصلا بها سميتموها انتم وآباؤكم فصح يقينا انه تعالى لم يعن بالاسماء هاهنا ذوات المعبودين لان العابدين لها لم يحدثوا قط ذوات المعبودين بل الله تعالى توحد باحداثها هذا ما لا شك فيه والوجه الثاني ان اولئك الكفار انما كانوا يعبدون اوثانا من حجارة او بعض المعادن او من خشب وبيقين ندرى انهم قبل ان يسموا تلك الجمل من الحجارة والمعادن ومن الخشب باسم اللات والعزى ومناة وهبل وود وسواع ويغوث ويعوق ونسرا وبعل قد كانت ذواتها بلا شك موجودات قائمة وهم لا يعبدونها ولا تستحق عندهم عبادة

فلما اوقعوا عليه هذه الاسماء عبدوها حينئذ فصح يقينا انهم لم يقصدوا بالعبادة الا الاسماء كما قال الله تعالى لا الذوات المسميات فعادت الآية حجة عليهم وبرهانا على ان الاسم غير المسمى بلا شك وبالله تعالى التوفيق وأما قولهم ان الاسم مشتق من السمو وقول بعض من خالفهم انه مشتق من الوسم فقولان فاسدان كلاهما باطل افتعله أهل النحو لم يصح قط عن العرب شيئا منهما وما اشتق لفظ الاسم قط من شيء بل هو اسم موضوع مثل حجر وجبل وخشبة وسائر الاسماء لا اشتقاق لها واول ما تبطل به دعواهم هذه الفاسدة أن يقال لهم قال الله عز وجل * قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين * فصح ان من لا برهان له على صحة دعواه فليس صادقا فى قوله فهاتوا برهانكم على ان الاسم مشتق من السمو أو من الوسم والا فهي كذبة كذبتموها على العرب وافتريتموها عليهم أو على الله تعالى الواضع للغات كلها وقول عليه تعالى او على العرب بغير علم والا فمن أين لكم ان العرب اجتمعوا فقالوا نشتق لفظة اسم من السمو أو من الوسم والكذب لا يستحله مسلم ولا يستسهله فاضل ولا سبيل لهم الى برهان اصلا بذلك وايضا فلو كان الاسم مشتقا من السمو كما تزعمون فتسمية العذرة والكلب والجيفة والقذر والشرك والخنزير والخساسة رفعة لها وسمو لهذه المسميات وتبا لكل قول أدى الى هذا الهوس البارد وايضا فهبك انه قد سلم لهم قولهم ان الاسم مشتق من السمو اي حجة على ان الاسم هو المسمى بل هو حجة عليهم لان ذات المسمى ليست مشتقة اصلا ولا يجوز عليها الاشتقاق من السمو ولا من غيره فصح بلا شك ان ما كان مشتقا فهو غير ما ليس مشتقا والاسم باقرارهم مشتق والذات المسماة غير مشتقة فالاسم غير الذات المسماة وهذا يليح لكل من نصح نفسه ان المحتج بمثل هذا السفه عيار مستهزىء بالناس متلاعب بكلامه ونعوذ بالله من الخذلان

(قال ابو محمد) وهذا قول يؤدى من اتبعه وطرده الى الكفر المجرد لانهم قطعوا ان الاسم مشتق من السمو وقطعوا ان الاسم هو الله نفسه فعلى قولهم المهلك الخبيث ان الله يشتق وان ذاته مشتقة وهذا ما لا ندرى كافرا بلغه والحمد لله على ما من به من الهدى وايضا فان الله تعالى يقول * وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين * الى قوله تعالى (قال يا آدم انبئهم باسمائهم)

(قال ابو محمد) فلا يخلو ان يكون الله عز وجل علم آدم الاسماء كلها كما قال عز وجل اما بالعربية واما بلغة أخرى او بكل لغة فان كان عز وجل علمه الاسماء بالعربية فان لفظة اسم من جملة ما علمه لقوله تعالى الاسماء كلها ولامره تعالى آدم بان يقول للملائكة انبئوني باسماء هؤلاء فلا يجوز ان يخص من هذا العموم شيء اصلا بل هو لفظ موقف عليه كسائر الاسماء ولا فرق وهو من جملة ما علمه الله تعالى آدم عليه السلام الا ان يدعوا ان الله تعالى اشتقه فالقوم كثيرا ما يستسهلون الكذب على الله تعالى والاخبار عنه بما لا علم لهم به فصح يقينا ان لفظة الاسم لا اشتقاق لها وانما هي اسم مبتدأ كسائر الاسماء والانواع والاجناس وان كان الله تعالى علم آدم الاسماء كلها بغير العربية فان اللغة العربية موضوعة للترجمة عن تلك اللغة بدل كل اسم من تلك اللغة اسم من العربية موضوع للعبارة عن تلك الالفاظ واذا كان هذا فلا مدخل للاشتقاق فى شيء من الاسماء اصلا لا لفظة اسم ولا غيرها وان كان تعالى علمه الاسماء بالعربية وبغيرها من اللغات العربية فلفظة اسم من جملة ما علمه وبطل ان يكون مشتقا اصلا والحمد لله رب العالمين فبطل قولهم فى اشتقاق الاسم وعاد حجة عليهم وبالله تعالى التوفيق واما بيت لبيد فانه يخرج على وجهين احدهما ان السلام اسم من اسماء الله تعالى قال تعالى * الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن * ولبيد رحمه الله مسلم صحيح الصحبة للنبي صلى الله عليه وسلم ومعناه ثم اسم الله عليكما حافظ لكما والوجه الثاني انه اراد بالسلام التحية ولبيد لا يقدر هو ولا غيره على ايقاع التحية عليهما انما يقدر لبيد وغيره على ايقاع اسم التحية والدعاء بها فقط فاي الامرين كان فاسم السلام فى بيت لبيد هو غير معنى السلام فالاسم فى ذلك البيت غير المسمى ولا بد ثم لو صح ما يدعونه على لبيد ولو صح لكان قول عائشة رحمها الله ورضى الله عنها انما أهجر اسمك بيانا ان الاسم غير المسمى وان اسمه

عليه

عليه السلام غيره لانها اخبرت انها لا تهجره وانما تهجر اسمه رضوان الله وهى ليست الفصاحة فى دون لبيد وهى اولى بان تكون حجة من لبيد فكيف وقول لبيد حجة عليهم لا لهم والحمد لله رب العالمين وقد قال رؤبة باسم الذى فى كل صورة سمر – ورؤبة ليس دون لبيد فى الفصاحة وذات البارى تعالى ليست فى كل صورة وانما في الصورة اسم الله تعالى فلا شك ان الذى فى السورة غير الذى ليس فيها وقال ابو ساسان حضين بن المنذر ابن الحارث بن وعلة الرقاشي لابنه غياظ.

وسميت غياظا ولست بغايظ * عدوا ولكن الصديق تغيظ.

فصرح بان الاسم غير المسمى تصريحا لا يحتمل التاويل بخلاف ما ادعوه علي لبيد واما قول سيبويه ان الافعال امثلة احدث من لفظ احداث الاسماء فلا حجة لهم فيه فيتعين ندرى انه اراد احداث اصحاب الاسماء برهان ذلك قوله فى غير ما موضع من كتابه امثلة الاسماء فى الثلاثى والرباعى والخماسى والسداسى والسباعى وقطعه ان السداسى والسباعي من الاسماء مزيدان ولا بد وان الثلاثي من الاسماء اصلى ولا بد وان الرباعى والخماسى من الاسماء يكونان اصليين كجعفر وسفرجل ويكونان مزيدين ان الثنائى من الاسماء منقوص مثل يد ودم ولو تتبعنا قطعه على ان الاسماء هى الابنية المسموعة الموضوعة ليعرف بها المسميات لبلغ ازيد من ثلثمائة موضع أفلا يستحى من يدرى هذا من كلام سيبويه اطلاقا امله بان مراده لا يخفى على احد قرأ من كتابه ورقتين ونعوذ بالله من قلة الحياء واول سطر فى كتاب سيبويه بعد البسملة هذا باب علم ما الكلم من العربية فالكلم اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل فالاسم رجل وفرس فهذا بيان جلى من سيبويه ومن كل من تكلم في النحو قبله وبعده على ان الاسماء هى بعض الكلام وان الاسم هو كلمة من الكلم ولا خلاف بين احد له حس سليم فى ان المسمى ليس كلمة ثم قال بعد اسطر يسيرة والرفع والجر والنصب والجزم بحروف الاعراب وحروف الاعراب الاسماء المتمكنة والافعال المضارعة لاسماء الفاعلين وهذا منه بيان لا اشكال فيه ان الاسماء غير الفاعلين وهى التى تضارعها الافعال التى فى اوائلها الزوائد الاربع وما قال قط من يرمي بالحجارة ان الافعال تضارع المسميين ثم قال والنصب فى الاسماء رأيت زيدا والجر مررت بزيد والرفع هذا زيد وليس فى الاسماء جزم لتمكنها والحاق التنوين وهذا كله بيان ان الاسماء هى الكلمات المؤلفة من الحروف المقطعة لا المسمون بها ولو تتبع هذا فى ابواب الجمع وابواب التصغير والنداء والترخيم وغيرها لكثر جدا وكاد يفوت التحصيل

﴿ قال ابو محمد ﴾ فسقط كل ما شغب به القائلون بان الاسم هو المسمى وكل قول سقط احتجاج اهله وعرى عن برهان فهو باطل ثم نظرنا فيمن احتج به القائلون ان الاسم غير المسمى فوجدناهم يحتجون بقول الله تعالى * ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه * قالوا والله عز وجل واحد والاسماء كثيرة وقد تعالى الله عن ان يكون اثنين او اكثر وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما مائة غير واحد من احصاها دخل الجنة قالوا ومن قال ان خالقه او معبوده تسعة وتسعون فهو شر من النصارى الذين لم يجعلوه الا ثلاثة

(قال ابو محمد) وهذا برهان ضرورى لازم ورايت لمحمد بن الطيب الباقلانى ولمحمد بن الحسن بن فورك الاصبهانى انه ليس لله تعالى الا اسم واحد فقط

(قال ابو محمد) وهذا معارضة وتكذيب لله عز وجل وللقرآن ولرسول الله صلى الله عليه وسلم ولجميع العالمين ثم عطفا فقالا معنى قول الله عز وجل ولله الاسماء الحسنى وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما انما هو التسمية لا الاسماء

(قال ابو محمد) وكان هذا التقسيم ادخل فى الضلال من ذلك الاجمال ويقال لهم فعلى قولكم هذا أراد الله تعالى ان يقول لله التسميات الحسنى فقال الاسماء الحسنى واراد رسوله الله صلى الله عليه وسلم ان يقول أن لله تسعة وتسعين تسمية فقال تسعة وتسعين اسما عن غلط وخطا قال الله تعالى ذلك ورسوله صلى الله عليه وسلم أم عن عمد ليضل بذلك أهل الاسلام ام عن جهل باللغة التى تنبهتا لها اتانا ولا بد من احد هذه الوجوه ضرورة لا محيد عنها وكلها كفر مجرد ولا بد لهم من احدها او ترك ما قالوه من الكذب على الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم هذا ودعواهم فى ذلك ظاهر الكذب بلا دليل ولا يرضى بهذا لنفسه عاقل

الاسم على المسمى فهى شىء ثالث غير الاسم وغير المسمى فذات الخالق تعالى هى الله المسمى والتسمية هى تحريكنا عضل الصدر واللسان عند نطقنا بهذه الحروف وهى غير الحروف لان الحروف هى الهواء المندفع بالتحريك فهو المحرك بفتح الراء والانسان هو المحرك بكسر الراء، والحركة هى فعل المحرك فى دفع المحرك وهذا امر معلوم بالحس مشاهد بالضرورة متفق عليه فى جميع اللغات واحتجوا أيضا بقول الله تعالى * ان الله يبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا * وهذا نص لا يحتمل تأويلا فى ان الاسم هو الياء والحاء والياء والالف ولو كان الاسم هو المسمى، لما عقل احد معنى قوله تعالى لم نجعل له من قبل سميا ولا فهم ولكان فارغا حاشا الله من هذا ولا خلاف فى ان معناه لم يطلق هذا الاسم على احد قبله وذكروا ايضا قول الله عز وجل عن نفسه هل تعلم له سميا وهذا نص جلى على ان اسماء الله تعالى التى اختص بها لا تقع على غيره ولو كان ما يدعونه لما عقل هذا اللفظ احد ايضا حاشا لله من هذا واحتجوا ايضا بقول الله تعالى مبشرا برسول ياتى من بعدى اسمه احمد وهذا نص على ان الاسم هو الالف والحاء والميم والدال اذا اجتمعت واحتجوا ايضا بقول الله عز وجل وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئونى باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين الى قوله قال يا آدم انبئهم باسمائهم فلما انبأهم باسمائهم قال ألم اقل لكم الاية وهذا نص جلى على ان الاسماء كلها غير المسميات لان المسميات كانت اعيانا قائمة وذوات ثابتة تراها الملائكة وانما جهلت الاسماء فقط التى علمها الله آدم وعلمها آدم الملائكة وذكروا قول الله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى وهذا ما لا حيلة لهم فيه لان لفظة الله هى غير لفظة الرحمن بلا شك وهى بنص القرآن اسماء الله تعالى والمسمى واحد لا يتغاير بلا شك وذكروا قول الله عز وجل * ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه * وهذا بيان ايضا جلى مجمع عليه من أهل الاسلام ان الذى عنده التذكية فهو الكلمة المجموعة من الحروف المقطعة مثل الله والرحمن والرحيم وسائر اسمائه عز وجل واحتجوا من الاجماع بان جميع اهل الاسلام لا نحاشي منهم احدا قد اجمعوا على القول بان من حلف باسم من اسماء الله عز وجل فحنث فعليه الكفارة ولا خلاف فى ان ذلك لازم فيمن قال والله او الرحمن او الصمد او اى اسم من اسماء الله عز وجل حلف بها فما أسخف عقولا يدخل فيها تخطئة ما جاء به الله عز وجل فى القرآن وما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أجمع عليه أهل الاسلام وما أطبق عليه أهل الارض قاطبة من أن الاسم هو الكلمة المجموعة من الحروف المقطعة وتصويب الباقلانى وابن فورك فى ان ذلك ليس هو الاسم وانما هو التسمية والحمد لله الذى لم يجعلنا من اهل هذه الصنعة المرذولة ولا من هذه العصابة المخذولة واحتجوا ايضا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ارسلت كلبك فذكرت اسم الله فكل فصح ان اللفظ المذكور هو اسم الله تعالى وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان له اسماء وهى احمد ومحمد والعاقب والحاشر والماحى فيالله ويا للمسلمين ايجوز ان يظن ذو مسكة عقل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس ذوات تبارك الذى يخلق ما لا نعلم وذكروا قول رسول الله صلى الله

عليه وسلم تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي فصح ان الاسم هو الميم والحاء والميم والدال بيقين لا شك فيه واحتجوا بقول عائشة رضى الله عنها بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال لها عليه السلام اذا كنت راضية عني قلت لا ورب محمد واذا كنت ساخطة قلت لا ورب ابراهيم قالت اجل والله يارسول الله ما هجر الا اسمك فلم ينكر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها ذلك القول فصح ان اسمه غيره بلا شك لانها لم تهجر ذاته وانما هجرت اسمه واحتجوا ايضا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الاسماء الى الله عز وجل عبد الله وعبد الرحمن واصدق الاسماء همام والحارث وروى اكذبها خالد ومالك وهذا كله يبين ان الاسم غير المسمى فقد يسمى عبد الله وعبد الرحمن من يبغضه الله عز وجل وقد يسمى من يكون كذابا الحارث وهماما ويسمى الصادق خالدا ومالكا فهم بخلاف أسمائهم واحتجوا ايضا بان قالوا قد اجتمعت الامم كلها على انه اذا سئل المرء ما اسمك قال فلان واذا قيل له كيف سميت ابنك وعبدك قال سميته فلانا فصح ان تسميته هي اختياره وايقاعه ذلك الاسم على المسمى وان الاسم غير المسمى واحتجوا من طريق النظر بان قالوا انتم تقولون ان اسم الله تعالى هو الله نفسه ثم لا تبالون بان تقولوا اسماء الله تعالى مشتقة من صفاته فعليم مشتق من علم وقدير مشتق من قدرة وحي من حياة فاذا اسم الله هو الله واسم الله مشتق فالله تعالى على قولكم مشتق وهذا كفر بارد وكلام سخيف ولا مخلص لهم منه فصحت البراهين المذكورة من القرآن والسنن والاجماع والعقل واللغة والنحو على ان الاسم غير المسمى بلا شك ولقد أحسن احمد بن جدار ماشاء أن يحسن اذ يقول

هيهات يا أخت آل بما * غلطت في الاسم والمسمى
لو كان هذا وقيل سم * مات اذاً من يقول سما

(قال ابو محمد) واخبرني ابو عبد الله السائح القطان انه شاهد بعضهم قد كتب الله في سحاة وجعل يصلي اليها قال فقلت له ما هذا قال معبودي قال فنفخت فيها فطارت فقلت له قد طار معبودك قال فضربني

(قال ابو محمد) وموهوا فقالوا فاسماء الله عز وجل اذا مخلوقة اذ هي كثيرة واذ هي غير الله تعالى قلنا لهم وبالله تعالى التوفيق ان كنتم تعنون الاصوات التي هي حروف الهجاء والمداد المخطوط به في القراطيس فما يختلف مسلمان في كل ذلك مخلوق وان كنتم تريدون الايهام والتمويه باطلاق الخلق على الله تعالى فمن اطلق ذلك فهو كافر بل ان اشار مشير الى كتاب مكتوب فيه الله او بعض اسماء الله تعالى او الى كلامه اذ قال يا الله او قال بعض اسمائه عز وجل فقال هذا مخلوق او هذا ليس ربكم او تكفرون بهذا لما حل لمسلم الا ان يقول حاشا لله من ان يكون مخلوقا بل هو ربي وخالقي أؤمن به ولا اكفر به ولو قال غير هذا لكان كافرا حلال الدم لانه لا يمكن ان يسال عن ذات الباري تعالى ولا عن الذي هو ربنا عز وجل وخالقنا والذي هو المسمى بهذه الاسماء ولا الى الذي يخبر عنه ولا الى الذي يذكر الا بذكر اسمه ولا بد فلما كان الجواب في هذه المسالة يموه اهل الجهل بايصال ما لا يجوز الى ذات الله تعالى لم يجز ان يطلق الجواب في ذلك البتة الا بتقسيم كما ذكرنا وكذلك لو كتب انسان محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم او نطق بذلك ثم قال لنا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم أم ليس رسول الله وتؤمنون بهذا أو تكفرون به لكان من قال ليس رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أكفر به كافرا حلال الدم باجماع اهل الاسلام ولكان نقول بل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نؤمن به ولا يختلف اثنان في الصوت المسموع والخط المكتوب ليس هو الله ولا رسول الله وبالله تعالى التوفيق فان قالوا ان احمد بن حنبل وأبا زرعة عبيد الله بن عبد الكريم وأبا حاتم محمد بن ادريس الحنظلي الرازيين رحمهم الله تعالى يقولون ان الاسم هو المسمى قلنا لهم هؤلاء رضى الله عنهم وان كانوا من أهل السنة ومن أئمتنا فليسوا معصومين من الخطا ولا أمرنا الله عز وجل بتقليدهم واتباعهم في كل ما قالوه وهؤلاء رحمهم الله

آرام احتيار هذا القول قولهم الصحيح ان القرآن هو المسموع من القرآن المخلوط فى المصاحف نفسه وهذا قول صحيح ولايوجب أن يكون الاسم هو المسمى على ماقد بينا فى هذا الباب وفى باب الكلام فى القرآن والحمدلله رب العالمين وانما العجب كله ممن قلب الحق وفارق هولاء المذكورين حيث اصابوا وحيث لايحل خلافهم وتعلق بهم حيث وهموا من هؤلاء المنتمين الي الاشعرى القائلين بان القرآن لم ينزل قط الينا ولا سمعناه قط ولانزل به جبريل علي قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وان الذى فى المصاحف هوشيء آخر غير القرآن ثم اتبعواهذه الكفرة الصلعاء بان قالوا ان اسم الله هو الله وانه ليس لله الااسم واحد وكذبوا الله تعالى ورسوله في ان لله أسماء كثيرة تسعة وتسعين ونعوذ بالله من الخذلان

﴿ قال ابو محمد ﴾ ولو أن انسانا يشير الى كتاب مكتوب فيه الله فقال هذا ليس ربي وأنا كافر بهذا لكان كافرا ولو قال هذا المداد ليس ربي وأنا كافر بربوبية هذا الصوت لكان صادقا وهذا لاينكر وانما نقف حيث وقفنا قال محمد رسول الله رحمه الله لم يبعد من الاستخفاف فلو قال اللهم ارحم محمد وآل محمد لكان محسنا ولو أن انسانا يذكر من أبويه العضو المستور باسمه لكان عاقا أتى كبيرة وان كان صادقا وبالله تعالى التوفيق

(الكلام فى قضايا النجوم والكلام فى هل يعقل الفلك والنجوم ام لا)

(قال ابو محمد) زعم قوم ان الفلك والنجوم تعقل وانها ترى وتسمع ولا تذوق ولاتشم وهذه دعوى بلا برهان وما كان هكذا فهو باطل مردود عند كل طائفة باول العقل اذ ليست أصح من دعوى اخرى تضادها وتعارضها وبرهان صحة الحكم بان الفلك والنجوم لاتعقل اصلا هو ان حركتها ابدا علي رتبة واحدة لاتتبدل عنها وهذه صفة الجماد المدبر الذى لا اختيار له فقالوا الدليل علي هذه ان الافضل لايختار الا لافضل العمل فقلنا لهم ومن اين لكم بان الحركة افضل من السكون الاختيارى لاننا وجدنا الحركة حركتين اختيارية واضطرارية ووجدنا السكون سكونين اختياريا واضطراريا فلا دليل علي ان الحركة الاختيارية افضل من السكون الاختيارى ثم من لكم بان الحركة الدورية افضل من سائر الحركات يمينا ويسارا اوامام اووراء ثم من لكم بان الحركة من شرق الى غرب كما يتحرك الفلك الاكبر أفضل من الحركة من غرب الى شرق كما تتحرك سائر الافلاك وجميع الكواكب فلاح ان قولهم مخرقة فاسدة ودعوى كاذبة مموهة وقال بعضهم لما كنا نحن نعقل وكانت الكواكب تدبرنا كانت أولى بالعقل والحياة منا فقلنا هاتان دعوتان مجموعتان فى نسق أحدهما القول بانها تدبرنا فهى دعوى كاذبة بلا برهان علي ماذكره بعد هذا ان شاء الله تعالى والثانى الحكم بان من تدبرنا احق بالعقل والحياة منا فقد وجدنا التدبير يكون طبيعيا ويكون اختياريا ولو صح انها تدبرنا لكان تدبيرا طبيعيا كتدبير الغذاء لنا وكتدبير الهواء والماء لنا وكل ذلك ليس حيا ولا عاقلا بالمشاهدة وقد أبطلنا الان ان يكون تدبير الكواكب لنا اختياريا بما ذكرنا من جريها على حركة واحدة ورتبة واحدة لا تنتقل عنها اصلا واما القول بقضايا النجوم فانا نقول فى ذلك قولا لائحا ظاهرا ان شاء الله تعالى

(قال ابو محمد) أما معرفة قطعها فى أفلاكها وآناء ذلك ومطالعها وابعادها وارتفاعاتها واختلاف مراكز أفلاكها فعلم حسن صحيح رفيع يشرف به الناظر فيه على عظيم قدرة الله عز وجل وعلى يقين تاثره وصنعته واختراعه تعالى للعالم بما فيه وفيه الذى يضطر كل ذلك الى الاقرار بالخالق ولايستغنى عن ذلك فى معرفة القبلة وأوقات الصلاة وينتج من هذا معرفة رؤية الاهلة لفرض الصوم والفطر ومعرفة الكسوفين برهان ذلك قول الله تعالى ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وقال تعالى والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغى

لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون وقال تعالى والسماء ذات البروج وقال تعالى لتعلموا عدد السنين والحساب وهذا هو نفس ما قلنا وبالله تعالى التوفيق

واما القضاء بها فالقطع بخطا لما نذكره ان شاء الله تعالى واهل القضاء ينقسمون قسمين احدهما القائلون بانها والفلك عاقلة مميزة فاعلة مدبرة دون الله تعالى او معه وانها لم تزل * فهذه الطائفة كفار مشركون حلال دماؤهم واموالهم باجماع الامة وهؤلاء عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ يقول ان الله تعالى قال اصبح من عبادى كافر بى مؤمن بالكواكب وفسره رسول الله صلى الله عليه وسلم انه القائل مطرنا بنوء كذا وكذا واما من قال بانها فى المدن التى يمكنهم فيها دعوى ان بناءها كان فى طالع كذا ونصبه كذا لكن فى الاقاليم والقطع من الارض التى لم يتقدم كون بعضها كون بعض اكذبهم فيما عليه بنوا قضاياهم فى النجوم وكذلك قسمتهم اعضاء الجسم والفلزات على الدرارى ايضا وبرهان سادس اننا نجد نوعا وانواعا من انواع الحيوان قد فشا فيها الذبح فلا تكاد يموت شىء منها الا مذبوحا كالدجاج والحمام والضان والمعز والبقر التى لا يموت منها حتف انفه الا فى غاية الشذوذ ونوعا وانواعا لا تكاد تموت الا حتف انوفها كالحمير والبغال وكثير من السباع وبالضرورة يدرى كل احد انها قد تستوى اوقات ولادتها فبطل قضاؤهم بما يوجب الموت الطبيعى وبما يوجد الكرهى لاستواء جميعها فى الولادات واختلافها فى انواع المنايا وبرهان سابع وهو اننا نرى الخصاء شيئا فى سكان الاقليم الاول وسكان الاقليم السابع ولا سبيل الى وجوده البتة فى سكان سائر الاقاليم ولا شك ولا مرية فى استوائهم فى اوقات الولادة فبطل يقينا قضاؤهم بما يوجب الخصاء وبما لا يوجبه بما ذكرنا من تساويهم فى اوقات التكون والولادة واختلافهم فى الحكم ويكفى من هذا ان كلامهم فى ذلك دعوى بلا برهان وما كان هكذا فهو باطل مع اختلافهم فيما يوجبه الحكم عندهم والحق لا يكون فى قوانين مختلفين وايضا فان المشاهدة توجب اننا قادرون على مخالفة احكامهم متى اخبرونا بها فلو كانت حقا وحتما ما قدر احد على خلافها واذا امكن خلافها فليست حقا فصح انها تخرص كالطرق بالحصا والضرب بالحب والنظر فى الكتف والزجر والطيرة وسائر ما يدعى اهله فيه تقديم المعرفة بلا شك وما يحص ما شاهدناه وما صح عندنا مما حققه حذاقهم من التعديل فى المواليد والمناجات وتحاول السنين ثم قضوا فيه فاخطؤا وما تقع اصابتهم من خطئهم الا فى جزء يسير فصح انه تخرص لا حقيقة فيه لا سيما دعواهم فى اخراج الضمير فهو كله كذب لمن تامله وبالله تعالى التوفيق وكذلك قولهم فى القرانات ايضا ولو امكن تحقيق تلك التجارب فى كل ما ذكرنا لصدقناها وما يبدوا منها ولم يكن ذلك علم غيب لان كل ما قام عليه دليل من خط او كتف او زجر وتطير فليس غيبا لو صح وجه كل ذلك وانما الغيب وعلمه هو ان يخبر المرء من الكائنات دون صناعة اصلا من شىء مما ذكرنا ولا من غيره فيصيب الجزئى والكلى وهذا لا يكون الا لنبى وهو معجزة حينئذ واما الكهانة فقد بطلت بمجىء النبى صلى الله عليه وسلم فكان هذا من اعلامه وآياته وبالله تعالى التوفيق

﴿ الكلام فى خلق الله تعالى للشىء اهو المخلوق نفسه ام غيره ﴾

وهل فعل الله من دون الله تعالى هو المفعول ام غيره

﴿ قال ابو محمد ﴾ ذهب قوم الى ان خلق الشىء المخلوق واحتج هؤلاء بقول الله عز وجل * ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم *

﴿ قال ابو محمد ﴾ ولا حجة لهم فى هذه الآية لان الاشهاد هاهنا هو الاحضار بالمعرفة وهذا حق لان الله تعالى لم يحضرنا عارفين ابتداء خلق السموات والاض وابتداء انفسنا ووجدنا من قال ان خلق الشىء هو الشىء نفسه يحتج بقول الله تعالى هذا خلق الله وهذه اشارة الى جميع المخلوقات فقد سمى الله تعالى جميع

المخلوقات كلها خلقا له وهذا برهان لا يعارض

(قال ابو محمد) ثم نسال من قال ان خلق الشيء هو غير الشيء فنقول له أخبرنا عن خلق الله تعالى لما خلق ام مخلوق هو ايضا ام غير مخلوق فلا بد من احد الامرين فان قالوا هو غير مخلوق اوجبوا بازاء كل مخلوق شيئا موجودا غير مخلوق وهذا مضاهاة لقول الدهرية والبرهان قد قام بخلاف هذا وقال تعالى * خلق كل شيء فقدره تقديرا * وان قالوا بل خلقه تعالى لما خلق مخلوق قلنا فخلقه تعالى لذلك الخلق ابخلق ام بغير خلق فان قالوا بغير خلق قيل لهم من اين قلتم ان خلقه للاشياء بخلق هو غير المخلوق وقلتم فى خلقه لذلك الخلق انه بغير خلق وهذا تخليط وان قالوا بل خلقه بخلق سالناهم الخلق هو ام بخلق هو غيره وهكذا ابدا فان وقفوا فى شيء من ذلك فقالوا خلقه هو هو سالناهم عن الفرق بين ماقالوا ان خلقه هو غيره وبين ماقالوا ان خلقه هو هو وان تمادوا واخرجوا الى وجود اشياء لانهاية لها وهذا محال ممتنع وقد قطع بهذا معمر بن عمرو العطار احد رؤساء المعتزلة وسنذكر كلامه بعد هذا ان شاء الله تعالى متصلا بهذا الباب وبالله تعالى نتايد وايضا فان الجميع مطبقون على ان الله عز وجل خلق ماخلق بلا معاياة فاذ لاشك في ذلك فقد صح يقينا انه لا واسطة بين الله تعالى وبين ماخلق ولا ثالث فى الوجود غير الخالق والمخلوق وخلق الله تعالى ماخلق حق موجود وهو بلاشك مخلوق وهو بلا شك ليس هو الخالق فهو المخلوق نفسه بيقين لاشك فيه اذلا ثالث هاهنا أصلا وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) وكل من دون الله تعالى فعله هو مفعوله نفسه لاغير لانه لايفعل احد دون الله تعالى الاحركة اوسكونا او تاثيرا أو معرفة او فكرة او ارادة ولا مفعول لشيء دون الله تعالى الا ماذكرنا فهى مفعولات الفاعلين وهي افعال الفاعلين ولا فرق وما عدا هذا فانما هو مفعول فيه كالمضروب والمقتول او مفعول به كالسوط والابرة وماشبه ذلك او مفعول له كالمطاع والمخدوم او مفعول من اجله كالمكسوب والمحلوب فهذه اوجه المفعولات

(قال ابو محمد) واماسائر افعال الله تعالى فبخلاف ماقلنا فى الخلق بل هى غير المفعول فيه اوله او به او من اجله وذلك كالاحياء فهو غير المحيا بلاشك وكلاهما مخلوق لله تعالى وخلقه تعالى لكل ذلك هو المخلوق نفسه كما قلنا وكالاماتة فهى غير الممات ولو كان غير هذا وكان الاحياء هو المحيا والاماتة هى الممات وبيقين ندرى ان المحيا هو الممات نفسه لوجب ان يكون الاحياء هو الاماتة وهذا محال وكالابقاء فهو غير المبقى للبرهان الذى ذكرنا وبيقين ندرى ان الشيء غير اعراضه التى هي قائمة به وقتا وفانية عنه تارة وبالله تعالى التوفيق

﴿الكلام فى البقاء والفناء والمعانى التى يدعيها معمر ﴾

والاحوال التى تدعيها الاشعرية وهل المعدوم شيء ام ليس شيئا ومسئلة الاجزاء وهل يتجدد خلق الله للاشياء ام لا يتجدد

(قال ابو محمد) ذهب قوم الى ان البقاء والفناء صفتان للباقى والفاني لا هما الباقى ولا الفانى ولا هما غير الباقى والفانى

﴿قال ابو محمد﴾ وهذا قول فى غاية الفساد لان القضية الثانية بنقيض الاولى والاولى بنقيض الثانية لانه اذا قال ليست هى فقد اوجب انها غيره واذا قال ليست غيره فقد اوجب انه هو وهذا تناقض ظاهر وايضا فانه لافرق بين قول القائلين ليس هو هو ولا بين قوله هو هو وهو غيره والمعنى فى تلك القضيتين سواء وأيضا فلو كان البقاء ليس هو الباقى ولا هو غيره والفناء ليس هو الفاني ولا هو غيره فالباقى هو الفانى نفسه والباقى ليس هو الباقي ولا غيره وهذا مزيد من الجنون ومن التناقض وذهب معمر الى ان الفناء صفة قائمة بغير الفانى

(قال ابو محمد) وهذا تخبيط لا يعقل ولا يتوهم ولا يقوم عليه دليلا اصلا وما كان هكذا فهو باطل والحقيقة فى ذلك ظاهرة وهى ان البقاء هو وجود الشىء وكونه ثابتا قائما مدة زمان ما فاذ هو قائما كذلك فهو صفة موجودة فى الباقى محمولة فيه قائمة به موجودة بوجوده فانية بفنائه واما الفناء فهو عدم الشىء وبطلانه جملة وليس هو شيئا اصلا والفناء المذكور ليس موجودا البتة فى شىء من الجواهر وانما هو عدم العرض فقط كحمرة الخجل اذا ذهبت عبر عن المعنى المراد بالاخبار عن ذهابها بلفظة الفناء كالغضب يفنى ويعقبه رضا وما اشبه ذلك ولو شاء الله عز وجل ان يعدم الجواهر لقدر على ذلك ولكنه لم يوجد ذلك الى الآن ولا جاء به نص فيقف عنده فالفناء عدم كما قلنا

الكلام فى المعدوم اهو شىء ام لا

(قال ابو محمد) وقد اختلف الناس فى المعدوم اهو شىء ام لا فقال اهل السنة وطوائف من المرجئة كالاشعرية وغيرهم ليس شيئا وبه يقول هشام بن عمرو الفوطى احد شيوخ المعتزلة وقال سائر المعتزلة المعدوم شىء وقال عبد الرحيم بن محمد بن عثمان الخياط احد شيوخ المعتزلة ان المعدم جسم فى حال عدمه الا انه ليس متحركا ولا ساكنا ولا مخلوقا ولا محدثا فى حال عدمه

(قال ابو محمد) واحتج من قال بان المعدوم شىء بان قالوا قال عز وجل ان زلزلة الساعة شىء عظيم فقالوا فقد اخبر عز وجل بانها شىء وهى معدومة ومن الدليل على ان المعدوم شىء انه يخبر عنه ويوصف ويتمنى ومن المحال ان يكون ما هذه صفته ليس شيئا

(قال ابو محمد) اما قول الله عز وجل ان زلزلة الساعة شىء عظيم فان هذه القصة موصولة بقوله تعالى يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى فانما تم الكلام عند قوله يوم ترونها فصح ان زلزلة الساعة يوم ترونها شىء عظيم وهذا هو قولنا ولم يقل تعالى قط انها الآن شىء عظيم ثم اخبر تعالى بما يكون يومئذ من هول المرضعات ووضع الاحمال وكون الناس سكارى من غير خمر فبطل تعلقهم بالآية وما نعلم انهم شغبوا بشىء غيرها واما قولهم ان المعدوم يخبر عنه ويوصف ويتمنى ويسمى فجهل شديد وظن فاسد وذلك ان قولنا فى شىء يذكر انه معدوم ويخبر عنه انه معدوم ويتمنى به انما هو ان يذكر اسم ما فذلك الاسم موجود بلا شك يعرف ذلك بالحس كقولنا العنقاء وابن آوى وحبين وعرس ونبوة مسيلمة وما اشبه ذلك ثم كل اسم ينطق به ويوجد ملفوظا او مكتوبا فانه ضرورة لابد له من احد وجهين اما ان يكون له مسمى واما ان يكون ليس له مسمى فان كان له مسمى فهو موجود وهو شىء حينئذ وان كان ليس له مسمى فاخبارنا بالعدم وتمنينا المريض الصحة انما هو اخبار عن ذلك الاسم الموجود انه ليس له مسمى ولا تحته شىء وتمن منا لان يكون تحته مسمى فهكذا هو الامر لا كما ظنه اهل الجهل فصح ان المعدوم لا يخبر عنه ولا يتمنى ونسألهم عمن قال ليت لى ثوبا احمر وغلاما اسود اخبرونا هل الثوب المتمنى به عندكم أحمر ام لا فان اثبتوا معنى وهو الثوب اثبتوا عرضا محمولا فيه وهو الحمرة فوجب ان المعدوم يحمل الاعراض وان قالوا لم يتمن شيأ اصلا صدقوا وصح ان المعدوم لا يتمنى لانه ليس شيأ ولا فرق بين قول القائل تمنيت لا شىء وبين قوله لم اتمن شيأ بل هما مثلان انهما بمعنى واحد وهذا ايضا يخرج على وجه آخر وهو انه لا يتمنى الاشيا موجود فى العالم كثوب موجود أو غلام موجود واما من اخرج لفظة التمنى لما ليس فى العالم فلم يتمن شيأ واما قولهم يوصف فطريق عجيب جدا لان معنى قول القائل يوصف اخبار بان له صفة محمولة فيه موجودة به فليت شعرى كيف يحمل المعدوم من الصفات من الحمرة والخضرة والقوة والطول والعرض ان هذا لعجيب جدا فظهر فساد ما موهوا به والحمد لله رب العالمين

(قال) ابو محمد رضى الله عنه واذ قد عرا قولهم عن الدليل فقد صح انه دعوى كاذبة ثم نقول و بالله التوفيق من البرهان على ان المعدوم اسم لا يقع على شيء أصلا قول الله عز وجل وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا وقوله تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا وقوله وخلق كل شيء فقدره تقديرا وقال عز وجل انا كل شيء خلقناه بقدر فيلزمهم ولا بد ان كان المعدوم شيئا ان يكون مخلوقا بعد وهم لا يختلفون فى ان المخلوق موجود وقد وجد وقتا من الدهر فالمعدوم على هذا موجود وقد كان موجودا وهذا خلاف قولهم وهذا غاية البيان فى ان المعدوم ليس شيئا

(قال) أبو محمد رضى الله عنه ونسالهم ما معنى قولنا شيء فلا يجدون بدا من ان يقولوا انه الموجود او ان يقولوا هو كل ما يخبر عنه فان قالوا هو الموجود صاروا الى الحق وان قالوا هو كل ما يخبر عنه قلنا لهم ان المشركين يخبرون عن شريك الله عز وجل قال تعالى أين شركائى

(قال) أبو محمد وهذا معدوم لا مدخل له فى الحقيقة واسم لا مسمى تحته فان قالوا ان شركاء الله تعالى اشياء كانوا قد أفحشوا وأيضا فانه قد اتفقت جميع الامم لا نحاشى ان المعدوم ليس شيئا او لا شيء او ما يعبر به فى كل لغة عن شيء وعن لا شيء الا ان المعنى واحد فلو كان المعدوم شيئا لكان ما أجمعوا عليه بلا شيء وليس شيئا ولم يكن شيئا باطلا وهذا رد على جميع أهل الارض مذ كانوا الى ان يفنى العالم فصح أن الموجود هو الشيء فاذ هو الشيء فبضرورة العقل ان اللاشيء هو المعدوم ثم نسالهم أتقولون ان المعدوم عظيم او صغير او حسن او قبيح او طويل او قصير او ذو لون فى حال عدمه فان ابوا من هذا تناقض قولهم وسئلوا عن الفرق بين قولهم انه شيء و بين قولهم انه حسن او قبيح او صغير او كبير وكيف قالوا انه شيء ثم قالوا انه ليس حسنا ولا قبيحا ولا صغيرا ولا كبيرا فان قالوا نعم اوجبوا ان المعدوم يحمل الاعراض والصفات وهذا تخليط ناهيك به وسئلوا فبماذا يحمل الصفات أفى ذاته او فيماذا فان قالوا فى ذاته أوجبوا ان له ذاتا وهذه صفة الموجود ضرورة وان قالوا بل يحمل الصفات فى غيره كان ذلك أيضا عجبا زائدا ومحالا لا خفاء به

(قال) ابو محمد ونسالهم هل الايمان موجود من أبى جهل او معدوم فان قولهم بلا شك انه معدوم منه . فنسالهم عن ايمان أبى جهل المعدوم حسن هو أم قبيح . فان قالوا لا حسن ولا قبيح قلنا لهم ايكون يعقل ايمان ليس حسنا هذا عظيم جدا . وان قالوا بل هو حسن أوجبوا انه حامل للحسن وكذلك نسالهم عن الكفر المعدوم من الانبياء عليهم السلام اقبيح هو أم لا . فان قالوا لا أوجبوا كفرا ليس قبيحا . وان قالوا بل هو قبيح أوجبوا ان المعدوم يحمل الصفات ونسالهم عن ولد العقيم المعدوم منه اصغير هو أم كبير ام عاقل ام أحمق . فان منعوا من وجود شيء من هذه الصفات له كان عجبا ان يكون ولد لا صغير ولا كبير ولا حى ولا ميت وان وصفوه بشيء من هذه الصفات اتوا بالزيادة من المحال ونسالهم عن الاشياء المعدومة ألها عدد ام لا عدد لها . فان قالوا لا عدد لها كانوا قد أتوا بالمحال اذ أقروا باشياء لا عدد لها . وان قالوا بل لها عدد كان ذلك عجبا جدا ومحالا لا خفاء به وسالناهم عن الاولاد المعدومين من العاقر والعقيم كم عددهم . ونسالهم عن الاشياء المعدومة اهى فى العالم ومن العالم أم ليست فى العالم ولا من العالم فان قالوا هى فى العالم ومن العالم سالناهم عن مكانها فان حددوا لها مكانا سخفوا ما شاؤا وان قالوا لا مكان لها . قيل لهم وكيف يكون شيء فى العالم لا مكان له فيه ولا حامل

(قال أبو محمد) ويلزمهم ان المعدومات اذا كانت أشياء لا عدد لها ولا نهاية ولا مبدأ فانها لم تزل وهذه دهرية محققة وكفر مجرد ان تكون اشياء لا تحصى كثيرة لم تزل مع الله تعالى ونعوذ بالله من مثل هذا الهوس

(قال ابو محمد) وقد ادعوا ان المعدوم يعلم وهذا جهل منهم بحدود الكلام لا سيما ممن اقر بان المعدوم

لاشيء وادعي مع ذلك انه يعلم فالزمنام على ذلك انهم يعلمون لاشيء وان الله تعالى يعلم لاشيء فحصر بعضهم علي ذلك فقلنا له ان قولك علمت لاشيء وعلم الله تعالى لاشيء ملائم لقولك لم اعلم شيئا ولقولك لم يعلم الله تعالى شيئا لافرق بين معنى القضيتين البتة بل هما واحد وان اختلفت العبارتان واذ هو كذلك فقد صح ان المعدوم لايعلم فان الزمنا على هذا وسالنا هل يعلم الله تعالى الاشياء قبل كونها أم لا قلنا لم يزل الله تعالى يعلم ان مايخلقه ابدا الى مالا نهاية له فانه سيخلقه ويرتبه على الصفات التي يخلقها فيها اذا خلقه وانه سيكون شيئا اذا كونه ولم يزل عز وجل يعلم ان مالم يخلق بعد فليس هو شيئا حتى يخلقه ولم يزل تعالى يعلم انه لاشيء معه وانه ستكون الاشياء اشياء اذا خلقها لانه تعالى انما يعلم الاشياء على ماهى عليه لاعلى خلاف ماهى عليه لان من علمها على خلاف ماهى عليه فلم يعلمها بل جهلها وليس هذا علما بل هو ظن كاذب وجهل وبرهان هذا قول الله عز وجل ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو فى لغة العرب التى خاطبنا الله تعالى بها حرف يدل على امتناع الشيء لامتناع غيره فصح انه تعالى لم يسمعهم لانه لم يعلم فيهم خيرا او لاخير فيهم فصح ان المعدوم لايعلم أصلا ولو علم لكان موجودا وانما يعلم الله تعالى ان لفظة المعدوم لامسمى لها ولا شيء تحتها ويعلم عز وجل الآن ان الساعة غير قائمة وهو الآن تعالى لا يعلمها قائمة بل يعلم انه سيقيمها فتقوم فتكون قيامة وساعة ويوم جزاء ويوم بعث وشيئا عظيما حين يخلق كل ذلك لاقبل ان يخلقه فاما علمه تعالى بانه سيقيمها فتقوم فهو موجود حق فهذا معنى اطلاق العلم على مالم يكن بعد من المعدومات كما اننا لانعلم الآن الشمس طالعة طلوعها فى غد بل نعلم انها ستطلع غدا وكذالك لانعلم موت الاحياء الان بل نعلم ان الله تعالى سيخلق موتهم فنعلمه موتا لهم اذا خلقه لاقبل ذلك وبالله تعالى التوفيق وقال تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين فهذا نص جلى على ان المعدوم لايعلم لان الله تعالى اخبر انه لايدخل الجنة من لايعلمه الله تعالى مجاهدا ولا صابرا فصح ان من لم يجاهد ولا صبر فلم يعلمه الله تعالى قط مجاهدا ولاصابرا ولا علم له جهادا ولا صبرا وانما علمه غير مجاهد وغير صابر ولم يزل تعالى يعلم ان من كان منهم سيجاهد وسيصبر فانه لم يزل يعلم انه سيجاهد وسيصبر فاذا جاهد وصبر علمه حينئذ صابرا مجاهدا والعلم لايستحيل لانه ليس شيئا غير البارى تعالى وانما استحال المعلوم فقط . ثم نسالهم هل يعلم الله تعالى لحية الاطلس وقنا الافطس ام لايعلم ذلك وهل يعلم الله تعالي اولاد العقيم وايمان الكافر وكفر المؤمن وكذب الصادق وصدق الكاذب ام لايعلم شيئا من ذلك . فان قالوا انه تعالي يعلم كل ذلك كانوا قد وصفوا الله تعالى بالجهل وانه يعلم الاشياء بخلاف ماهى عليه وان قالوا انه تعالى لا يعلم للعقيم اولادا وانما يعلمه لاولد له ولا يعلم لحية الاطلس بل يعلمه غير ذى لحية صدقوا وعادوا الى الحق وبالله تعالى التوفيق

* (الكلام فى المعانى على معمر) *

﴿ قال ابو محمد ﴾ واما معمر ومن اتبعه فقالوا انا وجدنا المتحرك والساكن فايقنا ان معنى حدث في المتحرك به فارق الساكن في صفته وان معنى حدث فى الساكن به ايضا فارق المتحرك في صفته وكذلك علمنا ان فى الحركة معنى به فارقت السكون وان فى السكون معنى به فارق الحركة وكذلك علمنا ان فى ذلك المعنى الذى به خالفت الحركة السكون معنى به فارق المعنى الذى به فارقه السكون وهكذا ابدا اوجبوا أن فى كل شيء في هذا العالم من جوهر او عرض اى شيء كان معانى فارق كل معنى منها كل ماعداه فى العالم وكذلك ايضا فى تلك المعاني لانها اشياء موجودة متغايرة واوجبوا بهذا وجود اشياء فى زمان محدد فى العالم لانهاية لعددها

(قال ابو محمد) هذه جملة كل ما شغبوا به الا انهم فصلوها ومدوها فى الكفر والكافر والايمان والمؤمن وفى غير ذلك مما هو المعنى الذى اوردناه بعينه ولا زيادة فيه اصلا

(قال ابو محمد) وهذا ليس شيئا لانا نقول لهم وبالله تعالى التوفيق العالم كله قسمان جوهر حامل وعرض محمول ولا مزيد ولا ثالث فى العالم غير هذين القسمين هذا امر يعرف بضرورة العقل وضرورة الحس فالجواهر مغايرة بعضها لبعض بذواتها التى هى اشخاصها يعنى بالغيرية فيها وتختلف ايضا بجنسها وهى ايضا مفترق بعضها من بعض بالعرض المحمول فى كل حامل من الجواهر واما الاعراض فمغايرة للجواهر بذواتها بالغيرية فيها وكذلك هذه ايضا بعضها مغاير لبعض بذواتها وبعضها مفارق لبعض بذواتها وان كان بعض الاعراض ايضا قد تحمل الاعراض كقولنا حمرة مشرقة وحمرة كدرة وعمل سيىء وعمل صالح وقوة شديدة وقوة دونها فى الشدة ومثل هذا كثير الا ان كل هذا يقف فى عدده متناه لا يزيد وهذا امر يعلم بالحس والعقل فالمتحرك يفارق الساكن هذا بحركته وهذا بسكونه والحركة تفارق السكون بذاتها ويفارقها السكون بذاته وبالنوعية والغيرية والحركة الى الشرق تفارق الحركة الى الغرب بكون هذه الى الشرق وكون هذه الى الغرب بذاته وبالغيرية فقط وهكذا فى كل شيء فكل شيئين وقعا تحت نوع واحد مما يلى الاشخاص فانهما يختلفان بغيريتهما فان كانا وقعا تحت نوعين فانهما يختلفان بالغيرية فى الشخص وبالغيرية فى النوع أيضا والغيرية ايضا لها نوع جامع لجميع اشخاصها الا ان كل ذلك واقف عند حد من العدد لا يزيد ولا بد ثم نسألهم فخبرونا عن المعانى التى تدعونها فى حركة واحدة ايما اكثر اهى أم المعاني التى تدعونها في حركتين فان أثبتوا قلة وكثرة تركوا مذهبهم واوجبوا النهاية فى المعانى التى نفوا النهاية عنها وان قالوا لا قلة ولا كثرة ههنا كابروا وأتوا بالمحال الناقض ايضا لاقوالهم لانهم اذا أوجبوا للحركة معنى اوجبوا للحركتين معنيين وهكذا أبدا فوجبت الكثرة والقلة ضرورة لا محيد عنها

(قال ابو محمد) فلم يكن لهم جواب أصلا الا أن بعضهم قال اخبرونا اليس الله تعالى قادرا على ان يخلق فى جسم واحد حركات لا نهاية لها

(قال ابو محمد) فجواب اهل الاسلام فى هذا السؤال نعم واما من عجز ربه فاجابوا بلا فسقط هذا السؤال عنهم وكان سقوط الاسلام عنهم بهذا الجواب اشد من سقوط سؤال اصحاب معمر

(قال ابو محمد) فتمادى سؤالهم لاهل الحق فقالوا فاخبرونا ايما اكثر ما يقدر الله تعالى عليه من خلق الحركات فى جسمين او ما يقدر عليه من خلق الحركات فى جسم واحد فكان جواب أهل الحق فى ذلك انه لا يقع عدد على معدوم ولا يقع العدد الا على موجود معدود والذى يقدر الله تعالى عليه ولم يفعله فليس هو بعد شيئا ولا له عدد ولا هو معدود ولا نهاية لقدرة الله تعالى واما ما يقدر عليه تعالى ولم يفعله فلا يقال فيه ان له نهاية ولا انه لا نهاية له واما كل ما خلق الله تعالى فله نهاية بعد وكذا كل ما يخلق فاذا خلقه حدثت له نهاية حينئذ لا قبل ذلك واما المعانى التى تدعونها فانكم تدعون انها موجودة قائمة فوجب ان يكون لها نهاية فان نفيتم النهاية عنها لحقتم باهل الدهر وكلمناكم بما كلمناهم به مما قد ذكرنا قبل وبالله تعالى التوفيق ثم لو تثبت لكم هذه العبارة من قول القائل ان ما يقدر الله تعالى عليه لا نهاية لعدده وهذا لا يصح بل الحق فى هذا ان نقول ان الله تعالى قادر على ان يخلق ما لا نهاية له فى وقت ذى نهاية ومكان ذى نهاية ولو شاء ان يخلق ذلك فى وقت غير ذى نهاية ومكان غير ذى نهاية لكان قادرا على كل ذلك لما وجب من ذلك اثبات ما ادعيتم من وجود معان فى وقت واحد لا نهاية لها اذ ليس ههنا عقل يوجب ذلك ولا خبر يوجب ذلك وانما هو قياس منكم اذ قلتم لما كان قادرا على ان يخلق ما لا نهاية له قلنا انه قد خلق ما لا نهاية له فهذا قياس والقياس كله باطل ثم لو كان القياس حقا لكان هذا منه باطلا لانه بزعمكم

قياس

قياس موجود على ومعدوم قياس وتشبيه لما قد خلقه بزعمكم على مالم يخلقه وهذا فى غاية الفساد ولا فرق بينكم فى هذا القياس الفاسد وبين من يقول ان في بلد كذا قوما يشمون من عيونهم ويسمعون من انوفهم ويذوقون من آذانهم ويبصرون من السنتهم فاذا كذب فى ذلك وسئل برهانا على دعواه قال اتقرون ان الله قادر على خلق ذلك فقلنا له نعم قال فهذا دليل على صحة دعواى بل انتم اسوأ حالا لان هذا أخبر عن متوهم لوكان كيف كان يكون فانتم تخبرون عن غير متوهم فى النفس ولا متشكل فى العقل وهو اقراركم بوجود معان لانهاية لعددها فى وقت واحد

(قال ابو محمد) فبطل هذا القول الفاسد والحمد لله رب العالمين وكان يكفى من بطلانها انها دعوى لا برهان على صحتها وهى دعوى فاسدة غير ممكنة بل هى محال لا يتوهم ولا ولا يتشكل وبالله تعالى التوفيق

الكلام فى الاحوال مع الاشعرية ومن وافقهم

(قال ابو محمد) واما الاحوال التى ادعتها الاشعرية فانهم قالوا ان ههنا أحوالا ليست حقا ولا باطلا ولا هى مخلوقة ولا غير مخلوقة ولا هي موجودة ولا معدومة ولا هى معلومة ولا هى مجهولة ولا هى أشياء ولا هى لا أشياء ، وقالوا من هذا علم العالم بان له علما ووجوده لوجوده مايجده قالوا فان قلتم ان لكم علما بان لكم علما بالبارى تعالى وبما تعلمونه وان لكم وجودا لوجودكم ما تجدونه سألناكم ألكم علم بعلمكم بان لكم علما وهل لكم وجود لوجودكم ووجودكم ماتجدونه ، فان أقررتم بذلك لزمكم ان تسلسلوا هذا أبدا الى مالانهاية له ودخلتم في قول أصحاب معمر والدهرية ؛ وان منعتم من ذلك سئلتم عن صحة الدليل على صحة منعكم مامنعتم من ذلك وصحة ايجابكم ماأوجبتم من ذلك ، وكذلك قالوا فى قدم القديم وحدوث المحدث وبقاء الباقى وفناء الفاني وظهور الظاهر وخفاء الخافى وقصد القاصد ونية الناوى وزمان الزمان وماأشبه ذلك وقالوا لوكان للباقى بقاء ولبقاء الباقى بقاء وهكذا أبدا الى مالانهاية له قالوا فهذا يوجب وجود اشياء لانهاية لها وهذا محال ، وهكذا قالوا فى قدم القديم وقدم قدمه وقدم قدم قدمه الى مالانهاية له وفى حدوث احد حدوث حدوثه وحدوث حدوث حدوثه الى مالانهاية له ، وهكذا قالوا في زمان الزمان وزمان زمان الزمان الى مالانهاية له وفى فناء الفاني وفناء فناء فنائه مالانهاية له وكذلك ظهور الظاهر وظهور ظهوره وظهور ظهور ظهوره الى مالانهاية له وكذلك القصد والقصد الى القصد والقصد الى القصد الى القصد وهكذا الى مالانهاية وكذلك النية والنية للنية والنيه لنية النية الى مالانهاية له وكذلك تحقيق الحق وتحقيق تحقيق الحق الى مالانهاية له

(قال ابو محمد) أفكار السوء اذا ظن صاحبها انه يدقق فيها فهى أضر عليه لانها تخرجه الى التخليط الذى ينسبونه الى السوفسطائية والى الهذيان المحض وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا

(قال ابو محمد) والكلام فى هذا أبين من ان يشكل على عامى فكيف على فهم (١) فكيف على عالم والحمد لله ونحن نتكلم على هذا ان شاء الله عزوجل كلاما ظاهرا لائحا لا يخفى على ذى حس سليم وبالله تعالى نتايد فنقول وبالله تعالى التوفيق . أما القدم فانه من صفات الزمن ومن فيه تقول ملك أقدم من ملك وزمان أقدم من زمان وشيخ اقدم من شيخ اي انه متقدم بزمانه عليه والزمان متقدم بذاته على الزمان ليس فى العالم قدم قديم الازماني هذا هو حكم اللغة التى لا يوجد فيها غيره أصلا ، فلقدم هو التقدم والتقدم متقدم على غيره بنفسه فقط لان القدم موجود معلوم وهى صفة المتقدم فلا يجوز انكاره واما قدم القدم فباطل لانه لم يات به نص ولا قام بوجوده دليلا وما كان هكذا فهو باطل واما وجود الوجود فبضرورة الحس ان الموجود حق وانه يقتضى واجد وان الوجد يقتضى وجودا لما وجد هو فعل الواجد وصفته

---

(١) فهم كحذر كثير الفهم

فهو حق لما ذكرنا ووجود الواجد بذاته لابوجود هو غيره لان وجود الوجود لم يات به نص ولا برهان وما كان هكذا فهو باطل ، وأما البارى عزوجل فانه يجد نفسه ويعلمها ويجد مادونه ويعلمه بذاته لابوجود هو غيره ولابعلم هو غيره فقط وكذلك العالم منا يقتضى علما ولابد هو فعل العالم وصفته المحمولة فيه عرضا بيقين ويزيد ويذهب ويثبت اطوارا هذا مالا شك فيه والعالم منا يعلم انه يحمل علما يعلمه ذلك لابعلم هو غيرعلمه لان العلم بالعلم لم يوجب وجوده نص ولا برهان وما كان هكذا فهو باطل وكذلك الباقى مثله بلاشك والبقاء هو اتصال وجوده مدة بعد مدة وهذا معنى صحيح لايجوزان ينكره عاقل فاما بقاء البقاء فلم يات بايجاب وجود نص ولاقام به برهان وما كان هكذا فهو باطل ولايجوز ان يوصف الله تعالى ببقاء البقاء ولا انه (١) باق كما لايوصف بالخلد ولا بانه خالد ولا بالدوام ولا بانه دائم ولا بالثبات ولا بانه ثابت ولا بطول العمر ولا بطول المدة لان الله عزوجل لم يسم نفسه بشىء من ذلك لافى القرآن ولاعلى لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا قاله قط أحد من الصحابة رضي الله عنهم ولاقام به برهان بل البرهان قام ببطلان ذلك لان كل ماذكرنا من صفات المخلوقين ولايجوز ان يوصف الله تعالى بشىء من صفات المخلوقين الاان ياتى نص بان يسمى باسم مافيوقف عنده ولان كل ماذكرنا اعراض فيما هو فيه والله تعالى لايحمل الاعراض وايضا فانه عز وجل لافى زمان ولايمر عليه زمان ولاهو متحرك ولاساكن لكن يقال لم يزل الله تعالى ولايزال ، واما الفناء فانه مدة للعدم تعدها اجزاء الحركات والسكون ولايجوز ان تكون للمدة مدة لكنها مدة فى نفسها ولنفسها فالقول بالزمان حق لانه محسوس معلوم واما القول بزمان الزمان فهو شىء لم يات به نص ولاقام بصحته برهان وما كان هكذا فهو باطل ، واماظهور الظاهر فهو متيقن معلوم والظهور صفة الظاهر وفعله تقول ظهر يظهر ظهورا والظهور معلوم ظاهر بنفسه ولايجوز ان يقال ان للظهور ظهورا لانه لم يات به نص ولا قام بصحته برهان وما كان هكذا فهو باطل ، واما خفاء الخافى فهو عدم ظهوره والعدم ليس شيئا كما قدمنا ، واما القصد الى الشيء والنية له فانهما فعل القاصد والناوى وارادتهما الشىء والقول بهما واجب لانهما موجودان بالضرورة يجدهما كل واحد من نفسه ويعلمهما من غيره علما ضروريا واما القصد الى القصد والنية للنية فباطل لانه لم يات به نص ولا اوجبهما دليل وما كان هكذا فهو باطل والقول به لايجوز فهذا وجه البيان فيما خفى عليهم حتى أتوا فيه بهذا التخليط والحمد لله رب العالمين

(قال ابو محمد) ثم نقول لهم اخبرونا اذا قلتم هذه احوال أهى معان ومسميات مضبوطة محدودة متميز بعضها من بعض ام ليست معانى اصلا ولا لها مسميات ولاهى مضبوطة ولامحدودة متميز بعضها من بعض ، فان قالوا ليست معانى ولامحدودة ولامضبوطة ولامتميزا بعضها من بعض ولالتلك الاسماء مسميات اصلا ، قيل لهم فهذا هو معنى العدم حقا فلم قلتم انها ليست معدومة ثم لم سميتموها احوالا وهى معدومة ولا تكون التسمية الاشرعية اولغوية وتسميتكم هذه المعانى احوالا ليست تسمية شرعية ولا لغوية ولامصطلحا عليها لبيان مايقع عليه فهى باطل محض بيقين ، فان قالوا هى معان مضبوطة ولها مسميات محدودة متميزة بعضها من بعض قيل لهم هذه صفة الموجود ولا بد فلم قلتم انها ليست موجودة وهذا مالا مخلص لهم منه وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) ويقال لهم ايضا هذه الاحوال التى تقولون امعقولة هي أم غير معقولة فان قالوا هى معقولة كانوا قد اثبتوا لها معانى وحقائق من اجلها عقلت فهى موجودة ولابد والعدم ليس معقولا لكنه لامعنى لهذه اللفظة أصلا وبالله تعالى التوفيق ، ويقال لهم ايضا هل الاحوال فى اللغة

---

(١) ولا أنه اى بقاء البقاء باق

وفى المعقول الا صفات لذي حال وهل الحال فى اللغة الا بمعني التحول من صفة الى اخرى يقال هذا حال فلان اليوم وكيف كانت حالك بالامس وكيف يكون الحال غدا فاذا الامر هكذا ولابد فهذه الاحوال موجودة حق مخلوقة ولا بد فظهر فساد قولهم وانه من اسخف الهذيان والمحال الممتنع الذى لايرضى به عاقل ، ويقال لهم ايضا قبل كل شيء وبعده فمن اين سميتم هذا الاسم يعنى الاحوال ومن اين قلتم لاهى معلومة ولاهي مجهولة ولا حق ولا باطل ولامخلوقة ولاغير مخلوقة ولامعدومة ولا موجودة ولا هى أشياء ولاغير اشياء أى دليل حداكم على هذا الحكم أقرآن أمسنة ام اجماع أم قول متقدم أم لغة ام ضرورة عقل ام دليل اقناعى ام قياس فهاتوه ولا سبيل اليه فلم يبق الا الهذر والهوس وقلة المبالاة بما يكتبه الملكان ويسال عنه رب العالمين والتهاون باستخفاف أهل العقول لمن قال بهذا الجنون ولامزيد ونعوذ بالله من الخذلان ، وماينبغى لهم بعد هذا أن ينكروا على من أتى بما لا يعقل ككون الجسم فى مكانين والجسمين فى مكان واحد وكون شيء قائما قاعدا وكون أشياء غير متناهية فى وقت واحد فان قالوا هذا كفر قيل لهم بل الكفر ماجئتم به لانه ابطال الحقائق كلها والعجب كل العجب انهم لايجوزون قدرة الله تعالى على ماهو محال عندهم وقد أتوا فى هذا الفصل بعين المحال ونعوذ بالله من الخذلان

﴿قال ابو محمد﴾ وكلامهم فى هذه المسالة كلام ماسمع باسخف منه ولا قول السوفسطائية ولاقول النصارى ولا قول الغالية على ان هذه الفرق احمق الفرق اقوالا اما السوفسطائية فانهم قطعوا على ان الاشياء باطل لاحق أو انها حق عند من هى عنده حق و باطل عند من هي عنده باطل ، وأما النصارى والغالية فان كانت هاتان الفرقتان قد اتتا بالعظائم فانهم قطعوا بانها حق ، وأما هؤلاء المخاذيل فانهم اتوا بقول حققوه وابطلوه ولم يحققوه ولا ابطلوه كل ذلك معا فى وقت واحد من وجه واحد وهذا لاياتى به الا مبرسم (١) او مجنون أو ماجن يريد أن يضحك من معه

﴿قال ابو محمد﴾ ونحن نتكلف بيان هذا التخليط التى اتو به وان كان مكتفيا بسماعه ولكن التزيد من ابطال الباطل ما أمكن حسن فنقول وبالله تعالى التوفيق ان قولهم لاهي حق ولا هى باطل فان كل ذى حس سليم يدرى أن كل مالم يكن حقا فهو باطل ومالم يكن باطلا فهو حق هذا لا يعقل غيره فكيف وقد قال الله تعالى * فماذا بعد الحق الا الضلال * وقال تعالى ليحق الحق و يبطل الباطل * وقال تعالى * هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون * وقال تعالى * خلق كل شيء فقدره * وقال تعالى * انا وجدنا ماوعدنا ربنا حقا * وقال * فهل وجدتم ماوعد ربكم حقا قالوا نعم *

﴿قال ابو محمد﴾ وهؤلاء قوم ينتمون الي الاسلام ويصدقون القرآن ولولا ذلك مااحتججنا عليهم فقد قطع الله تعالى انه ليس الا حق او باطل وليس الا علم اوجهل وهو عدم العلم وليس الاوجود اوعدم وليس الا شيء مخلوق او الخالق او لفظة العدم التى لاتقع علي شيء ولا علي مخلوق فقد اكذبهم الله عز وجل فى دعواهم ولا يشك ذو حس سليم ان مالم يكن باطلا فهو حق ومالم يكن حقا فهو باطل ومالم يكن معلوما فهو مجهول ومالم يكن مجهولا فهو معلوم ومالم يكن شيئا فهو لاشيء ومالم يكن لاشيء فهو شيء ومالم يكن موجودا فهو معدوم وما لم يكن معدوما فهو موجود ومالم يكن مخلوقا فهوغير مخلوق ومالم يكن غير مخلوق فهو مخلوق ، هذا كله معلوم ضرورة ولايعقل غيره ، فاذ هذا كذلك ولا فرق بين ماقالوه فى هذه القضية وبين القول اللازم لهم ضرورة وهو . ان تلك الاحوال معدومة موجودة معا حق باطل معا معلومة مجهولة معا مخلوقة غير مخلوقة معا شيء لاشيء معا وهذا هو نفس قولهم ومقتضاه ، لانهم اذ قالوا ليست حقا

---

(١) المبرسم الذى يهذى من علة البرسام وهى الحمى من الجدري

فقد اوجبوا انها باطل واذ قالوا ولاهى باطل فقد اوجبوا انها حق وهكذا فى سائر ماقالوه ، فاعجبوا العقول وسع هذا فيها وسخوا به ورقهم ، وعجب آخر وهو قولهم ان هاهنا احوالا ولفظة هاهنا معناه الاثبات بلا شك فهى موجودة ثابتة بلاشك ﴿قال ابو محمد﴾ ولم يخلصوا من هذا من قول معمر فى وجوب وجود اشياء لانهاية لها او ان يصيروا الى قولنا فى ابطال هذه التى يسمونها أحوالا واعدامها جملة وما نعلم هوسا الا وقد انتظمته هذه المقالة ونعوذ بالله من الخذلان * ومسئلة أخري

قالت الاشعرية ليس فى العالم شىء له بعض أصلا ولا شيء له نصف ولاثلث ولا ربع ولاخمس ولا سدس ولا سبع ولا ثمن ولا تسع ولا عشر ولا جزء اصلا واحتجوا فى هذا بان قالوا يلزم من قال ان الواحد عشر العشرة وجزء من العشرة وبعض العشرة ان يقول ولا بد ان الواحد عشر من نفسه وجزء من نفسه وبعض نفسه وانه جزء لغيره عشر لغيره لان العشرة تسعة وواحد فلو كان الواحد عشر العشرة وبعضا للعشرة وجزأ للعشرة لكان عشرا لنفسه وللتسعة التى هى غيره ولكان جزأ بعضا لنفسه وللتسعة التى هى غيره

﴿قال أبو محمد﴾ وهذا خبط شديد أول ذلك انه رد على الله تعالى مجرد وتكذيب للقرآن وخلاف اللغة بل لجميع اللغات ومكابرة للعقول وللحواس قال تعالى * واذا خلا بعضهم الى بعض * وقال تعالى * يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا * وقال تعالى * فلامه الثلث ، فلامه السدس ، فلها النصف ، ولهن الربع ، ولهن الثمن * فقد كذبوا القرآن نصا ثم هذا موجود فى كل طبيعة وفى كل امة ومحسوس بالحواس ثم يقال لهم لافرق بينكم وبين من صحح ولم ينكر كون الشىء بعض نفسه و بعض غيره وجزأ لنفسه وجزأ لغيره وعشر نفسه وعشر غيره واحتج فى تصحيح ذلك بالحجة التى رمتم بها ابطال ذلك ولا مزيد ، وكلا كما متسكع (١) في ظلمة الخطا ، ثم نقول لهم - وبالله تعالى التوفيق - ليس الامر كما ظننتم بل الاسماء موضوعة للتفاهم ولتمييز بعض المسميات من بعض ، فالعشرة اسم للعشرة افراد مجتمعات فى العدد كذلك لتسعة وواحد ولثمانية واثنين ولسبعة وثلاثة ولستة وأربعة وخمسة وخمسة قال تعالى * ثلاثة ايام فى الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة * وهكذا جميع الاعداد لاينكر ذلك الا مخذول منكر للمشاهدة ، فبالضرورة ندري ان كل جزء من تلك الجملة فهو بعض لها وعشر لها وقسم منها لنسبة ما ولا يقال هو جزء لنفسه ولاجزء لغيره ولا انه بعض لنفسه ولا انه بعض لغيره ولا عشر لنفسه ولا عشر لغيره ومثل هذا البلق الذى هو اسم لاجتماع السواد والبياض معا فالبياض البلق والسواد بعض البلق وليس البياض جزأ لنفسه وللسواد ولا بعضا لنفسه وللسواد وكل واحد منهما جزء للبلق ، وكذلك الانسان اسم للجملة المجتمعة من اعضائه ولاشك في ان العين بعض الانسان وجزء من الانسان ولايحتمل ان يقال العين بعض نفسها وبعض الاذن واليد ولا ان يقال الاذن جزء لنفسها وللعين والانف وهكذا فى سائر الاعضاء ، فعلي قول هؤلاء النوكى (٢) يلزمهم ان لاتكون العين بعض الانسان وان يقولوا ان العين بعض نفسها وبعض الاذن ، ومن ابطل الابعاض والاجزاء فقد ابطل الجمل لان الجمل ليست شيئا البتة غير ابعاضها ومن ابطل الجمل فقد ابطل الكل والجزء وابطل العالم بكل مافيه واذا بطل العالم بطل الدين والعقل ، وهذه حقيقة السفسطة ومانعلم فى الاقوال احمق من هذه المسالة ومن التى قبلها نعوذ بالله من الخذلان

---

(١) المتسكع المتعسف فى مشيه والذى لايهتدى فى امره والمتحير والمتمادى في الباطل

(٢) النوكى كالحمقى وزنا ومعنى جمع انوك كاحمق

(الكلام فى خلق الله عز وجل للعالم فى كل وقت وزيادته في كل دقيقة)

(قال ابو محمد) وذكر عن النظام انه قال ان الله تعالى مايخلق كل ماخلق فى وقت واحد دون ان يعدمه وأنكر عليه القول بعض أهل الكلام

(قال ابو محمد) وقول النظام هاهنا صحيح لانا اذا اثبتنا ان خلق الشيء نفسه فخلق الله تعالى قائم فى كل موجود ابدا مادام ذلك الموجود موجودا وايضا فانا نسألهم مامعنى قولكم خلق الله تعالى امر كذا فجوابهم ان معنى خلقه انه تعالى اخرجه من العدم الى الوجود فنقول لهم اليس معنى هذا القول منكم انه اوجده ولم يكن موجودا فلا بد من قولهم نعم . فنقول لهم وبالله تعالى التوفيق فالخلق هو الايجاد عندكم بلا شك فاخبرونا أليس الله تعالى موجدا لكل موجود ابدا مدة وجوده فان أنكروا ذلك أحالوا واوجبوا ان الاشياء موجودة وليس الله تعالى موجدا لها الآن وهذا تناقض وان قالوا نعم فان الله تعالي موجد لكل موجود ابدا مادام موجودا قلنا لهم هذا هو الذى انكرتم بعينه قد اقررتم به لان الايجاد هو الخلق نفسه والله تعالى موجد لكل مايوجد في كل وقت ابدا وان لم يفنه قبل ذلك والله تعالى خالق لكل مخلوق فى كل وقت وان لم يفنه قبل ذلك وهذا مالا مخلص لهم منه وبالله تعالى التوفيق وبرهان آخر وهو قول الله تعالى * ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم * وصح البرهان بان الله تعالى خالق التراب والماء الذى يتغذى آدم وبنوه بما استحال عنهما وصارت فيه دماء واحاله الله تعالى منيا فثبت بهذا يقينا ان جميع اجساد الحيوان والنوامى كلها متفرقة ثم جمعها الله تعالى فقام منها الحيوان والنوامى وقال عز وجل * ثم أنشأناه خلقا آخر * وقال تعالى خلقا من بعد خلق * فصح ان فى كل حين يحيل الله تعالى أحوال مخلوقاته فهو خلق جديد والله تعالى يخلق فى كل حين جميع العالم خلقا مستانفا دون ان يفنيه وبالله تعالى التوفيق

(الكلام فى الحركة والسكون)

(قال ابو محمد) ذهبت طائفة الى أنه لاحركة فى العالم وان كل ذلك سكون واحتجوا بان قالوا وجدنا الشيء ساكنا فى المكان الاول ساكنا فى المكان الثانى وهكذا أبدا فعلمنا ان كل ذلك سكون ، وهذا قول منسوب الى معمر بن عمرو العطار مولى بنى سليم أحد رؤساء المعتزلة وذهبت طائفة الى أن لاسكون اصلا وانما هى حركة اعتماد ، وهذا قول ينسب الى ابراهيم بن سيار النظام ، واحتج غير النظام من اهل هذه المقالة بان قالوا السكون انما هو عدم الحركة والعدم ليس شيئا ، وقال بعضهم هو ترك الحركة وترك الفعل ليس فعلا ولا هو معنى ، وذهبت طائفة الى ابطال الحركة والسكون معا ، وقالوا انما يوجد متحرك وساكن فقط وهو قول ابي بكر بن كيسان الاصم ، وذهبت طائفة الى ان الجسم فى اول خلق الله تعالى ليس ساكنا ولا متحركا ، وذهبت طائفة الى اثبات الحركة والسكون الا انها قالت ان الحركات اجسام ، وهو قول هشام بن الحكم شيخ الامامية وجهم بن صفوان السمرقندى ، وذهبت طائفة الى اثبات الحركة والسكون وان كل ذلك اعراض ، وهذا هو الحق . فاما من قال بنفي الحركة وان كل ذلك سكون فقولهم يبطل باننا قد علمنا بان السكون انما هو اقامة فى المكان ، وان الحركة نقلة عن ذلك المكان وزوال عنه ، ولاشك فى ان الزوال عن الشيء هو غير الاقامة فيه ، فاذ الامر كذلك فواجب ان يكون لهذين المعنيين المتغايرين لكل واحد منهما اسم غير اسم الآخر كما هما متغايران ، فاتفق فى اللغة ان يسمى احدهما حركة ويسمي الآخر سكونا وأما قولهم ان كل حركة فهى سكون فى المكان الثانى فليس كذلك ، لان السكون اقامة لانقلة فيها فاذا وجدت نقلة متصلة لااقامة فيها فهى غير الاقامة التى لانقلة فيها ، ونوع آخر له أيضا اشخاص غير اشخاص

النوع الآخر ، وبيقين ندرى ان الشيء المتحرك من مكان الى مكان فانه وان جاوز كل مكان يمر عليه فانه غير واقف ولا مقيم ، هذا مالاشك فيه يعرف ذلك بضرورة الحس ، فصح ان الحركة معنى وان السكون معنى آخر ، وأما من قال ان السكون حركة اعتماد فاحتجاج لا يعقل فلا وجه للاشتغال به ، وأما حجة من احتج بان السكون عدم الحركة والعدم ليس شيئا فليس كما قال ، لانه عقب الحركة اقامة موجودة ظاهرة فهى وان كان معها بوجودها عدمت الحركة فليست هى عدما كما ان القيام معنى صحيح موجود وان كان قد عدمت معه سائر الحركات والاعمال من القعود والاتكاء والاضطجاع ، ويقال لهم وما الفرق بينكم وبين من قال بل الحركة ليست معنى لانها عدم السكون فهذا مالا انفكاك عنه وكذلك من قال أيضا ان المرض ليس معنى لانه عدم الصحة والصحة ليست معنى لانها عدم المرض ومثل هذا كثير جدا وفى هذا ابطال الحقائق كلها وأما من قال ان الترك ليس معنى فخطأ لان كل من دون الله تعالى فانه ان ترك معنى ما وفعلا ما فلا بد له ضرورة من فعل آخر ومعنى آخر هذا أمر يوجد بالمشاهدة والحس لا يمكن غير ذلك فصح ان ترك من دون الله تعالى لفعل ماهو أيضا فعل صحيح بوجوده منه سمى تاركا لما ترك وليس الله تعالى كذلك بل لم يزل غير فاعل ولم يكن بذلك فاعلا للترك لان ترك الانسان للفعل كما بينا عرض موجود فيه وهو حامل له ولو كان لترك الله تعالى للفعل معنى لكان قائما به تعالى ومعاذ الله من هذا من أن يكون عز وجل حاملا لعرض فلو كان أيضا قائما بنفسه لكان جوهرا والترك ليس جوهرا ولو كان قائما بغيره عز وجل لكان تعالى فاعلا له غير تارك ، فصح الفرق وبالله تعالى التوفيق ، وأما من أبطل الحركة والسكون معا فقول فاسد أيضا ، لانه أثبت المتحرك والساكن مع ذلك وبيقين يدرى كل ذى حس سليم ان من تحرك سكن ، فان تلك العين المتحركة ثم الساكنة هى عين واحدة وذات واحدة لم تتبدل ذاتها وانما تبدل عرضها المحمول فيها ، فبالضرورة ندرى أنه حدث فيه أوله أو منه معنى من أجله استحق أن يسمى متحركا وانه حدث فيه أوله أو منه أيضا معنى من أجله استحق أن يسمى ساكنا ، ولولا ذلك لم يكن بان يسمى متحركا احق به منه بان يسمى ساكنا ، هذا أمر محسوس مشاهد ، فذلك المعنى هو الحركة أو السكون فصح وجودهما ضرورة ، ولا فرق بين من أثبت الساكن والمتحرك ونفى الحركة والسكون ، ولا فرق بينه وبين من أثبت الضارب والقائم والآكل وأبطل الضرب والاكل والقيام ، وهذه سفسطة صحيحة وبالله تعالى التوفيق واما من قال ان الجسم فى أول خلق الله عز وجل له ليس ساكنا ولا متحركا فكلام فاسد أيضا لانه لا يتوهم ولا يعقل معنى ثالث ليس حركة ولا سكونا وهذا لا يتشكل في النفس ولا يثبته عقل ولا سمع ، وأيضا فلانه قول لا دليل عليه فهو باطل ، ولا شك فى أن الله تعالى اذا خلق الجسم فانما يخلقه فى زمان ومكان فاذ لا شك فى ذلك فالجسم فى أول حدوثه ساكن فى المكان الذى خلقه الله تعالى فيه ولو طرفة عين ، ثم اما أن يتصل سكونه فيه فتطول اقامته فيه ، واما أن ينتقل عنه فيكون متحركا ، فان قال قائل بل هو متحرك لانه خارج عن العدم الى الوجود قيل له هذا منك تسمية فاسدة ، لان الحركة فى اللغة وهى التى يتكلم عليها أنما هى نقلة من مكان الى مكان ، والعدم ليس مكانا ولم يكن المخلوق شيئا قبل أن يخلقه الله تعالى فحال خلقه هى أول احواله التى لم يكن هو قبلها فكيف ان يكون له حال قبلها فلم ينتقل اصلا بل ابتدأه الله تعالى الآن ، واما الجسم الكلى الذى هو جرم العالم جملة وهو الفلك الكلى فكل جزء منه مقدر مفروض فان أجزاءه ، المحيطة به من أربع جهات والجزء الذى يليه فى جهة عمق الفلك هو مكانه ، ولا مكان له فى الصفحة التى لا تلى الاجزاء التى ذكرنا ، والله تعالى يمسكه بقوته كما يشاء ولا يلاقيه من صفحته العليا شيء اصلا ولا هنالك مكان ولا زمان ولا خلاء ولا ملا

﴿ قال ابو محمد ﴾ ورأيت لبعض النوكى ممن ينتمى الى الكلام قولا ظريفا ، وهو انه قال ان الله تعالى اذ

خالق الارض خلق جرما عظيما يمسكها لئلا تنحدر سفلا فحين خلق ذلك الجرم اعدمه وخلق آخر وهكذا ابدا بلانهاية لانه زعم لو بقاه وقتين لاحتاج الى ممسك وهكذا ابدا الى مالا نهاية له كان هذا الانوك لم يسمع قول الله تعالى * ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده * فصح ان الله تعالى يمسك الكل كما هو دون عمد لازيادة ولاجرم آخر، ولو ان هؤلاء المخاذيل اذ عدموا العلم تمسكوا باتباع القرآن والسكوت عن الزيادة والخبر عن الله بما لاعلم لهم به لكان اسلم لهم فى الدين والدنيا، ولكن من يضلل الله فلاهادى له ونعوذ بالله من الضلال، واما من قال ان الحركات اجسام فخطأ، لان الجسم فى اللغة موضوع للطويل العريض العميق ذى المساحة، وليست الحركة كذلك فليست جسما ولا يجوز ان يوقع عليها اسم جسم اذ لم يأت ذلك في اللغة ولا في الشريعة ولا اوجبه دليل واوضح انها ليست جسما فهى بلاشك عرض، واما من قال ان الحركة ترى فقول فاسد، لانه قد صح ان البصر لايقع فى هذا العالم الا على لون فى ملون فقط، وبيقين ندرى ان الحركة لالون لها فاذ لالون لها فلاسبيل الى ان ترى، وانما علمنا كون الحركة لانا رأينا الملون المتحرك فى مكان ما، ثم رأيناه فى مكان آخر فعلمنا ان ذلك الملون قد انتقل عن مكان الى مكان بلاشك، وهذا المعنى هو الحركة، او بان يحس الجسم قد انتقل من مكان الى مكان فيدرى حينئذ من لامسه وان كان أعمى او مطبق العينين انه تتحرك، وبرهان ماقلنا ان الهواء لما لم يكن له لون لم يره احد وانما يعلم تموجه وتحركه بملاقاته فانه منتقل وهو هبوب الرياح، وكذلك ايضا علمنا حركة الصوت باحساسنا الصوت يأتى من مكان ما الى مكان ما، وكذلك القول فى الحركة فى المشموم من الطيب والنتن وحركة المذوق، فبطل قول من قال ان الحركات ترى، وصح ان الحركة ليست لونا ولا لها لون ولو كان هذا لامكن لآخر ان يدعى ان الحركة انه يسمع الحركة وهذا خطأ، لانه لايسمع الا الصوت ولامكن لآخر ان يدعى ان الحركة تلمس وهذا خطأ، وانما يلمس المجسة من الخشونة والاملاس او غير ذلك من المجسات، والحق من هذا انما هو ان الحركة تعرف وتوجد بتوسط كل ماذكرنا وبالله تعالى التوفيق.

﴿ قال ابو محمد ﴾ والحركات النقلية المكانية تنقسم قسمين لاثالث لهما، اما حركة ضرورية او اختيارية، فالاختيارية هى فعل النفوس الحية من الملائكة والانس والجن وسائر الحيوان كله، وهى التى تكون الى جهات شتى على غير رتبة معلومة الاوقات، وكذلك السكون الاختيارى والحركة الضرورية تنقسم قسمين لاثالث لهما اما طبيعية واما قسرية، والاضطرارية هي الحركة الكائنة ممن ظهرت منه عن غير قصد منه اليها، واما الطبيعية فهى حركة كل شيء غير حى مما بناه الله عليه كحركة الماء الى وسط المركز، وحركة الارض كذلك، وحركة الهواء والنار الى مواضعها، وحركة الافلاك والكواكب دورا، وحركة عروق الجسد النوابض، والسكون الطبيعى هو سكون كل ماذكرنا فى عنصره، واما القسرية فهى حركة كل شيء دخل عليه مايحيل حركته عن طبيعته او عن اختياره الى غيرها، كتحريك المرء قهرا وتحريك الماء علوا والحجر كذلك، وكتحريك النار سفلا والهواء كذلك، وكتصعيد الهواء، كعكس الشمس لحر النار، والسكون القسرى هو توقيف الشيء فى غير عنصره، او توقيف المختار كرها، وبالله تعالى التوفيق

﴿ الكلام فى التولد ﴾

﴿ قال ابو محمد ﴾ تنازع المتكلمون في معنى عبروا عنه بالتولد وهو انهم اختلفوا فيمن رمي سهما فجرح به انسانا او غيره، وفى حرق النار وتبريد الثلج وسائر الآثار الظاهرة من الجمادات، فقالت طائفة ماتولد من ذلك عن فعل انسان او حي فهو فعل الانسان والحى، واختلفوا فيما تولد من غير حى فقالت طائفة هو فعل الله، وقالت طائفة ماتولد من غير حى فهو فعل الطبيعة، وقال آخرون كل ذلك فعل الله عز وجل.

﴿ قال أبو محمد ﴾ فهؤلاء مبطلون للحقائق غائبون عن موجبات العقول.

﴿قال ابو محمد﴾ والامر أبين من ان يطول فيه الخطاب والحمد لله رب العالمين والصواب في ذلك : ان كل ما في العالم من جسم أو عرض في جسم او أثر من جسم فهو خلق الله عز وجل ، فكل ذلك فعل الله عز وجل بمعنى انه خلقه وكل ذلك مضاف بنص القرآن وبحكم اللغة الى ما ظهرت منه من حي أو جماد قال تعالى * فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج * فنسب عز وجل الاهتزاز والانبات والربو الى الارض وقال * تلفح وجوههم النار * فاخبر تعالى ان النار تلفح وقال تعالى * وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه * فاخبر عز وجل ان الماء يشوي الوجوه وقال تعالى * ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة * فسمي تعالى المخطيء قاتلا واوجب عليه حكما وهو لم يقصد قتله قط لكنه تولد عن فعله ، وقال تعالى * اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه * فاخبر تعالى ان الكلم والعمل عرض من الاعراض وقال تعالى أفان مات او قتل انقلبتم * وقال تعالى * على شفا جرف هار فانهار به * ولم تختلف امة ولا لغة في صحة قول القائل مات فلان وسقط الحائط فنسب الله تعالى وجميع خلقه الموت الى الميت ، والسقوط الى الحائط ، والانهيار الى الجرف ، لظهور كل ذلك منها ليس في القرآن ولا في السنن ولا في المعقول شيء غير هذا الحكم ، ومن خالف هذا فقد اعترض على الله تعالى وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الامم وعلى جميع عقولهم ، وهذه صفة من عظمت مصيبته بنفسه ومن لا دين له ولا عقل ولا حياء ولا علم ، وصح بكل ما ذكرنا ان اضافة كل أثر في العالم الى الله تعالى هي على غير اضافته الى من ظهر منه ، فاما اضافته الى الله تعالى فلانه خلقه ، وأما اضافته الى من ظهر منه أو تولد عنه فلظهوره منه اتباعاً للقرآن ولجميع اللغات ولسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل هذه الاخبارات وكلتا هاتين الاضافتين حق لا مجاز في شيء من ذلك ، لانه لا فرق بين ما ظهر من حي مختار أو من غير حي مختار في أن كل ذلك ظاهر مما ظهر منه ، وانه مخلوق لله تعالى ، الا ان الله تعالى خالق في الحي اختيارا لما ظهر منه ، ولم يخلق الاختيار فيما ليس حيا ولا مريداً ، فما تولد عن فعل فاعل فهو فعل الله عز وجل بمعنى انه خلقه ، وهو فعل ما ظهر منه بمعنى أنه ظهر منه ، قال الله تعالى * فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى * وقال تعالى * افرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه ام نحن الزارعون * وهذا نص قولنا وبالله تعالى التوفيق .

﴿الكلام في المداخلة والمجاورة والكمون﴾

﴿قال أبو محمد﴾ ذهب القائلون بان الالوان اجسام الى المداخلة ومعنى هذه اللفظة ان الجسمين يتداخلان فيكونان جميعاً في مكان واحد

﴿قال ابو محمد﴾ وهذا كلام فاسد لما سنبينه ان شاء الله تعالى في باب الكلام في الاجسام والاعراض من ديواننا هذا وبالله تعالى التوفيق من ذلك ان كل جسم فله مساحة واذا كان كذلك فله مكان زائد ، واذ له مكان بقدر مساحته ولا بد ، فان كل جسم زيد عليه جسم آخر فان ذلك الجسم الزائد يحتاج الى مكان زائد من اجل مساحته الزائدة ، هذا امر يعلم بالمشاهدة فان اختلط الامر على من لم يتدرب في معرفة حدود الكلام من اجل ما يرى في الاجسام المتخلخلة من تخلل الاجسام المايعة لها ، فانما ذلك لان في خلال اجزاء تلك الاجسام المتخلخلة خروقا صغارا مملوءة هواء فاذا صب عليها الماء او مائع ما ملأ تلك الخروق وخرج عنها الهواء الذي كان فيها ، وهذا ظاهر للعين محسوس خروج الهواء عنها بنفاخات وصوت من كل ما يخرج عنه الهواء مسرعا والذي ذكرنا فانه اذا تم خروج الهواء عنه وزيد في عدد المائع ربا واحتاج الى مكان زائد واما الذي ذكرنا قبل فانه في الاجسام المكتنزة كماء صب على ماء او دهن على دهن او دهن على ماء وهكذا في كل شيء من هذه الانواع وغيرها ،

فصح يقينا ان الجسم انما يكون في الجسم على سبيل المجاورة كل واحد في حيز غير حيز الآخر، وانما تكون المداخلة بين الاعراض والاجسام وبين الاعراض والاعراض، لان العرض لا يشغل مكانا فيجد اللون والطعم والمجسة والرائحة والحر والبرد والسكون كل ذلك مداخل للجسم ومداخل بعضه بعضا، ولا يمكن ان يكون جسم واحد في مكانين ولا جسمان في مكان واحد، ثم ان المجاورة بين الجسمين تنقسم اقسام احدها ان يخلع احد الجسمين كيفياته ويلبس كيفية الآخر، كنقطة رميتها في دن خل اودن مرق اوفي لبن اوفي مداد اوشيء يسير من بعض هذه في بعض اومن غيرها كذلك، فان الغالب منها يسلب المغلوب كيفياته الذاتية والغيرية ويذهبها عنه ويلبسه كيفياته نفسه الذاتية والغيرية، والثاني ان يخلع كل واحد منهما كيفياته الذاتية والغيرية ويلبسا معا كيفيات اخر، كماء الزاج اذا جاور ماء العفص، وكجسم الجير اذا جاور جسم الزرنيخ، وكسائر المعاجن كلها والدقيق والماء وغير ذلك، والثالث ان لا يخلع واحد منهما عن نفسه كيفية من كيفياته لا الذاتية ولا الغيرية بل يبقى كل واحد منهما كما كان كزيت اضيف الى ماء كحجر الى حجر وثوب الى ثوب، فهذا حقيقة الكلام في المداخلة والمجاورة ۞ واما الكمون فان طائفة ذهبت الى ان النار كامنة في الحجر وذهبت طائفة الى ابطال هذا وقالت انه لا نار في الحجر اصلا وهو قول ضرار بن عمرو

(قال ابو محمد) وكل طائفة منهما فانها تفرط على الاخرى فيما تدعي عليها، فضرار ينسب الى مخالفيه انهم يقولون بان النخلة بطولها وعرضها وعظمها كامنة في النواة، وان الانسان بطوله اوعرضه وعمقه وعظمه كامن في المني، وخصومه ينسبون اليه انه يقول ليس في النار حر ولا في العنب عصير ولا في الزيتون زيت ولا في الانسان دم.

(قال ابو محمد) وكلا القولين جنون محض ومكابرة للحواس والعقول، والحق في ذلك ان في الاشياء ماهو كامن كالدم في الانسان والعصير في العنب والزيت في الزيتون والماء في كل ما يعتصر منه، وبرهان ذلك ان كل ما ذكرنا اذا خرج مما كان كامنا فيه ضمر الباقي لخروج ما خرج وخف وزنه لذلك عما كان عليه قبل خروج الذي خرج، ومن الاشياء ما ليس كامنا كالنار في الحجر والحديد، لكن في حجر الزناد والحديد الذكر قوة اذا تضاغطا احتدم ما بينهما من الهواء فاستحال نارا، وهكذا يعرض لكل شيء منحرق فان رطوباته تستحيل نارا ثم دخانا ثم هواء اذ في طبع النار استخراج ناريات الاجسام وتصعيد رطوباتها حتى يفنى كل ما في الجسم من الناريات والمائيات عنه بالخروج ثم لو نفخت دهرك على ما بقي من الارضية المحضة وهي الرماد لم يحترق ولا اشتغل اذ ليس فيه نار فتخرج ولا ماء فيتصعد، وكذلك دهن السراج فانه كثير الناريات بطبعه فيستحيل بما فيه من المائية اليسيرة دخانا هوائيا وتخرج ناريته حتى يذهب كله، واما القول في النوى والبزور والنطف، فان في النواة وفي البزر وفي النطفة طبيعة خلقها في كل ذلك الله عز وجل، وهي قوة تجتذب الرطوبات الواردة عليها من الماء والزبل ولطيف التراب الوارد كل ذلك على النواة والبزر، فتحيل كل ذلك الى ما في طبعها احالته اليه فيصير عودا ولحاء وورقا وزهرا وثمرا وخوصا وكرما، ومثل الدم الوارد على النطفة فتحيله طبيعته التي خلقها الله تعالى فيه لحما ودما وعظما وعصبا وعروقا وشرائين وعضلا وغضاريف وجلدا وظفرا وشعرا، وكل ذلك خلق الله تعالى فتبارك الله احسن الخالقين والحمد لله رب العالمين

(قال ابو محمد) وذهب الباقلاني وسائر الاشعرية الا انه ليس في النار حر ولا في الثلج برد ولا في الزيتون زيت ولا في العنب عصير ولا في الانسان دم، وهذا امر ناظرنا عليه من لاقيناه منهم. والعجب كل العجب قولهم هذا التخليط وانكارهم ما يعرف بالحواس وضرورة العقل، ثم هم يقولون مع هذا: ان

للزجاج والحصا طعما ورائحة ، وان لنشور العنب رائحة ، وان للالك طعما ورائحة . وهذا احدى عجائب الدنيا ﴿ قال ابو محمد ﴾ وما وجدنا لهم فى ذلك حجة غير دعواهم ان الله تعالى خلق كل حر نجده فى النار عند مسنا اياها وكذلك خلق البرد فى الثلج عند مسنا اياه وكذلك خلق الزيت عند عصر الزيتون والعصير عند عصر العنب والدم عند القطع والشرط ﴿ قال ابو محمد ﴾ فاذا تعلقوا من هذا بحواسهم فمن اين قالوا ان للزجاج طعما ورائحة وللفلك طعما ورائحة وهذا موضع تشهد الحواس بتكذيبهم فى احدهما ولا تدرك الحواس الآخر ويقال لهم لعل الناس ليس فى الارض منهم أحد وانما خلقهم الله عند رؤيتكم لهم ولعل بطونكم لامصارين فيها ورؤسكم لا ادمغة فيها لكن الله عز وجل خلق كل ذلك عند الشدخ والشق ﴿ قال ابو محمد ﴾ وقول الله تعالى يكذبهم اذ قال تعالى * يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم * فلولا ان النار تحرق بحرها لما كان يقول الله عز وجل * قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون * فصح ان الحر فى النار موجود وكذلك اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نار جهنم اشد حرا من نارنا هذه سبعين درجة وقال تعالى * وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين * فاخبر ان الشجرة تنبت بها وقال تعالى * ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا * فصح ان السكر والعصير الحلال ماخوذ من الثمر والاعناب ولو لم يكونا فيهما ما أخذا منهما وقد اطبقت الامة كلها على انكار هذا الجنون وعلى القول هذا أحلى من العسل وامر من الصبر وأحر من النار ونحمد الله على السلامة

﴿ الكلام فى الاستحالة ﴾

﴿ قال ابو محمد ﴾ احتج الحنيفيون ومن وافقهم في قولهم ان النقطة من البول والخمر تقع فى الماء فلا يظهر لها فيا اثر انها باقية فيه بجسمها ، الا ان أجزاءها دقت وخفيت عن ان تحس ، وكذلك الحبر يرمى فى اللبن فلا يظهر له فيه اثر ، وكذلك الفضة اليسيرة تذاب فى الذهب فلا يظهر لها فيه اثر ، وهكذا كل شيء قالوا لو ان ذلك المقدار من الماء يحيل ماء النقطة من الخمر تقع فيه لكان أكثر من ذلك المقدار اقوى على الاحالة بلا شك ، ونحن نجد كلما زدنا نقط الخمر وقلتم انتم قد استحالت ماء ونحن نزيد فلا يلبث ان تظهر الخمر ، وهكذا فى كل شيء قالوا فظهرت صحة قولنا ولزمكم ان كلما كثر الماء ضعفت احالته وهكذا فى كل شيء ﴿ قال ابو محمد ﴾ فقلنا لهم ان الامور انما هى على مارتبها الله عز وجل وعلى ماتوجد عليه لا على قضاياكم المخالفة للحس . ولا ينكر ان يكون مقدار ما يفعل فعلا ما فاذا كثر لم يفعل ذلك الفعل كالمقدار من الدواء ينفع فاذا زيد فيه أو نقص منه لم ينفع . ونحن نقر معكم بما ذكرتم ولا ننكره فنقول ان مقدار اما من الماء يحيل مقدارا ما يلقي فيه من الخل او الخمر أو العسل ولا يحيل أكثر منه مما يلقى فيه . ونحن نجد الهواء يحيل الماء هواء حتى اذا كثر الهواء المستحيل من الماء بل أحال الهواء ماء ، وهكذا كل ما ذكرتم ، وانما العمدة ههنا هى ما شهدت به أوائل العقول والحواس من ان الاشياء انما تختلف باختلاف طبائعها وصفاتها التى منها تقوم حدودها وبها تختلف في اللغات أسماؤها فللماء صفات وطبائع اذا وجدت فى جرم ما سمى ماء ، فاذا عدمت منه لم يسم ماء ولم يكن ماء ، وهكذا كل ما في العالم ولا نحاشى شيئا أصلا ومن المحال أن تكون حدود الماء وصفاته وطبعه فى العسل أو فى الخمر ، وهكذا كل شيء فى العالم فاكثره يستحيل بعضه الى بعض ، فاى شيء وجدت فيه حدود شيء ما سمى باسم ما فيه تلك الحدود اذا استوفاها كلها ، فان لم يستوف الا بعضها وفارق أيضا شيئا من صفاته الذاتية فهو حينئذ شيء غير الذى كان وغير الذى مازج ، كالعسل الملقى فى الابارج ونقطة مداد فى لبن وما أشبه ذلك ، وهذه رتبة العالم فى مقتضى العقول وفيما تشاهد الحواس والذوق والشم واللمس ، ومن دفع هذا خرج عن المعقول ، ويلزم الحنيفيين

من هذا اجتناب ماء البحر لان فيه على عقولهم عذرة وبول لاورطوبات ميتة وكذلك مياه جميع الانهار أولها عن آخرها نعم وماء المطر أيضا نجد الدجاج يتغذى بالميتة والدم والعذرة والكبش يسقى خمرا ان ذلك كله قد استحال عن صفات كل ذلك وطبعه الى لحم للدجاج والكبش فحل عندنا وعندهم ولو كثر تغذيها به حتى تضعف طبيعتها عن احالته فوجد فى خواصها وفيها صفة العذرة والميتة حرم أكله وهذا هو الذي أنكروه نفسه وهو مقرون معنا فى ان الثمار والبقول تتغذى بالعذرة وتستحيل فيها مدة انها قد حلت وهذا هو الذى أنكروه نفسه وبالله تعالى التوفيق

﴿ الكلام فى الطفرة ﴾

(قال ابو محمد) نسب قوم من المتكلمين الى ابراهيم النظام انه قال ان المار على سطح الجسم يسير من مكان الى مكان بينهما أماكن لم يقطعها هذا المار ولا مر عليها ولا حاذاها ولا حل فيها

(قال أبو محمد) وهذا عين المحال والتخليط الا ان كان هذا على قوله في انه ليس فى العالم الا جسم حاشا الحركة فقط فانه وان كان قد أخطا في هذه القصة فكلامه الذى ذكرنا خارج عليه خروجا صحيحا لان هذا الذى ذكرنا ليس موجود البتة الا فى حاسة البصر فقط وكذلك اذا أطبقت بصرك ثم فتحته لاقى نظرك خضرة السماء والكواكب التى فى الافلاك البعيدة بلا زمان كما يقع على أقرب ما يلاصقه من الالوان لا تفاضل بين الادراكين فى المدة أصلا فصح ضرورة ان خلا البصر لو قطع المسافة التى بين الناظر وبين الكواكب ومر عليها لكان ضرورة بلوغه اليها في مدة أطول من مدة مروره على المسافة التى ليس بينه وبين من يراه فيها الا يسيرا وأقل فصح يقينا ان البصر يخرج من الناظر ويقع على كل مرئى قرب أو بعد دون ان يمر في شىء من المسافة التى بينهما ولا يحلها ولا يجازيها ولا يقطعها وأما فى سائر الاجسام فهذا مجال الا ترى انك تنظر الى الهدم والى الضرب القصار بالثوب فى الحجر من بعد فتراه ثم يقيم سويعة وحينئذ تسمع صوت ذلك الهدم وذلك الضرب فصح يقينا ان الصوت يقطع الاماكن وينتقل فيها وان وان البصر لا يقطعها ولا ينتقل فيها فاذا صح البرهان بشىء مالم يعترض عليها الا عديم عقل أو عديم حياء أو عديم علم أو عديم دين وبالله تعالى التوفيق

﴿ الكلام فى الانسان ﴾

﴿ قال ابو محمد ﴾ اختلف الناس فى هذا الاسم على مايقع فذهبت طائفة الى انه انما يقع على الجسد دون النفس وهو قول أبي الهذيل العلاف وذهبت طائفة الى الى انه انما يقع على النفس دون الجسد وهو قول ابراهيم النظام وذهبت طائفة الى انه انما يقع عليهما معا كالباق الذي لا يقع الا على السواد والبياض معا

﴿ قال ابو محمد ﴾ واحتجت الطائفة التى ذكرنا بقول الله عز وجل * خلق الانسان من صلصال كالفخار * وبقول الله تعالى * فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب * وبقوله تعالى * ايحسب الانسان ان يترك سدا الم يك نطفة من منى يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى * وبآيات أخر غير هذه وهذه بلاشك صفة للجسد لا صفة للنفس لان الروح انما تنفخ بعد تمام خلق الانسان الذى هو الجسد واحتجت الطائفة الاخرى بقوله تعالى * ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا * وهذا بلا خلاف صفة النفس لا صفة الجسد لان الجسد موات والفعالة هى النفس وهى المميزة الحية حاملة لهذه الاخلاق وغيرها

﴿ قال ابو محمد ﴾ وكلا هذين الاحتجاجين حق وليس احدهما اولى بالقول من الآخر ولا يجوز

ان يعارض أحدهما بالاخر لان كليهما من عند الله عز وجل وما كان من عند الله فليس بمختلف قال تعالى * ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا * فاذ كل هذه الآيات حق فقد ثبت ان للانسان اسم يقع على النفس دون الجسد ويقع أيضا على الجسد دون النفس ويقع ايضا على كليهما مجتمعين فنقول فى الحى هذا انسان وهو مشتمل على جسد وروح ونقول للميت هذا انسان وهو جسد لا نفس فيه ونقول ان الانسان يعذب قبل يوم القيامة وينعم يعنى النفس دون الجسد واما من قال انه لا يقع الا على النفس والجسد معا فخطا يبطله الذي ذكرنا من النصوص التى فيها وقوع اسم الانسان على الجسد دون النفس وعلى النفس دون الجسد وبالله تعالى التوفيق

﴿ الكلام فى الجواهر والاعراض وما الجسم وما النفس ﴾

﴿ قال ابو محمد ﴾ اختلف الناس فى هذا الباب فذهب هشام بن الحكم الى انه ليس في العالم الا جسم وان الالوان والحركات أجسام واحتج أيضا بان الجسم اذا كان طويلا عريضا عميقا فمن حيث وجدته وجدت اللون فيه فوجب الطول والعرض والعمق للون أيضا فاذا وجب ذلك للون فاللون أيضا طويل عريض عميق وكل طويل عريض عميق جسم فاللون جسم وذهب ابراهيم بن سيار النظام الى مثل هذا سواء سواء الا الحركات فانه قال هى خاصة أعراض وذهب ضرار بن عمرو الى أن الاجسام مركبة من الاعراض وذهب سائر الناس الى ان الاجسام هى كل ما كان طويلا عريضا عميقا شاغلا لمكان وان كل ما عداه من لون أو حركة أو مذاق أو طيب أو محبة فعرض * وذهب بعض الملحدين الى نفى الاعراض ووافقهم على ذلك بعض أهل القبلة

﴿ قال أبو محمد ﴾ أما الجسم فمتفق على وجوده وأما الاعراض فاثباتها بين واضح بعون الله تعالى وهو اننا لم نجد في العالم الا قائما بنفسه حاملا لغيره أو قائما بغيره لا بنفسه محمولا في غيره ووجدنا القائم بنفسه شاغلا لمكان يملاه ووجدنا الذى لا يقوم بنفسه لكنه محمول فى غيره لا يشغل مكانا بل يكون الكثير منها فى مكان حاملها القائم بنفسه هذه قسمة لا يمكن وجود شيء في العالم بخلافها ولا وجود قسم زائد على ماذكرنا فاذ ذلك كذلك فبالضرورة علمنا أن القائم بنفسه الشاغل لمكانه هو نوع آخر غير القائم بغيره الذى لا يشغل مكانا فوجب أن يكون لكل واحد من هذين الجنسين اسم يعبر عنه ليقع التفاهم بيننا فاتفقنا على ان سمينا القائم بنفسه الشاغل لمكانه جسما واتفقنا على ان سمينا ما لا يقوم بنفسه عرضا وهذا بيان برهانى مشاهد * ووجدنا الجسم تتعاقب عليه الالوان والجسم قائم بنفسه فبينا نراه ابيض صار أخضر ثم احمر ثم اصفر كالذي نشاهده فى الثمار والاصباغ فبالضرورة نعلم ان الذي عدم وفنى من البياض والخضرة وسائر الوان هو غير الذي بقى موجودا لم يفن وانهما جميعا غير الشيء الحامل لها لانه لو كان شيء من ذلك هو الآخر لعدم بعدمه فدل بقاؤه بعده على انه غيره ولا بد اذ من المحال الممتنع ان يكون الشيء معدوما موجودا فى حالة واحدة فى مكان واحد فى زمان واحد وايضا فان الاعراض هى الافعال من الاكل والشرب والنوم والجماع والمشى والضرب وغير ذلك فمن انكر الاعراض فقد اثبت الفاعلين وأبطل الافعال وهذا محال لاخفاء به ولا فرق بين من اثبت الفاعلين ونفى الافعال وبين من أثبت الافعال ونفى الفاعلين وكل الطائفتين مبطلة لما يشاهد بالحواس ويدرك بالعقل سوفسطائيون حقا لان من الاعراض مايدرك بالبصر وهو اللون اذ مالا لون له لا يدرك بالشم كالنتن والطيب ومنها مايدرك بالذوق كالحلاوة والمرارة والحموضة والملوحه ومنها مايدرك باللمس كالحر والبرد ومنها مايدرك بالسمع كحسن الصوت وقبحه وجهارته وجفوته ومنها مايدرك بالعقل كالحركة والحمق والعقل

والعدل والجور والعلم والجهل فظهر فساد قول مبطلى الاعراض يقينا والحمد لله رب العالمين فاذ قد صح كل ما ذكرنا فانما الاسماء عبارات وتمييز للمسميات ليتوصل بها المخاطبون الى تفاهم مراداتهم من الوقوف على المعانى وفصل بعضها من بعض ليس للاسماء فائدة غير هذه فوجب ضرورة أن يوقع على القائم بنفسه الشاغل لمكانه الحامل لغيره أسماء تكون عبارة عنه وأن يوقع أيضا على القائم بغيره لا بنفسه المحمول الذى لا يشغل مكانا اسما آخر يكون أيضا عبارة عنه لينفصل بهذين الاسمين كل واحد من ذينك المسميين عن الآخر وان لم يكن هذا وقع التخليط وعدم البيان واصطلحنا على ان سمينا القائم بنفسه الشاغل للمكان جسما واتفقنا على ان سمينا القائم بغيره لا بنفسه عرضاً لانه عرض في الجسم وحدث فيه هذا هو الحق المشاهد بالحس المعروف بالعقل وما عدا هذا فهذيان وتخليط لا يعقله قائله فكيف غيره فصح بهذا كله وجود الاعراض وبطلان قول من أنكرها وصح أيضا بما ذكرنا ان حد اللون والحركة وكل ما لا يقوم بنفسه هو غير حد القائم بنفسه فاذ ذلك كذلك فلا جسم الا القائم بنفسه وكل ما عداه فعرض فلاح بهذا صحة قول من قال بذلك وبطل قول هشام والنظام وبالله تعالى التوفيق * وأما احتجاج هشام بوجود الطول والعرض والعمق الذى توهمها فى اللون فانما هو طول الجسم الملون وعرضه وعمقه فقط وليس للون طول ولا عرض ولا عمق وكذلك الطعم والمجسة والرائحة وبرهان ذلك انه لو كان للجسم طول وعرض وعمق وكان للون طول غير طول الملون الحامل له وعرض آخر غير عرض الحامل له وعمق آخر غير عمق الملون الحامل له لاحتاج كل واحد منهما الى مكان آخر غير مكان الآخر اذ من أعظم المحال الممتنع أن يكون شيئان طول كل واحد منهما ذراع وعرضه ذراع وعمقه ذراع ثم يسعان جميعا فى واحد ليس هو الا ذراع في ذراع فقط ويلزمه مثل هذا فى الطعم والرائحة والمجسة لان كل هذه الصفات توجد من كل جهة من جهات الجسم الذى هى فيه كما يوجد اللون ولا فرق وقد يذهب الطعم حتى يكون الشىء لا طعم له وتذهب الرائحة حتى يصير الشىء لا رائحة له ومساحته باقية بحسبها فصح يقينا ان المساحة للملون والذى له الرائحة والطعم والمجسة لا للون ولا للطعم ولا للرائحة ولا للمجسة وقد نجد جسما طويلا عريضا عميقا لا لون له وهو الهواء ساكنة ومتحركة وبالضرورة ندرى انه لو كان له لون لم يزد ذلك فى مساحته شيئا

﴿ قال أبو محمد ﴾ فان بلغ الجهل بصاحبه الى أن يقول ليس الهواء جسما سألناه عما فى داخل الزق المنفوخ ما هو وعما يلقى الذى يجرى فرسا جوادا بوجهه وجسمه فانه لا شك فى انه جسم قوى متكثر محسوس وبرهان آخر * وهو ان كل أحد يدرى ان الطول والعرض والعمق لو كان لكل واحد منهما طول وعرض وعمق لاحتاج كل واحد منهما أيضا الى طول آخر وعرض آخر وعمق آخر وهكذا مسلسلا الى ما لا نهاية له وهذا باطل فبطل قول ابراهيم وهشام وبالله تعالى التوفيق وأما قول ضرار ان الاجسام مركبة من الاعراض فقول فاسد جدا لان الاعراض قد صح كما ذكرنا انها لا طول لها ولا عرض ولا عمق ولا تقوم بنفسها وصح ان الاجسام ذات أطوال وعروض وأعماق وقائمة بانفسها ومن المحال ان يجتمع ما لا طول له ولا عرض ولا عمق مع مثله فيتقوم منها ما له طول وعرض وعمق وانما غلط فيها من توهم ان الاجسام مركبة من السطوح وان السطوح مركبة من الخطوط والخطوط مركبة من النقط

﴿ قال أبو محمد ﴾ وهذا خطأ على كل حال لان السطوح المطلقة فانما هى تناهى الجسم وانقطاعه فى تماديه من أوسع جهاته وعدم امتداده فقط واما الخطوط المطلقة فانما هى تناهى جهة السطح وانقطاع تماديها وأما النقط فهى تناهى

جهات الجسم من أحد نهاياته كطرف السكين ونحوه فكل هذه الابعاد انما هي عدم التمادي ومن المحال ان يجتمع عدم فيقوم منه موجود وانما السطوح المجسمة والخطوط المجسمة والنقط المجسمة فانما هي أبعاض الجسم وأجزاؤه ولا تكون الاجزاء أجزاء الا بعد القسمة فقط على ما نذكر بعد هذا ان شاء الله تعالى

(قال أبو محمد) وذهب قوم من المتكلمين الى اثبات شيء سموه جوهرا ليس جسما ولا عرضا وقد ينسب هذا القول الى بعض الاوائل وحد هذا الجوهر عند من أثبته انه واحد بالذات قابل للمتضادات قائم بنفسه لا يتحرك ولا له مكان ولا له طول ولا عرض ولا عمق ولا يتجزى وحده بعض من ينتمي اليه الكلام بانه واحد بذاته لا طول له ولا عرض ولا يتجزي وقالوا انه لا يتحرك وله مكان وانه قائم بنفسه يحمل من كل عرض عرضا واحدا فقط كاللون والطعم والرائحة والمجسة

(قال أبو محمد) وكلا هذين القولين والقول الذى اجتمعا عليه فى غاية الفساد والبطلان أولا من قال ذلك أنها كلها دعاوى مجردة لا يقوم على صحة شيء منها دليل أصلا لا برهانى ولا اقناعى بل البرهان العقلى والحسى يشهدان ببطلان كل ذلك وليس يعجز احد ان يدعي ما شاء وما كان هكذا فهو باطل محض وبالله تعالى نتايد واما نحن فنقول انه ليس في الوجود الا الخالق وخلقه وأنه ليس الخلق الا جوهرا حاملا لاعراضه واعراضا محمولة فى الجوهر لا سبيل الى تعدى أحدهما عن الآخر فكل جوهر جسم وكل جسم جوهر وهما اسمان معناهما واحد ولا مزيد وبالله تعالى التوفيق

(قال أبو محمد) ونجمع ان شاء الله تعالي كل شيء أوقعت عليه هتان الطائفتان اسم جوهر لا جسم ولا عرض ونبين ان شاء الله تعالى فساد كل ذلك بالبراهين الضرورية كما فعلنا فى سائر كلامنا وبالله تعالى التوفيق

(قال أبو محمد) حققنا ما أوقع عليه بعض الاوائل ومن قلدهم اسم جوهر وقالوا انه ليس جسما ولا عرضا فوجدناهم يذكرون البارى تعالى والنفس والهيولى والعقل والصورة وعبر بعضهم عن الهيولى بالطينة وبعضهم بالخميرة والمعني فى كل ذلك واحد الا ان بعضهم قال المراد بذلك الجسم متعريا من جميع اعراضه وابعاده وبعضهم قال المراد بذلك الشيء الذى منه كون هذا العالم ومنه تكون على حسب اختلافهم فى الخالق أو فى انكاره وزاد بعضهم في الجوهر الخلا والمدة اللذين لم يزالا عندهم يعنى بالخلا المكان المطلق لا المكان المعهود ويعني بالمدة الزمان المطلق لا الزمان المعهود

(قال أبو محمد) وهذه أقوال ليس شيء منها لمن ينتمى الى الاسلام وانما هي للمجوس والصابئين والدهرية والنصارى فى تسميتهم البارى تعالى جوهرا فانهم سموه فى أمانتهم التى لا يصح عندهم دين لملكي ولا لنسطوري ولا ليعقوبي ولا لمارونى الا باعتقادها والا فهو كافر بالنصرانية قطعا حاشا تسميته البارى تعالى جوهرا فانه للمجسمة أيضا وحاشا القول بان النفس جوهر لا جسم فانه قد قال به العطار أحد رؤساء المعتزلة وأما المنتمون الى الاسلام فان الجوهر ليس جسما ولا عرضا ليس هو عندهم شيئا الا الاجزاء الصغار التى لا تتجزؤا اليها تنحل الاجسام بزعمهم وقد ذكر هذا عن بعض الاوائل أيضا فهذه ثمانية أشياء كما ذكرنا لا نعلم أحدا سمى جوهرا ليس جسما ولا عرضا وغيرها الا ان قوما جهالا يظنون فى القوى الذاتية انها جواهر وهذا جهل منهم لانها بلا خلاف محمولة فيما هي غير قائمة بنفسها وهذه صفة العرض لا صفة الجوهر بلا خلاف

(قال أبو محمد) فاما الخلا والمدة فقد تقدم افسادنا لهذا القول في صدر ديواننا بالبراهين الضرورية وفى كتابنا الموسوم بالتحقيق في نقض كتاب العلم الالهى لمحمد بن زكريا الطيب وحللنا كل دعوى أوردها هو وغيره في هذا المعنى بابين شرح والحمد لله رب العالمين

العالمين كثيرا وأثبتنا فى صدر كتابنا هذا وهنالك انه ليس فى العالم خلا البتة وانه كله كرة مصمتة لاتخلل فيها وانه ليس وراءها خلاء لا ملاء ولا شيء البتة وان المدة ليست الا مد أحدث الله الفلك بمافيه من الاجسام الساكنة والمتحركة وأعراضها وبينا فى كتاب التقريب لحدود الكلام ان الالة المسماة الزرافة وسارقة الماء والآلة التى تدخل في احليل من به أسر البول براهين ضرورية بتحقيق ان لا خلاء فى العالم أصلا وان الخلاء عند القائلين به انما هو مكان لا تمكن فيه وهذا محال بماذكرنا لانه لو خرج الماء من الثقب الذى فى أسفل سارقة الماء وقد شد أعلاها لبقي مكانه خاليا بلا متمكن فيه فاذا لم يمكن ذلك أصلا ولا كان فيه بنية العالم وجوده وقف الماء باقيا لا ينهرق حتى اذا فتح أعلاها ووجد الهواء مدخلا خرج الماء وانهرق لوقته وخلفه الهواء وكذلك الزرافة والالة متخذة لمن به أسر البول فانه اذا حصلت تلك في داخل الاحليل وأول المثانة ثم جبذ الزر المغلق ليقها الى خارج اتبعه البول ضرورة وخرج اذ لم يخرج لبقى ثقب الآلة خاليا لاشيء فيه وهذا باطل ممتنع وقد بينا فى صدر كتابنا كما اعترض به الملحدون المخالفون لنا في هذا المكان فاغنى عن اعادته فان قال قائل فالماء الذى اخترعه الله عز وجل معجزة من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم والتمر الذى اخترع له والثريد الذى فى اخترع له من أين اخترعه وهى أجسام محدثة والعالم عندكم ملأ لا خلاء فيه ولا تخلخل ولا يكون الجسمان فى مكان واحد قلنا وبالله تعالى التوفيق لا يخلو هذا من أحد وجهين لا ثالث لهما اما أن يكون الله عز وجل أعدم من الهواء مقدار ما اخترع فيه من التمر والماء والثريد واما أن يكون الله عز وجل أحال أجزاء من الهوى ماء وتمرا وثريدا فالله أعلم أى ذينك كان والله على كل شيء قدير فسقط قولهم فى الخلا والمدة والحمد لله رب العالمين

﴿قال أبو محمد﴾ وأما الصورة فكيفية بلاشك وهى تخليط الجواهر وتشكلها الا انها قسمان أحدهما ملازم كالصورة الكلية لا تفارق الجواهر البتة ولا توجد دونها ولا تتوهم الجواهر عارية عنها والآخر تتعاقب أنواعه وأشخاصه على الجواهر كانتقال الشيء عن تثليث الى تربيع ونحو ذلك فصح انها عرض بلا شك وبالله تعالى التوفيق وأما العقل فلا خلاف بين أحد له عقل سليم فى انه عرض محمول في النفس وكيفية برهان ذلك انه يقبل الاشد والاضعف فنقول عقل أقوى من عقل وأضعف من عقل وله ضد وهو الحمق ولا خلاف فى الجواهر انها لا ضد لها وانما التضاد فى بعض الكيفيات فقط وقد اعترض فى هذا بعض من يدعى له علم الفلسفة فقال ليس فى العقل ضد لكن لوجوده ضد وهو عدمه فقلت الذى ذكر لى هذا البحث ان هذه سفسطة وجهل لو جازله هذا التخليط لجاز لغيره ان يقول ليس للعلم ضد لكن لوجوده ضد وهو عدمه ولا لشيء من الكيفيات ضد ولكن لوجودها ضد وهو عدمها فيبطل التضاد من جميع الكيفيات وهذا كلام يعلم فساده بضرورة العقل ولا فرق بين وجود الضد للعقل وبين وجوده للعلم ولسائر الكيفيات وهى باب واحد كله وانما هى صفات متعاقبة كلها موجودة فالعقل موجود ثم يعقبه الحمق وهو موجود كما أن العلم موجود ويعقبه الجهل وكما ان النجدة موجودة ويعقبها الجبن وهو موجود وهذا أمر لا يخفى على من له أقل تمييز وكذلك الجواهر لا تقبل الاشد والاضعف فى ذواتها وهذا أيضاً قول كل من له أدنى فهم من الاوايل والعقل عند جميعهم هو تمييز الفضائل من الرذائل واستعمال الفضائل واجتناب الرذائل والتزام مايحسن به المغبة فى دار البقاء وعالم الجزاء وحسن السياسة فيما يلزم المرء في دار الدنيا وبهذا أيضا جاءت الرسل عليهم السلام قال الله عز وجل * أفلم يسيروا فى الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها * وقال تعالى * كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تعقلون * وقال تعالى * أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا * وقال تعالى * ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون * وقال تعالى *

واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بانهم قوم لايعلمون . وقال تعالى : ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لايؤمنون * فصح ان العقل هو الايمان وجميع الطاعات وقال تعالى عن الكفار * وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ماكنا فى أصحاب السعير * ومثل هذا فى القرآن كثير فصح ان العقل فعل النفس وهو عرض محمول فيها وقوة من قواها فهو عرض كيفية بلاشك وانما غلط من غلط فى هذا لانه رأى لبعض الجهال المخلطين من الاوائل ان العقل جوهر وان له فلكا فعول على ذلك من لاعلم له وهذا خطأ كما أوردنا وبالله تعالى التوفيق وأيضا فان لفظة العقل عربية أتى بها المترجمون عبارة عن لفظة أخري يعبر بها فى اليونانية أو فى غيرها من اللغات عمايعبر بلفظة العقل عنه فى اللغة العربية هذا مالاخفاء به عند أحد ولفظة العقل في لغة العرب انماهى موضوعة لتمييز الاشياء واستعمال الفضائل فصح ضرورة انها معبر بها عن عرض وكان مدعى خلاف ذلك ردىء العقل عديم الحياء مباهتا بلاشك ولقد قال بعض النوكى الجهال لو كان العقل عرضا لكانت الاجسام أشرف منه فقلت للذى أتانى بهذا وهل للجوهر شرف الا باعراضه وهل شرف جوهر قط على جوهر الا بصفاته لابذاته هل يخفى هذا على أحد ثم ثانيا ويلزمهم هذا نفسه على قولهم السخيف في العلم والفضائل أن لايخالفونا في انها اعراض فعلى مقدمتهم السخيفة يجب أن تكون الاجسام كلها أشرف منها وهذا كما ترى وأما الهيولى فهو الجسم نفسه الحامل لاعراضه كلها وانما أفردته الاوائل بهذا الاسم اذ تكلموا عليه مفردا فى الكلام عليه عن سائر أعراضه كلها من الصورة وغيرها مفصولا فى الكلام عليه خاصة عن اعراضه وان كان لاسبيل الى أن يوجد خاليا عن أعراضه ولا متعريا منها أصلا ولايتوهم وجوده كذلك ولايتشكل فى النفس ولايتمثل ذلك أصلا بل هو محال ممتنع جملة كما ان الانسان الكلى وجميع الاجناس والانواع ليس شىء منها غير اشخاصه فقط فهى الاجسام باعيانها ان كان النوع نوع أجسام وهى أشخاص الاعراض انكان النوع نوع أعراض ولامزيد لان قولنا الانسان الكلى يريد النوع انما معناه أشخاص الناس فقط لا أشياء اخر وقولنا الحمرة الكلية انما معناه أشخاص الحمرة حيث وجدت فقط فبطل بهذا تقدير من ظن من اهل الجهل ان الجنس والنوع والفصل جواهر لاأجسام وبالله تعالى التوفيق لكن الاوائل سمتها وسمت الصفات الاوليات الذاتيات جوهريات لاجواهر وهذا صحيح لانها منسوبة الى الجواهر لملازمتها لها وانها لاتفارقها البتة ولايتوهم مفارقتها لها وبالله تعالى التوفيق فبطل قولهم فى الخلاء والمدة والصورة والعقل والهيولى والحمد لله رب العالمين واما البارى تعالى فقد أخطأ من سماه جوهرا من المجسمة ومن النصارى لان لفظة الجوهر لفظة عربية ومن اثبت الله عز وجل ففرض عليه اذا قرانه خالقه والاهه ومالك امره الايقدم عليه فى شىء الا بعهد منه تعالى والا يخبر عنه الا بعلم متيقن ولا علم ههنا الا ماأخبر به عز وجل فقط فصح يقينا ان تسمية الله عز وجل جوهرا والاخبار عنه بانه جوهر حكم عليه تعالى بغير عهد منه واخبار عنه تعالى بالكذب الذى لم يخبر قط تعالى به عن نفسه ولا سمى به نفسه وهذا اقدام لم ياتنا قط به برهان باباحته وايضا فان الجوهر حامل لاعراض ولو كان البارى تعالى حاملا لعرض لكان مركبا عن ذاته واعراضه وهذا باطل واما النصارى فليس لهم ان يتصوروا على اللغة العربية فيصرفوها عن موضعها فبطل ان يكون تعالى جوهرا لبراءته عن حد الجواهر وبطل ان يسمى جوهرا لانه تعالى لم يسمي نفسه به وبالله تعالى التوفيق فبطل قول من سمى الله تعالى جوهرا واخبر عنه انه تعالى جوهر ولله تعالى الحمد فلم يبق الا النفس والجزء الذى لايتجزأ ونحن ان شاء الله تعالى نتكلم فيها كلاما مبينا ولاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم

(قال أبو محمد) اختلف الناس فى النفس فذكر عن أبى بكر عبد الرحمن بن كيسان الاصم انكار النفس جملة وقال لاأعرف الاماشاهدته بحواسى وقال جالينوس وأبو الهذيل محمد بن الهذيل العلاف النفس عرض من الاعراض ثم اختلفا فقال جالينوس هى مزاج مجتمع متولد من تركيب اخلاط الجسد وقال أبو الهذيل هي عرض كسائر أعراض الجسم وقالت طائفة النفس هى النسيم الداخل الخارج بالتنفس فهى النفس قالوا والروح عرض وهو الحياة فهو غير النفس وهذا قول الباقلانى ومن اتبعه من الاشعرية وقالت طائفة النفس جوهر ليست جسما ولا عرضا ولا لها طول ولا عرض ولا عمق ولا هى فى مكان ولا تتجزأ وانها هى الفعالة المدبرة وهى الانسان وهو قول بعض الاوائل وبه يقول معمر بن عمرو العطار أحد شيوخ المعتزلة وذهب سائر أهل الاسلام والملل المقرة بالميعاد الى ان النفس جسم طويل عريض عميق ذات مكان عاقلة مميزة مصرفة للجسد

(قال أبو محمد) وبهذا نقول والنفس والروح اسمان مترادفان لمسمى واحد ومعناها واحد

(قال أبو محمد) اماقول أبى بكر ابن كيسان فانه يبطله النص وبرهان العقل أما النص فبقول الله تعالى * ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا أنفسكم اليوم الآية * فصح ان النفس موجودة وانها غير الجسد وانها الخارجة عند الموت

(قال أبو محمد) واما البرهان العقلى فانا نرى المرء اذا أراد تصفية عقله وتصحيح رأيه اوفك مسألة عويصة عكس ذهنه وافرد نفسه عن حواسها الجسدية وترك استعمال الجسد جملة وتبرأ منه حتى انه لايري من بحضرته ولا يسمع مايقال أمامه فحينئذ يكون رأيه وفكره اصفى ما كان فصح ان الفكر والذكر ليسا للجسد المتخلى منه عند ارادتهما وايضا فالذى يراه النائم ممايخرج حقا على وجهه وليس ذلك الا اذا تخلت النفس عن الجسد فبقى الجسد كجسد الميت ونجده حينئذ يرى فى الرؤيا ويسمع ويتكلم ويذكر وقد بطل عمل بصره الجسدي وعمل أذنيه الجسدى وعمل ذوقه الجسدى وكلام لسانه الجسدى فصح يقينا ان العقل المبصر السامع المتكلم الحساس الذائق هو شيء غير الجسد فصح أن المسمى نفسا اذ لاشيء غير ذلك وكذلك ماتتخيله نفس الاعمى والغائب عن الشيء مما قد رآه قبل ذلك فيتمثله ويراه في نفسه كما هو فصح يقينا ان ههنا متمثلا مدركا غير الجسد اذ لا أثر للجسد ولا للحواس فى شيء مما ذكرنا البتة ومنها انك ترى المريد يريد بعض الامور بنشاط فاذا اعترضه عارض ما كسل والجسم بحسبه كما كان لم يتغير منه شيء فعلمنا ان ههنا مريدا للاشياء غير الجسد ومنها أخلاق النفس من الحلم والصبر والحسد والعقل والطيش والخرق والنزق والعلم والبلادة وكل هذا ليس لشيء من أعضاء الجسد فاذ لاشك فى ذلك فانما هو كله للنفس المدبرة للجسد ومنها مايرى من بعض المحتضرين ممن قد ضعف جسده وفسدت بنيته وتراه حينئذ أحد ما كان ذهنا وأصح ما كان تميزا وأفضل طبيعة وأبعد عن كل لغو وأنطق بكل حكمة وأصحهم نظرا وجسده حينئذ في غاية الفساد وبطلان القوى فصح أن المدرك للامور المدبر للجسد الفعال المميز الحى هو شيء غير الجسد وهو الذى يسمى نفسا وصح ان الجسد مؤد للنفس وانها مذ حلت فى الجسد كانها وقعت في طين مخمر فانساها شغلها بها كلما سلف لها وأيضا فلو كان الفعل للجسد لكان فعله متماديا وحياته متصلة فى حال نومه وموته ونحن نرى الجسد حينئذ صحيحا سالما لم ينتقص منه شيء من أعضائه وقد بطلت أفعاله كلها جملة فصح ان الفعل والتمييز انما كان لغير الجسد وهو النفس المفارقة وان الفعال الذاكر قد باينه وتبرأ منه وأيضا فانا نرى أعضاء الجسد تذهب عضوا عضوا بالقطع والفساد والقوى باقية بحسبها والاعضاء قد ذهبت وفسدت ونجد الذهن والتدبير والعقل وقوى النفس باقية أوفر ما كان فصح ضرورة ان الفعال العالم الذاكر المدبر المريد هو غير الجسد كما ذكرنا وان الجسد

موات فبطل قول ابن كيسان والحمد لله رب العالمين وأما قول من قال أنها مزاج كما قال جالينوس فان كل ما ذكرنا مما أبطلنا به قول أبي بكر بن كيسان فانه يبطل أيضا قول جالينوس وأيضاً فان العناصر الاربعة التي منها تركب الجسد وهي التراب والماء والهواء والنار فانها كلها موات بطبعها ومن الباطل الممتنع والمحال الذي لا يجوز البتة أن يجتمع موات وموات وموات وموات فيقوم منها حي وكذلك محال أن تجتمع بوارد فيقوم منها حار أو حوار فيجتمع منها بارد أو حي وحي وحي فيقوم منها موات فبطل أن تكون النفس مزاجا وبالله تعالى التوفيق وأما قول من قال انها عرض فقط وقول من قال انما النفس النسيم الداخل والخارج من الهواء وان الروح هو عرض وهو الحياة فان كان هذين القولين يبطلان بكل ما ذكرنا ابطالا قول الاصم ابن كيسان وأيضا فان أهل هذين القولين ينتمون الى الاسلام والقرآن يبطل قولهم نصا قال الله تعالى (الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى) فصح ضرورة أن الانفس غير الاجساد وان الانفس هي المتوفاة في النوم والموت ثم ترد عند اليقظة وتمسك عند الموت وليس هذا التوفي للاجساد أصلا ويقين يدري كل ذي حس سليم ان العرض لا يمكن أن يتوفى فيفارق الجسم الحامل له ويبقى كذلك ثم يرد بعضه ويمسك بعضه هذا ما لا يكون ولا يجوز لان العرض يبطل بمزايلته الحامل له وكذلك لا يمكن ان يظن ذو مسكة من عقل ان الهواء الخارج والداخل هو المتوفى عند النوم وكيف ذلك وهو باق في حال النوم كما كان في حال اليقظة ولا فرق وكذلك قوله تعالى (والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون) فانه لا يمكن أن يعذب العرض ولا الهواء وأيضا فان الله عز وجل يقول (واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى) الآية

(قال أبو محمد) فهذه آية ترفع الاشكال جملة وتبين ان النفس غير الجسد وانما هي العاقلة المخاطبة المكلفة لانه لا يشك ذو حس سليم في أن الاجساد حين أخذ الله عليها هذا العهد كانت مبددة في التراب والماء والهواء والنار ونص الآية يقتضي ما قلنا فكيف وفيها نص ان الاشهاد انما وقع على النفوس وما أدري كيف تنشرح نفس مسلم بخلاف هذه النصوص وكذلك أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رأى عند سماء الدنيا ليلة أسري به عن يمين آدم وعن يساره نسم بنية فأهل السعادة عن يمينه وأهل الشقاوة عن يساره عليه السلام ومن الباطل ان تكون الاعراض باقية هنالك أو ان يكون النسيم هنالك وهو هواء متردد في الهواء

(قال أبو محمد) ولو كان ما قاله أبو الهذيل والباقلاني ومن قلدهما حقا لكان الانسان يبدل في كل ساعة الف الف روح وأزيد من ثلاثمائة الف نفس لان العرض عندهم لا يبقى وقتين بل يفنى ويتجدد عندهم أبداً فروح كل حي على قولهم في كل وقت غير روحه التي كانت قبل ذلك وهكذا تتبدل أرواح الناس عندهم بالخطاب وكذلك بيقين يشاهد كل أحد ان الهواء الداخل بالتنفس ثم يخرج هو غير الهواء الداخل بالتنفس الثاني فالانسان يبدل على قول الاشعرية أنفسا كثيرة في كل وقت ونفسه الآن غير نفسه آنفا وهذا حمق لا خفاء به فبطل قول الفريقين بنص القرآن والسنة والاجماع والمشاهدة والمعقول والحمد لله رب العالمين هذا مع تعريهما من الدليل جملة وانما دعوى فقط وما كان هكذا فهو باطل وقد صرح الباقلاني عند ذكره لما يعترض في أرواح الشهداء وأرواح آل فرعون فقال هذا يخرج على وجهين بان يوضع عرض الحياة في أقل جزء من اجزاء الجسم وقال بعض من شاهدناه منهم توضع الحياة في عجب الذنب واحتج بالخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ابن آدم يأكله التراب الا عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة وفي رواية منه خلق وفيه يركب

﴿قال أبو محمد﴾ وهذا تمويه من المحتج بهذا الخبر لانه ليس فى الحديث لانص ولادليل ولا اشارة يمكن ان يتاول على ان عجب الذنب يحيا وانما فى الحديث ان عجب الذنب لا ياكله التراب وانه من خلق الجسد وفيه يركب فقط فظهر تمويه هذا القائل وضعفه والحمد لله رب العالمين قال الباقلانى واما ان يخلق لتلك الحياة جسد آخر فلا

﴿قال أبو محمد﴾ وهذا مذهب أصحاب التناسخ بلا مؤونة واحتج لذلك بالحديث المأثور ان نسمة المؤمن طير يعلق من ثمار الجنة ويأوى الى قناديل تحت العرش وفي بعضها أنها فى حواصل طير خضر

﴿قال أبو محمد﴾ ولا حجة لهم فى هذا الخبر لان معني قوله عليه السلام طائر يعلق هو على ظاهره لا على ظن أهل الجهل وأنما أخبر عليه السلام ان نسمة المؤمن طائر يعني أنها تطير فى الجنة فقط لا أنها تنسخ فى صور طير فان قيل ان النسمة مؤنثة قلنا قد صح عن عربي فصيح أنه قال أتتك كتابي فاستخففت بها فقيل له أتؤنث الكتاب فقال أوليس صحيفة وكذلك النسمة روح فتذكر لذلك وأما الزيادة التى فيها أنها فى حواصل طير خضر فانها صفة تلك القناديل التى تاوى اليها والحديثان معاً حديث واحد وخبر واحد

﴿قال ابو محمد﴾ ولم يحصل من هذين الوجهين الفاسدين الا على دعوى كاذبة بلا دليل يشبه الهزل أو على كفر مجرد فى التصيير الى قول أصحاب التناسخ وعلى تحريف الحديث عن وجهه ونعوذ بالله من الخذلان فبطل هذان القولان والحمد لله رب العالمين وأما قول من قال ان النفس جوهر لا جسم من الاوائل ومعمر وأصحابه فانهم موهوا بأشياء اقناعيات فوجب ايرادها ونقضها ليظهر البرهان على وجه الانصاف للخصم وبالله تعالى التوفيق

(قال أبو محمد) قالوا لو كانت النفس جسما لكان بين تحريك المحرك رجله وبين ارادته تحريكها زمان على قدر حركة الجسم ونقله اذا النفس هي المحركة للجسد والمريدة لحركته قالوا فلو كان المحرك للرجل جسما لكان لا يخلو اما ان يكون حاصلا فى هذه الاعضاء واما جائيا اليها فان كان جائيا اليها احتاج الى مدة ولا بد وان كان حاصلا فيها فنحن اذا قطعنا تلك العصبة التى بها تكون الحركة لم يبق منها فى العضو الذى كان يتحرك شيء أصلا فلو كان ذلك المحرك حاصلا فيه لبقي منه شيء في ذلك العضو

(قال أبو محمد) وهذا لا معني له لان النفس لا تخلو من أحد ثلاثة أوجه لا رابع لها اما ان تكون مجللة لجميع الجسد من خارج كالثوب واما ان تكون متخللة بجميعه من داخل كالماء فى المدرة وأما أن تكون في مكان واحد من الجسد وهو القلب أو الدماغ وتكون قواها منبثة في جميع الجسد فاى هذه الوجوه كان فتحريكها لما يريد تحريكه من الجسد يكون مع ارادتها لذلك بلا زمان كادراك البصر لما يلاقى فى البعد بلا زمان واذا قطعت العصبة لم ينقطع ما كان من جسم النفس متخللا لذلك العضو ان كانت متخللة لجميع الجسد من داخل أو مجللة له من خارج بل يفارق العضو الذى يبطل حسه فى الوقت وينفصل عنه بلا زمان وتكون مفارقتها لذلك العضو كمفارقة الهواء للاناء الذى ملىء ماء وأما ان كانت النفس ساكنة فى موضع واحد من الجسد فلا يلزم على هذا القسم ان يسلب من العضو المقطوع بل يكون فعلها حينئذ فى تحريكها الاعضاء كفعل حجر المغنطيس فى الحديد وان لم يلصق به بلا زمان فبطل هذا الالزام الفاسد والحمد لله رب العالمين وقالوا لو كانت النفس جسما لوجب أن نعلم ببعضها أو بكلها

(قال أبو محمد) وهذا سؤال فاسد تقسيمه والجواب وبالله تعالى التوفيق انها لا تعلم الا بكلها أو ببعضها لان كل

بسيط غير مركب من طبائع شتى فهو طبيعة واحدة وما كان طبيعة واحدة فقوته فى جميع أبعاضه وفى بعض أبعاضه سواء كالنار تحرق بكلها وببعضها ثم لا ندرى ما وجه هذا الاعتراض علينا بهذا السؤال ولا ما وجه استدلالهم منه على انها غير جسم ولو عكس عليهم فى ابطال دعواهم أنها جوهر لا جسم لما كان بينهم وبين السائل لهم بذلك فرق أصلا وقالوا ان من شان الجسم انك اذا زدت عليه جسما آخر زاد فى كميته وثقله قالوا فلو كانت النفس جسما ثم داخلت الجسم الظاهر لوجب أن يكون الجسد حينئذ أثقل منه دون النفس ونحن نجد الجسد اذا فارقته النفس أثقل منه اذا كانت النفس فيه

(قال أبو محمد) وهذا شغب فاسد ومقدمة باطلة كاذبة لانه ليس كل جسم كما ذكروا من أنه اذا زيد عليه جسم آخر كان أثقل منه وحده وانما يعرض هذا فى الاجسام التى تطلب المركز والوسط فقط يعنى التى فى طبعها أن تتحرك سفلا وترسب من المائيات والارضيات وأما التى تتحرك بطبعها علوا فلا يعرض ذلك فيها بل الامر بالضد واذا أضيف جسم منها الى جسم ثقيل خففه فانك ترى أنك لو نفخت زقا من جلد ثور أو جلد بعير لو أمكن حتى يمتلئ هواء ثم وزنته فانك لا تجد على وزنه زيادة على مقدار وزنه لو كان فارغا أصلا وكذلك ما صعد من الزقاق ولو أنه ورقة سوسنة منفوخة ونحن نجد الجسم العظيم الذى اذا أضفته الى الجسم الثقيل خففه جدا فانك لو رميت الزق غير المنفوخ فى الماء لرسب فاذا نفخته ورميت به خف وعام ولم يرسب وكذلك يستعمله العائمون لانه يرفعهم عن الماء ويمنعهم من الرسوب وهكذا النفس مع الجسد وهو باب واحد كلى لان النفس جسم علوى فلكى أخف من الهواء واطلب للعلو فهى تخفف الجسد اذا كانت فيه فبطل تمويههم والحمد لله رب العالمين وقالوا ايضا لو كانت النفس جسما لكانت ذات خاصية اما خفيفة وأما ثقيلة وأما حارة واما باردة واما لينة واما خشنة

(قال ابو محمد) نعم هي خفيفة فى غاية الخفة ذاكرة عاقلة مميزة حية هذه خواصها وحدودها التى بانت بها عن سائر الاجسام المركبات مع سائر أعراضها المحمولة فيها من الفضائل والرذائل وأما الحر واليبس والبرد والرطوبة واللين والخشونة فانما هى من اعراض عناصر الاجرام التى دون الفلك خاصة ولكن هذه الاعراض المذكورة مؤثرة فى النفس اللذة او الالم فهى منفعلة لكل ما ذكرنا وهذا يثبت انها جسم قالوا انما من كان الاجسام فكيفياته محسوسة وما لم تكن كيفياته محسوسة فليس بجسم وكيفيات النفس انما هى الفضائل والرذائل وهذان الجنسان من الكيفيات ليسا محسوسين فالنفس ليست جسما

(قال ابو محمد) وهذا شغب فاسد ومقدمة كاذبة لان قولهم ان ما لا تحس كيفياته فليس جسما دعوى كاذبة لا برهان عليها اصلا لا عقلى ولا حسى وما كان هكذا فهو قول ساقط مطروح لا يعجز عن مثله احد ولكننا لا نقنع بهذا دون ان نبطل هذه الدعوى ببرهان حسى ضرورى بعون الله تعالى وهو ان الفلك جسم وكيفياته غير محسوسة واما اللون اللازوردى الظاهر فانما يتولد فيما دونه من امتزاج بعض العناصر ووقوع خط البصر عليها وبرهان ذلك تبدل ذلك اللون بحسب العوارض المتولدة له فمرة تراه أبيض صافى البياض ومرة ترى فيه حمرة ظاهرة فصح ان قولهم دعوى مجردة كاذبة وبالله تعالى التوفيق وايضا فان الجسم تتفاضل انواعه فى وقوع الحواس عليه فمنه ما يدرك لونه وطعمه وريحه ومنه ما لا يدرك منه الا المجسة فقط كالهواء ومنها النار فى عنصرها لا يقع عليها شئ من الحواس اصلا بوجه من الوجوه وهى جسم عظيم المساحة محيط بالهواء كله فوجب من هذا ان الجسم كل ما زاد لطافة وصفاء لم تقع عليه الحواس وهذا حكم النفس وما دون النفس فاكثره محسوس للنفس لا حس البتة الا للنفس ولا حساس الا هى فهى حساسة لا محسوسة ولم يجب قط لا بعقل ولا بحس ان يكون كل حساس محسوسا فسقط قولهم

جملة والحمد لله رب العالمين وقالوا ان كل جسم فانه لا يخلوا من ان يقع تحت جميع الحواس او تحت بعضها والنفس لا تقع تحت كل الحواس ولا تحت بعضها فالنفس ليست بجسما

﴿قال أبو محمد﴾ وهذه مقدمة فاسدة كما ذكرنا آنفا لان ما عدم اللون من الاجسام لم يدرك بالبصر كالهواء وكالنار في عنصرها وان ما عدم الرائحة لم يدرك بالشم كالهواء والنار والحصى والزجاج وغير ذلك وما عدم الطعم لم يدرك بالذوق كالهواء والنار والحصى والزجاج وما عدم المجسة لم يدرك باللمس كالهواء الساكن والنفس عادمة اللون والطعم والمجسة والرائحة فلا تدرك بشيء من الحواس بل هي المدركة لكل هذه المدركات وهي الحساسة لكل هذه المحسوسات فهي حساسة لا محسوسة وانما تعرف بآثارها وبراهين عقلية وسائر الاجسام والاعراض محسوسة لا حساسة ولابد من حساس لهذه المحسوسات ولا حساس لها غير النفس وهي التي تعلم نفسها وغيرها وهي القابلة لاعراضها التي تتعاقب عليها من الفضائل والرذائل المعلومة بالعقل كقبول سائر الاجرام لما يتعاقب عليها من الاعراض بالعقل والنفس هي المتحركة باختيارها المحركة لسائر الاجسام هي مؤثرة فيها تألم وتلتذ وتفرح وتحزن وتغضب وترضى وتعلم وتجهل وتحب وتكره وتذكر وتنسى وتنتقل وتحل فبطل قول هؤلاء ان كل جسم فلا بد من أن يقع تحت الحواس أو تحت بعضها لانها دعوى لا دليل عليها وكل دعوى عريت من دليل فهي باطلة وقالوا كل جسم فانه لا محالة يلزمه الطول والعرض والعمق والسطح والشكل والكم والكيف فان كانت النفس جسما فلا بد أن تكون هذه الكيفيات فيها أو يكون بعضها فيها فاي الوجهين كان فهي اذا محاط بها وهي مدركة بالحواس أو من بعضها ولا نرى الحواس تدركها فليست جسما

﴿قال أبو محمد﴾ هذا كله صحيح وقضايا صادقة حاشا قضية واحدة ليست فيها وهي قولهم وهي مدركة من الحواس أو من بعضها فهذا هو الباطل المقحم بلا دليل وسائر ذلك صحيح وهذه القضية الفاسدة دعوى كاذبة وقد تقدم أيضا افسادنا لها آنفا مع تعريها عن دليل يصححها ونعم فالنفس جسم طويل عريض عميق ذات سطح وخط وشكل ومساحة وكيفية يحاط بها ذات مكان وزمان لان هذه خواص الجسم ولا بد والعجب من قلة حياء من أقحم مع هذا فهي اذا مدركة بالحواس وهذا عين الباطل لان حاسة البصر وحاسة السمع وحاسة الذوق وحاسة الشم وحاسة اللمس لا يقع شيء منها لا على الطول ولا على العرض ولا على العمق ولا على السطح ولا على الشكل ولا على المساحة ولا على الكيفية ولا على الخط وانما تقع حاسة البصر على اللون فقط فان كان في شيء مما ذكرنا لون وقعت عليه حاسة البصر وعلمت ذلك الملون بتوسط اللون والا فلا وانما تقع حاسة السمع على الصوت فان حدث في شيء مما ذكرنا صوت وقعت عليه حاسة السمع حينئذ وعلمت ذلك المصوت بتوسطه والا فلا وانما تقع حاسة الشم على الرائحة فان كان في شيء مما ذكرنا رائحة وقعت عليها حينئذ حاسة الشم وعلمت حامل الرائحة بتوسط الرائحة والا فلا وان كان لشيء مما ذكرنا طعم وقعت عليه حينئذ حاسة الذوق وعلمت المذوق بتوسط الطعم والا فلا وان كان في شيء مما ذكرنا مجسة وقعت عليها حاسة اللمس حينئذ وعلمت الملموس بتوسط المجسة والا فلا وقالوا ان من خاصة الجسم أن يقبل التجزي واذا جزئ خرج منه الجزء الصغير والكبير ولم يكن الجزء الصغير كالجزء الكبير فلا يخلو حينئذ من أحد أمرين اما أن يكون كل جزء منها نفسا فيلزم من ذلك ان لا تكون النفس نفسا واحدة بل تكون حينئذ أنفسا كثيرة مركبة من أنفس واما أن لا يكون كل جزء منها نفسا فيلزم أن لا تكون كلها نفسا

(قال أبو محمد) أما قولهم ان خاصة الجسم احتمال التجزي فهو صدق والنفس محتملة للتجزى لانها جسم من الاجسام وأما قولهم ان الجزء الصغير ليس كالكبير فان كانوا يريدون المساحة فنعم وأما في غير ذلك فلا وأما قولهم انها ان تجزأت فاما ان يكون كل جزء منها نفساً والزامهم من ذلك انها مركبة من أنفس فان القول الصحيح في هذا ان النفس محتملة للتجزى بالقوة وان كان التجزى بانقسامها غير موجود بالفعل وهكذا القول في الفلك والكواكب كل ذلك محتمل للتجزى بالقوة وليس التجزى موجودا في شيء منها بالفعل وأما قولهم انها مركبة من أنفس فشغب فاسد لاننا قد قدمنا في غير موضع ان المعاني المختلفة والمسميات المتغايرة يجب أن يوقع على كل واحد منها اسم يبين به عن غيره والا فقد وقع الاشكال وبطل التفاهم وصرنا الى قول السوفسطائية المبطلة لجميع الحقائق ووجدنا العالم ينقسم قسمين أحدهما مؤلف من طبائع مختلفة فاصطلحنا على ان سمينا هذا القسم مركبا والثاني مؤلف من طبيعة واحدة فاصطلحنا على ان سمينا هذا القسم بسيطا ليقع التفاهم في الفرق بين هذين القسمين ووجدنا القسم الاول لا يقع على كل جزء من أجزائه اسم كله كالانسان الجزئي فانه متالف من أعضاء لا يسمى شيء منها انسانا كالعين والانف واليد وسائر أعضائه التي لا يسمى عضو منها على انفراده انسانا فاذا تالفت سمي المتالف منها انسانا ووجدنا القسم الثاني يقع على كل جزء من أجزائه اسم كله كالارض والماء والهواء والنار وكالفلك فكل جزء من النار نار وكل جزء من الماء ماء وكل جزء من الهواء هواء وكل جزء من الفلك فهو فلك وكل جزء من النفس نفس وليس ذلك موجبا ان تكون الارض مؤلفة من أرضين ولا أن يكون الهواء مؤلفا من أهوية ولا أن يكون الفلك مؤلفا من أفلاك ولا ان تكون النفس مؤلفة من أنفس وحتى لو قيل ذلك بمعنى ان كل بعض منها يسمى نفسا وكل بعض من الفلك يسمى فلكا فما كان يكون في ذلك ما يعترض به على أنها جسم كسائر الاجسام التي ذكرنا وبالله تعالى التوفيق وقالوا أيضا طبع ذات الجسم أن يكون غير متحرك والنفس متحركة فان كانت هذه الحركة التي فيها من قبل الباري تعالى فقد وجدنا لها حركات فاسدة فكيف يضاف ذلك الى الباري تعالى

(قال أبو محمد) وهذا الكلام في غاية الفساد والهجنة ولقد كان ينبغي لمن ينتسب الى العلم ان كان يدري مقدار سقوط هذه الاعتراضات وسخفها أن يصون نفسه عن الاعتراض بها لرذالتها فكان الاولى به ان يتعلم قبل ان يتكلم فاما قوله ان طبع ذات الجسم ان تكون غير متحركة فقول ظاهر الكذب والمجاهرة لان للافلاك والكواكب اجساما وطبعها الحركة الدائمة المتصلة أبدا الى ان يحيلها خالقها عن ذلك يوم القيامة وان للعناصر دون الفلك اجساما وطبعها الحركة الى مقرها والسكون في مقرها وأما النفس فلانها حية كان طبعها السكون الاختياري والحركة الاختيارية حينا وحينا هذا كله لا يجهله أحد به ذوق وأما قولهم انها حركات ردية فكيف تضاف الى الباري تعالى فانما كان بعض حركات النفس رديا بمخالفة النفس أمر باريها في تلك الحركات وانما أضيفت الى الباري تعالى لانه خلقها فقط على قولنا أو لانه تعالى خلق تلك القوى التي بها كانت تلك الحركات فسقط الزامهم الفاسد والحمد لله رب العالمين وقالوا ايضا ان الاجسام في طبعها الاستحالة والتغير واحتمال الانقسام أبدا بلا غاية ليس شيء منها الا هكذا أبدا فهي محتاجة الى من يربطها ويشدها ويحفظها ويكون به تماسكها قالوا والفاعل لذلك النفس فلو كانت النفس جسما لكانت محتاجة الى من يربطها ويحلها فيلزم من ذلك أن تحتاج الى نفس أخرى والاخرى الى أخرى والاخرى كذلك الى ما لا نهاية له وما لا نهاية له باطل

(قال أبو محمد) هذا أفسد من كل قول سبق من تشغيباتهم لان مقدمته مغشوشة فاسدة كاذبة أما قولهم

ان الاجسام فى طبعها الاستحالة والتغير على الاطلاق كذب لان الفلك جسم لا يقبل الاستحالة وانما تجب الاستحالة والتغيير فى الاجسام المركبة من طبائع شتى بخلعها كيفياتها ولباسها كيفيات أخرى وبانحلالها الى عناصرها هكذا مدة ما أيضا ثم تبقى غير منحلة ولا مستحيلة وأما النفس فانها تقبل الاستحالة والتغيير فى أعراضها فيتغير ويستحيل من علم الى جهل ومن جهل الى علم ومن حرص الى قناعة ومن بخل الى جود ومن رحمة الى قسوة ومن لذة الى ألم هذا كله موجود محسوس واما ان تستحيل فى ذاتها فتصير ليست نفسا فلا وهذا الكوكب هو جسم ولا يصير غير كوكب والفلك لا يصير غير فلك وأما قوله ان الاجسام محتاجة الى مايشدها ويربطها ويمسكها فصحيح وأما قوله ان النفس هى الفاعلة لذلك فكذب ودعوى بلا دليل عليها اقناعى ولا برهانى بل هو تمويه مدلس ليجوز باطله على أهل الغفلة وهكذا قول الدهرية وليس كذلك بل النفس من جملة الاجسام المحتاجة الى ما يمسكها ويشدها ويقيمها وحاجتها الى ذلك كحاجة سائر الاجسام التى فى العالم ولا فرق والفاعل لكل ذلك فى النفس وفى سائر الاجسام والممسك لها والحافظ لجميعها والمحيل لما استحال منها فهو المبدى للنفس ولكل ما فى العالم من جسم أو عرض والمتمم لكل ذلك هو الله الخالق البارى المصور عز وجل فبعض أمسكها بطبائعها التى خلقها فيها وصرفها فضبطها لما هى فيه وبعض أمسكها بر باطات ظاهرة كالعصب والعروق والجلود لا فاعل لشىء من ذلك دون الله تعالى وقد قدمنا البراهين على كل ذلك فى صدر كتابنا هذا فاغنى عن ترداده والحمد لله رب العالمين * وقالوا أيضا كل جسم فهو اما ذو نفس واما لا ذو نفس فان كانت النفس جسما فهى متنفسة اى ذات نفس واما لا متنفسة اى لا ذات نفس فان كانت لا متنفسة فهذا خطأ لانه يجب من ذلك ان تكون النفس لا نفسا وان كانت متنفسة اى ذات نفس فهى محتاجة الى نفس وتلك النفس الى أخرى والاخرى الى أخرى وهذا يوجب مالا نهاية له وما لا نهاية له باطل

(قال أبو محمد) هذه مقدمة صحيحة ركبوا عليها نتيجة فاسدة ليست منتجة على تلك المقدمة وأما قولهم ان كل جسم فهو اما ذو نفس واما لا ذو نفس فصحيح وأما قولهم ان النفس ان كانت غير متنفسة وجب من ذلك أن تكون النفس لا نفسا فشغب فاسد بارد لا يلزم لان معنى القول بان الجسم ذو نفس انما هو ان بعض الاجسام أضيفت اليه نفس حية حساسة متحركة بارادة مدبرة لذلك الجسم الذى استضافت اليه ومعنى القول بان هذا الجسم غير ذى نفس انما هو انه لم يستضف اليه نفس فالنفس الحية هى المتحركة المدبرة وهى غير محتاجة الى جسم مدبر لها ولا محرك لها فلم يجب ان يحتاج الى نفس ولا ان تكون ليست نفسا ولا فرق بينهم فى قولهم هذا وبين من قال ان الجسم يحتاج الى جسم كما قالوا انه يجب ان تحتاج النفس الى نفس أو قال يجب ان يكون الجسم لا جسما كما قالوا يجب ان تكون النفس لا نفسا وهذا كله هوس وجهل والحمد لله رب العالمين وقالوا لو كانت النفس جسما لكان الجسم نفسا

(قال أبو محمد) وهذا من الجهل المفرط المظلم ولو كان القائل هذا الجنون أقل علم بحدود الكلام لم يأت بهذه الغثاثة لان الموجبة الكلية لا تنعكس البتة انعكاسا مطرداً الا موجبة جزئية لا كلية وكلامهم هذا بمنزلة من قال لما كان الانسان جسما وجب أن يكون الجسم انسانا ولما كان الكلب جسما وجب أن يكون الجسم كلبا وهذا غاية الحمق والقحة لكن صواب القول فى هذا ان يقول لما كانت النفس جسما كان بعض الاجسام نفسا ولما كان الكلب جسما وجب أن يكون بعض الاجسام كلبا وهذا هو العكس الصحيح المطرد اطرادا صحيحا أبدا وبالله تعالى التوفيق وقالوا أيضا ان كانت النفس جسما فهى بعض الاجسام واذا كانت كذلك فكلية الاجسام أعظم مساحة منها فيجب أن تكون أشرف منها

﴿قال أبو محمد﴾ عن عدم الحياء والعقل لم يبال بما نطق به لسانه وهذه قضية في غاية الحمق لانها توجب ان الشرف انما هو بعظم الاجسام وكثرة المساحة ولو كان كذلك لكانت القضبة والبلبة وكان الحمار والبغل وكدس العذرة أشرف من الانسان النبيه والفيلسوف لان كل ذلك أعظم مساحة منه ولكانت الغرلة أشرف من ناظر العين والالية أشرف من القلب والكبد والدماغ والصخرة أشرف من اللؤلؤة وأف لكل علم ادى الى مثل هذا نعم فان كثيرا من الاجسام أعظم مساحة من النفس وليس ذلك موجبا أنها أشرف منها مع ان النفس الرذلة المضربة عما أوجبه التمييز وعن طاعة ربها الى الكفر به فكل شيء في العالم اشرف منها ونعوذ بالله من الخذلان وقالوا ان كانت النفس جسما آخر مع الجسم فالجسم نفس وشيء آخر واذا كان كذلك فالجسم أتم واذا كان أتم فهو أشرف

﴿قال أبو محمد﴾ وهذا جنون مردد لانه ليس بكثرة العدد يجب الفضل والشرف ولا بعموم اللفظ يجب الشرف بل قد يكون الاقل والاخص أشرف ولو كان ما قالوه لوجب ان تكون الاخلاق جملة أشرف من الفضائل خاصة لان الاخلاق فضائل وشيء آخر فهي اتم فهي على حكمهم السخيف أشرف وهذا ما لا يقوله ذو عقل وهم يقرون ان النفس جوهر والجوهر نفس وجسم فالجوهر أشرف من النفس لانه نفس وشيء آخر وقد قالوا ان الحي يقع تحت النامي فيلزمهم ان النامي أشرف من الحي لانه حي وشيء آخر وهذا تخليط وحماقة ونعوذ بالله من الوسواس وقالوا أيضا كل جسم يتغذى والنفس لا تتغذى فهي غير جسم

﴿قال أبو محمد﴾ ان كان هؤلاء السخفاء اذ اشتغلوا بهذه الحماقات كانوا سكارى بل سكر الجهل والسخف أعظم من سكر الخمر لان سكر الخمر سريع الافاقة وسكر الجهل والسخف بطيء الافاقة اتراهم اذ قالوا كل جسم فهو متغذ ألم يروا الماء والارض والهواء والكواكب والفلك وان كل هذه أجسام عظام لا تتغذى وانما يتغذى من الاجسام النوامي فقط وهي أجساد الحيوان السكان في الماء والارض والشجر والنبات فقط فاذا كان هؤلاء النوكى ما لا يتغذى ليس جسما فالارض والحجارة والكواكب والفلك والملائكة ليس كل ذلك جسما وكفى بهذا جنونا وخطأ ونحمد الله على السلامة قالوا لو كانت النفس جسما لكانت لها حركة لان لكل جسم حركة ونحن لا نرى للنفس حركة فبطل ان تكون جسما

﴿قال أبو محمد﴾ هذه دعوى كاذبة وقد تناقضوا أيضا فيها لانهم قد قالوا قبل هذا بنحو ورقة في بعض حججهم ان الاجسام غير متحركة والنفس متحركة وهنا قلبوا الامر فظهر جهلهم وضعف عقولهم وأما قولهم لا نرى لها حركة فمخرقة وليس كل ما لا يرى يجب ان ينكر اذا قام على صحته دليل ويلزمهم اذ أبطلوا حركة النفس لانهم لا يرونها ان يبطلوا النفس جملة لانهم ايضا لا يرونها ولا يسمعونها ولا يلمسونها ولا يذوقونها وحركة النفس معلومة بالبرهان وهو ان الحركة قسمان حركة اضطرار وحركة اختيار فحركة الاضطرار هي حركة كل جسم غير النفس هذا ما لا يشك فيه فبقيت حركة الاختيار وهي موجودة يقينا وليس في العالم شيء متحرك بها حاشا النفس فقط فصح ان النفس هي المتحركة بها فصح ضرورة أن للنفس حركة اختيارية معلومة بلا شك واذ لا شك في أن كل متحرك فهو جسم وقد صح ان النفس متحركة فالنفس جسم فهذا هو البرهان الضروري التام الصحيح لا تلك الوساوس والاهذار ونحمد الله على نعمه عز وجل وقالوا لو كانت النفس جسما لوجب ان يكون اتصالها بالجسم اما على سبيل المجاورة واما على سبيل المداخلة وهي الممازجة

﴿قال أبو محمد﴾ فبعد هذا ماذا ونعم فان النفس متصلة بالجسم على سبيل المجاورة ولا يجوز سوى ذلك اذ لا يمكن ان يكون اتصال الجسمين الا بالمجاورة واما اتصال المداخلة فانما هي العرض والعرض والجسم والعرض على ما بينا قبل وقالوا أيضا ان كانت النفس جسما فكيف يعرف الجسم بمماسة أم بغير مماسة

﴿قال أبو محمد﴾ الاجسام كلها حاش النفس موات لا علم لها ولا حس ولا تعلم شيئا وانما العلم والحس للنفس فقط فهى تعلم الاجسام والاعراض وخالق الاجسام والاعراض الذي هو خالقها ايضا بما فيها من صفة الفهم وطبيعة التمييز وقوة العلم التى وضعها فيها خالقها عز وجل وسؤالهم نارد وقالوا أيضا ان كل جسم بدأ في نشوة وغاية ينتهى اليها وأجود مايكون الجسم اذا انتهى الى غايته فاذا أخذ فى النقص ضعف وليست الانفس كذلك لاننا نرى أنفس المعمرين أكثر ضياء وأنفذ فعلا ونجد أبدانهم اضعف من ابدان الاحداث فلو كانت النفس جسما انقص فعلها بنقصان البدن فاذا كان هذا كما ذكرنا فليست النفس جسما

﴿قال ابو محمد﴾ هذه مقدمة فاسدة الترتيب اما قولهم ان الجسم اجود مايكون اذا انتهى الى غايته فخطأ اذا قيل على العموم وانما ذلك فى النوامى فقط وفى الاشياء التى تستحيل استحالة ذبولية فقط كالشجر واصناف أجساد الحيوان والنبات واما الجبال والحجارة والارض والبحار والهواء والماء والافلاك والكواكب فليس لها غاية اذا بلغتها اخذت فى الانحطاط وانما يستحيل بعض مايستحيل من ذلك على سبيل التفتت كحجر كسرته فانكسر ولو تركته لبقى ولم يذبل ذبول الشجر والنبات واجسام الحيوان وكذلك النفس لا تستحيل استحالة ذبول ولا استحالة تفتت وانما تستحيل اعراضها كما ذكرنا فقط ولا نماء له وكذلك الملائكة والفلك والكواكب والعناصر الاربعة لا نماء لها وكل باق على هيئته التى خلقه الله تعالى عليها اذ خلق كل ذلك والنفس كذلك منتقلة من عالم الابتداء الى عالم الانتهاء الى عالم البرزخ الى عالم الحساب الى عالم الجزاء فتخلد فيه أبدا بلانهاية وهي اذا تخلصت من رطوبات الجسد وكدره كانت أصفى نظرا وأصح علما كما كانت قبل حلولها فى الجسد نسال الله خير ذلك المنقلب بمنه آمين

﴿قال أبو محمد﴾ هذا ما هو به من كل نطيحة ومتردية قد تقصيناه لهم وبينا ان كله فساد وحماقات وتقصيناه بالبراهين الضرورية والحمد لله رب العالمين

(قال ابو محمد) فاذا بطل كل ماشغب به من يقول ان النفس ليست جسما وسقط هذا القول لتعريه عن الادلة جملة فنحن ان شاء الله تعالى نوضح بعون الله عز وجل وقوته البراهين الضرورية على انها جسم وبالله تعالى نتأيد وذلك بعد ان نبين بتأييد الله عز وجل شغبين يمكن ان يعترض بهما ان قال قائل أتنمو النفس فان قلتم لا قلنا نحن نجدها تنشأ من صغر الى كبر وترتبط بالجسد بالغذاء واذا انقطع الغذاء انحلت عن الجسد ونجدها تسوء أخلاقها ويقل صبرها بعدم الغذاء فاذا تغذت اعتدلت اخلاقها وصلحت

﴿قال أبو محمد﴾ لا تتغذى ولا تنمو اما عدم غذائها فالبرهان القائم انها ليست مركبة من الطبائع الاربع وانها بخلاف الجسد هذا هو البرهان على انها لا تتغذي وهو ان ماتركب من العناصر الاربعة فلا بدله من الغذاء ليستخلف ذلك الجسد أو تلك الشجرة أو ذلك النبات من رطوبات ذلك الغذاء أو أرضياته مثل ماتحلل من رطوباته بالهواء والحر وليست هذه صفة النفس اذ لو كانت لها هذه الصفة لكانت من الجسد او مثله ولو كانت من الجسد أو مثله لكانت مواتا كالجسد غير حساسة فاذ قد بطل ان تكون مركبة من طبائع العناصر بطل ان تكون متغذية نامية واما ارتباطها بالجسد من اجل الغذاء فهو امر لا يعرف كيفيته الا خالقها عز وجل الذى هو مدبرها الا انه معلوم انه كذلك فقط وهو كطحن المعدة للغذاء لا يدرى كيف هو وغير ذلك

مما يوجد الله عز وجل يعلمه ومن البرهان على ان النفس لا تتغذى ولا تنمو ان البرهان قد قام على انها كانت قبل تركيب الجسد على آباد الدهور وانها باقية بعد انحلاله وليس هنالك فى ذينك العالمين غذاء يولد نماء أصلا وأما ماظنوه من نشاتها من صغر الى كبر فخطا وانما هو عودة من النفس الى ذكرها الذى سقط عنها باول ارتباطها بالجسد فان سال سائل اتموت النفس قلنا نعم لان الله تعالى نص على ذلك فقال * كل نفس ذائقة الموت * وهذا الموت انما هو فراقها للجسد فقط برهان ذلك قول الله تعالى * اخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون * وقوله تعالى * كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم * فصح ان الحياة المذكورة انما هى ضم الجسد الى النفس وهو نفخ الروح فيه وأن الموت المذكور انما هو التفريق بين الجسد والنفس فقط وليس موت النفس مما يظنه أهل الجهل وأهل الالحاد من إنها تعدم جملة بل هى موجودة قائمة كما كانت قبل الموت وقبل الحياة الاولى ولا انها يذهب حسها وعلمها بل حسها بعد الموت أصح ما كان وعلمها أتم ما كان وحياتها التى هى الحس والحركة الارادية باقية بحسبها أكمل ما كانت قط قال عز وجل * وان الدار الاخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون * وهى راجعة الى البرزخ حيث رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسرى به عن الميمنة من آدم عليه السلام ومشئمته الى ان تحيا ثانية بالجمع بينها وبين جسدها يوم القيامة وأما انفس الجن وسائر الحيوان فحيث شاء الله تعالى ولا علم لنا الا ما علمنا ولا يحل لاحد ان يقول بغير علم وبالله تعالى التوفيق

(قال أبو محمد) فلنذكر الآن البراهين الضرورية على ان النفس جسم من الاجسام فمن الدليل على ان النفس جسم من الاجسام انقسامها فى الاشخاص فنفس زيد غير نفس عمرو فلو كانت النفس واحدة لا تنقسم على ما يزعم الجاهلون القائلون انها جوهر لا جسم لوجب ضرورة ان تكون نفس المحب هى نفس المبغض وهى نفس المحبوب وان تكون نفس الفاسق الجاهل هى نفس الفاضل الحكيم العالم ولكانت نفس الخائف هى نفس المخوف منه ونفس القاتل هى نفس المقتول وهذا حمق لا خفاء به فصح انها نفوس كثيرة متغايرة الاماكن مختلفة الصفات حاملة لاعراضها فصح انها جسم بيقين لا شك فيه وبرهان آخر هو ان العلم لا خلاف فى أنه من صفات النفس وخواصها لا مدخل للجسد فيه أصلا ولا حظ ولو كانت النفس جوهرا واحدا لا تتجزى نفوسا لوجب ضرورة ان يكون علم كل أحد مستويا لا تفاضل فيه لان النفس على قولهم واحدة وهى العالمة فكان يجب ان يكون كما علمه زيد يعلمه عمرو لان نفسها واحدة عندهم غير منقسمة ولا متجزئة فكان يلزم ولا بد ان يعلم جميع أهل الارض ما يعلمه كل عالم فى الدنيا لان نفسهم واحدة لا تنقسم وهى العالمة وهذا ما لا انفكاك منه البتة فقد صح بما ذكرنا ضرورة ان نفس كل احد غير نفس غيره وان انفس الناس اشخاص متغايرة تحت نوع نفس الانسان وان نفس الانسان الكلية نوع تحت جنس النفس الكلية التى يقع تحتها أنفس جميع الحيوان واذ هى أشخاص متغايرة ذات أمكنة متغايرة حاملة لصفات متغايرة فهى أجسام ولا يمكن غير ذلك البتة وبالله تعالى التوفيق وأيضا فان العالم كله محدود معروف اجسام واعراض ولا مزيد فمن ادعى ان ههنا جوهرا ليس جسما ولا عرضا فقد ادعى ما لا دليل عليه البتة ولا يتشكل فى العقل ولا يمكن توهمه وما كان هكذا فهو باطل مقطوع على بطلانه وبالله تعالى التوفيق وايضا فان النفس لا تخلو من أن تكون خارج الفلك أو داخل الفلك فان كانت خارج الفلك فهذا باطل اذ اقام البرهان على تناهي جرم العالم فليس وراء النهاية شيء ولو كان وراءها شيء لم تكن نهاية

فوجب ضرورة انه ليس خارج الفلك الذى هو نهاية العالم شيء لاخلاء ولاملاء وان كانت فى الفلك فهى ضرورة أما ذات مكان وأما محمولة في ذي مكان لانه ليس فى العالم شيء غير هذين أصلا ومن ادعي ان فى العالم شيئا ثالثا فقد ادعى المحال والباطل وما لا دليل له عليه وهذا لا يعجز عنه أحد وما كان هكذا فهو باطل بيقين وقد قام الدليل على ان النفس ليست عرضا لانها عالمة حساسة والعرض ليس عالما ولا حساسا وصح انها حاملة لصفاتها لا محمولة فاذ هى حاملة متمكنة فهى جسم لا شك فيه اذ ليس الا جسم حامل أو عرض محمول وقد بطل ان تكون عرضا محمولا فهى جسم حامل وبالله تعالى التوفيق وأيضا فلاتخلو النفس من ان تكون واقعة تحت جنس أولا فان كانت لا واقعة تحت جنس فهى خارجة عن المقولات وليس فى العالم شيء خارج عنها ولا في الوجود شيء خارج عنها الا خالقها وحده لا شريك له وهم لا يقولون بهذا بل يوقعونها تحت جنس الجوهر فاذ هى واقعة تحت جنس الجوهر فانا نسالهم عن الجوهر الجامع للنفس وغيرها اله طبيعة أم لا فان قالوا لا وجب ان كل ما تحت الجوهر لا طبيعة له وهذا باطل وهم لا يقولون بهذا فان قالوا لا ندرى ما الطبيعة قلنا لهم اله صفة محمولة فيه لا يوجد دونها أم لا فلابد من نعم وهذا هو معنى الطبيعة وان قالوا بل له طبيعة وجب ضرورة ان يعطى كل ما تحته طبيعة لان الاعلى يعطى لكل ما تحته اسمه وحدوده عطاء صحيحا والنفس تحت الجوهر فالنفس ذات طبيعة بلا شك واذ صح ان لها طبيعة فكل ماله طبيعة فقد حصرته الطبيعة وما حصرته الطبيعة فهو ذو نهاية محدود وكل ذى نهاية فهو اما حامل واما محمول والنفس بلا شك حاملة لاعراضها من الاضداد كالعلم والجهل والذكاء والبلادة والنجدة والجبن والعدل والجور والقسوة والرحمة وغير ذلك وكل حامل فذو مكان وكل ذى مكان فهو جسم فالنفس جسم ضرورة وأيضا فكل ما كان واقعا تحت جنس فهو نوع من أنواع ذلك الجنس وكل نوع فهو مركب من جنسه الاعلى العام له من أنواعه ومركب أيضا مع ذلك من فصله الخاص به المميز له من سائر الانواع الواقعة معه تحت جنس واحد فانه موضوع وهو جنسه القابل لصورته وصورة غيره وله محمول وهو صورته التى خصته دون غيره فهو ذو موضوع ومحمول فهو مركب والنفس نوع للجوهر فهى مركبة من موضوع ومحمول وهى قائمة بنفسها فهي جسم ولابد

﴿قال أبو محمد﴾ وهذه براهين ضرورية حسية عقلية لا محيد عنها وبالله تعالى التوفيق وهذا قول جماعة من الاوائل ولم يقل ارسطاطاليس ان النفس ليست جسما على ما ظنه أهل الجهل وانما نفى أن تكون جسما كدرا وهو الذى لا يليق بكل ذى علم سواه ثم لو صح انه قالها لكانت وهلة ودعوى لا برهان عليها وخطا لا يجب اتباعه عليه وهو يقول فى مواضع من كتبه اختلف أفلاطون والحق وكلاهما الينا حبيب غير ان الحق أحب الينا واذا جاز أن يختلف أفلاطون والحق فغير نكير ولا بديع أن يختلف ارسطاطاليس والحق وما عصم انسان من الخطا فكيف وما صح قط انه قاله

﴿قال أبو محمد﴾ انما قال ان النفس جوهر لا جسم من ذهب الى انها هى الخالقة لما دون الله تعالى على ما ذهب اليه بعض الصابئين ومن كنى بها عن الله تعالى

﴿قال أبو محمد﴾ وكلا القولين سخف وباطل لان النفس والعقل لفظتان من لغة العرب موضوعتان فيها لمعنيين مختلفين فاحالتهما عن موضوعهما فى اللغة سفسطة وجهل وقلة حياء وتلبيس وتدليس

﴿قال أبو محمد﴾ وأما من ذهب الى ان النفس ليست جسما ممن ينتمى الى الاسلام بزعمه فقول يبطل بالقرآن والسنة واجماع الامة فاما القرآن فان الله عز وجل قال ﴿ هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت ﴾ وقال تعالى ﴿ اليوم تجزى كل نفس ما كسبت لا ظلم اليوم ﴾ وقال تعالى ﴿ كل أمرىء بما كسب رهين ﴾ فصح

ان النفس هى الفعالة الكاسبة المجزية المخطئة * وقال تعالى * ان النفس لامارة بالسوء * وقال تعالى * ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب * وقال تعالى * ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات بل احياء ولكن لا تشعرون * وقال تعالى * ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله * فصح ان الانفس منها ما يعرض على النار قبل يوم القيامة فيعذب ومنها ما يرزق وينعم فرحا ويكون مسرورا قبل يوم القيامة ولا شك ان اجساد آل فرعون واجساد المقتولين فى سبيل الله قد تقطعت اوصالها واكلتها السباع والطير وحيوان الماء فصح ان الانفس منقولة من مكان الى مكان ولا شك فى ان العرض لا يلقى العذاب ولا يحس فليست عرضا وصح انها تنتقل فى الاماكن قائمة بنفسها وهذه صفة الجسم لا صفة الجوهر عند القائل به فصح ضرورة انها جسم واما من السنن فقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ارواح الشهداء فى حواصل طير خضر فى الجنة وقوله صلى الله عليه وسلم انه رأى نسم بنى آدم عند سماء الدنيا عن يمين آدم ويساره فصح ان الانفس مرئية فى اماكنها وقوله عليه السلام ان نفس المؤمن اذا قبضت عرج بها الى السماء وفعل بها كذا ونفس الكافر اذا قبضت فعل بها كذا فصح انها معذبة ومنعمة ومنقولة فى الاماكن وهذه صفة الاجسام ضرورة واما من الاجماع فلا خلاف بين احد من اهل الاسلام فى ان انفس العباد منقولة بعد خروجها عن الاجساد الى نعيم او الى صنوف ضيق وعذاب وهذه صفة الاجسام ومن خالف هذا فزعم ان الانفس تعدم اوانها تنتقل الى اجسام أخر فهو كافر مشرك حلال الدم والمال بخرقه الاجماع ومخالفته القرآن والسنن ونعوذ بالله من الخذلان

﴿قال ابو محمد﴾ وقد ذكرنا فى باب عذاب القبر ان الروح والنفس شىء واحد ومعنى قول الله تعالى * ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربى * انما هو لان الجسد مخلوق من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ثم عظاما ثم لحما ثم امشاجا وليس الروح كذلك وانما قال الله تعالى امرا له بالكون كن فكان فصح ان النفس والروح والنسمة اسماء مترادفة لمعنى واحد وقد يقع الروح ايضا على غير هذا فجبريل عليه السلام الروح الامين والقرآن روح من عند الله وبالله تعالى التوفيق فقد بطل قولهم فى النفس وصح انها جسم ولم يبق الا الكلام فى الجزء الذى ادعوا انه لا يتجزى

(قال ابو محمد) ذهب جمهور المتكلمين الى ان الاجسام تنحل الى اجزاء صغار لا يمكن البتة ان يكون لها جزء وان تلك الاجزاء جواهر لا اجسام لها وذهب النظام وكل من يحسن القول من الاوائل الى انه لا جزء وان دق الا وهو يحتمل التجزى ابدا بلا نهاية وانه ليس فى العالم جزؤ ولا يتجزء وان كل جزء انقسم الجسم اليه فهو جسم ايضا وان دق ابدا

(قال ابو محمد) وعمدة القائلين بوجود الجزء الذى لا يتجزأ خمس مشاغب وكلها راجعة بحول الله وقوته عليهم ونحن ان شاء الله تعالى نذكرها كلها ونتقصي لهم كل ما موهوا به ونرى بعون الله عز وجل بطلان جميعها بالبراهين الضرورية ثم نرى بالبراهين الصحاح صحة القول بان كل جزء فهو يتجزأ ابدا وانه ليس فى العالم جزؤ لا يتجزأ أصلا كما فعلنا بسائر الاقوال والحمد لله رب العالمين

(قال ابو محمد) فاول مشاغبهم ان قالوا اخبرونا اذا قطع الماشى المسافة التى مشى فيها فهل قطع ذا نهاية او غير ذى نهاية فان قلتم قطع غير ذى نهاية فهذا محال وان قلتم قطع ذا نهاية فهذا قولنا

﴿قال ابو محمد﴾ فجوابنا وبالله تعالى التوفيق ان القوم أتوا من احد وجهين اما انهم لم يفهموا قولنا فتكلموا بجهل وهذا لا يرضاه ذو ورع ولا ذو عقل ولا حياء واما انهم لما عجزوا عن معارضة الحق رجعوا الى الكذب والباهتة وهذه شر من الاولى وفى أحد هذين القسمين وجدنا كل من ناظرناه منهم فى هذه

المسألة وهكذا عرض لنا سواء مع المخالفين لنا فى القياس المدعين لتصحيحه فانهم أيضا أحد رجلين اما جاهل بقولنا فهو يقولنا مالا نقوله ويتكلم فى غير مااختلفنا فيه واما مكابر ينسب الينا مالا نقوله مباهتة وجراءة على الكذب وعجزا عن معارضة الحق من اننا ننكر اشتباه الاشياء واننا ننكر قضايا العقول واننا ننكر استواء حكم الشيئين فيما اوجبه انهما مااشتبها فيه وهذا كله كذب علينا بل نقر بذلك كله ونقول به وانما ننكر ان نحكم في الدين لشيئين بتحريم او ايجاب او تحليل من اجل انهما اشتبها فى صفة من صفاتهما فهذا هو الباطل البحت والحمد لله رب العالمين على عظيم نعمه * ونقول على هذا السؤال الذى سالونا عنه اننا لم نرفع النهاية عن الاجسام كلها من طريق المساحة بل نثبتها ونعرفها ونقطع على ان كل جسم فله مساحة ابدا محدودة ولله الحمد وانما نفينا النهاية عن قدرة الله تعالى على قسمة كل جزء وان دق واثبتنا قدرة الله تعالى على ذلك وهذا هو شيء غير المساحة ولم يتكلف القاطع بالمشى أو بالذرع او بالعمل قسمة ماقطع ولا تجزئته وانما تكلف عملا او مشى فى مساحة معدودة بالميل او بالذراع والشبر او الاصبع اوما اشبه ذلك وكل هذا له نهاية ظاهرة وهذا غير الذى نفينا وجود النهاية فيه فبطل الزامهم والحمد لله كثيرا ثم نعكس هذا الاعتراض عليهم فنقول لهم وبالله تعالى التوفيق نحن القائلون بأن كل جسم فله طول وعرض وعمق وهو محتمل للانقسام والتجزىء وهذا هو اثبات النهاية لكل جزء انقسم الجسم اليه من طريق المساحة ضرورة وانتم تقولون ان الجسم ينقسم الى اجزاء ليس لشيء منها عرض ولاطول ولاعمق ولا مساحة ولايتجزأ وليست أجساما وان الجسم هو تلك الاجزاء نفسها ليس هو شيء غيرها اصلا وان تلك الاجزاء ليس لشيء منها مساحة فلزمكم ضرورة اذا الجسم هو تلك الاجزاء وليست اجساما وان الجسم هو تلك الاجزاء وليس هو غيرها وكل جزء من تلك الاجزاء لامساحة له ان الجسم لامساحة له وهذا امر يبطله العيان واذا لم تكن له مساحة والمساحة هى النهاية فى ذرع الاجسام فلا نهاية لما قطعه القاطع من الجسم على قولهم وهذا باطل والاعتراض الثانى ان قالوا لابد ان يلى الجرم من الجرم الذى يليه جزء ينقطع ذلك الجرم فيه قالوا وهذا اقرار بجزء لايتجزأ

﴿قال ابو محمد﴾ وهذا تمويه فاسد لاننا لم ندفع النهاية من طريق المساحة بل نقول ان لكل جرم نهاية وسطحا ينقطع تماديه عنده وان الذى ينقطع به الجرم اذا جزىء فهو متناه محدود ولكنه محتمل للتجزى أيضا وكل ماجزىء فذلك الجزء وهو الذى يلى الجرم الملاصق له بنهايته من جهته التى لاقاه منها لاما ظنوا من أن احد الجرم جزء منه وهو وحده الملاصق للجرم الذى يلاصقه بل هو باطل بما ذكرنا لكن الجزء وهو الملاصق للجرم بسطحه فاذا جزىء كان الجزء الملاصق للجرم بسطحه هو الملاصق حينئذ بسطحه لاالذى خرج عن ملاصقته وهكذا ابدا والكلام فى هذا كالكلام فى الذى قبله ولافرق والاعتراض الثالث ان قالوا هل الف اجزاء الجسم الا الله تعالى فلابد من نعم قالوا فهل يقدر الله على تفريق اجزاء حتى لايكون فيها شيء من التاليف ولاتحتمل ذلك الاجزاء التجزىء أم لايقدر على ذلك قالوا فان قلتم لايقدر عجزتم ربكم تعالى وان قلتم يقدر فهذا اقرار منكم بالجزء الذى لايتجزأ

﴿قال أبو محمد﴾ هذا هو من اقوى شبههم التى شغبوا بها وهو حجة لنا عليهم والجواب اننا نقول لهم وبالله تعالى التوفيق ان سؤالكم سؤال فاسد وكلام فاسد ولم تكن قط اجزاء العالم متفرقة ثم جمعها الله عز وجل ولا كانت له اجزاء مجتمعة ثم فرقها الله عز وجل لكن الله عز وجل خلق العالم بكل ما فيه بان قال له كن فكان او بان قال لكل جرم منه اذا اراد خلقه كن فكان ذلك الجرم ثم ان الله تعالى

خلق جميع ما اراد جمعه من الاجرام التى خلقها مفترقة ثم جمعها وخلق تفريق كل جرم من الاجرام التى خلقها مجتمعة ثم فرقها فهذا هو الحق لا ذلك السؤال الفاسد الذي اجملتموه واوهمتم به اهل الغفلة ان الله تعالى الف العالم من اجزاء خلقها متفرقة وهذا باطل لانه دعوي بلا برهان عليها ولا فرق بين من قال ان الله تعالى الف اجزاء العالم وكانت متفرقة وبين من قال بل الله تعالى فرق العالم اجزاء وانما كان جزأ واحدا وكلاهما دعوى ساقطة لا برهان عليها الا من نص ولا من عقل بل القرآن جاء بما قلناه نصا قال تعالى * انما أمرنا لشيء اذا أردناه ان نقول له كن فيكون * ولفظة شيء تقع على الجسم وعلي العرض فصح ان كل جسم صغر او كبر وكل عرض فى جسم فان الله تعالى اذا أراد خلقه قال له كن فكان ولم يقل عز وجل قط انه الف كل جزء من أجزاء متفرقة فهذا هو الكذب على الله عز وجل حقا فبطل ماظنوا انهم يلزموننا به ثم نقول لهم ان الله تعالى قادر على ان يخلق جسما لا ينقسم ولكنه لم يخلقه فى بنية هذا العالم ولا يخلقه كما انه تعالى قادر على ان يخلق عرضاً قائما بنفسه ولكنه تعالى لم يخلقه فى بنية هذا العالم ولا يخلقه لانهما مما رتبه الله عز وجل محالا فى العقول والله تعالى قادر على كل ما يسال عنه لا نحاشى شيئا منها الا انه تعالى لا يفعل كل ما يقدر عليه وانما يفعل ما يشاء وما سبق في علمه انه يفعله فقط وبالله تعالى التوفيق * ثم نعطف هذا السؤال نفسه عليهم فنقول لهم هل يقدر الله عز وجل على ان يقسم كل جزء وينقسم كل قسم من اقسام الجسم ابدا بلا نهاية ام لا فان قالوا لا يقدر علي ذلك عجزوا ربهم حقا وكفروا وهو قولهم دون تاويل ولا الزام ولكنهم يخافون من أهل الاسلام فيلحدون ضلالتهم باثبات الجزء الذى لا يتجزأ جملة * وان قالوا انه تعالى قادر على ذلك صدقوا ورجعوا الى الحق الذى هو نفس قولنا وخلاف قولهم جملة ونحن لا نخالفهم قط فى ان اجزاء طحين الدقيق لا يقدر مخلوق في العالم على تجزئة تلك الاجزاء وانما خالفناهم فى ان قلنا نحن ان الله تعالى قادر على ما لا نقدر نحن عليه من ذلك وقالوا هم بل هو غير قادر على ذلك تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقولهم فى تناهى القدرة على قسمة الله تعالى الاجزاء هو القول بان الله تعالى يبلغ من الخلق الى مقدار ما ثم لا يقدر علي الزيادة عليه ويبقى حسيرا عاجزا تعالى الله عن هذا الكفر ولعمري ان أبا الهذيل شيخ المثبتين للجزء الذى لا يتجزأ ليحن الى هذا المذهب حنينا شديدا وقد صرح بان لما يقدر الله عليه كلا وآخرا لو خرج الى الفعل لم يكن الله تعالى قادرا بعده على تحريك ساكن ولا تسكين متحرك ولا على فعل شيء أصلا ثم تدارك كفره فقال ولا يخرج ذلك الآخر أبدا الى حد الفعل

(قال أبو محمد) فيقال له ما المانع من خروجه والنهاية حاصرة له والفصل قائم فلا بد مع طول الزمان من البلوغ الى ذلك الآخر

(قال ابو محمد) نعوذ بالله من الضلال والاعتراض الرابع هو ان قالوا أيما أكثر أجزاء الجبل أو أجزاء الخردلة وأيما أكثر أجزاء الخردلة أو أجزاء الخردلتين قالوا فان قلتم بل أجزاء الخردلتين وأجزاء الجبل صدقتم وأقررتم بتناهى التجزى وهو القول بالجزء الذي لا يتجزء وان قلتم ليس أجزاء الجبل أكثر من أجزاء الخردلة ولا أجزاء الخردلتين أكثر من أجزاء الخردلة كابرتم العيان لانه لا يحدث فى الخردلة جزؤ الا ويحدث فى الخردلتين جزآن وفى الجبل أجزاء وادعوا علينا اننا نقول ان فى كل جسم أجزاء لا نهاية لعددها ولا آخر لها وان من قطع بالمشى مكانا ما أو قطع بالجامتين شيئا فانما قطع ما لا نهاية لعدده وقالوا ان عمدة حجتكم على الدهرية هو هذا المعنى نفسه فى الزامكم اياهم وجوب القلة والكثرة فى عدد الاشخاص وأوقات الزمان وايجابكم ان كل ما حصره العدد فذو نهاية وانكاركم علي الدهرية وجود أشخاص وازمان لا نهاية لعددها قالوا ثم نقضتم كل ذلك فى هذا المكان

﴿ قال ابو محمد ﴾ هو الذى قلنا انهم امالم يفهموا كلامنا فى هذه المسألة فقولونا مالا نقوله بظنونهم الكاذبة واما انهم عرفوا قولنا فحرفوه قلة حياء واستحلال الكذب وجراءة كل عمل الفضيحة لهم فى كذبهم وعجزا منهم عن كسر الحق ونصر الباطل فاعلموا ان كل مانسبوه الينا من قولنا ان من قطع مكانا أو شيئا بالمشى أو بالجلمتين فانما قطع مالا نهاية له فباطل ماقلناه قط بل ماقطع الا ذا نهاية بمساحته وزمانه وأما احتجاجنا على الدهرية بما ذكروا فصحيح هو حجتنا على الدهرية وأما ادعاؤهم اننا نقضنا ذلك فى هذا المكان فباطل والفرق بين ماقلناه من ان كل جزء فهو يتجزأ أبدا بلا نهاية وبين ما احتججنا به على الدهرية من ايجاب النهاية بوجود القلة والكثرة فى اعداد الاشخاص والازمان وانكارنا عليهم وجود أشخاص وأزمان لا نهاية لها بل هو حكم واحد وباب واحد وقول واحد ومعنى واحد وذلك ان الدهرية أثبتت وجود أشخاص قد خرجت الى الفعل لا نهاية لعددها ووجود ازمان قد خرجت الى الفعل لا نهاية لها وهذا محال ممتنع وهكذا قلنا فى كل جزء خرج الى حد الفعل فانها متناهية العدد بلا شك ولم نقل قط ان اجزائه موجودة منقسمة لا نهاية لعددها بل هذا باطل محال ثم ان الله تعالى قادر على الزيادة فى الاشخاص وفى الازمان وفى قسمة الجزء ابدا بلا نهاية لكن كل ماخرج الى الفعل اويخرج من الاشخاص او الازمان او تجزئة الاجزاء فكل ذلك متناه بعدده اذا خرج وهكذا ابدا واما مالم يخرج الى حد الفعل بعد من شخص اوزمان اوتجزى فليس شيئا ولا هو عددا ولا معدودا ولا يقع عليه عدد ولا هو شخص بعد ولا زمان ولا جزؤ وكل ذلك عدم وانما يكون جزء اذا جزىء بقطع او برسم مميز لا قبل ان يجزء وبهذا تبين غثاثة سؤالهم فى ايما اكثر اجزاء الخردلة او اجزاء الجبل او اجزاء الخردلتين لان الجبل اذا لم يجزأ والخردلة اذا لم تجزأ والخردلتان اذا لم تجزآ فلا اجزاء لها اصلا بعد بل الخردلة جزؤ واحد والجبل جزؤ واحد والخردلتان كل واحدة منهما جزؤ فاذا قسمت الخردلة على سبعة اجزاء وقسم الجبل جزاين وقسمت الخردلتان جزئين جزئين فالخردلة الواحدة بيقين اكثر من اجزاء من الجبل والخردلتين لانها صارت سبعة اجزاء ولم يصر الجبل والخردلتان الاستة اجزاء فقط فلو قسمت الخردلة ستة اجزاء لكانت اجزاؤها واجزاء الجبل والخردلتين سواء ولو قسمت الخردلة خمسة أجزاء وكانت اجزاء الجبل والخردلتين اكثر من اجزاء الخردلة وهكذا فى كل شىء فصح انه لا يقع التجزى فى شىء الا اذا قسم لا قبل ذلك فان كانوا يريدون فى ايهما يمكننا التجزئة اكثر فى الجبل والخردلتين ام فى الخردلة الواحدة فهذا مالا شك فيه ان التجزى امكن لنا فى الجبل وفى الخردلتين منه فى الخردلة الواحدة لان الخردلة الواحدة عن قريب تصغر اجزاؤها حتى لا نقدر نحن على قسمتها ويتمادى لنا الامر فى الجبل كثيرا حتى انه يفنى عمر احدنا قبل ان يبلغ تجزئته الى اجزاء تدق عن قسمتنا واما قدرة الله عز وجل على قسمة ما عجزنا نحن عن قسمته من ذلك فباقية غير متناهية وكل ذلك عليه هين سواء ليس بعضه اسهل عليه من بعض بل هو قادر قسمة الخردلة ابدا بلا نهاية وعلى قسمة الفلك كذلك ولا فرق وبالله تعالى التوفيق ونزيد بيانا فنقول ان الشيء قبل ان يجزأ فليس متجزئا فاذا جزء بنصفين او جزئين فهو جزءآن فقط فاذا جزء على ثلاثة اجزاء فقط فهو ثلاثة اجزاء وهكذا ابدا واما من قال او ظن ان الشىء قبل ان ينقسم وقبل ان يتجزأ انه منقسم بعد ومتجزىء بعد فوسواس وظن كاذب لكنه محتمل الانقسام والتجزى وكل ما قسم وجزا فكل جزؤ ظهر منه فهو معدود متناه وكذلك كل جسم فطوله وعرضه متناهيان بلا شك والله تعالى قادر على الزيادة فيهما أبدا بلا نهاية الا ان كل ما زاده تعالى فى ذلك واخرجه الى حد الفعل فهو متناه ومعدود ومحدود وهكذا ابدا وكذلك الزيادة فى أشخاص العالم وفى العدد فان كل ما خرج الى حد الفعل من الاشخاص ومن الاعداد فذو نهاية والله تعالي قادر على الزيادة فى الاشخاص ابدا بلا نهاية والزيادة فى العدد ممكنة ابدا بلا نهاية الا ان كل ما خرج من الاشخاص والاعداد الى الفعل صحبته النهاية ولا بد ثم نعكس هذا السؤال عليهم فنقول

لهم وبالله تعالى التوفيق انفضل عندكم قدرة الله تعالى على قسمة الجبل على قدرته على قسمة الخردلة وهل تاتى حال يكون الله فيها قادرا على قسمة أجزاء الجبل غير قادر على قسمة اجزاء الخردلة ام لا فان قالوا بل قدرة الله تعالى على قسمة الجبل اتم من قدرته على قسمة الخردلة واقروا بانه تاتي حال يكون الله تعالى فيها قادرا على قسمة اجزاء الجبل غير قادر على قسمة اجزاء الخردلة كفروا وعجزوا ربهم وجعلوا قدرته محدثة متفاضلة متناهية وهذا كفر مجرد وان ابوا من هذا وقالوا ان قدرة الله تعالى على قسمة الجبل والخردلة سواء وانه لا سبيل الى وجود حال يقدر الله تعالى فيها على تجزئة اجزاء الجبل ولا يقدر على تجزئة اجزاء الخردلة صدقوا ورجعوا الى قولنا الذى هو الحق وما عداه ضلال وباطل والحمد لله رب العالمين * والاعتراض الخامس هو ان قالوا هل لاجزاء الخردلة كل أم ليس لها كل وهل يعلم الله عدد اجزائها ام لا يعلمه * فان قلتم لا كل لها نفيتم النهاية عن المخلوقات الموجودات وهذا كفر وان قلتم ان الله تعالى لا يعلم عدد اجزائها كفرتم وان قلتم ان لها كلا وان الله تعالى يعلم اعداد اجزائها اقررتم بالجزء الذى لا يتجزأ ﴿قال أبو محمد﴾ وهذا تمويه لائح ينبغى التنبيه عليه لئلا يجوز على أهل الغفلة وهو أنهم أقحموا لفظة كل حيث لا يوجد كل وسالوا هل يعلم الله تعالى عدد ما لا عدد له وهم فى ذلك كمن سال هل يعلم الله تعالى عدد شعر لحية الاحلس أم لا وهل يعلم جميع أولاد العقيم أم لا وهل كل حركات أهل الجنة والنار ام لا فهذه السؤالات كسؤالهم ولا فرق * وجوابنا فى ذلك كله ان الله عز وجل انما يعلم الاشياء على ما هي عليه لا على خلاف ما هى عليه لانه من علم الشىء على ما هو عليه فقد علمه حقا وأما من علم الشىء على خلاف ما هو عليه فلم يعلمه بل جهله وحاشا لله من هذه الصفة فما لا كل له ولا عدد له فانما يعلمه الله عز وجل ان لا عدد له ولا كل وما علم الله عز وجل قط عددا ولا كلا الا لما له عدد وكل لا لما لا عدد له ولا كل وكذلك لم يعلم الله عز وجل قط عدد شعر لحية الاطلس ولا علم قط ولد العقيم فكيف ان يعرف لهم كلا وكذلك لم يعلم الله عز وجل قط عدد أجزاء الجبل ولا الخردلة قبل ان يجزآ لانهما لا اجزاء لهما قبل التجزئة وانما علمهما غير متجزئين وعلمهما محتملين للتجزى فاذا جزئا علمهما حينئذ متجزئين وعلم حينئذ عدد اجزائهما ولم يزل تعالى يعلم انه يجزىء كل ما لا يتجزء ولم يزل يعلم عدد الاجزاء التى لا تخرج فى المستانف الى حد الفعل ولم يزل يعلم عدد ما يخرج من الاشخاص بخلقه فى الابد الى حد الفعل او لم يزل يعلم انه لا أشخاص زائدة على ذلك ولا اجزاء لما لم ينقسم بعد وكذلك ليس للخردلة ولا للجبل قبل التجزى اجزاء اصلا واذ ذلك كذلك فلا كل هاهنا ولا بعض فهذا بطلان سؤالهم والحمد لله رب العالمين ثم نعكس عليهم هذا السؤال فنقول لهم وبالله تعالى التوفيق اخبرونا عن الشخص الفرد من خردلة او وبرة او شعرة او غير ذلك اذا جزأنا كل ذلك جزئين او اكثر متى حدثت الاجزاء احين جزئت ام قبل ان يجزء فان قالوا قبل ان يجزء ناقضوا اصح مناقضة لانهم اقروا بحدوث اجزاء كانت قبل حدوثها وهذا سخف وان قالوا انما حدثت لها الاجزاء حين جزئت لا قبل ذلك سالناهم متى علمها الله تعالى متجزئة حين حدث فيها التجزى ام قبل ان يحدث فيها التجزي فان قالوا بل حين حدث فيها التجزى صدقوا وأبطلوا قولهم فى أجزاء الخردلة وان قالوا بل علم انها متجزئة وان لها اجزاء قبل حدوث التجزى فيها جهلوا ربهم تعالى اذ اخبروا انه يعلم الشيء بخلاف ما هو عليه ويعلم اجزاء لما لا اجزاء له وهذا ضلال وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) هذا كل ما موهوا به لم ندع لهم منه شيئا الا وقد اوردناه وبينا انه كله لا حجة لهم فى شىء منه وانه كله عائد عليهم وحجة لنا والحمد لله رب العالمين ثم نبتدىء بحول الله تعالى وقوته بايراد البراهين الضرورية على ان كل جسم في العالم فانه متجزؤ محتمل للتجزئة وكل جزء من جسم فهو أيضا جسم محتمل

للتجزى وهكذا ابدا و بالله تعالى نتايد

(قال ابو محمد) يقال لهم و بالله تعالى نستعين اخبرونا عن هذا الجزء الذى قلتم انه لا يتجزى أهو فى العالم أم ليس فى العالم ولا سبيل الى قسم ثالث فان قالوا ليس هو فى العالم صدقوا و أبطلوه الا انهم يلزمهم قول فاحش وهو انهم يقولون ان جميع العالم مركب من اجزاء لا تتجزأ والكل ليس هو شيئا غير تلك الاجزاء فان كانت تلك الاجزاء ليست فى العالم فالعالم عدم ليس فى العالم وهذا تخليط كما ترى وان قالوا بل هو فى العالم قلنا لهم لا يخلوا ان كان فى كرة العالم من ان يكون أما قائما بنفسه حاملا واما ان يكون محمولا غير قائم بنفسه لا بد ضرورة من احد الامرين اذ ليس العالم كله الا على هذين القسمين فان كان محمولا غير قائم بنفسه فهو عرض من الاعراض وان كان حاملا قائما بنفسه ذا مكان فهو جسم ثم يقال لهم اخبرونا عن الجزء الذى ذكرتم انه لا يتجزأ وهو على قولكم فى مكان لانه بعض من ابعاض الجسم هل الملاقى منه للمشرق هو الملاقى للمغرب ام غيره وهل المحاذى منه للسماء هو المحاذى منه للارض أم هو غيره فان قالوا كل ذلك واحد والملاقى منه للمشرق هو الملاقى منه للمغرب والمحاذى منه للسماء هو المحاذى منه للارض أتوا باحدى العظائم وجعلوا جهة المشرق منه هي جهة المغرب وجعلوا السماء والارض منه فى جهة واحدة وهذا حمق لا يبلغه الا الموسوس ومكابرة للعيان لا يرضاها لنفسه سالم البنية وان قالوا بل الملاقى منه المشرق هو غير الملاقى منه للمغرب وان السماء والارض منه فى جهتين متقابلتين فوق وأسفل صدقوا وهكذا جهة الجنوب والشمال فاذ ذلك كذلك بلا شك فقد صح انه ذو جهات ست متغايرة وهذا اقرار منهم بانه ذو اجزاء اذ قطعوا بان الملاقي منه للمغرب غير الملاقى منه المشرق ومن للتبعيض وبطل قولهم من قرب والحمد لله رب العالمين

(قال ابو محمد) فان ارادوا الزامنا مثل هذا فى العرض قلنا ليس للعرض جهة ولا له مكان ولا يقوم بنفسه ولا يحاذى شيئا وانما يحاذى الاشياء حامل العرض لا العرض اذ لو ارتفع العرض لبقى حامله مالئا لمكانه كما كان محاذيا من جميع جهاته ما كان يحاذى حين حمله للعرض سواء سواء ولو ارتفع فى قولكم الجزأ الذى لا يتجزأ لبقى مكانه خاليا منه وقد اوضحنا ان عرضين واعراضا تكون فى جسم واحد فى جهة واحدة منه وهم لا يختلفون فى ان جزئين كل واحد منهما لا يتجزأ فلا يمكن البتة ان يكونا جميعا فى مكان واحد بل لكل واحد منهما عندهم مكانا غير مكان الآخر وبرهان آخر وهو انهم يقولون ان الجزء الذى لا يتجزأ لا طول له ولا عرض ولا عمق فنقول لهم وبالله تعالى التوفيق اذا اضفتم الى الجزء الذى لا يتجزأ عندكم جزأ آخر مثله لا يتجزأ أليس قد حدث لهما طول فلا بد من قولهم نعم لا يختلفون فى ذلك ولو انهم قالوا لا يحدث لهما طول لزمهم مثل ذلك فى اضافة جزء ثالث ورابع واكثر حتى يقولوا ان الاجسام العظام لا طول لها ويحصلوا فى مكابرة العيان فنقول لهم اذا قلتم ان جزأ لا يتجزأ لا طول له اذا ضم اليه جزء آخر لا يتجزأ ولا طول له فانهما يحدث له طول فقولوا لنا هل يخلوا هذا الطول الحادث عندكم من احد الثلاثة اوجه لا رابع لها اما ان يكون هذا الطول لاحدهما دون الاخر او لا لواحد منهما او لكليهما فان قلتم ليس هذا الطول لهما ولا لواحد منهما فقد اوجبتم طولا لا لطويل وطولا قائما بنفسه والطول عرض والعرض لا يقوم بنفسه وصفة والصفة لا يمكن ان توجد الا فى موصوف بها ووجود طول لا لطويل مكابرة ومحال وان قلتم ان ذلك الطول هو لاحد الجزئين دون الاخر فقد احلتم واتيتم بما لا شك بالحس وضرورة العقل فى بطلانه ولزمكم ان الجزء الذى لا يتجزأ له طول واذا كان له طول فهو بلا شك يتجزأ وهذا ترك منكم لقولكم مع انه ايضا محال لانه يجب من هذا انه يتجزى ولا يتجزي وان قلتم ان ذلك الطول للجزئين معا صدقتم واقررتم بالحق فى ان كل جزء منهما فله حصته من الطول والحصة من الطول طول بلا شك واذا كان كل واحد منهما له طول فكل واحد منهما يتجزا وهذا خلاف قولكم انه لا يتجزى وهذا

برهان ضروری أيضا لامحيد عنه وبالله تعالى التوفيق برهان آخر

﴿قال ابو محمد﴾ ونقول لهم أيما أطول جزآن لايتجزأ كل واحد منهما وقد ضم أحدهما الى الاخر أم أحدهما غير مضموم الى الاخر فلايجوز ان يقول أحد الاان الجزئين المضمومين أطول من أحدهما غير مضموم الى الاخر فاذ ذلك كذلك فمن المحال الممتنع الباطل ان يقال فى شىء هذا أطول من هذا الاوفى الاخر طول دون طول ماهو أطول منه فقد صح ضرورة ان الطول موجود لكل جزء قالوا فيه انه لايتجزأ واذا كان له طول فهو منقسم بلا خلاف من أحد منا ومنهم وهكذا القول فى عرضهما ان ضم أحدهما الى الآخر وفى عمقهما كذلك ولابد من ان يكون لكل واحد منهما حصة من العرض والعمق واذ ذلك كذلك ضرورة فكل جزء قالوا فيه انه لايتجزى فلابد من ان يكون له طول وعرض وعمق واذ ذلك كذلك فهو جسم يتجزأ ولابد وهذا أيضا برهان ضرورى لامحيد عنه وبالله تعالى التوفيق * وقد رام أبو الهذيل التخلص من هذا الالزام فبعد ذلك عليه لانه رام محالا فقال ان الطول الحادث للجزئين عند اجتماعهما انما هو كالاجتماع الحادث لهما ولم يكن لهما ولا لاحدهما اذ كانا منفردين

﴿قال ابو محمد﴾ وهذا تمويه ظاهر لان الاجتماع هو ضم أحدهما الى الآخر نفسه ليس هو شيئا آخر ولم يكونا قبل الضم والجمع مضمومين ولا مجتمعين وليس معنى الطول والعرض والعمق كذلك بل هو شىء آخر غير الضم والجمع وانما هو صفة للطويل مضموما كان الى غيره اوغير مضموم ولا يوجب الجمع والضم طولا لم يكن واجبا قبل الضم والجمع فلم يزد أبو الهذيل على ان قال لما اجتمعا صارا مجتمعين وصارا طويلين وهذه دعوى فاسدة ونظر منحل لان قوله لما اجتمعا صارا مجتمعين صحيح لاشك فيه وقوله وصارا طويلين دعوى مجردة من الدليل جملة وماكان هكذا فهو باطل وأيضا فان الاجتماع لما حدث بينهما بطل معنى آخر كان موجوداً فيهما وهو الافتراق الذى هو ضد الاجتماع فاخبرونا اذا حدث الطول بزعمكم فاى شيء هو المعنى الذى ذهب بوجود الطول وعاقبة الطول ولاسبيل لهم الى وجوده فصح ان الطول كان موجودا فى كل جزء فى انفراده وكذلك العرض والعمق ثم لما اجتمعا زاد الطول والعرض والعمق وهكذا أبدا وبالله تعالى التوفيق وهذا هو الذي تشهد له الحواس والمشاهدة والعقل والحمد لله رب العالمين * وبرهان آخر وهو ان الجرم ان كان أحمر فكل جزؤ من أجزائه أحمر بلا شك فان قالوا ليس أحمر قلنا لهم فله أخضر أو أصفر أو غير ذى لون وهذا عين المحال لان الكل قد بينا انه ليس هو شيئا غير أجزائه فلو كان لون أجزائه غير لونه كله لكان لونه غير لونه وهذا محال فاذ لاشك فيما ذكرنا فالجزؤ الذي يدعون انه لايتجزأ هو ذو لون بلاشك واذ هو ذو لون فهو جسم لايعقل غير ذلك فهو يتجزى

﴿قال ابو محمد﴾ وقالت الاشعرية ههنا كلاما ظريفا وهو انهم قالوا هو ذو لون واحد

﴿قال أبو محمد﴾ كل ملون فهو ذو لون واحد لاذو ألوان كثيرة الاان يكون أبلق او موشى برهان آخر ان وجود شىء فى العالم قائم بنفسه ليس جسما ولاعرضا ولا قابلا للتجزىء ولاطول له ولاعرض ولا عمق فهو محال ممتنع اذ هذا المذكور ليس شيئا غير البارى تعالى وجل تعالى ان يكون له فى العالم شبه وبهذا بان عز وجل عن مخلوقاته ولم يكن له كفوا احد وليس كمثله شىء برهان اخر

(قال ابو محمد) كل شىء يحتمل ان يكون له اجزاء كثيرة فبالضرورة ندري انه يحتمل ان يجزا الى اقل منها هذا مالا تختلف العقول والاحساس فيه كشىء احتمل ان يقسم على اربعة أقسام فلاشك انه يحتمل ان يقسم على ثلاثة وعلى اثنين وهكذا فى كل عدد ومن دافع فى هذا فانما يدفع الضرورة ويكابر العقل فلو اقمت خطا من ثلاثة أجزاء كل جزء منها

لا يتجزأ على قولهم أو يعمل ذلك الخط من عشرة أجزاء وكذلك من الف جزءا كذلك أو مما زاد فانه لا يختلف احد في ان الخط الذي هو من ثلاثة اجزاء فانه ينقسم اثلاثا في موضعين وان الذي هو اربعة اجزاء فانه ينقسم ارباعا في ثلاثة مواضع وان الذي من الف جزء فانه ينقسم اعشارا و بنصفين واذ لا شك في هذا فبيقين لا محيد عنه يدري كل ذي حس سليم ولو انه عالم او جاهل ان ما انقسم اثلاثا فانه ينقسم نصفين مستويين وما انقسم ارباعا فانه ينقسم اثلاثا مستوية وان ما كان من الخطوط له اعشار واخماس ونصف واثلاث واسداس واسباع متساوية فاذ لا شك في هذا فان القسمة لا بد ان تقع في نصف جزء منها او في اقل من نصفه فصح ان كل جسم فهو يتجزأ ضرورة وان الجزء الذي لا يتجزء باطل معدوم من العالم وهذا ما لا مخلص لهم منه وبالله تعالى التوفيق * برهان آخر

(قال أبو محمد) بلا شك نعلم ان الخطين المستقيمين المتوازيين لا يلتقيان أبدا ولو مدا عمر العالم ابدا بلا نهاية وانك ان مددت من الخط الاعلى الى الخط المقابل له خطين مستقيمين متوازيين قام منهما مربع بلا شك فاذا اخرجت من زاوية ذلك المربع خطا منحدرا من هنالك الى الخط الاسفل فان تلك الخطوط المخرجة من الضلع الذي ذكرنا وتلك الخطوط المخرجة من الزواية لا تمر مع الخط الاعلى ابدا لانها غير موازية له فاذ ذلك كذلك فذلك الضلع منقسم ابدا لا بدما اخرجت الخطوط بلا نهاية * برهان آخر

(قال أبو محمد) وبالضرورة ندري أن كل مربع متساوي الاضلاع فان الخط القاطع من الزاوية العليا الى الزاوية السفلي التي لا يوازيها يقوم منه في المربع مثلثان متساويان وانه لاشك أطول من كل ضلع من أضلاع ذلك المربع على انفراده فنسألهم عن مائة جزء لا تتجزأ رتبت متلاصقة عشرة عشرة فبالضرورة نجد فيها ما ذكرنا فبيقين نعلم حينئذ أن كل جزء من الاجزاء المذكورة لولا أن له طولا وعرضا لما كان الخط المار بها القاطع المربع القائم منها على مثلثين متساويين أطول من الخط المار بكل جهة من جهات ذلك المربع على استواء وموازاة للخطوط الاربعة المحيطة بذلك المربع وهو أطول منه بلا شك فصح ضرورة أن لكل جزء منها طولا وعرضا وأن ماله طول وعرض فهو متجزء بلا شك فصح أيضا بما ذكرنا أن كل جزء مر عليه الخط المذكور فقد انقسم برهان آخر وأيضا فاننا لو أقمنا خطا من أجزاء لا تتجزأ على قولهم مستقيما ثم أدرناه حتى يلتقي طرفاه و يصير دائرة فبالضرورة يدري كل ذي حس سليم ان الخط اذا أدير حتى يلتقي طرفه فان ما قابل من أجزائه مركز الدائرة أضعف مما قابل منها خارج الدائرة فاذ ذلك كذلك فهذا لازم في هذا الخط المدار بلا شك واذ لا شك في هذا فقد فضل من أحد طرفي الجزء الذي لا يتجزأ عندهم فضلة على طرفه الآخر وهكذا كل جزء من تلك الاجزاء بلا شك فصح ضرورة أنه يحتمل الانقسام ولا بد وبالله تعالى التوفيق * برهان آخر نسألهم عن دائرة قطرها أحد عشر جزءا لا يتجزأ كل واحد منها عندهم أو أي عدد شئت على الحساب فاذا ردنا أن نقسمها بنصفين على السواء ولا خلاف في أن هذا ممكن فبالضرورة ندري أن الخط القاطع على قطر الدائرة من المحيط الى ما قابله من المحيط مارا على مركزها لا يقع البتة الا في انصاف تلك الاجزاء فصح ضرورة أنها تتجزأ ولو لم يمر ذلك الخط على أنصافها لما انقسم الدائرة بنصفين وبالله تعالى التوفيق * وبرهان آخر وهو أن نسألهم عن الجزء الذي لا يتجزأ الذي يحققونه اذا وضع على سطح زجاجة ملساء مستوية هل له حجم زائد على سطحها أم لا حجم له زائد على سطحها فان قالوا لا حجم له زائد على سطحها أعدموه ولم يجعلوا له مكانا

ولاجعلوه متمكنا أصلا فنسالهم عن جزئين جملا كذلك فلا بد من قولهم ان لهما حجما فنسالهم عن ذلك الحجم ألهما معا أم لاحدهما في ذلك قالوا أثبتوا ولا بد الحجم لهما وللجزء الذي هو احدهما واذا كان للجزء الذى لا يتجزأ حجم زائد فالذى لاشك فيه أن له ظلا واذا صح يقينا ان له ظلا فلا شك فى ان الظل يزيد وينقص ويمتد ويتقاص ويذهب اذا سامتته الشمس فاذ ذلك كذلك فبيقين ندرى ان ظله ينقص حتى يكون اقل من قدره واذ ذلك فقد ظهر ووجب ان له تجزيا ومقدارا متبعضا وبرهان آخر وهو اننا نسالهم عن جزؤ لا يتجزأ من الحديد أو من الذهب وجزؤ لا يتجزأ من خيط قطن هل ثقلهما ووزنهما سواء أم الذى من الذهب أو الحديد أثقل من الذى من القطن فان قالوا ثقلهما ووزنهما سواء كابروا لزومهم هذا في ألف جزؤ كذلك من الذهب انهما ليستا أثقل من ألف جزؤ من القطن مجتمعة كانت الاجزاء أو متفرقة وهذا جنون ومكابرة وان قالوا بل الذى من الذهب أوزن وأثقل صدقوا وأوجبوا ان له تجزيا يتفاضل الوزن ضرورة ولا بد

(قال أبو محمد) فهذه براهين ضرورية قاطعة بان كل جزء فهو يتجزأ أبدا بلا نهاية وان جزءا لا يتجزأ ليس فى العالم اصلا ولا يمكن وجوده بل هو من المحال الممتنع وبالله تعالى التوفيق

(قال أبو محمد) أما أبو الهذيل فخلط فى هذا الباب وحق لمن رام نصر الباطل ان يخلط فقال ان الجزء الذى لا يتجزأ ذو حركة وسكون يتعاقبان عليه وانه يشغل مكانا لا يسع فيه معه غيره وانه اقرب الى السماء من مكانه الذى هو عليه من الارض وهذا غاية التناقض اذ ما كان هكذا فله مساحة بلا شك وهو ذو جهات ست والمساحة أجزاء من نصف وثلث وأقل وأكثر وما كان ذا جهات فالذى منه فى كل جهة غير الذي منه فى الجهة الاخرى بلا شك وما كان هذا فهو محتمل للتجزى بلا شك وما عدا هذا فوسواس نعوذ بالله منه

(قال أبو محمد) فى تخليطهم هذا اختلافا ظريفا أيضا اجمعوا انه اذا ضم جزؤ ولا يتجزء الى جزؤ لا يتجزأ فصار اثنين فقد حدث لهما طول ثم اختلفوا متى يصير جسما له طول وعرض وعمق فقال بعضهم اذا صار جزئين صار جسما وهو قول الاشعرية وقال بعضهم اذا صارا أربعة أجزاء وقال بعضهم بل اذا صارا ستة أجزاء واتفقوا على أنه اذا صار ثمانية أجزاء فقد صار جسما له طول وعرض وعمق وكل هذا تخليط ناهيك به وجهل شديد كان الاولى باهله ان يتعلموا قبل ان يتكلموا بهذه الحماقات برهان ذلك أنهم لم يختلفوا أنهم اذا صفوا أربعة أجزاء لا يتجزأ وتحتها أربعة أجزاء لا يتجزأ فانه قد صار عندهم الجميع من هذه الاجزاء جسما طويلا عريضا عميقا

(قال أبو محمد) وهذا الذى طابت نفوسهم عليه وأنست عقولهم اليه فى الثمانية وسهل على بعضهم دون بعض فى ثلاثة أجزاء تحتها ثلاثة أجزاء أو فى جزئين تحتهما جزآن ومنعوا كلهم من ذلك فى جزؤ على جزؤ حاشا الاشعرية فانه بعينه موجود على أصولهم المخذولة وأقوالهم المرذولة فى جزؤ على جزؤ على جزؤ سواء سواء بعينه وذلك ان أربعة أجزاء على أربعة أجزاء فانما الحاصل منها جزء على جزء فقط من كل جهة فاذا جعلوا الاربعة على الاربعة طولا فانما جعلوه في جزؤ الى جنب جزؤ كذلك فعلوا فى العرض وكذلك فعلوا فى العمق واذا هو كذلك فالطول عندهم يوجد فى جزء الى جنب جزء والعرض يوجد جنب الطول لان العرض لا يكون أكثر من الطول أصلا والعمق موجود فيهما أيضا فظهر ان لكل جزء منها طولا وعرضا وعمقا ومكانا وجهات ووجب ضرورة بهذا انه يتجزأ ولاح جهلهم وخطئهم وبالله تعالى التوفيق

﴿قال أبو محمد﴾ فاذا قد بطل قولهم فى الجزء الذى لا يتجزأ وفى كل ما أوجبوه انه جوهر لا جسم ولا عرض فقد صح ان العالم كله حامل قائم بنفسه ومحمول لايقوم بنفسه ولا يمكن وجود أحدهما متخليا فالمحمول هو العرض والحامل هو الجوهر وهو الجسم سمه كيف شئت ولا يمكن فى الوجود غيرهما وغير الخالق لهما تعالى وبالله تعالى التوفيق

﴿قال أبو محمد﴾ وقال هؤلاء الجهال ان العرض لايبقى وقتين وانه لا يحمل عرضا

﴿قال أبو محمد﴾ وقد كلمناهم فى هذا وتقرينا كتبهم فما وجدنا لهم حجة فى هذا أصلا أكثر من ان بعضهم قال لو بقى وقتين لشغل مكانا

﴿قال أبو محمد﴾ وهذه حجة فقيرة الى حجة ودعوى كاذبة نصر بها دعوى كاذبة ولا عجب أكثر من هذا ثم لو صحت لهم للزمهم هذا بعينه فيما جوزوه من بقاء العرض وقتا واحدا ويقال لهم ما الفرق بينكم وبين من قال لو بقى العرض وقتا واحدا لشغل مكانا وبيقين يدرى كل ذى حس سليم انه لافرق فى اقتضاء المكان بين بقاء وقت واحد وبين بقاء وقتين فصاعدا فان أبطلوا بقاءه وقتا لزمهم انه ليس باقيا أصلا واذا لم يكن باقيا فليس موجودا أصلا واذ لم يكن موجودا فهو معدوم فحصلوا من هذا التخليط على نفى الاعراض ومكابرة العيان ويقال لهم ما الفرق بينكم وبين من قال بل يبقى وقتين ولا يبقى ثلاثة أوقات اذ لو بقى ثلاثة أوقات لشغل مكانا وكل هذا هوس وليس من أجل البقاء وجب اقتضاء الباقي المكان لكن من أجل انه طويل عريض عميق فقط ولا مزيد وقد قال بعضهم ان الشيء في حين خلق الله تعالى له ليس باقيا ولا فانيا وهذه دعوى فى الحمق كما سلف لهم ولافرق وهى مع ذلك لا تعقل ولا يتمثل فى الوهم ان يكون فى الزمان أو في العالم شيء موجود ليس باقيا ولا فانيا

﴿قال أبو محمد﴾ ولا عجب أعجب من حمق من قال ان بياض الثلج وسواد القار وخضرة البقل ليس شيء منها الذى كان آنفا بل يفنى فى كل حين ويستعيض ألف ألف بياض وأكثر وألف ألف خضرة وأكثر هذه دعوى عارية من الدليل الا انها جمعت السخف مع المكابرة

﴿قال أبو محمد﴾ والصحيح من هذا هو ما قلناه ونقوله ان الاعراض تنقسم أقساما فمنها ما لا يزول ولا يتوهم زواله لانفساد ما هو فيه لو أمكن ذلك كالصورة الكلية أو كالطول والعرض والعمق ومنها ما لا يزول ولا يتوهم زواله الا بافساد حامله كالاسكار فى الخمر ونحو ذلك فانها ان لم تكن مسكرة لم تكن خمرا وهكذا كل صفة يحدها ما هى عليه ومنها ما لا يزول الا بفساد حامله الا انه لو توهم زائلا لم يفسد حامله كزرق الازرق وفطس الافطس فلو زالا لبقى الانسان انسانا بحسبه ومنها ما يبقى مددا طوالا وقصارا وربما زايل ما هو فيه كسواد الشعر وبعض الطعوم والخشونة والاملاس فى بعض الاشياء والطيب والنتن فى بعضها والسكون والعلم وكبعض الالوان التى تستحيل ومنها ما يسرع الزوال كحمرة الخجل وكمدة الهم وليس من الاعراض شيء يفنى بسرعة حتى لا يمكن ان يضبط مدة بقائه الا الحركة فقط على انها بضرورة العقل والحس ندرى ان حركة الجزء من الفلك التى تقطع الفلك بنصفين من شرق الى غرب أسرع من حركة الجزء منه الذى حوالى القطبين لان كل هذين الجزأين يرجع الى مكانه الذى بدأ منه فى أربع وعشرين ساعة وبين دائرتيهما فى الكبر ما لا يكون مساحة خط دائرة أو خط مستقيم أكثر منه فى العالم وبيقين يدرى ان حركة المذعورة في طيرانها أسرع من حركة السلحفاة فى مشيها وان حركة المنساب فى الحدور أسرع من حركة الماء الجارى في مسيل النهر وان حركة العصر في الجرى أسرع من حركة الماشى فصح يقينا ان خلال الحركات أيضا

بقاء اقامة يتفاضل في مدته لان الحركات كلها انما هى نقلة من مكان الى مكان فالمتحرك مقابلة ولابد لكل جرم مر عليه ففى تلك المقابلات يكون التفاضل فى السرعة أوفي البطء الا أنه لايحس أجزاؤه ولا تضبط دقائقه الا بالعقل فقط الذى به يعرف زيادة الظل والشمس ولايدرك ذلك بالحس الا اذا اجتمعت منه جملة ما فانه حينئذ يعرف بحس البصر كالايدرك بالحواس نماء النامى الا اذا اجتمعت منه جملة ما وكما يعرف بالعقل لا بالحس ان لكل خردلة جزءاً من الاثقال فلايحس الا اذا اجتمعت منه جملة ما وكذلك الشبع والري وكثير من أعراض العالم فتبارك خالق ذلك هو الله أحسن الخالقين وأما قولهم ان العرض لا يحمل العرض فكلام فاسد مخالف للشريعة وللطبيعة وللعقل والحواس ولاجماع جميع ولد آدم لاننا لا نختلف فى أن نقول حركة سريعة وحركة بطيئة وحمرة مشرقة وخضرة أشد من خضرة وخلق حسن وخلق مسىء وقال تعالى * ان كيدهن عظيم * وقال تعالى * فصبر جميل * وحسبك فسادا بقول أدى الى هذا ومن أحال على العيان والحس والمعقول وكلام الله تعالى فقد فاز قدحه وخسرت صفقة من خالفه

(قال أبو محمد) ولسنا نقول ان عرضا يحمل عرضا الى ما لانهاية له بل هذا باطل ولكن كما وجد وكما خلق البارى تعالى ماخلق لامزيد وما عدا هذا فرقة دين وضعف عقل وقلة حياء ونعوذ بالله من هذه الثلاث وحسبنا الله ونعم الوكيل ولاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم

﴿ الكلام فى المعارف ﴾

(قال أبو محمد) اختلف الناس فى المعارف فقال قائلون المعارف كلها باضطرار اليها وقال آخرون المعارف كلها باكتساب لها وقال آخرون بعضها باضطرار وبعضها باكتساب

(قال أبو محمد) والصحيح فى هذا الباب ان الانسان يخرج الى الدنيا ليس عاقلا لامعرفة له بشىء كما قال عز وجل * والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئا

(قال أبو محمد) فحركاته كلها طبيعية كأخذه الثديين حين ولادته وتصرفه تصرف البهائم على حسبها فى آلامها وطربها حتى اذا كبر وعقل وتقوت نفسه الناطقة وأنست بما صارت فيه وسكنت اليه وبدت رطوباته تجف بدأت بتمييز الامور فى الدار التى صارت فيها فيحدث الله تعالى لها قوة على التفكر واستعمال الحواس في الاستدلال وأحدث الله تعالى لها الفهم بماتشاهد وماتخبر به فطريقه الى بعض المعارف اكتساب فى أول توصله اليها لانه باول فهمه ومعرفته عرف ان الكل أكثر من الجزء وان جسما واحدا لايكون فى مكانين وانه لايكون قاعداً قائما معا وهو ان لم يحسن العبارة عن ذلك فان أحواله كلها تقضى تيقنه كل ماذكرنا وعرف أولا صحة ماأدرك بحواسه ثم انتجت له بعد ذلك سائر المعارف بمقدمات راجعة الى ماذكرنا من قرب أو بعد فكل ماثبت عندنا ببرهان وان كان بعيد الرجوع الى ماذكرنا فمعرفة النفس به اضطرارية لانه لورام جهده أن يزيل عن نفسه المعرفة بما ثبت عنده هذا الثبات لم يقدر فاذ هذا لاشك فيه فالمعارف كلها باضطرار اذ مالم يعرف بيقين فانما عرف بظن وماعرف ظنا فليس علماً ولامعرفة هذا مالاشك فيه الا ان يتطرق الى طلب البرهان بطلب وهذا الطلب هو الاستدلال ولوشاء أن لايستدل لقدر على ذلك فهذا الطلب وحده هو الاكتساب فقط وأما ماكان مدركا باول العقل وبالحواس فليس عليه استدلال أصلا بل من قبل هذه الجهات يبتدى كل أحد بالاستدلال وبالرد الى ذلك فيصح استدلاله أو يبطل وحد العلم بالشىء وهو المعرفة به أن نقول العلم والمعرفة اسمان واقعان على معنى واحد وهو اعتقاد الشيء

على ماهو عليه وتيقنه به وارتفاع الشكوك عنه ويكون ذلك امابشهادة الحواس وأول العقل واما ببرهان راجع من قرب أومن بعد الى شهادة الحواس أوأول العقل وامابانفاق وقع له فى مصادفة اعتقاد الحق خاصة بتصديق ماافترض الله عز وجل عليه اتباعه خاصة دون استدلال وأما علم الله تعالى فليس محدودا أصلا ولايجمعه مع علم الخلق حد ولاحس ولاشىء أصلا وذهبت الاشعرية الى أن علم الله تعالى واقع مع علمنا تحت حد واحد

(قال أبو محمد) وهذا خطأ فاحش اذمن الباطل أن يقع مالم تزل النهايات وعلم الله تعالى ليس هو غير الله تعالى على ما بينا قبل وبالله تعالى التوفيق

(قال أبو محمد) قالت طوائف منهم الاشعرية وغيرهم من انفق له اعتقاد شىء على ماهو به عن غير دليل لكن بتقليد اوتميل بارادته فليس عالما به ولاعارفا به ولكنه معتقد له وقالوا كل علم ومعرفة اعتقاد وليس كل اعتقاد علما ولامعرفة لان العلم والمعرفة بالشىء انما يعبر بهما عن تيقن صحته قالوا وتيقن الصحة لايكون الابرهان قالوا وماكان بخلاف ذلك فانما هوظن ودعوى لاتيقن بها اذ لوجاز ان يصدق اقول بلا دليل لماكان قول اولى من قول ولكانت الاقوال كلها صحيحة على تضادها ولوكان ذلك لبطلت الاقوال ولبطلت الحقائق كلها لان كل قول يبطل كل قول سواه فلو صحت الاقوال كلها ابطلت كلها لانه لو كان يكون كل قول صادقا فى ابطاله ماعداه

(قال أبو محمد) فنقول وبالله تعالى التوفيق ان التسمية والحكم ليس الينا وانما هما الى خالق اللغات وخالق الناطقين بها وخالق الاشياء ومرتبها كما شاء لااله الا هو قال عزوجل منكرا على من سمي من قبل نفسه * ان هى الأأسماء سميتموها انتم وآباؤكم ماأنزل الله بها من سلطان * وقال تعالى ولاتقف ماليس لك به علم فنهى الله عزوجل كل أحد عن أن يقول ما ليس له به علم ووجدناه عز وجل يقول فى غير موضع من القرآن * ياأيها الذين آمنوا * وقال تعالى * وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا * وقال تعالى * فان تابوا وأقاموا الصلاة واتوا الزكاة فاخوانكم فى الدين * فخاطب الله تعالى بهذه النصوص وبغيرها وكذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مؤمن في العالم الى يوم القيامة وبيقين ندرى انه قد كان فى المؤمنين على عهده عليه السلام ثم من بعده عصرا عصرا الى يوم القيامة المستدل وهم الاقل وغير المستدل كمن اسلم من الزنج ومن الروم والفرس والاماء وضعفة النساء والرعاة ومن نشأ على الاسلام بتعليم أبيه اوسيده اياه وهم الاكثر والجمهور فسماهم عزوجل مؤمنين وحكم لهم بحكم الاسلام وهذا كله معروف بالمشاهدة والضرورة وقال تعالى * آمنوا بالله ورسوله * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لااله الاالله وانى رسول الله يؤمنوا بما أرسلت به فصح يقينا انهم كلهم ماموروں بالقول بجميع ماجاء به النبي صلى الله عليه وسلم وان كل من صد عنه فهو كافر حلال دمه وماله فلو لم يؤمن بالقول بالايمان الامن عرفه من طريق الاستدلال لكان كل من لم يستدل ممن ذكرنامنهيا عن اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وعن القول بتصديقه لانه عند هؤلاء القول ليسوا عالمين بذلك وهذا خلاف القران وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجتماع الامة المتيقن أما القران والسنة فقد ذكرناهما وأما اجماع الامة فمن الباطل المتيقن أن يكون الاستدلال فرضا لا يصح ان يكون احد مسلما الا به ثم يغفل الله عز وجل ان يقول لاتقبلوا من أحد انه مسلم حتى يستدل انراه نسى تعالى ذلك او تعمد عز وجل ترك ذكر ذلك اضلالا لعباده وبترك ذلك رسوله صلى الله عليه وسلم اما عمدا أوقصدا الى الضلال والاضلال او نسيانا لمن اهتدى له هؤلاء ونبهوا اليه وهم من هم بلادة وجهلا

وسقوطا هذا لا يظنه الا كافر ولا يحققه الا مشرك فما قال قط رسول الله صلى الله علية وسلم لاهل قرية او حلة اوحى ولا لراع ولا لراعية ولا للزنج ولا للنساء لا اقبل اسلامكم حتى أعلم المستدل من غيره فاذا لم يقل عليه السلام ذلك فالقول به واعتقاده افك وضلال وكذلك اجمع جميع الصحابة رضى الله عنهم على الدعاء الى الاسلام وقبوله من كل واحد دون ذكر استدلال ثم هكذا جيلا فجيلا حتى حدث من لا قدر له فان قالوا قد قال الله عز وجل * قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين * قلنا نعم وهذا حق وانما قاله الله عز وجل ان خالف الحق الذي امر عز وجل الجن والانس باتباعه وهكذا القول ان كل من قال قولا خالف فيه ما امر الله عز وجل باتباعه فسواء استدل بزعمه ام لم يستدل هذا مبطل غير معذور الا من عذره الله عز وجل فيما عذره فيه كالمجتهدين من المسلمين يخطا قاصدا الى الحق فقط ما لم يقم علية الحجة فيعاند واما من اتبع الحق فما كلفه الله عز وجل قط برهانا والبرهان قد ثبت بصحة كل ما امر الله تعالى به فسواء علمه فتبع الرسول صلى الله عليه وسلم بعلمه حسبه أنه عالم بالحق معتقد له موقن به وان جهل برهانه الذي قد علمه غيره وهذا خلق الله عز وجل الايمان والعلم فى نفسه كما خلقه في نفس المستدل ولا فرق قال تعالى * اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجا * فسماهم داخلين فى دينه وان كانوا افواجا وما شرط الله عز وجل قط اولا رسوله صلى الله عليه وسلم ان يكون ذلك باستدلال بل هذا شرط من شرط ذلك ممن قذفه ابليس في قلبه وعلى لسانه ليخرجه الى تكفير الامة ولا عجب أعجب من اطباق هذه الطائفة الضالة المخذولة على انه لا يصح لاحد ايمان حتى يستدل على ذلك ولا يصح لاحد استدلال حتى يكون شاكا فى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم غير مصدق بها فاذا كان ذلك صح له الاستدلال والا فليس مؤمنا فهل سمع باحمق أو ادخل فى الحمق والكفر من قول من قال لا يؤمن احد حتى يكفر بالله تعالى وبالرسول صلى الله عليه وسلم وان من آمن بهما ولم يكفر بهما قط فهو كافر مشرك نبرأ الى الله تعالى من كل من قال بهذا

﴿قال ابو محمد﴾ فهذان طريقان لا ثالث لهما كل طريق منها تنقسم قسمين أحدها من اتبع الذى امره الله عز وجل باتباعه وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا مؤمن عالم حقا سواء استدل او لم يستدل لانه فعل ما امره الله تعالى به ثم ينقسم هؤلاء قسمين احدها من لم يتبع قط غيره عليه الصلاة والسلام ووافق الحق بتوفيق الله عز وجل فهذا فى كل عقد اعتقده اجران واما ان يكون حرم موافقة الحق وهو مريد فى امره ذلك اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا معذور ماجور اجرا واحدا ما لم تقم عليه الحجة فيعاندها وهذا نص قوله عليه السلام فى الحاكم المجتهد المصيب والمخطئ والطريق الثانية من اتبع غير الذي امره الله باتباعه فهذا سواء استدل أو لم يستدل هو مخطئ ظالم عاص لله تعالى وكافر على حسب ما جاءت به الديانة فى امره ثم ينقسم هؤلاء قسمين أحدهما أصاب ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غير قاصد الى اتباعه عليه الصلاة والسلام فيه والاخر لم يصبه فكلاهما لا خير فيه وكلاهما آثم غير ماجور وكلاهما عاص لله عز وجل أو كافر على حسب ما جاءت به الديانة من أمره لانهما جميعا تعديا حدود الله عز وجل فيما أمرهم به من اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال تعالى * ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه * ولا ينتفع باصابته الحق اذ لم يصبه من الطريق التى لم يجعل الله طلب الحق وأخذه الا من قبلها وقد علمنا ان اليهود والنصارى يوافقون الحق فى كثير كاقرارهم بنبوة موسى عليه السلام وكتوحيد بعضهم لله تعالى فما انتفعوا بذلك اذ لم يعتقدوه اتباعا لرسول الله صلى الله عليه

وسلم وكذلك من قلد فقيها فاضلا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عقده أنه لا يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان وافق قوله قول ذلك الفقيه فهذا فاسق بلا شك ان فعله غير معتقد له وهو كافر بلا شك ان اعتقده بقلبه أو نطق به بلسان لمخالفته قول الله تعالى * فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما * فنفى الله عز وجل عن أهل هذه الصفة الايمان واقسم على ذلك ونحن ننفي مانفى الله عز وجل عمن نفاه عنه ونقسم على ذلك ونوقن أننا على الحق في ذلك وأما من قلد فقيها فاضلا وقال انما اتبعه لانه اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا مخطىء لانه فعل من ذلك مالم يامره الله تعالى به ولا يكفر لانه قاصد الى اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم مخطي الطريق في ذلك ولعله ماجور بنيته أجرا واحدا مالم تقم الحجة عليه بخطاء فعله فان ذكروا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث فتنة القبر وأما المنافق أو المرتاب فانه يقال له ماقولك في هذا الرجل يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول لا أدرى سمعت الناس يقولون شيئا فقلته

﴿ قال أبو محمد ﴾ هذا حق على ظاهره كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لا يقول هذا الا المنافق أو المرتاب لا المؤمن المرقن بل المؤمن الموقن ذكر في هذا الحديث أنه يقول هو عبد الله ورسوله أتانا بالهدى والنور أو كلاما هذا معناه أو اخبر فانما أخبر عليه السلام عن موقن ومرتاب لا عن مستدل وغير مستدل وكذلك نقول أن من قال في نفسه أو بلسانه لولا اني نشأت بين المسلمين لم أكن مسلما وانما اتبعت من نشأت بينهم فهذا ليس مؤمنا ولا موقنا ولا متبعاً لمن أمره الله تعالي باتباعه بل هو كافر

(قال أبو محمد) واذا كان قد يستدل دهره كله من لا يوفقه الله تعالى للحق وقد يوفق من لا يستدل يقينا لو علم ان أباه أو أمه أو ابنه أو امرأته أو أهل الارض يخالفونه فيه لاستحل دماءهم كلهم ولو خير بين أن يلقى في النار وبين أن يفارق الاسلام لاختار أن يحرق بالنار على أن يقول مثل هذا قلناه فهو موجود فقد صح ان الاستدلال لا معنى له وانما المدار على اليقين والعقد فقط وبالله تعالى التوفيق

(قال أبو محمد) وانما يضطر الى الاستدلال من نازعته نفسه اليه ولم يسكن قلبه الى اعتقاد مالم يعرف برهانه فهذا يلزمه طلب البرهان حينئذ ليقي نفسه نارا وقودها الناس والحجارة فان مات شاكا قبل أن يصح عنده البرهان مات كافرا مخلدا في النار ابدا

(قال أبو محمد) ثم نرجع الى ما كنا فيه هل المعارف باضطرار ام باكتساب فنقول وبالله تعالى التوفيق أن المعلومات قسم واحد وهو ماعقد عليه المرء قلبه وتيقنه ثم هذا ينقسم قسمين أحدهما حق في ذاته قد قام البرهان على صحته والثاني لم يقم على صحته برهان وأما مالم يتيقن المرء صحته في ذاته فليس عالما به ولا له به علم وانما هو ظان له واما كل ما علمه المرء ببرهان صحيح فهو مضطر الى علمه به لانه لا مجال للشك فيه عنده وهذه صفة الضرورة واما الاختيار فهو الذى ان شاء المرء فعله وان شاء تركه

(قال أبو محمد) فعلمنا بحدوث العالم وان له بكل مافيه خالقا واحدا لم يزل لا يشبهه شيء من خلقه في شيء من الاشياء والعلم بصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وصحة كل ما أتى به مما نقله الينا الصحابة كلهم رضى الله عنهم ونقله عنهم الكواف كافة بعد كافة حتى بلغ الينا أو نقله المتفق على عدالته عن مثله وهكذا حتى بلغ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كله علم حق متيقن مقطوع على صحته عند الله تعالى لان الاخذ بالظن في شيء من الدين لا يحل قال

الله تعالى * ان الظن لايغنى من الحق شيئاً * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث وقال تعالى * انا نحن نزلنا الذكروانا له لحافظون * فصح ان الدين محفوظ. لما ضمن الله عز وجل حفظه فنحن على يقين انه لا يجوز أن يكون فيه شك وقد أمر الله تعالى بقبول خبر الواحد العدل ومن المحال ان يامر الله عز وجل بان نقول عليه مالم يقل وهو قد حرم ذلك أو ان نقول عليه مالا نعلم انه تعالى قد حرم ذلك بقوله * وان تقولوا على الله ما لا تعلمون * فبكل ما أمرنا الله عز وجل بالقول به فنحن على يقين من انه من الدين وان الله تعالى قد حماه من كل دخل وكذلك أخذنا بالزايد من الاثنين المتعارضين ومن الخبرين الثابتين المتعارضين وقد علمنا صحة ان الحق فى فعلنا ذلك علم ضرورة متيقن ولا أعجب ممن يقول ان خبر الواحد لا يوجب العلم وانما هو غالب ظن ثم نقطع به ونقول انه قد دخلت في الدين دواخل لا تميز من الحق وانه لا سبيل الى تمييز ما أمر الله تعالى به فى الدين مما شرعه الكذابون هذا أمر نعوذ بالله منه ومن الرضاء به

﴿قال أبو محمد﴾ وأما ما اجتمعت عليه الجماعات العظيمة من آرائهم مما لم يات به نص عن الله عز وجل ولا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو باطل عند الله بيقين لانه شرع فى الدين ما لم ياذن به الله عز وجل وقال على الله تعالى ما لم يقله وبرهان ذلك انه قد يعارض ذلك قول آخر قالته جماعات مثل هذه والحق لا يتعارض والبرهان لا يناقضه برهان آخر وقد تقصينا هذا فى كتابنا المرسوم بكتاب الاحكام فى أصول الاحكام فاغنى عن ترداده والحمد لله رب العالمين

﴿قال أبو محمد﴾ فكل من كان من أهل الملل المخالفة فبلغته معجزات النبي صلى الله عليه وسلم وقامت عليه البراهين فى التوحيد فهو مضطر الى الاقرار بالله تعالى وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك كل من قام على شيء ما أى شيء كان عنده برهان ضرورى صحيح وفهمه فهو مضطر الى التصديق به سواء كانت من الملل أو من النحل أو من غير ذلك وأنما أنكر الحق فى ذلك أحد ثلاثة أما غافل معرض عما صح عنده من ذلك مشتغل عنه بطلب معاشه أو بالتزيد من مال أو جاه أو صوت أو لذة أو عمل يظنه صلاحا أو ايثارا للشغل بما يتبين له من ذلك عجزا وضعف عقل وقلة تمييز لفضل الاقرار بالحق او مسوف نفسه بالنظر كحال كل طبقة من الطبقات الذين نشاهدهم فى كل مكان وكل زمان واما مقلد لاسلافه أو لمن نشا بينهم قد شغله حسن الظن بمن قلد او استحسانه لما نشأ فيه وغمر الهوى عقله عن التفكر فيما فهم من البرهان قد حال ما ذكرناه بينه وبين الرجوع الى الحق وصرف الهوى ناظر قلبه عن التفكر فيما يتبين له من البرهان ونفر عنه وأوحشه منه فهو اذا سمع برهانا ظاهرا لا مدفع فيه عنده ظنه من الشيطان وغالب نفسه حتى يعرض عنه وقالت له نفسه لا بد ان ههنا برهانا يبطل به هذا البرهان الذى أسمع وان كنت أنا لا أدريه وهل خفى هذا علي جميع أهل ملتى وأهل نحلتى أو مذهبي أو على فلان وفلان وفلان ولا بد انه قد كان عندهم ما يبطلون به هذا

﴿قال أبو محمد﴾ وهذا عام فى أكثر من يظن انه عالم في كل ملة وكل نحلة وكل مذهب وليس واحد من هاتين الطائفتين الا والحجة قد لزمته وبهرته ولكنه غلب وساوس نفسه وحماقتها على الحقايق اللايحة له ونصر ظنه الفاسد على يقين قلبه الثابت ولاعب الشيطان به وسخر منه فاوهمه لشهوته لما هو فيه ان ها هنا دليلا يبطل به هذا البرهان وانه لو كان فلان حيا أو حاضرا لابطل هذا البرهان وهذا أعظم ما يكون من السخافة لما لا يدرى ولا سمع

به وتكذيب لما صح عنده وظهر اليه ونعوذ بالله من الخذلان والثالث منكر بلسانه ما قد تيقن صحته بقلبه اما استدامة لرياسة او استدرار مكسب أو طمعا في أحدهما لعله يتم له أو لا يتم ولو تم له لكان خاسر الصفقة فى ذلك أو أثر غرورا ذاهبا عن قريب على فوز الابد أو يفعل ذلك خوف أذى أو عصبة لمن خالف ما قد قام البرهان عنده أوعداوة لقائل ذلك القول الذى قام به عنده البرهان وهذا كله موجود فى جمهور الناس من اهل كل ملة وكل نحلة واهل كل رأى بل هو الغالب عليهم وهذا أمر يجدونه من انفسهم فهم يغالبونها

﴿قال أبو محمد﴾ ويقال لمن قال ممن ينتمى الى الاسلام ان المعارف ليست باضطرار وان الكفار ليسوا مضطرين الى معرفة الحق في الربوبية والنبوة اخبرونا عن معجزات الانبياء عليهم السلام هل رفعت الشك جملة عن كل من شاهدها وحسمت عللها وفصلت بين الحق والباطل فصلا تاما أم لا فان قالوا نعم أقروا بان كل من شاهدها مضطر الى المعرفة بانها من عند الله تعالى حق شاهد بصدق من أتى بها ورجعوا الى الحق الذى هو قولنا ولله الحمد وان قالوا لا بل الشك باق فيها ويمكن ان تكون غير شاهدة بانهم محقون قطع بان الانبياء عليهم السلام لم يأتوا ببرهان وان الشك باق فى أمرهم وان حجة الله تعالى لم تقع على الكفار ولا لزمهم قط له تعالى حجة وان الانبياء عليهم السلام انما أتوا بشيء ربما قام فى الظن انه حق وربما لم يقم وهذا كفر مجرد من دان به أو قاله وهكذا نسالهم فى البراهين العقلية على آيات التوحيد وفى الكواف الناقلة اعلام الانبياء عليهم السلام حتى يقروا بالحق بان حجج الله تعالى بكل ما ظهرت وبهرت واضطرت الكفار كلهم الى تصديقها والمعرفة بانها حق او يقولوا انه لم تقم لله حجة على احد ولا تبين قط لاحد تعين صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانما نحن فى الاقرار بذلك على ظن الا انه من الظنون قوى وقد يمكن ان يكون بخلاف ذلك ومن قال بهذا فهو كفر مجرد محض شرك لا خفاء به ونعوذ بالله من الخذلان

﴿قال ابو محمد﴾ ومن انكر ان يكون الكفار وكل مبطل مضطرين الى تصديق كل ما قام به برهان بعد بلوغه اليهم وقال ان ما اضطر المرء الى معرفته فلا سبيل له الى انكاره ارينا كذب قوله فى تكوين الارض والافلاك ومدار الشمس والقمر والنجوم وتناهي مسافة كل ذلك واكثر الناس على انكار هذا ودفعه الحق فى ذلك وكذلك من دان بالقياس والرأى او دليل الخطاب وسمع البراهين في ابطالها فهو مضطر الى معرفة بطلان ما هو عليه مكابر لعقله في ذلك مغالط لنفسه مغالب ليقينه مغلب لظنونه

﴿قال ابو محمد﴾ وعلم الملائكة عليهم السلام وعلم النبيين عليهم السلام بصحة ما جاءتهم به الملائكة واوحى اليهم به واروه فى منامهم علم ضرورى كساير ما ادركوه بحواسهم واوايل عقولهم وكعلمهم بان اربعة اكثر من اثنين وان النار حارة والبقل اخضر وصوت الرعد وحلاوة العسل ونتن الحلتيت وخشونة القنفذ وغير ذلك ولو لم يكن الامر كذلك لكان عند الملائكة والنبيين شكا فى امرهم وهذا كفر ممن اجازه الا ان الملائكة لا علم لهم بشيء الا هكذا ولا ظن لهم اصلا لانهم لا يخطئون ولا ركبوا من طبايع متخالفة كتراكب الانسان فان قال قائل فاذا العلم كله باضطرار والاضطرار فعل الله تعالى فى النفوس فكيف يوجر الانسان او يعذب على فعل الله تعالى فيه قلنا نعم لا شيء فى العالم الا خلق الله تعالى وقد صح البرهان بذلك على ما اوردنا فى كلامنا فى خلق الافعال فى ديواننا والحمد لله رب العالمين وما نقل حافظ نصا ولا برهان عقل بالمنع من ان يعذبنا الله تعالى ويؤجرنا على ما خلق فينا والله تعالى يفعل ما يشاء لا يسأل عما يفعل وهم يسالون

﴿ قال أبو محمد ﴾ وكيف ينكر اهل الغفلة ان يكون قوم يخالفون ماهم الى المعرفة به مضطرون وهم يشاهدون السوفسطائية الذين يبطلون الحقائق جملة وكما يعتقد النصارى وهم أمم لايحصى عددهم الاخالقهم ورازقهم ومضلهم لااله الا هو وفيهم علماء بعلوم كثيرة وملوك لهم التدابير الصائبة والسياسات المعجبة والآراء المحكمة والفطنة فى دقائق الامور وبصر بغوامضها وهم مع ذلك يقولون ان واحدا ثلاثة وثلاثة واحد وان احد الثلاثة اب والثانى ابن والثالث روح وان الاب هو الابن وليس هو الابن والانسان هو الاله وهو غير اله وان المسيح اله تام وانسان تام وهو غيره وان الاول الذى لم يزل هو المحدث الذى لم يكن ولاهو هو

(قال أبو محمد) وليس فى الجنون أكثر من هذا واليعقوبية منهم وهم مئين ألوف يعتقدون ان البارى تعالى عن كفرهم ضرب بالسياط واللطام وصلب ومات وسقي الحنظل وبقي العالم ثلاثة أيام بلا مدبر وكأصحاب الحلول وغالية الرافضة الذين يعتقدون فى رجل جالس معهم كالحلاج وابن أبي العزاقر انه الله والاله عندهم قد يبول ويسلح ويجوع فيأكل ويعطش فيشرب ويمرض فيسوقون اليه الطبيب ويقلع ضرسه اذا ضرب عليه ويتفجر اذا أصابه دمل ويجامع ويحتجم ويفتصد وهو الله الذى لم يزل ولايزال خالق هذا العالم كله ورازقه ومحصيه ومدبره ومدبر الافلاك المميت المحيي العالم بما فى الصدور ويصبرون فى جنب هذا الاعتقاد على السجون والمطابق وضرب السياط وقطع الايدى والارجل والقتل والصلب وهتك الحريم وفيهم قضاه وكتاب وتجار وهم اليوم الوف وكما يدعى طوائف اليهود وطوائف من المسلمين ان ربهم تعالى جسد فى صورة الانسان لحم ودم يمشى ويقعد وكالاشعرية الذين يقولون ان هاهنا احوالا لامخلوقة ولاغير مخلوقة ولامعلومة ولامجهولة ولاحق ولاباطل وان النار ليست حارة والثلج ليس باردا وكما يقول بعض الفقهاء واتباعه ان رجلا واحدا يكون ابن رجلين وابن امرأتين كل واحدة منهما امه وهو ابنها بالولادة

(قال أبو محمد) اترى كل من ذكرنا لاتشهد نفسه وحسه ولايقر عقله بان كل هذا باطل بلى والذى خلقهم ولكن العوارض التى ذكرنا قبل سهلت عليهم هذا الاختلاط وكرهت عليهم الرجوع الى الحق والاذعان له

(قال أبو محمد) وأما العناد فقد شاهدناه من كل رأيناه فى المناظرة فى الدين وفى المعاملات فى الدنيا أكثر من أن يحصى ممن يعلم الحق يقينا ويكابر على خلافه ونعوذ بالله من الخذلان ونسأله الهدى والعصمة

(قال أبو محمد) لا يدرك الحق من طريق البرهان الا من صفى عقله ونفسه من الشواغل التى قدمنا ونظر من الاقوال كلها نظرا واحدا واستوت عنده جميع الاقوال ثم نظر فيها طالبا لما شهدت البراهين الراجعة رجوعا صحيحا غير مموه ضروريا الى مقدمات مأخوذة من اوايل العقل والحواس غير مسامح فى شىء من ذلك فهذا مضمون له بعون الله عز وجل الوقوف على الحقائق والخلاص من ظلمة الجهل وبالله تعالى التوفيق * واما نقله اثنان فصاعدا نوقن انهما لم يجتمعا ولا تساررا فاخبرا بخبر واحد راجع الى ما ادركه بالحواس من أى شىء كان فهو حق بلاشك مقطوع على صحته والنفس مضطرة الى تصديقه وهذا قول احد الكافة واولها اذ لا يمكن البتة اتفاق اثنين فى توليد حديث واحد لايختلفان فيه عن غير تواطؤ واما اذا تواطأت الجماعة العظيمة فقد تجتمع على الكذب وقد شاهدنا جماعات يشكرون ولاتهم وهم كاذبون الا ان هذا لايمكن ان يتفقوا على ظنه ابدا ومن انكر ما تنقله الكافة لزمه ان لايصدق انه كان فى الدنيا احد قبله لانه لايعرف كون الناس الا بالخبر

﴿ قال ابو محمد ﴾ وقد يضطر خبر الواحد في بعض الاوقات الى التصديق يعرف ذلك من تدبر امور نفسه كمنذر بموت انسان لدفنه وكرسالة من عند السلطان ياتي بها بريد وككتاب وارد من صديق بديهة وكمخبر يخبرك ان هذا دار فلان وكمنذر بعرس عند فلان وكرسول من عند القاضي والحاكم وسائر ذلك من أخبار بان هذا فلان بن فلان ومثل هذا كثير جدا وهذا لا ينضبط باكثر مما يسمع ومن راعى هذا المعنى لم يمض له يوم واحد قطعا حتى يشاهد في منزله وخارج منزله من خبر واحد مايضطر الى تصديقه ولا بد كثيرا جدا وأما في الشريعة فخبر الواحد الثقة موجب للعلم وبرهان شرعي قد ذكرناه في كتابنا الاحكام لاصول الاحكام وقد ادعى المخالفون ان مااتفقت عليه أمتنا بارائها فهي معصومة بخلاف سائر الامم ولا برهان على هذا وقال النظام ان خبر التواتر لا يضطر لان كل واحد منهم يجوز عليه الغلط والكذب وكذلك يجوز على جميعهم ومن المحال ان يجتمع ممن يجوز عليه الكذب وممن يجوز عليه الكذب من لا يجوز عليه الكذب ونظر ذلك باعمى وأعمى واعمى فلا يجوز ان يجتمع مبصرون

﴿ قال أبو محمد ﴾ وهذا تنظير فاسد لان الاعمى ليس فيه شيء من صحة البصر وليس كذلك المخبرون لان كل واحد منهم كما يجوز عليه الكذب كذلك يجوز عليه الصدق ويقع منه وقد علم بضرورة العقل ان اثنين فصاعدا اذا فرق بينهما لم يمكن البتة منهما ان يتفقا على توليد خبر كاذب يتفقان في لفظه ومعناه فصح انهما اذا اخبرا بخبر فاتفقا فيه انهما اخبرا عن علم صحيح موجود عندهما ومن انكر هذا لزمه ان لا يصدق بشيء من البلاد الغائبة عنه ولا بالملوك السالفين ولا بالانبياء وهذا خروج الى الجنون بلا شك او الى المكابرة في الحس وبالله تعالى التوفيق فان قال قائل كيف اجزتم ههنا اطلاق اسم الضرورة والاضطرار ومنعتم من ذلك في افعال الفاعلين عند ذكركم الاستطاعة وخلق الله تعالى افعال العباد وكل ذلك عندكم خلق الله تعالى في عباده قلنا ان الفرق بين الامرين في ذلك لائح وهو ان الفاعل متوهم منه ترك فعله لو اختار تركه وممكن منه ذلك وليس ممكنا منه اعتقاد خلاف مايتيقنه بان يرفع عن نفسه تحقيق ماعرف انه احق فهكذا او قعناها هنا اسم الاضطرار ومنعنا منه هنالك وبالله تعالى نتأيد

﴿ الكلام على من قال بتكافؤ الادلة ﴾

﴿ قال أبو محمد ﴾ ذهب قوم الى القول بتكافؤ الادلة ومعنى هذا انه لا يمكن نصر مذهب على مذهب ولا تغليب مقالة على مقالة حتى يلوح الحق من الباطل ظاهر بينا لا اشكال فيه بل دلائل كل مقالة فهي مكافئة لدلائل سائر المقالات وقالوا كلما ثبت بالجدل فانه بالجدل ينقض وانقسم هؤلاء الى أقسام ثلاثة فيما أنتجه لهم هذا الاصل فطائفة قالت بتكافؤ الادلة جملة في كل مااختلف فيه فلم تحقق البارى تعالى ولا أبطلته ولا أثبتت النبوة ولا أبطلتها وهكذا في جميع الأديان والاهواء لم تثبت شيئا من ذلك ولا ابطلته الا انهم قالوا انا نوقن ان الحق في احد هذه الاقوال بلا شك الا انه غير بين الى احد البتة ولا ظاهر ولا متميز اصلا

﴿ قال ابو محمد ﴾ وكان اسمعيل بن يونس الاعور الطبيب اليهودى تدل اقواله ومناظراته دلالة صحيحة على انه كان يذهب الى هذا القول لاجتهاده في نصر هذه المقالة وان كان غير مصرح بانه يعتقدها وقالت طائفة اخرى بتكافؤ الادلة فيما دون البارى تعالى فاثبتت الخالق تعالى وقطعت بانه حق خالق لكل مادونه بيقين لاشك فيه ثم لم تحقق النبوة ولا ابطلتها ولا حققت دين ملة ولا ابطلته لكن قالت ان في هذه الاقوال قولا صحيحا بلا شك الا

انه غير ظاهر الى أحد ولا بين ولا كلفه الله تعالى أحدا وكان اسمعيل بن القراد الطبيب اليهودى يذهب الى هذا القول يقينا وقد ناظرنا عليه مصرحا به وكان يقول اذا دعوناه الى الاسلام وحسمنا شكوكه ونقضنا علله الانتقال فى الملل تلاعب

﴿قال أبو محمد﴾ وقد ذكر لنا عن قوم من أهل النظر والرياسة فى العلم هذا القول الا اننا لم يثبت ذلك عندنا عنهم • وطائفة قالت بتكافؤ الادلة فيما دون البارى عز وجل ودون النبوة فقطعت ان الله عز وجل حق وانه خالق الخلق وان النبوة حق وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم حقا ثم لم يغلب قولا من من اقوال اهل القبلة على قول بل قالوا ان فيها قولا هو الحق بلا شك الا انه غير بين الى أحد ولا ظاهر وأما الاقوال التى صاروا اليها فيما يثبتوا عليها منها فطائفة لزمت الحيرة وقالت لاندرى مانعتقد ولا يمكننا أخذ مقالة لم يصح عندنا دون غيرها هذا الظن لانه هذا مكابرين لعقولنا لكنا لا ننكر شيئا من ذلك ولا نثبته وجمهور هذه الطائفة مالت الى اللذات وأمراح النفوس فى الشهوات كيف مامالت اليه بطبايعها وطائفة قالت على المرء فرض لما يوجب العقل الا يكون سدا بل يلزمه ولابد ان يكون له دين يزدجر به عن الظلم والقبائح وقالوا من لادين له فهو غير مامور فى هذا العالم على الافساد وقتل النفوس غيلة وجهرا وأخذ الاموال خيانة وغصبا والتعدى على الفروج تحيلا وعلانية وفى هذا هلاك العالم باسره وفساد البنية وانحلال النظام وبطلان العلوم والفضايل كلها التى تقتضى العلوم بلزومها وهذا هو الفساد الذى توجب العقول التحرز منه واجتنابه قالوا فمن لادين له فواجب على كل من قدر على قتله أن يسارع الى قتله واراحة العالم منه وتعجيل استكفاف ضره لانه كالافعى والعقرب أو أضر منهما ثم انقسم هؤلاء قسمين فطائفة قالت فاذا الامر كذلك فوجب على الانسان لزوم الدين الذى نشا عليه أو ولد عليه لانه هو الدين الذى تخيره الله له فى مبدأ خلقه ومبدأ نشأته بيقين وهو الذى أثبته الله عليه فلا يحل له الخروج عما رتبه الله تعالى فيه وابتداه عليه أى دين كان وهذا كان قول اسماعيل بن القداد وكان يقول من خرج من دين الى دين فهو وقاح متلاعب بالاديان عاص لله عز وجل المتعبد له بذلك الدين وكان يقول بالمسالة المكانية ومعنى ذلك الا يبقى أحد دون دين يعتقده على ماذكرنا آنفا وقالت طائفة لاعذر للمرء فى لزوم دين أبيه وجده أو سيده وجاره ولا حجة فيه لكن الواجب على كل أحد أن يلزم ما اجتمعت الديانات باسرها والعقول بكليتها على صحته وتفضيله فلا يقتل أحدا ولا يزنى ولا يلوط ولا يبغ به ولا يسع فى افساد حرمة أحد ولا يسرق ولا يغصب ولا يظلم ولا يجور ولا يخن ولا يغش ولا يغتب ولا ينم ولا يسفه ولا يضرب أحدا ولا يستطيل عليه ولكن يرحم الناس ويتصدق ويؤدى الامانة ويؤمن الناس شره ويعين المظلوم ويمنع منه فهذا هو الحق بلا شك لانه المتفق عليه من الديانات كلها ويتوقف عما اختلفوا فيه ليس علينا غير هذا لانه لم يلح لنا الحق فى شيء منه دون غيره

﴿قال أبو محمد﴾ فهذه أصولهم ومعاقدهم وأما احتجاجهم فى ذلك فهو انهم قالوا وجدنا الديانات والاراء والمقالات كل طائفة تدعى انها انما اعتقدت ما اعتقدته عن الاوايل وبراهين باهرة وكل طائفة منها تناظر الاخرى فتنتصف منها وربما غلبت هذه فى مجلس ثم غلبتها الاخرى فى مجلس آخر على حسب قوة نظر المناظر وقدرته على البيان والتحيل والتشعب لهم فى ذلك كالمتحاربين يكون الظفر سجالا بينهم قالوا فصح انه ليس ههنا قول ظاهر الغلبة ولو كان لما أشكل على احد ولم يختلف الناس فى ذلك كما لم يختلفوا فيما ادركوه بحواسهم وبداية عقولهم وكما لم يختلفوا فى الحساب وفى كل شىء عليه برهان لايح قالوا ومن المحال أن يبدو الحق الى الناس

فعاندوه بلا معنى ويرضوا بالهلاك فى الدنيا والاخرة بلا سبب قالوا فلما بطل هذا صح ان كل طائفة انما تتبع اماما نشات عليه واماما يخيل لاحدهم انه الحق دون تثبيت ولا يقين قالوا وهذا مشاهد من أهل كل ملة وان كان فيها ما لاشك فى سخافته وبطلانه وقالوا أيضا انا نرى الجماعة الكثيرة قد طلبوا علم الفلسفة وتبحروا ووسموا أنفسهم بالوقوف على الحقائق وبالخروج عن جملة العامة وبانهم قد أشرفوا على على التصحيح بالبراهين وميزوه من الشغب والاقناع ونجد آخرين قد تمهروا في علم الكلام وافنوا فيه دهرهم ورسخوا فيه وفخروا بانهم تدوقفوا على الدلايل الصحاح وميزوها من الفاسدة وانهم قد لاح لهم الفرق بين الحق والباطل الحجج الانصاف ثم نجدهم كلهم يعني جميع هاتين الطائفتين فلسفيهم وكلاميهم فى فى أديانهم التى يقرون انها نجاتهم او هلكتهم مختلفين كاختلاف العامة واهل الجهل بل أشد اختلافا فمن يهودى يموت على يهوديته ونصرانى يتهالك على نصرانيته وتثليثه ومجوسى يستميت على مجوسيته ومسلم يستقتل فى اسلامه ومانى يستهلك فى مانويته ودهرى ينقطع فى دهريته قد استوى العامى المقلد من كل طائفة في ذلك مع المتكلم الماهر المستدل بزعمه ثم نجد أهل هذه الاديان فى فرقهم أيضا كذلك سواء فان كان يهوديا فاما ربانى يتقد غيظا على سائر فرق دينه وأما صائبى يلعن سائر فرق دينه وأما عيسوى يسخر من سائر فرق دينه وأما سامرى يبرأ من سائر فرق دينه وان كان نصرانيا فاما ملكى يتهالك غيظا على سائر فرق دينه وأما نسطورى يتقد اسفا على سائر فرق دينه وأما يعقوبي يسخط على سائر فرق دينه وان كان مسلما فاما خارجى يستحل دماء سائر اهل ملته وأما معتزلى يكفر سائر فرق ملته وأما شيعى لا يتولى سائر فرق ملته وأما مرجئى لا يرضى عن سائر فرق ملته وأما سنى ينافر فرق ملته قد استوى فى ذلك العامى والمقلد الجاهل والمتكلم بزعمه المستدل وكل امرىء من متكلمى الفرق التى ذكرنا يدعى انه انما أخذ ما أخذ وترك ما ترك ببرهان واضح ثم هكذا نجدهم حتى فى الفتيا اما حنيفى يجادل عن حنيفيته واما مالكى يقاتل عن مالكيته واما شافعى يناضل عن شافعيته واما حنبلى يضارب عن حنبليته واما ظاهرى يحارب ظاهريته واما متخير مستدل فهنالك جاء التجاذب حتى لا يتفق اثنان منهم على مائة مسالة الا فى الندرة وكل امرىء ممن ذكرنا يزرى على الاخرين وكلهم يدعى انه أشرف على الحقيقة وهكذا القائلون بالدهر أيضا متباينون متنابذون مختلفون فيما بينهم فمن موجب ان العالم لم يزل وان له فاعلا لم يزل ومن موجب أزلية الفاعل واشياء أخر معه وان سائر العالم محدوث ومن موجب أزلية الفاعل وحدوث العالم ومبطل للنبوات كلها كما اختلف سائر أهل النحل اولا فرق قالوا فصح ان جميعهم اما متبع للذى نشا عليه والنحلة التى تربي عليها واما متبع لهواه قد تخيل له انه الحق فهم على ما ذكرنا دون تحقيق قالوا فلو كان للبرهان حقيقة لما اختلفوا فيه هذا الاختلاف ولبان على طول الايام وكرور الزمان ومرور الدهور وتداول الاجيال له وشدة البحث وكثرة ملاقاة الخصوم ومناظراتهم وافنائهم الاوقات وتسويدهم القراطيس واستنفاذ وسعهم وجهدهم أين الحق فيرتفع الاشكال بل الامر واقف بحسبه أم تزيد فى الاختلاف وحدوث التجاذب والفرق قالوا وأيضا فانا نرى المرء الفهم العالم النبيل المتيقن في علوم الفلسفة والكلام والحجاج المستنفد اعمره فى طلب الحقائق المؤثر للبحث عن البرهان على كل ما سواه من لذة أو مال أو جاه المستفرغ لقوته في ذلك النافر عن التقليد يعتقد مقالة ما ويناظر عنها ويحاجج دونها ويدافع امامها ويعادى من خالفها مجدا فى ذلك موقنا بصوابه وخطا من خالفه منافرا له مضللا أو مكفرا فيبقى كذلك الدهر الطويل

والاعوام الجمة ثم انه تبدوله بادية عنها فيرجع أشد ما كان عداوة لما كان ينصر ولاهل تلك المقالة التى كان يدين بصحتها وينصرف يقاتل فى ابطالها ويناظر فى افسادها ويعتقد من ضلالها وضلال أهلها الذى كان يعتقد من صحتها ويعجب الآن من نفسه أمس وربما عاد الى ما كان عليه أو خرج الى قول ثالث قالوا فدل هذا على فساد الادلة وعلى تكافؤها جملة وان كل دليل فهو هادم الآخر كلاهما يهدم صاحبه وقالوا أيضا لايخلو من حقق شيئا من هذه الديانات او المقالات من ان يكون صح له أو لم يصح له ولا سبيل الى قسم ثالث قالوا فان كان لم يصح له باكثر من دعواه أو من تقليده مدعيا فليس هو أولى من غيره بالصواب وان كان صح له فلا يخلو من ان يكون صح له بالحواس أو بعضها أو بضرورة العقل وبديهته أو صح له بدليل ماغير هذين ولاسبيل الى قسم رابع فان كان صح له بالحواس أو بعضها أو بضرورة العقل وبديهته فيجب ان لايختلف فى ذلك أحد كما لم يختلفوا فيما أدرك بالحواس وبديهة العقل من أن ثلثه أكثر من اثنين وانه لايكون المرء قاعدا قائما معا بالعقل فلم يبق الاان يقولوا انه صح لنا بدليل غير الحواس فنسألهم عن ذلك الدليل بماذا صح عندكم بالدعوى فلستم باولى من غيركم فى دعواه أم بالحواس وبديهة العقل فكيف خولفتم فيه هذا ولايختلف فى مدركاته أحد ام بدليل غير ذلك وهكذا ابدا الى مالا نهاية له قالوا وهذا مالا مخلص لهم منه قالوا ونسألهم ايضا عن علمهم بصحة ماهم عليه ايعلمون انهم يعلمون ذلك املا فان قالوا لانعلم ذلك أحالوا وسقط قولهم وكفونا مؤونتهم لانهم يقرون انهم لايعلمون انهم يعلمون ماعلموا وهذا هوس وافساد لما يعتقدونه وان قالوا بل نعلم ذلك سألناهم أبعلم علموا ذلك ام بغير علم وهكذا ابدا وهذا يقتضي ان يكون للعلم علم ولعلم العلم علم الى مالانهاية له وهذا عندهم محال

﴿قال أبو محمد﴾ هذا كل ماموهوا به ماعلم لهم شغبا غير ماذكرنا ولهم متعلق سواه اصلا بل قد زدناهم فيما رأينا لهم وتقصيناه لهم بغاية الجهد كما فعلنا باهل كل مقالة

﴿قال أبو محمد﴾ وكل هذا الذى موهوا به منحل بيقين ومنتقض بابين برهان بلا كثير كلفة ولم نجد احدا من المتكلمين السالفين اورد بابا خالصا فى النقض على هذه المقالة ونحن ان شاء الله تعالى ننقض كل ماموهوابه بالبراهين الواضحة وبالله تعالى التوفيق وذلك بعد ان نبين فساد معاقد هذه الطوائف المذكورة ان شاء الله عز وجل

﴿قال أبو محمد﴾ فنقول وبالله تعالى نتايد اما الطائفة المتحيرة فقد شهدت على انفسها بالجهل وكفت خصومها مؤنتها في ذلك وليس جهل من جهل حجة على علم من علم ولا من لم يتبين له الشيء عيارا على من تبين له بل من علم فهو الحجة على من جهل هذا هو الذى لايشك احد فيه فى جميع العلوم والصناعات وكل معلوم يعلمه قوم ويجهله قوم ولا احمق ممن يقول لما جهلت انا امر كذا ولم اعرفه علمت ان كل احد جاهل به كجهلى وهذه صفة هؤلاء القوم نفسها ولو ساغ هذا لاحد لبطلت الحقائق وجميع المعارف وجميع الصناعات اذ لكل شيء منها من يجهله من الناس نعم ومن لايتجحج فيه ولايفهمه وان طلبه هذا امر مشاهد بالحواس فهم قد اقروا بالجهل وندعى نحن العلم بحقيقة مااعترفوا بجهلهم به فالواجب عليهم ان ينظروا فى براهين المدعين للمعرفة بما جهلوه نظرا صحيحا متقصى بغير هوى فلا بد يقينا من ان يلوح حقيقة قول المحق وبطلان قول المبطل فتزول عنهم الحيرة والجهل حينئذ فسقطت هذه المقالة بيقين والحمد لله رب العالمين * واما من قطع بان ليس ها هنا مذهب صحيح اصلا فان قوله ظاهر الفساد بيقين لاشكال فيه لانهم اثبتوا حقيقة وجود العالم بما فيه وحقيقة

مايدرك

ما يدرك بالحواس وباول العقل وبديهته ثم لم يصححوا حدوثه ولا أزليته ولا ابطلوا حدوثه وازليته معا ولم يصححوا ان له خالقا ولا انه لا خالق له وأبطلوا كلا الامرين وأبطلوا النبوة وابطلوا ابطالها فقد خرجوا يقينا الى المحال والى اقبح قول السوفسطائية وفارقوا بديهة العقل وضرورته التى قد حققوها وصدقوا موجبها اذ لا خلاف بين أحد له مسكة عقل فى ان كل مالم يكن حقا فهو باطل ومالم يكن باطلا فانه حق وان اثنين قال أحدهما فى قضية واحدة فى حكم واحد قال نعم والآخر لا فاحدهما صادق بلا شك والآخر كاذب بلا شك هذا يعلم بضرورة العقل وبديهته واما قول قائل هذا حق باطل معا من وجه واحد فى وقت واحد وقول من قال لا حق ولا باطل فهو بين باطل معلوم بضرورة العقل وبديهته فواجب باقرارهم ان من قال ان العالم لم يزل وقال الآخر هو محدث ان احدهما صادق بلا شك وكذلك من أثبت النبوة ومن نفاها فظهر بيقين وضرورة العقل يقينا فساد هذه المقالة الا ان يبطلوا الحقائق ويلحقوا بالسوفسطائية فيكلمون حينئذ بما تكلم به السوفسطائية مما ذكرناه من قبل وبالله تعالى التوفيق وأما من مال الى اللذات جملة فانه ان كان من احدى هاتين الطائفتين فقد بطل عقده وصح يقينا انه علي ضلال وخطا وباطل وفساد فى اصل معتقده الذى أداه الى الانهماك واذا بطل شيء بيقين قد بطل ما تولد منه وان مال الى احد الاقوال الاخر فكلها مبطل للزوم اللذات والانهماك فصح ضرورة بطلان هذه الطريقة وان صار الى تحقيق الدهرية كلم بما تكلم به الدهرية مما قد أوضحناه والحمد لله واما من قال بالزام المرء دين سلفه والدين الذى نشأ عليه فخطا لا خفاء به لاننا نقول لمن قال بوجوب ذلك ولزومه اخبرنا من أوجبه ومن ألزمه فالايجاب والالزام يقتضى فاعلا ضرورة ولابد منها فمن الزم ما ذكرتم من ان يلزم المرء دين سلفه أو الدين الذى نشا عليه الله ألزم ذلك جميع عباده أم غير الله تعالى أوجب ذلك اما انسان واما عقل واما دليل فان قال بل ما ألزم ذلك الا من دون الله تعالى قيل له ان من دون الله تعالى متعدى مخالف مرفوض لا حق له ولا طاعة الا من اوجب الله عز وجل له فيلزم طاعته لان الله اوجبها لا لانها واجبة بذاتها وليس من أوجب شيئا دون الله تعالى باولى من آخر ابطل ما اوجب هذا وأوجب بطلانه وفى هذا كفاية لمن عقل ولا ينقاد للزوم من دون الله تعالى الا جاهل مغرور كالبهيمة تقاد فتنقاد ولافرق وان قال ان العقل الزم ذلك قيل له انك تدعى الباطل على العقل اذا دعيت عليه ماليس فى بنيته لان العقل لايوجب شيئا وانما العقل قوة تميز النفس بها الاشياء على ماهى عليه فقط ويعرف ماصح وجوبه مما اوجبه من تلزم طاعته مما لم يصح وجوبه مما لم يوجبه من يجب عليه طاعته ليس فى العقل المراد به المتميز شيء غير هذا أصلا وايضا فان قائل هذا مجاهر بالباطل لانه لا يخلو ان يكون يزعم أن العقل اوجب ذلك ببديهته أو ببرهان راجع الى البديهة من قرب أو من بعد فان ادعى ان العقل يوجب ذلك ببديهته كابر الحس ولم ينتفع بهذا ايضا لانه لا يعجز عن التوقح بمثل هذه الدعوى احد في اى شيء شاء وان ادعى انه اوجب ذلك برهان راجع الى العقل كلف المجيء به ولا سبيل اليه ابدا فان قال ان الله عز وجل اوجب ذلك سئل الدليل على صحة هذه الدعوى التى اضافها الى البارى عز وجل وهذا ما لا سبيل اليه لان ما عند الله عز وجل من الزام لا يعرف البتة الا بوحى من عنده تعالى الى رسول من خلقه يشهد له تعالى بالمعجزات واما بما يضعه الله عز وجل فى المعقول وليس في شيء من هذين دليل على صحة دعوى هذا المدعي واما احتجاجه بانه هو الدين الذي اختاره الله عز وجل لكل أحد وانشاه عليه فلا حجه له فى هذا لاننا لم نخالفه فى ان هذا درب على هذا الدين

وخلقه الله عز وجل ثم من دربه عليه بل نقر بهذا كما نقر بان الله خلقه فى مكان ما فى صناعة ما وعلى معاش ما وعلى خلق ما وليس فى ذلك دليل عند احد من العالم على انه لا يجوز له فراق ذلك الخلق الى ما هو خير منه ولا على انه لزمه لزوم المكان الذى خلق فيه والصناعة التى نشا عليه والقوت الذى كبر عليه بل لا يختلف اثنان في ان له مفارقة ذلك المكان وتلك الصناعة وذلك المعاش الى غيره وان فرضا عليه الزوال عن كل ذلك اذ كان مذموما الى المحمود من كل ذلك وأيضا فان جميع الاديان التى أوجبها كلها هذا القائل وحقق جميعها فكل دين منها فيه انكار غيره منها واهل كل دين منها تكفر سائر اهل تلك الاديان وكلهم يكذب بعضهم بعضا وفي كل دين منها تحريم التزام غيره على كل احد فلو كان كل دين منها الزاما ان يعتقده من نشاء عليه لكان كل دين منها حقا واذا كان كل دين منها حقا منها يبطل سائرها وكل ما ابطله الحق فهو باطل بلا شك فكل دين منها باطل بلا شك فوجب ضرورة على قول هذا القائل ان جميع الاديان باطل وان جميعها حق فجميعها حق باطل معا فبطل هذا القول بيقين لاشك فيه والحمد لله رب العالمين واما من قال اني الزم فعل الخير الذي اتفقت الديانات والعقول على انه فضل واجتنب ما اتفقت الديانات والعقول علي أنه قبيح فقول فاسد مموه مضمحل أول ذلك انه كذب ولا اتفقت الديانات ولا العقول علي شيء من ذلك بل جميع الديانات الا الاقل منها مجموعون علي قتل من خالفهم واخذ اموالهم وكل دين منها لا يحاشى دينا قاتل باحكام هى عند سائرها ظلم وأما المنانية فانها وان لم تقل بالقتل فانها تقول بترك النكاح الذي هو مباح عند سائر الديانات ويقولون باباحة اللياطة والسحق وسائر الديانات محرمة لذلك فما اتفقت الديانات علي شيء أصلا ولا علي التوحيد ولا علي ابطاله لكن اتفقت الديانات على تخطئته وتكفيره والبراءة منه اذا لم يعتقد دينا فبيناه بطلب موافقة جميع الديانات حصل علي مخالفة جميعها وهكذا فليكن السعى المضلل وكذلك طبائع جميع الناس مؤثرة للذات كارهة لما يلتزمه أهل الشرائع والفلاسفة فبطل تعلقهم بشيء مجمع عليه ولم يحصل الا على طمع خائب مخالفا لجميع الديانات غير متعلق بدليل لا عقلي ولا سمعي وقد قدمنا أن العقول لا توجب شيئا ولا تقبحه ولا تحسنه وبرهان ذلك أن جميع أهل العقول الا يسيرا فانهم أصحاب شرائع وقد جاءت الشرائع بالقتل وأخذ المال وضرب الانسان وذبح الحيوان فما قال قط أصحاب العقول أنها جاءت بخلاف ما فى العقول ولا ادعى ذلك الا أقل الناس ومن ليس عقله عياراً علي عقل غيره ولو كان ذلك واجبا فى العقول لوجده سائر أهل العقول كما قالوا هم سواء سواء فصح ان دعواهم علي العقول كاذبة فى باب التقبيح والتحسين جملة وهذا اكسر عام انفس أقوالهم والحمد لله رب العالمين * ثم نذكر ان شاء الله تعالى البراهين علي ابطال حججهم الشغبية المموه بها وبالله تعالى نتأيد

﴿ قال ابو محمد ﴾ أما احتجاجهم بان قالوا وجدنا أهل الديانات والآراء والمقالات كل طائفة تناظر الاخرى فتنتصف منها وربما غلبت هذه فى مجلس ثم غلبتها الاخرى فى مجلس آخر على حسب قوة المناظر وقدرته على البيان والتحيل والشغب فهم في ذلك كالمتحاربين يكون الظفر سجالا بينهم فصح أنه ليس ههنا قول ظاهر الغلبة ولو كان ذلك لما أشكل على أحد ولا اختلاف الناس فيه كما لم يختلفوا فيما أدركوا بحواسهم وبداية عقولهم وكما لم يختلفوا فى الحساب وفى كل شيء عليه برهان لائح واللائح الحق على مرور الزمان وكثرة البحث وطول المناظرات قالوا ومن المحال أن يبدو الحق الى الناس ظاهرا فيعاندوه بلا معنى ويرضوا بالهلاك فى الدنيا والآخرة بلا سبب قالوا فلما بطل هذا صح ان كل طائفة تتبع أما

مانشات عليه وأما مايخيل لاحدهم انه الحق دون تثبت ولا يقين قالوا وهذا مشاهد من كل ملة ونحلة وان كان فيها مالا يشك فى بطلانه وسخافته

(قال أبو محمد) هذه جمل نحن نبين كل عقدة منها ونوفيها حقا من البيان بتصحيح أو افساد بما لايخفى على أحد صحته وبالله تعالى التوفيق أما قولهم ان كل طائفة من أهل الديانات والاراء يناظر فيتصف وربما غلبت هذه فى مجلس ثم غلبتها الاخرى فى مجلس آخر على قدر قوة المناظر وقدرته على البيان والتحيل والشغب والتمويه فقول صحيح الا أنه لاحجة لهم فيه على ما دعوه من تكافؤ الادلة أصلا لان غلبة الوقت ليست حجة ولا يقنع بها عالم محقق وان كانت له ولا يلتفت اليها وان كانت عليه وانما يحتج بها ويغضب منها أهل المحرفة والجهال وأهل الصياح والتهويل والتشنيع القانعون بان يقال غلب فلان فلانا وان فلانا لنظار جدال ولا يبالون بتحقيق حقيقة ولا بابطال باطل فصح ان تغالب المتناظرين لا معنى له ولا يجب أن يعتد به لاسيما تجادل اهل زماننا الذين أمالهم نوب معدودة لا يتجاوزونها بكلمة واما ان يغلب الصليب الرأس بكثرة الصياح والتوقح والتشنيع والجعات واما كثير الهدر قوى على أن يملأ المجلس كلاما لا يتحصل منه معنى وأما الذى يعتقده أهل التحقيق الطالبون معرفة الامور على ماهى عليه فهو أن يبحثوا فيما يطلبون معرفته على كل حجة احتج بها أهل فرقة في ذلك الباب فاذا نقضوها ولم يبقوا منها شيئا تاملوها كل حجة حجة فميزوا الشغبي منها والاقناعى فاطرحوها وفتشوا البرهاني على حسب المقدمات التى بيناها فى كتابنا الموسوم بالتقريب في مائية البرهان وتمييزه مما يظن أنه برهان وليس ببرهان وفي كتابنا هذا وفى كتابنا الموسوم بالاحكام في أصول الاحكام فان من سلك تلك الطريق التى ذكرنا وميز فى المبداء ما يعرف باول التمييز والحواس ثم ميز ماهو البرهان مما ليس برهانا ثم لم يقبل الاما كان برهانا راجعا رجوعا صحيحا ضروريا الى ما أدرك بالحواس أو ببديهة التمييز وضرورة فى كل مطلوب يطلبه فان سارع الحق يلوح له واضحا ممتازا من كل باطل دون أشكال والحمد لله رب العالمين وأما من لم يفعل ماذكرنا ولم يكن وكده الا نصر المسالة الحاضرة فقط أو نصر مذهب قد ألفه قبل ان يقوده الى اعتقاده برهان فلم يجعل غرضه الا طلب أدلة ذلك المذهب فقط فبعيد عن معرفة الحق عن الباطل ومثل هؤلاء غروا هؤلاء المخاذيل فظنوا ان كل بحث ونظر مجراها هذا المجرى الذى عهدوه ممن ذكرنا فضلوا ضلالا بعيداً وأما قولهم فصح أنه ليس هاهنا قول ظاهر الغلبة ولو كان ذلك لما أشكل على أحد ولما اختلف الناس فيه كما لم يختلفوا فيما ادركوه بحواسهم وبداية عقولهم وكما لم يختلفوا فى الحساب وفى كل ما عليه برهان لايح فقول أيضا مموه لانه كله دعوى فاسدة بلا دليل وقد قلنا قبل فى ابطال هذه الاقوال كلها بالبرهان بما فيه كفاية وهذا لايمكن فيه تفصيل كل برهان على كل مطلوب لكن نقول جملة ان من عرف البرهان وميزه وطلب الحقيقة غير مايل بهوى ولا ألف ولا نفار ولا كسل فمضمون له تمييز الحق وهذا كمن سأل عن البرهان على أشكال اقليدس فانه لا اشكال فى جوابه عن جميعها بقول مجمل لكن يقال له سل عن شكل شكل تخبر ببرهانه أو كمن سال عن النحو وأراد ان يوقف على قوانينه جملة فان هذا لايمكن باكثر من أن يقال له هو بيان حركات وحروف يتوصل باختلافها الى معرفة مراد المخاطب باللغة العربية ثم لايمكن توقيفه على حقيقة ذلك ولا الى اثباته جملة الابالاخذ معه فى مسالة مسالة وهكذا فى هذا المكان الذى نحن فيه لايمكن ان نبين جميع البرهان على كل مختلف فيه باكثر من أن يقال له سل عن مسالة مسالة نبين لك برهانها بحول الله تعالى وقوته ثم نقول

لن قال من هؤلاء ان ههنا قولا صحيحا واحدا لا شك فيه اخبرنا من اين عرفت ذلك ولعل الامر كما يقول من قال ان جميع الاقوال كلها حق فان قال لا لانها لو كانت حقا لكان محالا ممتنعا لان فيها اثبات الشيء وابطاله معا ولو كان جميعها باطلا لكان كذلك أيضا سواء سواء وهو محال ممتنع لان فيه أيضا اثبات الشيء وابطاله معا واذا ثبت اثبات الشيء بطل ابطاله بلا شك واذا بطل اثباته ثبت ابطاله بلا شك فاذ قد بطل هذان القولان بيقين لم يبق بلا شك الا أن فيه حقا بعينه وباطلا بعينه قلنا له صدقت واذ الامر كما قلت فان هذا العقل الذى عرفت به فى تلك الاقوال قولا صحيحا بلا شك به تميز ذلك القول الصحيح بعينه مما ليس بصحيح لان الصحيح من الاقوال يشهد له العقل والحواس ببراهين ترده الى العقل والى الحواس ردا صحيحا وأما الباطل فينقطع ويقف قبل أن يبلغ الى العقل والى الحواس وهذا بين والحمد لله رب العالمين * واما من ابطل ان يكون فى الاقوال كلها قول صحيح فقد اخبرنا انه مبطل للحقائق كلها متناقض لانه يبطل الحق والباطل معا وبالله تعالى التوفيق أما قولهم لو كان ههنا قول صحيح لما أشكل على أحد ولا اختلف فيه كما لم يختلفوا فيما أدركوه بحواسهم ولا في الحساب فان هذا قول فاسد لان اشكال الشيء على من أشكل عليه انما معناه انه جهل حقيقة ذلك الشيء فقط وليس جهل من جهل حجة على من علم برهان هذا انه ليس فى العالم شيء الا ويجهله بعض الناس كالمجانين والاطفال ومن غمرة الجهال والبلدة ثم يتزيد الناس في الفهم فيفهم طائفة شيئا لا تفهمه المجانين وتفهم اخرى ما لا تفهمه هؤلاء وهكذا الى أرفع مراتب العلم فكلما اختلف فيه فقد وقف على الحقيقة فيه من فهمه وان كان خفي على غيره هذا أمر مشاهد محسوس فى جميع العلوم وآفة ذلك ما قد ذكرنا قبل وهو اما قصور الفهم والبلادة واما كسل عن تقصى البرهان وأما لالف او نفار تعدا بصاحبهما عن الغاية المطلوبة أو تعديها وهذه دواعى الاختلاف فى كل ما اختلف فيه فاذا ارتفعت الموانع لاح البرهان بيقين فبطل ما شغبوا به والحمد لله رب العالمين * وأما قولهم كما لم يختلفوا فيما أدركوه بحواسهم وفي الحساب وفيما أدركوه ببداية عقولهم فقول غير مطرد والسبب فى انقطاع اطراده هو انه ليس فى أكثر ما يدرك بالحواس وبداية العقول شيء يدعو الى التنازع ولا الى تقليديتها لك فى نصره او ابطاله وكذلك فى الحساب حتى اذا صرنا الى ما فيه تقليد مما يدرك بالحواس أو باوائل التمييز وجد فيه من التنازع والمكابرة والمدافعة وجحد الضرورات كالذى يوجد فيما سواه كمكابرة النصارى واستهلاكهم فى ان المسيح له طبيعتان ناسوتية ولاهوتية ثم منهم من يقول ان تلك الطبيعتين صارتا شيئا واحدا وصار اللاهوت ناسوتا تاما محدثا مخلوقا وصار الناسوت الها تاما خالقا غير مخلوق ومنهم من يقول امتزجا كامتزاج العرض بالجوهر ومنهم من يقول امتزجا كامتزاج البطانة والظهارة وهذا حمق ومحال يدرك فساده باول العقل وضرورته وكما تهالكت المنانية على ان الفلك فى كل أفق من العالم لا يدور الا كما يدور الرحى وهذا أمر يشاهد كذبه بالعيان وكما تهالكت اليهود على ان النيل الذى يحيط بارض مصر وزويلة ومعادن الذهب وان الفرات المحيط بارض الموصل يخرجهما جميعا من عين واحدة من المشرق وهذا كذب يدرك بالحواس وكما تهالكت المجوس على ان الولادة من انسان وان مدينة واقفة من بنيان بعض ملوكهم بين السماء والارض وكتهالك جميع العامة على ان السماء مستوية كالصحيفة لا مقبية مكورة وان الارض كذلك أيضا وان الشمس تطلع على جميع الناس في جميع الارض فى ساعة واحدة وتغرب عنهم كذلك وهذا معلوم كذبه بالعيان وكتهالك الاشعرية وغيرهم ممن يدعى العلم والتوفيق فيه ان النار لا حر فيها وان الثلج لا برد فيه وان

الزجاج والحصا لها طعم ورائحة وان الخمر لا يسكر وان ههنا أحوالا لا معدومة ولا موجودة ولا هى حق ولا هى باطل ولا هى مخلوقة ولا غير مخلوقة ولا هى معلومة ولا مجهولة وهذا كله معلوم كذبه وبطلانه بالحواس وباول العقل وضرورته وتخليط لا يفهمه أحد ولا يتشكل فى وهم أحد ولو لا اننا شاهدنا أكثر من ذكرنا لما صدقنا ان من له مسكة عقل ينطلق لسانه بهذا الجنون وكتمالاء طوائف على ان اسمين يقعان على مسميين كل واحد من ذينك المسميين لا هو الآخر ولا هو غيره وكالسوفسطائية المنكرة للحقائق وأما الحساب فقد اختلف له فى أشياء من التعديل ومن قطع الكواكب وهل الحركة لها أو لافلاكها وأما الذى لا يخلو وقت من وجوده فخطا كثير من أهل الحساب في جمع الاعداد الكثيرة حتى يختلفوا اختلافا ظاهرا حتى اذا حقق النظر يظهر الحق من الباطل وهذا نفس ما يعرض في كل ما يدرك بالحواس فظهر بطلان تمويههم وتشبيههم جملة والحمد لله رب العالمين وصح ما أنكروه من ان كثيرا من الناس يغيبون عن اعتقاد ما شهدت له الحواس وينكرون أوائل العقول ويكابرون الضرورات أما انهم كسلوا عن طلب البرهان وقطعوا بظنونهم وأما لانهم زلوا عن طريق البرهان وظنوا انهم عليه واما لانهم الفوا ما مالت اليه أهواؤهم لالف شىء ونفار عن آخر وأما قولهم وللاح الحق على مرور الازمان وكثرة البحث وطول المناظرات فيقال لهم وبالله تعالى التوفيق نعم قد لاح الحق وبان ظن الباطل وان كان كل طائفة تدعيه فان من نظر على الطريق التى وصفنا صح عنده المحق المدعى من المبطل وبالله تعالى التوفيق وأما قولهم ومن المحال ان يبدو الحق الى الناس فيعاندوه بلا معنى ويرضوا بالهلاك فى الدنيا والآخرة بلا معنى فقول فاسد لانا قد رأيناهم أتوا أشياء بدا الحق فيها الى الناس فعانده كثير منهم وبذلوا مهجهم فيه وكأنهم ما شاهدوا الامر الذى ملا الارض من المقاتلين الذين يعرفون بقلوبهم ويقرون بالسنتهم انهم على باطل يقتتلون ويعترفون بانهم بلغوا مهجهم ودماءهم وأموالهم وأديانهم ويتمون أولادهم ويرملون نساءهم في قتال عن سلطان غائب عن ذلك القتال لا يرجون زيادة درهم ولا يخاف كل امرىء منهم في ذاته تقصيرا به لو لم يقاتل أو لم يروا كثيرا من الناس ياكلون أشياء يوقنون بانهم يستضرون بها ويكثرون شرب الخمر وهم يقرون انها قد آذتهم وأفسدت أمزجتهم وانها تؤديهم الى التلاف وهم يقرون مع ذلك انهم عاصون لله تعالى وكم رأينا من الموقنين بخلود العاصى فى النار المحققين لذلك يقر على نفسه انه يفعل ما يخلد به فى النار فان قالوا ان هؤلاء يستلذون ما يفعلون من ذلك قلنا لهم ان استلذاذ من يدين بشىء ما بنصره لما يدين به وتعصبه له أشد من استلذاذ الاكل والشرب لما يدرى انه يبلغه من ذلك ثم نقول لهم اخبرونا عن قولكم هذا انه ليس ههنا قول سطعت حجته ولو كان لما اختلف الناس فيه أحق وهى هذه القضية التى قطعتم بها وهل قولك هذا ظاهر الحجة متيقن الحقيقة أم لا فان قالوا لا أقروا بان قولهم لم تصح حجته ولا لاح برهانا وانه ليس حقا ما قالوه وان قالوا بل هو حق قد لاحت حجته قلنا لهم فكيف خوالفتم فى شىء لاحت حجته حتى صار أكثر أهل الارض يعمون عما لا شك فيه عندكم وعن ما لاح الحق فيه حتى اعتقدوا فيكم الضلال والكفر واباحة الدم وهذا هو نفس ما أنكروا قد صرحوا انه حق والحمد لله رب العالمين وأما احتجاجهم بانتقال من ينتقل من مذهب الى مذهب وتهالكه فى اثباته ثم تهالكه في ابطاله ورومهم ان يفسدوا بهذا جميع البراهين فليس كما ظنوا لان كل منتقل من مذهب الى مذهب فلا يخلو ضرورة من احد ثلاثة اوجه اما ان يكون انتقل من خطا الى خطا أو من خطا الى صواب أو من صواب الى خطا وأى ذلك كان فانما أتى فى الانتقالين

الاثنين الذين هما الى الخطا من انه لم يطلب البرهان طلبا صحيحا بل عاجزا عنه باحد الوجوه التى قدمنا قبل وأما الانتقال الى الصواب فانه وقع عليه بجد صحيح وطلب صحيح أو بجد وبحث وهذا يعرض فيما يدرك بالحواس كثيرا فيرى الانسان شخصا من بعيد فيظنه فلانا ويحلف عليه ويكابر ويجرد ثم يتبين له أنه ليس هو الذى ظن وقد يشم الانسان رائحة يظنها من بعض الروائح ويقطع على ذلك ويحلف عليه مجدا ثم يتبين له انه ليس هو الذى ظن وهكذا فى الذوق أيضا وقد يعرض هذا فى الحساب فقد يغلط الحاسبون فى جمع الاعداد الكثيرة فيقول أحدهم ان الجميع من هذه الاعداد كذا وكذا ويخالفه غيره فى ذلك حتى اذا بحثوا بحثا صحيحا صح الامر عندهم وقد يعرض هذا للانسان فيما بين يديه يطلب الشيء بين متاعه طلبا مرددا المرة بعد المرة فلا يجده ولا يقع عليه وهو بين يديه ونصب عينيه ثم يجده فى أقرب مكان منه وقد يكتب الانسان مستمليا أو يقرأ فيصحف ويزيد وينقص وليس هذا بموجب الا يصح شيء بادراك الحواس أبدا ولا الا يصح وجود الانسان شيئا افتقده أبدا ولا الا يصح جمع الاعداد أبدا ولا الا يصح حرف مكتوب ولا كلمة مقروءة أبدا لامكان وجود الخطا فى بعض ذلك لكن التثبت الصحيح يليح الحق من الباطل وهكذا كل شيء أخطا فيه ولا بد من برهان يليح الحق فيه من الباطل ولا يظن جاهل ان هذه المعانى كلها حجة لمبطلى الحقائق بل هي برهان عليهم لائح قاطع لان كل ماذكرنا لا يختلف حس أحد في ان كل ذلك اذا فتش تفتيشا صحيحا فانه يقع اليقين والضرورة بان الوهم فيها غير صحيح وان الحق فيها ولا بد فبطل تعلقهم بمن رجع من مذهب الى مذهب ولم يحصلوا الاعلى ان قالوا انا نرى قوما يخطئون فقلنا لهم نعم ويصيب آخرون فاقرارهم بوجود الخطا موجب ضرورة ان ثم صوابا لان الخطا هو مخالفة الصواب فلو لم يكن صوابا لم يكن خطا ولو لم يكن برهانا لم يكن شغب مخالف للبرهان ثم نعكس استدلالهم عليهم فنقول لهم وبالله تعالى نتأيد فاذ قد وجدتم من يعتقد ماأنتم عليه ثم يرجع عنه فهلا قلتم ان مذهبكم هذا كالاقوال الاخر التى أبطلتموها من أجل هذا الظن الفاسد فى الحقيقة وهو فى ظنكم صحيح فهو لكم لازم لانكم صححتموه ولا يلزمنا لاننا لا نصححه ولا صححه برهان

(قال أبو محمد) وبهذا الذى قلنا يبطل مااعترضوا به من اختلاف المدعين الفلسفة والمنتحلين الكلام في مذاهبهم وماذكروه من اختلاف المختارين أيضا فى اختيارهم لاننا لم ندع ان طبائع الناس سليمة من الفساد لكننا نقول ان الغالب على طبائع الناس الفساد فان المنصف لنفسه أولا ثم لخصمه ثانيا الطالب البرهان على حقيقة العارف به فدليل برهاننا على هذا ماوجدناه من اختلاف الناس واختلافهم كثيرا دليل على كثرة الخطاء منهم وقد وضحنا ان وجود الخطاء يقتضى ضرورة وجود الصواب منهم ولا بد وليس اختلافهم دليلا على ان لا حقيقة فى شيء من أقوالهم ولا على امتناع وجود السبيل الى معرفة الحق وبالله تعالى التوفيق واما احتجاجهم بانه لا يخلو من حقق شيئا من الديانات والمقالات والاراء من أن يكون صح له بالحواس أو ببعضها أو ببديهة العقل وضرورته أو بدليل من الادلة غير هذين وانه لو صح بالحواس أو بالعقل لم يختلف فيه والزامهم فى الدليل مثل ذلك الى آخر كلامهم فهذا كله مقرر قد مضى الكلام فيه وقد أريناهم انه قد يختلف الناس فيما يدرك بالحواس وببديهة العقل كاختلافهم فى الشخص يرونه ويختلفون فيه ما هو وفى الصوت يسمعونه بينهم فيما هو ويختلفون فيه وكاقوال النصارى وغيرهم مما يعلم بضرورة العقل فساده ثم نقول لهم ان أول المعارف هو ماأدرك بالحواس وببديهة العقل وضرورته ثم ينتج براهين راجعة من قرب

أو من بعد بعد الى أول العقل أو الى الحواس فما صححته هذه البراهين فهو حق وما لم تصححه هذه البراهين فهو غير صحيح ثم نعكس عليهم هذا السؤال بعينه فنقول لهم وبالله تعالى التوفيق قولكم هذا باى شيء علمتموه بالعقول أم بالحواس أو بدليل غيرها فان علمتموه بالحواس أو العقول فكيف خولفتم فيه وان كنتم عرفتموه بدليل فذلك الدليل بما عرفتموه أبالحواس أم بالعقول أم بدليل آخر وهكذا أبدا وكل سؤال أفسد حكم نفسه فهو فاسد وعلى ان هذا لهم لازم لانهم صححوه ومن صحح شيئا لزمه ونحن لم نصحح هذا السؤال فلا يلزمنا وقد اجبنا عنه بما دفعه عنا وأمامهم فلا مخاص لهم منه وبالله تعالى التوفيق وأما قولهم نسالهم عن علمهم بما يدعون صحته أتعلمونه أم لا فان قالوا لا نعلمه بطل قولهم اذا قروا بانهم لا يعلمونه وان قالوا بل نعلمه سالناهم أبعلم علمتم علمكم بذلك أم بغير علم وهكذا أبدا فهذا أمر قد أحكمنا بيان فساده فى باب أفردناه فى ديواننا هذا على أصحاب معمر في قولهم بالمعانى وعلى الاشعرية ومن وافقهم من المعتزلة فى قولهم بالاحوال وانما كلامنا هذا مع من يقول بتكافؤ الادلة

﴿قال أبو محمد﴾ وهذا السؤال نفسه مردود عليهم كما هو ونسالهم أتعلمون صحة مذهبكم هذا أم لا فان قالوا لا اقروا بانهم لا يعلمون صحته وفى هذا ابطاله والله انما هو ظن لا حقيقة وان قالوا بل نعلمه سالناهم أبعلم تعلمونه أم بغير علم وهكذا أبدا الا ان السؤال لازم لهم لانهم صححوه ومن صحح شيئا لزمه واما نحن فلم نصححه فلا يلزمنا وقد اجبنا عنه فى بابه باننا نعلم صحة علمنا بعلمنا ذلك بعينه لا بعلم آخر ونعقل أن لنا عقلا بعقلنا ذلك بنفسه وانما هو سؤال من يبطل الحقائق كلها لا من يقول بتكافؤ الادلة فبطل كل ما موهوا به والحمد لله رب العالمين

﴿قال أبو محمد﴾ ثم نقول لهم انتم قد اثبتم الحقائق وفى الناس من يبطلها ومن يشك فيها وهم السوفسطائية وعلمتم أنهم مخطئون فى ذلك ببراهين صحاح فببراهين صحاح أيضا صح ما أبطلتموه أو شككتم فيه من أن في مذاهب الناس مذهبا صحيحا ظاهر الصحة فاذا سال عنها أجيب بها في مسالة مسالة

(قال أبو محمد) ويقال لمن قال لكل ذى ملة أو نحلة أو مذهب لعلك مخطىء وأنت تظن انك مصيب لان هذا ممكن فى كثير من الاقوال بلاشك أخبرنا افى الناس من فسد دماغه وهو يظن انه صحيح الدماغ فان انكر ذلك كابر ودفع المشاهدات وان قال هذا ممكن قيل له لعلك أنت الآن كذلك وأنت تظن انك سالم الدماغ فان قال لا لان هاهنا براهين تصحح انى سالم الذهن قيل له وهاهنا براهين تصحح الصحيح من الاقوال وتبينه من الفاسد فان سال عنها أجبت بها فى مسالة مسالة

﴿قال أبو محمد﴾ فاذ قد بطل بيقين ان تكون جميع أقوال الناس صحيحة لان فى هذا أن يكون الشىء باطلا حقا معا وبطل ان تكون كلها باطلا لان فى هذا أيضا اثبات الشىء وضده معا لان الاقوال كلها انما هى نفى شىء يثبته آخر من الناس فلو كان كلا الامرين باطلا لبطل النفى فى الشىء واثباته معا واذا بطل اثباته صح نفيه واذا بطل نفيه صح اثباته فكان يلزم من هذا أيضا ان يكون الشىء حقا باطلا معا ثبت بيقين ان في الاقوال حقا وباطلا واذ هذا لاشك فيه فبالضرورة نعرف ان بين الحق والباطل فرقا موجودا وذلك الفرق هو البرهان فمن عرف البرهان عرف الحق من الباطل وبالله تعالى التوفيق فان قال قائل فانكم محيلون على براهين تقولون ان ذكرها جملة لا يمكن وتامرون بالجد فى طلبها فما الفرق بينكم وبين دعاة الاسماعيلية والقرامطة الذين يحيلون على مثل هذا قلنا لهم الفرق بيننا وبينهم برهانان

واضحان احدهما ان القوم يامرون باعتقاد أقوالهم وتصديقهم قبل أن يعرفوا براهينهم ونحن لا نفعل هذا بل ندعوا الى معرفة البراهين وتصحيحها قبل أن نصدق فيما نقول والثانى أن القوم يكتمون اقوالهم وبراهينهم معا ولا يبيحونها للسبر والنظر ونحن نهتف باقوالنا وبراهيننا لكل أحد وندعوا الى سبرها وتقييسها وأخذها ان صحت ورفضها ان لم تصح والحمد لله رب العالمين ولسنا نقول اننا لانقدر أن نحد براهيننا بحد جامع مبين لها بل نقدر على ذلك وهو أن البرهان المفرق بين الحق والباطل فى كل مااختلفوا فيه أن يرجع رجوعا صحيحا متيقنا الى الحواس او الى العقل من قرب أو من بعد رجوعا صحيحا لايحتمل ولا يمكن فيه الا ذلك العمل فهو برهان وهو حق متيقن وان لم يرجع كما ذكرنا الى الحواس أو الى العقل فليس برهانا ولاينبغي ان تشتغل به فانما هو دعوى كاذبة وبالله تعالى التوفيق وبهذا اسقط القياس والتقليد لانه لا يقدر القائلون بهما على برهان فى تصحيحهما يرجع الى الحواس أوالى أول العقل رجوعا متيقنا

(قال أبو محمد) ونحن نقول قولا كافيا بعون الله وقوته وهو أن أول كل مااختلفت فيه من غير الشريعة ومن تصحيح حدوث العالم وان له محدثا واحدا لم يزل ومن تصحيح النبوة ثم تصحيح نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فان براهين كل ذلك راجعة رجوعا صحيحا ضرورياً الى الحواس وضرورة العقل فما لم يكن كذا فليس بشىء ولا هو برهانا وان كان مااختلف فيه من الشريعة بعد صحة جملها فان براهين كل ذلك راجعة الى ماأخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى اذ هو المبعوث الينا بالشريعة فما لم يكن هكذا فليس برهانا ولا هو شيئا وفى أول ديواننا هذا باب في ماهية البراهين الموصلة الى معرفة الحقيقة فى كل مااختلف الناس فيه فاذا أضيف الى هذا ارتفع الاشكال والحمد لله رب العالمين

﴿ الكلام فى الالوان ﴾

(قال أبو محمد) الارض غبراء وفيها حمراء وفيها بيضاء وصفراء وخضراء وسوداء وموشاة والماء كله أبيض الا أن يكتسب لونا بما استضاف اليه لفرط صفائه فيكتسى لون انائه أو ماهو فيه وانما قلنا انه أبيض لبراهين * أحدها أنه اذا صب فى الهواء بهرق ظهر أبيض صافى البياض * والثاني في انه اذا جمد فصار ثلجا أو بردا ظهر أبيض شديد البياض وأما الهواء فلا لون له أصلا ولذلك لا يرى لانه لايرى الا اللون وقد زعم قوم انه انما لايرى لانطباقه على البصر وهذا فاسد جداً وبرهان ذلك أن المرء يغوص فى الماء الصافي ويفتح عينيه فية فيرى الماء وهو منطبق على بصره لاحائل بينهما ولا يرى الهواء فى تلك الحال وان استلقى على ظهره فى الماء وهذا أمر مشاهد واما الذى يرى عند دخول خط ضياء الشمس من كوة فانما هو ان الاجسام تنحل منها ابدا أجزاء صغار وهى التى تسمى الهباء فاذا انحصر خط ضياء الشمس وقع البصر على تلك الاجزاء الصغار وهى متكاثفة جدا ولونها الغبرة فهى التى ترى لاما سواها ومن تامل هذا عرفه يقينا وان البيوت مملوءة من هذا الضياء المنحل من الارض والثياب والابدان وسائر الاجرام ولكن لدقتها لاترى الا ان انحصر خط الشمس فيرى مافى ذلك الانحصار منها فقط واما النار فلا ترى ايضا لانه لالون لها فى فلكها واما المرئية عندنا فى الحطب والفتيلة وسائر مايحترق فانما هى رطوبات ذلك المحترق يستحيل هواء فيه نارية فتكتسب ألوانا بمقدار ما تعطيها طبيعتها فتراها خضراء ولازوردية وحمراء وبيضاء وصفراء وبالله تعالى التوفيق وهذا يعرض للرطوبات المتولد منها دائرة قوس قزح

(قال أبو محمد) أجمع جميع المتقدمين بعد التحقيق بالبرهان على أنه لايرى الا الالوان وان كل مايرى فليس الا لونا وحدوا بعد ذلك البياض بانه لون يفرق البصر وحدوا السواد بانه لون يجمع البصر

(قال أبو محمد) وهذا حد وقعت فيه مسامحة وانما خرجوه على قول العامة فى لون السواد ومعنى يجمع البصر أنه يقبضه في داخل الناظر ويمنع من انتشاره ومن تشكل المرئيات واذ هذا معنى القبض بلاشك فهو معنى منع البصر والادراك وكفه ومن هذا سمي المكفوف مكفوفا فاذا السواد يمنع البصر من الانتشار ويقبضه عن الانبساط ويكفه عن الادراك وهذا كله معنى واحد وان اختلفت العبارات فى بيانه فالسواد بلا شك غير مرئى اذ لو رؤى لم يقبض خط البصر اذ لارؤية الا بامتداد البصر فاذ هو غير مرئى فالسواد ليس لونا اذ اللون مرئى ولا بد ومالم ير فليس لونا وهذا برهان عقلى ضرورى وبرهان آخر حسي وهو أن الظلمة اذا اطبقت فلا فرق حينئذ بين المفتوح العينين السالم النظرين وبين الاعمى المنطبق والمسدود العينين سدا أو كفا فاذ ذلك كذلك فالظلمة لاترى ومن الباطل الممتنع أن تكون ترى الظلمة وبالحس نعلم أن المنطبق العينين فيها بمنزلة واحدة من عدم الرؤية ومع المفتوح العينين فيها والظلمة هى السواد نفسه فمن إدعى أنهما متغايران فقد كابر العيان وادعى مالا يأتى عليه بدليل أبدا ونحن نجد ان لو فتح في حائط بيت مغلق كوتان ثم جعل على احداهما ستر أسود وتركت الاخرى مكشوفة لما فرق الناظر من بعد بينهما أصلا ولو جعل على احداها ستر أحمر أو أصفر أو أبيض لتبين ذلك للناظر يقينا من بعد أو قرب وهذا بيان ان السواد والظلمة سواء وبرهان آخر حسى وهو أن خطوط البصر اذا استوت فلا بد من أن تقع على شيء مالم يقف فيه مانع من تماديها ونحن نشاهد من بين يديه ظلمة أو هو فيها لايقع بصره على حائط ان كان فى الظلمة وسواء كان فيها حائط مانع من تمادى خط البصر أو لم يكن فصح يقينا أن الظلمة لاترى بل هى مانعة من الرؤية والظلمة هى السواد والسواد هو الظلمة لم يختلف قط فى هذا اثنان لا بطبيعة ولا بشريعة ولا فى معنى اللغة ولا بالمشاهدة فقد صح ان السواد لا يرى اصلا وانه ليس لونا

(قال أبو محمد) وانما وقع الغلط على من ظن ان السواد يرى لانه أحس بوقوع خطوط البصر على ماحوالى الشيء الاسود من سائر الالوان فعلم بتوسط ادراكه ماحوالى الاسود أن بين تلك النهايات شيئا خارجا عن تلك الالوان فقدر انه يراه ومن هاهنا عظم غلط جماعة ادعوا بظنونهم من الجهة التى ذكرنا انهم يرون الحركات والسكون فى الاجرام والامر فى كل ذلك وفى الاسود واحد ولافرق فان قال قائل أنه ان كان فى جسم الاسود زيادة ناتئة سوداء كسائر جسده رأيناها فلو لم تر لم تعلم بنتوء تلك الهيئة الناتئة له على سطح جسده قيل له وبالله تعالى التوفيق هذا أيضا وهم لانه لما لم يمتد خط البصر عند قبض تلك الهيئة الناتئة له وامتدت سائر الخطوط الى أبعد من تلك المسافة وعلمت النفس بذلك توهم من لم يحقق أن هذه رؤية وليست كذلك وتوهموا أيضا أنهم يرون السواد ممازجا لحمرة أو لغبرة أو لخضرة أو لصفرة أو لزرقة فاذا كان هذا هكذا فان البصر يرى ما فى ذلك السطح من هذه الالوان على حسب قوتها وضعفها فقط فيتوهمون من ذلك انهم رأوا السواد ويتوهمون أيضا أنهم يرونه لانهم قالوا نحن نميز الاسود البراق البصيص واللماع من الاسود الاكدر الغليظ

(قال أبو محمد) وهذا مكان ينبغى أن نتثبت فيه فنقول وبالله تعالى التوفيق ان الاملاس

هو استواء أجزاء السطح والخشونة هى تباين أجزاء السطح وقد نجد أماس لماعا وأماس كدرا فاذ ذلك كذلك فالبصيص واللمعان شيء آخر غير استواء أجزاء السطح واذ هو كذلك وهو مرئى فالبصيص بلا شك لون آخر محمول فى الملون بالحمرة أو الصفرة أو سائر الالوان وفيما عرى من جميع الالوان سواء فاذا قلنا أسود لماع فانما نريد انه ليس فيه من الالوان الا اللمعان فقط فهو لون صحيح وقد عرى من الحمرة ومن الصفرة ومن البياض والخضرة والزرقة ومما تولد من امتزاج هذه الالوان ولعل الكدرة أيضا لون آخر مرئي كاللمعان وهى أيضا غير سائر الالوان فهذا ما لا يوجد ما يمنع منه بل الدليل يثبت ان الكدرة أيضا لون وهو وقوع البصر عليها وهو لا يقع الا على لون ومن أبى من هذا كلفناه أن يحد لنا اللمعان والكدرة فانه لا يقدر علي شيء أصلا غير ماقلنا وبالله تعالى التوفيق فان قال قائل فانا نرى الثوب الاسود يستبين نسج خيوطه ونتوء ما نتأ منها وانخفاض ما انخفض فلولا انه يرى ما علم ذلك كله فالجواب وبالله التوفيق انا قد علمنا ان خطوط البصر تخرج من الناظر ولها مساحة ما وبعضها أطول من بعض بلا شك لان الخطوط الخارجة من البصر الى السماء أطول من الخطوط الخارجة من البصر الى الجليس لك بلاشك فاما خرجت خطوط البصر الى الثوب المذكور انقطع تمادي بعضها أكثر من تمادى البعض فبالحس علمنا هذا الان بصرنا وقع على لون أصلا وأيضا فان النور هو اللون الذى طبعه بسط قوة الناظر واستخراج قوى البصر حتى انه اذا وافق ناظرا ضعيف البنية بطبعه أو بعرض اجتلب جميعه واستلبه كله أو اقتطفه فعلى قدر قوة النور فى اللون المرئى وضعفه فيه يكون وقوع البصر عليه هذا أمر مشاهد بالعيان فكلما قل النور فى اللون كان وقوع البصر عليه أضعف وكانت الرؤية له أقل حتى اذا عدم النور جملة ولم يبق منه شيء فقد بطل بالضرورة أن يمتد خطوط البصر اليه وأن يقع الناظر عليه اذ لا نور فيه ولا يختلف ذو حس فى العالم فى ان السواد المحض الخالص ليس فيه شيء من النور فاذ لا شك فى هذا فلا شك فى انه لا يرى وبالله تعالى التوفيق وأيضا فان جبلا ذا لون ما وأرضا ذات لون ما وفيهما غاران مظلمان لا شك ان كل ناظر اليهما فانه لا يرى الا ما حول الغارين وانه لا يرى ما ضمه خط الغارين فاذ هذه كلها براهين ضرورية مشاهدة حسية عقلية فالبرهان لا يعارضه برهان أصلا والبرهان لا يعارض بالدعوى ولا بالظنون والحمد لله رب العالمين وأما من كلام الله تعالى فالله يقول * ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها * وقوله تعالى * يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه واذا أظلم عليهم قاموا * فصح يقينا ان الظلمة مانعة من النظر والرؤية جملة وهو السواد بلا شك فهو لا يري ولا خلاف في أن البصر القليل يداوى بالثوب الاسود والقعود فى الظلمة وليس ذلك الا لمنعه من امتداد خط بصره فيكل بامتداده وبالله تعالى التوفيق فان قيل السواد غير الظلمة قلنا انا نجد الارمد الشديد الرمد متى صار فى بيت مظلم شديد الانطباق لا يدخله شيء من الضوء أمكنه فتح عينيه بحسب طاقته ولم يألم بالنظر اليه ومتى جعلناه فى بيت مضيء وعلى وجهه وعينيه ثوب كثيف جداً اسود أمكنه فتح عينيه حسب طاقته ولم يألم بالنظر اليه وكانت حاله في تغطية وجهه بذلك الثوب كحاله في الظلمة التامة سواء سواء وكذلك يعرض للصحيح البصر في الحالين المذكورتين ولا فرق ومتى جعلنا علي بصر الارمد ثوبا أبيض ألم ألما شديدا كالمه اذا نظر فى الضوء ولا فرق فان جعلنا على وجهه ثوبا اصفر ألم دون ذلك وان كان أحمر ألم دون ذلك فان كان أخضر ألم دون ذلك على قدرهما فى اللون من ممازجة البياض له فصح ان السواد والظلام شيء واحد وقال بعض أصحابنا السواد غير الظلمة وهو لا يرى الان

الزنجى والغراب والثوب ليس شيء من ذلك اسود وكل ذلك يرى ولون كل ما ذكرنا لون غير السواد الا انه سمى باسم السواد مجازا وقال بعضهم السواد اسم مشترك يقع على الظلمة ويقع على لون الزنجى والغراب والثوب فكل ظلام سواد وليس كل سواد ظلاما فان عنيت بالسواد لون الزنجى والغراب والثوب فهو يرى وهو غير الظلمة وان عنيت بالسواد الظلمة فهو لا يرى وقال بعضهم الظلمة لا ترى وليست سودا أصلا والسواد شيء آخر غير الظلمة وهو لون يرى وقال بعضهم الظلمة والسواد شيء واحد وكلاهما يرى وأقروا بان الاعمى والاكمه والمفقوء العينين والمطبق العينين يرى الظلمة

﴿ الكلام فى المتوالد والمتولد ﴾

(قال ابو محمد) الحيوان كله ينقسم أقساما ثلاثة متوالد ولا بد ولا يتولد ومتولد ولا بد لا يتوالد وقسم ثالث يتوالد ويتولد أيضا فاما المتولد المتوالد فكبنات وردان فانها تتولد وقد رأيناها تتسافد وكالجعلان فانها تتولد وقد رأيناها تتسافد وكثير من الحيوان المتولد فى النبات وقد رأيناه يتسافد ومثل القمل فانا قد شاهدناه يخرج من تحت الجلد عيانا ويحدث فى الرؤس وقد يتوالد وقد نجد بعضه اذا قطع مملوء بيضا وأما المتولد الذي لا يتوالد فالحيوان المتولد فى أصول أشفار العينين وأصول شعر الشارب واللحية والصدر والعانة وهو ذوا رجل كثيرة لا يفارق موضعه وما علمناه يتوالد أصلا ومثل الصفار المتولد فى البطن وشحمة الارض وكل هذا لا نعلمه يتوالد البتة وقد شاهدنا ضفادع صغارا تتولد من ليلتها فتصبح مناقع المياه منها مملوأة ومنها الثالاندرية وهو حيوان كبير يشبه الجراذين الصغار بطيئة الحركة وحيوانات كثيرة منها صغير مفرط الصغر يكاد لصغره لا يتجزأ مثلما كثيرا رأيناه فى الدوى والدفاتر وهو سريع المشى جدا ومنها السوس المتولد فى الباقلا والدود المتولد فى الجراحات وفي الجص والبلوط وفى التفاح وبين الحشيش وبين الصنوبر وفى الكنف وهى ذوات الاذناب والحباحب المتولد فى الخضر وهو فى غاية الحسن ومنه ما يضيء بالليل كانه شرارة نار والدود ذوات الارجل الكثيرة والذراريح وهذا كثير لا يحصيه لا خالقه عز وجل ومنها الضفادع والحجازب فقد صح عندنا يقينا لا مجال للشك فيه انها تتولد فى مناقع المياه دويبات صغار ملس شديدة السواد ذوات أذناب تمشى عندنا ثم صح عندنا كذلك انها تكبر فتنقطع أذنابها وتتبدل ألوانها وتستحيل أشكالها وتعظم فتصير ضفادع ثم تزيد كبرا واستحالة ألوان فتصير حجازب

﴿قال ابو محمد﴾ قد رأيتها فى جميع تنقلها كما وصفنا وقد عرض علينا فى مناقع المياه خطوط ظاهرة قيل لنا انها بيض الضفادع وأما الذباب فقد شاهدناها عيانا تتناكح والانثي منها هي الكبار والذكور هى الصغار وشاهدنا البراغيث تتناكح أيضا والكبار هى الاناث والذكور هى الصغار نشاهد ذلك بان الاعلى هو الصغير أبدا ونجد الانثى مملوءة بيضا اذا وضعت فتلقى بيضها فى القباب وفي خلال أجزاء الثياب ثم يخرج

(قال أبو محمد) وقد رأينا ذبابا صغارا جدا وذبابا كبارا مفرط الكبر وشاهدنا بابصارنا الدود الطويل الذنب المتولد فى الكنف وزبول البقر والغنم يستحيل فيصير فراشا طيارا مختلف الالوان بديع الخلقة من أبيض وأصفر فاقع وأخضر ولازوردى منقط ولا ندرى كيف الحال فى العقارب والعناكب والرتيلات والبقوقات والدبر الا اننا ندري ان دود الحرير يتوالد يتسافد الذكور منها والاناث وتبيض ثم تحضن بيضها هذا مالا خلاف فيه وما رأى أحد قط دود حرير يتولد من غير بيضة وكذلك النمل فانه يتوالد وقد رأينا بيضه والعرب تسميه المازن وكذلك النحل يتوالد ويوجد فى مواضع من

بنائه فى تضاعيف القبر الذى فيه العسل وكذلك الجراد والعرب تسميه بيضة الصرد

﴿قال أبو محمد﴾ وما رأى أحد قط نحلا يتولد ولا نملا يتولد ولا جرادا يتولد الا فى اكذوبات لا تصح وأما سائر الحيوان فمتوالد ولا بد من منى أو بيض فكل ذى أذن بارزة يلد طائرا كان أو غير طائر كالخفاش وغيره وكل ما ليس له أذن بارزة فهو يبيض طائرا كان أو غير طائر كالحيات والجراذين والوزغ وغير ذلك.

﴿قال أبو محمد﴾ فطلبنا أن نجد حدا يجمع ما يتولد دون ما يتوالد أو ما يتوالد دون ما يتولد فلم نجد الا انا رأينا كل ذى عظم وفقارات لا سبيل البتة الى ان يوجد من غير تناكح كحيوان البحر الذى له العظم والفقارات ورأينا ما لا عظم له ولا فقار فمنه ما يتولد ولا يتوالد ومنه ما يتوالد ويتولد معا وكل ذلك خلق الله عز وجل يخلق ما شاء كما شاء لا اله الا هو وليست القدرة فى الخلق فى خلق ما خلقه الله عز وجل حيوانا ذا أربع أو ذا ريش من بيضة أو من منى بأعظم من القدرة من خلقها من تراب دون توسط بيضة ولا منى ولا البرهان عن الصنع والابتداء فى احداهما باوضح منه في الآخر بل كل ذلك برهان على ابتداء الخلقة وعلى عظيم القدرة من البارى لا اله الا هو

﴿قال أبو محمد﴾ وقد ادعى قوم انه يتولد فى الثلج حيوان ويتولد في النار حيوان وهذا كذب وباطل وانما قاسوه على تولد حيوان ما في الارض والماء والقياس باطل لانه دعوى بلا برهان وما لا برهان له فليس بشيء وبالله تعالى التوفيق

﴿قال أبو محمد﴾ واذا حصلت الامر فالحيوان لا يتولد من الماء وحده ولا من الارض وحدها ولكن مما يجتمع من الارض والماء معا فتبارك الله أحسن الخالقين لا معقب لحكمه لا اله غيره عز وجل *

تم السفر الثالث بتمام جميع الديوان من الفصل في الملل والاراء والنحل بحمد الله وشكره على حسن تأييده وعونه * وافق الفراغ منه فى تسعة أيام خلت من شهر ذى القعدة سنة ١٢٧١ احدى وسبعين ومائتين بعد الالف * من هجرة من له العز والشرف * على يد الفقير الى الله محمد بن موسى غفر الله له ولوالديه والمسلمين آمين وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامى وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ يقول مصححه الراجي غفران المساوي * محمد محمد ماضي الرخاوي ﴾

الحمد لله الذي تفرد بالتوحيد وتوحد بالازلية والتأبيد وتمجد بالصمدانية وتقدس عن التولد والتوليد وجل ذاتا وصفة وعلا عن الضد والشبيه والنديد خالق الخلق وباسط الرزق ومدبر الامور ومصرفها كيف يشاء ويريد بلا همامة ولا فكرة ولا ترو ولا ترويد القائم على كل نفس بما كسبت والرقيب على خلقه والشهيد الذي لا تنفد خزائن رحمته ولا يبيد ملكه ولا يعيد أحمده وأشكره وأتوب اليه وأستغفره وأساله اللطف بما جرت به المقادير وأصلي وسلم على سيدنا محمد الفاتح لما اغلق والناصر الحق بالحق والهادي الى الصراط المستقيم (أما بعد) فقد تم بعون الله سبحانه وتعالى طبع كتاب الفصل في الملل والاهواء والنحل للامام أبو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم وان هذا السفر من أنفس الاسفار التي وضعت للبحث في الديانات والكتب السماوية وآراء الفلاسفة والخلاف بينهم وبين المليين والرد على منكري الالوهية ومعتنقي الاديان المخالفة لدين الاسلام وبيان ما طرأ على معتقداتهم من زيغ وتضليل ودخل على كتبهم من تحريف وتبديل . عني فيه مؤلفه رضي الله عنه بالبحث والتمحيص .

وايراد الادلة والحجاج العقلية والنقلية التي تبت باجلى البراهين . وأدمغ الحجج حقية الشريعة
المحمدية ووضوح محجتها وخلوصها من كل شوائب التغير والفساد ومتانة أصولها وبعدها عن
كل ما ينافي التوحيد وعصمة الانبياء وسلامة نصوصها من كيد الكائدين وعبث العابثين
وبهامشه كتاب الملل والنحل لابن بو الفتح محمد بن أحمد ب القاسم عبد الكريم بن
أبي بكر أحمد الشهرستاني رضي الله عنهم جميعا ونفع بمؤلفاتهم جميع الملة الاسلامية
ووفق أهل الزيغ والاهواء للدين الحنيف والملة السمحاء هذا وقد
قام بشرح معضلات الفاظه وتبيين كلامه فضيلة الاستاذ
العلامة الشيخ عبد الرحمن خليفه المدرس بمدرسة ماهر باشا
وقد قام بطبعه حضرة الهمام السيد محمد علي صبيح وذلك
بمطبعته الكائن مركزها بجوار الازهر الشريف
بمصر وكان تمام طبعه وحسن تنسيقه ووضعه
في أواخر شهر ربيع الثاني من شهور
سنة ١٣٤٨ هجرية على صاحبها
أفضل الصلاة وأزكى
التحية آمين

﴿ يقول مصححه الراجي غفران المساوى * محمد محمد ماضى الرخاوى ﴾

الحمد لله الذى تفرد بالتوحيد وتوحد بالازلية والتأبيد وتمجد بالصمدانية وتقدس عن التولد والتوليد وجل ذاتا وصفة وفعلا عن الضد والشبيه والنديد خالق الخلق وباسط الرزق ومدبر الامور ومصرفها كيف يشاء ويريد بلا همامة ولا فكرة ولا ترو ولا ترويد القائم على كل نفس بما كسبت والرقيب على خلقه والشهيد الذى لا تنفد خزائن رحمته ولا يبيد ملكه ولا يعيد أحمده وأشكره وأتوب اليه وأستغفره وأساله اللطف بما جرت به المقادير وأصلى وسلم على سيدنا محمد الفاتح لما اغلق والناصر الحق بالحق والهادى الى الصراط المستقيم (أما بعد) فقد تم بعون الله سبحانه وتعالى طبع كتاب الفصل فى الملل والاهواء والنحل للامام أبو محمد على بن احمد بن سعيد بن حزم وان هذا السفر من أنفس الاسفار التى وضعت للبحث فى الديانات والكتب السماوية وآراء الفلاسفة والخلاف بينهم وبين المليين والرد على منكرى الالوهية ومعتنقى الاديان المخالفة لدين الاسلام وبيان ما طرأ على معتقداتهم من زيغ وتضليل ودخل على كتبهم من تحريف وتبديل . عنى فيه مؤلفه رضى الله عنه بالبحث والتمحيص .

وايراد الادلة والحجاج العقلية والنقلية التى تبت باجلى البراهين . وأدمغ الحجج حقية الشريعة
المحمدية ووضوح محجتها وخلوصها من كل شوائب التغير والفساد ومتانة أصولها وبعدها عن
كل ما ينافى التوحيد وعصمة الانبياء وسلامة نصوصها من كيد الكائدين وعبث العابثين
وبهامشه كتاب الملل والنحل لابن بو الفتح محمد بن أحمد بن القاسم عبد الكريم بن
أبى بكر أحمد الشهرستانى رضى الله عنهم جميعا ونفع بمؤلفاتهم جميع الملة الاسلامية
ووفق أهل الزيغ والاهواء للدين الحنيف والملة السمحاء هذا وقد
قام بشرح معضلات الفاظه وتبيين كلامه فضيلة الاستاذ
العلامة الشيخ عبد الرحمن خليفه المدرس بمدرسة ماهر باشا
وقد قام بطبعه حضرة الهمام السيد محمد على صبيح وذلك
بمطبعته الكائن مركزها بجوار الازهر الشريف
بمصر وكان تمام طبعه وحسن تنسيقه ووضعه
فى أواخر شهر ربيع الثانى من شهور
سنة ١٣٤٨ هجرية على صاحبها
أفضل الصلاة وأزكى
التحية آمين

365

FRONT

VETVS & TESTA NOVVM MENTVM
DEI SVB NVMINE VIGET

Restored through
a grant from

The Cartwright Foundation

VETVS & TESTA-
NOVVM MENTVM
DEI·SVB·NVMINE·VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY